التيسير في التفسير

تأليف الإمام المفسر العلامة

أبي نصر القشيري

أبي نصر عبد الرحيم ابن الأستاذ أبي القاسم
عبد الكريم بن هوازن القشيري
المتوفى سنة ٥١٤هـ

أول كتاب يبرز مطبوعًا للمؤلف
وطبع محققًا على ثلاث نسخ خطية
إحداها مكتوبة سنة ٥٤٢هـ بتحديث وقراءة الإمام أبي حفص
عمر بن أحمد الصفار النيسابوري زوج بنت المؤلف رحمه الله تعالى

حققه وقدم له
محمد خلوف العبد الله

المجلد السابع
المجادلة - الناس

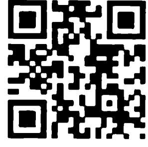
دار اللباب

التيسير في التفسير

(٧)

الطبعَة الأولىٰ

١٤٤٤هـ - ٢٠٢٢م





دَارُ اللُّبَابِ

للدِّرَاسَاتِ وَتَحْقِيقِ التُّرَاثِ

DAR-ALLOBAB

Lubab Yazma Eserleri İhya ve İlmi Araştırma Yayınları

بيروت - لبنان
009615813966
0096170112990

دمشق - سوريا
00963993151546
info@allobab.com
Www.allobab.com

اسطنبول - تركيا
00902125255551
00905454729850



İskenderpaşa mh. Kıztaşı cd. No:7 D:5 Fatih (Özel Fatih Hastanesi Karşısı)

التيسير في التفسير

تأليف الإمام المفسر العلامة

الإمام أبي نصر القشيري

أبي نصر عبد الرحيم ابن الأستاذ أبي القاسم
عبد الكريم بن هوازن القشيري

المتوفى سنة ٥١٤هـ
رحمه الله تعالى

أول كتاب يبرز مطبوعاً للمؤلف
ويطبع محققاً على ثلاث نسخ خطية
إحداها مكتوبة سنة ٥٤٢هـ بتحديث وقراءة الإمام أبي حفص
عمر بن أحمد الصفار النيسابوري زوج بنت المؤلف رحمه الله تعالى

حققه وقدم له
محمد خلوف العبد الله

المجلد السابع

المجادلة - الناس

دار اللباب

بسم الله الرحمن الرحيم

جُزْءُ قَدْ سَمِعَ

سُورَةُ المُجَادَلَةِ

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١ ـ ٢) ـ ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ۝١ ٱلَّذِينَ يُظَـٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَـٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَـٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّـٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾.

قولُه تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ﴾ معظَمُ مقاصدِ السُّورةِ: أنَّ المنافقينَ كانُوا يتسوَّقون بمناجاةِ الرَّسولِ عليه السَّلام، وربَّما كانُوا يسعَونَ إليه بالمؤمنين ويرجعُون بما لا أصلَ له، فأمرَ اللهُ بأنْ لا يُناجيه أحدٌ إلَّا بتقديمِ صدقةٍ بين يدي نجواه، ثمَّ خُفِّفَت عن المؤمنينَ، ونُقِضَ فرضُ تقديمِ الصَّدقةِ.

وكانَت المرأةُ المجادِلةُ في زوجِها أسرَّت إلى النَّبيِّ ﷺ أمرَها، قالَت عائشةُ: تباركَ الله الَّذي وسعَ سَمْعُه كلَّ شيءٍ، إنِّي لا أسمعُ كلامَ خولةَ بنتِ ثعلبةَ، ويخفَى عليَّ بعضُه وهي تشتكي زوجَها، وتقولُ: يا رسولَ اللهِ، أبلَى شبابي، ونثَرْتُ له بطني، حتَّى إذا كبرَ سنِّي، وانقطعَ ولدي، ظاهَر منِّي، اللَّهمَّ إنِّي أشكو إليك، قالَت: فما برحَتْ حتَّى نزلَ جبريلُ بهذه الآياتِ(١).

وكانَ زوجُ خولةَ بنتِ ثعلبةَ أوسُ بنُ الصَّامتِ، وكانَ به لَمَمٌ(٢)، فاشتدَّ لَمَمُه

---

(١) رواه أحمد في «المسند» (٢٤١٩٥)، والنسائي (٣٤٦٠)، وابن ماجه (٢٠٦٣) واللفظ له، وعلقه البخاري بصيغة الجزم قبل حديث (٧٣٨٦).

(٢) قال الخطابي في «معالم السنن» (٣/ ٢٥٣): معنى اللَّمم هاهنا: الإلمام بالنساء وشدة الحرص =

ذاتَ يومٍ، فظاهرَ منها ثمَّ ندمَ على ذلك، وكانَ الظِّهارُ طلاقاً في الجاهليَّةِ، فقالَ لها: ما أراكِ إلّا قد حرمتِ عليَّ. فقالَت: واللهِ ما ذكرتَ طلاقاً. ثمَّ أتتْ رسولَ اللهِ فقالَت: يا رسولَ اللهِ، أوسُ بنُ الصَّامتِ، أبو ولدي، وابنُ عمِّي، وأحبُّ النَّاسِ إليَّ، ظاهرَ منِّي، واللهِ ما ذكرَ طلاقاً، فقالَ عليه السَّلام: «ما أراكِ إلا قد حَرُمتِ عليه»، فأعادَت إليه قولَها، وقالَت: يا رسولَ اللهِ، والله ما ذكرَ طلاقاً، أشكو إليكَ وحشتي وفراقَ زوجي. فقالَ عليه السَّلام: «حرمتِ عليه»، فهتفَت وشَكَت وبَكَت، وجعلَت تراجعُ رسولَ اللهِ، فبينا هي كذلك إذ تربَّدَ وجهُ رسول اللهِ للوحي، ونزلت عليه ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ﴾[1].

ومجادلتُها في زوجِها: شكايتُها إلى النَّبيِّ ﷺ، والمجادَلةُ: شدَّةُ المخاصمة.

﴿فِى زَوْجِهَا﴾؛ أي: تريد أن لا تَحرُمَ على زوجِها، وكانَت قد قالَت: لي منه صبيةٌ صغارٌ، إن ضمَمْتُهم إليه ضاعوا، وإن ضمَمْتُهم إليَّ جاعوا، وجعلَت تتضرَّعُ وترفعُ رأسَها إلى السَّماءِ وتقول: اللَّهمَّ إنِّي أشكو إليك[2].

﴿وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ﴾؛ أي: تخاطُبكما، يُقال: كلَّمتُه فما أجابَ بكلمة؛ أي: ما أجابَ، والحَويرُ والحِوارُ: الاسمُ منَ المحاورةِ؛ أي: إنَّ اللهَ سميعٌ بالأقوالِ بصيرٌ بالأحوالِ.

= والتوقان إليهن، يدلُّ على ذلك قوله في هذا الحديث من الرواية الأولى: «كنت امرأً أصيب من النساء ما لا يصيب غيري»، وليس معنى اللمم هاهنا: الخبل والجنون، ولو كان به ذلك ثم ظاهر في تلك الحالة لم يكن يلزمه شيء من كفارة ولا غيرها، والله أعلم.

(١) ذكره بنحوه الثعلبي في «تفسيره» (٢٦/ ١٢٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وبلفظه الواحدي في «البسيط» (٢١/ ٣٢٦) عن المفسرين، ودون نسبة مقاتل في «تفسيره» (٤/ ٢٥٧)، والزجاج في «معاني القرآن» (٥/ ١٣٣)، وروى الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٤٤٦ ـ ٤٥١) في هذا المعنى روايات عن ابن عباس وقتادة وأبي العالية ومحمد بن كعب القرظي.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ١٣٣)، و«تفسير الثعلبي» (٢٦/ ١٢٢)، و«البسيط» (٢١/ ٣٢٧).

وقيلَ: اسمُ هذه المجادِلةِ خويلةُ بنتُ ثعلبةَ.

وقيلَ: خويلةُ بنتُ خُويلدٍ.

وقيلَ: خولةُ بنتُ الصَّامتِ.

وقالَ الشَّعبيُّ: أمُّ خولةَ مُعاذةُ، كانَت أمَةً لعبدِ اللهِ بنِ أُبيٍّ[١].

وقيلَ: جميلةُ امرأةُ أوسٍ.

قُرِئ: ﴿قد سمع الله﴾ بالإدغامِ، و﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ﴾ بالإظهارِ[٢].

قولُه تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم﴾ يُقال: ظاهرَ مِن امرأتِه؛ أي: قالَ لها: «أنتِ عليَّ كظهرِ أُمِّي»، أخبرَ أنَّ هذا اللَّفظَ خارجٌ عن الصِّدقِ.

قالَ أنسٌ: لمَّا نزلتْ آيةُ الظِّهارِ قالَ رسولُ اللهِ عليه السَّلام لأوسٍ: «أعتِقْ رقبةً» قالَ: ما لي بذالك يَدَانِ. قالَ: «فصُمْ شهرينِ مُتتابعينِ» قال: أمَا إنِّي إن أخطأني أن آكلَ في اليومِ ثلاثَ مرَّاتٍ كلَّ بصري، قال: «فأطعِمْ ستينَ مسكيناً» قال: لا أجدُ إلا أن تُغنيَني منك بعونٍ وصلةٍ. فأعانَه رسولُ اللهِ بخمسةَ عشرَ صاعاً

---

(١) رواه ابن مردويه كما في «الدر المنثور» (٨/ ٧٣) بلفظ: «المرأة التي جادلت في زوجها خولة بنت ثعلبة وأمُّها معاذة التي أنزل الله فيها ﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ﴾ [النُّور: ٣٣] وكانت أمة لعبد الله بن أبيّ».

وهكذا رواه ابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» عند هذه الآية لكن وقع فيه: «خولة بنت الصامت». قال ابن كثير: وقوله: «بنت الصامت» خطأ فإن الصامت والد زوجها، فلعله سقط منه شيء، وتسمية أمها غريب.

(٢) قرأ نافع وابن كثير وابن ذكوان وعاصم بإظهار الدال عند السين، والباقون بالإدغام. انظر: «الوجيز» لأبي علي الأهوازي (ص: ٧٨)، و«المكرر فيما تواتر من القراءات السبع وتحرر» للنشار (ص: ٤٢٩).

حتَّى جمعَ اللهُ له، واللهُ رحيم، وكانوا يَرونَ أنَّ عندَه مثلَها، وذلك لستِّين مسكيناً[١].

قُرِئَ: ﴿يُظَٰهِرُونَ﴾ مثلَ: يُقابِلون، وقُرِئَ: ﴿يَظَّهَّرُون﴾ مشدَّدةً بغيرِ ألف، و: ﴿يَظَّاهَرون﴾ مُشدَّدةَ الظَّاءِ مفتوحةَ الياءِ بألف[٢].

وفي قراءةِ أبيٍّ: (يَتَظاهَرون)[٣]، وهو في معنى ﴿يُظَٰهِرُونَ﴾.

وذلك الظَّهرُ كنايةٌ عن معنى الرُّكوبِ، والآدميَّةُ إنَّما يُركَبُ بطنُها، ولكن كنَى عنه بالظَّهر لأنَّ ما يُركَبُ من غيرِ الآدميَّاتِ فإنَّما يُركَبُ ظهرُه، فكنَى بالظَّهرِ عن الرُّكوبِ، ويُقال: نزلَ عن امرأتِه؛ أي: طلَّقَها، كأنَّه نزلَ عن مركوبٍ، ومعنى «أنتِ عليَّ كظهرِ أمِّي»: أنتِ محرَّمةٌ عليَّ، لا يحلُّ لي ركوبُك.

وقيلَ: المرادُ بالظَّهرِ هاهنا: العلوُّ والرُّكوبُ، فسُمِّيَ ظهراً لأنَّه يُعْلَى، فقولُه: «أنتِ عليَّ كظهرِ أمِّي»؛ أي: كظهري على أمِّي؛ أي: كعلوِّي، وذلك مثلَ قوله: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾ [الرحمن: ٤٦]؛ أي: مقامَه بينَ يدي ربِّه.

وقيلَ: يُظاهرون من نسائِهم؛ أي: يجعلونهنَّ خلفَ ظهورهم؛ أي: يحرِّمونهنَّ

---

(١) رواه الدارقطني في «سننه» (٤/ ٤٨٨)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٠٩).
وروى نحوه أبو داود (٢٢١٤) عن خويلة بنت مالك بن ثعلبة، وذكر عدة روايات أخرى (٢٢١٥ ـ ٢٢١٨).

(٢) قرأ ابن كثير وأبو عَمرو ونافع: ﴿يَظَّهَّرون﴾ بفتح الياء وتشديد الظاء من غير الألف من: اظَّهَّر، بمعنى: تَظَهَّر، وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائيُّ: ﴿يَظَّاهَرون﴾ بتشديد الظاء وزيادة الألف بفتح الياء مِن اظَّاهرَ بمعنى: تَظَاهَرَ، وقرأ عاصم: ﴿يُظَاهِرون﴾ من ظَاهَر. انظر: «السبعة» (ص: ٦٢٨)، و«التيسير» (ص: ٢٠٨).

(٣) ذكرها الفراء في «معاني القرآن» (٣/ ١٣٩)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٤٥٧)، والنحاس في «إعراب القرآن» (٤/ ٢٤٧).

لا على الطَّريقِ الَّذي بيَّنَه الله، وهو كقولِك: قابَلْتُه؛ أي: كنتُ قبالتَه، وهذا ضدٌّ، ولكن ذكر الأمِّ بكُليَّة، وفي الظِّهارِ ذكر ظهر الأمِّ.

﴿مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمۡ﴾؛ أي: ما نساؤُهم بأمَّهاتِهم، القراءةُ بكسرِ التَّاء، كقولِه: ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾ [يوسف: ٣١].

قالَ الفرَّاءُ: أهلُ نجدٍ وبنو تميمٍ يقولون: (ما هذا بشرٌ) و(ما هنَّ أمَّهاتُهم) بالرَّفعِ[١].

وقد قرأ عاصمٌ والمفضَّلُ: (ما هنَّ أمَّهاتُهم) بالرَّفعِ[٢].

﴿إِنۡ أُمَّهَٰتُهُمۡ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدۡنَهُمۡۚ﴾؛ أي: ما أمهاتُهم إلا الوالداتُ، وهي في المثلِ: «وُلْدُكِ مَن دمَّى عَقِبَيكِ»[٣].

﴿وَإِنَّهُمۡ﴾ يعني: المظاهِرين ﴿لَيَقُولُونَ مُنكَرٗا مِّنَ ٱلۡقَوۡلِ وَزُورٗاۚ﴾؛ أي: فظيعاً من القولِ، لا يُعرَفُ ذلك في الشَّرعِ، والزورُ: الكذبُ.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٣٩). والرفع في (بشرٌ) قراءة شاذة نسبت للأعمش كما في «تفسير الثعلبي» (١٤/ ٦٠٠)، وكذلك قراءة الرفع في (أمهاتُهم) شاذة وستأتي.

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٥٤). وقراءة الجمهور: ﴿أُمَّهَٰتِهِمۡ﴾ بالنصب.

(٣) انظر: «أمثال العرب» للمفضل الضبي (ص: ١٦٦)، و«معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٧٣)، و«الأمثال» لأبي عبيد (ص: ١٤٧)، و«إصلاح المنطق» (ص: ٣٤)، و«الصحاح» (مادة: ولد)، و«جمهرة الأمثال» (١/ ٣٩)، و«مجمع الأمثال» (٢/ ٣٦٣)، و«المستقصى في الأمثال» (١/ ٣٠). وقصته كما ذكرها المفضل وغيره: أن امْرَأَة الطُّفَيْل بن مالك بن جَعْفَر بن كلاب وَهِي من بني القين كَانَت قد ولدت لَهُ عقيل بن الطُّفَيْل، فتبنته ضرتها كَبْشَة بنت عُرْوَة بن جَعْفَر، فعرم على أمه يَوْمًا فضربته، فَجَاءَت كَبْشَة تمنعها وَتقول: ابْني ابْني، فَقَالَت: «ابْنك -أو: «ولدك» كما في كثير من المصادر ـ من دمى عقبيك»؛ أي: من نفست به. وقال الميداني: الوُلْدُ لغةٌ في الوَلَد.

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ إذا بيَّنَ الكفَّارةَ عليهم مخلِّصةً لهم عن هذا القولِ المنكرِ.

* * *

(٣) - ﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

قولُه تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ﴾ هذا ابتداءٌ، والخبرُ ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾؛ أي: فعليهم تحريرُ رقبةٍ، وحذفَ (عليهم) لدلالةِ الكلامِ عليه.

وقيلَ: أي: فكفَّارتُهم تحريرُ رقبةٍ.

ومعنى ﴿يُظَٰهِرُونَ﴾ يمتنعون منهنَّ بهذا اللَّفظِ.

﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟﴾ العودُ عند الشَّافعيِّ: السُّكوتُ عن الطَّلاقِ بعد الظِّهارِ زماناً يمكنُه أن يُطلِّقَ فيه؛ لأنَّه لمَّا ظاهرَ قصدَ التَّحريمَ، فإن وصلَ ذلك بالطلاق[١]، فقد جرى على ما ابتدأه من إيقاعِ التَّحريم [وأتمَّه]، ولا كفَّارةَ عليه، وإن سكتَ عن الطَّلاقِ فقد عادَ إلى ما كانَ عليه، فتجبُ عليه الكفَّارةُ.

ويُقال: «عادَ لمَا قالَ»، و: «عادَ إلى ما قالَ»، و«فيما قالَ» بمعنًى واحدٍ[٢]، ويُقالُ: «عادَ لِمَا فعلَ»؛ أي: فعلَه مرَّة أخرى، و«عادَ لـمَا فعلَ» أي: نقضَ ما فعلَ[٣].

---

(١) في (أ): «فإن وصل به التحريم»، والمثبت من «البسيط» (٢١/ ٣٣٠) والكلام وما سيأتي بين معكوفتين منه.

(٢) وهذا المعنى هو: رجع عما قال، فمعنى الآية عليه: يرجعون عما قالوا. انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٣٩)، و«البسيط» (٢١/ ٣٣١).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٣٩)، و«البسيط» (٢١/ ٣٣١).

فعند الشافعيِّ المعنى: ثمَّ يَعودونَ لـمَا قالوا بالنَّقضِ، وهو السُّكوتُ عن الطَّلاق، [وعلى هذا] ﴿لِمَا قَالُواْ﴾؛ أي: لفظِ الظِّهارِ(١).

وقيلَ: (ما قالوا) هو المقولُ فيه، والمقولُ فيه النِّساءُ، و(ما) هاهنا للمصدرِ، والمفعولُ يُسمَّى بالمصدرِ، يُقال: هذا ضربُ الأميرِ، ونسجُ اليمنِ.

وعند قومٍ: العودُ: [الغشيانُ] في الفرجِ، وهو قولُ مالكٍ(٢).

وقالَ أهلُ الظَّاهرِ: إذا كرَّرَ اللَّفظَ بالظِّهارِ فهو العودُ، وإن لـم يكرِّرْ فليسَ بعودٍ(٣).

وقالَ قومٌ: العودُ: أن يظاهرَ في الإسلامِ، فيكونُ ذلك عوداً إلى ما كانُوا يعتادونه في الجاهليَّةِ من الظِّهارِ ـ وهو قولُ القُتيبيِّ(٤) ـ فمَن فعلَ هذا فعليه تحريرُ رقبةٍ.

وقد قدَّمنا أنَّه ليسَ من ضرورةِ لفظِ العودِ فعلُ الشَّيءِ مرَّةً ثانيةً؛ إذ يُقال: عاد لكذا، وإلى كذا؛ أي: صارَ إليه وإن لـم يكنْ على ذلك قبلُ.

---

(١) انظر: «البسيط» (٢١/ ٣٣١) وما بين معكوفتين منه، وانظر: «الحاوي الكبير» للماوردي (١٠/ ٤٤٣)، و«المهذب» (٣/ ٦٧)، وفيه: «والعود هو أن يمسكها بعد الظهار زماناً يمكنه أن يطلقها فلم يفعل».

(٢) انظر: «البسيط» (٢١/ ٣٣٢) وما بين معكوفتين منه، وقال القاضي عبد الوهاب في «الإشراف» (٢/ ٧٧٢): «اختلف الناس في العود ما هو على عدّة مذاهب، فالظاهر من مذهبنا أنه العزم على الوطء، وقال في «الموطأ»: العزم على الوطءِ والإمساكِ».

(٣) انظر: «البسيط» (٢١/ ٣٣٢)، و«المحلى» لابن حزم (٩/ ١٩٣)، و«الحاوي الكبير» (١٠/ ٤٤٥).

(٤) انظر: «غريب القرآن» (ص: ٤٥٧)، و«غريب الحديث» (١/ ٢١٠)، كلاهما لابن قتيبة، و«البسيط» (٢١/ ٣٣٥) والكلام منه، وزاد: وهذا القول هو اختيار صاحب «النظم»، وشرحه فقال: المعنى: والذين كانوا يظاهرون من نسائهم قبل الإسلام ثم يعودون في الإسلام لمثل هذا القول فيظاهرون من نسائهم. ثم ذكر ما أوجب في ذلك في الإسلام من الحكم، والعرب تضمر «كان» كقوله: ﴿وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ الشَّيَاطِينُ﴾ [البقرة: ١٠٢] أي: ما كانت تتلو الشياطين فأضمر «كانت».

وقالَ الأخفشُ: تقديرُ الآيةِ: والذين يظاهرونَ من نسائهم فتحريرُ رقبةٍ لمَا قالوا، ثمَّ يعودونَ إلى نسائِهم[(١)]؛ أي: فعليهم تحريرُ رقبةٍ لمَا قالوا؛ أي: لِمَا نطَقوا به من ذكرِ التَّحريمِ الموجِب للامتناعِ عن الوطءِ إلا بعدَ الكفَّارةِ، فالجارُّ في قولِه: ﴿لِمَا قَالُوا۟﴾ متعلِّقٌ بالمحذوفِ الذي هو خبرُ الابتداءِ، وهو: عليهم، وقولُه: ﴿يَعُودُونَ﴾؛ أي: إلى نسائهم؛ أي: إلى وطئِهنَّ بعدَ التَّحريمِ بالظِّهارِ.

قال[(٢)]: والتَّقديمُ والتأخيرُ في الكلامِ كثيرٌ، كقولِه: ﴿ٱذْهَب بِّكِتَـٰبِى هَـٰذَا﴾ الآية [النمل: ٢٨]، والمعنى: فألقِه إليهم فانظرْ ماذا يرجعُون ثمَّ تولَّ عنهم.

بيَّنَ في الآيةِ الأولى أنَّ الظِّهارَ قولٌ منكرٌ وزورٌ، ثمَّ بيَّنَ المخرَجَ منه، وهو الكفَّارةُ.

﴿مِّن نِّسَآئِهِمْ﴾؛ أي: من أزواجِهم، وإنَّما يدخلُ في هذه اللَّفظةِ المنكوحاتُ من الحرائرِ والإماءِ، ولا تدخلُ فيه الأمةُ المملوكةُ، فمطلَقُ لفظِ النِّساءِ لا يتناولُ المملوكةَ، كقولِه: ﴿وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨٢] فلا يتناولُ مطلَقُ لفظِ الرِّجالِ العبدَ المملوكَ.

وصارَ قومٌ إلى صحَّةِ الظِّهارِ من الأمةِ المملوكةِ، فتكونُ النِّساءُ على هاتين اللجنتين[(٣)].

﴿لِمَا قَالُوا۟﴾: قال الأخفشُ: (لـمَا قالوا) و(إلى ما قالوا) واحدٌ[(٤)]، اللَّامُ و(إلى)

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٥٣٧) والكلام فيه بمعناه، وشرح كلامه الفارسي في «الحجة» (٢/ ١٣٩ ـ ١٤٠)، ونقله عنه الواحدي في «البسيط» (٢١/ ٣٣٤) وعنه نقل المصنف.

(٢) القائل هو الفارسي.

(٣) «على هاتين اللجنتين» كذا في (أ)، والمراد: أن قوله: ﴿نِّسَآئِهِمْ﴾ على هذا القول شامل للكل.

(٤) ذكره عن الأخفش الواحدي في «البسيط» (٢١/ ٣٣٥)، ونقل ما بعده عن أبي علي الفارسي.

يتعاقبان، قالَ اللهُ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا﴾ [الأعراف: ٤٣]، وقال: ﴿فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٢٣]، وقال: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ [الزلزلة: ٥]، وقالَ: ﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ﴾ [هود: ٣٦][(١)].

﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾؛ أي: فعليه إعتاقُ رقبةٍ، يُقال: حرَّرتُه؛ أي: جعلتُه حرًّا.

ثمَّ؛ هذه الرَّقبةُ يجبُ أن تكونَ مؤمنةً عند الشافعيِّ كالرَّقبةِ في كفَّارةِ القتلِ[(٢)]، وعند قومٍ: تُجزِئُ الكافرةُ.

﴿مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا﴾؛ أي: يتجامَعا، فلا يجوزُ للمظاهِرِ الوطءُ قبل التَّكفيرِ، وقال: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ﴾ ثمَّ قالَ: ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا﴾؛ لأنَّه أرادَ الزوجين؛ لأنَّ الجماعَ بينهما.

﴿ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ﴾؛ أي: ألزمَكم اللهُ هذه الكفَّارةَ وعظاً لكم؛ لِتنتهوا عن الطَّلاقِ بلفظِ الظِّهارِ، ولِتدَعوا عادةَ الجاهليَّةِ في قولِ المنكرِ والزُّورِ.

وقيلَ: ذلكم تُؤمَرون به.

﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾؛ أي: من التَّكفيرِ وتركِه.

***

(٤) ـ ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ۗ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

قولُه تعالى: ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾؛ أي: الرَّقبةَ، ﴿فَـ﴾عليه صومُ ﴿شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾؛

---

(١) انظر: «البسيط» (٢١/ ٣٣٥)، و«الحجة» لأبي علي الفارسي (٢/ ١٤١).

(٢) انظر: «الأم» للشافعي (٥/ ٢٩٨).

أي: على الولاء، ومعنى ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾: فمَن لـم يقدرْ على شراءِ رقبةٍ ولم تكنْ في ملكِه رقبةٌ، أو: لـم يجد رقبةً وإن وجدَ ثمنَ الرَّقبةِ.

﴿فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾؛ أي: فعليـه ذلـك، وهـو الإطعـامُ لـكلِّ مسـكينٍ مـدٌّ. وقـالَ قومٌ: مـدَّان.

وإنَّما تجبُ الكفَّارةُ قبلَ الوطءِ، فلو وطَأَ قبلَ الكفَّارةِ فقدِ ارتكبَ المحرَّم، وأخَّر الكفَّارةَ عن وقتها، ويأتي بها قضاءً.

﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: المقصودُ ذلك ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ﴾؛ أي: لتصدِّقوا أنَّ اللهَ أمرَ به.

وقيلَ: أي: فعلنا ذلك لتؤمنوا.

﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾؛ أي: ما وُصفَ مـن الكفَّارةِ ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾؛ أي: لـمَن كذَّبَ بما ذكرنا.

وعند الحنفيَّةِ: كفَّارةُ الظِّهارِ إنَّما تلزمُ المؤمنين دونَ الكفَّار، وعقوبتُهم على الظِّهارِ مؤخَّرةٌ إلى الآخرةِ. **والصَّحيحُ** أنَّ الكفَّارَ يُخاطبون بالفروعِ، ولكنَّا لا نتعرَّضُ لهم إلّا إذا ارتفعوا إلينا، فحينئذٍ نقضي عليهم بحكمِنا، ونُوجبُ عليهم الكفَّارة.

* * *

(٥) ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ۚ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾.

قولـه تعالـى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ المحـادَّةُ: المعـاداةُ والمخالفـةُ فـي الحـدودِ؛ أي: يأخـذون فـي عيـنِ الحـدِّ الَّـذي فيـه أوليـاءُ الله، وأصـلُ المحـادَّةِ: الممانعـةُ، ومنـه: الحديـدُ، ومنـه: الحـدَّادُ، للبـوَّابِ.

﴿كُبِتُوا﴾؛ أي: صُرِعُوا ورُدُّوا مقهورين وأُخْزُوا.

ثمَّ؛ قيلَ: يعني: المنافقين.

وقيلَ: يعني: المشركينَ يومَ الخندقِ ويومَ بدرٍ.

﴿كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾؛ أي: من الكفَّارِ.

وقيلَ: ﴿كُبِتُوا﴾؛ أي: سيُكْبَتون، وهو بشارةٌ من اللهِ للمؤمنينَ بالنَّصرِ، وأخرجَ الكلامَ بلفظِ الماضي تقريباً للمخبَرِ عنه، كما يُقالُ: أتاك الخيل، وبلغنا المنزلَ.

﴿وَقَدۡ أَنزَلۡنَآ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ﴾؛ أي: بينَّا الآياتِ والعلاماتِ في الدِّينِ، أو: أثبتنا الأحكامَ فلا تتعدَّوها.

﴿وَلِلۡكَٰفِرِينَ﴾ يعني: مَن لم يصدِّقْ بما أنزلنا من القرآنِ فله عذابٌ.

وقيلَ: ﴿يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ﴾؛ أي: أولياءَ اللهِ، كما في الخبرِ: «مَن أهانَ لي وليًّا فقد بارزَني بالمحاربةِ»(١).

***

(٦) - ﴿يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ أَحۡصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾.

قولُه تعالى: ﴿يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعٗا﴾؛ أي: لهم عذابٌ مهينٌ يومَ يبعثهم الله

---

(١) الحديث بهذا اللفظ رواه ابن أبي الدنيا في «الأولياء» (١)، والحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (٢/ ٢٣٢)، والطبراني في «الأوسط» (٦٠٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٣١٨)، والقضاعي في «مسنده» (١٤٥٦)، والبغوي في «شرح السنة» (٥/ ٢٢) من حديث أنس رضي اللّه عنه.

ومعناه مروي في الصحيح، فقد روى البخاري (٦٥٠٢) من حديث أبي هريرة رضي اللّه عنه: «من عادى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب». وله ألفاظ مقاربة أخرى.

﴿جَمِيعًا﴾؛ أي: الرِّجال والنِّساء ﴿فَيُنَبِّئُهُم﴾؛ أي: يخبرُهم ﴿بِمَا عَمِلُوٓاْ﴾ في الدُّنيا، ﴿أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ﴾؛ أي: حفظَ أعمالَهم ليُجازيَهم بها، ونَسُوا هم ذلك لإنكارِهم الحساب.

﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾؛ أي: شاهدٌ عليهم.

***

(٧) - ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُواْ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

قولُه تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: لا يَخْفَى عليه شيءٌ ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ﴾ النَّجوى مصدرٌ، والمصدرُ قد يُوصَفُ به، يُقال منه: قومٌ نجوى؛ [أي][1]: ذوو نجوى، ومنه: ﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ﴾ [الإسراء: ٤٧].

وقولُه: ﴿ثَلَٰثَةٍ﴾ خفضٌ بإضافةِ النَّجوى إليها، ويجوزُ أن يكونَ صفةَ النَّجوى؛ أي: من قومٍ مُتناجِين ثلاثةٍ[2]، وقد بيَّنَّا أنَّ النَّجوى بمعنى: القوم، ففي الكلامِ حذفُ المضافِ؛ لأنَّ المعنى: هم ذوو نجوى، وهكذا كلُّ مصدرٍ وُصِفَ به.

والنَّجوى من النَّجوةِ، وهي ما ارتفعَ وتنحَّى[3]، فالمتناجِيان يتناجيان ويخلوان بسرِّها كخلوِّ المرتفعِ من الأرضِ عمَّا يتصلُ به.

---

(١) ما بين معكوفتين من «تفسير القرطبي» (٢٠/ ٣٠٦).

(٢) وبيانه: أن النجوى إن جعلتَها مصدرًا أضفتَها إلى ﴿ثَلَٰثَةٍ﴾، وإن جعلتها بمعنى المتناجين جعلت ﴿ثَلَٰثَةٍ﴾ صفة لها. انظر: «البسيط» (٢١/ ٣٤١).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ١٣٧)، وعنه الواحدي في «البسيط» (٢١/ ٣٤١). زاد الزجاج: «تقول: فلان من هذا المكان بنجوةٍ، إذا كانت ناحية منه».

والمعنى: أنَّ سمعَ الله محيطٌ بكلِّ كلامٍ، وقد سمعَ مجادلةَ المرأةِ الَّتي ظاهرَ عنها زوجُها.

﴿إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾؛ أي: لا يخفَى عليه ذلك كما لا يخفَى عليه الرَّابعُ الَّذي يكونُ معهم.

قُـرِئَ: ﴿وَلَآ أَكْثَرَ﴾ بالنَّصبِ[1]؛ لأنَّ قـولَه: ﴿وَلَآ أَدْنَىٰ﴾ في محلِّ الخفضِ بالعطفِ على قولِه: ﴿وَلَا خَمْسَةٍ﴾ ﴿وَلَآ أَدْنَىٰ﴾: ولا أقلَّ ﴿وَلَآ أَكْثَرَ﴾.

وقرأ يعقوبُ: ﴿ولا أكثرُ﴾[2]؛ أي: ما يكونُ ثلاثةٌ ولا أقلُّ ولا أكثرُ منها، **وفيه بعدٌ**؛ لأنَّه يتضمَّنُ إسقاطَ النَّجوى من الكلامِ[3]، ولو صحَّ ذلك لجاز (ولا خمسةٌ) بالرَّفعِ.

﴿أَيْنَ مَا كَانُوا۟﴾؛ أي: حيثُما كانوا.

* * *

---

(١) أي: بالفتح وهو في محل جر عطفاً على ﴿خَمْسَةٍ﴾، فيكون مجروراً مثله لكن بالفتحة لأنه ممنوع من الصرف. وهذه قراءة الجمهور عدا يعقوب، وستأتي قراءته.

(٢) انظر: «النشر» لابن الجزري (٢/ ٣٨٥).

(٣) ولا يشترط هذا، فإنه يجوز ـ كما قال الزمخشري ـ أن يكون: (ولا أكثرُ) بالرَّفع معطُوفاً على محلِّ ﴿لا﴾ مَع ﴿أَدْنَىٰ﴾ كقولك: «لا حَولَ ولا قوةٌ إلا بالله» بفتح الحول ورَفع القوةِ، ويجوز أَن يكونا مَرْفوعَين على الابتداء؛ كقولك: لا حولٌ ولا قوَّةٌ إلَّا بالله، وأَن يكون ارتِفاعُهما عَطفاً على محلِّ ﴿مِن نَّجْوَىٰ﴾ كأنَّه قيل: ما يكونُ أَدْنَى ولا أكثرُ إلا هُوَ معَهم.

(٨) ـ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾.

قولُه تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَىٰ﴾ كانُوا يتناجون فيما بينهم في مكائدِ المسلمين؛ أعني: الكافرينَ والمنافقينَ، فنُهوا عن ذلك.

قالَ ابنُ عبَّاس: كانُوا يتناجون فيما بينهم ويتغامَزون بأعينهم، فيقول المسلمون: لعلَّهم بلغَهم في إخوانِنا وأقاربِنا الذين خرجُوا في السَّرايا قتلٌ أو موتٌ أو هزيمةٌ، وكانَ ذلك يحزن المؤمنين، فشكَوا إلى رسولِ الله، فنُهوا عن التَّناجي، ولـمَّا نُهوا لـم ينتهوا، وعادوا لها، فقالَ اللهُ: ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾[(١)].

﴿وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾؛ أي: بمخالفةِ الرَّسولِ إذ نهاهم عـن النَّجوى، وارتكابُ النَّهي إثمٌ وعدوانٌ.

وقيـلَ: الإثـمُ والعـدوانُ في ذلك: الشَّـرُّ الَّـذي كانَ يجـري بينهم فـي مكايدةِ المسـلمين وإدخالِ الحـزنِ عليهم.

وقرأ حمزةُ: ﴿يَنْتَجون﴾[(٢)] وانتَجَى وتَنَاجى بمعنًى مثل: اختصَموا وتخاصَمُوا.

﴿وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ﴾؛ أي: على معصيةِ الرَّسول؛ إذ نهاهم عن النَّجوى.

وقيلَ: أي: يُوصي بعضُهم بعضاً بمعصيةِ الرَّسولِ.

﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾ قالَت عائشةُ: جاءَ ناسٌ من اليهودِ إلى النَّبيِّ عليه السَّلام، فقالوا: السَّامُ عليك يا أبا القاسم. فقلت: السَّامُ عليكم، وفعلَ اللهُ بكم

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٦/ ١٣٩)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤١٠ ـ ٤١١).

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٦٢٨)، و«التيسير» (ص: ٢٠٩).

وفعلَ. فقالَ عليه السَّلام: «مَه يا عائشةُ؛ فإنَّ اللهَ لا يُحبُّ الفحشَ ولا التَّفحُّشَ»، فقلتُ: يا رسولَ اللهِ، ألستَ ترى ما يقولُون؟ فقال: «ألستِ ترَينَ كيفَ أردُّ عليهم ما يقولُون، أقولُ: وعليكم»، ونزلَت هذهِ الآيةُ[1].

﴿بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾؛ أي: أنَّ اللهَ سلَّم عليكَ، وهم يقولون: السَّامُ عليك.

والسَّامُ: الموتُ.

وقالَ الحسنُ: عنَوا بذلك: أنَّكم تَسْأَمونَ دينكم[2].

﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ قالوا: لو كانَ محمَّدٌ نبيًّا لعذَّبنا اللهُ بما نقولُ، فهلا يُعذِّبنا الله.

---

(١) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٢٥٩٢٤)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١٥٠٧)، وإسناده صحيح، وهو عند البخاري (٦٠٣٠)، ومسلم (٢١٦٥) لكن دون ذكر النزول.
وروى نحو هذه القصة مع الآية البخاري (٦٩٢٦)، والترمذي (٣٣٠١) واللفظ له عن أنس رضي الله عنه: أن يهوديًّا أتى على النبي ﷺ وأصحابه فقال: السام عليكم، فرد عليه القوم، فقال نبي الله ﷺ: «هل تدرون ما قال هذا؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، سلَّم يا نبي الله. قال: «لا، ولكنه قال كذا وكذا، ردوه عليَّ»، فردوه قال: «قلت: السام عليكم؟» قال: نعم. قال نبي الله ﷺ عند ذلك: «إذا سلم عليكم أحد من أهل الكتاب فقولوا: عليك ما قلت»، قال: ﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾.
ورواه مسلم (٢١٦٤) عن ابن عمر رضي الله عنهما بلفظ قريب.

(٢) ورد هذا ضمن حديث مرفوع رواه البزار في «مسنده» (٧٠٩٧)، وابن حبان في «صحيحه» (٥٠٣) من طريق قتادة عن أنس رضي الله عنه، ولفظه: كنا مع رسول الله ﷺ في مجلس، فمر يهودي، فسلم عليه، فرد عليه أصحاب رسول الله ﷺ، فقال: «هل تدرون ما قال؟» قالوا: نعم، سلم، قال: «فإنه قال: السآم عليكم، أي: تسأمون دينكم، ردوه عليه»، قالوا: كيف؟ قال: «قولوا: السام عليك»، فقال النبي ﷺ: إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا: عليكم ـ أي: عليكم ما قلتم»، قال الحافظ في «الفتح» (١١/ ٤٣): يحتمل أن يكون قوله: «أي: تسامون دينكم» تفسير قتادة كما بينته رواية عبد الوارث التي ذكرها الخطابي.

وقيلَ: قالوا: إنَّه يردُّ علينا ويقولُ: وعليكم السَّامُ، والسَّامُ الموتُ، فلو كانَ نبيّاً لاستُجيبَ له فينا ومتنا[1].

وهذا موضعُ تعجُّبٍ منهم؛ فإنَّهم كانُوا أهلَ الكتابِ، وكانوا يعلمون أنَّ الأنبياءَ قد يُعصَون فلا يُعاجَلُ مَن يَعصِيْهم بالعذابِ.

﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ﴾؛ أي: النّارُ عقاباً غداً.

***

(٩) ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ﴾؛ أي: لا تقتدوا باليهودِ، بل إنْ تناجَيْتُم فتناجَوا بما فيه خيرٌ ونفعٌ، كما قالَ: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ﴾ [النساء: ١١٤].

وقيلَ: خاطبَ المنافقين؛ أي: يا أيُّها الذين آمَنُوا بزعمِهم.

وقيلَ: يا أيُّها الذين آمنُوا بموسى.

***

(١٠) ـ ﴿إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ﴾؛ أي: من تزيينِ الشَّيطانِ ﴿لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ إذا توهَّمُوا أنَّ المسلمين أُصيبُوا في السَّرايا، أو إذا رأوا[2] اجتماعَهم على

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤٩١) عن الكلبي.

(٢) في (أ): «وأرادوا» بدل: «أو إذا رأوا»، والمثبت من «تفسير القرطبي» (٢٠/ ٣١٣).

مكايدةِ المسلمين، وربَّما كانُوا يُناجون النَّبيَّ ﷺ فيظنُّ المسلمون أنَّهم ينتقصونهم عند النَّبيِّ ﷺ.

﴿وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ﴾؛ أي: وليس التَّناجي بضارِّهم ﴿شَيْـًٔا﴾، أو: ليسَ الشَّيطانُ بضارِّهم شيئاً ﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: بمشيئتِه.

وقيلَ: بعلمِه، فهو يُجازيهم.

وقيلَ: ﴿إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾؛ أي: هو الَّذي سلَّطَ الشَّيطانَ على الوساوسِ ابتلاءً للعبدِ وامتحاناً، ولو شاءَ لصَرَفَه عنه.

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾؛ أي: استعيذوا باللهِ من الشَّيطانِ، ومن كلِّ شرٍّ.

* * *

(١١) ـ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَـٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

قولُه تعالى: ﴿يا أيُّها الذينَ آمنوا إذا قيلَ لكم تفسَّحُوا في الـمَجْلِسِ﴾ بيَّنَ أنَّ اليهودَ يُحيُّونه بما لـم يحيِّه به الله، وذمَّهم على ذلك، ووصلَ به الأمرَ بتحسينِ الأدبِ في مجالسةِ رسولِ اللهِ حتَّى لا يُضيِّقوا عليه المجلسَ، وأُمِرَ المسلمون بالتَّعاطفِ والتَّآلفِ حتَّى يُفسِحَ بعضُهم لبعض، حتَّى يتمكَّنُوا من الاستماعِ من رسولِ اللهِ والنَّظرِ إليه.

قالَ مُقاتلٌ: كانَ رسولُ اللهِ ﷺ في الصُّفَّةِ، وفي المكانِ ضِيقٌ، وذلك يومَ الجمعةِ، وكانَ رسولُ اللهِ يُكرمُ أهلَ بدر، فجاءَ ناسٌ من أهلِ بدر وقد سُبقوا إلى المجلسِ، فقامُوا حِيالَ النَّبيِّ على أرجلِهم ينتظرُون أن يُوسَّعَ لهم، فلم يُفسِحُوا لهم،

فشقَّ ذلك على النَّبيِّ ﷺ، فقالَ لمَن حولَه من غيرِ أهلِ بدرٍ: «قمْ يا فلانُ، وأنتَ يا فلانُ» فأقامَ من المجلسِ بقَدْرِ النَّفرِ الذين قاموا بين يديه من أهلِ بدرٍ، وشقَّ ذلك على مَن أُقيمَ مِن مجلسِه، وقالَ المنافقون: ما أنصفَ هؤلاء وقد أحبُّوا القُربَ من نبيِّهم وسَبقوا إلى المكان. فأنزلَ اللهُ هذه الآيةَ(١).

﴿تَفَسَّحُواْ﴾؛ أي: توسَّعوا، وفسَحَ فلانٌ لأخيه في مجلسِه يفسَحُ فَسحاً؛ أي: أوسعَ له، ومنه قولُهم: [بلدٌ فَسيحٌ، ولك في كذا فسحةٌ](٢)، وفسَحَ يَفسَحُ مثلَ منَعَ يمنَعَ؛ أي: وسَّعَ في المجلسِ، وفسُحَ يفسُحُ فَساحةً مثل كرُمَ يكرُمَ؛ أي: صارَ واسعاً، ومنه: مكانٌ فسيحٌ، وتفسَّحَ وتَفَاسَحَ؛ أي: توسَّع، وقرأ الحسنُ: (تفاسحوا)(٣).

وأرادَ بالمجلسِ: مجلسَ رسولِ اللهِ. وقيلَ: هو عامٌّ في جميعِ المجالسِ.

وقُرِئَ: ﴿فِى ٱلْمَجَٰلِسِ﴾(٤).

﴿يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾؛ أي: يُوسِّعْ لكم في الجنَّةِ إذا راعَيْتُم هذا الأدبَ.

﴿وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ﴾؛ أي: إذا أُشيرَ عليكم بالقيامِ وتوسيعِ المكانِ لغيرِكم

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل بن سليمان» (٤/ ٢٦٢)، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٤٤) عن مقاتل بن حيان، وكذا ذكره الواحدي في «البسيط» (٢١/ ٣٤٦)، وأبو حفص النسفي في «التيسير في التفسير» (١٤/ ٣٣٥).

وهو مخالف لما روى البخاري (٩١١)، ومسلم (٢١٧٧)، عن ابن جريج عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: نهى النبي ﷺ أن يقيم الرجل أخاه من مقعده ويجلس فيه. قلت لنافع: الجمعة؟ قال: الجمعة وغيرها. هذا لفظ البخاري، وفي رواية عند مسلم: «لا يقيم الرجل الرجل من مقعده ثم يجلس فيه، ولكن تفسحوا وتوسعوا».

(٢) في (أ): «توسعوا» بدل ما بين معكوفتين، والمثبت من «تفسير القرطبي» (٢٠/ ٣١٦).

(٣) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٥٤)، و«المحتسب» (٢/ ٣١٥).

(٤) هي قراءة عاصم، والباقون بالإفراد. انظر: «السبعة» (ص: ٦٢٨)، و«التيسير» (ص: ٢٠٩).

فامتثِلُوا، والنَّشزُ: الارتفاعُ؛ أي: ارتفعُوا عنه؛ فإنَّ له حوائجَ أيضاً، وكانُوا يُطيلونَ الجلوسَ، ويطلبُ كلُّ إنسانٍ أن يكونَ أوَّلَ مَن يدخلُ وآخرَ مَن يخرجُ، وكانَ فيه نوعُ تثقيلٍ[١].

وقيلَ: المرادُ بالنَّشزِ: الارتفاعُ في المجلسِ، كالرَّجلِ تقولُ له: ارتفعْ؛ أي: اقرُبْ منِّي. والمعنى: إذا قالَ لكم النَّبيُّ: تفسَّحُوا وتزحزحوا، فامتثِلوا أمرَه، وإذا قالَ: اقرُبوا، فاقرُبوا.

قُرِئَ: ﴿فانْشزُوا﴾ بكسرِ الشِّينِ وضمِّها[٢]، وهما لغتانِ.

﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾؛ أي: في الثَّوابِ في الآخرةِ وفي الكرامةِ في الدُّنيا؛ أي: أنَّ النَّبيَّ عليه السَّلام إنَّما يُقدِّرُ مَا[٣] يُقدِّرُ عن أمرِ الله.

وقيلَ: كانُوا يُحبُّون القُرْبَ منَ النَّبيِّ عليه السَّلام فقيلَ لهم: إذا دُعِيتم إلى خيرٍ من قتالٍ وغيرِه فحقِّقوا[٤] ذلك، ووُعِدوا عليه رفعَ درجاتِهم في الجنَّة.

وقيلَ: كانَ أهلُ الغِنى يكرهون أنْ يُزاحمَهم مَن يلبسُ الصُّوفَ، فيَسبقون إلى مجلسِ النَّبيِّ عليه السَّلام فالخطابُ لهم، ورأى عليه السَّلام رجلاً من الأغنياءِ يقبضُ ثوبَه تعزُّزاً من بعضِ الفقراءِ أرادَ أن يجلسَ إليه فقال: «أخشيتَ أن يَتعدَّى غناكَ إليه أو فقرُه إليك؟»[٥].

---

(١) في (أ): «تعتيل» وهو تحريف ظاهر، ولعل المثبت هو الصواب.

(٢) نافع وابن عامر وعاصم بخلاف عن أبي بكر بضم الشين فيهما، والباقون بالكسر فيهما. انظر: «السبعة» (ص: ٦٢٩)، و«التيسير» (ص: ٢٠٩)

(٣) في (أ): «من» والصواب المثبت.

(٤) في (أ): «فحقوا» والصواب المثبت.

(٥) لم أقف عليه مسنداً.

وبيَّنَ في هذه الآيةِ أنَّ الرِّفعةَ عند اللهِ بالعلمِ والإيمانِ، لا بالسَّبقِ إلى صدورِ المجالسِ.

وقيلَ: أرادَ بـ﴿وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾: الذين قرؤوا القرآن.

وقيلَ: نزلَت هذهِ الآيةُ في مجالسِ الحربِ ومقاعدِ القتالِ، وكانَ الرَّجلُ ربَّما قعدَ في موضعٍ ليس بأهلٍ له، ويكونُ مَن هو أشجعُ منه خلفَه.

وقالَ الحسنُ: تشاحُّوا في الصَّفِ الأوَّلِ رغبةً منهم في الجهادِ والشَّهادةِ فأُمِروا بالتَّفسُّحِ(١).

وقيلَ: أي: إذا قيلَ: انشزوا، ودُعيتُم إلى الصَّلاةِ والحربِ فسارعوا.

* * *

(١٢) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

قولُه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ﴾ قطعَ المنافقين عن مناجاةِ الرَّسولِ؛ فإنَّ الشَّيطانَ كانَ يحزنُ لها المسلمين، فأوجبَ على من أرادَ مناجاتَه تقديمَ صدقةٍ يتطهَّرون بها لمناجاتِهم، كالطَّهارةِ تُقدَّمُ على الصَّلاةِ.

﴿إِذَا نَٰجَيْتُمُ﴾؛ أي: إذا أردتمُ المناجاةَ، كقولِه: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ [النحل: ٩٨]؛ أي: إذا أردتَ قراءتَه.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٦/ ١٤٨)، والواحدي في «البسيط» (٢١/ ٣٥٠)، وأبو حفص النسفي في «التيسير» (١٤/ ٣٣٦).

ثـمَّ؛ إنَّ أهـلَ الغنـى بخِلـوا والفقـراءَ لـم يجـدوا شـيئاً، واشـتدَّ ذلـك علـى أصحـابِ النَّبـيِّ عليـه السَّـلام، فنزلَـتِ آيـةُ [1] الرُّخصـة.

قالَ عليٌّ رضيَ اللهُ عنه: في كتاب الله آيةٌ ما عملَ بها أحدٌ قبلي، ولا يعملُ بها أحدٌ بعدي، وهي: ﴿إِذَا نَـٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً﴾، كانَ لي دينارٌ فبعتُه، وكنتُ إذا ناجيتُ الرَّسولَ تصدَّقتُ بدرهمٍ حتَّى نفدَ، فنُسِخَت بالآيةِ الأخرى ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا۟﴾[2].

قالَ مقاتل[3]: بقيَ هذا الأمرُ عشرَ ليالٍ ثمَّ نُسِخَ[4].

وقالَ ابنُ عبَّاس: ما بقيَ إلَّا ساعةً من النَّهارِ حتَّى نُسخَ[5].

وقيلَ: شاورَ النَّبيُّ عليه السَّلام عليًّا في تقديرِ هذه الصِّدقةِ، فقال: «كم تَرَى؟ ديناراً؟» فقالَ عليٌّ: لا يُطيقونه.

---

(١) في (أ): «الآية»، والصواب المثبت.

(٢) رواه أبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» (٤٧٣)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٢١٢٥)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٤٨٢)، والحاكم في «المستدرك» (٣٧٩٤)، وصححه، ووقع في مطبوعه مرفوعاً وهو خطأ من الناسخ أو الطابع.

(٣) قوله: «مقاتل» تحرف في (أ) إلى معاذ، وانظر التعليق الآتي.

(٤) ذكره الثعلبي فـي «تفسيره» (٢٦/ ١٥٩)، والواحدي فـي «البسيط» (٢١/ ٣٥٢)، عن مقاتل بن حيان.

(٥) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢١/ ٣٥٢) من رواية ابن جريج والكلبي وعطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما وكلها ضعاف. ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣١٧٨) عن الكلبي وقتادة، وروى (٣١٧٧) عن مجاهد قال: قال علي: ما عمل بهذه أحد غيري حتى نسخت، قال: أحسبه قال: وما كانت إلا ساعة.

فقـالَ: «كـم؟» فقالَ: حبَّةٌ أو شـعيرةٌ. فقالَ عليه السَّـلام: «إنَّك لزهيـدٌ»، فنزلَت آيـةُ النَّسـخِ(١).

﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾؛ أي: للفقراءِ.

* * *

(١٣) ـ ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ﴾؛ أي: شقَّ عليكم أن تقدِّموا صدقةً بين يدي نجواكم؟ وهذا استفهامُ تقريرٍ، والإشفاقُ: الخوفُ من المكروهِ.

ثمَّ؛ قيل: أشفَقُوا من التَّقصيرِ، وقيلَ: أشفقوا إذ [لم يجدوا](٢) ما يُقدِّمونه.

وقالَ ابنُ عبَّاس: ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ﴾؛ أي: أبخِلتُم(٣)؟

﴿فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ هذا خطابٌ لمَن وَجدَ ما يتصدَّقُ به.

﴿فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ فنسخَت فَرْضيَّةُ الزَّكاةِ هذه الصدقةَ، وهذا يدلُّ على جوازِ النَّسخِ قبلَ الفعلِ.

وفيما رُويَ عن عليٍّ ضعفٌ؛ لأنَّ اللهَ تعالى قال: ﴿فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا﴾، وهذا يدلُّ على أنَّ أحداً منهم لـم يتصدَّقْ بشيءٍ(٤).

---

(١) رواه الترمذي (٣٣٠٠) عن علي رضي الله عنه، وقال: هذا حديث حسن غريب إنما نعرفه من هذا الوجه.

(٢) زيادة يقتضيها السياق.

(٣) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢١/ ٣٥٣).

(٤) انظر: «البسيط» للواحدي (٢١/ ٣٥٤)، وانظر تفصيل المسألة في «أصول السرخسي» (٢/ ٦٤)، و«الإبهاج في شرح المنهاج» للسبكي (٢/ ٢٣٢).

(١٤) ـ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.

قولُـه تعالـى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾ يعنـي: المنافقيـن، تولَّـوا اليهـودَ، وحملـوا أخبـارَ المسـلمينَ إليهـم.

قالَ مقاتلٌ: نزلَت في عبدِ اللهِ بنِ نَبْتَل المنافقِ، كان يجالسُ النَّبيَّ عليه السَّلام ثمَّ يرفعُ حديثَه إلى اليهودِ، فبينا رسولُ اللهِ في حجرةٍ من حجرِه إذ قالَ: «يدخلُ عليكم الآنَ رجلٌ قلبُه قلبُ جبَّارٍ، وينظرُ بعيني شيطانٍ»، فدخلَ عبدُ اللهِ بنُ نَبْتَل، وكانَ أزرقَ، فقالَ عليه السَّلام له: «علام تَشْتِمُني أنت وأصحابُك؟» فحلفَ باللهِ ما فعلَ ذلك، فقالَ له النَّبيُّ عليه السَّلام: «فعلتَ»، فانطلقَ فجاءَ بأصحابِه، فحلفُوا باللهِ ما سبُّوه، فنزلَت هذه الآياتُ(١).

واليهودُ مذكورون في القرآنِ بغضبِ اللهِ عليهم.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٦/ ١٦٠).

وروى نحوه الإمام أحمد في «مسنده» (٢١٤٧) (٢٤٠٧) (٣٢٧٧)، والبزار في «مسنده» (٥٠١٠)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٣٠٧)، والحاكم في «المستدرك» (٣٧٩٥) من حديث ابن عباس رضي الله عنه، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٢٢): «رواه أحمد والبزار، ورجال الجميع رجال الصحيح».

ولفظ الإمام أحمد: عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما قال: كان رسول الله ﷺ جالسًا في ظل حجرته فقال لأصحابه: «يجيئكم رجل ينظر إليكم بعين شيطان، فإذا رأيتموه فلا تكلموه»، فجاء رجل أزرق، فلمَّا رآه النبي ـ ﷺ ـ دعاه، فقال: «علامَ تشتمني أنت وأصحابك؟» قال: كما أنت حتى آتيك بهم، قال: فذهب، فجاء بهم، فجعلوا يحلفون باللَّه ما قالوا، وما فعلوا، وأنزل اللَّه عز وجل: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾ إلى آخر الآية.

﴿مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ﴾؛ أي: المنافقون ليسوا من المسلمينَ ولا من اليهودِ، بل هم مُذبذبون بينَ ذلكَ.

﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ﴾ يعني: حَلِفَهم على أنَّهم لم يقولُوا شيئاً من ذلك.

﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾؛ أي: يعلمونَ أنَّهم كاذبون.

* * *

(١٥) ـ ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾؛ أي: يومَ القيامةِ ﴿إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾؛ أي: ذلك العذابُ الشَّديدُ لهم بسببِ سوءِ أعمالِهم.

* * *

(١٦) ـ ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾.

قولُه تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: بإلقاءِ الأراجيفِ وتثبيطِ المسلمين عن الجهادِ وتخويفِهم، فإذا عُوتبوا حلَفوا أنَّهم لم يفعلُوا، فاتَّخذوا أيمانَهم الكاذبةَ جُنَّةً من القتلِ.

﴿فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ في الدُّنيا، وفي الآخرةِ بالنّارِ.

* * *

(١٧) ـ ﴿لَّن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿لَّن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ﴾ قالَ مقاتلٌ: قالَ المنافقون: إنَّ محمَّداً يزعمُ

أن يُنصَرُ[١] يومَ القيامةِ، لقد شَقِيْنا إذاً، فواللهِ لنُنصرنَّ يومَ القيامةِ بأنفسِنا وأموالِنا وأولادِنا إن كانَت قيامةٌ، فنزلَت الآيةُ[٢].

* * *

(١٨) ـ ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ﴾؛ أي: لهم عذابٌ مهينٌ يومَ يبعثُهم اللهُ، أو: لن تُغني عنهم أموالُهم يومَ يبعثُهم الله.

﴿فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ﴾ هذا أمرٌ عجيبٌ، وهو مغالطتُهم باليمينِ غداً وقد صارَت المعارفُ ضروريَّةً.

وقالَ ابنُ عبَّاس: هو قولُهم: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣]، وقولُه: ﴿كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾ هو قولُهم: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ﴾ [التوبة: ٥٦][٣].

﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾؛ أي: على صوابٍ من أمرِهم، وهذا في الدُّنيا، وأمَّا في الآخرةِ، فالشُّكوكُ تَزولُ ثَـمَّ.

﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾؛ أي: في أيمانِهم وأقوالِهم، وهذا في الدُّنيا؛ إذ لا كذبَ في الآخرةِ.

وقيلَ: يحلفونَ في الآخرةِ إنَّهم ما كانُوا في الدُّنيا كفَّاراً عند أنفسِهم، لا أنَّه يبقَى ثَـمَّ شكٌّ.

---

(١) في «تفسير مقاتل»: «أننا لا ننصر».

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٢٦٤).

(٣) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢١/ ٣٥٥).

(١٩) - ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾؛ أي: استولَى ﴿فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ﴾، يُقالُ: أَحْوَذَ الشَّيءَ؛ أي: جمعَه، وضمَّ بعضَه إلى بعضٍ.

* * *

(٢٠) - ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ هذه بشارةٌ للمسلمينَ بالنَّصرِ على الكفَّارِ ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ﴾؛ أي: من جملةِ الأذلَّاءِ الذينَ لا أذلَّ منهم.

* * *

(٢١) - ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾.

قولُه تعالى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ﴾؛ أي: قضَى اللهُ ذلك.

وقيلَ: كتب في اللَّوحِ المحفوظِ.

﴿لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ﴾ غلبةُ الرَّسولِ بالحجَّةِ وباليدِ.

وقيلَ: قالَ ابنُ أُبَيٍّ وقد سمعَ المسلمين يقولون: «إنَّا لنَرجو أن يُظهِرنا اللهُ على فارس والرُّوم»: أتظنُّون أنَّهم كبعضِ القُرى الَّتي غَلَبتُم عليها؟! كلا والله، لَهُمْ أكثرُ جَمعاً وعُدَّةً. فنزلَت الآيةُ[1].

* * *

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٢٦٥)، وعنه الثعلبي في «تفسيره» (٢٦/ ١٥٦)، والواحدي في «البسيط» (٢١/ ٣٥٧).

(٢٢) - ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

قولُه: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾؛ أي: المؤمنُ لا يُوادُّ الكفَّارَ وإن كانُوا أقاربَه.

قيل: إنَّ أبا قُحافةَ سبَّ النَّبيَّ عليه السَّلام، فصكَّه أبو بكرٍ صكَّةً شديدةً سقطَ منها، فذكرَ ذلك للنَّبيِّ عليه السَّلام فقالَ: «لا تَعُدْ لمثلِه»، فقالَ أبو بكر: والله لو كانَ السَّيفُ قريباً منِّي لقتلتُه. فأنزلَ اللهُ هذه الآيةَ(١).

وقالَ ابنُ مسعود: نزلَت في أبي عُبيدةَ بنِ الجرَّاحِ قتلَ أباه عبدَ اللهِ بنَ الجرَّاحِ يومَ أُحُدٍ، وفي أبي بكرٍ دعا ابنَه يومَ بدرٍ إلى البرازِ، فقالَ رسولُ اللهِ عليه السَّلام: «مَتِّعنا بنفسِك يا أبا بكرٍ، أما تعلمُ أنَّك عندي بمنزلةِ سمعي وبصري»، وفي مُصعَبِ بنِ عُميرٍ قتلَ أخاه عُبيدَ بنَ عُميرٍ يومَ أُحدٍ، وفي عُمرَ قتلَ خالَه العاصَ بنَ هشامٍ يومَ بدرٍ(٢).

---

(١) رواه ابن المنذر كما في «الدر المنثور» (٨/ ٨٦)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٦/ ١٦٧)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤٩٧)، والواحدي في «البسيط» (ص: ٤١٤)، عن ابن جريج، قال الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (٣/ ٤٣٢): غريب

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٦/ ١٦٨)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤١٥).

وذكره الواحدي في «البسيط» (٢١/ ٣٥٨) من طريق عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما. وفي مصادر التخريج من الزيادة على ما ذكره المصنف: «وعليًّا وحمزة وعبيدة قتلوا عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة يوم بدر». =

وقيلَ: نزلَت في حاطبِ بنِ أبي بلتعةَ لمَّا كتبَ إلى أهلِ مكَّةَ بمسيرِ النَّبيِّ عليه السَّلام إليهم عامَ الفتحِ، فبيَّنَ أنَّ الإيمانَ يفسدُ بمولاةِ الكفَّارِ وإن كانُوا أقاربَ[1].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ﴾؛ أي: خلقَ في قلوبِهم التَّصديقَ.

وقيلَ: ﴿كَتَبَ﴾؛ أي: جمعَ، ومنه: الكتيبةُ؛ أي: لـم يكونوا ممَّن يقولُ: نؤمِنُ ببعضٍ ونكفرُ ببعضٍ. وقُرِئَ: (كُتِبَ)[2].

﴿وَأَيَّدَهُم﴾؛ أي: قوَّاهم ﴿بِرُوحٖ مِّنۡهُ﴾؛ أي: بالقرآنِ الَّذي هو حياةٌ لهم.

وقيلَ: أيَّدهم ببرهانٍ ونورٍ عذَّبُوا به حزبَ الشَّيطان، أو: نصرَهم بجبريلَ في الحروبِ.

= وما جاء في مطلعه من أن أبا عبيدة قتل أباه يوم أحد، ورد ما يخالفه:

أولاً: في قتله أباه، فقد ذكر الثعلبي عن الواقدي قوله: كذلك يقول أهل الشام، ولقد سألت رجالًا من بني الحارث بن فهر فقالوا: توفي أبوه من قبل الإسلام.

وثانياً: في كون ذلك يوم أحد، فقد روى الطبراني في «الكبير» (٣٦٠)، والحاكم في «المستدرك» (٥١٥٢)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ١٠١)، عن عبد الله بنِ شَوْذَبٍ أن ذلك حدث يوم بدر، لكنه ضعيف لإرساله، قال الحافظ في «التلخيص الحبير» (٤/ ١٠٢): «هذا معضل، وكان الواقدي ينكره... ».

(١) ذكره مقاتل في «تفسيره» (٤/ ٢٦٥)، والفراء في «معاني القرآن» (٣/ ١٤٢)، والزجاج في «معاني القرآن» (٥/ ١٤١)، وقال الواحدي في «البسيط» (٢١/ ٢٥٧): الأكثرون على أن هذه الآية نزلت في حاطب بن أبي بلتعة وإخباره أهل مكة بمسير النبي ﷺ إليهم لما أراد فتح مكة، وتلك القصة معروفة، وهذا قول مقاتل واختيار الفراء والزجاج.

وخبر حاطب بن أبي بلتعة رواه البخاري (٣٩٨٣)، ومسلم (٢٤٩٤)، من حديث علي رضي الله عنه، مطولاً دون ذكر هذه الآية. وسيأتي في سبب نزول قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ﴾ [الممتحنة: ١].

(٢) رويت عن عاصم في غير المشهور عنه. انظر: «السبعة» (ص: ٦٣٠).

وقيلَ: قوَّاهم بنصرٍ منه في الدُّنيا على العدوِّ، وسمَّى النَّصرَ روحاً لأنَّه به يَحيا أمرُهم.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ﴾؛ أي: الذينَ يتحزَّبونَ لنُصرةِ دينِه ويُعادُونَ أعداءَه.

* * *

سُورَةُ الحَشْرِ

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) ـ ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

قولُه تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾؛ أي: أنَّ اللهَ منزَّهٌ عن كلِّ نقصٍ، ويشهدُ لذلك كلُّ ما خلقَ.

***

(٢) ـ ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا ۖ وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾.

قولُه تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ﴾ يعني: بني النَّضيرِ؛ فإنَّ النَّبيَّ عليه السَّلام أجلاهم عن حصونِهم إلى الشَّامِ، وذلك [أنَّه] لمَّا قدمَ المدينةَ صالحَ بني النَّضيرِ على أن [لا] يُقاتلوه ولا يُقاتلوا معه، فلمَّا غزا رسولُ اللهِ ﷺ بدراً قالوا: والله إنَّه للنَّبيُّ الَّذي وجدنا نعتَه في التَّوراةِ لا تُردُّ له رايةٌ، فلمَّا هُزمَ المسلمون يومَ أُحدٍ نقضوا العهدَ، وأظهروا العداوةَ لرسولِ اللهِ والمؤمنينَ، فحاصرَهم ﷺ ثمَّ صالَحهم على الجلاءِ من المدينةِ إلى الشَّامِ[١].

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٦/ ١٧٩)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤١٦)، وما بين معكوفتين منهما، وقال الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (٣/ ٤٣٧): غريب، وهو في تفسير الثعلبي هكذا من غير سند.

وقيلَ: كتبَ كفَّارُ قريشٍ: إنَّكم أهلُ الحَلقةِ والحُصونِ، وإنَّكم لتقاتلنَّ صاحبَنا أو لنفعلنَّ كذا، ولا يَحولُ بيننا وبينَ خَدَمِ نسائِكم ـ وهي الخلاخيلُ ـ شيءٌ. فعزموا على الغدرِ بالنَّبيِّ عليه السَّلام، فأرسلوا إليه وقالوا: تخرجُ إلينا في ثلاثةٍ من أصحابِك، ونحن نُخرِجُ إليك ثلاثةً من علمائِنا، فإن آمنُوا بك آمَنَ بك كلُّنا وصدَّقناك. فخرجَ النَّبيُّ عليه السَّلام في ثلاثةٍ من أصحابِه، وخرجَ ثلاثةٌ من اليهودِ، واشتملوا على الخناجرِ، وأرادوا الفتكَ به، فأرسلَت امرأةٌ ناصحةٌ من بني النَّضير إلى أخيها ـ وهو رجلٌ مسلمٌ من الأنصارِ ـ فأخبرَته، فأقبلَ أخوها سريعاً حتَّى أدركَ النَّبيَّ عليه السَّلام، فسارَّه بخبرِهم، فرجعَ النَّبيُّ عليه السَّلام، فلمَّا كانَ الغدُ غدا عليهم بالكتائبِ فحاصرهم وقاتلهم، حتَّى نزلوا على الجلاءِ وعلى أنَّ لهم ما أقلَّتِ الإبلُ إلا الحلقةَ، وهي السِّلاحُ، فكانوا يُخْرِبون بيوتَهم فيأخذون ما أرادوا من الخشَبِ(١).

وقيلَ: لمَّا قتلَ عَمرو بنُ أُميَّةَ رجلين من المشركين من بني عامرِ بنِ صعصعةَ، وكانَ رسولُ اللهِ عليه السَّلام وادَعَهم وعمرٌو لا يعلمُ، قالَ عليه السَّلام: «نعم، وبئسَ ما صنعْتَ، قد كانَ لهم منَّا أمانٌ»، قال: ما شعرتُ. وأرسلَ عامرُ بنُ الطُّفيلِ إلى رسولِ اللهِ عليه السَّلام يطلبُ ديتَهما، فخرجَ عليه السَّلام إلى بني النَّضير، وكانوا حلفاءَ لبني عامرٍ يستعينُ بهم في ديتِهما، فتآمَروا في اغتِيالِه، وكانَ قاعداً في نفرٍ من أصحابِه تحتَ ظلِّ جدارٍ، فأرادَ اليهودُ أن يطرحوا عليه صخرةً، فعلمَ بذلك رسولُ اللهِ عليه السَّلامُ، فنهضَ كأنَّه يريدُ حاجةً، وتوجَّهَ إلى المدينةِ، فلمَّا راثَ

---

(١) رواه بهذا السياق عبد الرزاق في «مصنفه» (٩٧٣٣) عن عبد الله بن عبد الرحمن بن كعب بن مالك، عن رجل من أصحاب النبي ﷺ، وروى نحوه أبو داود (٣٠٠٤) دون ذكر المرأة الناصحة. وعزاه ابن حجر في «فتح الباري» (٧/ ٣٣١) إلى ابن مردويه، وصحح إسناده.

عليهم(١) تبعُوه، فلم يلحقُوه إلّا بالمدينةِ، فأخبرَهم بذلك، ودعا محمَّدَ بنَ مسلمةَ فقال: «اذهبْ إلى يهودِ بني النَّضيرِ، وقل لهم: اخرجُوا من بلدي»، فأبَوا واستعدُّوا له، فحاصرَهم خمسةَ عشرَ يوماً في روايةٍ، وأرسلَ إليهم المنافقون: إنَّا معكم إن قُوتِلتم. وقاتلَهم النَّبيُّ عليه السَّلام في دورِهم وحصونِهم، وأمرَ بالأدنى فالأدنى من دورِهم وحصونِهم أن تهدَّمَ، وبالنَّخيلِ أن تُقطَّعَ وتُحرَّقَ، وألقى اللهُ في قلوبِهم الرُّعب، وكانوا يُخربون بأيديهم ممَّا يليهم، والمسلمون يُخربونها ممَّا يليهم، حتَّى وقع الصُّلحُ، فأجلاهم رسولُ اللهِ ﷺ، وحملوا من أموالِهم ما أقلَّت الإبل، فمنهم مَن خرجَ إلى خيبرَ، ومنهم من خرجَ إلى الشَّام، فحملوا النِّساءَ والصِّبيانَ، وشقُّوا سوقَ المدينةِ قطاراً قطاراً في ستِّ مئةِ بعيرٍ مُزيَّنين، يضربونَ بالدُّفوفِ والمزاميرِ، يُظهرون التَّجلُّدَ، وقبضَ رسولُ اللهِ ﷺ أسلحتَهم وأموالَهم(٢).

والصَّحيحُ: أن هذا جرى بعد مرجعِ النَّبيِّ عليه السَّلام من أُحُدٍ.

وقيلَ: كانَ رئيسُهم كعبُ بنُ الأشرفِ خرجَ في ستِّينَ رجلاً إلى مكَّةَ، وبايعَ أبا سفيانَ على قتالِ النَّبيِّ عليه السَّلام، فأطلعَ الله نبيَّه عليه السَّلام على ذلك، فأرسلَ محمَّدَ بنَ مسلمةَ إليه ـ وكانَ أخاه من الرِّضاعِ ـ ليغتالَه، فذهبَ محمَّدٌ وأوهمَه أنَّه جاءه مُستجيراً به، وأنَّ الرَّسولَ حملَ عليه في أخذِ الصَّدقةِ، فنزلَ كعبٌ إليه من حصنِه، فأخذَ محمَّدُ بنُ مسلمةَ بناصيتِه وكبَّرَ، فخرجَ أصحابُه الَّذي مضَوا معه إلى كعبٍ، فقتلوا كعباً، وغدا رسول اللهِ عليه السَّلام على بني النَّضيرِ، فأناخَ عليهم إحدى وعشرين ليلةً في رواية، وصالَحهم على أن يحملَ كلُّ ثلاثةِ أبياتٍ ما أمكنَهم على

---

(١) أي: أبطأ، الريث: الإبطاء. انظر: «العين» (٨/ ٢٣٥).

(٢) انظر: «مغازي الواقدي» (١/ ٣٦٤ ـ ٣٧٦)، و«سيرة ابن هشام» (٢/ ١٩٠ ـ ١٩٣)، و«طبقات ابن سعد» (٢/ ٥٣ ـ ٥٤)، و«السيرة النبوية» لابن حبان (١/ ٢٣٤).

بعيرٍ واحدٍ سوى السِّلاح، وما بقيَ من متاعِهم فلرسولِ اللهِ، فخرجُوا إلى الشَّام، ولحقَ ابنُ أخطبَ وآلُ أبي الحقيقِ بخيبرَ[١].

﴿لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ﴾ قيل: كانَ جلاؤُهم ذلك أوَّلَ حشرٍ في الدُّنيا إلى الشَّام.

قالَ عكرمةُ: مَن شكَّ أنَّ المحشرَ بالشَّامِ فليقرأْ هذه الآيةَ، وأنَّ النَّبيَّ عليه السَّلام قالَ لهم: «اخرجُوا» فقالوا: إلى أين؟ قالَ: «إلى أرضِ المحشرِ»[٢]، فجلَوا إلى الشَّامِ، فأوَّلُ حشرٍ إلى الشَّامِ هذا، ثمَّ يُحشرُ الخلقُ يومَ القيامةِ إلى الشَّامِ.

وقيلَ: أي: أنَّهم أوَّل مَن أُجلِيَ من أهلِ الذِّمَّةِ من جزيرةِ العربِ، ثمَّ أجلَى آخرَهم عمرُ.

وقيلَ: كانَ ذلك أوَّلَ الحشرِ، وأمَّا الحشرُ الثَّاني فنارٌ تَحشرُ النَّاسَ من المشرقِ إلى المغربِ، تَبيتُ معهم حيثُ باتوا، وتَقيلُ معهم حيثُ قالوا. رواه عبدُ اللهِ بنُ عمرِو بنِ العاص[٣].

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٦/ ١٧٩)، وأبو حفص النسفي في «التيسير» (٥/ ٦٠)، وقصة قتل محمد بن مسلمة لكعب بن الأشرف رواها البخاري (٢٥١٠) و(٤٠٣٧)، ومسلم (١٨٠١)، من حديث جابر رضي الله عنهما.

(٢) ذكره عن عكرمة ابن قتيبة في «غريب القرآن» (ص: ٤٥٩)، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٤٥)، وابن عدي في «الكامل» (٤/ ٤٣٤)، والبيهقي في «البعث والنشور» (ص: ٢١٩)، ثلاثتهم من طريق أبي سعد البقال عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما. وأبو سعد البقال الكوفي الأعور: هو سعيد بن المرزبان العبسي مولاهم، قال عنه في «التقريب»: ضعيف مدلس. وانظر كلام العلماء فيه في «ميزان الاعتدال» للذهبي (٢/ ١٥٨).

(٣) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٦٨٧١) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، ولفظه: «إنها ستكون هجرة بعد هجرة، ينحاز الناس إلى مهاجر إبراهيم، لا يبقى في الأرض إلا شرار أهلها، تلفظهم أرضوهم، تقذرهم نفس الله، تحشرهم النار مع القردة والخنازير، تبيت معهم =

وذُكر أنَّ تلك النّارَ تُرى باللَّيلِ ولا تُرى بالنَّهارِ[1].

﴿مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُواْ﴾؛ أي: ظننتُم لعزَّتِهم وتمنُّعِهم أنَّهم لا يَخرجون، وظنَّ بنو النَّضيرِ أنَّ حصونَهم تمنعُهم من اللهِ، وكانوا أهلَ حَلْقةٍ؛ أي: سلاحٍ كثير، وكانَت لهم قصورٌ منيعةٌ، فلم يَنْفَعْهم شيءٌ منها.

﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ﴾؛ أي: أتاهم أمرُ اللهِ وعذابُه، وذلك أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ حاصرَهم، وألقَى اللهُ الرُّعبَ في قلوبِهم؛ قيل: بقتلِ سيِّدِهم كعبِ بنِ الأشرف.

وقيلَ: كانُوا طمعوا في نصرِ المنافقينَ لهم، وقالوا: نحملُ الحجارةَ إلى حصونِنا، ونُدْرِبُ أَزِقَّتَنا[2]، وعندنا من الطَّعامِ ما يكفينا سنةً، وماؤُنا في حصونِنا، أفتُرى محمَّداً يحصرُنا سنةً؟ لا يكون هذا[3].

﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ﴾؛ أي: يَنْقضون أبنيتَهم لحملِ الخشبِ معهم، أو لئلَّا يسكنَها المسلمون، وكانَ المؤمنون يُخربون ما أمكنَهم ليتَّسعَ لهم موضعُ القتال.

وقيلَ: كانُوا يُخربون بيوتَهم ليَرمُوا المسلمينَ بنِقْضِها، وليَبْنوا الدُّروب.

= إذا باتوا، وتقيل معهم إذا قالوا، وتأكل من تخلف»، وروى نحوه مسلم (٢٨٦١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: «يحشر الناس على ثلاث طرائق: راغبين راهبين، واثنان على بعير، وثلاثة على بعير، وأربعة على بعير، وعشرة على بعير، وتحشر بقيتهم النار، تبيت معهم حيث باتوا، وتقيل معهم حيث قالوا، وتصبح معهم حيث أصبحوا، وتمسي معهم حيث أمسوا».

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢١/ ٣٦٥).

(٢) أي: نحصن أزقتنا، وذلك بسد أفواهها بما ينتج عن نقض أبنيتهم من الخشب وغيره.

(٣) انظر: «مغازي الواقدي» (١/ ٣٦٤ ـ ٣٧٦)، و«السيرة النبوية» لابن هشام (٢/ ١٩٠ ـ ١٩٣).

قُرِئَ: ﴿يُخرِّبُون﴾ من التَّخريب، و: ﴿يُخْرِبُونَ﴾ من الإخراب[1]، وهما بمعنًى واحدٍ.

وقيلَ: التَّخريبُ: الهدمُ، والإخرابُ أن تُحوِّلَ الشَّيءَ خراباً، فتخرجَ منه، ومعنى تخريبِهم بيوتَهم بأيدي المؤمنين: أنَّهم عرَّضُوها لذلك.

﴿فَاعْتَبِرُوا يَاأُولِي الْأَبْصَارِ﴾؛ أي: يا أهلَ اللُّبِّ والعقلِ.

وقيلَ: يا مَن عاينَ ذلك ببصرِه، فهو جمعُ البصر.

***

(٣ ـ ٤) ـ ﴿وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ۝٣ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

قولُه تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ﴾؛ أي: لولا قضى أنَّه سيُجليهم من دارِهم، وأنَّهم يبقَونَ مُدَّةً فيؤمِنُ بعضُهم ويُولَدُ لهم مَن يؤمنُ ﴿لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا﴾ بالقتلِ.

والجلاءُ: مفارقةُ الوطنِ، يُقال: جلا بنفسِه جلاءً، وأجلاه غيرُه إجلاءً.

قولُه تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ﴾؛ أي: ذلك العذابُ بسببِ كفرِهم.

***

(٥) ـ ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ﴾ بيَّنَ أنَّ ما قطعوه وما أبقَوْه كانَ بإذنِ اللهِ،

(١) قرأ أبو عَمرو بالتَّشديد، والباقون بالتَّخفيف. انظر: «السبعة» (ص: ٦٣٢)، و«التيسير» (ص: ٢٠٩).

واللِّينةُ: النَّخلةُ ما لـم تكن عجوةً وبَرنيَّةً[١]، والجمعُ: ليانٌ وألوانٌ، وأصلُها: لِوْنةٌ، فقُلِبَت الواوُ ياءً لكسرِ اللام.

وقالَ ابنُ عبَّاس: اللِّينةُ: النَّخلُ[٢]، ولم يستثنِ العجوةَ والبَرنيَّ.

وقيلَ: هي ضربٌ من النَّخلِ ثمرُه أجودُ النَّخلِ، يُرى نواه من ظاهرِه، النَّخلةُ منها أحبُّ إليهم من وَصيفٍ[٣].

ولـمَّا أمرَ عليه السَّلام بقطعِ نخيلِهم وإحراقِها شقَّ عليهم، وقالوا: أزعمتَ أنَّك تريدُ الصَّلاح؟ أمِن الصَّلاحِ عقرُ الشَّجرِ المثمرِ وقطعُ النَّخيلِ؟ واختلفَ المسلمون لذلك، فقالَ قومٌ: نقطعُ غيظاً لهم. وقالَ قومٌ: هو فسادٌ في الأرضِ. فأنزلَ اللهُ هذه الآيةَ، وأخبرَ أنَّ قطعَها وتركَها بإذنِ اللهِ[٤].

﴿وَلِيُخْزِيَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾؛ أي: اليهود.

﴿فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: أذنَ لكم في الأمرين، فهو إذنُ إباحةٍ.

وقيلَ: اللِّينةُ: جمعُ اللَّونِ مثل الصِّبْيةِ والغِلْمةِ، وهي الألوانُ من النَّخيلِ.

وقيلَ: اللِّينةُ: اسمُ الواحدِ، مثل الفِديةِ بمعنى: القَودِ.

---

(١) البرني: ضرب من التمر أحمر مشرب صفرة، كثير اللحاء، عذب الحلاوة، ضخم. انظر: «العين» (٨/ ٢٧٠).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٣١٥٨)، ورواه الترمذي (٣٣٠٣) ضمن حديث، وقال: حسن غريب.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل بن سليمان» (٤/ ٢٧٧)، وذكره الواحدي في «البسيط» (٢١/ ٣٧١) عن المقاتلَين. والوصيف: الخادم.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل بن سليمان» (٤/ ٢٧٧)، و«النكت والعيون» (٥/ ٥٠١)، ورواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٣/ ٣٥٨) عن مقاتل بن حيان. وقصة قطع نخل بني النضير وإحراقه رواها البخاري (٤٨٨٤)، ومسلم (١٧٤٦) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٦) ـ ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡهُمۡ فَمَآ أَوۡجَفۡتُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ خَيۡلٖ وَلَا رِكَابٖ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾.

قولُه تعالى: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡهُمۡ﴾ أكَّدَ قولَه: ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْ﴾ بأن قالَ: وما ردَّ اللهُ عليكم من أموالٍ من اليهودِ فلم يكن بإيجافِ خيلٍ منكم عليهم، وقطعِ مسافةٍ بعيدة، بل كانَ بتسليطِ الله ورسولِه عليهم، وإلقاءِ الرُّعبِ في قلوبِهم.

يُقال: فاءَ يفيءُ؛ أي: رجعَ، وأفاءَه فلان؛ أي: ردَّه، فالفيءُ: ما ردَّ الله على المسلمين من أموالِ الكفَّارِ بلا قتالٍ، إمَّا بأن ينجلُوا من أموالهم ويُخلُّوها للمسلمين، أو يُصالحوا على جزيةٍ يؤدُّونها، أو ما يَفتدون به.

﴿مِنۡهُمۡ﴾؛ أي: من يهودِ بني النَّضيرِ.

﴿فَمَآ أَوۡجَفۡتُمۡ﴾؛ أي: لم يكن منكم في ذلك إيجافُ خيلٍ وركابٍ، يُقالُ: وَجَفَ الفرسُ والبعيرُ يجفُ وَجفاً ووَجِيفاً ووَجَفاناً؛ أي: أسرعَ السَّيرَ، وأَوْجَفَه صاحبُه؛ أي: حملَه على السَّيرِ السَّريعِ.

﴿عَلَيۡهِ﴾: على ما أفاءَ الله.

﴿وَلَا رِكَابٖ﴾ الرِّكابُ: الإبلُ، واحدُها: راحلةٌ.

قيلَ: لمَّا تركَ بنو النَّضيرِ ديارَهم وأموالَهم طلبَ المسلمون أن يكونَ لهم فيها حظٌّ كالغنائمِ، فبيَّنَ الله أنَّها فيءٌ، ولم يُوْجِفوا عليها خيلاً ولا ركاباً، ولم يَقْطَعوا إليها مسافةً، بل كانُوا على مِيلين من المدينة، فمشَوا إليهم مشياً، ولم يركبْ إلا رسولُ اللهِ ﷺ، قيل: كانَ راكبَ جملٍ.

وقيلَ: كانَ راكبَ حمارٍ مخطومٍ بليفٍ(١).

وكانَ قد جرى ثَـمَّ بعضُ القتالِ؛ لأنَّهم حُوصِروا أياماً، وقاتلوا وقُوتلوا، ثمَّ صالحوا على الجلاءِ، ولكنْ لـم يكنْ قتالٌ على التَّحقيق، بل جرى مبادئُ القتالِ، وجرى الحصارُ، وخصَّ الله تلك الأموالَ برسولِه صلى الله عليه.

قال الواقديُّ: كانَت أموالُ بني النَّضيرِ للنَّبيِّ عليه السَّلام خاصَّةً لـم يُخمِّسها، فقسَّمها رسولُ اللهِ ﷺ بين المهاجرينَ، ولـم يُعْطِ الأنصارَ منها شيئاً إلا ثلاثةَ نفرٍ كانَت بهم حاجةٌ، وهم: أبو دُجانةَ، وسهلُ بن حنيف، والحارثُ بن الصِّمّة.

وقيلَ: إنَّما أعطى رجلين: سهلاً وأبا دجانة(٢).

---

(١) رواه الترمذي (١٠١٧)، وابن ماجه (٤١٧٨)، وأبو الشيخ في «أخلاق النبي» (١٢٠)، ووالد المصنف في «الرسالة» (ص: ١٨١)، من طريق مسلم الأعور عن أنس قال: «كان رسول الله ﷺ يعود المريض ويتبع الجنازة ويجيب دعوة المملوك ويركب الحمار، وكان يوم خيبر ويوم قريظة والنضير على حمار مخطوم بحبل من ليف تحته إكاف من ليف». لفظ أبي الشيخ والقشيري، وهو الموافق لما ذكره المصنف، وعند ابن ماجه: «وكان يوم قُريظةَ والنَّضير على حمار ويومَ خيبرَ على حمارٍ مخطومٍ برَسَنٍ من لِيفٍ..».
وعند الترمذي: «... وكان يوم بني قريظةَ على حِمَارٍ مخطومٍ بحبلٍ من لِيفٍ...».
وعلى كل فقد قال الترمذي: هذا حديث لا نعرفه إلا من حديثِ مسلمٍ عن أنسٍ، ومُسْلِمٌ الأعوَرُ يُضَعَّفُ، وهو مُسْلِمُ بنُ كَيْسَانَ المُلائِيُّ تُكُلِّمَ فيه.

(٢) انظر: «مغازي الواقدي» (١/ ٣٧٩). وروى أبو داود (٣٠٠٤) عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن رجل من أصحاب النبي ﷺ في حديث طويل قال في آخره: «فأعطى النبي ﷺ أكثرها للمهاجرين، وقسمها بينهم وقسم منها لرجلين من الأنصار، وكانا ذوي حاجة لم يقسم لأحد من الأنصار غيرهما، وبقي منها صدقة رسول الله ﷺ التي في أيدي بني فاطمة رضي الله عنها».

ونفَّلَ سعدَ بنَ معاذٍ سيفَ ابنِ أبي الحُقيقِ، وكانَ سيفاً له ذِكرٌ عندهم[١].

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾ هذا بيانٌ أنَّ تلك الأموالَ كانَت لرسولِ اللهِ عليه السَّلام دونَ أصحابِه.

* * *

(٧) - ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾.

قولُه تعالى: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ﴾ بيَّنَ أنَّ اللهَ قد جعلَ في ذلك المالِ الَّذي خصَّه بالرَّسولِ سُهْماناً لغيرِ الرَّسولِ نظراً منه لعبادِه.

قالَ قومٌ: المذكورُ في الآيةِ الأولى وفي هذه واحدٌ؛ أي: ما حصَلَ من أموالِ الكفَّارِ بغيرِ قتالٍ قسِّمَ على خَمسةِ أسهمٍ؛ أربعةٌ منها لرسولِ اللهِ، وكانَ الخُمُسُ الباقي على خمسةِ أسهمٍ: سهمٌ لرسولِ اللهِ أيضاً، وسهمٌ لذوي القُربى، وهم بنو هاشمٍ وبنو المطَّلبِ؛ لأنَّهم مُنِعوا الصَّدقةَ فجُعلَ لهم حقٌّ في الفيءِ، وسهمٌ لليتامى، وسهمٌ للمساكين، وسهمٌ لابنِ السَّبيلِ.

وبعدَ وفاةِ النَّبيِّ عليه السَّلام فالذي كانَ من الفيءِ لرسولِ اللهِ يُصرَفُ عند الشَّافعيِّ إلى المجاهدينَ المُرْصَدين للقتالِ في الثُّغور؛ لأنَّهمُ القائمونَ مقامَ الرَّسول، وفي قولٍ: يُصرفُ إلى مصالحِ المسلمين من سدِّ الثُّغورِ وحفرِ الأنهارِ وبناءِ القناطرِ، يُقدَّمُ الأهمُّ فالأهمُّ، وهذا في أربعةِ أخماسِ الفيء، فأمَّا

---

(١) انظر: «مغازي الواقدي» (١/ ٣٧٩).

السَّـهمُ الَّـذي كانَ لـه مـن خُمُسِ الفـيءِ فهـو لمصالحِ المسـلمين(١).

وقيلَ: كانَت أموالُ بني النَّضير للرَّسولِ على التَّخصيصِ، فأمَّا ما أفاءَ اللهُ من أموالِ القُرى مثلَ قُريظةَ وخيبرَ وعُرينةَ ويَنبـعَ، فهذا كانَ مقسوماً وما كانَ أربعةُ أخماسِه للنَّبيِّ عليه السَّلام، بل كانَ أسوةَ غيرِه.

وقيلَ: كانَ مالُ الفيءِ له؛ لقولِ الله: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ فأضافَ إليه، غيرَ أنَّه كانَ لا يتأثَّلُ مالاً، إنَّما كانَ يأخذُ بقَدْرِ حاجةِ عيالِه، ويَصرفُ الباقي فـي مصالحِ المسلمينَ.

وقولُه: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾ عطفٌ على ما مضى، ولكن لـم يأتِ بواوِ العطفِ، كقولِك: هذا المالُ لزيدٍ لبكرٍ لفلانٍ لفلانٍ.

وقيلَ: الفيءُ المذكورُ في قولِه: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ﴾ هو الَّذي كانَ إلى رأيِ رسولِ اللهِ يضعُه حيثُ أرادَ من المصالحِ، فأمَّا الفيءُ المذكورُ في قولِه: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ﴾ فهو الغنيمةُ، وكلُّ مالٍ أُخِذَ بإيجافِ خيلٍ وركابٍ، ويُطلَقُ لفظُ الفيءِ على الغنيمةِ، كقولِه عليه السَّلام في غنائمِ حُنينٍ لـمَّا تعلَّقوا بردائِه وقالوا: اقسمْ بيننا فيئَنا: «ما لي ممَّا أفاءَ اللهُ عليكم شيءٌ إلا الخمسُ، والخمسُ مردودٌ فيكم»(٢).

﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ﴾؛ أي: ألَّا يأخـذَ الأغنيـاءُ جميـعَ الفيءِ أو جميـعَ الغنيمة؛ أي: أنَّ اللهَ بيَّـنَ مُنصـرفَ الفـيءِ والغنيمـةِ ليصـلَ الحـقُّ إلـى المسـتحِقِّ، ولا يَسـتبدَّ به الأغنياءُ.

---

(١) انظر: «الحاوي الكبير» للماوردي (٨/ ٤٤٣)، و«المهذب» (٣/ ٣٠٢).

(٢) رواه أبو داود (٢٦٨٤)، والنسائي (٣٦٨٨)، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص.

والدُّولةُ - بضمِّ الدَّالِ -: اسمُ الشَّيءِ يتداولُه القومُ بينهم، يكونُ لذا مرَّةً ولذا مرَّةً، والدَّولةُ - بالفتحِ -: انتقالُ حالٍ سارَّةٍ عن قومٍ إلى قومٍ؛ فالدُّولةُ في المالِ، والدَّولةُ في الغلبةِ والمالِ(١).

وقرأ أبو جعفرٍ: ﴿دولةٌ﴾ بالرَّفعِ(٢)، **والأحسنُ**: ﴿دُولَةَۢ﴾ بالنَّصبِ؛ أي: لكيلا يكونَ الفيءُ دُولةً، وعلى قراءةِ أبي جعفرٍ: ﴿تكونَ﴾ بالتَّاء(٣).

وفي قراءةٍ: ﴿يكونَ﴾ بالياءِ ﴿دولةٌ﴾ بالرَّفعِ(٤).

وقرئ: (تكونَ) بالتاء (دولةً) بالنَّصبِ(٥)، **فلا يتَّجهُ له وجهٌ صحيح**.

﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾؛ أي: ما أعطاكم من الفيءِ والغنيمةِ فخذوه، ولا تتحكَّموا عليه في الزِّيادةِ ﴿وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾؛ أي: من الغلولِ، وهذا عامٌّ في جميعِ أوامرِ النَّبيِّ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ ونواهيه، يُقال: آتاه الشَّيءَ؛ أي: أتاه به، وقولُه: ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾ [الكهف: ٦٢]؛ أي: ائتنا بغدائِنا.

﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾؛ أي: عذابَ الله، إنَّه شديدٌ لـمَن عصاه.

* * *

---

(١) وقد قرئ بهما، فالضم قراءة الجمهور، وبالفتح قرأ علي والسلمي وابن عامر في غير المشهور عنه. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٥٤).

(٢) وقرأ بها أيضاً هشام. انظر: «التيسير» (ص: ٢٠٩)، و«النشر» (٢/ ٣٨٦).

(٣) انظر: «النشر» (٢/ ٣٨٦)، وعن هشام فيها روايتان: التاء والياء. انظر: «التيسير» (ص: ٢٠٩).

(٤) وهي أحد الوجهين عن هشام. انظر التعليقين السابقين.

(٥) قرأ هشام وأبو جعفر: ﴿دولةٌ﴾ بالرفع، و﴿تكونَ﴾ بالتأنيث على خلاف عن هشام. انظر: «التيسير» (ص: ٢٠٩).

(٨) ـ ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾؛ أي: الفيءُ للذين تقدَّمَ ذكرُهم وللمهاجرين.

وقيلَ: لكيلا يكونَ دُولةً بينَ الأغنياء، ولكن يكونُ للفقراءِ.

وقيلَ: هو بيانٌ لقولِه: ﴿وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾، فلمَّا ذُكِروا بأصنافِهم قيلَ: هذا المالُ لهؤلاءِ؛ لأنَّهم فقراء ومهاجرون، وقد أُخرِجوا من ديارِهم، فهم أحقُّ النَّاسِ به.

وقيلَ: ولكنَّ اللهَ يسلِّطُ رسلَه على مَن يشاءُ للفقراءِ المهاجرين؛ لكيلا يكونَ المالُ دولةً بين الأغنياءِ من بني الدُّنيا.

وقيلَ: واللهُ شديدُ العقابِ للمهاجرينَ؛ أي: شديدُ العقابِ للكفَّارِ بسببِ الفقراءِ المهاجرين ومِن أجلِهم، ودخلَ في هؤلاء الفقراءِ مَن ذكرَهم في قولِه: ﴿وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ﴾.

﴿أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ﴾؛ أي: أخرجَهم كفَّارُ مكَّةَ؛ أي: أحوَجُوهم إلى الخروجِ.

﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾؛ أي: يطلبون بهجرتِهم فضلَ اللهِ وغفرانَ الذُّنوبِ وإدخالَ الجنَّةِ.

وقيلَ: ﴿فَضْلًا﴾؛ أي: غنيمةً في الدُّنيا ﴿وَرِضْوَٰنًا﴾ في الآخرةِ.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾؛ أي: صدَّقُوا أقوالَهم بأفعالِهم؛ إذ هجروا ديارَهم لجهادِ أعداءِ الله.

* * *

(٩) - ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ﴾ كما أثنى على المهاجرين بأنَّهم صادقون أثنى على الأنصارِ حين طابَت الأنصارُ عن الفيء.

وقالَ قومٌ: أشركَهم في الفيء؛ أي: هذا المالُ للمهاجرين والذين تبوَّؤا الدَّارَ.

وقيلَ: هو ابتداءُ كلامٍ في مدحِ الأنصارِ؛ فإنَّهم سلَّموا ذلك الفيءَ للمهاجرين، وكأنَّه قال: الفيءُ للفقراءِ المهاجرين، والأنصارُ مُحِبُّونَ لهم، لم يحسدوهم على ما صفَا لهم من الفيءِ.

﴿ٱلدَّارَ﴾ المدينةَ، نزلها الأنصارُ قبلَ المهاجرين.

﴿وَٱلْإِيمَٰنَ﴾ فيه إضمارٌ؛ أي: وأبرُّوا الإيمانَ، فهو من بابِ:

عَلفتُها تِبناً وماءً بارداً[1]

و: أكلتُ الخبزَ واللَّبن.

وقيلَ: أي: تبوَّؤا الإيمانَ بالمدينةِ من قبلِ هجرةِ الرَّسولِ؛ إذ رُويَ أنَّه كلُّ دارٍ بالمدينةِ إلَّا وكانَ الإسلامُ قد دخلَها قبلَ قدومِ النَّبيِّ عليه السَّلام حتَّى كانُوا قد جمَّعُوا يومَ الجمعةِ.

---

(١) تقدم تخريجه.

وقيلَ: أي: تبوَّؤا الدَّارَ واعتقدُوا الإيمانَ؛ لأنَّ الإيمانَ ليس بمكانٍ فيُتبوَّأ، كقولِه: ﴿فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ﴾ [يونس: ٧١]؛ أي: وادعوا شركاءكم، ذكرَه أبو عليٍّ.

قال: ويجوزُ أن يكونَ المعنى: تبوَّؤا الدَّارَ وموضعَ الإيمان، ويجوزُ أن يكونَ (تبوَّؤا الإيمانَ) على طريقِ المثلِ، كما تقول: تبوَّأ من بني فلانٍ الصَّميمَ، والتَّبوُّؤُ: التَّمكُّنُ والاستقرار، وليس يريدُ أنَّ الأنصارَ آمنوا قبلَ المهاجرين، بل أرادَ آمنوا قبلَ هجرةِ النَّبيِّ عليه السَّلام إليهم.

﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾؛ أي: من المسلمينَ، حتَّى بلغَ من محبَّتِهم للمهاجرينَ أن نزلوا لهم عن نسائِهم وشاطرُوهم أموالَهم ومساكنَهم.

﴿وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً﴾؛ أي: حسداً وغيظاً ﴿مِّمَّآ أُوتُواْ﴾ المهاجرين دونهم، وكلُّ ما يجدُ الإنسانُ في صدرِه ممَّا يحتاج إلى إزالتِه فهو حاجةٌ، وكانَ المهاجرون في دورِ الأنصارِ، فلمَّا غنمَ عليه السَّلام أموالَ بني النَّضيرِ دعا الأنصارَ وشكرَهم فيما صنعوا مع المهاجرين في إنزالِهم إيَّاهم في منازلِهم وإشراكِهم في الأموالِ، ثمَّ قال: «إذا أحببتُم قسمتُ ما أفاءَ اللهُ عليَّ من بني النَّضيرِ بينكم وبينَهم، وكانَ المهاجرون على ما هم عليه من السُّكنى في مساكنِكم وأموالكم، وإن أحببتُم أعطيتُهم وخرجُوا من دورِكم»، فقالَ سعدُ بنُ عبادةَ وسعدُ بنُ معاذٍ: بل تقسمُه بين المهاجرين، ويكونون في دورِنا كما كانُوا. ونادَت الأنصارُ: رضِيْنا وسلَّمْنا يا رسولَ الله، فقالَ عليه السَّلام: «اللَّهمَّ ارحمِ الأنصارَ وأبناءَ الأنصارِ». وأعطى رسولُ اللهِ المهاجرين، ولم يعطِ الأنصارَ شيئاً إلّا الثَّلاثةَ الذين ذكرناهم[1].

---

(١) رواه الواقدي في «المغازي» (١/ ٣٢٠) من حديث أم العلاء رضي الله عنها.

﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ يقال: آثَرْتُه بكذا؛ أي: خصَصْتُه به وفضَّلته، ومفعولُ الإيثارِ محذوفٌ؛ أي: يُؤْثِرونهم على أنفسِهم بأموالِهم ومنازِلِهم لا عن غنًى، بل مع احتياجِهم إليها، والخصاصةُ: الفقرُ، والخَصَاصُ: الفُرَجُ، الواحدةُ: خَصاصةٌ.

وقيلَ: إنَّ الأنصارَ قالوا: اقسمِ الأراضيَ الَّتي بأيدينا بيننا وبينَ إخوانِنا المهاجرين نصفين، فقالَ: «لا، ولكنَّكم تَكْفُونهم المؤونَةَ، وتُقاسمونهم الثَّمرةَ، والأرضُ أرضُكم»، فقالوا: رضينا، فأنزلَ اللهُ هذه الآية(١).

وقالَ أبو هُريرةَ: دفعَ رسولُ اللهِ عليه السَّلام رجلاً من أهلِ الصُّفة إلى رجلٍ من الأنصارِ ليَطعمَ عنده، فقالَ الأنصاريُّ لامرأتِه: هل مِن شيءٍ؟ قالَت: لا، إلّا قوتُ الصِّبيةِ. قال: فنوِّميهم، فإذا ناموا فائتيني بالمصباحِ، فإذا وضعتِ فأطفئي السِّراجَ، ففعلَت، وجعلَ الأنصاريُّ يقدِّمُ إلى ضيفِه ما بينَ يديه، ثمَّ غدا به إلى رسولِ اللهِ ﷺ، فقالَ: «لقد عَجِبَ من فِعالِكما أهلُ السَّماءِ»، ونزلَت هذه الآية(٢).

وقالَ ابنُ عمر: أُهديَ لرجلٍ من أصحابِ رسولِ اللهِ عليه السَّلام رأسُ شاةٍ فقالَ: إنَّ أخي فلاناً وعيالَه أحوجُ إلى هذا منِّي. فبعثَه إليهم، فلم يزلْ يبعثُ به واحدٌ إلى واحدٍ، حتَّى تداولَها سبعةُ أهلِ أبياتٍ، حتَّى رجعَت إلى أولئك، فنزلَ ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾(٣).

---

(١) رواه عبد بن حميد وابن المنذر كما في «الدر المنثور» (٨/ ١٠٦) عن يزيد بن الأصم، وهو مرسل. قال ابن حجر في «التقريب» عن يزيد بن الأصم: يقال: له رؤية، ولا يثبت، وهو ابن أخت ميمونة أم المؤمنين.

(٢) رواه البخاري (٣٧٩٨)، ومسلم (٢٠٥٤)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤١٩) واللفظ له.

(٣) رواه الحاكم في «المستدرك» (٣٧٩٩)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤١٩) واللفظ له. وصححه الحاكم، فتعقبه الذهبي بقوله: عبيد الله بن الوليد ضعفوه.

وقيلَ: ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً﴾؛ أي: إذا آثروا على أنفسِهم وأعطَوا ما أعطَوا لـم تَتْبعْه أنفسُهم على طريقِ الشُّحِّ، فالحاجةُ على هذا: الفقرُ.

﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ﴾ الشُّحُّ: البخلُ والشِّدَّةُ، يُقال: هما يتشاحَّانِ علـى أمرِ كذا، والمرادُ بالشُّحِّ هاهنا: منعُ الفرضِ وأكلُ الحرام؛ يعني: أنَّ الأنصارَ وُقُوا شُحَّ أنفسِهم.

***

(١٠) ـ ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾.

قولُه تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ﴾؛ أي: من بعدِ هؤلاء الذين ذُكِروا من المهاجرين والأنصار؛ أي: أنَّ التَّابعينَ الذين يَحيَون إلى القيامةِ لهم استحقاقٌ في الفيءِ؛ أي: الفيءُ [للمذكورين][1] من المهاجرين والأنصارِ ولكلِّ مؤمنٍ بعدهم.

ثمَّ وصـفَ هؤلاء التَّابعيـنَ بأنَّهـم: ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، فمَـن كانَ فـي قلبِـه غـلٌّ [علـى أحـدٍ][2] مـن أصحـابِ محمَّدٍ، أو شـتمَ واحـداً منهم، فليـسَ من الأصنـافِ الثَّلاثةِ مـن المؤمنين.

وقيلَ: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو﴾ ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ كـلامٌ مبتدأٌ، فالأنصارُ يُحبُّون مَن هاجرَ إليهم، والتَّابعون يَدْعونَ للمُتقدِّمين بالمغفرةِ.

قولُـه تعالـى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ﴾؛ أي: أتَـوا المدينـةَ بعـدَ الأنصـارِ

---

(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢) زيادة يقتضيها السياق. وانظر: «البسيط» (٢١/ ٣٨٣).

يقولـونَ كـذا(١)؛ أي: آمنُـوا فـي ديارِهـم قبـلَ أن يُهاجرَ أهلُ مكّـةَ إليهـم، فهذا معنى التَّبـوُّؤ؛ أي: والذيـن تبـوَّؤا الـدارَ يحبُّـون المهاجريـن، والمهاجـرون يحبُّونهـم، ويدعـون لهـم بالمغفـرةِ، ويطلبـون أن لا يجعـلَ الله في قلوبِهم غشّـاً للأنصـارِ، كما لـم يجعـلْ لهم فـي قلـوبِ الأنصار.

وقالَ الحسن: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾: مَن قصد إلى النَّبيِّ ﷺ بعدَ انقطاعِ الهجرةِ(٢)، وعلى هذا: ﴿سَبَقُونَا﴾: [سبقوا](٣) إسلامَنا بإسلامِهم.

***

(١١) ـ ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخۡوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَئِنۡ أُخۡرِجۡتُمۡ لَنَخۡرُجَنَّ مَعَكُمۡ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمۡ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلۡتُمۡ لَنَنصُرَنَّكُمۡ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ﴾ اعجَبْ من اغترارِ اليهودِ بما وعدَهم المنافقون من النَّصرِ مع علمِهم أنَّهم لا يعتقدون دِيناً ولا كتاباً، ومِن جُرأةِ المنافقين،

---

(١) هذا وجه آخر في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾ غير الأول، حيث في الأول المقصود هو التابعون ومن بعدَهم، أما هنا فالمقصود المهاجرون، كما في «البسيط» (٢١/ ٣٨٤)، حيث قال: وقال الكلبي: نزلت في المهاجرين قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾؛ أي: أتوا المدينة بعد الأنصار، فإنهم نزلوها بعدهم ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا﴾ الذين تبوؤوا الدار والإيمان من قبل وألف بين قلوبنا ولا تجعل فيها غمرًا للذين آمنوا، أي: حسدًا للأنصار.

ولم يرتضه الواحدي، وانظر كلامه في رده ثمة.

(٢) في (أ): «وقـالَ الحسين: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾ وقصدوا الدنيا والنَّبيَّ...» والتصويب من «تفسير القرطبي» (٢٠/ ٣٧٤).

(٣) زيادة يقتضيها السياق.

وذلك أنَّ عبدَ اللهِ بنَ أُبيٍّ وعبدَ اللهِ بنَ نَبتل ورفاعةَ بنَ زيد ـ وقيلَ: رافعة بن تابوت ـ وأوسَ بنَ قيظيٍّ[1] كانُوا من الأنصار، ولكنَّهم نافقوا، وتولَّوا اليهود، وقالوا ﴿لِإِخْوَٰنِهِمُ﴾؛ أي: اليهود، وسمَّاهم إخوةً للاجتماعِ على الكفرِ ﴿لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ﴾ من المدينةِ ﴿لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا﴾ في خُذلانِكم: إن أردتُم الخروجَ خرجْنا معكم، وإن أردتُم القتالَ قاتلنا المسلمين معكم ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾؛ أي: فيما يَعِدُونهم من النَّصرِ والصُّحبةِ.

***

(١٢) ـ ﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ﴾؛ أي: علمَ اللهُ منهم أنَّهم لا يخرجونَ إن خَرجوا ﴿وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ﴾؛ أي: علمَ منهم ذلك، ثمَّ قالَ: ﴿وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ﴾؛ أي: ينهزمون، وأخبرَ عن خلافِ المعلومِ بأنَّه لو كانَ كيف كانَ يكون، وهو كقولِه: ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٨].

ثمَّ؛ يحتمِلُ أن تكونَ هذه الآيةُ نزلَت قبلَ إخراجِ بني النَّضيرِ، ويحتملُ أن تكونَ نزلَت بعدَه، وقولُه: ﴿لَا يَخْرُجُونَ﴾ مستقبلٌ أُريدَ به الماضي.

***

(١٣) ـ ﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِى صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِى صُدُورِهِم﴾ هذا بشارةٌ للمؤمنين؛ أي: أنتم أَهْيَبُ في صدورِ هؤلاء الكفَّارِ من عذابِ اللهِ عندهم؛ لأنَّ اللهَ قذفَ في قلوبِهم

---

(١) ذكر أسماءهم مجاهد كما رواه عنه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٥٣٥).

الرُّعبَ، فقولُه: ﴿فِي صُدُورِهِم﴾ يحتملُ أن يرجعَ إلى اليهودِ، ويحتملُ أن يرجعَ إلى المنافقين، ويحتملُ أن يرجعَ إلى الفريقين.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾؛ أي: حلَّ بهم الإجلاءُ والانهزامُ لكفرِهم. وقيلَ: كونُهم أشدَّ رهبةً لهم من الله لقلَّةِ عِلمهم بالله.

***

(١٤) ـ ﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿لا يُقاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً إِلَّا في قُرًى مُحَصَّنةٍ أو مِنْ وَرَاءِ جِدَارٍ﴾؛ أي: هم وإن كانُوا مجتمِعين فلجُبنِهم ورهبتِهم منكم لا يقاتلونكم إلا وهم مُحصَّنون بالحيطانِ والدُّروبِ[١] يقدِّرون أنَّها تمنعُهم منكم.

﴿أو مِن وراءِ جِدارٍ﴾: من خلفِ حيطانٍ يستترون بها كالمجنِّ، وهذا تهوينٌ لأمرِهم؛ أي: ليسوا كالمشركين من أهلِ بدرٍ إذ برزوا إليكم، وإذ نصرَكم اللهُ عليهم، فأيُّ خطرٍ لهؤلاء؟

قُرِئَ: ﴿أو مِن وراءِ جِدارٍ﴾، وقُرِئَ: (جَـدْرٍ) بفتحِ الجيمِ وضمِّها مع سكونِ الدَّالِ، والمرادُ بالواحدِ الجمعُ، والجَدْرُ ـ بالفتحِ ـ: الجدارُ، والجُدْرُ ـ بسكونِ الدَّالِ وضمِّها ـ جمعُ الجدارِ[٢].

---

(١) لعل المراد الحصون كما قدمنا في شرحها قريباً.

(٢) قرأ ابن كثير وأبو عمرو: ﴿جِدَارٍ﴾ بألف على التوحيد، والباقون: ﴿جُدُرٍ﴾ على الجمع. انظر: «السبعة» (ص: ٦٣٢)، و«التيسير» (ص: ٢٠٩).

وقرأ أبو رجاء والحسن وابن وثاب: (جُدْرٍ). انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٥٥)، و«المحتسب» (٢/ ٣١٦)، و«البحر» (٢٠/ ٢٨١). =

﴿بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ﴾؛ أي: إذا لم يَلْقَوا [عدوّاً نسبوا أنفسَهم إلى الشِّدَّةِ والبأسِ، ولكن إذا لقوا][(١)] العدوَّ انهزموا.

وقالَ مجاهدٌ: ﴿بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ﴾؛ أي: بالكلامِ والوعيدِ[(٢)].

وقيلَ: أي: عداوةُ بعضِهم بعضاً فيما بينَهم شديدٌ، كما يُقال: ألقى اللهُ بأسَهم بينهم؛ أي: إذا كانُوا مُتعادينَ في الشَّرِّ اختلفَت كلمتُهم، وهذا تهوينٌ لأمرِهم.

﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾؛ أي: بعضُهم لبعضٍ عدوٌّ.

وقال [مجاهدٌ]: يعني عداوةَ ما بين اليهودِ والمنافقين[(٣)].

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾؛ أي: ذلك التَّشتُّتُ والكفرُ بأنَّه لا عقلَ لهم يعقلون به أمرَ الله.

* * *

(١٥) ـ ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُواْ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

قولُه تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾؛ أي: مثلُهم كمثلِ الذين من قبلِهم، وهم يهودُ بني قينقاع؛ فإنَّهم اغترُّوا بالمنافقين، فأجلاهم رسولُ اللهِ عليه السَّلام.

وقيل: أرادَ أهلَ بدر، وكانَت وقعةُ بدرٍ قبلَ غزوةِ بني النَّضيرِ بستَّةِ أشهر، فلذلك قالَ: ﴿قَرِيبًا﴾[(٤)].

= وقرأ ابن كثير في غير المشهور عنه: (جَدْرٍ). انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٥٥)، و«المحرر الوجيز» (٥/ ٣٨٩)، و«البحر» (٢٠/ ٢٨١).

(١) ما بين معكوفتين من «تفسير القرطبي» (٢٠/ ٣٧٨).

(٢) ذكره الماوردي في «تفسيره» (٥/ ٥٠٨)، والواحدي في «البسيط» (٢١/ ٣٨٨).

(٣) رواه عن مجاهد الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٥٣٨)، وعلى هذا زدنا ما بين معكوفتين.

(٤) انظر: «البسيط» (٢١/ ٣٨٩)، وزاد: والمعنى: تقدموا قريبًا، لأن قوله: ﴿مِن قَبْلِهِمْ﴾ يدل على =

وقالَ قومٌ: غزوةُ بني النَّضيرِ بعد وقعةِ أُحدٍ، كما قدَّمناه.

﴿ذَاقُواْ وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾؛ أي: جزاءَ ذنبهم، وهو القتلُ ببدرٍ أو إجلاءُ بني قينقاع ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾؛ أي: في الآخرةِ.

وقيلَ: أي: مثلُهم كمثلِ كفَّارِ الأممِ السَّالفةِ عُوقِبوا وأُهلِكوا.

***

(١٦) ـ ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾؛ أي: مثلُ المنافقين الذين غرُّوا اليهودَ ثمَّ لم يَفُوا لهم كمثلَ الشَّيطانِ، وحذفَ حرفَ العطف، ولم يقلْ: وكمثلِ الشَّيطان؛ لأنَّ حذفَ حرفِ العطفِ كثير، كما تقولُ: أنت عاقلٌ أنت كريمٌ أنت عالمٌ.

﴿إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ﴾ قيلَ: أرادَ بالإنسانِ الجنسَ؛ أي: مثلُ المنافقين فيما وَعدوا اليهودَ من النَّصرِ كمثلِ الشَّيطانِ يُزيِّنُ للكافرين الكفرَ، ثمَّ في الآخرةِ يتبرَّأُ من الكافر.

وقيلَ: هو إشارةٌ إلى مشركي قريشٍ في اغترارِهم بالشَّيطان إذ قال: ﴿لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ [الأنفال: ٤٨].

وقيلَ: هذا الإنسانُ راهبٌ من بني إسرائيلَ، احتالَ عليه الشَّيطانُ بعد أن أعياه بصبرِه، فأخذَ صومعةً تحت صومعتِه، وخَبَطَ بنتَ ملكِهم، وكانَ الرَّاهبُ يُداوي من الجنونِ، فسُلِّمَت الجاريةُ إليه ليداويَها.

= التقدم، وعلى هذا تم الكلام ثم قال ﴿ذَاقُواْ وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾.

وقيلَ: أتى الشَّيطانُ أهلَها، وقالَ: شفاؤُها على يدي الرَّاهبِ، فتركوها عنده في صومعتِه، وأعجبَته فوقعَ عليها فحملَت، ووسوسَ إليه الشَّيطانُ بأنَّه افتُضحَ، والوجه أن يقتلَها ويقولَ لأهلها: قد ماتَت. ففعلَ ذلك، ثمَّ أتى أهلَها وأخبرَهم أنَّ الرَّاهبَ قتلَها ودفنَها في موضعِ كذا، ففتَّشُوا فوجدُوها مقتولةً، فصلبُوا الرَّاهب، فجاءَه الشَّيطانُ فقال: أنا الَّذي فعلتُ بك هذا كلَّه، فاسجدْ لي حتَّى أخلِّصَك ممَّا ينزلُ بك. فسجدَ له، فتبرَّأ الشَّيطانُ منه، وأسلَمَه، فماتَ مصلوباً كافراً. رواه عليٌّ وابنُ عبَّاسٍ وابنُ مسعود(١).

* * *

(١٧) ـ ﴿فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيۡنِ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾.

﴿فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ﴾؛ أي: عاقبةَ الشَّيطانِ وذلك الإنسانِ ﴿أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ﴾؛ أي: عاقبةُ المنافقين واليهودِ مثلُ عاقبةِ الشَّيطانِ وذلك الإنسانِ حين صارَا إلى النَّار ﴿خَٰلِدَيۡنِ فِيهَا﴾ نصبٌ على الحالِ ﴿وَذَٰلِكَ﴾؛ أي: والخلودُ في النَّارِ ﴿جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

---

(١) روي هذا الخبر من طرق وفيها بعض الخلاف والزيادة والنقص، فرواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣١٩٤)، ومن طريقه ابن راهويه كما في «المطالب العالية» (٣٧٤٨)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٥٤١)، والحاكم في «المستدرك» (٣٨٠١) وصححه، عن علي رضي الله عنه.
رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٥٤٢) عن ابن مسعود رضي الله عنه.
ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٥٤٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٤٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما.
ورواه بنحو هذا ابن أبي الدنيا في «مكائد الشيطان» (٦١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥٠٦٦) عن عبيد بن رفاعة الزرقيِّ يَبْلُغُ به النبيَّ ﷺ.

(١٨) ـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾.

قولُه تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾؛ أي: من وساوسِ الشَّيطانِ، ﴿وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖ﴾؛ أي: تقدِّم عملاً صالحاً يُنجِّيها، أو عملاً سيِّئاً يُوبقُها ويُرْديها.

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ أعادَ هذا تأكيداً كقولك: اعجَلْ اعجَلْ، ارمِ ارمِ.

﴿مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖ﴾؛ أي: للآخرةِ، والعربُ تَكْني عن المستقبلِ بالغدِ.

وقيلَ: ذكرَ الغدَ تنبيهاً على أنَّ الساعةَ قريبةٌ، كما يُقالُ:

وإنَّ غـداً لناظـرِه قريـبُ[1]

***

(١٩) ـ ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾.

قولُه تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ ﴾؛ أي: كاليهودِ والكفرةِ الذين تركُوا طاعةَ الله، ﴿فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡ﴾؛ أي: حظوظَ أنفسِهم حينَ لم يؤمنوا. وقيلَ: أي: أنزلَ بهم من العقابِ ما نسوا معه أنفسَهم؛ أي: نسيَ بعضُهم بعضاً لاشتغالِه بنفسِه، كقولِه: ﴿فَإِذَا دَخَلۡتُم بُيُوتٗا فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ﴾ [النور: ٦١]؛ أي: ليسلِّمْ بعضُكم على بعضٍ.

---

(١) عجز بيت ينسب لقراد بن أجدع الكلبي في قصة طويلة مع النعمان بن المنذر ملك الحيرة في الوفاء، وصدره:

فإن يك صدر هذا اليوم ولى

انظر: «مجمع الأمثال» (١/ ٧٠)، و«الدر الفريد» (٧/ ٤٢٤).

وقيلَ: أحلَّ بهم منَ العذابِ ما هلكُوا وهلكَت نفوسُهم، فكانوا كمَن نسيَها.

وقيلَ: هو كـمَن يقولُ: أنا بحيثُ لا أذكرُ نفسي لشغلٍ كذا وكذا.

* * *

(٢٠ ـ ٢١) ـ ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

قـولُه تعالى: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ﴾ حـثٌّ على تأمُّلِ مواعظِ القرآنِ، وبيَّنَ أنَّه [لا][1] عذرَ في تركِ التَّدبُّر، فإنَّه لو خُوطبَ بهذا القرآنِ الجبالُ وهي ممَّن تُخاطَبُ، لانقادَت لـمواعظِه.

ثمَّ؛ قيل: هذا مَثَلٌ، ولهذا قالَ: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾، وهو كقولِه: ﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ﴾ [مريم: ٩٠]، وقـولِه: ﴿وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ﴾ [إبراهيم: ٤٦].

وقيلَ: أي: لو أنزلنا هذا القرآنَ على جبلٍ وجعلْنا للجبلِ فهماً وعقلاً وتمييزاً لتدكَّكَ لأمرِنا.

﴿مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾؛ أي: من خوفِ وعيدِه.

﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾؛ أي: تقريباً للمواعظِ من قلوبِهم.

* * *

---

(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢٢) - ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

قولُه تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ علَّمَ العبادَ بعضَ ما يُمجِّدونه به، ويَفرِقُون له ويَعرفون أنَّه يجبُ تَدبُّرُ آياته[١]؛ أي: الَّذي أنزلَ القرآنَ هو اللهُ ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾؛ أي: عالمُ ما غابَ عن العبادِ وما شاهدَ لخلقِه.

وقيلَ: ﴿ٱلْغَيْبِ﴾: ما لم يكن بعدُ ﴿وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾: ما قد كانَ.

* * *

(٢٣) - ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

﴿ٱلْمَلِكُ﴾؛ أي: كلُّ ملكٍ عنده، وهو المالكُ لإبداءِ الخلقِ وإعادتِهم.

﴿ٱلْقُدُّوسُ﴾؛ أي: المنزَّهُ عن كلِّ نقصٍ، والطَّاهرُ عن كلِّ عيبٍ، والقَدَسُ: السَّطلُ الَّذي يُتطهَّرُ به.

وقيلَ: ﴿ٱلْقُدُّوسُ﴾: الَّذي منه البركاتُ، ومنه: ﴿ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ﴾ [المائدة: ٢١]؛ أي: المباركةَ.

﴿ٱلسَّلَٰمُ﴾؛ أي: سَلِمَ من أن يلحقَه نقصٌ أو عجزٌ، أو سلَّمَ الخلائقَ من أن ينالَهم من قِبَلِه ظُلمٌ؛ لأنَّ تصرُّفَه في مِلكِه، فلا يُتصوَّرُ منه الظُّلمُ.

﴿ٱلْمُؤْمِنُ﴾؛ أي: يُؤمنُ المؤمنين من عذابِه، يُقال: آمَنَه يُؤمِنُه.

وقيلَ: ﴿ٱلْمُؤْمِنُ﴾ بمعنى: المصدِّقُ؛ أي: يصدِّقُ المؤمنين في إيمانِهم ويصدِّقُ نفسَه قبلَ إيمانِ خَلقِه به، كما قالَ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران: ١٨].

---

(١) في (أ): «ما يمجدونه به ويفرقون أنه ويغرمون أنه يحب نذير آياته»، والمثبت أقرب للصواب.

وقيلَ: ﴿ٱلْمُؤْمِنُ﴾؛ أي: المصدِّقُ لمَا وَعدَ به والمحقِّقُ له.

﴿ٱلْمُهَيْمِنُ﴾ قيلَ: أصلُه: مُؤَيمِنٌ، فهو بمعنى: المؤمِنِ، وهو كما يُقالُ: أَرَقْتَ وهَرَقْتَ، وإِيَّاك وهِيَّاكَ، وإبرِيَّةٌ وهِبريَّة[1]، ووصفُه بالمهيمنِ بعدَ المؤمنِ كوصفِه بأنَّه العليُّ المتعال، وأنَّه واحدٌ أحَدٌ.

وقيلَ: ﴿ٱلْمُهَيْمِنُ﴾: الرَّقيبُ.

وقيلَ: أصلُه: مُؤتَمَنٌ، بمعنى: الأمينُ الَّذي لا يَضيعُ عنده حقٌّ، يُقالُ: أمينٌ ومؤتَمَنٌ مثل بَيْطَرَ ومُبيطِرٍ للبيطارِ[2]، ومعنى الأمينِ في حقِّه: ما أشعرَ به قولُه: ﴿أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم﴾ [آل عمران: ١٩٥].

وقيلَ: ﴿ٱلْمُهَيْمِنُ﴾: الشَّهيدُ؛ أي: هو الشَّاهدُ لنفسِه ورسلِه بما أدَّوا عنه إلى خَلقِه، وهو مُطَّلعٌ [على][3] أعمالِ خلقِه.

وقيلَ: ﴿ٱلْمُهَيْمِنُ﴾: القائمُ على خلقِه برزقِه.

﴿ٱلْعَزِيزُ﴾: الممتنعُ بسلطانِه، يُقالُ: أرضٌ عزازٌ؛ أي: صُلبةٌ، وشاةٌ عزوزٌ؛ أي: تمتنعُ على الحالبِ.

وقيلَ: ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾: الَّذي لا مِثْلَ له.

---

(١) الهِبْرِيَة والإِبْرِيَة ـ كشِرذمَة ـ: نُخالة الرأس. انظر: «تهذيب اللغة» (٦/ ١٥٢).

(٢) قوله: «مثل بَيْطَرَ ومُبيطِرٍ للبيطارِ» كذا ذكره هنا، وحقه أن يذكر مع المؤيمن لا مع المؤتمن. انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ١١)، و«غريب القرآن» لابن عزير (ص: ٤٣٧)، و«الحجة» للفارسي (١/ ٢٣٠).

(٣) زيادة يقتضيها السياق.

وقيلَ: المُعِزُّ لأوليائه مثلَ أليمٍ[(١)] بمعنى: مؤلمٍ.

﴿ٱلْجَبَّارُ﴾؛ أي: لا يُنالُ ولا يُوصَلُ إليه، يُقالُ: نخلةٌ جبَّارةٌ؛ أي: فاتَت الأيدي.

وقيلَ: ﴿ٱلْجَبَّارُ﴾: الَّذي لا تُطاقُ سَطْوَتُه[(٢)].

وقيلَ: الجبرُ في اللُّغةِ: المَلِكُ، ومنه:

وانْعـم صباحـاً أيُّهـا الجبـرُ[(٣)]

ويُقالُ للجَوزاءِ: الجبَّارُ، تشبيهاً لها بالملكِ؛ لأنَّها في صورةِ رجلٍ على كرسيٍّ وعليه تاجٌ، فالجبَّارُ بمعنى: الملكِ، أو بمعنى: العظيمِ.

وقيلَ: هو فَعَّالٌ من جَبَرَ؛ أي: أصلحَ الكسرَ وأغنى الفقيرَ.

وقال الفرَّاء: هو مِن أجبرَه على الأمرِ؛ أي: قهرَه، قالَ: ولم أسمعْ فعَّالاً مِن أفْعَلَ إلَّا في جَبَّارٍ من أجبرَ، ودَرَّاكٍ من أدرَكَ[(٤)].

---

(١) في (أ): «وقيل المعز لا وله أنَّه مثل التمر»، والصواب المثبت

(٢) في (أ): «صوته»، والتصويب من «تفسير القرطبي» (٢٠/ ٣٩٢).

(٣) شطر بيت لابن الأحمر، وعجزه:

إِسْـلَمْ بِـرَاووقٍ حُـبِيـتَ بـه

انظر: «ديوان ابن أحمر» (ص: ٩٤)، و«المعاني الكبير» لابن قتيبة (١/ ٤٤٥)، و«الأضداد» لابن الأنباري (ص: ٣٩٥)، و«المحتسب» لابن جني (١/ ٩٧). والراووق هاهنا: الكأس.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٨١)، وليس فيه قوله: «لم أسمع فعالاً من أفعل إلا في حرفين»، لكن ذكرها عنه الأزهري في «تهذيب اللغة» (١١/ ٤٢)، والواحدي في «البسيط» (٢١/ ٣٩٧).

قال ابن خالويه في «إعراب القرآن» (٢/ ٢٦٩): وقد وجدت حرفاً ثالثاً: أسأر الشّراب في القدح فهو سأَّر.

وذكر ابن جني حرفاً رابعاً وهو: أقصر فهو قصار. انظر: «المحتسب» (٢/ ٢٤١).

﴿ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾؛ أي: الَّذي [تكبَّر][1] بربوبيَّتِه، فلا شيءَ مثلُه.

وقيلَ: المتعظِّمُ من كلِّ نقصٍ.

وقيلَ: ذو الكبرياءِ، وهو المُلْك.

وقيلَ: هو الكبيرُ؛ لأنَّه أجَلُّ من أن[2] يَتكلَّفُ كِبراً، وقد يُقالُ: تظلَّمَ بمعنى: ظلمَ، وتشتَّمَ بمعنى: شتمَ، كذلك المتكبِّرُ بمعنى: الكبير، ويقبُحُ منَّا التكبُّرُ لأنَّا نُهينا عنه، ويحسنُ من اللهِ لأنَّه أهلُه.

﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾؛ أي: تنزَّهَ؛ أي: عمَّا يصفُه به الكافرُ.

***

(٢٤) ـ ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

قولُه تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ﴾؛ أي: خالقُ الأشياءِ ومُوجِدُها ﴿ٱلْبَارِئُ﴾؛ أي: المنشِئُ ﴿ٱلْمُصَوِّرُ﴾؛ أي: المقدِّرُ لكلِّ شيءٍ بصورةٍ يتميَّزُ بها عن غيرِه.

﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾؛ لأنَّ النَّقصَ مُحالٌ في حقِّهِ ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ تسبيحَ دلالةٍ إن لم يكن تسبيحَ قالةٍ تعالى.

***

(١) من «تفسير القرطبي» (٢٠/ ٣٩٢).

(٢) في (أ): «ممن»، والتصويب من «تفسير القرطبي» (٢٠/ ٣٩٢).

سُورَةُ المُمْتَحِنَةِ

بسمِ اللَّه الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) ـ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَـٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾.

قولُه تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ السُّورةُ لقطعِ الولايةِ بين الكافرِ والمسلمِ، فنزلَت هذهِ الآيةُ في حاطبِ بنِ أبي بلتعةَ، وكانَ رجلاً من أهلِ اليمنِ، وكانَ له حلفٌ بمكَّةَ من بني أسدِ بنِ عبدِ العُزَّى رهطِ الزُّبيرِ بنِ العوَّام، وقيلَ: كانَ حليفاً للزُّبيرِ.

فقدمَت من مكَّةَ سارةُ مولاةُ أبي عمرو بنِ صيفيِّ بنِ هاشمِ بنِ عبدِ منافٍ إلى المدينة، ورسولُ اللهِ ﷺ يتجهَّزُ لفتحِ مكَّة ـ وقيلَ: كانَ هذا زمنَ الحُدَيبية ـ فقالَ لها رسولُ اللهِ ﷺ: «أمهاجرةً جئتِ يا سارةُ؟» فقالَت: لا، ما جئتُ مسلمةً مهاجرةً. قال: «فما جاءَ بكِ؟» قالَت: كنتُم الأهلَ والمواليَ والأصلَ، وقد احتجتُ حاجةً شديدةً، فقدمتُ إليكم لتعطوني وتكسوني. فقالَ عليه السَّلام: «فأين أنتِ عن شبابِ أهلِ مكَّةَ؟» وكانَت مُغنِّيةً، قالَت: ما طلبَ منِّي شيءٌ بعدَ وقعةِ بدرٍ.

فحثَّ رسولُ اللهِ بني عبدِ المطَّلبِ وبني المطَّلبِ على إعطائِها، فكسَوها وحمَلوها وأعطَوها، فخرجَت إلى مكَّةَ، وأتاها حاطبٌ، وقال: أعطيكِ عشرةَ دنانيرَ

وبُرداً على أنَّ تبلِّغي هذا الكتابَ أهلَ مكَّةَ. وكتبَ في الكتابِ: إنَّ رسولَ اللهِ يريدُكم فخذوا حِذرَكم.

فخرجَت سارةُ، ونزلَ جبريلُ فأخبرَ النَّبيَّ عليه السَّلام بذلك، فبعثَ عليًّا والزُّبيرَ وأبا مَرْثدٍ الغنويَّ، وفي روايةٍ: عليّاً والزُّبيرَ والمقدادَ، وفي رواية: أرسلَ عليّاً وعمَّارَ بنَ ياسر، وفي رواية: عليّاً وعمرَ والزُّبيرَ وطلحةَ والمقدادَ وأبا مرثدٍ، وكانوا كلُّهم فرساناً.

وقالَ لهم: «انطلقُوا حتَّى تأتوا روضةَ خاخٍ، فإنَّ بها ظعينةً ومعها كتابٌ من حاطبٍ إلى المشركين، فخذُوه منها وخلُّوا سبيلَها، فإن لـم تدفَعْه إليكم فاضرِبوا عنقَها» فأدركوها في ذلك المكانِ، فقالوا: أين الكتابُ؟ فحلفَت ما معها كتابٌ، ففتَّشُوا أمتعتَها، فلم يجدوا معها كتاباً، فهمُّوا بالرُّجوعِ فقالَ عليٌّ: والله ما كَذَبْنا ولا كُذِبْنا. وسلَّ سيفَه، وقال: أخرجي الكتابَ وإلا واللهِ لأجرِّدَنَّكِ وأضربَنَّ عنقَك. فلمَّا رأت الجدَّ أخرجتْه من ذؤابتِها، وفي رواية: من حُجزتِها[١].

فخلَّوا سبيلَها ورجعوا بالكتابِ إلى رسولِ اللهِ ﷺ، فأرسلَ إلى حاطبٍ فقالَ: «هل تعرفُ الكتابَ؟» قالَ: نعم. فقال: «فما حملَكَ على ما صنعتَ؟» فقالَ: يا رسولَ اللهِ، والله ما كفرتُ منذ أسلمتُ، ولا غششتُكَ منذ نصحتُكَ، ولا أحببتُهم منذ فارقتُهم، ولكن لـم يكن أحدٌ من المهاجرينَ إلا وله بمكَّةَ مَن يمنع عشيرتَه، وكنتُ غريباً فيهم، وكانَ أهلي بين ظهرانيهم، فخشيتُ على أهلي، فأردْتُ أن أتَّخذَ عندهم يداً، وقد علمتُ أنَّ اللهَ ينزلُ بهم بأسَه، وأنَّ كتابي لا يُغني عنهم شيئاً. فصدَّقَه رسولُ اللهِ

---

(١) (حُجْزَتها) بضم المهملة وإسكان الجيم وبالزاي: مَعْقِد الإزار، وحجزةُ السراويل: التي فيها التكة، واحتجز الرجلُ بإزاره؛ أي: شده على وسطه. انظر: «اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح» للبرماوي (١٥/ ٢٩٩).

ﷺ وعذرَه، فقامَ عمرُ وقال: دعني يا رسولَ اللهِ أن أضربَ عنقَ هذا المنافقِ. فقالَ عليه السَّلام: «وما يُدريكَ يا عمرُ، لعلَّ اللهَ قد اطَّلعَ على أهلِ بدرٍ فقالَ لهم: اعملُوا ما شئتُم، فقد غفرتُ لكم»، ونزلَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ﴾[1].

وذُكِرَ أنَّ حاطباً لـمَّا ذُكر وسمعَ[2] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ غُشِيَ عليه [من] الفرحِ بخطابِ الإيمانِ[3].

﴿عَدُوِّي﴾؛ أي: عدوَّ ديني وعدوَّ أوليائي، لا تُنزلوهم منزلةَ مَن ينصرُكم وتنصرونه، ﴿تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ﴾ الباءُ زائدةٌ، كما تقولُ: قرأتُ السُّورةَ، وقرأتُ بالسُّورةِ، ورميتُ إليه ما في نفسي وبما في نفسي.

وقالَ الزَّجَّاجُ: أي: تُلقونَ إليهم أخبارَ رسولِ اللهِ وأسرارَه بالمودَّةِ الَّتي بينكم وبينهم[4].

﴿وَقَدۡ كَفَرُواْ﴾ الواوُ للحال؛ أي: وحالُهم أنَّهم كفروا ﴿بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ﴾؛ أي: من القرآنِ وأمرِ النُّبوَّةِ وعادَوكم عليه حتَّى أخرجوكم من مكَّة.

﴿أَن تُؤۡمِنُواْ﴾؛ أي: لأن تُؤمنوا؛ أي: يخرجونكم لإيمانِكم باللهِ ربِّكم، فكيفَ ترجو استصلاحَهم؟

﴿إِن كُنتُمۡ خَرَجۡتُمۡ﴾ جوابُه مقدَّمٌ، وهو ﴿لَا تَتَّخِذُواْ﴾.

---

(١) ذكره بهذا السياق الثعلبي في «تفسيره» (٢٦/ ٢٨٦ ـ ٢٨٩)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٢١)، دون سند ولا راو، وأصل الحديث رواه البخاري (٤٢٧٤)، ومسلم (٢٤٩٤)، من حديث علي رضي الله عنه.

(٢) في «تفسير القرطبي»: «لما سمع».

(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ٣٩٨)، وما بين معكوفتين منه.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ١٥٥).

﴿جِهَٰدًا فِي سَبِيلِي﴾؛ أي: للجهادِ في سبيلي ولابتغاءِ مرضاتي، وكانوا قد خرجوا لذلك؛ أي: ما علمتُه من خروجِكم للجهادِ في سبيلي يُوجبُ تركَ موالاتِهم.

﴿تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾؛ أي: بالنَّصيحةِ، والباءُ زائدةٌ كما ذكرنا.

﴿وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ﴾؛ أي: أنا أعلمُ ما تُخفون، فالباءُ زائدةٌ، يُقال: علمتُ كذا وعلمتُ بكذا، قالَ اللهُ: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [يوسف: ١٩].

وقيلَ: وأنا أعلمُ من كلِّ أحدٍ بما تُخفون وما تُعلِنون، فحذفَ (من كلِّ أحد) كما يُقالُ: فلانٌ أعلمُ وأفضلُ من غيرِه، واللهُ أعلمُ لأنَّ غيرَه ينسى ويَعلَمُ بتعليمٍ وكسبٍ، ولا يَخفى على اللهِ شيءٌ.

﴿وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ﴾ يرجعُ إلى الإشراكِ، أو إلى الإلقاءِ واتِّخاذِ الكفَّارِ أولياءَ، والتَّقديرُ: ومَن يفعل ما نهيتُه عنه منكم فقد عدلَ عن قصدِ الطَّريق؛ أي: تركَ الإيمانَ.

ولفظ العدوِّ في الآيةِ بمعنى الأعداءِ، كقولِه: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ﴾ [الشعراء: ٧٧]، ويُقال: كاده[1] العدوُّ؛ أي: الأعداء.

* * *

(٢) ـ ﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا۟ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ﴾؛ أي: إن يظفَروا بكم أظهرُوا العداوةَ ﴿وَيَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ بالضربِ والقتلِ ﴿وَأَلْسِنَتَهُم﴾ بالشَّتمِ ﴿وَوَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ﴾؛ أي: ودُّوا أن ترجعُوا إلى دينِهم، وأكرَهُوكم عليه.

* * *

(١) في (أ): «حَاحة»، ولا معنى لها.

(٣) ـ ﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

قولُه تعالى: ﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ﴾ لمَّا اعتذرَ حاطبٌ بأنَّ له أرحاماً وأولاداً فيما بينهم بيَّنَ الرَّبُّ أنَّ الأهلَ والأولادَ لا ينفعون شيئاً.

﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ﴾ فيه إضمارٌ أن يفصل اللهُ بينكم يومَ القيامةِ.

وقيلَ: ﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ﴾ تمامُ الكلام، ثمَّ يستأنفُ ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ﴾؛ أي: يفصلُ اللهُ بينكم.

وقُرِئَ: ﴿يُفصَل بَيْنَكُمْ﴾ بضمِّ الياء وفتح الصَّاد، وقُرِئَ: ﴿يُفصَّل﴾ بالتَّشديدِ[1].

و﴿يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ﴾؛ أي: الَّذي بينكم، كقوله: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ٩٤] في قراءةِ مَن نصبَ.

وهذا الفصلُ في الحُكمِ، وقيلَ: في المكانِ، فلا يجمعُ بين كافرٍ ومؤمنٍ.

وقيلَ: أرادَ ﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ [المعارج: ١٠] فكلُّ إنسانٍ يُطالَبُ بعملِ نفسِه.

* * *

(١) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو: ﴿يُفْصَلُ﴾ بضم الياء والصاد مخفَّفة مفتوحة على البناء للمفعول، وعاصم: ﴿يَفْصِلُ﴾ بفتح الياء والصاد مخفَّفة مكسورة على البناء للفاعل، وابن عامر: ﴿يُفَصَّل﴾ بضم الياء والصاد مشدَّدة مفتوحة، وقرأ حمزة والكسائي: ﴿يُفَصِّل﴾ بضم الياء والصاد مشدَّدة مكسورة. انظر: «السبعة» (ص: ٦٣٣)، و«التيسير» (ص: ٢١٠).

(٤ ـ ٥) ـ ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ۝٤ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

قولُه تعالى: ﴿قد كانَتْ لكُمْ إسوةٌ حَسَنةٌ في إبراهيمَ﴾ لـمَّا نهَى عن موالاةِ الكفَّارِ ضربَ لهم مثلاً؛ أي: اعتقدتُم علوَّ قَدْرِ إبراهيمَ، وكانَ من سيرتِه التَّبرُّؤُ من الكفَّارِ، فاقتدوا به، والإِسوةُ والأُسوةُ: ما يُؤتَسَى به، مثلَ القِدوةِ والقُدوةِ.

ويُقال: هو إسوتُك؛ أي: مثلُه أنت، وهو مثلُك.

وقرأ عاصمٌ: ﴿أُسْوَةٌ﴾ بضمِّ الهمزةِ[1].

﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ يعني: أصحابَ إبراهيمَ ﴿إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ﴾؛ أي: للكفَّارِ: ﴿إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ﴾.

وقيل: ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾؛ أي: الأنبياء؛ أي: كانُوا على دينِه ومَذهبِه.

﴿وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: الأصنام.

والبُرآءُ: جمعُ بَريءٍ، وهو مثلُ شريكٍ وشُركاء، ويجوزُ تركُ الهمزِ حتَّى تقولَ: بُراً، وتُنوِّنَ.

﴿كَفَرْنَا بِكُمْ﴾؛ أي: أنكرْنا أن تكونوا على حقٍّ ﴿وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا﴾؛ أي: هذا دأْبُنا معكم ما دمتُم على كفرِكم ﴿حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ فحينئذٍ تنقلبُ العدواةُ موالاةً.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٦٣٣)، و«التيسير» (ص: ١٧٨).

﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ﴾؛ أي: لكم أسوةٌ حسنةٌ في إبراهيمَ إلَّا في استغفارِه لأبيه المشركِ؛ فإنَّ إبراهيمَ [كانَ استغفارُه لأبيه عن موعدةٍ منه، فلمَّا تَبيَّنَ له إقامتُه على الكفرِ تَبرَّأَ منه][(١)].

[وقيل: هو استثناءٌ منقطِعٌ؛ أي: لكنَّ قولَ إبراهيم لأبيه: ﴿لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ إنَّما جَرَى لأنه ظنَّ أنه أسلَمَ، فلمَّا بانَ له أنَّه لم يُسْلِمْ تَبرَّأَ منه، وعلى هذا يجوزُ الاستغفارُ لِمَنْ يُظنُّ أنه أسلَمَ؛ وأنتم لم تجدوا مثلَ هذا الظنِّ فلمَ توالوهم؟

﴿وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾ هذا من قولِ إبراهيمَ عليه السلامُ لأبيه؛ أي: ما أدفعُ عنكَ مِن عذابِ اللهِ شيئاً إنْ أَشركْتَ به.

﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا﴾ هذا من دعاءِ إبراهيمَ عليه السلام وأصحابِه.

وقيل: علَّم المؤمنين أن يقولوا هذا؛ أي: تَبرَّؤوا من الكفَّار، وتوكَّلوا على الله، وقولوا: ﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا﴾؛ أي: اعتَمَدْنا ﴿وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا﴾؛ أي: رجَعْنا ﴿وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾: لك الرجوعُ في الآخرة.

﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾؛ أي: لا تُظْهِرْ عدوَّنا علينا فيَظُنُّوا أنَّهم على حقٍّ فيُفْتَتَنوا بذلك.

وقيل: لا تسلِّطْهم علينا فيَفْتِنونا ويعذِّبونا.

***

(١) ما بين معكوفتين مستفاد من «البسيط» (٢١/ ٤٠٩)، وقد وقع في النسخة الخطية (أ) هاهنا سقط من هنا حتى بداية تفسير الآية العاشرة من هذه السورة، وقد اجتهدنا في استدراك هذا السقط ممَّا كتبه الإمام القرطبي في «تفسيره» في هذا الموضع؛ إذ إنه يعد أحد أهم المصادر التي نقلت عن كتاب المصنف هذا.

(٦ ـ ٧) ـ ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ۝٦ عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ﴾؛ أي: في إبراهيمَ ومَن معه من الأنبياءِ والأولياء ﴿أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾؛ أي: في التبرُّؤ من الكفَّار.

وقيل: كرِّر للتَّأكيد.

وقيل: نَزَل الثاني بعدَ الأولِ بمدَّةٍ؛ وما أكثرَ المكرَّراتِ في القرآنِ على هذا الوجه.

﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾؛ أي: عن الإسلامِ وقبولِ هذه المواعِظِ ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ﴾؛ أي: لم يتعبَّدْهم لحاجته إليهم ﴿الْحَمِيدُ﴾ في نَفْسِه وصِفَاتِه.

ولمَّا نزلت عادَى المسلمونَ أقرباءَهم من المشركين، فعَلِم اللهُ شِدَّةَ وَجْدِ المسلمين في ذلك فنزلت: ﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً﴾ وهذا بأن يُسْلِمَ الكافر، وقد أسلَمَ قومٌ منهم بعد فتحِ مكةَ وخالَطَهُم المسلِمون[١]؛ كأبي سفيانَ بنِ حَرْبٍ، والحارثِ بنِ هشامٍ، وسُهيلِ بن عمرٍو، وحَكيمِ بنِ حِزامٍ.

وقيل: المودةُ: تزويجُ النبيِّ ﷺ أمَّ حبيبةَ بنتِ أبي سفيانَ؛ فلانت عند ذلك عريكةُ أبي سفيانَ، واسترخَتْ شكيمتُه في العداوة.

قال ابنُ عباسٍ: كانت المودةُ بعدَ الفتحِ تزويجَ النبيِّ ﷺ أمَّ حبيبةَ بنتِ أبي سفيانَ[٢].

وكانت تحت عبد الله بن جحشٍ، وكانت هي وزوجُها من مُهاجِرةِ الحَبَشةِ، فأمَّا

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٣٠٢)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ٤٢٣)، ولم أجده مسنداً.

(٢) رواه ابن سعد في «الطبقات» (٨/ ٩٩) من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس.

زوجُها فتنصَّرَ وسألها أن تُتابِعَه على دِينه، فأَبَتْ وصَبَرتْ على دِينها، ومات زوجُها على النصرانيَّة، فبعث النبيُّ ﷺ إلى النَّجَاشيِّ فخطَبها؛ فقال النجاشي لأصحابه: مَن أَوْلاكُم بها؟ قالوا: خالدُ بنُ سعيدِ بنِ العاص، قال فزوِّجْها من نبيِّكم. ففعل؛ وأمهَرَها النجاشي من عنده أربعَ مئةِ دينار(١).

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (٢٦/ ٣٠٢)، ورواه ابن سعد في «الطبقات» (٨/ ٩٨) عن شيخه الواقدي، عن عبد الله بن عمرو بن زهير، عن إسماعيل بن عمرو بن سعيد بن العاص قال: قالت أم حبيبة: «رأيت في النوم عبيد الله بن جحش زوجي بأسوأ صورة وأشوهه... » فذكر نحوه مطولاً، وهكذا رواه الحاكم في «المستدرك» (٦٧٧٠) من طريق الواقدي به. ورواه البيهقي في «الدلائل» (٣/ ٤٦٢) من طريق الزبير بن بكار قال: حدثنا محمد بن حسن عن أبيه عن عبد الله بن عمرو بن زهير، به.

وروى أبو داود (٢٠١٧)، والنسائي (٣٣٥٠)، والحاكم (٦٧٦٨)، من طريق الزهري عن عروة عن أم حبيبة: «أنها كانت تحت عبد الله بن جحش فمات بأرض الحبشة، فزوجها النجاشي النبي ﷺ وأمهرها عنه أربعة آلاف، وبعث بها إلى رسول الله ﷺ مع شرحبيل بن حسنة».

وروى الحاكم في «المستدرك» (٦٧٦٨) عن الزهري قال: «فتزوج رسول الله ﷺ أم حبيبة بنت أبي سفيان وكانت قبله تحت عبيد الله بن جحش الأسدي أسد خزيمة فمات عنها بأرض الحبشة وكان خرج بها من مكة مهاجرا ثم افتتن وتنصر فمات وهو نصراني وأثبت الله الإسلام لأم حبيبة والهجرة ثم تنصر زوجها ومات وهو نصراني وأبت أم حبيبة بنت أبي سفيان أن تتنصر وأتم الله تعالى لها الإسلام والهجرة حتى قدمت المدينة فخطبها رسول الله ﷺ فزوجها إياه عثمان بن عفان، قال الزهري: وقد زعموا أن النبي ﷺ كتب إلى النجاشي فزوجها إياه وساق عنه أربعين أوقية».

وروى الواقدي في «المغازي» كما في «الكافي الشاف» (ص: ١٦٨)، ومن طريقه الحاكم (٦٧٧١) عن جعفر بن محمد بن علي عن أبيه قال: «بعث رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي يخطب عليه أم حبيبة بنت أبي سفيان وكانت تحت عبيد الله بن جحش فزوجها إياه وأصدقها النجاشي من عنده عن رسول الله ﷺ أربع مئة دينار».

قال الواقدي: حدثني عبد الله بن جعفر عن عبد الواحد بن أبى عون قال: لما بلغ أبا سفيان بن حرب نكاح النبي ﷺ ابنته قال: ذاك الفحل لا يقدع أنفه».

وقيل: خطبها النبي ﷺ إلى عثمان بن عفان، فلما زوجه إياها بعث إلى النجاشي فيها؛ فساق عنه المهر وبعث بها إليه، فقال أبو سفيان وهو مشرك لمَّا بلَغه تزويجُ النبيِّ ﷺ ابنتَه: «ذلك الفَحْلُ لا يُقْدَعُ أنفه»(١).

* * *

(٨) ـ ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ هذه الآيةُ رخصةٌ من الله تعالى في صلةِ الذين لم يعادُوا المؤمنين ولم يقاتِلُوهم.

قال ابن زيد: كان هذا في أولِ الإسلامِ عند الموادَعةِ وتَرْكِ الأمر بالقتال ثم نُسِخ(٢).

قال قتادة: نسختْها ﴿فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥](٣).

وقيل: كان هذا الحكمُ لعلَّةٍ وهو الصلحُ، فلمَّا زال الصُّلحُ بفتحِ مكةَ نُسخ الحُكمُ وبقي الرسمُ يُتلى.

وقيل: هي مخصوصةٌ في حلفاءِ النبيِّ ﷺ ومَن بينَه وبينَه عهدٌ لم ينقُضْه؛ قال الحسن: هم خزاعة وبنو الحارث بن عبد مناف. وقال أبو صالح: هم خزاعةُ(٤).

---

(١) انظر التعليق السابق. قوله: «يقدع» بالدال غير المعجمة؛ يقال: هذا فحلٌ لا يُقْدَعُ أنفُه؛ أي: لا يُضْربُ أنفُه، وذلك إذا كان كريماً. انظر: «النهاية» (مادة: قدع)، و«تفسير القرطبي» (٢٠/ ٤٧).
ويروى بالراء؛ أي: كفء كريم لا يُردُّ. انظر: «النهاية» (مادة: قرع).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٥٧٥).

(٣) قول الحسن وأبي صالح في «الناسخ والمنسوخ» للنحاس (ص: ٧١١).

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٢٠٠)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٥٧٣)، والنحاس في «الناسخ =

وقال مجاهد: هي مخصوصةٌ في الذين آمنوا ولم يهاجروا[١].

وقيل: يعني به النساءَ والصبيان لأنهم ممن لا يقاتِلُ؛ فأَذِنَ الله في بِرِّهم. حكاه بعضُ المفسِّرين.

وقال أكثر أهل التأويل: هي محكَمةٌ. واحتجُّوا بأن أسماءَ بنتَ أبي بكرٍ سألتِ النبيَّ ﷺ: هل تَصِلُ أمَّها؟ حين قدِمتْ عليها مشركةً، قال: «نعم» خرَّجه البخاريُّ ومسلمٌ[٢].

وقيل: إن الآيةَ فيها نزلت؛ روى عامر بن عبدالله بن الزبير عن أبيه: أن أبا بكر الصدِّيقَ طلَّق امرأتَهُ قُتيلةَ في الجاهليَّة، وهي أمُّ أسماءَ بنتِ أبي بكر، فقدِمَتْ عليهم في المُدَّة التي كانت فيها المهادنةُ بينَ رسولِ اللهِ ﷺ وبينَ كفَّارِ قريشٍ، فأهدَتْ إلى أسماءَ بنتِ أبي بكرٍ الصدِّيقِ قُرطاً وأشياءَ؛ فكرهَتْ أن تقبَلَ منها حتى أتت رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له، فأنزل الله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾[٣].

قوله: ﴿أَن تَبَرُّوهُمْ﴾ ﴿أَن﴾ في موضعِ خفضٍ على البَدَلِ من ﴿ٱلَّذِينَ﴾؛ أي: لا ينهاكُمُ الله عن أنْ تَبَرُّوا الذين لم يقاتلوكُم، وهم خزاعةُ، صالَحوا النبيَّ ﷺ على ألا يقاتِلُوه ولا يُعِينُوا عليه أحداً؛ فأمَرَ ببِرِّهم والوفاءِ لهم إلى أجلهم؛ حكاه الفرَّاءُ[٤].

= والمنسوخ» (ص: ٧١١).

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٥٧٣).

(٢) رواه البخاري (٢٦٢٠)، ومسلم (١٠٠٣).

(٣) رواه الطيالسي في «مسنده» (١٦٣٩)، والإمام أحمد في «المسند» (١٦١١١)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٥٧٢)، وفيه مصعب بن ثابت وهو ضعيف، وأصله عند البخاري (٥٩٧٨)، ومسلم (١٠٠٣)، عن أسماء رضي الله عنها.

(٤) في «معاني القرآن» (٣/ ١٥٠).

﴿وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ﴾؛ أي: تُعطُوهم قسطاً من أموالِكُم على وجهِ الصِّلة، وليس به من العدلَ؛ فإن العدل واجبٌ فيمَن قاتَلَ وفيمَن لم يقاتلْ.

* * *

(٩) ـ ﴿إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾؛ أي: جاهَدُوكم على الدِّين ﴿وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ﴾ وهم عُتَاةُ أهلِ مكةَ ﴿وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ﴾؛ أي: عاوَنُوا على إخراجِكُم، وهم مشركو أهلِ مكةَ ﴿أَن تَوَلَّوْهُمْ﴾ ﴿أَن﴾ في موضعِ جرٍّ على البَدَل على ما تقدم في ﴿أَن تَبَرُّوهُمْ﴾.

﴿وَمَن يَتَوَلَّهُمْ﴾؛ أي: يتَّخِذْهم أولياءَ وأنصاراً وأحباباً ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

* * *

(١٠ ـ ١١) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْ ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ وَلَا تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْ ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُواْ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُواْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ﴾ لمَّا أَمَر المسلمين بترك موالاة المشركين اقتضى ذلك مهاجَرةَ المسلِمين عن بلاد الشِّركِ إلى بلادِ الإسلام، وكان التَّناكُحُ مِن أَوْكدِ أسبابِ المُوالاةِ، فبيَّنَ أحكامَ مهاجَرةِ النِّساء.

قال ابنُ عباس: جَرَى الصُّلحُ مع مشركي قريشٍ عامَ الحُديْبِيَة، على أنَّ مَن أَتاه مِن أهل مكةَ رَدَّه إليهم، فجاءت سُبيعةُ بنتُ الحارثِ الأَسلَميَّةُ بعدَ الفراغِ مِن

الكتاب، والنبيُّ ﷺ بالحديبيَة بَعْدُ، فأقبل زوجُهَا ـ وكانَ كافرًا، وهو صَيْفيُّ بنُ الراهبِ، وقيل: مُسافرٌ المخزوميُّ ـ فقال: يا محمدُ، ارْدُدْ عَلَيَّ امرأتي فإنك شَرَطْتَ ذلك، وهذه طِينةُ الكتاب لم تَجِفَّ بعدُ، فأَنزل الله تعالى هذه الآيةَ(١).

وقيل: جاءت أمُّ كلثومٍ بنتُ عُقبةَ بن أبي مُعَيْطٍ، فجاءَ أهلُها يَسألون رسولَ الله ﷺ أنْ يَرُدَّها(٢).

وقيل: هَرَبت مِن زوجِها عَمرِو بن العاص وتبعها أخَوَاها عُمارةُ والوليدُ، فرَدَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ أخويْها وحَبَسها، فقالوا للنَّبيِّ ﷺ](٣): رُدَّها علينا للشَّرطِ، فقالَ عليه السَّلام: «كانَ الشَّرطُ في الرِّجالِ لا في النِّساء»، وأنزلَ اللهُ هذه الآيةَ(٤).

﴿إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ﴾ سمَّاهُنَّ مؤمناتٍ لإظهارِهنَّ الإيمانَ ﴿فَٱمْتَحِنُوهُنَّ﴾.

سُئِلَ ابنُ عبَّاس: كيف كانَ يمتحِنُ رسولُ اللهِ النِّساء؟ قالَ: كانَ يقولُ: باللهِ ما خرجتِ من بغضٍ لزوجِك، باللهِ ما خرجتِ التماسَ الدُّنيا، باللهِ ما خرجتِ رغبةً عن أرضٍ إلى أرضٍ، بل ما خرجت إلَّا حبًّا للهِ ولرسولِه(٥).

---

(١) ذكره عن ابن عباس الثعلبي في «تفسيره» (٢٦/ ٣٠٦)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٢٤). وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٥٢١) عن الكلبي، ورواه الفاكهي في «أخبار مكة» (٢٨٦٥) من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس مختصراً بذكر نزولها في سبيعة وزوجها مسافر بن أسلم. وإسناده واهٍ.

(٢) رواه البخاري (٢٧١١) و(٢٧١٢) عن بعض أصحاب رسول الله ﷺ.

(٣) ما بين معكوفتين استدركناه من «تفسير القرطبي» (٢٠/ ٤١٠)، لأنه من أكثر المفسرين نقلًا عن المصنف كما تقدم، كما أن تتمة هذا الخبر وردت فيه بحرفها.

(٤) ذكره مقاتل بن سليمان في «تفسيره» (٤/ ٣٠٣). ورواه ابن أبي حاتم عن مقاتل بن حيان كما ذكر ابن حجر في «الفتح» (٩/ ٤١٩).

(٥) رواه البزار (٢٢٧٢ ـ كشف الأستار)، والحارث بن أبي أسامة في «مسنده» (٧٢٢)، والطبري في =

وقالَت عائشةُ: ما كانَ عليه السَّلام يمتحنُ إلا بالآيةِ الَّتي قالَ اللهُ: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ﴾[1].

وفي روايةٍ عن ابنِ عبَّاس: كانَ امتحانُهنَّ أن يشهدْنَ أن لا إلهَ إلا اللهُ وأن محمَّداً عبدُه ورسولُه، فإذا علموا أنَّ ذلك حقٌّ منهنَّ لـم يَرجعوهنَّ إلى الكفَّار[2].

والحكمُ بالإسلامِ إنَّما كانَ يقعُ بالنُّطقِ بالشَّهادتين، ثمَّ قال[3] كانَ تعرُّفُ حالِها وامتحانُها واجباً بعد ذلك.

﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ﴾؛ أي: هذا الامتحانُ لكم، واللهُ أعلمُ بأيمانِهنَّ؛ لأنَّه يتولَّى السَّرائر، ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ﴾؛ أي: بما يُظهرْنَ من الإيمان، وقيلَ: أي: علمتوهنَّ مؤمناتٍ قبلَ الامتحانِ ﴿فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ﴾.

والحاصل: أنَّه كانَ لا يجوزُ ردُّ المرأةِ المسلمةِ إليهم، وأمَّا الامتحانُ فالأمرُ به كانَ استحساناً، فإذا عرفناها مؤمنةً لـم يَجزْ ردُّها عليهم، وإن عرَفْنا ذلك بإقرارِها[4].

= «تفسيره» (٢٢/ ٥٧٥)، والطحاوي في «مشكل الآثار» (٤٧٦٢)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٦٦٨). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٢٣): «فيه قيس بن الربيع وثقه شعبة والثوري وضعفه غيرهما، وبقية رجاله ثقات».

ورواه الترمذي (٣٣٠٨) كما في بعض طبعاته، بلفظ: «كانت المرأة إذا جاءت النبي ﷺ لتسلم حلَّفها بالله: ما خرجت من بغض زوجي، ما خرجت إلا حبا لله ولرسوله»، وقال: «حديث غريب». وهذا الحديث لم يذكره المزي في «التحفة»، وقال ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» (١/ ٥٠١): وهو موجود في بعضِ نسخ الترمذي كذلك.

(١) رواه البخاري (٢٧١٣)، ومسلم (١٨٦٦).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٥٧٦).

(٣) قوله: «ثم قال» كذا في (أ) دون ذكر القائل، أو أن كلمة «قال» زائدة سهواً من الناسخ.

(٤) انظر: «البسيط» (٢١/ ٤١٨) وفيه: والأمر بالامتحان أمر استحباب وهو غير واجب، فإذا عرفناها =

﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾؛ أي: لـم [يُحِلَّ] اللهُ مؤمنةً لكافرٍ، ولا نكاحَ مؤمنٍ لمشركةٍ[1].

﴿وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْ﴾؛ أي: أعطُوا أزواجَهنَّ ما أنفقوا؛ يعني: المهرَ؛ إذ كانَ ذلك كالقيمةِ لبُضعِها، فلمَّا أُحيلَ بينها وبينه وجبَ ذلك البُضع.

و نَغرَمُ المسمَّى؛ لقولِه: ﴿وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْ﴾ حتَّى لو لـم يؤدِّ الزَّوجُ المهرَ أو أبرأت المرأةُ فلا نَغرَمُ المسمَّى ولا مهرَ المثل؛ لأنَّه ما أنفقَ شيئاً.

ثمَّ؛ لا نَغرَمُ إلا إذا طـالبَ الزَّوجُ الكافرُ بذلك، فإذا حضرَ وطالبَ منعناها وغَرِمْنا، فإن كانَت ماتَت قبل حضورِ الزَّوجِ لـم نَغرَمِ المهرَ؛ إذ لـم يتحقَّقِ المنعُ، وإن كانَ المسمَّى خمراً أو خنزيراً لـم نغرَم شيئاً.

وقالَ مقاتلٌ: يَردُّ المهرَ الرَّجلُ الَّذي يتزوَّجُها من المسلمين، فإن لـم يتزوَّجْها من المسلمين أحدٌ، فليسَ لزوجِها الكافرِ شيءٌ[2].

واختلفوا في أنَّ العهدَ الَّذي جرى بالحُدَيبيةِ هل تناولَ النِّساءَ أم لا؟ فقالَ عروةُ بنُ الزُّبير: تناولَ الكلَّ غيرَ أنَّ اللهَ منعَ ردَّ النِّسوة[3].

وقالَ قومٌ: كانَ الشَّرطُ في الرِّجالِ، ولـم يكن في النِّساءِ، ولهذا قالَ عليه السَّلام في أمِّ كلثومٍ بنتُ عقبةَ لمَّا طلبوا ردَّها عليهم: «كانَ الشَّرطُ في الرِّجال»[4].

= مؤمنة لم يجز ردها إليهم بحال، وإنما يعرف ذلك بإقرارها.

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢١/ ٤١٩) عن ابن عباس وما بين معكوفتين منه.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٣٠٣).

(٣) رواه الواقدي في «مغازيه» (٢/ ٦٣١)، وابن سعد في «الطبقات» (١٠/ ١٢)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٨٨٣٥).

(٤) تقدم قريباً، وقال ابن حجر في «فتح الباري» (٩/ ٤١٩): وهذا لو ثبت كان قاطعا للنزاع.

وقيلَ على هذا: كانَ النَّبيُّ عليه السَّلام عالماً بأنَّ الشَّرطَ ممنوعٌ في النِّساءِ، فأوهَمَ المشركين بإطلاقِ العهدِ أنهنَّ مَردوداتٌ.

وقيلَ: ما كانَ عالماً بأنَّ الشَّرطَ باطلٌ في النِّساءِ حتَّى أعلمَه اللهُ ذلك.

وقيلَ: وجبَ غرمُ المهرِ لأنهنَّ دخلنَ في الشَّرطِ فمنعناهنَّ.

وقيلَ: لا، بل الغرمُ لإيهامِ رسولِ اللهِ إيَّاهم دخولَهنَّ في الشَّرطِ، وإن لم يدخلنَ فيه.

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ أباحَ نكاحَها بشرطِ المهرِ؛ لأنَّ الإسلامَ فرَّقَ بينها وبين زوجِها الكافرِ، فإن أسلمَت قبلَ الدُّخولِ انبتَّ النِّكاحُ في الحالِ، فلها التَّزوُّجُ، وإن أسلمَت بعدَ الدُّخولِ توقَّفَ النِّكاحُ على انقضاءِ العدَّة[1]، فإن انقضَت عدَّتُها قبلَ إسلامِ الزَّوجِ علمنا أنَّ النِّكاحَ انقطعَ يومَ أسلمَت.

وقالَ قتادةُ: الحكمُ في ردِّ الصَّداقِ إنَّما هو في نساءِ أهلِ العهدِ، فأمَّا مَن لا عهدَ بينه وبين المسلمين فلا يُردُّ عليهم الصَّداقُ[2]. **والأمرُ كما قال.**

﴿ولا تُمسِّكُوا بعِصَمِ الكَوافرِ﴾ يُقال: مسَّكَ يَمسِّكُ تَمسُّكاً؛ بمعنى: أَمْسَكَ يُمسِكُ.

وقُرِئَ: (ولا تَمسَّكوا) بنصبِ التَّاء[3]؛ أي: لا تتمسَّكوا.

---

(١) أي: إن كان إسلامها قبل المسيس بانت من زوجها الكافر بنفس الإسلام ولا عدة لها، ولها أن تنكح مسلمًا في الحال، وإن كان بعد المسيس كان النكاح موقوفًا على انقضاء العدة. انظر: «البسيط» (٢١/ ٤١٩ - ٤٢٠).

(٢) ذكره النحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٧٤٣)، وروى عبد الرزاق في «مصنفه» (١٢٧٠٩) عن قتادة قوله: «قد انقطع ذلك».

(٣) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٥٦) عن الحسن ورواية معاذ عن أبي عمرو.

وقُرِئَ: ﴿وَلَا تُمْسِكُوا﴾ بالتَّخفيفِ من الإمساكِ[1].

والعِصَمُ: جمعُ العصمةِ، وهو كلُّ ما عصمَك واعتصمْتَ به، وأصلُ العصمةِ: الحبلُ، والمرادُ بالعصمةِ هاهنا: النِّكاح؛ أي: لا تتمسَّكوا بعقدِ الكوافرِ؛ أي: لا تعتقدوا الثَّباتَ بغيرِ إسلامِكم على نكاحِ الكافراتِ؛ لأنَّ الكافرَ إذا أسلمَ قبلَ الدُّخولِ انبتَّ النِّكاحُ، وإن أسلمَ بعدَ الدُّخولِ توقَّفَ على انقضاءِ العدَّةِ، وهذا إنَّما جرى بعدَ تحريمِ نكاحِ المشركاتِ.

وقيلَ[2]: حين كانَ نكاحُ المشركاتِ مباحاً، وكان[3] نكاحُ المشركين مع المسلمات مباحاً إلى ابتداءِ الإسلامِ، وكانَ رسولُ اللهِ زوَّجَ ابنتَه من أبي العاصِ وهو مشركٌ، ثمَّ نُسخَ ذلك[4]، فطلَّقوا نساءَهم المشركات.

ويحتمِلُ لو يطلِّقوهنَّ أن يَحرُمْنَ عليهم، كما أسلمُوا وتخلَّفنَ عن الإسلامِ بعد تحريم نكاحٍ جديد[5].

وقالَ الشعبيُّ: ردَّها عليه، ولم يُحدث نكاحاً[6].

---

(١) قرأ بها السبعة عدا أبا عمرو فإنه قرأ بالتشديد. انظر: «السبعة» (ص: ٦٣٤)، و«التيسير» (ص: ٢١٠).

(٢) في (أ): «وقبل».

(٣) في (أ): «وان».

(٤) أي: نسخ ذلك بهذه الآية. انظر: «أحكام القرآن» لابن العربي (٤/ ٢٣١)، و«تفسير القرطبي» (٢٠/ ٤١٦).

(٥) كذا جاءت هذه العبارة في النسخة (أ)!!

(٦) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (١٢٦٤٠)، وسعيد بن منصور في «سننه ـ التفسير» (٢١٠٧). ورواه أبو داود (٢٢٤٠)، والترمذي (١١٤٣)، وابن ماجه (٢٠٠٩)، عن ابن عباس رضي الله عنهما. وقال الترمذي: «هذا حديث ليس بإسناده بأس، ولكن لا نعرف وجه هذا الحديث، ولعله قد جاء هذا من قبل داود بن حصين من قبل حفظه». =

وقيلَ: ﴿وَلَا تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ﴾ نهيٌ عن ابتداءِ عقدِ نكاحِ الكافرةِ المشركةِ.

وقيلَ: الأخذُ بالعصمةِ هو الأخذُ بالأيدي، وهو كنايةٌ عن التَّزويجِ.

﴿وَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقْتُمْ﴾؛ أي: إن لحقَت المرأةُ منكم بأهلِ العهدِ من الكفَّارِ مُرتدَّةً فمنعوها منكم فعليهم أن يَغْرَموا صداقَها كما تَغْرَمون لهم، وإن لم يَغْرَموا فحكمُه في الآيةِ بعد هذه.

﴿ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ﴾؛ أي: ما ذكرَ في هذه الآيةِ.

في الخبرِ: «أنَّ المسلمينَ قالوا: رضينا بما حكمَ اللهُ، وكتبُوا إلى المشركين، فامتنعوا، فنزلَ قولُه: ﴿وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ﴾»[1]؛ أي: أَعْجَزَكم امرأةٌ ذهبَت مرتدَّةً، فلحقَت بأهلِ مكَّةَ كافرةً.

نزلَت في أمِّ الحكمِ بنتِ أبي سفيانَ ارتدَّت وتركَت زوجَها عياضَ بنَ غَنْمٍ القرشيَّ[2]،...

= وروى الترمذي قبله (١١٤٢) حديث عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده أن رسول الله ﷺ رد ابنته زينب على أبي العاص بن الربيع بمهر جديد ونكاح جديد، وقال: هذا حديث في إسناده مقال، والعمل على هذا الحديث عند أهل العلم: أن المرأة إذا أسلمت قبل زوجها ثم أسلم زوجها وهي في العدة أن زوجها أحق بها ما كانت في العدة، وهو قول مالك بن أنس، والأوزاعي، والشافعي، وأحمد، وإسحاق.

(١) رواه بمعناه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٢٠٤)، والبخاري (٢٧٣٣)، عن الزهري، والبخاري (٢٧٣٣).

(٢) رواه ابن أبي حاتم كما في «فتح الباري» (٩/ ٤٢٢) عن الحسن في قوله تعالى: ﴿وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ﴾ قال: «نزلت في أم الحكم بنت أبي سفيان، ارتدت فتزوجها رجل ثقفي، ولم ترتد امرأة من قريش غيرها، ثم أسلمت مع ثقيف حين أسلموا».

وهذا معارض بما رواه البخاري (٢٧٣٣) عن الزهري من قوله: «وما نعلم أحدًا من المهاجرات =

ولم ترتدَّ امرأةٌ من قريشٍ غيرها، ثمَّ عادَت إلى الإسلامِ[(١)].

﴿فَعَاقَبْتُمْ﴾؛ أي: فبادَلْتم، ومنه: الاعتقابُ، وهو أخذُ الشَّيءِ بدلاً عن الشَّيءِ، ومنه: العُقْبةُ في الكِراءِ؛ أي: أي: فأردْتُم أن تحبسوا مهراً قصاصاً عن مهرٍ فافعلوا، وذلك أن يُصرَفَ إلى هذا الزَّوجِ المسلمِ حقَّه ممَّا وجبَ على المسلمين بسببِ مَن هاجرَت منهم إلينا، والعقبُ: ما في أيدي المؤمنين من صَدَاقِ نساءِ الكفَّارِ حين هاجرنَ مؤمناتٍ.

وقيلَ: فأصبتُم عُقْبَى؛ أي: بدلاً من الفائتةِ، فآتوا ذلك هذا الَّذي فاتَ حقُّه.

وقيلَ: ﴿فَعَاقَبْتُمْ﴾؛ أي: لـم تَعْفُوا عمَّا يجب لكم عليهم من العقابِ، كما أنَّهم لـم يعفوا عمَّا وجبَ لهم.

وقد قيل: إنَّ المشركين رضُوا بهذا الحكمِ لأنَّه كانَ شرطاً بينهم وبين المسلمين في قولِ قومٍ، أو لأنَّهم رأَوا ذلك عدلاً وإن لـم يكن شرطاً، وعلى هذا فالمعنى: ﴿وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ﴾ غيرِ هؤلاء الذين جرى العهدُ معهم ولم يرضَوا

= ارتدت بعد إيمانها».

قال ابن حجر: «فإن ثبت هذا ـ يعني: خبر الحسن ـ استثني من الحصر المذكور في حديث الزهري؛ لأن أم الحكم هي أخت أم حبيبة زوج النبي ﷺ، وقد تقدم في حديث بن عباس أنها كانت تحت عياض بن غنم، وظاهر سياقه أنها كانت عند نزول قوله تعالى: ﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾ مشركة، وأن عياض بن غنم فارقها لذلك فتزوجها عبد الله بن عثمان الثقفي، فهذا أصح من رواية الحسن».

قلت: يشير إلى ما رواه البخاري (٥٢٨٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كانت أم الحكم بنت أبي سفيان تحت عياض بن غنم الفهري، فطلقها فتزوجها عبد الله بن عثمان الثقفي».

(١) وذكر الثعلبي في «تفسيره» (٢٦/ ٣١٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما أنهن ست نسوة، وعدهن، والكلام فيهن إن ثبت كالكلام على أم الحكم بنت أبي سفيان.

بهذا الحكمِ ﴿فَعَاقَبْتُمْ﴾؛ أي: فأصبتُم غنيمةً، ﴿فَـَٔاتُوا۟﴾ الرِّجالَ ﴿ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم﴾ إلى مَن لا عهدَ بينكم وبينهم من الكفَّارِ عوضَ المهرِ الَّذي ﴿أَنفَقُوا۟﴾ على أولئك النِّساءِ من تلك الغنيمةِ.

وقيلَ: من رأسِ الغنيمةِ كالرضخ[٢].

وقيلَ: من الفيءِ [من] سهمِ[٣] النَّبيِّ عليه السَّلام من الغنيمة؛ لأنَّه للمصالحِ، وعلى هذا فـ﴿عَاقَبْتُمْ﴾؛ أي: أصبتُم عُقبى من غزوٍ تغزونه، وهي الغنيمةُ، والعُقبى في معنى العاقبةِ، فالغنيمةُ في معنى الخَلَفِ للغاري ممَّا يبذلُه من المؤنِ، ويأتي به منَ العمل.

وقيلَ: فحاربتُم الكفَّارَ وعاقَبْتُموهم فغنِمْتُم، فعلى هذا فلا بدَّ[٤] مِن إضمارِ (فغنمتم).

وجملةُ الأمرِ: أنَّ المرأةَ إذا ارتدَّت وخرجَت إلى قومٍ معهم عهدٌ بما أنفقَ زوجُها المسلمُ عليها نردُّ عليه ممَّا وجبَ للكفَّارِ بسببِ المرأةِ الَّتي هاجرَت منهم إلينا، وإن ارتدَّت وخرجَت إلى قومٍ لا عهدَ بيننا وبينهم نغرمُ لزوجِها ما أنفقَ من المهرِ في الغنائم نظراً للزَّوجِ.

وقيلَ: أي: إذا هربَت امرأةٌ مسلمةٌ وارتدَّت إلى بلادِ الكفرِ، وتزوَّجَها كافرٌ، ولم تقدروا على أخذِ المهرِ الَّذي بذلَه زوجُها ﴿فَعَاقَبْتُمْ﴾؛ أي: فحاربتُم أولئك الكفَّارَ وظفِرْتم بهم، فخذوا ذلك منهم الآن قهراً وادفعوه إلى الزَّوجِ المسلمِ.

---

(٢) في (أ): «كالرخص»، والصواب المثبت.

(٣) في (أ): «بينهم»، والصواب المثبت، وما بين معكوفتين زيادة يقتضيها السياق.

(٤) في (أ): «فعلى هذا فلأنه»، والصواب المثبت.

وقيلَ: أي: إذا امتنعوا من أن يَغرموا مهرَ هذه التي ذهبَت إليهم، فانبذوا العهدَ إليهم، حتَّى إذا ظفِرْتُم فخذوا ذلك منهم.

وقوله: ﴿شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ﴾؛ أي: من مهورِ زوجاتِكم.

وقيلَ: أي: إن فاتَكم أحدٌ من النِّساءِ إلى الكفَّارِ، ولم يُمْكِنْكم ردُّها، فـ﴿شَيْءٌ﴾ بمعنى: أحدٌ.

والنَّفقةُ هاهنا: المهرُ الَّذي مُلِكت المرأةُ به، وإنَّما الغرامةُ في ذاتِ الزَّوجِ، فإن لـم يكن لها زوجٌ فلا غرمَ.

والأكثرون على أنَّ هذا الحكمَ إنَّما كانَ في ذلك الوقتِ الَّذي جرى العهدُ بينهم وبينَ رسولِ اللهِ عليه السَّلام، وهو منسوخٌ الآنَ.

وقالَ قومٌ: هو ثابتُ الحكمِ الآن أيضاً.

* * *

(١٢) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

قولُه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ﴾ لـمَّا فتحَ رسولُ اللهِ عليه السَّلام مكَّةَ جاءته نساءُ أهلِ مكَّةَ يُبايعنه، فأُمِرَ أن يأخذَ عليهنَّ أن لا يُشركنَ إلى قولِه: ﴿وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ﴾، وعنى بقتلِ الولدِ: الوأدَ، وإسقاطَ الولدِ بالحيلةِ.

﴿وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾؛ أي: لا يُلحِقنَ بالزَّوجِ ولداً ليس منه، وقولُه: ﴿بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾؛ أي: يفترِيْنَه على أنفُسِهنَّ، فيقلن: نحن ولَدْنا، وإذا وضعَت المرأةُ الولدَ سقطَ بين يديها ورجليها.

وهذا عامٌّ في الإتيانِ بولدٍ من زناً وإلحاقِه بالزَّوجِ وإن سبقَ النَّهيُ عن الزِّنى، وفي المرأةِ تلتقطُ المولودَ وتقولُ لزوجِها: «هذا ولدي منك» بهتاناً وافتراء.

وقالَ الضَّحَّاكُ: هذا نهيٌ عن البهتان؛ أي: لا يَعْضَهْنَ رجلاً ولا امرأةً ببهتانٍ[(١)].

وإذا قذفَتِ المرأةُ غيرَها فقد بهتَت ما بين يدي المقذوفةِ ورجليها؛ إذ نفَت عنها ولداً قد ولدَت، أو ألحقَت بها ولداً [لم] تلده إذا قذَفَتْها بالزِّنى ممَّن هو منه.

وقد قالَ عبادةُ بن الصَّامتِ: أخذَ علينا رسولُ اللهِ عليه السَّلام كما أخذَ على النِّساءِ: «ألا تشركوا باللهِ شيئاً، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادَكم، ولا يَعْضَهْ بعضُكم بعضاً، ولا تعصوني في معروفٍ آمرُكم به»[(٢)].

﴿وَلَا يَعۡصِينَكَ فِي مَعۡرُوفٖ﴾ هذا عامٌّ في جميعِ ما يأمرُ به النَّبيُّ عليه السَّلام ويَنهى عنه، ويدخلُ فيه النَّوحُ وتخريقُ الثِّيابِ وجزُّ الشُّعورِ والخلوةُ بغيرِ مَحرمٍ، وسألَت امرأةٌ رسولَ اللهِ فقالَت: ما هذا المعروفُ؟ قال: «لا تَنُحْنَ»[(٣)].

ثمَّ؛ قالَ قومٌ: هؤلاء الممتحناتُ، قالَت عائشةُ: إنَّ المهاجراتِ كنَّ إذا أتينَ قعدنَ عند رسولِ اللهِ عليه السَّلام فيقولُ لهنَّ: «أبايعُكنَّ على أنَّ لا تشركنَ باللهِ شيئاً...» إلى آخرِ الآية، فإذا أقررنَ بذلك قالَ: «قد بايعتُكنَّ، فارتَفِعنَ»، لا والذي

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ٤٢٨) وزاد: «أي: بسحر»، وفي «التيسير» لأبي حفص النسفي (١٤/ ٣٩٧) عن الضحاك: «لا يقذفن رجلًا ولا امرأة بالزنى».

(٢) رواه بنحوه مسلم (١٧٠٩)، وأصله عند البخاري (٧٢١٣) دون قوله: «كما أخذ على النساء».

(٣) رواه الترمذي (٣٣٠٧) عن أم سلمة أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية ترويه عن امرأةٍ، وقال: حسن غريب.

بعثَ محمَّداً بالحقِّ ما مسَّت يدُه امرأةً قطُّ إلا امرأةً أحلَّها اللهُ له أو من قرابتِه، وكنَّ إذا أقررنَ بهذا الكلامِ، فهي المحنةُ[١].

وقالَ قومٌ: هؤلاء غيرُ الممتحناتِ، فهنَّ نساءُ أهلِ مكَّةَ. وروى أبو فُليحٍ قال: كانَ رسولُ اللهِ عليه السَّلام يبايعُ النِّساءَ وبين يدِه وأيديهنَّ ثوبٌ[٢]، وكانَ يشرطُ عليهنَّ.

وقيلَ: جلسَ على الصَّفا ومعه عمرُ، فجعلَ يشترطُ على النِّساءِ البيعةَ، وعمرُ يُصافحُهنَّ[٣].

وفي روايةِ عائشةَ: كانَ يُبايعُهنَّ بالكلامِ[٤].

وقالَت أمُّ عطيَّةَ: لـمَّا قدمَ رسولُ اللهِ ﷺ المدينةَ جمعَ نساءَ الأنصارِ في بيتٍ، ثمَّ أرسلَ إلينا عمرَ بنَ الخطَّابِ، فقامَ على البابِ فسلَّمَ فردَدْنا عليه السَّلامَ، فقالَ: أنا رسولُ رسولِ اللهِ إليكنَّ، تُبايِعْنَ على أنَّ لا تُشركنَ باللهِ شيئاً... الآيةَ، فقلنَ: نعم،

---

(١) رواه بنحوه البخاري (٤٨٩١)، ومسلم (١٨٦٦).

(٢) رواه سعيد بن منصور في «سننه ـ التفسير» (٢٢١٠) و(٢٢١١)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٦/ ٣٢٢) عن الشعبي مرسلاً. وهو مخالف لما ثبت في الصحيح عن عائشة رضي الله عنه ولما رواه الإمام مالك في «الموطأ» (٢/ ٩٨٢)، والإمام أحمد في «المسند» (٢٧٠٠٧)، والترمذي (١٥٩٧) وصححه، والنسائي (٤١٨١)، وابن ماجه (٢٨٧٤)، عن أُميمةَ بنت رُقَيقةَ حديث البيعة، وفيه: قالت: ولم يُصَافِح رسولُ الله ﷺ منا امرأةً.

وفي رواية: قُلْتُ: يا رسول الله، بايِعْنا، قال: «إني لا أصافح النساء، إنما قولي لامرأة قولي لمِئة امرأة».

ففي هذا الحديث تعميم امتناعه ﷺ من المصافحة، ولو وقع ذلك بحائل لذكر.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٦/ ٣٢٢) من قول الكلبي، والكلبي متروك لا يصح خبره.

(٤) تقدم قريباً.

فمدَّ يدَه مِن خارجِ البيتِ، ومددنا أيدَينا مِن داخلِ البيتِ، ثمَّ قال: اللَّهمَّ اشهدْ(١).

وروَى عمرُو بنُ شُعيبٍ عن أبيه عن جدِّه: أنَّ النَّبيَّ عليه السَّلام [لمَّا قالَ] عامَ الفتحِ في بيعةِ النِّساءِ: «ولا يَسرقْنَ» قالَت هندٌ: لقد أصبتُ من مالِ أبي سفيانَ ما لا أدري أيَحلُّه لي أم لا؟ فقالَ أبو سفيان: ذلك حلالٌ لكِ. وقالَ عليه السَّلام: «وأنتِ هندٌ؟» قالَت: نعم، فاعفُ عمَّا سلفَ. فلمَّا قال: «ولا يزنينَ» قالَت: وهل تزني الحُرَّة؟ فلمَّا قال: «ولا يقتلنَ أولادَهنَّ» قالَت: ربَّيناهم صغاراً، وتقتلُهم كباراً؟! ثمَّ قالَت: واللهِ لا تأمرُنا إلَّا بمكارمِ الأخلاقِ(٢).

***

---

(١) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٢٠٧٩٧)، والبزار في «مسنده» (٢٥٢)، وابن حبان في «صحيحه» (٣٠٤١)، عن أم عطية رضي الله عنها، وقوله في الحديث: «فمدَّ يدَه مِن خارجِ البيتِ، ومددنا أيدَينا مِن داخلِ البيتِ» لا يدل على المصافحة، بل قد يكون مد الأيدي بالإشارة فقط، قال ابن حجر في «فتح الباري» (٨/ ٦٣٦): «ويمكن الجواب... بأن مد الأيدي من وراء الحجاب إشارة إلى وقوع المبايعة وإن لم تقع مصافحة».

وقال الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (٣/ ٤٦٤): «وفي الصحيح ما يدفع هذه الروايات»، وذكر حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) رواه ابن أبي حاتم مختصرًا في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٥١) عن مقاتل بن حيان. وذكره مقاتل بن سليمان في «تفسيره» (٤/ ٣٠٦).

ورواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٨/ ١٨٨ ـ ١٨٩) عن ميمون بن مهران وعن الشعبي.

ورواه بنحوه أبو يعلى في «مسنده» (٤٧٥٤)، ومن طريقه المزي في «تهذيب الكمال» (٣٥/ ٢٤٥)، وابن الملقن في «البدر المنير» (٨/ ٥٩٣)، من حديث عائشة رضي الله عنها. وإسناده ضعيف أيضاً، قال ابن الملقن: وفي إسناده نسوة لا يعرفن.

ورواه االطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٥٩٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وإسناده ضعيف.

ورواه أبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٧٨٦٨) عن عروة.

(١٣) ـ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْقُبُورِ﴾.

قولُه تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ ختمَ السُّورةَ بما بدأها مِن تركِ موالاةِ الكفَّارِ، [وهو] خطابٌ لحاطبِ بنِ أبي بلتعةَ وغيرِه، وكانَ قومٌ من المسلمين يحدِّثونَ اليهودَ بأخبارِ النَّبيِّ عليه السَّلامُ ويُصيبون من ثمارِهم، فنُهوا عنه.

﴿قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾؛ أي: هم آيسون من الآخرةِ وثوابِها ﴿كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ﴾ الذين ماتوا ﴿مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْقُبُورِ﴾؛ إذ اعتقدوا أنَّهم لا يُبعَثون.

وقيلَ: كما يئسَ الكفَّارُ الذين ماتوا من الجنَّةِ، وعن أن يكونَ لهم نصيبٌ في الآخرةِ من الثَّوابِ، واللهُ أعلمُ بالصَّوابِ.

* * *

سُورَةُ الصَّفِّ

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) ـ ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

قولُه تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ بيَّنَ أنَّ اللهَ هو المسبَّحُ بكلِّ لسانٍ، فشهدَ كلُّ مخلوقٍ إمَّا قولاً وإمَّا دلالةً على كمالِ قدرتِه وتنزُّهِه وعظمتِه.

***

(٢) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ قيلَ: قالَتِ الصَّحابةُ: ودِدْنا أن يخبرَنا الرَّبُّ بأحبِّ الأعمالِ إليه حتَّى نعملَه ولو ذهبَت فيه أموالُنا وأنفسُنا، فأنزلَ اللهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا﴾ [الصف: ٤]، وقولَه: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم﴾ [الصف: ١٠]، فكرهوا الموتَ، وتولَّوا يومَ أُحُدٍ، فنزلَ: ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[1].

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٥٤) عن مقاتل بن حيان، وذكره الواحدي في «البسيط» (٢١/ ٤٣١) عن مقاتل ومجاهد وعطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما.

ورواه بنحوه من حديث ابن عباس: الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٦٠٧) من طريق عطية العوفي، و(٢٢/ ٦٠٦) من طريق علي بن أبي طلحة، وعبد بن حميد وابن مردويه كما في «الدر المنثور» (٨/ ١٤٦). وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٦/ ٣٤١).

وروى الترمذي (٣٣٠٩) عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه، قال: قعدنا نفر من أصحاب رسول الله =

وقيلَ: كانَ الرَّجلُ يقولُ: قاتلتُ، ولم يُقاتل، و: طعنتُ، ولم يَطعن، فنزلَتِ الآيةُ[١].

وقيلَ: نزلَت في المنافقينَ كانُوا يَقولون ما لا يَعتقدون.

وقيلَ: وجهُ العتابِ أَنَّهم قالوا: ما أحبُّ الأعمالِ إلى اللهِ؟ وبَحَثوا[٢] عمَّا لا يَعنيهم، وشدَّدُوا على أنفسِهم، وكانَ من حقِّهم أن يقتصروا على ما أَمرَ به الرَّسولُ، ولا يطلبوا المزيدَ، ومثلُه: ﴿لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ [المائدة: ١٠١].

* * *

(٣) - ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: مَن قالَ شيئاً ولم يفعلْه مقتَه اللهُ مقتاً كبيراً، و﴿مَقْتًا﴾ نصبٌ على التَّمييزِ؛ أي: كبُرَ أن تقولوا ما لا تفعلون[٣] مقتاً عندَ الله.

وقالَ النَّخعيُّ: ثلاثُ آياتٍ منعَتْني أن أقصَّ على النَّاسِ: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ﴾

= ﷺ فتذاكرنا، فقلنا: لو نعلم أيَّ الأعمال أحب إلى الله لعملناه، فأنزل الله تعالى ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾، قال عبد الله بن سلام: فقرأها علينا رسول الله ﷺ قال أبو سلمة: فقرأها علينا ابن سلام قال يحيى: فقرأها علينا أبو سلمة قال ابن كثير: فقرأها علينا الأوزاعي قال عبد الله: فقرأها علينا ابن كثير»، وهو الحديث المعروف بالمسلسل بسورة الصف.

(١) روى نحوه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٢٠٩) عن قتادة، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٥٢٧) عن عكرمة، وذكره الواحدي في «البسيط» (٢١/ ٤٣١) عن قتادة والضحاك.

(٢) في (أ) غير واضحة، والمثبت هو الأقرب إلى الرسم.

(٣) في (أ): «أي كبيرا أي تقولوا ما لا تفعلون»، والصواب المثبت.

[البقرة: ٤٤]، و﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُ﴾ [هود: ٨٨]، و﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾[1].

* * *

(٤) ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ﴾.

قولُه تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا﴾ والمفعولُ مضمرٌ؛ أي: يَصفُّون أنفسَهم صفاً ﴿كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ﴾ قالَ الفرَّاءُ: مرصوصٌ بالرَّصاصِ[2]. وقالَ: هو من رصَصْتُ البناءَ: إذا لاءَمتَ بينه وقارَبتَ حتَّى يصيرَ كقطعةٍ واحدةٍ[3].

وقيلَ: هو من الرَّصِيصِ، وهو انضمامُ الأسنانِ بعضِها إلى بعضٍ، والتَّراصُّ: التَّلاصقُ، ومنه [«تراصوا في الصف»][4] أي: تلاصَقوا في الصُّفوفِ، ومعنى الآيةِ: يُحبُّ مَن يثبتُ في الجهادِ في سبيلِه ويلزمُ مكانَه كثبوتِ البناءِ.

وقيلَ: هو أن تستويَ نيَّاتُهم في حربِ عدوِّهم حتى يكونوا في اجتماعِ الكلمةِ كالبنيانِ المرصوصِ.

---

(١) ذكره أبو حفص النسفي في «التيسير» (١٤/ ٤٠٧)، والقرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ٤٣٦). وروى نحوه البيهقي في «الشعب» (٧٥٦٩)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٣/ ٧٣)، عن ابن عباس في قصة أنه وعظ بهن رجلًا جاءه يريد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٥٣).

(٣) ذكر نحوه الزجاج في «معاني القرآن» (٥/ ١٦٤)، وعبارته: «أي بنيان لاصق بعضُه ببَعْض لا يغادر بَعْضُه بَعْضاً. فأعلم الله ـ عز وجل ـ أنه يحب من يثبت في الجهاد في سبيله ويلزم مَكَانَهُ كَبُيُوتِ البناء المرْصُوصِ». وذكر نحوه الواحدي في «البسيط» (٢١/ ٤٣٢) عن الليث.

(٤) ما بين معكوفتين من «البسيط» (٢١/ ٤٣٢)، والحديث رواه البخاري (٧١٩) عن أنس رضي الله عنه بلفظ: «أقيموا صفوفكم وتراصوا».

(٥) - ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ﴾ لمَّا ذكرَ من الجهادِ [ما ذكَرَ][1] بيَّنَ أنَّ موسى وعيسى أُمرا بالتَّوحيدِ وجاهَدا في سبيلِ اللهِ، وحلَّ العقابُ بمَن خالفَهم؛ أي: واذكر لقومِك هذه القصَّةَ.

﴿يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى﴾ كانَ إيذاؤُهم له بمخالفةِ أمرِه وبإساءةِ القولِ فيه، وقد قالَ: ﴿لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟﴾ [الأحزاب: ٦٩]، وذلك أنَّهم قالوا: إنَّه آدرُ[2]، واغتسلَ وفرَّ الحجرُ بثوبِه حتَّى نظروا إليه، وعلموا براءتَه ممَّا قالوا[3].

ومِنَ الأذى قولُه: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، وقولُهم: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ﴾ [المائدة: ٢٤].

﴿وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾؛ أي: لم تؤذونَني مع معرفتِكم بأنِّي رسولُ اللهِ، وحقُّ الرَّسولِ أن يُحترمَ ويُوقَّرَ.

﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾؛ أي: مالوا إلى غيرِ الحقِّ، فأمالَ اللهُ قلوبَهم عن الحقِّ.

وقيلَ: لمَّا تركُوا ما أُمِروا به من احترامِ الرَّسولِ وطاعةِ الرَّبِّ خلقَ اللهُ تعالى في قلوبِهم الضَّلالةَ عقوبةً لهم على فعلِهم.

---

(١) ما بين معكوفتين زيادة يقتضيها السياق.

(٢) من الأدرة: وهي نفخة في الخصية. انظر: «جامع الأصول» (٢/ ٣٢٣).

(٣) رواه البخاري (٣٤٠٤)، ومسلم (٣٣٩)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وقيلَ: لمَّا زاغوا في علمِه فعلمَ أنَّهم لا يُؤمنون أجرى عليهم اللَّعنَ، وإيذاءُ النَّبيِّ والاستخفافُ به كفرٌ.

وقيلَ: زاغُوا عن الإيمانِ فأزاغَ الله قلوبَهم عن الثَّوابِ.

﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ إلى ثوابِه وجنَّتِه.

* * *

(٦) ـ ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾.

قولُه تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾؛ أي: واذكر لهم هذه القصَّةَ أيضاً.

﴿مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾؛ لأنَّ في التَّوراةِ صفتي، ولأنِّي لم آتِكم بشيءٍ يُخالفُ التَّوراةَ فتنفِروا عنِّي.

﴿ومبشِّراً برَسُولٍ يأتي مِن بَعْدِيَ اسمُه أحمدُ﴾ قُرِئَ بتحريكِ الياءِ إلى الفتحِ، وقُرِئَ ﴿مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ بحذفِ الياءِ من اللَّفظِ[1].

﴿أَحْمَدُ﴾ قيلَ: مبالغةٌ من الفاعلِ؛ أي: أكثرُ حمداً للهِ من غيرِه.

وقيلَ: مبالغةٌ من المفعولِ؛ أي: يُحمَدُ لِمَا فيه من الأخلاقِ الجميلةِ أكثرَ ممَّا يُحمَدُ به غيرُه.

وإذا كانَ في الإنجيلِ البشارةُ به، والإنجيلُ مصدِّقٌ لـمَا في التَّوراةِ، ففي التَّوراةِ البشارةُ به، وأهلُ الإنجيلِ يقولون فيه: «أنا أذهبُ وسيأتيكم من جبالِ فارانَ روحُ الحقِّ الَّذي لا يتكلَّمُ من قِبَلِ نفسِه، إنَّما يقولُ كما يُقالُ له».

---

(١) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وأبو بكر عن عاصم بفتح الياء، والباقون بسكونها. انظر: «السبعة» (ص: ٦٣٥)، و«التيسير» (ص: ٢١٠).

والفارقليطُ بلسانِهم هو المحمودُ، وهو معنى أحمد، وجبالُ فارانَ جبالُ تهامةَ.

وهذه البشارةُ ثابتةٌ عند النَّصارى بالتَّواترِ، ولكنَّهم اختلفوا في التَّأويلِ، ويجوزُ منَ الجمعِ الكبيرِ الخطأُ في التَّأويلِ، فحملَه بعضُهم على تلامذةِ عيسى؛ إذ ظهرَت لهم معجزاتٌ، وحملَه بعضُهم على [...][١]، وبعضُهم على نبيٍّ عيَّنوه وادَّعوا نبوَّتَه بعد عيسى.

﴿فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾؛ أي: بإحياءِ الموتى؛ أو[٢]: بإبراءِ الأكمهِ والأبرصِ ونحوِهما.

﴿قَالُوا﴾؛ أي: قالَ المعظَمُ من بني إسرائيلَ: ﴿هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾؛ أي: ليس من عندِ الله.

وقيلَ: أي: فلمَّا جاءَهم أحمدُ بالبيِّناتِ بعدَ تقدُّمِ بشارةِ موسى وعيسى به قالَت بقايا بني إسرائيلَ: ﴿هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾.

* * *

(٧) - ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ﴾ هذا العجبُ ممَّن كفرَ بعيسى ومحمَّدٍ بعدَ المعجزاتِ الَّتي ظهرَت لهما.

﴿وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ﴾؛ أي: الدِّينِ الحنيفيِّ الَّذي هو الإسلامُ.

وقيلَ: وهو يُدعى إلى الإسلامِ الَّذي يَدينُ به إبراهيمُ؛ أي: الَّذي يعظِّمُه بنو إسرائيلَ، وتفتخرُ به العربُ؛ أي: لا أجدُ أظلمَ منه.

* * *

---

(١) في (أ): كلمة لم يتضح لي معناها رسمها هكذا: «ماني».

(٢) في (أ): «أي»، والصواب المثبت، ويجوز الواو أيضاً.

(٨) ـ ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: يريدُ هؤلاء الذين كذَّبوا محمَّداً أن يُطفئوا نورَ اللهِ الَّذي أنزلَ على محمَّدٍ ﴿بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾؛ أي: بقولِهم: إنَّه سحرٌ، وليس لهم حجَّةٌ على ذلك، ونظيرُه: ﴿ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ﴾ [الأحزاب: ٤] لأنَّه يؤيِّدُه بالحجَّةِ.

﴿وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ﴾ حتَّى يظهرَ في الآفاقِ.

قُرِئَ ﴿متمٌّ نورَه﴾ بالتَّنوينِ؛ لأنَّه أرادَ المستقبلَ، وقُرِئَ ﴿مُتِمُّ نُورِهِۦ﴾ بالإضافةِ(١)، ولا بدَّ من نيَّةِ التَّنوينِ، كما في قولِه: ﴿هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾ [الأحقاف: ٢٤]، و﴿هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ﴾ [المائدة: ٩٥].

﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ من سائرِ الأصنافِ.

* * *

(٩) ـ ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾؛ أي: محمَّداً بالحقِّ والرَّشادِ ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾؛ أي: بالحججِ، ومنَ الإظهارِ: الغلبةُ في اليدِ بالقتالِ، وليس المرادُ بالظُّهورِ أن لا يبقي دينٌ آخرُ من الأديانِ، بل المرادُ أن يكونَ أهل الإسلامِ عالين غالبين، ومن الإظهارِ: أن لا يبقي دينٌ سوى الإسلامِ في آخرِ الزَّمانِ.

وقيلَ: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ﴾؛ أي: ليُطلِعَ محمَّداً على سائرِ الأديانِ حتَّى يكونَ عالماً بها عارفاً بوجوهِ إبطالِها، وبما حرَّفُوا وغيَّرُوا منها.

---

(١) قرأ بالإضافة ابن كثير وحمزة والكسائيُّ وعاصم في رواية حفص، والباقون بالتنوين. انظر: «السبعة» (ص: ٦٣٥)، و«التيسير» (ص: ٢١٠).

وقالَ أبو هُريرةَ: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ بخروجِ عيسى، وحينئذٍ لا يبقى كافرٌ إلا أسلمَ[1].

﴿عَلَى ٱلدِّينِ﴾؛ أي: على الأديانِ؛ لأنَّ ﴿ٱلدِّينِ﴾ مصدرٌ يُعبَّر به عن الجمع.

* * *

(١٠ ـ ١٣) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ﴾؛ أي: هل تقبلونَ منِّي فأدلَّكم إلى ما ينفعُكم؟ وهذا ترقيقُ الخطاب.

وقيلَ: سأدلُّكم.

والتِّجارةُ: الجهادُ، قالَ اللهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾، ثمَّ قال: ﴿يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، ثمَّ قالَ: ﴿فَٱسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ﴾ [التوبة: ١١١].

وهذا الخطابُ للمؤمنين. وقيلَ: لأهلِ الكتاب.

قولُه تعالى: ﴿تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ﴾ هذا بيانُ التِّجارةِ.

قولُه تعالى: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾؛ أي: ما سلفَ منها.

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣١٨٧٥)، والطبري في «تفسيره» (١١/ ٤٢٣) و(٢٢/ ٦١٥)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٣٥٥).

قالَ الزَّجَّاجُ: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ﴾ جوابُ ﴿تُؤْمِنُونَ﴾؛ لأنَّ المعنى معنى الأمرِ، وفي قراءةِ عبدِ اللهِ: (آمنوا باللهِ)(١).

وقالَ الفرَّاءُ: جُزِمَ ﴿يَغْفِرْ﴾ بـ﴿هَلْ﴾، ومعنى ﴿هَلْ﴾ الأمرُ، تقولُ: هل أنت ساكتٌ؟ أي: اسكتْ(٢).

وأَدْغمَ بعضُهم فقالَ: (يغفِلَّكم) والأحسنُ تركُ الإدغامِ؛ لأنَّ الرَّاءَ حرفٌ متكرِّرٌ قويٌّ، فلا يَحسنُ إدغامُه في اللَّامِ؛ لأنَّ الأقوى لا يُدغَمُ في الأضعفِ(٣).

قولُه: ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا﴾؛ أي: وتجارةٍ أخرى، عطفاً على قولِه: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ﴾.

وقيلَ: أي: ولكم تجارةٌ أخرى تحبُّونها.

﴿نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ﴾؛ أي: وهي نصرٌ، وقولُه: ﴿نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ ليس تفسيرَ التِّجارةِ؛ لأنَّ نصرَ اللهِ ربحُ التِّجارة، لا التِّجارةُ، بل هو تفسيرُ ﴿وَأُخْرَىٰ﴾.

وقالَ ابنُ عبَّاس: يريدُ فتحَ فارس والرُّوم(٤).

وقيلَ: فتحَ مكَّةَ والنَّصرَ على كفَّارِ قريشٍ.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ١٦٦)، وقراءة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٥٦). وانظر التعليق الآتي.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٥٤)، وعبارته: وقوله: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ﴾ جُزمت في قراءتنا في ﴿هَلْ﴾ وفي قراءة عبد الله للأمر الظاهر؛ لقوله: (آمِنوا)، وتأويل: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ﴾ أمرٌ أيضًا في المعنى، كقولك للرجل: هل أنت ساكت؟ معناه: اسكت».

(٣) نقل ابن مجاهد في «السبعة» (ص: ١٢١) إدغام الراء في اللام تحركت أو سكنت عن أبي عمرو.
وذكره ابن الجزري في «النشر» (٢/ ١٢) من رواية السوسي عن أبي عمرو، قال: «واختلف عنه من رواية الدوري» وذكر تفصيل الخلاف عن الدوري فيمن روى عنه.
وذكر الزجاج هذا الإدغام في «معاني القرآن» (٥/ ٢٢) عن أبي عمرو، ونقل عن سيبويه والخليل عدم جوازه.

(٤) ذكره عن ابن عباس الواحدي في «البسيط» (٢١/ ٤٣٩)، وذكره في «الوسيط» (٤/ ٢٩٣) عن عطاء.

(١٤) - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ﴾ أكَّدَ الأمرَ بالجهاد؛ أي: كونوا حواريَّ نبيِّكم ليُظهرَكم اللهُ على مَن خالفَكم كما أظهرَ حواريَّ عيسى على مَن خالفَهم منهم.

﴿كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾؛ أي: إنِّي أقولُ لكم: انصروا الدِّين، كما قالَ عيسى.

وقولُه: ﴿مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾؛ أي: كونوا أنصارَ الله.

وقيلَ: فيه إضمارٌ؛ أي: قل لهم يا محمَّدُ: كونوا أنصارَ الله كما فعلَ أصحابُ عيسى.

والحواريُّون: خواصُّ الرُّسلِ.

قالَ معمرٌ: قد كانَ ذلك بحمدِ الله؛ أي: نصروه، وهم سبعون رجلاً بايعوه عند العقبةِ، وآوَوه حتَّى أظهرَ اللهُ دينَه[1].

وقيلَ: اثنان وسبعون رجلاً.

وقيلَ: هم من قريشٍ، كأبي بكرٍ وعمرَ وعثمانَ وعليٍّ وحمزةَ وجعفرٍ وأبي عُبيدةَ وأمثالِهم.

ولمَّا كانَت ليلةُ العقبةِ قالَ بعضُهم: تدرون علامَ تبايعون هذا الرَّجلَ؟ تبايعونه على محاربةِ العربِ كلِّها أو يُسلموا، فقالَ رجلٌ منهم لرسولِ اللهِ: اشترطْ لنفسِك

---

(١) رواه بمعناه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٢١١)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٦٢٠) من طريق معمر عن قتادة.

ولربِّك بما شئتَ. فقالَ: «أشترِطُ لربِّي أن تعبدوه ولا تُشركوا به شيئاً، وأشترطُ لنفسي أن تمنعوني ممَّا تمنعون منه أنفسَكم وأبناءَكم»، قالوا: فإذا فعلنا ذلك فما لنا؟ قالَ: «لكم النَّصرُ في الدُّنيا، والجنَّةُ في الآخرةِ»[1].

قُرِئَ: ﴿أنصاراً للهِ﴾ بالتَّنوينِ، وقُرِئَ: ﴿أنصارَ اللهِ﴾ بالإضافة[2].

وقيلَ: ﴿مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾؛ أي: من أنصاري فيما يُقرِّبُ إلى اللهِ، كما يُقالُ في الدُّعاء: اللَّهمَّ منك وإليك.

وقيلَ: أي: من أنصاري مع اللهِ، كما تقولُ: الذَّودُ إلى الذَّودِ إبلٌ؛ أي: مع الذَّودِ.

﴿قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ استجَبْنا لك أيُّها المسيحُ، فنحن أنصارُ دينِ اللهِ على مَن خالفَه.

وقالَ مقاتلٌ: قالَ اللهُ لعيسى: إذا أنت دخلتَ القريةَ فائتِ النَّهرَ الَّذي عليه القصَّارون، فاسألْهم النَّصرَ، فأتاهم عيسى فقالَ: مَن أنصاري إلى اللهِ؟ قالوا: نحن ننصرُكَ. فصدَّقُوه ونصرُوه[3].

---

(١) رواه بنحوه الفاكهي في «أخبار مكة» (٢٥٤٠) عن الشعبي، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٦٢٠) عن قتادة، و(١٢/ ٦ ـ ٧) عن محمد بن كعب القرظي.

وذكره ابن العربي في «أحكام القرآن» (٢/ ٥٨٩) وقال: «وهذا مما لا يوجد صحيحاً». ومراده والله أعلم: أنه لم يرد في حديث متصل؛ لأنه أعقبه بنحوه عن الشعبي ثم قال: وهذا وإنْ كان مقطوعًا فإنَّ معناه ثابتٌ مِن طرقٍ.

(٢) قرأ بها عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي، والباقون بالأولى. انظر: «السبعة» (ص: ٦٣٥)، و«التيسير» (ص: ٢١٠).

(٣) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢١/ ٤٤٠) دون نسبة بين كلامين لمقاتل، وفي «تفسير مقاتل» =

﴿كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ﴾ والخطابُ للمؤمنين؛ أي: هو دُوموا على النُّصرةِ.

﴿فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ﴾ والطَّائفتانِ في زمانِ عيسى، ولـمَّا رُفِعَ إلى السَّماءِ تفرَّقُوا، فقالَ قومٌ: كانَ اللهَ فارتفعَ، وقالَ قومٌ: كانَ ابنَ اللهِ فرفعَه اللهُ إليه. وقالَ المسلمون: كانَ عبدَ اللهِ ورسولَه فرفعَه إلى السَّماءِ.

﴿فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ﴾؛ أي: أَيَّدنـا مـن قومِ موسـى وعيسـى مَـن آمنَ على مَـن كفرَ.

وقيلَ: أَيَّدنا الذين آمنوا على عدوِّهم؛ لأنَّ المسلمين [ظهروا على الـ]ـفرقتين[1] الضَّالتين؛ لأنَّ عيسى لـم يقاتل أحَداً، ولم يكن في دينِ أصحابِه القتالُ، وهذا التَّأييدُ بالحجَّةِ لا باليدِ.

* * *

= (٤/ ٣١٨): «وذلك أن عيسى - عليه السلام - مر بهم وهم ببيت المقدس، وهم يقصرون الثياب، والحواريون بالنبطية مبيضو الثياب، فدعاهم إلى الله فأجابوه».

(١) ما بين معكوفتين مستفاد من «البسيط» (٢١/ ٤٤١)، و«تفسير القرطبي» (٢٠/ ٤٥٠).

سُورَةُ الجُمُعَةِ

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) ـ ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾.

قولُه تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ﴾؛ أي: يُنزِّهُ الرَّبَّ تعالى كلُّ مخلوقٍ عمَّا لا يليقُ به، وهو تسبيحُ قالةٍ من البعضِ ودلالةٍ من الكلِّ.

* * *

(٢) ـ ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾.

قولُه تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ﴾؛ أي: في العربِ ﴿رَسُولًا﴾ والعربُ أمَّةٌ أُميَّةٌ لا تقرأُ ولا تكتبُ في الغالبِ.

وقالَ الزَّجَّاجُ: الأميُّ هو الَّذي يكونَ على ما خُلقَ عليه الأُمَّة قبلَ تعلُّمِ الكتابةِ، فالأمِّيُّ مَن لا يكتب(١).

وقيلَ: مَن لم يكن من أهلِ الكتابِ وإن كانَ يكتبُ.

﴿رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾؛ أي: محمَّداً عليه السَّلامُ، ونسبُه نسبُهم، وهو مِن جنسِهم، وكانَ أُمِّيّاً لم يقرأ من كتابٍ ولم يتعلَّم.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ١٦٩).

﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾؛ أي: ويطهرهم من دَنَسِ الكفرِ.

﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾؛ أي: القرآنَ والأحكامَ.

وقيلَ: هو بمعنى الإعلامِ، يُقالُ: تعلَّمَ كذا؛ أي: أعلمَه.

﴿وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾؛ [أي: ما كانوا من قبلِ بَعثِه فيهم][(1)] إلَّا في ضلالٍ، وهو الشِّركُ.

***

(٣) - ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

قولُه تعالى: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ﴾ هو عطفٌ على ﴿ٱلْأُمِّيِّـۧنَ﴾؛ أي: بعثَ في آخرينَ منهم ﴿لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ﴾ يعني: الأعاجمَ وكلَّ مَن صدَّقَ النَّبيَّ عليه السَّلامُ من العجمِ.

وقيلَ: يعني: التَّابعينَ ومَن دخلَ في الإسلامِ بعدَ النَّبيِّ عليه السَّلامُ إلى القيامةِ.

﴿مِنْهُمْ﴾؛ أي: من الأُمِّيِّين، جعلَهم منهم لأنَّهم إذا أسلموا صاروا منهم، قالَ اللهُ: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١]، ومَن لم يُؤمن بالنَّبيِّ عليه السَّلامُ فليسَ داخلاً في قولِه: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ﴾؛ لأنَّه قالَ: ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾، ومَن لم يُؤمِن، فليسَ ممَّن زَكَّى.

وقالَ الزَّجَّاجُ: يجوزُ أن يكونَ المعنى: ويعلِّمُهم ويعلِّمُ آخرين منهم[(2)].

وقيلَ: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ﴾؛ أي: الذين لم يكونوا في وقتِ النَّبيِّ عليه السَّلامُ، وهم مَن يُولَدُ من العربِ إلى قيامِ السَّاعةِ، فالتَّشرُّفُ بالنَّبيِّ عليه السَّلامُ شاملٌ لكلِّ العرب.

***

---

(١) ما بين معكوفتين من البسيط (٢١/ ٤٤٦).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ١٦٥).

(٤) ـ ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾.

قولُه تعالى: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ﴾ قالَ ابنُ عبَّاسٍ: حيثُ ألحَقَ العجمَ بقريشٍ[1].

وقيلَ: يعني: الإسلامُ فضلُ اللهِ ﴿يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾.

وقيلَ: يعني: الوحيَ والنُّبوَّةَ.

* * *

(٥) ـ ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ﴾ ضربَ لليهودِ مثلاً لـمَّا تركوا العملَ بالتَّوراةِ ولم يُؤمنوا بمحمَّدٍ عليه السَّلام؛ أي: لا فضلَ لهم عندَ الله، بل لكم أيُّها المؤمنون الفضلُ عليهم بإيمانِكم.

﴿حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ﴾؛ أي: كُلِّفُوا العملَ بها.

قالَ الزَّجَّاجُ: هو منَ الحَمالة؛ يعني: الكَفالةَ؛ أي: ضُمِّنُوا أحكامَ التَّوراةِ[2].

﴿كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾ هي جمعُ سِفرٍ، وهو الكتابُ الكبيرُ؛ لأنَّه يُسفِرُ عن المعنى إذا قُرِئَ.

قالَ ميمونُ بنُ مِهْرانَ: الحمارُ لا يدري أَسِفْرٌ على ظهرِه أم زبلٌ[3]؟ فهكذا اليهودُ.

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢١/ ٤٤٨).

(٢) لم أجده عن الزجاج، وذكره الواحدي في «البسيط» (٢١/ ٤٤٩)، والقرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ٤٥٥ ـ ٤٥٦) عن الجرجاني صاحب «النظم».

(٣) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢١/ ٤٥٠)، والقرطبي في «تفسيره» (١٨/ ٩٤).

﴿ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾؛ أي: يعملوا بها.

شبَّهَهم ـ والتَّوراةُ في أيديهم وهم لا يعملون بها ـ بالحمارِ يحملُ كُتُباً، وليس له إلا ثِقلُ الحملِ من غيرِ فائدةٍ.

﴿بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾؛ أي: بئسَ مثلُ القوم مَثَلُ الذين كذَّبوا بآياتِ الله[1]، فحُذِفَ المضافُ.

﴿بِآيَاتِ اللَّهِ﴾؛ أي: بالقرآنِ. وقيلَ: بالتَّوراةِ؛ لأنَّهم لـمَّا لـم يُؤمنوا بمحمَّدٍ، فقد تركوا التَّوراة.

***

(٦ ـ ٧) ـ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٦) وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا﴾ ادَّعَت اليهودُ الفضيلةَ، وقالوا: نحن أبناءُ اللهِ وأحبَّاؤُه، فقالَ اللهُ: قل إن كنتم أولياءَ اللهِ دونَ النَّاسِ فللأولياءِ عندَ الله الكرامةُ، فتمنَّوا الموتَ لتصيروا إلى ما يُصيِّرُ اللهُ أولياءَه.

قولُه تعالى: ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا﴾؛ أي: لا يتمنَّونَ الموتَ أبداً لسوءِ أعمالِهم، فقد بانَ بُطلانُ دعواهم، وهذا إخبارٌ عن الغيبِ، وفيه معجزةٌ للنَّبيِّ عليه السَّلام.

---

(١) في (أ): «أي: بئسَ مثلُ الذين كذَّبوا بآياتِ الله؛ أي: مثلُ القومِ الذين كذَّبوا»، والصواب المثبت، والمعنى: أنَّ ﴿مَثَلُ الْقَوْمِ﴾ فاعلُ ﴿بِئْسَ﴾ والمخصوصُ بالذَّمِّ الموصولُ بعده، فَيُشْكِلُ لأنه لا بُدَّ مِنْ تصادُقِ فاعلِ «نِعْم وبِئْسَ» والمخصوصِ، وهنا المَثَلُ ليس القومَ المكذِّبين، والجواب: أنَّه على حَذْفِ مضافٍ، أي: بِئْسَ مَثَلُ القومِ مَثَلُ الذين كَذَّبوا. وهذا هو الظاهرُ المشهور في إعرابه. انظر: «الدر المصون» (١٠/ ٣٢٧).

(٨) ـ ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ﴾؛ أي: لا يُغني الفِرارُ منه.

قالَ الزَّجَّاجُ: لا يُقالُ: إنَّ زيداً فمنطلقٌ، وهاهنا قالَ: ﴿فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ﴾؛ أي: لِـمَا في ﴿ٱلَّذِى﴾ من معنى الشَّرطِ والجزاءِ؛ أي: إن فررتُم فإنَّه مُلاقيكم[1]؛ أي: سببُ فرارِكم أنَّه مُلاقيكم، كما تقولُ: أكرمتُك؛ فإنَّكَ أهلٌ لذلك؛ أي: لأنَّك.

***

(٩) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ﴾ هذا خطابٌ للمُكلَّفِين، ويُخرَجُ منه المرضى والمسافرُ والعبيدُ والنِّساءُ بالدَّليلِ.

﴿إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ﴾؛ أي: أذَّنَ المؤذِّنُ وأعلَمَ بالصَّلاةِ، وكانَ عليه السَّلامُ إذا جلسَ على المنبرِ أذَّنَ بلالٌ على بابِ المسجدِ، ولم يكن نِداءٌ سواه، وهكذا في زمنِ أبي بكرٍ وعمرَ[2].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ١٧١).

(٢) رواه البخاري (٩١٢) و(٩١٦) عن السائب بن يزيد قال: إن الأذان يوم الجمعة كان أولُه حين يجلس الإمام يوم الجمعة على المنبر في عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فلما كان في خلافة عثمان رضي الله عنه وكثروا، أمر عثمان يوم الجمعة بالأذان الثالث فأُذن به على الزوراء، فثبت الأمر على ذلك. قال أبو عبد الله (يعني: البخاري): الزَّوْراءُ: موضعٌ بالسُّوق بالمدينة.

﴿لِلصَّلَوٰةِ﴾؛ أي: لوقتِ الصَّلاةِ ﴿مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ﴾ يعني: لصلاةِ الجمعةِ، وسُمِّيَ يومَ الجمعةِ لاجتماعِ النَّاسِ في ذلك اليومِ.

ورَوَى سلمانُ عن النَّبيِّ عليه السَّلامُ قالَ: «سُمِّيَتِ الجمعةَ لأنَّ آدمَ جُمِعَ فيها خلقُه»[1].

وقيلَ: لأنَّ اللهَ فرغَ فيه من خلقِ الأشياءِ، فاجتمعَت فيه المخلوقاتُ.

قالَ الفرَّاءُ: يُقالُ: الجُمْعة بسكونِ الميمِ، والجُمُعة بضمِّ الميمِ، والجُمَعة بفتحِ الميم، فتكونُ صفةَ اليومِ؛ أي: يجمعُ النَّاسَ، كما يُقالُ: «ضُحَكة» للَّذي يُكثِرُ الضَّحكَ[2].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٣٧١٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٥٦)، وابن خزيمة في «صحيحه» (١٧٣٢)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٦٠٨٩ ـ ٦٠٩٠ ـ ٦٠٩١ ـ ٦٠٩٢)، والحاكم في «المستدرك» (١٠٢٨) وصححه، ولفظه عند الأكثر: «قال لي النبي ﷺ: أتدري ما يوم الجمعة؟ قلت: هو اليوم الذي جمع الله فيه أباكم، قال: لكني أدري ما يوم الجمعة، لا يتطهر الرجل فيحسن طهوره، ثم يأتي الجمعة، فينصت حتى يقضي الإمام صلاته، إلا كان كفارة له ما بينه وبين الجمعة المقبلة ما اجتنبت المقتلة». وعند ابن خزيمة والحاكم القائل: «يوم الجمعة فيه جمع أبوكم» هو رسول الله ﷺ.
وأصل الحديث عند البخاري (٨٨٣) دون محل الشاهد.
وروى الإمام أحمد في «المسند» (٨١٠٢)، والحارث في «مسنده» (١٩٤)، من طريق فرج بن فضالة عن علي بن أبي طلحة عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً بلفظ: قيل للنبي ﷺ: لأي شيء سمي يوم الجمعة؟ قال: «لأن فيها طبعت طينة أبيك آدم، وفيها الصعقة والبعثة...» الحديث، قال ابن حجر في «فتح الباري» (٢/ ٤١٨): فرج بن فضالة ضعيف وعلي لم يسمع من أبي هريرة.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٥٦)، قرأ الجمهور بضم الميم، وبسكونها قراءة الأعمش كما في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٥٧)، وبفتح الميم لغة لكن لم يقرأ بها أحد كما قال ابن خالويه.

﴿فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ السَّعيُ: المشيُ إلى العَدْوِ[١]، وفي قراءةِ عبدِ اللهِ: (فامضُوا إلى ذكرِ الله)[٢].

وقيلَ: السعيُ هاهنا: القصدُ.

قالَ الحسنُ: واللهِ ما هو بسعيٍ على الأقدامِ، ولكنَّه سعيٌ بالقلوبِ والنِّيَّةِ[٣].

وقيلَ: السعيُ هاهنا بمعنى العملِ، كقولِه: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾ [الليل: ٤]، ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ [النجم: ٣٩]؛ أي: فاعملوا على المضيِّ إلى ذكرِ اللهِ واشتغلوا بآياتِه من الغسلِ والتَّطهُّرِ والتَّوجُّهِ إليه[٤].

وقد يُطلَقُ السَّعيُ بمعنى: العدوِ، وليس المرادُ هاهنا العدوَ؛ إذ في الخبرِ: «ولكن ائتُوها وعليكم السَّكينةُ»[٥].

---

(١) في (أ): «السعي المشي إلى الغد»، والصواب المثبت، ففي «المفردات» للراغب (ص: ٤١١): «السعي: المشي السريع، وهو دون العدو».

(٢) ذكرها عنه الفراء في «معاني القرآن» (٣/ ١٥٦).

(٣) رواه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص: ٣١٤)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٥٥٥٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٥٦).

(٤) في «الموطأ» (١/ ١٠٦): «قال مالك: وإنما السعي في كتاب الله العمل والفعل، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: ٢٠٥]، وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخْشَىٰ﴾ [عبس: ٩]، وقال: ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ﴾ [النازعات: ٢٢]، وقال: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾ [الليل: ٤] قال مالك: فليس السعي الذي ذكر الله في كتابه بالسعي على الأقدام، ولا الاشتداد، وإنما عنى العمل والفعل».

(٥) رواه البخاري (٩٠٨)، ومسلم (٦٠٢)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وتمامه: «إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون، وأتوها تمشون عليكم السكينة، فما أدركتم فصلوا، وما فاتكم فأتموا».
قال ابن حبان في «صحيحه» بعد أن روى هذا الحديث (٢٧٣٢): «قال الله جل وعلا: ﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ٩] وقال ﷺ: «فلا تأتوها وأنتم تسعون»، فالسعي =

﴿إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: الصَّلاةِ، وقيلَ: أي: الخطبةِ والوعظ.

﴿وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ﴾؛ أي: دعوه، والبيعُ لا يخلو عن شراءٍ، فاكتُفي بذكرِ أحدِهما.

وهذا النَّهيُ نهيُ تنزيهٍ، وينعقدُ العقدُ ولا يَنفسِخُ عند الشَّافعيِّ[١]، ويُفسخُ عند مالكٍ[٢]، وسائرُ العقودِ كالبيعِ، وخُصَّ البيعُ لأنَّه أكثرُ ما يشتغلُ به أصحابُ الأسواقِ، ومَن لا يجبُ عليه حضورُ الجمعةِ فلا يُنهَى عن البيعِ والشِّراءِ.

﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾؛ أي: السَّعيُ إلى الجمعةِ خيرٌ لكم.

***

(١٠) ـ ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ﴾؛ أي: فرَغتم منها ﴿فَٱنتَشِرُواْ﴾، وهو أمرُ إباحةٍ، ﴿وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: إن شئتم اشتغلُوا بالتِّجارةِ وطلبِ الرِّزقِ، فهو دل[٣] في كلِّ أمرٍ مباحٍ، وفي الخبرِ: ﴿وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ قالَ: «ليس

= الذي أمر الله جل وعلا به هو المشي إلى الصلاة على هينة الإنسان، والسعي الذي نهى رسول الله ﷺ عنه هو الاستعجال في المشي؛ لأن المرء تكتب له بكل خطوة يخطوها إلى الصلاة حسنة... على أن العرب توقع في لغتها الاسم الواحد على الشيئين المختلفي المعنى فيكون أحدهما مأموراً به والآخر مزجوراً عنه».

(١) انظر: «المهذب» (١/ ٢٠٧)، وفيه: «ولا يبطل البيع لأن النهي لا يختص بالعقد فلم يمنع الصحة كالصلاة في أرض مغصوبة».

(٢) انظر: «عيون المسائل» (ص: ٤٢٠)، و«الجامع لمسائل المدونة» (٣/ ٨٩٠).

(٣) قوله: «فهو دل» كذا في (أ)، ولعل فيها تحريفاً، والمراد: «فهو عام...».

بطلـبِ دُنيـا، ولكن عيـادةُ مريـضٍ، وحضورُ جنـازةٍ، وزيـارةُ أخٍ فـي الله»[(١)].

﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا﴾؛ أي: بالطَّاعةِ له، وباللِّسانِ، وبالشُّكرِ على ما أنعَمَ به عليكم من التَّوفيقِ لأداءِ فرائضِه.

* * *

(١١) - ﴿وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمٗاۚ قُلۡ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ مِّنَ ٱللَّهۡوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً﴾ قالَ جابرٌ: كانَ رسولُ اللهِ ﷺ يخطبُ يومَ الجمعةِ إذ أقبلَت عِيرٌ، فخرجُوا إليها حتَّى لم يبقَ معه إلا اثنا عشرَ رجلاً، فنزلَتِ الآيةُ[(٢)].

وقيلَ: قدمَ دِحيةُ بنُ خليفةَ الكلبيُّ بتجارةٍ من الشَّامِ في زمنِ غلاءٍ وجوعٍ، وضربَ لها طبلاً، فخرجَ النَّاسُ إلا اثني عشرَ رجلاً، منهم أبو بكرٍ وعمرُ، فقالَ عليه السَّلامُ: «لو تتابعتُم حتَّى لا يبقى أحدٌ منكم لسالَ بكم الوادي ناراً»، وفي روايةٍ: «[لولا] هؤلاءِ لقد سُوِّمَت لهمُ الحجارةُ»[(٣)].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٦٤٤)، والثعلبي في «تفسيره» (٢٦/ ٤٢٧)، عن أنس رضي الله عنه مرفوعًا، وفيه أبو عامر الصائغ، متهم بالوضع. انظر: «ديوان الضعفاء» للذهبي (: ٤٦٢).

(٢) رواه البخاري (٩٣٦)، ومسلم (٨٦٣).

(٣) بهذا السياق ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٦/ ٤٣٠) عن الحسن وأبي مالك، وعزاه الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٢٩) للمفسرين.

وروى ابن حبان في «صحيحه» (٦٨٧٧) قطعة منه عن جابر رضي الله عنه بلفظ: «والذي نفسي بيده لو تتابعتم حتى لم يبق منكم أحد لسال الوادي عليكم ناراً».

ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٢٢١) عن الحسن بلفظ: «لو اتبع آخرهم أولهم لالتهب عليهم الوادي ناراً».

﴿أَوۡ لَهۡوًا﴾ قيلَ: عنى الطَّبلَ.

وقيلَ: ضربوا الطَّبلَ على نكاحٍ فخرجُوا ينظرونَ إليه.

﴿ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا﴾؛ أي: تفرَّقُوا عنك. يُقالُ: فضَضْتُ الشَّيء؛ أي: فرَّقته ﴿إِلَيۡهَا﴾؛ أي: إلى التِّجارة. و[لو] [1] قالَ: «إليه» أو «إليهما» جازَ؛ لأنَّ الشَّيئين إذا عُطفَ أحدُهما على الآخرِ ومعناهما واحدٌ، فيجوزُ ردُّ الخبرِ إليهما أو إلى أحدِهما، كقولِه: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ﴾ [البقرة: ٤٥]، وقولِه: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٤].

والأشهرُ أنَّ هذا الانفضاضَ جرى بالخطبةِ. وقيلَ: جرى بالصَّلاة.

وقالَ جابرُ بنُ سَمرةَ: مَن أخبركَ بأنَّ النَّبيَّ عليه السَّلامُ خطبَ قاعداً فلا تُصدِّقه، فما رأيتُه خطبَ إلا قائماً[2].

وسُئِلَ ابنُ مسعودٍ: أكان رسولُ اللهِ عليه السَّلامُ يخطبُ قاعداً أو قائماً؟ فقرأ[3]: ﴿وَتَرَكُوكَ قَآئِمٗا﴾[4].

---

(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢) رواه مسلم (٨٦٢) بلفظ: «إن رسول الله ﷺ كان يخطب قائمًا. ثم يجلس. ثم يقوم فيخطب قائماً. فمن نبأك أنه كان يخطب جالسًا فقد كذب، فقد والله صليت معه أكثر من ألفي صلاة».

(٣) في (أ): «فنزل»، والتصويب من «البسيط» (٢١/ ٤٦٢).

(٤) رواه ابن ماجه (١١٠٨)، قال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (١/ ١٣٣): «هذا إسناد صحيح رجاله ثقات... ورواه النسائي في الصغرى من حديث كعب بن عجرة»، قلت: حديث كعب بن عجرة رواه مسلم (٨٦٤)، ولفظه: «عن أبي عبيدة، عن كعب بن عجرة؛ قال: دخل المسجد وعبد الرحمن بن أم الحكم يخطب قاعدًا. فقال: انظروا إلى هذا الخبيث يخطب قاعدًا. وقال الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمٗا﴾».

﴿قُلۡ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ﴾؛ أي: ثوابُ الصَّلاةِ والثَّباتِ مع رسولِ اللهِ خيرٌ ﴿مِّنَ ٱللَّهۡوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ﴾.

﴿وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾؛ لأنَّ المخلوقين تُقطعُ[1] أرزاقُهم، والله لا يقطعُه.

وقالَ أبو هُريرةَ: أوَّلُ مَن جمَّعَ بالمدينةِ رجلٌ من بني عبدِ الدَّارِ بنِ قصيٍّ يُقالُ له: مُصعَبُ بنُ عُميرٍ[2]، كتب إليه النَّبيُّ عليه السَّلامُ فأمَره[3]، فلمَّا

---

(١) في (أ): «تقع»، والتصويب من «البسيط» (٢١/ ٤٦٢).

(٢) لم أقف عليه عن أبي هريرة، ولعل الصواب: «الزهري»، رواه عنه موسى بن عقبة كما في «أحاديث منتخبة من مغازي موسى بن عقبة» لابن قاضي شهبة (٢)، وعبد الرزاق في «مصنفه» (٥١٤٦)، وأبو داود في «المراسيل» (٥٣)، وابن أبي عروبة في «الأوائل» (٥٤).
ووصله ابن أبي عاصم في «الأوائل» (٤٧)، والطحاوي في «أحكام القرآن» (٢٤٤)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٧/ ٧٣٣)، و«الأوائل» (٢٨)، من طريق الزهري عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، عن أبي مسعود. قال الحافظ في «التلخيص الحبير» (٢/ ١١٥): في إسناده صالح بن أبي الأخضر وهو ضعيف.

(٣) في (أ): «كتب عليه النَّبيُّ عليه السَّلامُ فأمروه»، والصواب المثبت، فقد روى ابن أبي عروبة في «الأوائل» (٥٥) عن سليمان بن موسى: أنَّ النبي ﷺ كتب إليه يأمُره بذلك.
وروى أبو إسحاق الفزاري في «كتاب السير» له عن الأوزاعي عمن حدثه قال: بعث رسول الله ﷺ مصعب بن عمير القرشي إلى المدينة قبل أن يهاجر النبي ﷺ، فقال: «اجمع من بها من المسلمين ثم انظر اليوم الذي تجمر فيه اليهود لسبتها، فإذا مال النهار عن شطره فقم فيهم ثم تزلفوا إلى الله بركعتين» ذكره ابن رجب في «فتح الباري» (٨/ ٦٤).
ورواه الدارقطني ـ قال ابن رجب: أظنه في «أفراده» ـ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، لكنه موضوع كما قال ابن رجب.

اجتمعوا قالوا: نُسمِّي هذا اليومَ الجمعةَ، وكانَت العربُ تُسمِّيه: يومَ العَروبةِ، فأنزلَ اللهُ: ﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ﴾[1].

وفي خبرٍ آخرَ: أنَّه سُمِّيَ يومَ الجمعةِ، لأنَّه جُمعَ فيه طينةُ آدمَ عليه السَّلام[2].

***

(١) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (٥١٤٤)، ومن طريقه الثعلبي في «تفسيره» (٢٦/ ٣٩٣)، عن ابن سيرين قال: «جمَّع أهلُ المدينة قبل أن يقدم النبي ﷺ المدينةَ وقبل أن تنزل الجمعة، وهم الذين سمَّوها: الجمعة، وذلك أنَّ الأنصار قالوا: لليهود يومٌ يجتمعون فيه كل سبعة أيام، وللنصارى أيضا مثل ذلك، فهلم فلنجعل يوما نجتمع ونذكر الله ونصلي ونشكره فيه، أو كما قالوا، فقالوا: يوم السبت لليهود، ويوم الأحد للنصارى، فاجعلوه يوم العروبة، وكانوا يسمون يوم الجمعة يوم العروبة، فاجتمعوا إلى أسعد بن زرارة فصلى بهم يومئذ وذكَّرهم فسموه الجمعة...»، وفيه: «فأنزل الله في ذلك بعد ذلك: ﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾. وصحح إسناده الحافظ في «الفتح» (٢/ ٣٥٥)، وقال: ويجمع بينه وبين الأول (أي: خبر الزهري) بأن أسعد كان آمرًا، وكان مصعب إمامًا.

(٢) تقدم تخريجه قريباً.

سُورَةُ المُنَافِقُونَ

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) ـ ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ نزلَت في عبدِ اللهِ بنِ أُبيٍّ رأسِ المنافقين.

قالَ زيدُ بنُ أرقم: غزونا مع رسولِ اللهِ عليه السَّلامُ ومعنا ناسٌ من الأعرابِ، فكنَّا نبتدِرُ الماءَ، وكانَ الأعرابُ يَسبقوننا، فيَسبقُ الأعرابيُّ [فيَملأُ الحوضَ ويَجعلُ حولهُ حجارةً ويَجعلُ النِّطْعَ عليه حتَّى يَجِيءَ] أصحابُه، فأتى رجلٌ منَ الأنصارِ فأرخَى زمامَ ناقتَه لتشربَ، فأبى الأعرابيُّ أن يدعَه، فانتزعَ حجراً ففاضَ الماءُ، فرفعَ الأعرابيُّ خشبةً فضربَ بها رأسَ الأنصاريِّ فشجَّه، فأتى الأنصاريُّ عبدَ اللهِ بن أُبيٍّ فأخبرَه، وكانَ من أصحابِه، فغضبَ عبدُ اللهِ بنُ أُبيٍّ، ثمَّ قالَ: لا تُنفِقوا على مَن عندَ رسولِ اللهِ حتَّى ينفضَّ مَن حولَه مِن الأعرابِ[1]. ثمَّ قالَ لأصحابِه: إذا رجعتُم إلى المدينةِ فلْيُخْرِجِ الأعزُّ منها الأذلَّ.

قالَ زيدُ بنُ أرقم: فكنتُ رِدْفَ عمِّي، فسمعتُ من عبدِ اللهِ بن أُبيٍّ ذلك، فأخبرتُ عمِّي، فأخبرَ رسولَ اللهِ عليه السَّلامُ، فأرسلَ إليه رسولُ اللهِ فحلفَ وجحدَ، فصدَّقَه

---

(١) في المصادر: «حتى ينفضُّوا مِن حولِه، يعني: الأعرابَ». وزادوا: «وكانوا يَحضُرون رسولَ الله ﷺ عند الطعام، فقال عبدُ الله: إذا انفضُّوا مِن عندِ محمد فأتوا محمدًا بالطَّعام، فلْيأكلْ هو ومَن عنده».

رسولُ اللهِ وكذَّبَني، فجاء إليَّ عمِّي، وقالَ: ما أردتَ إلَّا أن مقتَكَ رسولُ اللهِ وكذَّبَكَ المسلمون. فوقعَ عليَّ منَ الغمِّ ما لـم يقعْ على أحدٍ قطُّ، فبينا أنا أسيرُ مع رسولِ اللهِ عليه السَّلامُ إذ أتاني، فعرَكَ أُذني وضحكَ في وجهي، وما كانَ يسرُّني أنَّ لي بها الدُّنيا، فلمَّا أصبحْنا قرأ رسولُ اللهِ ﷺ سورةَ المنافقينَ حتَّى بلغَ ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟﴾ حتَّى بلغ ﴿لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾، وقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «إنَّ اللهَ صدَّقَك»(١).

وقيلَ: غزا رسولُ اللهِ عليه السَّلامُ بني المصطلق، فنزلَ على ماءٍ من مياهِهم يُقالُ له: الـمُريسيع، فوردَت واردةُ النَّاسِ ومع عمرَ بنِ الخطَّابِ أجيرٌ له من بني غِفَارٍ يُقالُ له: جهجاهُ بنُ سعيدٍ، يقودُ فرسَه، فازدحمَ جهجاهٌ وسنانٌ الجهنيُّ حليفُ بني عوفِ بنِ الخزرجِ على الماءِ، فاقتتلا، فخرجَ الجهنيُّ وصرخَ: يا معشرَ الأنصارِ. وصرخَ الغِفاريُّ: يا معشرَ المهاجرين. فأعانَ المهاجرَ رجلٌ من المهاجرينَ يُقالُ له: جعالٌ، وكانَ فقيراً، فقالَ له عبدُ اللهِ بنُ أُبيٍّ: إنَّك لهناك؟ قالَ: وما يمنعُني أن أفعلَ ذلك؟ فغضبَ عبدُ اللهِ وقالَ: ما مَثَلُنا ومَثَلُهم إلّا كما قيلَ: سمِّنْ [كلبكَ] يأكلْكَ، إنَّا واللهِ لئن رجعنا إلى المدينةِ ليُخرجنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ. يعني بالأعزِّ: نفسَه وبالأذلِّ: رسولَ اللهِ عليه السَّلامُ.

ثمَّ قالَ لـمَن حضرَ من قومِه: هذا ما فعَلْتُمُوه بأنفسِكم، أحلَلْتُموهم بلادَكم، وقاسَمْتُموهم أموالَكم، أمَا واللهِ لو أمسكتُم عن جعالٍ وذَويهِ فضلَ الطَّعامِ لـم يَركبُوا رقابَكم، ولأوشكوا أن يتنحَّوا عن بلادِكم، فلا تُنفقوا عليهم حتَّى ينفضُّوا.

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «مسنده» (٥٢١)، والترمذي (٣٣١٣) وحسنه، والحاكم في «المستدرك» (٣٨١٢)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٣٠)، وما بين معكوفتين من المصادر. ورواه البخاري (٤٩٠٠)، ومسلم (٢٧٧٢) مختصراً.

فقالَ زيدُ بنُ أرقم: أنتَ واللهِ القليلُ الذَّليلُ المبغَضُ في قومِك، ومحمَّدٌ في عزٍّ من الرَّحمنِ ومودَّةٍ من المؤمنين، واللهِ لا أحبُّك بعدَ كلامِك هذا. فقالَ عبدُ اللهِ: اسكتْ؛ فإنَّما كنتُ ألعبُ.

فمشى زيدُ بنُ أرقم إلى النَّبيِّ عليه السَّلامُ وأخبرَه، وعنده عمرُ، فقالَ: دعني يا رسولَ اللهِ أضربُ عنقَ هذا المنافقِ؛ يعني: ابنَ أُبيٍّ. فقالَ عليه السَّلامُ: «إذاً تُرْعَدُ له آنُفٌ كثيرةٌ بيثربَ» فقالَ عمرُ: إن كرهتَ يا رسولَ اللهِ أن يقتلَه رجلٌ من المهاجرين، فمُرْ سعدَ بنَ مُعاذٍ ومحمَّدَ بنَ مسلمةَ وعبَّادَ بنَ بشرٍ فلْيَقْتلوه. فقالَ: «إذاً يتحدَّثُ النَّاسُ أنَّ محمَّداً يقتلُ أصحابَه».

فأرسلَ إلى ابنِ أُبيٍّ فأتاه، فقالَ: «أنتَ صاحبُ هذا الكلامِ الَّذي بلغَني؟» فقالَ: والذي أنزلَ عليك الكتابَ ما قلتُ شيئاً من هذا قطُّ، وإنَّ زيداً لكاذبٌ.

وكانَ عبدُ اللهِ في قومِه شريفاً، فقالَ مَن حضرَ منَ الأنصارِ: يا رسولَ اللهِ، شيخُنا وكبيرُنا، لا يُصدَّقُ عليه قولُ غلامٍ عسى أن يكونَ وهمَ في حديثِه.

فعذرَه النَّبيُّ عليه السَّلامُ، وفشَت الملامةُ في الأنصارِ لزيدٍ، فاستحيا زيدٌ بعد ذلك أن يدنوَ منَ النَّبيِّ عليه السَّلامُ، فلمَّا ارتحلَ رسولُ اللهِ لقيَه أُسيدُ بنُ حُضيرٍ، فقالَ: «وما بلغَكَ ما قالَ صاحبُكم عبدُ اللهِ بنُ أُبيٍّ؟ زعمَ أنَّه إن رجعَ إلى المدينةِ أخرجَ الأعزُّ منها الأذلَّ!» فقالَ أسيدٌ: فأنتَ واللهِ يا رسولَ اللهِ تخرجُه إن شئتَ، هو واللهِ الذَّليلُ وأنتَ العزيزُ. ثمَّ قالَ: يا رسولَ اللهِ، ارفقْ به؛ فواللهِ لقد جاءَ اللهُ بك وإنَّ القومَ ليَنْظُمون له الخرزَ ليُتوِّجوه، وإنَّه ليرى أنَّك سلبتَه مُلكاً.

وبلغَ عبدَ اللهِ بنَ عبدِ اللهِ بنِ أُبيٍّ ما كانَ من أمرِ أبيه، فأتى رسولَ اللهِ عليه السَّلامُ، فقالَ: بلغني أنَّك تريدُ قتلَ عبدَ اللهِ بنَ أُبيٍّ لِـمَا بلغَك عنه، فإن كنتَ فاعلاً فمُرني

به، فأنا أحملُ إليك رأسَه، فوالله لقد علمتِ الخزرجُ ما بها رجلٌ أبرَّ بوالديه منِّي، وإنِّي أخشى أن تأمرَ به غيري فيقتلَه، فلا تدعُني نفسي أن أنظرَ إلى قاتلِ [عبدِ الله] أن يمشيَ في النَّاسِ، فأقتلُه، فأقتلُ مؤمناً بكافرٍ وأدخلُ النّارَ! فقالَ عليه السَّلامُ: «بل نحسنُ صُحبتَه ما بقيَ معنا».

فلمَّا أتى رسولُ اللهِ ﷺ المدينةَ قالَ زيدُ بنُ أرقم: جلستُ ببيتي لِـمَا بي من الهمِّ والحياءِ، وأنزلَ اللهُ سورةَ المنافقين في تصديقي وتكذيبِ عبدِ اللهِ، فلمَّا نزلَت أخذَ رسولُ اللهِ ﷺ بأُذنِ زيدٍ فقالَ: «إنَّ اللهَ صدَّقَكَ».

وكانَ عبدُ اللهِ بن أُبيٍّ بقُربِ المدينةِ، فلمَّا أرادَ أن يدخلَها جاءَه ابنُه عبدُ اللهِ بنُ عبدِ اللهِ حتَّى أناخَ على مجامعِ طرقِ المدينةِ، فلمَّا جاءَ عبدُ اللهِ بن أُبيٍّ قالَ له ابنُه: وراءَك. فقالَ: مالَك ويلَك؟! قالَ: لا واللهِ لا تدخلُها أبداً إلَّا بإذنِ رسولِ اللهِ، ولتعلمَنَّ اليومَ مَن الأعزُّ ومَن الأذلُّ. فشكا عبدُ اللهِ إلى رسولِ اللهِ ما صنعَ ابنُه، فأرسلَ رسولُ اللهِ أن خَلِّ عنه حتَّى يدخلَ. فقالَ: أمَّا إذا أمرَ رسولُ اللهِ ﷺ فنعَم.

فلمَّا نزلَت هذه السُّورةُ وبانَ كذبُه قيلَ له: يا أبا حُبابٍ، إنَّه قد نزلَ فيك آيٌ شدادٌ، فاذهبْ إلى رسولِ اللهِ ليَستغفرَ لك. فلوى رأسَه، فذلك قولُه تعالى: ﴿لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ﴾[1].

---

(١) ذكره بهذا السياق الثعلبي في «تفسيره» (٢٦/ ٤٥٤)، وتلميذه الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٣١ ـ ٤٣٢) ونسباه لأهل التفسير وأصحاب السير. وذكر نحوه الواقدي في «المغازي» (٢/ ٤١٦ ـ ٤٢٠). ورواه ابن هشام في «السيرة النبوية» (٢/ ٢٩٠) في غزوة بني المصطلق من طريق ابن إسحاق: حدثني عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر ومحمد بن يحيى بن حبَّان كل قد حدثني بعض حديث بني المصطلق، قالوا... فذكر القصة بطولها وفيها اختلاف يسير وتقديم وتأخير، وكذلك رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٦٦٦) من طريق ابن إسحاق بسنده ومتنه. =

﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ يعني: ابـنَ أُبيٍّ وأصحابَه ﴿قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾؛ أي: أقرُّوا في الظَّاهرِ بأنَّكَ رسولُ اللهِ ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ﴾ لأنَّـه أرسلَك ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾؛ أي: فيما أظهروا من شهادتِهم؛ أي: إنَّهم لكاذبونَ على قلوبِهم؛ لأنَّهم أخبروا أنَّهم يعتقدون نبوَّتَك وهم كاذبونَ في هذا الإقرارِ.

وقـالَ الفـرَّاءُ: واللهُ يشـهدُ إنَّهـم لكاذبـون بضمائرِهـم، فالتَّكذيـبُ راجـعٌ إلى الضَّمائرِ[1].

وهذا يدلُّ على أنَّ الإيمانَ تصديقُ القلبِ، وعلى أنَّ الكلامَ الحقيقيَّ كلامُ القلبِ، ومن قالَ شيئاً واعتقدَ خلافَه فهو كاذبٌ.

وقيلَ: أكذبَهم اللهُ في إيمانِهم وقولِهم: إنَّهم منكم.

* * *

(٢) ـ ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً﴾؛ أي: إذا اطُّلِعَ على شـيءٍ مـن نفاقِهم حلفُوا أنَّهم لـم يفعلوه ولـم يقولوه، فتستَّروا بأيمانِهم عمَّا يُحكَمُ به في المشركين من القتلِ والسَّبيِ وأخذِ الأموالِ.

وعند الحنفيَّة لو قالَ: «أشهدُ باللهِ لقد كانَ كذا» [كانَ][2] يميناً، ولو قالَ:

= وروى طرفاً منه البخاري (٤٩٠٥)، ومسلم (٢٥٨٤) من حديث جابر رضي الله عنه، وفيه قول ابن أبيٍّ: والله لئن رَجَعْنا إلى المدينة ليخرجنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ. قال عمر: دعني أضربُ عنقَ هذا المنافق، فقال: «دَعْه، لا يتحدث الناس أن محمدًا يقتلُ أصحابه».

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٨٥).

(٢) زيادة يقتضيها السياق.

«أشهدُ لقد كانَ كذا» كانَ يميناً أيضاً لهذه الآية[١]؛ لأنَّ اللهَ ذكرَ منهم الشَّهادةَ ثمَّ قالَ: ﴿اتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةً﴾.

وعند الشافعيِّ لا يكونُ ذلك يميناً وإن نوى اليمينَ[٢]، بل يعني بأيمانِهم: ما أخبرَ الرَّبُّ عنهم في سورةِ براءة إذ قالَ: ﴿يَعۡتَذِرُونَ إِلَيۡكُمۡ إِذَا رَجَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ﴾ [التوبة: ٩٤]، وقالَ: ﴿يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ﴾ [التوبة: ٧٤].

﴿فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: أعرضُوا، وهو من الصُّدود، أو: صَرفوا المؤمنين عن إقامةِ حُكمِ الله عليهم من القتلِ بأيمانِهم، فهو من الصَّدِّ، أو: منعوا النَّاسَ عن الجهادِ بأن يتخلَّفوا ويقتديَ بهم غيرُهم.

وقيلَ: فصدُّوا اليهودَ والمشركين عن الدُّخولِ في الإسلامِ بأن يقولوا: ها نحن[٣] كافرونَ بهم، ولو كانَ محمَّدٌ حقّاً لعرفَ هذا منَّا، ولجعَلَنا نكالاً، فبيَّنَ اللهُ أنَّ حالَهم لا يخفَى على اللهِ، ولكنَّ حُكمَه أنَّ مَن أظهرَ الإيمانَ أُجرِيَ عليه في الظَّاهرِ.

﴿جُنَّةً﴾ إذ يَسترون بها ما يُضمرون، أو: جُنَّةً لدمائِهم وأموالِهم.

﴿إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾؛ أي: إنَّ نفاقَهم ويمينَهم الكاذبةَ وصدَّهم عن سبيلِ اللهِ أعمالُ سوءٍ.

---

(١) انظر: «بدائع الصنائع» (٣/ ٢٤٢)، و«الهداية» (٢/ ٣١٨).

(٢) في (أ): «لا يكونُ ذلك يمنه لو أن نوى اليمين»، والمثبت من «تفسير القرطبي» (٢٠/ ٤٩٨)، ومثله في «البسيط» (٢١/ ٤٦٨) ولفظه: «لا يكون أشهد بالله يمينًا وإن نوى ذلك». وانظر: «الأم» للشافعي (٧/ ٦٥)، وفيه: «وإذا قال: «أشهد بالله» فإن نوى اليمين فهي يمين، وإن لم ينو يمينًا فليست بيمين؛ لأن قوله: »أشهد بالله» يحتمل: أشهد بأمر الله، وإذا قال: «أشهد» لم يكن يمينًا وإن نوى يمينًا، فلا شيء عليه». وانظر: «التنبيه» (ص: ١٩٤)، و«المهذب» (٣/ ٩٩).

(٣) في (أ): «هاهن ونحن»، والتصويب من «تفسيرالقرطبي» (٢٠/ ٤٩٩).

(٣) ـ ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ﴾؛ أي: أقرُّوا باللِّسانِ ثمَّ كفرُوا بالقلب.

وقيلَ: نزلَتِ الآيةُ في قومٍ آمنوا ثمَّ ارتدُّوا.

﴿فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾؛ أي: خُتِمَ عليها بالكفرِ، ﴿فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾؛ أي: لا يعلمونَ الإيمانَ والقرآنَ؛ أي: فهم لا يتدبَّرُون.

* * *

(٤) ـ ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُواْ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾؛ أي: هيئاتُهم ومناظرُهم، يعني: ابنَ أُبيٍّ وجدَّ بنَ قيسٍ ومعتِّبَ بنَ قُشيرٍ. قالَ الكلبيُّ: كانَت لهم أجسامٌ ومنظرٌ وفصاحةٌ[١].

ولهذا قالَ اللهُ: ﴿وَإِن يَقُولُواْ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾؛ أي: أُسنِدت إلى جدارٍ، فليسَ لها فهمٌ، وليسَ لها ثمرةٌ؛ أي: لا فائدةَ فيهم ولا خيرَ.

قُرِئَ ﴿خُشُبٌ﴾ بالتَّثقيلِ وبالتَّخفيفِ[٢].

والإسناد: الإمالةِ، تقولُ: أسندتُ الشَّيءَ؛ أي: أَمَلْتُه[٣]، و﴿مُّسَنَّدَةٌ﴾ للتَّكثيرِ.

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (١/ ٥٤٩).

(٢) قرأ قنبل وأبو عمرو والكسائي بإسكان الشين، والباقون بضمها. انظر: «السبعة» (ص: ٦٣٦)، و«التيسير» (ص: ٢١١).

(٣) في (أ): «والإشباعِ والإمالةِ، تقولُ: أسندتُ الشَّيءَ إلى أصلِه»، والتصويب من «تفسير القرطبي» (٢٠/ ٥٠١).

﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ وصفَهم بالجُبنِ.

وقيلَ: أي: هم على وَجَلٍ من أن يَهتكَ اللهُ سترَهم ويُظهرَ نفاقَهم.

﴿الْعَدُوُّ﴾؛ أي: هم - وإن أظهروا الإيمانَ بك - فهم أعداؤُك ﴿فَاحْذَرْهُمْ﴾.

﴿قَاتَلَهُمُ اللَّهُ﴾ هـذه كلمةُ ذمٍّ وتوبيخٍ، وقد تقولُ العربُ: قاتلَه اللهُ ما أشعرَه! فيضعونه موضعَ التَّعجُّبِ.

﴿أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾؛ أي: إلى أيِّ وجهٍ يُصرَفون عن الحقِّ مع وضوحِ الدَّلائلِ؟ وهو من الأفكِ، وهو الصَّرفُ.

وقيلَ: من الإفك؛ أي: من أين يأتيهم الإفكُ والكذبُ على اللهِ والكفرُ به؟

***

(٥) - ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ﴾ لـمَّا نزلَ القرآنُ بصفتِهم مشى إليهم عشائرُهم، وقالوا: افتُضِحْتُم بالنِّفاقِ، فتُوبوا إلى رسولِ اللهِ من النِّفاقِ، واطلبوا أن يستغفرَ لكم.

وقيلَ: نزلَ هذا في ابنِ أُبيٍّ لـمَّا رجعَ بثلثِ النَّاسِ يومَ أُحُد.

وقيلَ: إنَّما قيلَ له هذا لمَّا قالَ: ﴿لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾.

﴿لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ﴾ قُرِئَ بالتَّخفيفِ والتَّشديدِ[1]؛ أي: عطَفُوا رؤوسَهم كالمستهِينين بالشَّيءِ رغبةً عن الاستغفارِ.

---

(١) قرأ نافع بالتخفيف، والباقون بالتشديد. انظر: «السبعة» (ص: ٦٣٦)، و«التيسير» (ص: ٢١١).

﴿وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ﴾؛ أي: يُعرضونَ، أو: يَصرفونَ النَّاسَ عن الإيمانِ ﴿وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ عن استغفارِ رسولِ اللهِ لهم.

وقيلَ: قالَ ابنُ أُبيٍّ لـمَّا لوى رأسَه: أَمَرْتُموني أن أُؤمنَ فقد آمنتُ، وأن أُعطيَ زكاةَ مالي فقد أعطيتُ، فما بقيَ إلَّا أن أسجدَ لمحمَّدٍ(١).

***

(٦) ـ ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ﴾؛ أي: لكفرِهم لا ينالونَ [المغفرةَ](٢) باستغفارِك وعدمِ استغفارِك.

وقيلَ: إنَّه لـمَّا قالَ: ﴿لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾ ورجعَ إلى المدينةِ لـم يلبث إلَّا أياماً يسيرةً حتَّى ماتَ، فاستغفرَ له رسولُ اللهِ عليه السَّلامُ وألبسَه قميصَه، فنزلَت هذهِ الآيةُ(٣).

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٦٥٧) عن بشير بن مسلم: «أنه قيل لعبد الله بن أبي ابن سلول: يا أبا حباب، إنه قد أنزل فيك آي شداد، فاذهب إلى رسول الله ﷺ يستغفر لك، فلوى رأسه وقال: أمرتموني...».

(٢) زيادة يقتضيها السياق.

(٣) في سبب نزول هذه الآية أخبار متفرقة بنحو ما ذكره المصنف منها:

ما رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٥٩٩) عن عروة قال: إن عبد الله بن أبي ابن سلول، قال لأصحابه: لولا أنكم تنفقون على محمد وأصحابه لانفضوا من حوله. وهو القائل: ﴿لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾ [المنافقون: ٨] فأنزل الله: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٨٠] قال النبي ﷺ: «لأزيدن على السبعين» =

﴿لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ هذا في قومٍ علمَ أنَّهم يموتون كفَّاراً.

وقيلَ: ﴿لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ غداً إلى الجنَّةِ.

***

= فأنزل الله: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [المنافقون: ٦] فأبى الله تبارك وتعالى أن يغفر لهم.

وما رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٢٤٤)، و«المعجم الأوسط» (٥٦٦٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن ابن عبد الله بن أبي، قال له أبوه: أي بني، اطلب ثوباً من ثياب رسول الله ﷺ، فكفني فيه، ومره فليصل علي، فأتاه، فقال: يا رسول الله، قد عرفت شرف عبد الله، وهو يطلب إليك ثوبا من ثيابك تكفنه فيه، وتصلي عليه قال: فأعطاه ثوبا من ثيابه، وأراد أن يصلي عليه، فقال له عمر بن الخطاب: أما تعرف عبد الله ونفاقه، تصلي عليه، وقد نهاك الله أن تصلي عليه؟ فقال: «أين؟»، فقال: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٨٠] قال: «فإني سأزيد على سبعين»، فأنزل الله: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾ [التوبة: ٨٤] قال: وأنزل الله عز وجل: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ الآية.

وأورد عليه أنّ سورة براءة آخر ما نزل فكيف تكون الآية التي في (سورة المنافقين) نازلة بعدها. قاله الشهاب الخفاجي في «الحاشية على الكشاف» (٤/ ٣٤٩).

وقال ابن حجر «الكافي الشافي» (ص: ٧٨): «وأصله في المتفق عليه عن ابن عمر رضي اللَّه عنهما قال: لما توفي عبد الله بن أبي جاء ابنه إلى رسول الله ﷺ فسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه فأعطاه، ثم سأله أن يصلي عليه، فقام يصلي عليه، فأخذ عمر رضي الله عنه بثوبه فقال: أتصلي عليه وقد نهاك الله أن تصلي عليه؟ فقال: «إنما خيرني فقال: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ الآية، وسأزيده على السبعين» فصلى عليه، فأنزل اللَّه تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا﴾ فتُركت الصلاة عليهم. لفظ مسلم». قلت: رواه البخاري (٤٦٧٠، ٤٦٧٢)، ومسلم (٢٤٠٠).

(٧) - ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾

قولُه تعالى: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟﴾ ذكرنا سببَ النُّزولِ فيما تقدَّمَ، وابنُ أُبيٍّ قالَ: لا تُنفقوا على مَن عندَ محمَّدٍ، ولكنَّ اللهَ عبَّرَ عنه بالرَّسولِ إكراماً لقَدْرِه.

﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: مفاتيحُ الرِّزقِ والمطرِ والنَّباتِ، فهو الرَّازقُ لهم، وعلى الجملةِ خزائنُه مقدوراتُه، وفيها ما يشاءُ.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ أنَّه إذا أرادَ أمراً يسَّرَه.

***

(٨) - ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾

﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ﴾ توهَّموا أنَّ العزَّةَ بكثرةِ الأتباعِ والأموالِ، فبيَّنَ اللهُ أنَّ العزَّةَ والمنعةَ والقوَّةَ للهِ، فيعزُّ دينَه، ويُظهرُه على سائرِ الأديانِ ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك، ولو علموه لَما قالوه.

***

(٩) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾

قولُه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ﴾ حذَّرَ المؤمنين أخلاقَ المنافقين؛ أي: لا تشتغلوا بأموالِكم كما فعل المنافقون؛ إذ قالوا ـ للشُّحِّ بأموالِهم ـ: ﴿لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟﴾.

﴿عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: عن الحجِّ والذِّكرِ.

وقيلَ: عن الصَّلواتِ الخمسِ.

وقيلَ: هو خطابٌ للمنافقين؛ أي: آمنتم بالقولِ فآمِنوا بالقلبِ.

﴿وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ﴾؛ أي: مَن اشتغلَ بمالِه وولدِه عن ذكرِ اللهِ ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ خسروا الدُّنيا.

و﴿لَا تُلۡهِكُمۡ﴾؛ أي: لا تشتغِلوا، ولهذا قالَ: ﴿وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ﴾.

* * *

(١٠) - ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم﴾؛ أي: في الزَّكاةِ والحجِّ والجهادِ وصلةِ الرَّحم. وقيلَ: هذا في ضروبِ الفَرْضِ؛ لِـمَا في الكلامِ من الوعيدِ.

﴿مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ﴾ بيَّنَ أنَّ الكافرَ يتمنَّى عندَ الموتِ أن يُردَّ على الدُّنيا.

﴿فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ﴾؛ أي: هلَّا أخَّرتَني.

وجزمُ ﴿وَأَكُن﴾ على موضعِ ﴿فَأَصَّدَّقَ﴾؛ لأنَّه على معنى: إن أخَّرتني أصَّدَّقْ وأكنْ من الصَّالحين، وقُرِئَ ﴿وأكونَ﴾[1] على لفظ ﴿أَصَّدَّقَ﴾.

وقالَ المُبرِّدُ: [الجزمُ] على موضعِ الفاء؛ لأنَّ الفاءَ دخلَت على شيءٍ لو لم

---

(١) قرأ بها أبو عمرو. انظر: «السبعة» (ص: ٦٣٧)، و«التيسير» (ص: ٢١١).

تكن فيه لكانَ مجزوماً ولم يتغيَّر المعنى، فكأنه قالَ: لولا أخَّرتني إلى أجلٍ قريبٍ أصَّدَّقْ وأكنْ[١].

وكانَ ابنُ عبَّاس يقولُ: مَن كانَ له ما يبلِّغُه الحجَّ، أو يجبُ عليه فيه زكاةٌ، فلم يفعل، يسألْ عندَ الموتِ الرَّجعةَ، فقيلَ له: إنَّما يسألُ الكفَّارُ الرَّجعةَ! فقالَ: أقرأُ عليكم قرآناً: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ﴾ الآية[٢].

* * *

(١١) ـ ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا﴾؛ أي: الآجالُ مفروغٌ منها لا تتقدَّمُ ولا تتأخَّرُ، ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ بالتَّاءِ والياءِ[٣].

* * *

---

(١) انظر: «المقتضب» (٢/ ٣٣٧ ـ ٣٣٩) و(٤/ ١١١) و(٤/ ٣٧١)، و«البسيط» (٢١/ ٤٧٩)، والكلام وما بين معكوفتين منه.

(٢) رواه الترمذي (٣٣١٦) من طريق أبي جناب الكلبي، عن الضحاك بن مزاحم، عن ابن عباس رضي الله عنهما. وقال: ورواه عبد الرزاق.... عن ابن عباس عن النبي ﷺ بنحوه، وهذا أصح من رواية عبد الرزاق، وأبو جناب القصاب، اسمه: يحيى بن أبي حية وليس هو بالقوي في الحديث.

(٣) قرأ أبو بكر بالياء، والباقون بالتاء. انظر: «السبعة» (ص: ٦٣٧)، و«التيسير» (ص: ٢١١).

تفسيرُ سورةِ التَّغابنِ

بسمِ اللّه الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١ ـ ٤) ـ ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٢ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ۝٣ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾.

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ مضى معناه.

قولُه تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ قالَ ابنُ عبَّاسٍ: إنَّ اللهَ خلقَ بني آدمَ مؤمناً وكافراً، ويعيدُهم في القيامةِ كما خلقَهم مؤمناً وكافراً(١).

وروى أبو سعيدٍ الخُدريُّ قالَ: خطَبنا رسولُ اللهِ ﷺ عشيَّةً، فذكرَ أشياءَ ممَّا يكونُ ثمَّ قالَ: «يُولَدُ النَّاسُ على أطباقٍ شتَّى، يُولَدُ الرَّجلُ مؤمناً ويعيشُ مؤمناً ويموتُ مؤمناً، ويُولَدُ الرَّجلُ كافراً ويعيشُ كافراً ويموتُ كافراً»(٢).

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ١٤٢)، واللالكائي في «الاعتقاد» (٩٦١)، والبيهقي في «الاعتقاد» (١٢٣).

(٢) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (١١٥٨٧)، والترمذي (٢١٩١) وحسنه، ضمن حديث طويل عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وفيه أيضاً: «ويولد الرجل مؤمناً ويعيش مؤمناً ويموت كافراً، ويولد الرجل كافراً ويعيش كافرا ويموت مؤمناً». وفيه علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف، وقال ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٩/ ٣٠): علي بن زيد بن جدعان التيمي له غرائب ومنكرات، =

والمعنى: تعلُّقُ العلمِ الأزليِّ بكلِّ معلومٍ، فيجري ما علمَ وأرادَ وحكمَ، فقد يريدُ إيمانَ شخصٍ على عمومِ الأحوالِ، وقد يُريدُه إلى وقتٍ معلوم، [وكذلك الكفرُ][(١)].

* * *

(٥) - ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

قولُه تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ﴾ يعني: كفَّارَ الأممِ الماضيةِ، ﴿فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾؛ أي: عُوقِبوا ﴿وَلَهُمْ﴾ في الآخرةِ ﴿عَذَابٌ﴾ مؤلِمٌ.

* * *

(٦) - ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوا وَّاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾.

قولُه تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾؛ أي: هذا العذابُ لهم بكفرِهم بالرُّسلِ، ﴿فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا﴾[(٢)]، أنكرُوا أن يكونَ الرَّسولُ من البشرِ.

والبشرُ اسمُ جنسٍ، ولهذا قالَ: ﴿يَهْدُونَنَا﴾.

﴿فَكَفَرُوا﴾؛ أي: بهذا القولِ، ولم يعلموا أنَّ للهِ أن يبعثَ مَن يشاءُ إلى عبادِه، ﴿وَتَوَلَّوا﴾؛ أي: أعرضُوا عن طاعةِ اللهِ ﴿وَّاسْتَغْنَى اللَّهُ﴾ عن إيمانِهم.

= ولكن لهذا الحديث شواهد من وجوه أخر.

قلت: والقطعة التي ذكرها المصنف لها شاهد من حديث ابن مسعود رضي الله عنه رواه الطبراني في «الأوسط» (٨٥٠١)، و«الكبير» (١٠٥٤٢)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢١٣): «فيه عمر بن إبراهيم العبدي وقد وثقه غير، وقال ابن عدي: حديثه عن قتادة مضطرب، قلت: وهذا منها».

(١) انظر: «تفسير القرطبي» (٢١/ ٧)، وما بين معكوفتين منه.

(٢) في (أ): «﴿فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ﴾» والصواب المثبت.

(٧) ـ ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾.

قولُه تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا﴾؛ أي: ظنُّوا، والزَّعمُ هو القولُ بالظَّنِّ، ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي﴾؛ أي: وحقِّ ربِّي ﴿لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ﴾؛ أي: تُجازَون بأعمالِكم.

* * *

(٨) ـ ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

قولُه تعالى: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ أمرَهم بالإيمانِ بعد أن عرَّفَهم قيامَ السَّاعةِ، ﴿وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا﴾؛ أي: القرآن، وهو نورٌ يُهتدَى به من ظُلمةِ الضَّلال.

* * *

(٩ ـ ١٠) ـ ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٩) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾.

قولُه تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ﴾؛ أي: لتبعثُنَّ يومَ يجمعُكم، يومُ الجمعِ: القيامةُ يُجمَعُ فيه أهلُ السَّماءِ والأرض.

﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾ يُقالُ: غبنَه غبناً: إذا أخذَ الشَّيءَ منه بدونِ قيمتِه.

وقيلَ: غبنُهم: أنَّ المؤمنينَ يدخلون الجنَّةَ وهم النَّارَ، فلا غبنَ أعظمُ من هذا.

وقيلَ: يرى الكافرُ ذلك اليومَ مقعدَه وأزواجَه من الجنَّةِ لو آمنَ ليزدادَ حسرةً(١).

---

(١) روى البخاري (٦٥٦٩) عن أبي هريرة قال النبي ﷺ: «لا يدخل أحد الجنة إلا أُرِيَ مقعده من النار، لو أساء ليزداد شكراً، ولا يدخل النار أحد إلا أُري مقعده من الجنة، لو أحسن ليكون عليه حسرة».

ولمَّا ذكرَ أنَّ الكفَّارَ اشتروا الضَّلالةَ بالهدى وما ربحوا في تجارتِهم بل خسرُوا ذكرَ أيضاً أنَّهم غُبِنوا.

﴿وَمَن يُؤْمِنْ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ﴾؛ أي: يكفِّرِ اللهُ عنه سيِّئاتِه.

وقُرِئَ: ﴿نُكفِّر﴾ و﴿نُدخلْه﴾ بالنُّون[١].

قولُـه تعالـى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ لمَّـا ذكرَ ما لِلمؤمنيـنَ ذكرَ ما لِلكافرين.

❊❊❊

(١١) ـ ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾.

قولُه تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ توهَّمَ قومٌ من الكفَّارِ أنَّ ما عليه المسلمون لو كانَ حقّاً لصانَهم اللهُ عن المصائبِ في الدُّنيا، فبيَّنَ الرَّبُّ أنَّ ما أصابَ من مُصيبةٍ فبعلمِ اللهِ وقضائِه ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾؛ أي: عند المصيبةِ حتَّى يعلَمَ أنَّها من الله.

وقيلَ: ﴿يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾؛ أي: يُثبِّتْ قلبَه على الإيمان.

وقيلَ: ﴿يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾؛ أي: يَنلَ الثَّوابَ في الجنَّة.

وقيلَ: الآيةُ في قومٍ امتنعوا عن الإيمانِ لـمَا فيه من التَّقرير بالتعيين من الجهاد، فعرفوا أنَّ ما يُصيبُ الإنسانَ من مكروهٍ فهو بقضاءِ الله.

---

(١) قرأهما بالنون نافع وابن عامر والباقون بالياء. انظر: «السبعة» (ص: ٦٣٨)، و«التيسير» (ص: ٢١١).

وقرأ عكرمةُ: (يَهْدَأْ قلبُه)[1]؛ أي: يَسكُن، من الهدوءِ.

***

(١٢ - ١٣) - ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٢﴾ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾؛ أي: هوِّنُوا على أنفسِكم مصائبَ الدُّنيا، واشتغلوا بطاعةِ اللهِ ورسولِه ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ فليسَ على الرَّسولِ إلا التَّبليغُ، وقد فعلَ.

قولُه تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾؛ أي: لا خالقَ غيرُه، فعليه توكَّلوا.

(١٤) - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

قولُه تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ﴾ قالَ ابنُ عبَّاسٍ: كانَ الرَّجلُ يُسلمُ، فإذا أرادَ الرَّجلُ أن يُهاجرَ منعَه أهلُه وولدُه، وقالوا: نَنْشُدُكَ اللهَ أن تذهبَ وتدعَنا، فمنهم مَن يَرِقُّ لهم ولا يهاجرُ، فنزلَتِ الآيةُ في التَّثبيطِ عن الهجرةِ أو عن الإسلامِ[2]، فيحتملُ أن يكونَ الأهلُ والولدُ مسلمين، ويحتملُ أن يكونوا كفَّاراً، ﴿فَاحْذَرُوهُمْ﴾ حتَّى لا يمنعوكم عن الهجرةِ وعن الإسلامِ.

---

(١) انظر: «المحتسب» (٢/ ٣٢٣)، ورواها عن عكرمة الثعلبي في «تفسيره» (٢٦/ ٥٠٤) وقال: أي: يسكن ويطمئن.

(٢) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٣٤)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٦) عن الضحاك.

﴿وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ قـالَ ابنُ عبَّاسٍ: هؤلاء قـومٌ أسـلمُوا فأرادوا الهجـرةَ، فأبى أزواجُهـم وأولادُهم، فلمَّا أتَوا رسـولَ اللهِ عليه السَّـلامُ [رأوا النـاسَ] قد فَقُهـوا في الدِّين، فهمُّـوا أن يُعاقبوا أزواجَهـم وأولادَهم، فقالَ اللهُ: وإن تعفوا عمَّا سلفَ من أهليكم، فإنَّ اللهَ يحبُّ ذلك منكم[1].

ومن قالَ: أرادَ الأزواجَ والأولادَ الكفَّارَ لتحقُّقِ العداوة، فـ﴿مِنۡ﴾ للتَّبعيضِ في قولِه: ﴿إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ﴾؛ لأنَّ المؤمنينَ منهم خارجونَ عن هذا الوصفِ، ومَن قالَ: يدخلُ فيه الأزواجُ المؤمناتُ، قالَ: وقعَ ﴿مِنۡ﴾ للتَّبعيضِ أيضاً؛ لأنَّ فيهم مَن كانَ لا يُثبِّطُ عن الهجرةِ.

وقيلَ: نزلَتِ الآيةُ في التَّثبيطِ عن الغزوِ والجهاد.

وقـالَ عطـاءٌ: نزلَـت في عوفِ بـنِ مالكٍ الأشـجعيِّ، كانَ ذا أهلٍ وولـدٍ، فكانَ إذا أرادَ الغـزوَ بكَـوا ورقَّقُـوه، وقالوا: إلى مَـن تدعُنا؟ فيرقُّ لهـم ويُقيمُ[2].

وقالَ مجاهدٌ: ما عادَوهم في الدُّنيا، ولكن حملَتْهم مودَّتُهم لهم على أنَّ أخذُوا لهم الحرامَ فأعطَوه إيَّاهم[3].

والآيةُ عامَّةٌ في كلِّ معصيةٍ يرتكبُها الإنسانُ بسببِ الأهلِ والولدِ، وخصوصُ السَّببِ لا يمنعُ عمومَ الحُكم.

* * *

---

(١) رواه الترمذي (٣٣١٧) وقال: «حديث حسن صحيح». وما بين معكوفتين منه.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٥)، وفي إسناده رجل مبهم.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٥) بلفظ: «إنهما يحملانه على قطيعة رحمه، وعلى معصية ربه، فلا يستطيع مع حبه إلا أن يقطعه»، وفي رواية: «إلا أن يطيعه».

(١٥) ـ ﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾.

قولُه تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ﴾؛ أي: بلاءٌ وشُغلٌ عن الآخرةِ، فلا تُطيعوهم في معصيةِ الله حتَّى[١] إذا منعوكم عن الهجرةِ أو الإسلامِ أو الجهادِ.

قيلَ: هو عامٌّ في جميعِ الأولادِ، فإنَّ الإنسانَ مفتونٌ بولدِه، وربَّما يَعصي الله بسببِه، ويتورَّطُ في مالٍ حرامٍ، والفتنةُ: المحنةُ وشديد التَّعمُّد[٢].

وروى عبدُ اللهِ بنُ بُريدةَ عن أبيه قال: رأيتُ رسولَ اللهِ ﷺ يخطبُ، فجاءَ الحسنُ والحسينُ عليهما قميصانِ يعثران، فنزلَ رسولُ الله وأخذَهما ورفعَهما، ثمَّ قالَ: «صدقَ الله: ﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ﴾، رأيتُ هذين، فلم أَصْبِرْ حتى قطَعْتُ حَدِيثي ورفَعْتُهما[٣]» ثمَّ أخذَ في خُطبتِه[٤].

* * *

(١) قوله: «حتى» كذا في (أ)، والمعنى على حذفها.

(٢) قوله: «وشديد التعمد» كذا في (أ) ولم أقف على هذا اللفظ ـ إن صح ـ في معنى المحنة، وقد جمع الأزهري في «تهذيب اللغة» ما جاء في معناها، وفيه: والفتنةُ: العذابُ، نحو تعذيب الكفَّار ضَعَفَة المؤمنين في أوَّل الإسلام لِيَصدُّوهم عن الإيمان، قال: وأخبرني المنذِرِيّ عن ثعلب عن ابن الأعرابي أنه قال: الفِتنةُ: الاختبارُ، والفتنةُ: المحنةُ، والفتنة: المالُ، والفِتنة: الأولادُ، والفتنة: الكفرُ، والفتنة: اختلاف النَّاس بالآراء، والفتنةُ: الإحراق بالنَّار، وقيل: الفتنة الغُلو في التَّأويل المظلم، يقال: فلان مفتون بطلب الدُّنيا؛ أي قد غلا في طلبها، وجماعُ الفتنة في كلام العرب: الابتلاء والامتحان.

(٣) في (أ): «فلم أصبرْ حتَّى أخذتُهما في أخذ»، والمثبت من رواية الترمذي، وجاء في كثير من المصادر: «فلم أصبر ثم أخذ في الخطبة».

(٤) رواه أبو داود (١١٠٩)، والترمذي (٣٧٧٤) وحسنه، والنسائي (١٤١٣)، وابن ماجه (٣٦٠٠).

(١٦) ـ ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾؛ أي: إنَّ اللهَ عندَه الأجرُ العظيمُ فاتَّقوه تَحوزوا ذلك الأجرَ ﴿مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾؛ أي: ابلُغوا مجهودَكم في تجنُّبِ معاصيه.

قالَ قتادةُ: هذه ناسخةٌ لقولِه تعالى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ [آل عمران: ١٠٢][(١)].

ومَن منعَ تكليفَ ما لا يُطاقُ قالَ: هذه الأخيرةُ تُبيِّنُ الأولى؛ فإنَّ قولَه: ﴿حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ معناه: التَّقوى على قَدْرِ الجهدِ.

﴿وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا﴾؛ أي: اسمعوا منَ اللهِ ورسولِه ما يأمرانِ به وأطيعوا.

﴿وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ﴾؛ أي: وقدِّموا خيراً لأنفسِكم.

وقيلَ: وأنفقوا يكنْ خيراً لكم وأنفعَ من الشُّحِّ بالمالِ.

﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ﴾؛ أي: مَن حفظَهُ اللهُ عنِ الشُّحِّ بالحقوقِ فقد فازَ بما طلبَ منَ الثَّوابِ.

* * *

(١٧) ـ ﴿إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾.

قولُه تعالى: ﴿إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾؛ أي: إن تُنفقوا في طاعةِ اللهِ متقرِّبين إليه ﴿يُضَعِّفْه لكم﴾ قُرِئَ بغيرِ ألفٍ، وقُرِئَ بألفٍ[(٢)]: يَجزِكم بالواحدِ أضعافَه من

---

(١) رواه عنه عبد الرزاق في «تفسيره» (٤٣٩)، والطبري في «تفسيره» (٥/ ٦٤٣)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٣١٧).

(٢) قرأ ابن كثير وابن عامر بالتشديد بلا ألف، والباقون: ﴿يضاعفه﴾. انظر: «السبعة» (ص: ٦٣٨)، و«التيسير» (ص: ٨١).

العشرةِ إلى سبعِ مئةِ ضعفٍ، والقرضُ يتناولُ كلَّ طاعةٍ، فكلُّ ما ترجو ثوابَه ينطلقُ عليه لفظُ القرضِ إذا أُثيبَ به.

﴿وَٱللَّهُ شَكُورٌ﴾؛ أي: مُثْنٍ على مَن أطاعَ مُثيبٌ له.

* * *

(١٨) ـ ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

قولُه تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾؛ أي: هو عالمٌ بما غابَ عن العبادِ لا يرونَه ولا يعرفونَه، وهو حاضرٌ لهم، وهو ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ ولا يُعترَضُ عليه بما يفعلُ ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ المصيبُ بما يفعلُ.

* * *

تفسيرُ سورةِ الطَّلاقِ

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحۡصُواْ ٱلۡعِدَّةَۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمۡۖ لَا تُخۡرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخۡرُجۡنَ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥۚ لَا تَدۡرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرٗا﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾؛ أي: إذا أردتُم التَّطليقَ ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾؛ أي: في حالٍ يقعُ ما يتعقَّبُ الطَّلاقَ من العدَّةِ الَّتي أُمِرت المرأةُ بها حتَّى لا يطولَ الأمرُ عليها[1]، وهذا أمرٌ بالأدبِ في الطَّلاقِ بما ينتفي به الضَّررُ عن المرأةِ.

قالَ أنسٌ: طلَّقَ النَّبيُّ ﷺ حفصةَ، فأتَت أهلَها، فأنزلَ اللهُ هذه الآيةَ. وقيلَ لهُ: راجعْها؛ فإنَّها صوَّامةٌ قوَّامةٌ، وهي من إحدى زوجاتِك في الجنَّةِ[2]. ونزلَ

(١) مجمل معنى الآية كما ذكره الواحدي في «البسيط» (٢١/ ٤٩٥) عن السلف مجاهد وعكرمة والضحاك والحسن وابن سيرين ومقاتل والجميع، قالوا: أمر الله تعالى الزوج أن يطلق امرأته إذا شاء الطلاق في طهر لم يجامعها فيه، وهو قوله: ﴿لِعِدَّتِهِنَّ﴾ أي: لزمان عدتهن وهو الطهر بإجماع من الأمة، وذلك أن الطلاق سنيٌّ وبِدْعي، فالسني: أن يقع في طهر لم يجامع فيه فذلك هو الطلاق للعدة؛ لأنها تعتد بذلك الطهر من عدتها ويحصل في العدة عقيب الطلاق، فلا يطول عليها زمان العدة. فالآية دلت على إيقاع الطلاق في الطهر، ودلت السنة على أن ذلك الطهر يجب أن يكون غير مجامع فيه حتى يكون الطلاق سنيًّا. وهو ما سيأتي من حديث ابن عمر.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٥٩)، والثعلبي في «تفسيره» (٢٦/ ٥٢٣)، ورجح الدارقطني إرساله عن قتادة في «العلل» (١٢/ ١٤٧).

=

فـي خروجِهـا إلى أهلِهـا قولُه تعالـى: ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ﴾[١].

وقالَ الكلبيُّ: سببُ نزولِ الآيةِ غضبُ رسولِ اللهِ ﷺ على حفصةَ لـمَّا أسرَّ إليها حديثاً فأظهرته لعائشةَ، فطلَّقَها بطلقةٍ، فنزلَت الآيةُ[٢].

وقالَ السُّدِّيُّ: نزلَت في عبدِ اللهِ بنِ عمرَ، طلَّقَ امرأتَه حائضاً تطليقةً واحدةً، فأمرَه رسولُ اللهِ بأن يراجعَها ثمَّ يمسكَها حتَّى تطهرَ وتحيضَ ثمَّ تطهرَ، فإن أرادَ أن يطلِّقَها فليطلِّقْها حينَ تَطهرُ مِن قَبْلِ أن يجامعَها، فتلك العدَّةُ الَّتي أمرَ اللهُ أن تُطلَّقَ لها النِّساءُ[٣].

وقد قيلَ: إنَّ رجالاً فعلوا مثلَ ما فعلَه ابنُ عمرَ؛ منهم عبدُ اللهِ بنُ عمرِو بنِ العاصِ، وعمرُو بنُ سعيدِ بنِ العاصِ، وعتبةُ بنُ غزوانَ، فنزلَتِ الآيةُ فيهم[٤].

= ورواه الطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٤٦١٥)، والحاكم في «المستدرك» (٦٧٥٤)، من طريق ثابت عن أنس، وليس فيه ذكر نزول الآية. وفي إسناده الحسن بن أبي جعفر وهو ضعيف.

ورواه البزار في «مسنده» (١٤٠١)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٣/ ١٨٨) من حديث عمار بن ياسر رضي الله عنه. وفيه أيضاً الحسن بن أبي جعفر وهو ضعيف كما ذكرنا.

وقال ابن كثير في «تفسيره» أول سورة الطلاق: وقد ورد من غير وجه أن رسول الله ﷺ طلق حفصة ثم راجعها.

(١) انظر: «البسيط» (٢١/ ٤٩٣).

(٢) ذكره أبو الليث السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٤٥٩)، والواحدي في «البسيط» (٢١/ ٤٩٣).

(٣) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٣٥). وحديث ابن عمر رضي الله عنهما رواه البخاري (٥٢٥١)، ومسلم (١٤٧١)، وليس فيه ذكر النزول.

(٤) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢١/ ٤٩٣) عن مقاتل بن حيان ومقاتل بن سليمان. ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٥٩) عن مقاتل بن حيان.

ودلَّت القصَّةُ على أنَّ الطَّلاقَ في الحيضِ هو لغيرِ العدَّةِ، والطَّلاقَ في الطُّهرِ هو للعدَّةِ إذا لـم يجامعْها في ذلك الطُّهر.

قولُه تعالى: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ﴾ يتناولُ الواحدَ والعددَ، فلا ندبَ عند الشافعيِّ في العددِ، فلو طلَّقَها ثلاثاً دفعةً لـم يُكرَه.

وقولُه: ﴿إِذَا طَلَّقْتُمُ﴾ في المرأةِ المدخولِ بها إذا كانَت تحيضُ وليسَت بحاملٍ، وأمَّا الحاملُ، وغيرُ المدخولِ بها، أو الَّتي لا تحيضُ من صِغَرٍ أو كبرٍ وهي مدخولٌ بها، فلا سُنَّةَ في طلاقِها ولا بدعةَ.

ثمَّ؛ قيلَ: الخطابُ للنَّبيِّ عليه السَّلامُ والمرادُ الأمَّةُ.

وقيلَ: أي: يا أيُّها النَّبيُّ قل لهم: إذا طلَّقتم، فأضمرَ القولَ.

وقالَ الجرجانيُّ: اللَّامُ بمعنى (في) هاهنا؛ كقولِه: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ﴾ [الحشر: ٢]؛ أي: في أوَّلِ الحشر، فقولُه: ﴿لِعِدَّتِهِنَّ﴾؛ أي: طلِّقُوهنَّ في عدَّتِهنَّ؛ أي: في الزَّمانِ الَّذي يصلحُ لعدَّتِهن[1].

وحصلَ إجماعٌ على أنَّ الطَّلاقَ في الحيضِ مكروهٌ ممنوعٌ، وفي الطُّهرِ مأذونٌ فيه، ففيه دليلٌ على أنَّ القُرءَ هو الطُّهرُ.

فإن قيلَ: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾؛ أي: لقُبُلِ عدَّتِهنَّ، وهي قراءةُ النَّبيِّ عليه السَّلامُ[2]، فقُبُلُ العدَّةِ آخرُ الطُّهرِ حتَّى يكونَ القُرءُ الحيضُ.

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢١/ ٤٩٨).

(٢) رواه مسلم (١٤٧١) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، قال أبو العباس القرطبي في «المفهم» (٤/ ٢٣٣): «هذا تصريح برفع هذه القراءة إلى رسول الله ﷺ غير أنها شاذة عن المصحف، ومنقولة آحادًا، فلا تكون قرآنًا، لكنها خبر مرفوع إلى النبي ﷺ صحيح، فهي حجة واضحة لمن يقول بأن =

قيلَ: لو صحَّ هذا لوجبَ أن يُقالَ: مَن طلَّقَ في أوَّلِ الطُّهرِ لا يكونُ مطلِّقاً لقُبُلِ الحيضِ؛ لأنَّ الحيضَ لـم يُقبِل بعدُ، وأيضاً إقبالُ الحيضِ يكونُ بدخولِ الحيضِ وبانقضاءِ الطُّهرِ، فقبلَ انقضاءِ الطُّهرِ لا يتحقَّقُ إقبالُ الحيضِ، ولو جازَ إقبالُ الشَّيءِ في إدبارِ ضدِّه لكانَ الصَّائمُ مفطراً قبلَ مغيبِ الشَّمسِ، إذ اللَّيلُ يكونُ مُقبِلاً في إدبارِ النَّهارِ قبلَ انقضاءِ إدبارِ النَّهارِ.

ثمَّ إذا طلَّقَ في آخرِ الطُّهرِ فبقيَّةُ الطُّهرِ قرءٌ؛ لأنَّ بعضَ القرءِ يُسمَّى قرءاً، كقولِه: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾ [البقرة: ١٩٧] يعني: شوَّالاً وذا القعدةِ وبعضَ ذي الحجَّةِ، وكقولِه: ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ﴾ [البقرة: ٢٠٣] وهو ينفرُ في بعضِ اليومِ الثَّاني.

﴿وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ﴾؛ أي: عددَ الأيَّامِ إذا طلَّقتموهنَّ للعدَّةِ؛ ليتبيَّنَ لكم وقتُ الرَّجعةِ ووقتُ جوازِ السروح وأمرُ النَّفقةِ والسُّكنى.

﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ﴾؛ أي: لا تعصُوه.

﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ﴾؛ أي: ليسَ للزَّوجِ أن يخرجَها من مسكنِ النِّكاحِ ما دامَت في العدَّةِ، ولا يجوزُ لها الخروجُ أيضاً ـ لحقِّ الزَّوجِ ـ إلَّا للضَّرورةِ الظَّاهرةِ، فإن خرجَت أثمَت ولا تنقطعُ العدَّةُ. والرَّجعيَّةُ والمبتوتةُ في هذا سواءٌ، وهذا لصيانةِ ماءِ الزَّوجِ، وهذا معنى إضافةِ البيوتِ إليهنَّ.

﴿إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾؛ أي: بخصلةٍ قبيحةٍ واضحةِ القُبحِ، وهي الزِّنى، فتُخرَج لإقامةِ الحدِّ عليها، ثمَّ إن كانَ الحدُّ بالجلدات رُدَّت بعدَ الحدِّ إلى مسكنِ النِّكاحِ إلَّا أن تُغرَّب.

= الأقراء هي الأطهار... قال جماعة من العلماء: وهي محمولة على التفسير، لا التلاوة»، وقال النووي في «شرح مسلم» (١٠/ ٦٩): «هذه قراءة ابن عباس وابن عمر وهي شاذة لا تثبت قرآناً بالإجماع ولا يكون لها حكم خبر الواحد عندنا وعند محققي الأصوليين».

وقيلَ: الفاحشةُ: أن تَبذوَ على أهلِ زوجِها، فيجوزُ له نقلُها، كما أمرَ رسولُ اللهِ ﷺ فاطمةَ بنتَ قيسٍ أن تعتدَّ في بيتِ أمِّ مكتومٍ لسُوءِ خُلقِها(١).

وقيلَ: الفاحشةُ: خروجُها من مسكنِ النِّكاحِ؛ أي: لو خرجَت كانَت عاصيةً.

﴿وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾؛ أي: هذه الأحكامُ الَّتي بيَّنَها أحكامُ اللهِ على العبادِ، وقد منعَ التَّجاوزَ عنها، فمَن تجاوزَ فقد ظلَمَ نفسَه وأوردَها موردَ الهلاكِ.

﴿لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾ قالَ ابنُ عبَّاس: يريدُ النَّدمَ على الطَّلاقِ(٢).

وقالَ مقاتلٌ: ﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾؛ أي: بعدَ طلقةٍ أو طلقتينِ، يريدُ النَّدمَ على الطَّلاقِ؛ أي: المراجعةَ(٣).

وقيلَ: الآيةُ في الرَّجعيَّة.

وقيلَ: في جميعِ المطلَّقات، وقولُه تعالى: ﴿لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾؛ أي: إن كانَت رجعيَّةً.

***

---

(١) حديث فاطمة بنت قيس رواه مسلم (١٤٨٠)، وقوله: «لسوء خلقها» المراد به استطالتها على أحمائها بلسانها، كما رواه الشافعي في «الأم» (٥/ ٢١٧ ـ ٢١٨)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٣/ ٦٩)، عن سعيد بن المسيب. وروى أبو داود (٢٢٩٦) عن سعيد بن جبير قال: «إنها كانت لسنة فوضعت على يدي ابن أم مكتوم الأعمى».

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢١/ ٥٠٤).

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٣٦٣)، وفيه: «يعني بعد التطليقة والتطليقتين ﴿أَمْرًا﴾ يعني: الرجعة».

(٢) - ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾.

قولُـه تعالـى: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾؛ أي: قاربْنَ انقضاءَ أجـلِ العدَّةِ، كقولِه: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣١]؛ أي: قرُبْـنَ من انقضاءِ الأجلِ.

﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ يعني: المراجعةَ بمعروفٍ؛ أي: بالرَّغبةِ من غيرِ قصدِ المضارَّةِ ﴿أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾؛ أي: دعوهنَّ للبينونةِ، ومن المعروفِ في الإمساكِ إيفاءُ حقوقِ العِشرةِ، ومن المعروفِ في الفراقِ أداءُ حقِّ الطَّلاقِ من النفقة[١] والصَّداقِ.

وقولُه: ﴿أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ - وقد حصلَ الفراقِ بنفسِ الطَّلاقِ، ولهذا حرمَ وطءُ الرَّجعيَّةِ - معناه: أتمُّوا فراقَهنَّ، وهو التَّسريحُ، فتركُ المراجعةِ تسريحٌ.

﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ هو إشهادٌ على الطَّلاقِ، وفـي قولٍ: على الرَّجعةِ، وهو احتياطٌ.

﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾؛ أي: تقرُّباً إلى اللهِ في إقامةِ الشَّهادةِ إذا مسَّت الحاجةُ إليها.

﴿ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ﴾؛ أي: يُوصَى بالتزامِه ﴿مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ فأمَّا غيرُ المؤمنِ فلا ينتفِعُ بهذه المواعظِ.

﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ قالَ ابنُ عبَّاس: أي: مَن يَخَفِ الله يجعلْ له مخرجاً من كلِّ ضِيقٍ[٢].

---

(١) في (أ): «ومن المنفعة»، والصواب المثبت.

(٢) ذكره بهذا اللفظ الواحدي في «البسيط» (٢١/ ٥٠٣)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٤٣) =

وقالَ جابرُ بنُ عبد اللهِ: نزلَت في عوفِ بنِ مالكٍ، أسرَ المشركون ابناً له، فأتى رسولَ اللهِ ﷺ وشكا إليه الفاقةَ، وقالَ: إنَّ العدوَّ أسرَ ابني، وجزعَت الأمُّ، فما تأمُرُني؟ فقالَ عليه السَّلامُ: «اتَّقِ اللهَ واصبرْ، وآمرُكَ وإيَّاها أن تستكثرَ من قولِ: لا حولَ ولا قوَّةَ إلّا باللهِ»، فعادَ إلى بيتِه، وقالَ لامرأتِه: إنَّ رسولَ اللهِ أمرَني وإيَّاكِ أن نستكثرَ من قولِ «لا حولَ ولا قوَّةَ إلَّا باللهِ»، فقالَت: نِعْمَ ما أمرَنا به. فجعلا يقولانِ، فغفلَ العدوُّ عن ابنِه، فساقَ غنمَهم وجاءَ بها إلى أبيه، وهي أربعةُ آلافِ شاةٍ، فنزلَتِ الآيةُ.

وجعلَ النَّبيُّ عليه السَّلامُ تلك الأغنامَ له[1].

وقيلَ: جاءَ بإبلٍ أصابَ من العدوِّ إلى أبيه، وذلك قولُه: ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾.

وقالَ الزَّجَّاجُ: أي: إذا اتَّقى وآثرَ الحلالَ والصَّبرَ على أهلِه، فتحَ الله عليه إن كانَ ذا ضيقةٍ، ورزقَه من حيثُ لا يحتسبُ.

وقيلَ: أي: إن جرى في طلاقِه على السُّنَّةِ رزقَه الله أهلاً بدلَ أهلِه[2].

= بلفظ: نجاته من كل كرب في الدنيا والآخرة، ويرزقه من حيث لا يحتسب.

(١) رواه بنحوه الحاكم في «المستدرك» (٣٨٢٠) من طريق سالم بن أبي الجعد عن جابر. وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. فتعقبه الذهبي بقوله: بل منكر.
ورواه الطبراني في «الدعاء» (١٦٧٢)، والثعلبي في «تفسيره» (٢٦/ ٥٥٦) من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما. والكلبي متروك.
وروى نحو هذه القصة الحاكم في «المستدرك» (١٩٩٣) من طريق أبي عبيدة عن أبيه ابن مسعود رضي الله عنه، وقال: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه». وأبو عبيدة لم يسمع من أبيه. وانظر: «الإصابة» لابن حجر (٣/ ٩ ـ ١٠).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ١٨٤).

(٣) - ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾.

قولُه تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾؛ أي: مَن فوَّضَ أمرَه إليه كفاه ما أهمَّه. وقيلَ: أي: مَنِ اتَّقى اللهَ وجانبَ المعاصي فله فيما يُعطيه في الآخرةِ من ثوابِه كفايةٌ، ولم يردِ الدُّنيا؛ لأنَّ المتوكِّلَ قد يُصابُ في الدُّنيا وقد يُقتَلُ.

﴿إنَّ اللهَ بالغٌ أمرَه﴾؛ أي: مُنفِذُ أمرِه يبلغُ منه ما يريدُ، وقُرِئَ: ﴿بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ﴾ بالإضافةِ[1]، وحُذفَ التَّنوينُ لطلبِ الخفَّةِ.

﴿قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾؛ أي: لكلِّ شيءٍ من الشِّدَّةِ والرَّخاءِ أجلاً ينتهي إليه.

وقيلَ: أي: حدَّ في كلِّ شيءٍ حدًّا وبيَّنَ أحكامَه للعبادِ.

وقيلَ: أي: لكلِّ شيءٍ حدٌّ توكَّلتُم أم لم تتوكَّلوا، ولكن توكَّلُوا على كلِّ حالٍ لتستحقُّوا الثَّوابَ.

* * *

(٤) - ﴿وَٱلَّٰٓـِٔى يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّٰٓـِٔى لَمْ يَحِضْنَ ۚ وَأُو۟لَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾.

قولُه تعالى: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔى يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ﴾ لمَّا بيَّنَ أمرَ الطَّلاقِ والرَّجعةِ في الَّتي تحيضُ، وكانوا عرفوا عدَّةَ ذواتِ القُرءِ، عرَّفَهم في هذه السُّورةِ عدَّةَ الَّتي لا تَرى الدَّمَ.

---

(١) قرأ بها حفص، والباقون بالتنوين. انظر: «السبعة» (ص: ٦٣٩)، و«التيسير» (ص: ٢١١).

قيلَ: لمَّا نزلَت عدَّةُ النِّساءِ في سورةِ البقرةِ قالَ أُبيُّ بنُ كعبٍ: يا رسولَ اللهِ، إنَّ ناساً من أهلِ المدينةِ يقولون: قد بقيَ كثيرٌ من النِّساءِ ما لـم يُذكَرْ فيه شيءٌ. قالَ: «وما هو؟» قالَ: الصِّغارُ والكبارُ وذواتُ الحَملِ. فنزلَت هذهِ الآيةُ[(١)].

وقيلَ: إنَّ معاذَ بنَ جبلٍ سألَ عن عدَّةِ الكبيرةِ الَّتي يئسَت، فنزلَت الآيةُ[(٢)]؛ أي: واللائي انقطعَ أرحامُهنَّ من الحيضِ لكبرِهنَّ.

﴿مِن نِّسَآئِكُمْ﴾؛ أي: من أزواجِكم.

﴿إِنِ ٱرْتَبْتُمْ﴾؛ أي: شككتُم فلم تدرُوا ما عدَّتُها.

وقالَ الزَّجَّاجُ: إن ارتبتُم فـي حيضِها وقد انقطعَ عنها الحيضُ، وكانَت ممَّن يحيضُ مثلُها[(٣)].

وفي هذا نظرٌ؛ لأنَّا إذا شكَكْنا فـي أنَّها: هل بلغَت سنَّ اليأسِ؟ لـم نقل: عدَّتُها ثلاثةُ أشهرٍ[(٤)].

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٧١٠٤)، وابن راهويه كما في «المطالب العالية» (٣٧٥٨)، والطبري فـي «تفسيره» (٢٣/ ٥١)، والحاكم في «المستدرك» (٣٨٢١) وصححه، من طريق عمرو بن سالم عن أبي بن كعب رضي الله عنه. وعمرو لم يدرك أبيًّا كما قال أبو حاتم عندما سئل عن هذا الحديث. انظر: «العلل» لابنه (١/ ٤٣٨).

(٢) ذكره الفراء في «معاني القرآن» (٣/ ١٦٣)، الواحدي في «البسيط» (٢١/ ٥٠٩)، وسيذكر المصنف تتمة الخبر عن معاذ قريباً.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ١٨٥).

(٤) ولعله لا نظر في كلام الزجاج؛ إذ إنه ذكر في تمام كلامه بيان ذلك، حيث قال: «والذي يذهب إليه مالك واللغة تدل عليه أن معناه: إن ارتبتم في حيضها وقد انقطع عنها الحيض وكانت ممن يحيض مثلها فعدتها ثلاثة أشهر، وذلك بعد أن تترك تسعة أشهر بمقدار الحمل، ثم تعتد بعد ذلك ثلاثة أشهر، فإن حاضت في هذه الثلاثة الأشهر تمت ثلاث حيض. وجائز أن يتأخر هذا الحيض فيكون =

والمعتبرُ من اليأسِ في قولٍ: أقصى عادةِ امرأةٍ في العالمِ، وفي قولٍ: غالبُ عاداتِ نساءِ عشيرةِ المرأةِ.

﴿فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ﴾ قام رجلٌ فقالَ: يا رسولَ اللهِ، فما عدَّةُ الصَّغيرةِ الَّتي لم تحضْ؟ فنزلَت ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي لَمْ يَحِضْنَ﴾؛ أي: هي كالكبيرةِ الَّتي أيسَتْ، ﴿فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ﴾، فقامَ آخرُ فقالَ: فالحواملُ يا رسولَ اللهِ ما عدَّتُهنَّ؟ فنزلَ ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾؛ أي: في انقطاعِ ما بينهنَّ وبينَ الأزواجِ[1].

﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾؛ أي: مَن يلزمْ طاعةَ اللهِ فهو - وإن ثقُلَ عليه في الحالِ - فإنَّه يجدُ له يُسراً في عاقبتِه، فيأمنُ من مغبَّةِ المعصيةِ.

وقيلَ: مَن يتَّقِ اللهَ يُسهِّلْ عليه أمرَه، ويوفِّقْه للعملِ الصَّالحِ.

وقالَ عطاءٌ: يُسهِّل عليه أمرَ الدُّنيا والآخرةِ[2].

* * *

(٥) - ﴿ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا﴾.

قولُه تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾؛ أي: الَّذي ذُكِرَ من الأحكامِ أمرُ الله ﴿أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ﴾

= كلما قاربت أن تخرج من الثلاثة حاضت، فهذا مذهب مالك وهو الذي يروى عن عمر رحمه الله. وقال أهل العراق: تترك ولو بلغت في ذلك أكثر من ثلاثين سنة ولو بلغت إلى السبعين، يعنون: حتى تبلغ مبلغ من لا يحيض، وقالوا: ولو شاء الله لابتلاها بأكثر من ذلك، وكذلك في قوله: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي لَمْ يَحِضْنَ﴾ معناه عند مالك معناه: إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر، واليائسة عند مالك وغيره بإجماع: التي قد يئست من المحيض فلا ارتياب في أمرها أنها لا تحيض تعتد ثلاثة أشهر».

(١) هذا تمام خبر معاذ بن جبل المتقدم قريباً.

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢١/ ٥١٢).

﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ﴾؛ أي: يعملْ بطاعتِه ﴿يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ﴾ من الصَّلاةِ إلى الصَّلاةِ، ومن الجمعةِ إلى الجمعةِ، ﴿وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا﴾؛ أي: في الآخرةِ.

* * *

(٦) ـ ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ﴾.

قولُه تعالى: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم﴾؛ أي: موضعاً من المواضعِ الَّتي تسكنونَها ﴿مِّن وُجْدِكُمْ﴾؛ أي: من سَعتِكم، والوُجدُ: المقدرةُ، وهذا الإسكانُ حتمٌ إلى انقضاءِ العدَّةِ، فالمطلَّقةُ تستحقُّ السُّكنى، وفي المتوفَّى عنها زوجُها قولان.

﴿وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ﴾ هذا نهيٌ عن التَّضييقِ عليهنَّ في المسكنِ والنَّفقةِ.

﴿وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ﴾: فالرَّجعيَّةُ تستحقُّ النَّفقةَ وإن لم تكن حاملاً، والمطلَّقةُ ثلاثاً والمختلِعةُ لا نفقةَ لهما إلا أن تكونَ المرأةُ حاملاً.

﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ يعني: أجرةَ الرَّضاعِ، وللزَّوجِ أن يستأجرَ امرأتَه للإرضاعِ كما يَستأجرُ أجنبيَّةً.

وقالَ: ﴿حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾، ولم يقلْ: أحمالهن؛ لأنَّ (الحملَ) مصدرٌ، وهوَ في البطنِ، والحِملُ ـ بالكسرِ ـ: الاسمُ، وهو ما على الظَّهرِ.

﴿وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ﴾ هو خطابٌ للأزواجِ والزَّوجاتِ؛ أي: ائتمروا في إرضاعِ الولدِ فيما بينكم بمعروفٍ؛ حتَّى لا يَلحقَ الولدَ ضرارٌ، ومعنى ﴿وَأْتَمِرُوا۟﴾: لِيأمُرْ بعضُكم بعضاً بينكم بهذا، فهو افتعالٌ في موضعِ التَّفاعلِ.

ويحتمِلُ أن يكونَ مُطاوِعَ الأمرِ، تقولُ: «أمرتُه فائتمرَ»، و: «نهيتُه فانتهى»، فمعنى (ائتمرَ): قَبِلَ ما أمرتُه به، يعني: ليَقْبلْ بعضُكم من بعضٍ ما أمرتُه من المعروفِ الجميلِ، والجميلُ منها: إرضاعُ الولدِ من غيرِ أجرةٍ، أو من غيرِ مماكسةٍ شديدةٍ في الأجرةِ، والجميلُ منه: توفيرُ الأُجرةِ عليها للإرضاعِ.

وقيلَ: ﴿وَأْتَمِرُوا﴾؛ أي: تشاوَروا، كقولِه تعالى: ﴿إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ﴾ [القصص: ٢٠]. أي: اجتمِعُوا في أمرِ الولدِ على رأيٍ جميلٍ مرضيٍّ في الشَّرعِ.

﴿وَإِن تَعَاسَرْتُمْ﴾؛ أي: في الأجرةِ، ولم يتَّفقْ بينَ الوالدِ والوالدةِ ما يتراضيانِ به، ﴿فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى﴾؛ أي: يَسترضعُ للولدِ، حتَّى لو وجدَ الوالدُ مَن يَتبرَّعُ بالإرضاعِ أو بأجرةٍ أقلَّ ممَّا تطلبُ والدةُ الصَّبيِّ فله التَّسليمُ إلى هذه الأجنبيَّةِ.

* * *

(٧) ـ ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾.

قولُه تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ﴾؛ أي: لينفقِ الزَّوجُ على زوجتِه وعلى ولدِه الصَّغيرِ على قَدْرِ وُسعِه حتَّى يُوسِّعَ عليهما إذا كانَ موسَّعاً عليه، ومَن كانَ فقيراً فعلى قَدْرِ ذلك، قالَ اللهُ تعالى: ﴿عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ﴾ [البقرة: ٢٣٦].

﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا﴾؛ أي: لا يُكلِّفُ الفقيرَ مثلَ ما يُكلِّفُ الغنيَّ، وهذا يجري في النَّفقةِ على الحاملِ؛ لأنَّ ذكرَها قد تقدَّمَ.

﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾؛ أي: بعد الضِّيقِ غنًى، وهذا وعدُ الغِنَى بالغنائمِ.

* * *

(٨) ـ ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا﴾.

قولُه تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ﴾ لـمَّا ذكرَ هذه الأحكامَ، وحذَّرَهم مخالفةَ الأمرِ، ذكَّرَهم عتوَّ أقوامٍ وحلولَ العذابِ بهم، وقد مضى معنى ﴿كأين﴾ في آل عمرانَ.

﴿عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا﴾ خرجَ على لفظِ القرية، والمرادُ أهلُها.

﴿فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا﴾؛ أي: جازيناها بالعذابِ بالدُّنيا ﴿وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا﴾؛ أي: شديداً، وسمَّى العذابَ في الدُّنيا محاسبةً لأنَّ ذلك العذابَ بسببِ كفرِهم.

وقالَ الكلبيُّ: هذا على التَّقديمِ والتَّأخيرِ؛ أي: عذَّبناها(١) في الدُّنيا، وحاسبناها في الآخرةِ حساباً شديداً(٢).

***

(٩) ـ ﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾.

قولُه تعالى: ﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا﴾؛ أي: عاقبةَ كفرِها ﴿وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾؛ أي: خسرُوا الدُّنيا والآخرةَ؛ إذ باعوا نعيمَ الآخرةِ بعذابِ جهنَّمَ.

وقيلَ: الخسرُ: الهلاكُ؛ أي: أهلكُوا أنفسَهم بالمعاصي.

***

---

(١) في (أ): «على هذا التَّقديمِ والتَّأخيرِ؛ أي: ففتناها»، والتصويب من المصادر.

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢١/ ٥١٩)، والرازي في «تفسيره» (٣٠/ ٥٦٥). ودون نسبة الفراء في «معاني القرآن» (٣/ ١٦٤)، والسمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٤٦٤)، والثعلبي في «تفسيره» (٢٦/ ٥٩٤).

(١٠) ـ ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾.

قولُه تعالى: ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ بيَّنَ ذلك الخسرَ فقالَ: هو عذابُ جهنَّمَ، ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾.

قولُه تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ نعتٌ لـ ﴿أُولي الألبابِ﴾؛ أي: يا أولي الألبابِ الذين آمنُوا باللهِ اتَّقوا اللهَ الَّذي أنزلَ عليكم القرآنَ.

***

(١١) ـ ﴿رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَـٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَـٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا﴾.

قولُه تعالى: ﴿رَّسُولًا﴾ قالَ الزَّجَّاجُ: إنزالُ الذِّكرِ دليلٌ[١] على إضمارِ (أرسلَ رسولاً)؛ أي: أنزلَ إليكم قرآناً ذا ذِكرٍ [وأرسَلَ] رسولاً، أو يكون[٢] ﴿رَّسُولًا﴾ بدلاً من ﴿ذِكْرًا﴾، فحُذِفَ المضافُ إلى الذِّكرِ[٣].

وقولُه: «ذا ذِكرٍ»؛ أي: ذا شرفٍ.

وقيلَ: الذِّكرُ عينُ الرَّسولِ؛ لأنَّه كانَ منه الذِّكرُ.

وقيلَ: أي: أنزلَ اللهُ إليكم رسولاً ذكراً منه لكم، أو: أنزلَ رسولاً تَذكُرون به ما تحتاجون إليه من أمرِ الدِّين.

---

(١) في (أ): «ضمير»، واالتصويب من المصادر وستأتي.

(٢) في (أ): «وتكرر»، بدل «أو يكون»، والتصويب مستفاد من المصادر الآتية.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ١٨٨)، و«البسيط» (٢١/ ٥١٩)، و«تفسير القرطبي» (٢١/ ٦٢).

﴿لِيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾؛ أي: من الكفرِ إلى الإيمانِ؛ أي: أخرجَهم فصارُوا مؤمنين.

وقيلَ: أي: ليُثبِّتَ الذين آمنُوا على الإيمانِ، وأضافَ [الإخراجَ] إلى الرَّسولِ؛ لأنَّ الإيمانَ يحصلُ منه بطاعتِه[1]، وقَبولِ [قولِه][2].

قولُه تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ﴾ قُرِئَ بالياءِ والنُّونِ[3].

﴿قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا﴾؛ أي: رزَقه الجنَّةَ الَّتي لا ينقطعُ نعيمُها.

***

(١٢) ـ ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾.

قولُه تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾ دلَّ على كمالِ قدرتِه وعلى أنَّه يقدرُ على البعثِ والمحاسبةِ؛ أي: خلقَ السَّماواتِ وأسكنَها الملائكةَ.

﴿وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾؛ أي: سبعاً من الأرضِين، ولكنَّها مُطبقةٌ، فبعضُها على بعضٍ من غيرِ فتوقٍ بخلافِ السَّماواتِ. قاله الضَّحَّاكُ[4].

وقيلَ: بينَ الأرضِ والأرضِ[5] مسافةٌ كما بينَ السَّماءِ والسَّماءِ[6]،..........

---

(١) انظر: «تفسير القرطبي» (٢١/ ٦٣)، وما بين معكوفتين منه.

(٢) ما بين معكوفتين زيادة يقتضيها السياق.

(٣) قرأ نافع وابن عامر بالنون، والباقون بالياء. انظر: «السبعة» (ص: ٦٣٩)، و«التيسير» (ص: ٢١١).

(٤) ذكر نحوه أبو حفص النسفي في «التيسير» (١٤/ ٤٧٢)، والقرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٦٣).

(٥) ضرب عليها في (أ)، والمعنى على إثباتها.

(٦) ضرب عليها في (أ)، والمعنى على إثباتها.

وفي كلِّ أرضٍ سكَّانٌ من خلقِ اللهِ. قالَه ابنُ عبَّاسٍ[١].

﴿يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾؛ أي: يتنزَّلُ أمرُ اللهِ ووحيُه من السَّماواتِ إلى الأرضِ، وينزلُ أمرُه إلى كلِّ سماءٍ على ما يريدُه.

وقيلَ: ﴿يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ بحياةِ بعضٍ وموتِ بعضٍ وغنَى قومٍ وفقرِ قومٍ.

﴿لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾؛ أي: أعلمَكم ذلك لتعلمُوا قدرتَه على كلِّ شيءٍ وأنَّه ﴿أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾.

و﴿عِلْمًا﴾ نصبٌ على المصدرِ المؤكِّدِ؛ لأنَّ ﴿أَحَاطَ﴾ بمعنى: عَلِمَ.

* * *

---

(١) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٧٧) بلفظ: «في كل أرض مثل إبراهيم ونحو ما على الأرض من الخلق»، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٦١)، والحاكم في «المستدرك» (٣٨٢٢)، بلفظ: «سبع أرضين في كل أرض نبي كنبيكم، وآدم كآدم، ونوح كنوح، وإبراهيم كإبراهيم، وعيسى كعيسى».

تفسيرُ سورةِ التَّحريمِ

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) ـ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾ قالَ قومٌ: حرَّمَ جاريتَه ماريةَ القِبْطيّةَ، وروى ابنُ عبَّاسٍ عن عمرَ قالَ: دخلَ رسول اللهِ ﷺ بأمِّ ولدِه ماريةَ في بيتِ حفصةَ، فوجدته حفصةُ معها، وكانَت حفصةُ غابَت إلى بيتِ أبويها فقالَت: ما صنعْتَ بي هذا من بينِ نسائِك إلَّا لهواني عليك! فقالَ لها: «لا تذكري هذا لعائشةَ، هي عليَّ حرامٌ إن قربتُها» فقالَت حفصةُ: كيف تحرُمُ عليك وهي جاريتُك؟ فحلفَ لها أن لا يقربَها، وقالَ لها: «لا تذكريه لأحدٍ» واسترضاها بأن أخَّرَها على نسائِه شهراً، واعتزلهنَّ تسعاً وعشرين ليلةً، فأنزلَ اللهُ: ﴿لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾، وكانَت حفصةُ لا تكتمُ على عائشةَ شيئاً[1].

---

(١) رواه الدارقطني في «سننه» (٤٠١٣)، ومن طريقه الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٣٨)، من حديث ابن عباس عن عمر رضي الله عنه، لكن فيه بعد قوله: «لا تذكريه لأحد»: فذكَرَتْه لعائشةَ فآلَى لا يدخلُ على نسائه شهرًا، فاعتزلهنَّ تسعًا وعشرين ليلةً، فأنزل اللهُ ﴿لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾ الآيةَ. وفي سنده عبد الله بن شبيب، قال الذهبي في ترجمته في «الميزان»: إخباري علامة لكنه واه، وقال أبو أحمد الحاكم: ذاهب الحديث.

قلت: وما ذكره المصنف في هذا الخبر من قوله: «واسترضاها بأن أخرها على نسائه شهراً» لم أقف عليه.

وعلى كل فنزول الآية في قصة مارية قال القاضي عياض في «إكمال المعلم» (٥/ ٢٠): لم يأت =

وقيلَ: جرى ذلك في يومِ عائشةَ، فلمَّا أخبرَت حفصةُ عائشةَ، غضبَ حتَّى حلفَ عليه السَّلامُ أن لا يطأ ماريةَ(١).

وروى ابنُ عبَّاسٍ أنَّ هذه القصَّةَ وقعَت في بيتِ عائشةَ، وعائشةُ كانَت عند أمِّها، وعلمت حفصةُ بذلك فأخبرَت عائشةَ، فقالَت عائشةُ: في بيتي وفي يومي؟! فأرضاها رسولُ اللهِ بأن حلف لها أن لا يطأ ماريةَ(٢).

وقالَ قومٌ: إنَّما حرَّمَ شراباً كانَ شربَه عندَ بعضِ نسائِه، وهو العسلُ، ثمَّ اختُلفَ في المرأةِ الَّتي كانَ العسلُ عندها:

فروى هشامُ بنُ عروةَ عن أبيه عن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها قالَت: كانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه يحبُّ الحلوَاءَ والعسلَ، وكانَ إذا انصرفَ من العصرِ دخلَ على نسائِه، فدخلَ على حفصةَ بنتِ عمرَ، فاحتبسَ عندها أكثرَ ممَّا كانَ يحتبسُ، فسألتُ عن ذلك، فقيلَ لي: أهدَت لها امرأةٌ من قومِها عُكَّةَ عسلٍ، فسقَت منه النَّبيَّ عليه السَّلامُ شربةً، فقلتُ: أما واللهِ لنحتالَنَّ له. [فقلتُ] لسودةَ: إنَّه سيدنو منكِ، فإذا دخلَ عليك [فقولي له]: يا رسولَ اللهِ، أكلتَ مغافيرَ؟ [فإنَّه سيقولُ: لا، فقُولي له: ما هذه الرِّيحُ، وكان رسولُ الله ﷺ يَشْتَدُّ عليه أنْ يُوجَدَ منه الرِّيحُ] فإنَّه سيقولُ لكِ: سقَتْني حفصةُ

= بتلك القصة طريق صحيح. وقال النووي في «شرح مسلم» (١٠/ ٧٧): الصحيح أنها في قصة العسل، لا في قصة مارية المروية في غير الصحيحين، ولم تأت قصة مارية من طريق صحيح.

(١) رواه ابن سعد في «الطبقات» (٨/ ١٨٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وفيه أن ذلك كان في يوم عائشة وفي بيت حفصة. وفيه الواقدي شيخ ابن سعد، وهو متروك.

(٢) قال الحافظ في «الكافي الشاف» (ص: ١٧٥): لم أقف في شيء من الطرق على أن ذلك كان في بيت عائشة. ثم ذكر أن ابن سعد في «الطبقات» رواه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وفيه أن ذلك كان في يوم عائشة لكن في بيت حفصة، وانظر التعليق السابق.

شربةَ عسلٍ. فقولي له: جرسَت نحلُه العُرفطَ، فسأقولُ ذلك، فقولي أنتِ يا صفيَّةُ ذلك.

والمغافرُ: بقلةٌ أو صمغةٌ متغيِّرةُ الرَّائحةِ فيها حلاوةٌ، واحدُه مُغفُورٌ، وجرسَت: أكلَت، والعرفطُ: نبتٌ له ريحٌ كريحِ الخمرِ.

فقالَت سودةُ ذلك، فلمَّا دخلَ على عائشةَ قالَت ذلك، فلمَّا دارَ إلى صفيَّةَ قالَت مثلَ ذلك، فلمَّا دارَ إلى حفصةَ قالَت: يا رسولَ اللهِ، أسقيكَ العسلَ؟ قالَ: «لا حاجةَ لي فيه»(١).

وقيلَ: كانَت هذه المرأةُ زينبَ بنتَ جحشٍ سقَت للنَّبيِّ ﷺ عسلاً(٢).

وقيلَ: إنَّما هي أمَّ سلمةَ سقَت النَّبيَّ عليه السَّلامُ العسلَ(٣).

وقيلَ: سودةُ(٤).

وكانَ عليه السَّلامُ يعجبُه أن تُوجَدَ منه الرِّيحُ الطَّيِّبَةُ أو يجدَها، ويكرهُ الرِّيحَ الخبيثَةَ لمناجاةِ الملَكِ(٥).

---

(١) رواه البخاري (٦٩٧٢)، ومسلم (١٤٧٤/ ٢١)، وما بين معكوفتين منهما.

(٢) رواه البخاري (٤٩١٢)، ومسلم (١٤٧٤/ ٢٠)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٣٩)، وابن العربي في «أحكام القرآن» (٦/ ٣٩)، قال ابن حجر في «فتح الباري» (٩/ ٣٧٧): «ووقع في تفسير السدي أن شرب العسل كان عند أم سلمة أخرجه الطبري وغيره وهو مرجوح لإرساله وشذوذه».

(٤) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١٢٢٦)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٤٠)، من طريق ابن أبي مليكة عن ابن عباس رضي الله عنهما، وعزاه ابن حجر في «فتح الباري» (١٢/ ٣٤٣) إلى الطبراني وابن مردويه في «تفسيره» ثم قال: «ورواته موثقون إلا أن أبا عامر وهم في قوله سودة».

(٥) تقدم قريباً في حديث عائشة عند البخاري (٦٩٧٢)، ومسلم (١٤٧٤/ ٢١).

ولمَّا اتَّفقَ هذه المواطأةُ منهنَّ قالَ عليه السَّلامُ: «واللهِ لا أذوقُه أبداً»، فنزلَت هذهِ الآيةُ(١).

قيلَ: كانَ عليه السَّلامُ إذا صلَّى الصُّبحَ دخلَ على أزواجِه فأقامَ عندَ بعضهنَّ بسببِ العسلِ، فجرى ما ذكرناه(٢).

﴿لِمَ تُحَرِّمُ﴾ قيلَ: لـمَ تقولُ: إنَّه عليَّ حرامٌ؟

وقيلَ: أي: لـمَ تحلفُ على أن تفعلَ كذا فتُحرِّمَ على نفسِك باليمينِ؟

---

(١) بهذا اللفظ ورد في رواية ابن أبي مليكة عن ابن عباس رضي الله عنهما عند الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٤٠) في الخبر المتقدم. وهو بمعناه في حديث عائشة رضي الله عنها عند البخاري (٤٩١٢)، ومسلم (١٤٧٤/ ٢٠)، ولفظ البخاري: «فلن أعود له، وقد حلفت». وعند مسلم: «وَلَنْ أَعُودَ لَهُ»، فَنَزَلَ: ﴿لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿إِن تَتُوبَآ﴾ [التحريم: ٤].

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٢٤٧) عن عروة مرسلًا، ورواه أبو يعلى في «مسنده» (٦٩٢٩)، والطبراني في «الكبير» (٢٢/ ٣٩٧)، من حديث أم سلمة رضي الله عنها: «أن نبي الله ﷺ كان يدخل على أزواجه كل غداة فيسلم عليهن، فكانت منهن امرأة عندها عسل...» الحديث. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ٣١٦): فيه موسى بن يعقوب الزَّمَعي وثقه ابن معين وغيره وضعفه ابن المديني، وبقية رجاله ثقات.

وجاء في الصحيح أن ذلك كان بعد صلاة العصر كما جاء في حديث عائشة عند البخاري (٥٢٦٨)، وقال ابن حجر في «فتح الباري» (٩/ ٣٧٩): «قوله: «وكان إذا انصرف من العصر» كذا للأكثر، وخالفهم حماد بن سلمة عن هشام بن عروة فقال: «الفجر» أخرجه عبد بن حميد في «تفسيره» عن أبي النعمان عن حماد، ويساعده رواية يزيد بن رومان عن ابن عباس ففيها: «وكان رسول الله ﷺ إذا صلى الصبح جلس في مصلاه وجلس الناس حوله حتى تطلع الشمس ثم يدخل على نسائه امرأة امرأة يسلم عليهن ويدعو لهن فإذا كان يوم إحداهن كان عندها...» الحديث، أخرجه ابن مردويه، ويمكن الجمع بأن الذي كان يقع في أول النهار سلاماً ودعاء محضاً والذي في آخره معه جلوس واستئناس ومحادثة، لكن المحفوظ في حديث عائشة ذكر العصر ورواية حماد بن سلمة شاذة».

وقيلَ: أي: لـمَ تمتنعُ من ذلك امتناعَ مَن لا يحلُّ له ذلك الشَّيءُ؟

وقالَ مسروقٌ: حرَّمَ رسولُ اللهِ ماريةَ أمَّ ولدِه، وحلفَ أن لا يقربَها، فأنزلَ اللهُ هذه الآيةَ، وقالَ: أمَّا الحرامُ فحلالٌ، وأمَّا اليمينُ الَّتي حلفتَ عليها فقد فرضَ اللهُ لكم تحلَّةَ أيمانِكم(١).

يُقالُ: قَرِبَ يَقرَبُ مثل حَمِدَ يحمَدُ بمعنى: الوطءِ، وقَرُبَ يقرُبُ مثل عظُمَ يعظُمُ بمعنى: ضدِّ البُعدِ.

وقالَ الشَّعبيُّ: كانَ مع الحرامِ يمينٌ، فعُوتِبَ في الحرامِ، وأُمِرَ أن يُكفِّرَ عن اليمينِ(٢).

ثمَّ؛ رُويَ أنَّه لـم يُكفِّر عن يمينِه لأنَّ اللهَ غفرَ له ما تقدَّمَ من ذنبِه وما تأخَّرَ. وقيلَ: كفَّرَ بالإعتاقِ.

وقيلَ: إنَّه طلَّق حفصةَ، فنزلَ جبريلُ فأمرَه بمراجعتِها(٣).

وقيلَ: لم يُطلِّق، ولكن همَّ بتطليقِها، فنهاه اللهُ عن ذلك(٤).

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٩٠٨٠).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٨٤)، ورواه أيضاً عن الشعبي عن مسروق.

وروى الترمذي (١٢٠١) من طريق مَسْلَمةَ بن علقمةَ، عن داود بن عليٍّ، عن عامر (هو الشعبي)، عن مسروق، عن عائشة، قالت: «آلى رسول الله ﷺ من نسائه وحرم، فجعل الحرام حلالاً، وجعل في اليمين كفارة»، قال الترمذي: حديث مسلمة بن علقمة عن داود، رواه علي بن مسهر وغيره عن داود عن الشعبي: «أن النبي ﷺ» مرسلاً، وليس فيه: «عن مسروق عن عائشة» وهذا أصح.

(٣) انظر ما تقدم في أول سورة الطلاق.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٣٧٧).

﴿تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ﴾؛ أي: لـمَ تحرِّمُ ما أحلَّ اللهُ لك مبتغياً رضا أزواجِك؟!

﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾؛ أي: يسترُ على خلقِه ذنوبَهم، وهو رحيمٌ بهم.

* * *

(٢) ـ ﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾.

قولُه تعالى: ﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾ ما لـم يحرِّمْه اللهُ لا يحرُمُ بتحريمِ العبدِ على نفسِه؛ قالَ الزَّجَّاجُ: ليس لأحدٍ أن يُحرِّمَ ما أحلَّ اللهُ، ولم يجعلِ الله لنبيِّه أن يحرِّمَ إلا ما حرَّمَ الله[١].

فمَن قالَ لزوجتِه أو أمتِه: أنتِ عليَّ حرامٌ، فإن لـم ينوِ طلاقاً ولا ظِهاراً، فهذا اللَّفظُ يُوجِبُ عليه كفَّارةَ اليمينِ، ولو خاطَبَ بهذا اللَّفظِ جمعاً من الزَّوجاتِ والإماءِ فعليه كفَّارةٌ واحدةٌ، ولو حرَّمَ على نفسِه طعاماً أو شيئاً آخرَ لـم يلزمْه بذلك كفَّارةٌ عندَ الشَّافعيِّ ومالكٍ، وتجبُ كفَّارةٌ عندَ ابنِ مسعودٍ والثَّوريِّ وأبي حنيفةَ.

والآيةُ إن كانَت في تحريمِه عليه السَّلامُ ماريةَ على نفسِه فالكفَّارةُ واجبةٌ، وفي الآيةِ بيانُ ذلك الوجوبِ، وإن كانَت في تحريمِه العسلَ فلا بدَّ من تقديرِ يمينٍ مع التَّحريمِ عند الشَّافعيِّ حتَّى تجبَ الكفَّارةُ، وقد رُويَ أنَّه عليه السَّلامُ مع ذلك التَّحريمِ حلفَ[٢].

قولُـه تعالـى: ﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾؛ أي: قـدَّرَ لكـم مـا تُحلِّلـون بـه أيمانَكـم الَّتـي تحلفـون بها، كمـا بيَّنَ في سـورةِ المائـدةِ من إطعامِ عشـرةِ مسـاكينَ

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ١٩٢).

(٢) رواه البخاري (٤٩١٢) من حديث عائشة رضي الله عنها، وفيه: «..ولكنِّي كنتُ أشربُ عسلاً عند زينبَ بنت جحش، فلن أعودَ له، وقد حَلَفْتُ».

أو كسوتِهم أو تحريرِ رقبةٍ، والفرضُ بمعنى: التَّقديرِ، ومنه: فرائضُ المواريثِ، وفرائضُ الصِّدقاتِ، وفرضُ الصَّدقاتِ.

وقيلَ: ﴿فَرَضَ﴾؛ أي: بيَّنَ، كقولِه: ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا﴾ [النور: ١].

وقيلَ: ﴿فَرَضَ﴾؛ أي: أوجبَ وشرعَ لكم.

وقيلَ: اللَّامُ بمعنى: على؛ أي: أوجب عليكم، كقولِه: ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [الإسراء: ٧]؛ أي: فعليها؛ أي: أوجبَ عليكم كفَّارةَ أيمانِكم إذا حَنِثْتم.

ومعنى الآيةِ: لِمَ تُحرِّمُ ما أحلَّ اللهُ لك لرضا أزواجِك، ثمَّ [إن] كانَ هذا في تحريمِ ماريةَ، فكأنَّه قالَ: لا نُحرِّمُ عليك ما حرَّمتَه، ولكن عليك كفَّارةُ يمينٍ، وإن كانَ في تحريمِ العسلِ، فكأنَّه قالَ: لَمْ نُحرِّم عليك ما حرَّمتَه، ولكن ضمَمْتَ إلى التَّحريمِ يميناً فكفِّرْ عن اليمينِ.

وقيلَ: معنى الآيةِ: لِمَ تُحرِّمُ ما أحلَّ اللهُ لك وقد فرضَ اللهُ لكم تحلَّةَ الأيمانِ، وأباحَ ما حرَّمتموه على أنفسِكم بالإيمانِ باللهِ؟ وكيف تحرمُ الشَّيء بتحريم الشَّيء[1] الَّذي لا يمينَ معه.

وقيلَ: أي: قد فرضَ اللهُ لكم تحليلَ مِلْكِ اليمينِ، فبيَّنَ في قولِه: ﴿مَّا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ﴾ [الأحزاب: ٣٨]؛ أي: فيما شرعَه له في النِّساءِ المحلَّلاتِ؛ أي: حلَّلَ لكم ملكَ الأيمانِ، فلِمَ تحرِّمُ ماريةَ على نفسِك مع تحليلِ اللهِ إيَّاها لك؟!

ورُويَ أنَّه لما نزلَت هذهِ الآيةُ كفَّرَ رسولُ اللهِ عليه السَّلامُ، وعادَ إلى ماريةَ[2].

---

(١) قوله: «وكيف تحرمُ الشَّيء بتحريم الشَّيء» كذا في (أ) ومعناه غير ظاهر.

(٢) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١٠/ ١٧٨) عن محمد بن جبير بن مطعم، ورواه أبو داود في «المراسيل» (٢٣٩) عن الحسن، وروى ابن سعد في «الطبقات» (٨/ ١٨٦) عن شيخه الواقدي من =

وقيلَ: أعتقَ رقبةً[1].

وقيلَ: تحلَّةُ اليمينِ: الاستثناءُ؛ أي: فرضَ اللهُ لكم الاستثناءَ المُخرِجَ من اليمينِ، ثمَّ عند قومٍ يجوزُ الاستثناءُ عن الأيمانِ متى شاءَ وإن تخلَّلَ مُدَّة[2]، وعند المعظَمِ لا يجوزُ إلَّا متَّصلاً، فكأنَّه قالَ: استثنِ بعد هذا فيما تحلفُ عليه.

وتحلَّةُ اليمينِ: تحليلُها بالكفَّارةِ، والأصلُ: تحلِلَةٌ، فأُدغِمَت، وتَفْعِلةٌ في

= حديث ابن عباس رضي الله عنهما: فأمر فكفر يمينه وحبس نساءه عليه. وروى الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٨٨) عن قتادة قصة حفصة وتحريم النبي ﷺ مارية، قال: فأحلّ الله له ما حرَّم على نفسه، فأُمر أن يكفر عن يمينه، وعوتب في ذلك، فقال: ﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ قال قتادة: وكان الحسن يقول: حرّمها عليه، فجعل الله فيها كفارة يمين.

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٣٧٦)

(٢) روي هذا عن ابن عباس، رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٢٥)، والطبراني في «الكبير» (١١٠٦٩)، والحاكم في «المستدرك» (٧٨٣٣) وصححه. وذكره الكرماني في «غرائب التفسير» (١/ ٦٥٧) وعده من العجائب.

وقال القرطبي في بيانه: هذا في تداركه التبرُّك بالاستثناء للتَّخلُّص عن الإثم، وأما الاستثناء المغيِّر حكمًا فلا يصحُّ إلَّا متَّصلًا. انظر: «تفسير القرطبي» (١٣/ ٢٥١). وقال المبرد كما في «البسيط» (١٣/ ٥٨٦): «إن ابن عباس أعلم من أن يسقط حكم الحنث بالاستثناء الذي لا يصله الحالف بيمينه، ولعله قال هذا في الاستثناء من غير يمين كما قال المفسرون، قال: إذا نسي أن يقول: إن شاء الله، ثم ذكر فليقله. فظن بعض الناس أنه يقول ذلك في اليمين، فروى عنه ذلك في اليمين».

قلت: وقد روي عن ابن عباس أن هذا خاص بالنبي ﷺ، رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١١٤٣)، و«الأوسط» (٦٨٧٢)، و«الصغير» (٨٧٦)، بلفظ: ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ قال: «إذا نَسيتَ الاستثناءَ فاستَثنِ إذا ذَكَرْتَ، وهي لرسول الله ﷺ خاصةً، وليس لأحدٍ منَّا أنْ يَستثنيَ إلَّا بصِلَة اليمين». قال في «مجمع الزوائد» (٧/ ٥٣): رواه الطَّبَرانيُّ في الثلاثة، وفيه عبدُ العزيز بنُ حُصَيْنٍ وهو ضعيفٌ.

مصـادرِ (فعَّـلَ) كالتَّوصيـة والتَّسـمية، فالتَّحلَّـةُ: تحليلُ اليميـنِ، فـكأنَّ اليمينَ عقدٌ والكفَّـارةَ حلٌّ.

وقيلَ: التَّحلَّةُ: الكفَّارة؛ أي: أنَّها تُحِلُّ للحالفِ ما حرَّمَ على نفسِه؛ أي: إذا كفَّرَ صارَ كمَن لـم يَحلف.

﴿وَٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ﴾؛ أي: وهو يتولَّاكم بإزالةِ الحظرِ فيما تُحرِّمونه على أنفسِكم، وبالتَّرخيصِ لكم في تحليلِ إيمانِكم بالكفَّارةِ، وبالثَّوابِ على ما تخرجونه من الكفَّارةِ.

* * *

(٣) ـ ﴿وَإِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ حَدِيثٗا فَلَمَّا نَبَّأَتۡ بِهِۦ وَأَظۡهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ عَرَّفَ بَعۡضَهُۥ وَأَعۡرَضَ عَنۢ بَعۡضٖۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتۡ مَنۡ أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡخَبِيرُ﴾.

قولُه تعالى: ﴿وَإِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ حَدِيثٗا﴾؛ أي: واذكرْ إذ أسَرَّ النَّبيُّ؛ إذ أسرَّ إلى حفصةَ، يعني: تحريمَه ماريةَ على نفسِه واستكتامَه إيَّاها ذلك.

﴿فَلَمَّا نَبَّأَتۡ بِهِۦ﴾؛ أي: أخبرَت عائشةَ، وكانتا مُتظاهِرتين على زوجاتِ النَّبيِّ عليه السَّلامُ ﴿وَأَظۡهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ عَرَّفَ بَعۡضَهُۥ وَأَعۡرَضَ عَنۢ بَعۡضٖ﴾؛ أي: عرَّفها[1] إفشاءَ سره، ولكن ذكرَ لها بعضَ ما أظهرَت وهو تحريمُ مارية، ولم يخبرْها بأنَّها أفشَت ما كانَ منه من مواقعتِه ماريةَ، فأعلمَها أنَّها خالفَتْه في بعضِ ما كانَ أمرَها به، لا في كلِّه.

وقيلَ: أرادَ بقولِه: ﴿وَأَعۡرَضَ عَنۢ بَعۡضٖ﴾ أنَّها لـم تُخبِرْها بما أسرَّ إليها من إفضاءِ الأمرِ إلى أبي بكرٍ وعمرَ بعدَه، ذكره ابنُ عبَّاسٍ[2]،........

---

(١) في (أ): «عليها»، والمثبت هو المناسب للمعنى المراد.

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٦٤٠) من طريق الضحاك عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما. =

وكانَ الكلبيُّ [يقول]: كرهَ أن ينتشرَ في النَّاسِ أمرُ الخلافةِ[(١)].

وقيلَ: عرَّفها بعضَ حديثِه، وهو ذكرُ الخلافة، فإذاً إنَّما أنكرَ أمرَ الخلافةِ.

وقُرِئَ ﴿عَرَفَ بعضَه﴾ بالتَّخفيفِ[(٢)]؛ أي: جازَى عليه، وليس ﴿عَرَفَ﴾ بمعنى: علمَ مع إظهار الله إيَّاه على الجميع، فإنَّه علمَ الكلَّ لا البعضَ، وتقولُ: أنا أعرفُ لأهلِ الإحسان؛ أي: أجازيهم، قالَ اللهُ: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ١٩٧]؛ أي: يُجازي به، ومما جازى به حفصة تطليقها واحدة أو همه بتطليقها.

﴿فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا﴾؛ أي: تعجَّبَت وظنَّت أنَّ عائشةَ أخبرَته، فقالَ عليه السَّلامُ: أنبأني اللهُ الَّذي لا يَخفى عليه شيءٌ.

***

(٤) ـ ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾.

قولُه تعالى: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ خاطبَ عائشةَ وحفصةَ وحثَّهما

= وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ١٧٨): فيه إسماعيل البجلي وهو ضعيف، والضحاك لم يسمع من ابن عباس.

ورواه بنحوه أيضاً العقيلي في «الضعفاء» (٤/ ١٥٥)، والطبراني في «الأوسط» (٢٣١٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٢٧): رواه الطبراني في «الأوسط» من طريق موسى بن جعفر بن أبي كثير عن عمه، قال الذهبي: مجهول، وخبره ساقط.

وقال العقيلي: موسى بن جعفر الأنصاري مجهول بالنقل لا يتابع على حديثه ولا يصح إسناده.

ورواه الدارقطني في «سننه» (٤٣٠٢) من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(١) ورد ذلك في خبر الدارقطني السابق.

(٢) قراءة الكسائي، والباقون بالتشديد. انظر: «السبعة» (ص: ٦٤٠)، و«التيسير» (ص: ٢١٢).

على التَّوبةِ عمَّا كانَ منهما من الميلِ إلى خلافِ محبَّةِ رسولِ اللهِ عليه السَّلامُ.

﴿صَغَتْ﴾؛ أي: مالَت عن الحقِّ، وهو أنَّهما أحبَّتا ما كرِهَ رسولُ اللهِ عليه السَّلامُ من اجتنابِ جاريتِه أو اجتنابِ العسلِ.

ومجازُ قولِه: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾: إنْ تُتابعِ المجيءَ إليَّ فقد قطَعتَني دهراً؛ أي: فحقَّ لك أن تفعلَ هذا، فقد صغَوْتَ فيما قبلُ، وليس قولُه: ﴿فَقَدْ صَغَتْ﴾ جزاءً للشَّرط؛ لأنَّ هذا الصغوَ كانَ سابقاً، فجوابُ الشَّرطِ محذوفٌ للعلمِ به؛ أي: إن تتوبا كانَ خيراً لكما؛ إذ قد صغَت قلوبُكما. وقد ذكرنا في قولِه: ﴿فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة: ٣٨] لمَ قالَ: ﴿قُلُوبُكُمَا﴾، ولم يقلْ: فقد صغا قلباكما.

﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ﴾؛ أي: تتظاهرا وتتعاونا على النَّبيِّ عليه السَّلامُ بالمعصيةِ والإيذاءِ ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ﴾ فلا يَضرُّه ذلك التَّظاهرُ منكما، فإنَّ اللهَ هو مُوالٍ له على مَن عاداه، ﴿وَجِبْرِيلُ﴾ وليُّه ﴿وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ قالَ ابنُ عبَّاسٍ: يريدُ أبا بكرٍ وعمر[1].

وقيلَ: يعني به: خيار المؤمنين، وهو اسمُ جنسٍ، كقولِه: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾ [العصر: ٢].

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٨٢٠).

ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٩٧) عن الضحاك ومجاهد.

ورواه الحاكم في «المستدرك» (٤٤٣٣) من قول أبي أمامة رضي الله عنه وصححه، فتعقبه الذهبي بقوله: «موسى بن عمير واه».

ورواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٤٧٧) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً.

وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٢٧): فيه عبد الرحمن بن زيد العمي وهو متروك.

وروي ذلك عن جمع آخرين من الصحابة والتابعين جمع رواياتهم السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٢٢٣ ـ ٢٢٤).

وقيلَ: صالحُ المؤمنين: هم الأنبياءُ.

وقيلَ: ﴿صالحُ﴾ ليس لفظَ الواحدِ، وإنَّما هو «وصالحو المؤمنين»، فأضافَ جميعَ الصَّالحين إلى المؤمنين.

﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾؛ أي: ﴿بَعْدَ﴾ اللهِ وجبريلَ وصالحِ المؤمنينِ ﴿ظَهِيرٌ﴾؛ أي: أعوانٌ للنَّبيِّ عليه السَّلامُ، فهو واحدٌ يُرادُ به الجمعُ؛ أي: ظُهَراءَ[1]، كقولِه: ﴿وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].

وقالَ أبو عليٍّ: قد جاءَ فَعِيلٌ للكثرة، كقولِه: ﴿وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا (١٠) يُبَصَّرُونَهُمْ﴾ [المعارج: ١٠ ـ ١١][2].

وقيلَ: كانَ التَّظاهرُ منهما في التَّحكُّمِ على النَّبيِّ عليه السَّلامُ في النَّفقةِ، ولهذا آلى منهنَّ شهراً واعتزلهنَّ، وقد سُئِلَ عمرُ عن المتظاهرتينِ فقالَ: «حفصةُ وعائشةُ..» في حديثٍ طويلٍ مدوَّنٍ في الصِّحاح[3].

(٥) ـ ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا﴾.

قولُه تعالى: ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ﴾؛ أي: لو طلَّقهنَّ لإلحاحِهنَّ بالأذى والمطالباتِ لاستَحقَقْنَ عداوةَ الله، وكانَت المستوراتُ من النِّساءِ المؤمناتِ خيراً منهنَّ، وليس المعنى: أنَّه كانَ في ذلك الوقتِ من نساءِ الأُمَّةِ أفضلُ منهنَّ قبلَ إلجائِهنَّ إيَّاه على الطَّلاق.

---

(١) في (أ): «ظهيراً» والتصويب من «تفسير القرطبي» (٢١/ ٨٩)، وقد تقدم عند تفسير آية (النساء) تفسير ﴿رَفِيقًا﴾ بـ«رفقاء».

(٢) انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (١/ ٢٦٦).

(٣) رواه البخاري (٢٤٦٨)، ومسلم (١٤٧٩)، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وقيـلَ: هـذا وعدٌ مـن اللهِ لرسـولِه لـو طلَّقهنَّ فـي الدُّنيـا أن يزوِّجَه فـي الآخرةِ نسـاءً خيراً منهنَّ.

قُرِئَ ﴿أن يُبدِّلَه﴾ بالتَّشديدِ والتَّخفيفِ[1]، والتَّبديلُ والإبدالُ بمعنًى كالتَّنزيلِ والإنزالِ، واللهُ كانَ عالماً بأنَّه لا يُطلِّقهنَّ، وأخبرَ عن قدرتِه أنَّه إن طلَّقهنَّ أبدلَه خيراً منهنَّ تخويفاً لهنَّ، وهو كقولِه: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ [محمد: ٣٨].

﴿مُسْلِمَٰتٍ﴾؛ أي: خاضعاتٍ للهِ بالطَّاعةِ.

﴿مُّؤْمِنَٰتٍ﴾؛ أي: مُصدِّقاتٍ للهِ.

﴿قَٰنِتَٰتٍ﴾؛ أي: مُطيعاتٍ. وقيلَ: مُصلِّياتٍ.

﴿تَٰٓئِبَٰتٍ﴾؛ أي: من ذنوبِهنَّ. وقيلَ: أي: راجعاتٍ إلى اللهِ إلى ما يُحبُّ الله منهنَّ.

﴿عَٰبِدَٰتٍ﴾؛ أي: كثيراتِ العبادةِ.

﴿سَٰٓئِحَٰتٍ﴾: صائماتٍ. وقيلَ: مهاجراتٍ، وليس فـي أُمَّةِ محمَّدٍ عليه السَّلامُ سياحةٌ إلا الهجرةَ، والسِّياحةُ: الجَوَلانُ في الأرضِ.

قال الفرَّاءُ: سُمِّيَ الصَّائمُ سائحاً؛ لأنَّ السَّائحَ لا زادَ معه، وإنَّما يأكلُ من حيثُ يجدُ الطَّعام[2].

﴿ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا﴾؛ أي: منهنَّ ثيِّبٌ ومنهنَّ بِكرٌ، أيَّتها سأل النَّبيُّ عليه السَّلامُ ومال إليها.

وقالَ عمرُ: اجتمعَت نساءُ رسولِ اللهِ فـي الغيرةِ، فقلتُ لهنَّ: عسى ربُّه إن طلَّقَكنَّ أن يبدلَه أزواجاً خيراً منكنَّ، فنزلَت في القرآنِ كذلك[3].

---

(١) نافع وأبو عمرو بالتشديد، والباقون بالتخفيف. انظر: «التيسير» (ص: ٢١٢).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٦٧).

(٣) رواه البخاري (٤٩١٦).

(٦) ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ﴾ أمرَ الجميعَ بأن يَتستَّروا من نارِ جهنَّمَ بأن يُطيعوا الله، وبأن يَستروا أهاليهم عن النّارِ بأن يأمرُوهم بطاعةِ الله، وهذا بتعليمِهم أمرَ الدِّين، وإكراهِهم على العمل بما عَلِموه منه.

ولـمَّا نزلَت هذهِ الآيةُ قالَ عمرُ: يا رسولَ اللهِ، نقي أنفسَنا، وكيف لنا بأهلِنا؟ فقالَ: «تنهَونهم عمَّا نهاكم اللهُ عنه وتأمرونهم بما أمرَكم اللهُ به»[1].

قولُه تعالى: ﴿وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ تعظيماً لتلك النّارِ في صدورِ المخاطبين؛ إذ كانَ بدنُ الإنسانِ أضعفَ من الحجارةِ، فكيفَ يقوى على النّار؟

وقيلَ: يعني بالحجارةِ: أصنامَهم من الحجرِ، بدليلِ قولِه: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨].

﴿عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾ يُقالُ: فلانٌ شديدٌ على فلانٍ؛ أي: قويٌّ عليه يُعذِّبُه بأنواعِ العذابِ، وصفَ خزنةَ النّارِ بأنَّهم غلاظٌ على أهلِ النّارِ.

وقيلَ: أرادَ ضخامةَ أجسامِهم؛ قالَ ابنُ عبَّاس: ما بين منكبي الواحدِ منهم مسيرةُ سنة، وقوَّةُ الواحدِ منهم أن يضربَ بالمقمعِ فيدفعَ بتلك الضَّربةِ سبعين ألفَ إنسانٍ في قعرِ جهنَّم[2].

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٢٢) دون إسناد، وروى نحوه ابن وهب في «جامعه ـ التفسير» (٦٦) عن زيد بن أسلم: أن أصحاب رسول الله ﷺ لما أنزلت هذه الآية: ﴿قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾، فقالوا: يا رسول الله، لقد أوقينا أنفسنا فكيف بأهلينا؟ قال: تأمرونهم بطاعة الله وتنهوهم عن معاصي الله»، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٢٢٥) إلى ابن مردويه.

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٢٤)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٣١٠)، من طريق أبي =

﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ﴾؛ أي: لذَّتُهم في امتثالِ أمرِ اللهِ، كما أنَّ سرورَ أهلِ الجنَّةِ في الكونِ في الجنَّةِ، ذكره بعضُ المعتزلة، وعندهم أنَّه يستحيلُ التَّكليفُ غداً، **ولا يخفَى معتقدُ أهلِ الحقِّ** في أنَّ للهِ أن يُكلِّفَ العبد اليومَ وغداً، ولا يُنكَرُ التَّكليفُ غداً في حقِّ الملائكة، ولله أن يفعلَ ما يشاءُ.

***

(٧) ـ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَعْتَذِرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَعْتَذِرُوا۟ ٱلْيَوْمَ﴾؛ أي: لا يَقبَلُ منهم يومَ القيامةِ عذراً؛ أي: يُقالُ لهم يومَ القيامةِ: لا تعتذروا فإنَّه لا ينفعُكم، فهذا النَّهيُ لتحقيقِ اليأسِ، ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾؛ أي: هذا جزاءُ أعمالِكم.

***

(٨) ـ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

قولُه تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ﴾؛ أي: توبوا من ذنوبِكم ﴿تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾؛ أي: توبةً بإخلاصٍ.

وقيلَ: أي: تَنصحونَ بها أنفسَكم، ويُقالُ: نصحَ له؛ أي: أخلصَ له القولُ.

= صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما، وذكر نحوه مقاتل في «تفسيره» (٤/ ٣٧٨)، وروى الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٥٩٣) عن كعب قال: «ما بين منكبي الخازن من خزنتها مسيرة سنة، مع كل واحد منهم عمود له شعبتان، يدفع به الدفعة، فيصرع به في النار سبع مئة ألف».

وقيلَ: التَّوبةُ النَّصوحُ هي الَّتي تنصحُ الذَّنبَ؛ أي: تجعلُه كالشَّيءِ يُحاطُ ليلتئمَ ويزولَ عنه الخرقُ، يُقالُ: نصحتُ الثَّوبَ؛ أي: خِطتُه، والنِّصاحُ: الخَيطُ[1].

وقرأ عاصمٌ: ﴿نُصُوحاً﴾ بضمِّ النُّونِ[2]، وهو مصدرٌ، يُقالُ: نصحتُه نُصحاً ونُصوحاً ونَصاحةً؛ أي: توبةً ذاتَ نُصوحٍ؛ أي: توبةً ناصحةً، فإنَّ الفاعلَ قد يُسمَّى باسمِ المصدرِ.

﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ هذا من معنى قولِه عليه السَّلام: «التَّائبُ منَ الذَّنبِ كمَن لا ذنبَ له»[3].

﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ﴾؛ أي: لا يُعذِّبُهم بدخولِ النَّارِ.

﴿نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾؛ أي: يتقدَّمُهم نورٌ يُهدَون به، ويُعطَون كتبَهم بأيمانِهم.

﴿يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾؛ أي: حتَّى نجوزَ الصِّراطَ وندخلَ الجنَّةَ.

* * *

(٩) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾.

قولُه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾؛ أي: [جاهِدِ الكفَّار][4]

---

(١) في (أ): «الخياط»، والتصويب من «عمدة الحفاظ» (٤/ ١٨٢).

(٢) هي رواية شعبة عن عاصم. انظر: «السبعة» (ص: ٦٤١)، و«التيسير» (ص: ٢١٢).

(٣) رواه ابن ماجه (٤٢٥٠) عن أبي عبيدة عن أبيه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وأبو عبيدة لم يسمع من أبيه. وحسن ابن حجر إسناده في «فتح الباري» (١٣/ ٤٧١).

(٤) من «تفسير القرطبي» (٢١/ ١٠٢).

بالسَّيفِ والمواعظِ الحسنةِ والدُّعاءِ إلى اللهِ، وجاهِدِ المنافقينَ بالغلظةِ، وأن تُعرِّفَهم أحوالَهم في الآخرةِ، وأنَّهم لا نورَ لهم غداً يَجُوزونَ به الصِّراطَ بخلافِ المؤمنين.

وقيلَ: جاهِدِ الكفَّارَ بالسَّيفِ والمنافقين بإقامةِ الحدودِ عليهم، فإنَّهم كانُوا يرتكبونَ موجباتِ الحدودِ، وكانَت الحدودُ تُقامُ عليهم.

﴿وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾؛ أي: بإقامةِ الحدودِ. والجِدِّ في القتالِ.

والدُّعاءُ إلى الدِّينِ باللِّسانِ قد يُسمَّى جهاداً.

﴿وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ﴾ يرجعُ إلى الصِّنفينِ.

***

(١٠) ـ ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَـٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ﴾ بيَّنَ أنَّ اتِّصالهنَّ بمحمَّدٍ عليه السَّلامُ لا يغني عنهنَّ شيئاً إذا عصَيْنَه وآذينَه كامرأةِ نوحٍ ولوطٍ، وقولُه: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا﴾؛ أي: وصفَ شبَهاً للَّذين كفروا.

﴿كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَـٰلِحَيْنِ﴾ الصَّالحُ: المُستصلَحُ للنُّبوةِ وامتثالِ أمرِ الله.

﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ أجمعَ المفسِّرون على أنَّ هذه الخيانةَ ما كانَت بالزِّنى، ولم يَقبلِ الله نبيّاً بأن يجريَ على فراشِه ما لا يجوزُ، بل هذه الخيانةُ أنَّ امرأةَ نوحٍ كانَت تقولُ للنَّاسِ: إنَّه مجنونٌ، وامرأةَ لوطٍ كانَت إذا نزلَ بلوطٍ ضيفٌ نبَّهَت الكفَّارَ على ذلك.

وقيلَ: خانتاهما في الدِّين.

وقيلَ: أسرَّتا النِّفاقَ وأظهرَتا الإيمان.

﴿فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾؛ أي: لـم يَدفعـا عنهمـا عـذابَ الله، ﴿وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ﴾؛ أي: يُقـالُ لهمـا: ادخـلا النّـار.

* * *

(١١) ـ ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

قـولُه تعـالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾ آسيةَ بنـت مزاحمٍ، بيَّنَ أنَّ الاتِّصالَ بالكافرِ لا يضرُّ في حقِّ المؤمنِ، وكانَت آسيةُ آمنت بموسى.

﴿وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ﴾؛ أي: كفرِه.

وقيلَ: كانَت تُعذَّبُ بأنواعٍ منَ العذابِ؛ أي: ونجِّني من تعذيبِه إيَّايَ.

قالَ سلمانُ: كانَت تُعذَّبُ بالشَّمسِ ثمَّ أظلَّتها الملائكةُ(١).

وقيـلَ: سـمَّرَ يديهـا ورجليهـا فـي الشَّـمسِ، ووضـعَ علـى صدرِهـا رحًـى، فأطلعَهـا اللهُ حتَّـى رأتْ مكانَهـا فـي الجنَّـة(٢).

وقالَ ابنُ عبَّاسٍ: ﴿وَعَمَلِهِۦ﴾؛ أي: مُواقَعتِه إيَّاي(٣).

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٤٦٥٦)، والحاكم في «المستدرك» (٣٨٣٤)، وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) رواه عبد بن حميد عن أبي هريرة رضي الله عنه، كما في «الدر المنثور» (٨/ ٢٢٩).

(٣) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٧/ ٦٣) من طريق أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنه.

قالَ مقاتلٌ: يقولُ اللهُ لعائشةَ وحفصةَ: لا تكونا بمنزلةِ امرأةِ نوحٍ ولوطٍ، وكونا بمنزلةِ امرأةِ فرعونَ ومنزلةِ مريمَ(١).

***

(١٢) ـ ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾؛ أي: وضربَ للَّذين آمنوا مثلاً مريمَ بنتَ عمرانَ، ووصفَها بأنَّها أحصنَت فرجَها عن الفواحشِ.

﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ﴾؛ أي: في جيبِ درعِها، فكنَى عن الجيبِ وإن لم يجرِ له ذكرٌ في هذه السُّورةِ، والقرآنُ كلُّه كالآيةِ الواحدةِ، وأيضاً قد يُكنَى عن الشَّيء من غيرِ تقدُّمِ ذكرِه كقولِه تعالى: ﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ [فاطر: ٤٥]، وقولِه: ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ﴾ [ص: ٣٢].

﴿مِن رُّوحِنَا﴾ يعني: جبريلَ، فإنَّه نفخَ في جيبِ درعِها، ويجوزُ أن يرجعَ ذلك إلى عيسى، والإضافةُ للتَّشريفِ.

وقيلَ: الفرجُ بمعنى: الخرقِ، وكلُّ خرقٍ في الثَّوبِ يُسمَّى فَرجاً، ومنه ﴿وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ [ق: ٦].

والنَّفخُ كانَ من جبريلَ، ومريمُ منعت جيبَ درعِها من جبريلَ إذ قالَت: ﴿إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾ [مريم: ١٨]، وأُضِيفَ إلى اللهِ لأنَّه نفخَ بأمرِ الله، وهو كقولِ جبريلَ: ﴿لِأَهَبَ لَكِ﴾ [مريم: ١٩]، وإنَّما الهبةُ من اللهِ، وقالَ اللهُ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ﴾ [الحجر: ٩] في موضعٍ: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾ [الشعراء: ١٩٣].

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٣٧٩)، و«البسيط» (٢٢/ ٣٠) وعنه نقل المصنف.

﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا﴾؛ أي: بعيسى أنَّه نبيُّ الله، وعيسى كلمةُ اللهِ؛ أي: مُكوَّنٌ بكلمةِ اللهِ، وذُكِرَ بلفظِ الجمعِ هاهنا، وقرأ الحسنُ: (بكلمةِ ربِّها)(١).

وقيلَ: كانَ اللهُ أخبرَهم بخبرِ عيسى وقصَّتِه في كتبِه المتقدِّمةِ، فلمَّا وُلِدَ قالَ: هذا كلمتي وخبري الَّذي أخبرتُكم به. فصدَّقَت مريمُ، وإنَّما قالَ: ﴿بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا﴾ لأنَّه تكرَّرُ الإخبارُ عنه في الكتب.

وقيلَ: صدَّقَت بما كلَّمَها به جبريلُ إذ قالَ: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ﴾ [مريم: ١٩]، وقالَ لها: ﴿كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾ [مريم: ٩].

وقيلَ: صدَّقَت بالتَّوراةِ وبما أُنزلَ على عيسى من الإنجيلِ بعدُ.

وقيلَ: أي: بالشَّرائعِ الَّتي ابتُلِي بها إبراهيمُ [فأخذَتْ بها وصَدَّقتِ الكتابَ فلم تكذِّب بها، وإنما سُمِّيتِ الشرائعُ] كلماتٍ [كما سمِّيَتِ الشرائعُ التي ابتُلي بها إبراهيمُ كلماتٍ في قوله: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾](٢).

﴿وَكُتُبِهِۦ﴾؛ أي: المنزَّلةِ على الأنبياءِ، وقُرِئَ ﴿وكتابِه﴾(٣) وهو جنسٌ.

﴿وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾؛ أي: من الطَّائعين، وقيلَ: من المصلِّين؛ أي: وكانَت من القومِ القانتين، ويجوزُ أن يرجعَ هذا إلى أهلِ بيتِها، فإنَّهم كانُوا مُطيعين للهِ.

قالَت عائشةُ: قلتُ لرسولِ اللهِ عليه السَّلامُ: كيفَ سمَّى اللهُ المسلمةَ ـ تعني:

---

(١) قرأ بها مجاهد والجحدري والحسن. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٥٩)، و«الكامل» للهذلي (ص: ٦٥٠).

(٢) ما بين معكوفتين من «البسيط» (٢٢/ ٣٢).

(٣) قرأ أبو عمرو وحفص بالجمع، والباقون بالتوحيد. انظر: «السبعة» (ص: ٦٤١)، و«التيسير» (ص: ٢١٢).

مريمَ ـ ولم يُسمِّ الكافرتين؟ فقالَ: «بُغضاً لهما» فقلت: ما اسمُها؟ قالَ: «اسمُ امرأةِ نوحٍ واعلةُ، واسمُ امرأةِ لوطٍ واهلةُ»(١).

* * *

(١) لم أجده، وقال الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (٤/ ٦٨): غريب. وقال الزمخشري في «الكشاف»: «حديثُ أثرُ الصَّنعةِ عليه ظاهرٌ بيِّن، ولقد سمَّى اللهُ جماعةً من الكفَّارِ بأسمائهم وكُنَاهم، ولو كانتِ التسميةُ للحُبِّ وتركُها للبغضِ لسمَّى آسيةَ وقد قَرَن بينها وبين مريمَ في التمثيل للمؤمنين، وأبى الله إلا أنْ يَجعلَ للمصنوع أمَارةً تَنِمُّ عليه، وكلامُ رسولِ اللهِ أحكمُ وأسلمُ من ذلك».

جزء تبارك

سورةُ تبارك

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ـ ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

قولُه تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾؛ أي: مِن اللهِ البركاتُ، وبيدِه الملكُ، فلا يملكُ غيرُه إلَّا بتمليكِه.

* * *

(٢) ـ ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾.

قولُه تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾؛ أي: هو الَّذي يُميتُ مَن ماتَ ويُحيي مَن حيَّ.

قالَ ابنُ عبَّاسٍ: خلقَ اللهُ الموتَ في صورةِ كبشٍ أملحَ لا يمرُّ بشيءٍ ولا يجدُ ريحَه شيءٌ إلا ماتَ، وخلقَ اللهُ الحياةَ على صورةِ فرسٍ بَلْقاءَ فوقَ الحمارِ ودونَ البغلِ لا تمرُّ بشيءٍ ولا يجدُ ريحَها شيءٌ إلا حييَ(١).

﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾؛ أي: ليعاملَكم معاملةَ المختبِرِ.

وقيلَ: خلقَ الحياةَ للابتلاءِ وخلقَ الموتَ ليبعثَكم للجزاءِ.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٧/ ٨٧)، والواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٣٧)، من طريق الكلبي عن ابن عباس رضي الله عنهما، وروى ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٦٣) عن قتادة في هذه الآية قوله: «الحياة فرس جبريل عليه السلام، والموت كبش أملح»، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٥٠) عن الكلبي ومقاتل.

واللَّامُ في ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ متعلِّقٌ بخَلْقِ الحياةِ لا بخلقِ الموتِ، ذكرَه الزَّجَّاجُ[1].

وعلى الأوَّلِ يبتلي العبدَ بموتِ مَن يعزُّ عليه ليَبِينَ صبرُه، وبالحياةِ ليَبِينَ شُكرُه.

﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ قالَ الفرَّاءُ والزَّجَّاجُ: المتعلِّق بـ﴿أَيُّكُمْ﴾ [مُضمرٌ]؛ أي: ليبلوَكم وليعلمَ - أو ينظرَ - أيُّكم أحسنُ عملاً[2].

وقالَ الحسنُ: ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾: أيُّكم أزهدُ في الدُّنيا[3].

* * *

(٣) - ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾.

قولُه تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾؛ أي: بعضُها فوقَ بعضٍ، فالطِّباقُ مصدرٌ بمعنى: المطابقةِ؛ أي: خلقَ سبعَ سماواتٍ فطبَّقَها تطبيقاً أو مطابقةً.

وقيلَ: الطِّباقُ: جمعُ طَبَقٍ، مثل جَمَلٍ وجِمالٍ.

﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ﴾؛ أي: في خلقِ اللهِ من اختلافٍ واضطرابٍ وعيبٍ وخللٍ، ولهذا قال: ﴿هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾؛ أي: صدوعٍ وشقوقٍ.

وقُرِئَ ﴿تَفَوُّتٍ﴾[4]، والتَّفاوتُ والتَّفوُّتُ بمعنًى. وقالَ أبو عُبيدٍ: يُقالُ: تفوَّتَ الشَّيءُ؛ أي: فاتَ[5].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ١٩٨)، و«البسيط» للواحدي (٢٢/ ٣٧) وعنه نقل المصنف.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٦٩)، و«معاني القرآن» للزجاج (٥/ ١٩٧)، و«البسيط» (٢٢/ ٣٩) والكلام وما بين معكوفتين منه.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٧/ ٩٠)، والواحدي في «البسيط» (٤/ ٣٢٦)، وأبو حفص النسفي في «التيسير» (٨/ ١٦٦).

(٤) قرأ بها حمزة والكسائي. انظر: «السبعة» (ص: ٦٤٤)، و«التيسير» (ص: ٢١٢).

(٥) انظر: «غريب الحديث» لأبي عبيد (٢/ ٣١)، و«البسيط» (٢٢/ ٤٣).

﴿فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ﴾؛ أي: فارددِ البصرَ، وأنعِمِ النَّظرَ، فإنَّك لا ترى فيها من فطورٍ، وهي من التَّفطُّرِ والانفطارِ، وهو الانشقاقُ.

* * *

(٤) ـ ﴿ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئٗا وَهُوَ حَسِيرٞ﴾.

قولُه تعالى: ﴿ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ﴾؛ أي: مرَّةً بعدَ مرَّةٍ ﴿يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئٗا وَهُوَ حَسِيرٞ﴾؛ أي: ذليلاً، يُبعَثُ في طلبِ شيءٍ ثمَّ لا يَجدُه؛ أي: لا تجدُ له عيباً[١].

﴿خَاسِئٗا﴾؛ أي: صاغِراً مُبعَداً، يُقال: خسأتُ الكلبَ؛ أي: أبعَدْتُه.

وقالَ ابنُ عبَّاس: الخاسِئُ: الَّذي لـم يرَ ما يَهوى[٢].

ويقالَ: حَسَرَتِ الدَّابَّةُ وحسرَها، والحسيرُ يجوزُ أن يكونَ مفعولاً من «حَسَرَه [بُعْدُ الشيء][٣]»، ويجوزُ أن يكونَ فاعلاً من «الحُسُورِ» الَّذي هو الإعياءُ.

وقيلَ: أي: ما ترى في خلقِ الرَّحمنِ من تفاوتٍ في الدَّليلِ على علمِ الرَّبِّ تعالى وكمالِ قدرتِه.

* * *

(٥) ـ ﴿وَلَقَدۡ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلۡنَٰهَا رُجُومٗا لِّلشَّيَٰطِينِۖ وَأَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ﴾.

قولُه تعالى: ﴿وَلَقَدۡ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ هي جمعُ المصباحِ، وهو السِّراجُ، وتُسمَّى الكواكبُ مصابيحَ لإضاءتِها.

---

(١) بعدها في (أ): «ولم يرد»، ولم أجد لها وجهاً، أو أن في الكلام سقطاً أو تحريفاً.

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٤٤).

(٣) ما بين معكوفتين من «البسيط» (٢٢/ ٤٥)، و«تفسير القرطبي» (٢١/ ١١٦).

﴿وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا﴾؛ أي: [جعلنا شُهُبَها، فحذفَ المضافَ][1].

﴿لِّلشَّيَاطِينِ﴾؛ أي: الذين يسترقون السَّمعَ.

قالَ أبو عليٍّ: إن قيلَ: كيفَ تكونُ زينةً وهي رجومٌ لا تبقَى؟

قلنا: إذا جُعِلَت رُجوماً لـم تَزُل، بل يجوزُ أن ينفصلَ منها نورٌ يكونُ رجماً للشَّياطينِ، كما ينفصلُ من السِّراجِ ما لا تزولُ بانفصالِه من السِّراجِ صورةُ السِّراجِ[2].

هذا جوابُه، وأمثلُ منه أن نقولَ: هي زينةٌ قبلَ أن تُرجَمَ بها الشَّياطينُ.

وقيلَ: الثَّوابتُ الَّتي هي المصابيحُ لا تزولُ ولا يُرجَمُ بها، بل خلقَ اللهُ في السَّماءِ نجوماً هي شُهُبٌ ليسَت من الثَّوابتِ، فهي الرُّجومُ.

والرُّجومُ: جمعُ رَجْمٍ، ويجوزُ أن تكونَ جمعَ راجِمٍ، كما يُقالَ: قومٌ قُعودٌ وجلوسٌ.

﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾؛ أي: للشَّياطينِ عذابَ جهنَّمَ، يُقالُ: سُعِرَت النّارُ فهي مسعورةٌ وسعيرٌ؛ مثلَ: مقتولةٍ وقتيلٍ.

* * *

(٦ - ٧) - ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ﴾.

قولُه تعالى: ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ﴾؛ أي: لـمَن جحدوا ربوبيَّةَ اللهِ ﴿عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا﴾؛ أي: صوتاً مثلَ أوَّلِ نهيقِ الحمارِ من اللَّهبِ. وقيلَ: صوتاً كصوتِ المغتاظِ الَّذي يكادُ يتميَّزُ من شدَّةِ الغيظِ ويتفطَّرُ.

---

(١) ما بين معكوفتين من «تفسير القرطبي» (٢١/ ١١٨).

(٢) انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (٥/ ٣٤٧).

وقالَ عطاءٌ: أي: سمعوا لأهلِ النّارِ شهيقاً[١].

﴿وَهِيَ تَفُورُ﴾، يُقالُ: فارَت القِدْرُ؛ أي: جاشَت.

قالَ ابنُ عبَّاسٍ: تغلي بهم على المِرْجَلِ[٢]. وهذا من شدَّةِ لهبِ النّارِ ومن شدَّةِ الغضبِ، كما تقولُ: فلانٌ يفورُ غيظاً.

* * *

(٨ ـ ٩) ـ ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾.

قولُه تعالى: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾؛ أي: تتقطَّعُ ويتميَّزُ البعضُ من البعضِ.

﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ﴾؛ أي: جماعةٌ من الكفَّارِ ﴿سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾ هذا سؤالُ توبيخٍ: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾؛ أي: مَن ينذرُكم هذا اليومَ حتَّى تَحذروا.

قولُه تعالى: ﴿قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ﴾؛ أي: جاءنا الرَّسولُ ﴿فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ﴾ على ألسنتِكم شيئاً، وأنتم في ضلالٍ. والنَّذيرُ هاهنا بمعنى الجمعِ كالصَّديقِ والرَّفيقِ.

* * *

(١٠ ـ ١١) ـ ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾.

قولُه تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ﴾؛ أي: نسمعُ الهدى أو نعقلُه.

قالَ الزَّجَّاجُ: أي: لو كنَّا نسمعُ سمعَ مَن يعي ويفكِّرُ، أو نعقلُ عقلَ مَن يُميِّزُ ويتدبَّرُ، ما كنَّا الآنَ في النّارِ[٣].

---

(١) ذكره عنه الواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٤٧).

(٢) ذكره عنه الواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٤٨).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ١٩٩)، و«البسيط» للواحدي (٢٢/ ٤٩).

قولُه تعالى: ﴿فَٱعۡتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمۡ﴾؛ أي: بتكذيبِهم الرُّسلَ، والذَّنبُ هاهنا بمعنى الجمعِ؛ لأنَّ فيه معنى الفعلِ، يُقالُ: خرجَ عطاءُ النَّاس؛ أي: أعطيتُهم، وقد يُرادُ بالواحدِ الجنسُ، كقولِه: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ١٨].

﴿فَسُحۡقٗا لِّأَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾؛ أي: فبُعداً لهم؛ أي: أَسْحَقَهم اللهُ سُحقاً.

قالَ أبو عليٍّ: القياسُ: إسحاقاً، فجاءَ المصدرُ على الحذفِ، كما قيلَ:

وإن أهلِـــكْ فذلـــكَ كانَ قَـــدْرِي

أي: تقديري[1].

***

(١٢) - ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ﴾.

قولُه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ﴾؛ أي: يؤمنون باللهِ، فيعرفونه بالنَّظرِ، وبهم حاجةٌ إلى دَفعِ الشُّبَهِ بطريقِ الاستدلالِ.

وقيلَ: يَخشونَ معاصيَه من حيثُ لا يراهم أحدٌ من النَّاسِ، فيُعظِّمونَ اللهَ.

وقالَ ابنُ عبَّاسٍ: أي: إنَّ الذين يخافونَ ربَّهم ولم يروه[2].

﴿لَهُم مَّغۡفِرَةٞ﴾ ذكرَ مِن قبلُ ما للكفَّارِ، ثمَّ ذكرَ ما للمؤمنين في دارِ القرارِ.

***

---

(١) انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (٦/ ٣٠٧)، والبيت بتمامه:

فـــإن يبـــرأ فلـــم أنفـــث عليـــه   وإن يهلـــك فذلـــك كان قـــدري

وهو لرجل من عبد القيس في «المفضليات» (ص: ٧١)، وليزيد بن سنان في «شرح أبيات سيبويه» للسيرافي (٢/ ٢٤٩).

(٢) ذكره عنه الواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٥١).

(١٣ ـ ١٤) ـ ﴿وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾.

قولُه تعالى: ﴿وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ﴾ يعني: في محمَّدٍ، ﴿أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ﴾ يعني: اجهَروا له بالعداوةِ أو أسِرُّوا، إنَّ اللهَ عليمٌ بذلك، وكانَ قالَ بعضُهم لبعضٍ: أسِرُّوا قولَكم في شتمِ محمَّدٍ كيلا يسمعَ إلهُ محمَّدٍ فيخبرَه، فنزلَتِ الآيةُ(١).

﴿بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ ذاتُ الصُّدورِ: ما فيها، كما يُسمَّى ولدُ المرأةِ وهو جنينٌ: ذا بطنِها.

قولُه تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾: ألا يعلمَ ما في الصُّدورِ مَن خلَقَها؟ أي: هو خالقُ الصُّدورِ وخالقُ تلك الأقوالِ، ولا بدَّ من أن يكونَ الخالقُ عالماً بما يخلقُه.

وقيلَ: يعني بـ﴿مَنْ خَلَقَ﴾: المخلوقَ؛ أي: ألا يعلمَ اللهُ مخلوقَه.

وقيلَ: ﴿مَنْ﴾ بمعنى: [ما]؛ أي: ألا يعلمُ اللهُ مَا(٢) خلقَ مِن القولِ سرِّه وجهرِه، وهذا كما تُوضَعُ (ما) موضعَ (مَن)، وقد سبقَ اسمُ الله [في](٣) قولِه تعالى: ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾؛ أي: ألا يعلمُ هذا العليمُ ما خلقَ؟!

* * *

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٧/ ١٠٥)، والواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٥١)، وفي «أسباب النزول» (ص: ٤٤٢)، وأبو حفص النسفي في «التيسير» (١٤/ ٥١٠)، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) في (أ): «من»، والمثبت هو الأنسب بالسياق، وانظر: «البسيط» (٢٢/ ٥٢)، وما بين معكوفتين منه.

(٣) ما بين معكوفتين زيادة يقتضيها السياق.

(١٥) ـ ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾.

قولُه تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا﴾ الذَّلولُ: المنقادُ الَّذي يذلُّ لك، والمصدرُ: الذلُّ، وهو اللِّينُ والانقيادُ؛ أي: لـم يجعلِ الأرضَ بحيث يمتنعُ المشيُ فيها بالحُزونةِ والغلظةِ.

وقيلَ: أي: ثبَّتَها بالجبالِ لئلا تزولَ بأهلِها، ولو كانَت تتكفَّأُ مُتمايلةً لـمَا كانَت منقادةً لنا.

وقيلَ: أشارَ إلى التَّمكُّنِ من الزَّرعِ والغرسِ [وشقِّ الأنهارِ وحفرِ الآبار.

﴿فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا﴾ هو أمرُ](١) إباحةٍ، وفيه إظهارُ الامتنان.

﴿وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ﴾؛ أي: من رزقِ اللهِ الَّذي خلقَه لكم.

﴿وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾؛ أي: إليه تُبعثونَ للحسابِ.

***

(١٦) ـ ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ﴾.

قولُـه تعالـى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ خاطـبَ الكفَّـار؛ أي: مَن في السَّـماءِ أمرُه وسـلطانُه ومُلكُـه، وخَـصَّ السَّـماءَ وإن عـمَّ مُلكُـه تنبيهـاً علـى أنَّ الإلـهَ هـو الَّذي تنفـذُ قدرتُـه في السَّـماءِ، لا مَـن يعظِّمونه(٢) فـي الأرضِ.

﴿أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ﴾؛ أي: لا أمانَ لكم مـن عـذابِ اللهِ، وإذا خُسِفَ بإنسانٍ دارَت به الأرضُ، فهو المورُ.

---

(١) ما بين معكوفتين من «تفسير القرطبي» (٢١/ ١٢٤).

(٢) بعدها في (أ): «ما»، والمثبت من «تفسير القرطبي» (١٨/ ٢١٥).

وقيلَ: ﴿مَن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ هو الملَكُ الموكَّلُ بالعذابِ، وهو جبريلُ عليه السَّلامُ.

والمَورُ: الاضطرابُ بالمجيءِ والذَّهابِ، وإذا انخسفَ شيءٌ فالأرضُ تعلو، وهو يذهبُ فيها.

* * *

(١٧ ـ ١٨) ـ ﴿أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾.

قولُه تعالى: ﴿أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ الحاصبُ: ريحٌ فيها حجارةٌ وحصباءُ، [كأنَّها] تقلعُ الحصباءَ لشدَّتِها[1].

وقيلَ: هو سحابٌ فيها حجارةٌ.

﴿فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾؛ أي: إنذاري.

وقيلَ: النَّذيرُ بمعنى: المنذِرِ، يعني: محمَّداً عليه السَّلام؛ أي: ستعلمون صِدقَه وعاقبةَ تكذيبِكم.

قولُه تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ يعني: كفَّارَ الأممِ ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾؛ أي: إنكاري وتغييري.

* * *

(١) في (أ): «بشدَّتِها»، ولعل الصواب هو المثبت.

(١٩) - ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾.

قولُه تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ﴾؛ أي: كما ذلَّلَ الأرضَ للآدميِّ ذلَّلَ الهواءَ بعد الصِّفِّ[1] للطُّيورِ ﴿صَافَّاتٍ﴾؛ أي: تَصفُّ أجنحتَها في الهواءِ.

﴿وَيَقْبِضْنَ﴾؛ أي: يقبضنَها إلى أنفسِها بعدَ الصِّفِّ.

وقيلَ: يضربنَ بها جنوبَهنَّ، والطَّيرانُ: بسطُ الجناحِ وقبضُها.

﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ﴾؛ أي: ما يمسكُ الطَّيرَ في الجوِّ وهي تطيرُ إلا اللهُ عزَّ وجلَّ.

* * *

(٢٠) - ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾.

قولُه تعالى: ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ﴾؛ أي: [هل إن][2] أعرضْتُم عن الرُّسلِ والآياتِ كانَ لكم مَن ﴿يَنْصُرُكُمْ﴾ ويكونُ جنداً لكم؟! ولفظ الجندِ يُوحَّدُ، ولذلك قالَ: ﴿هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ﴾.

وهذا استفهامُ إنكارٍ؛ أي: لا جندَ لكم يدفعُ عنكم عذابَ الله.

﴿مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ﴾؛ أي: مِن سوى الرَّحمنِ.

﴿إِنِ الْكَافِرُونَ﴾؛ أي: ما الكافرون ﴿إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾ من الشَّيطانِ، يغرُّهم بأن لا عذابَ ولا حسابَ.

* * *

---

(١) قوله: «بعد الصف» كذا في (أ)، ولم ترد في «تفسير القرطبي» (٢١/ ١٢٧ ـ ١٢٨).

(٢) ما بين معكوفتين زيادة يقتضيها السياق.

(٢١) ـ ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾.

قولُه تعالى: ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ﴾؛ أي: مَن يرزقُكم من آلهتِكم المطرَ إن أمسكَ اللهُ عنكم، وهو عامٌّ في جميعِ أنواعِ الرِّزقِ.

﴿بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ﴾؛ أي: ليسُوا يعتبرون بهذه الآياتِ من فَرْطِ لجاجِهم من الطُّغيانِ والنُّفورِ عن الحقِّ.

* * *

(٢٢) ـ ﴿أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

قولُه تعالى: ﴿أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ﴾ ضربَ مثلاً للمؤمنِ والكافرِ.

﴿مُكِبًّا﴾؛ أي: مُنكِّساً رأسَه؛ أي: لا يدري ما يستقبلُه من يمينِه ويسارِه حتَّى يتَّقيَه، فهو يخبطُ خبطَ عشواءَ، وهو الكافرُ لا يدري أعلى حقٍّ هو أم باطلٍ؟

أي: أهذا الكافرُ أهدى أو المسلمُ الَّذي يمشي ﴿سَوِيًّا﴾ مُعتدِلاً يبصرُ الطَّريقَ، وهو على طريقٍ مستقيمٍ[1]، وهو الإسلامُ.

وقيلَ: كأنَّه كانَ ﴿مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ﴾؛ أي: راكباً رأسَه في الكفرِ.

قالَ ابنُ عبَّاسٍ: يريدُ أبا جهلٍ وحمزةَ[2].

وقيلَ: أبا جهلٍ وعمارَ بنَ ياسرٍ[3].

وهذا في الآخرةِ، يمشي الكافرُ على وجهِه، كما قالَ: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ [الإسراء: ٩٧]، والمؤمنُ يمشي سويًّا.

---

(١) في (أ): «مسلمين»، والتصويب من «البسيط» (٢٢/ ٦٠).

(٢) ذكره عنه الواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٦٠ ـ ٦١).

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٥٦)، والواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٦١) عن عكرمة.

وقيلَ: الكفَّارُ يمشون في النَّارِ على وجوهِهم، كما قالَ: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ [القمر: ٤٨]، وقد قيلَ: يا رسولَ اللهِ، كيف يمشونَ على الوجوهِ؟ قالَ: «الَّذي أمشاهم على أقدامِهم قادرٌ أن يُمشيَهم على وجوهِهم»[١].

* * *

(٢٣ ـ ٢٤) ـ ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ﴾ أمرَ نبيَّه أن يعرِّفَهم قُبحَ شركِهم مع اعترافِهم بأنَّ اللهَ خالقَهم.

﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾؛ أي: لا تشكرون هذه النِّعمَ، ولا تُوحِّدون اللهَ تعالى، يُقالُ: قلَّ ما أفعلُ كذا؛ أي: لا أفعلُه.

قولُه تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ﴾؛ أي: خلقَكم في الأرضِ ﴿وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ حتَّى يُجازيَ كلّاً بعملِه.

* * *

(٢٥ ـ ٢٦) ـ ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾.

قولُه تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾؛ أي: إذا حُذِّروا الآخرةَ قالوا: متى هذه القيامةُ الَّتي تُوعِدُون بها؟ وهذا استهزاءٌ منهم.

قولُه تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: العلمُ بوقتِ قيامِ السَّاعةِ عندَ اللهِ، فلا يعلمُه غيرُه ﴿وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ﴾ بالعذابِ إن أصررتم على الكفرِ.

---

(١) روى نحوه البخاري (٤٧٦٠)، ومسلم (٢٨٠٦)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢٧) ـ ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾؛ أي: رأَوا ما وُعدوا به من الحشرِ قريباً منهم، والزُّلفةُ: القُربةُ، كأنَّه درجةٌ واحدةٌ، وازدلفَ؛ أي: اقتربَ، قالَ اللهُ: ﴿وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾ [هود: ١١٤]؛ أي: درجاتٍ وأوقاتاً.

وقالَ الحسنُ: أي: لمَّا رأوه مُعاينةً[١].

﴿سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾؛ أي: اسودَّت وعِلَتْها الكآبةُ.

وقالَ الزَّجَّاجُ: تبيَّنَ فيها السُّوء[٢]؛ أي: ساءَهم ذلك العذابُ، وظهرَ ذلك على وجوهِهم.

والسَّيِّئةُ: ضدُّ الحسنةِ، والسَّوْآءُ: المرأةُ القبيحةُ، وساءَ الشَّيءُ يَسوءُ فهو سيِّئٌ؛ أي: قَبُحَ، وسِيْءَ يُساءُ؛ أي: قَبُحَ، فهو لازمٌ ومتعدٍّ، فمعنى ﴿سِيٓـَٔتْ﴾؛ أي: قَبُحَت بالسَّوادِ وأثرِ الكآبةِ.

﴿وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ﴾ قالَ الفرَّاءُ: أي: تَدْعُون[٣]، من الدُّعاء.

وقيلَ: تسألون وتتمنَّون، يُقالُ: دَعَا وادَّعَى مثل ذَكَرَ واذَّكَرَ، وزجرَ وازدجَرَ.

وقيلَ: أي: هذا الَّذي كنتُم به تستعجلون، يُقالُ: دعوتُ بكذا؛ أي: طلبتُه، وادَّعيتُ به؛ أي: افتعلتُ منه.

وقالَ ابنُ عبَّاسٍ: هذا الَّذي كنتُم به تدَّعونَ الأباطيلَ، وتقولون: لا نُحشَر[٤].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٣٥)، وابن بطة في «الإبانة» (٧/ ٥١).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٠٠).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٧١).

(٤) كذا نسبه لابن عباس، ولم أجده عنه، لكن قاله الزجاج في «معاني القرآن» (٥/ ٢٠١)، وكذا نسبه =

أو ﴿هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ﴾ أنَّه باطلٌ، أو هذا الَّذي كنتم تَدعُون اللهَ بتعجيلِه.

***

(٢٨) - ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

قولُه تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ ٱللَّهُ﴾؛ أي: قلْ لهؤلاءِ المشركين، وكانوا يتمنَّونَ موتَ النَّبيِّ عليه السَّلامُ، كما قالَ اللهُ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾ [الطور: ٣٠]: ﴿أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا﴾ فأخَّرَ في آجالِنا فمَن يجيرُكم معاشرَ الكفَّارِ من أليمِ عذابِ اللهِ؛ أي: لا فرحَ لكم في موتِنا؛ إذ لا نجاةَ للكافرِ منَ العذابِ.

***

(٢٩) - ﴿قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾.

قولُه تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾؛ أي: هو ذو الرَّحمةِ وقد آمنَّا به ﴿وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾ فهو يكفينا أذاكم وشرَّكم، ويُنزلُ بكم عقابَه.

﴿فَسَتَعْلَمُونَ﴾ قُرِئَ بالياءِ والتَّاءِ[1]، وهو تهديدٌ لهم.

***

(٣٠) - ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ﴾.

قولُه تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا﴾ قرَّرَهم ببعضِ نعمِه ليريَهم تمرُّدَهم

= الواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٦٣) للزجاج، وأورد قبله مباشرة عن ابن عباس من رواية عطاء قال: «تكذبون».

(١) قرأ الكسائي بالياء، وباقي السبعة بالتاء. انظر: «السبعة» (ص: ٦٤٤)، و«التيسير» (٢/ ٣٨٩).

فـي الكفـرِ مع أنَّـه لا بدَّ لهم مـن الاعترافِ بـه؛ أي: أخبروني إن صـارَ ﴿مَآؤُكُمْ غَوْرًا﴾؛ أي: ذاهباً فـي الأرضِ مـا يُنتفَـعُ منـه بشـيءٍ ﴿فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ﴾؛ أي: جـارٍ، فلا بدَّ لهـم مـن أن يقولـوا: لا يأتينا بـه إلا اللهُ، فقـل لهم: فلمَ تُشـركون به مَـن لا يقدرُ على أن يأتيَكـم به؟

يُقالُ: غارَ الماءُ يغورُ غَوراً؛ أي: نَضَبَ، والغَورُ بمعنى الغائرِ، سُمِّيَ بالمصدرِ كما يُقالُ: رجلٌ عَدْلٌ.

والمَعينُ: الظَّاهرُ الَّذي تراه العيونُ، وهو مفعولٌ من العينِ كمَبيعٍ من البيعِ.

وقيلَ: المعينُ: الجاري، من الإمعانِ في الجري، كأنَّه قيلَ: مُمْعِنٌ في الجري.

* * *

تفسيرُ سورةِ ن

بسمِ اللّه الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) ـ ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾ قيلَ: يعني: الحوتَ الَّذي يحملُ الأرضَ وهو في بحرٍ تحتَ الأرض[١].

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٥٩) وقال: قاله ابن عباس من رواية أبي الضحى عنه، وقد رفعه.

قلت: فهو يشير إلى ما رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٢٢٧) من طريق مؤمل بن إسماعيل، عن حماد بن زيد، عن عطاء بن السائب، عن أبي الضحى مسلم بن صبيح، عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا بلفظ: «إن أول ما خلق الله تعالى القلم والحوت قال: ما أكتب؟ قال: كل شيء كان إلى يوم القيامة» ثم قرأ ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ﴾. فالنون: الحوت، والقلم: القلم. وقال: لم يرفعه عن حماد بن زيد إلا مؤمل بن إسماعيل.

قلت: مؤمل بن إسماعيل قال عنه البخاري: مُنكر الحديث، وقال أبو زرعة: في حديثه خطأ كثير. انظر: «المغني في الضعفاء» للذهبي (٢/ ٦٨٩).

ورواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٤٦٢)، وابن خزيمة في «صحيحه» (٢/ ٨٨٦) في خبر طويل من طريق السدي عن أشياخه عن ابن عباس وابن مسعود وناس من أصحاب رسول الله ﷺ، وفيه: «فخلق الأرض على حوت، والحوت هو النون الذي ذكره الله في القرآن: ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ﴾».

قلت: وهذا موقوف على الصحابة المذكورين، وهذا الإسناد من طريق السدي عن هؤلاء الصحابة من الأسانيد الكثيرة الدوران في «تفسير الطبري»، علماً أن الطبري نفسه قد ارتاب به ولكنه لم يبيّن علّة ارتيابه، فقد قال في «تفسيره» (١/ ٣٧٥) عن هذا الإسناد: ولست أعلمه صحيحًا، إذ كنت بإسناده مرتابًا.

=

قالَ مجاهدٌ ومقاتلٌ: هو الحوتُ الَّذي يحملُ الأرضَ، وهو في بحرٍ تحتَ الأرضِ السُّفلى(١).

وقيلَ: هو إقسامٌ بالحوتِ الَّذي لطَّخَ سهمَ نمرودَ بدمِه، ولذلك أُحِلَّ الحوتُ مَيْتاً(٢)، وهو كما أقسمَ بفرسِ الغُزاةِ، قالَ: ﴿وَٱلْعَـٰدِيَـٰتِ ضَبْحًا﴾ [العاديات: ١].

وقيلَ: أقسمَ بالنُّونِ الَّذي كانَ مَحبِسَ يونسَ.

وقيلَ: النُّونُ في اللُّغةِ الدَّواةُ، فهو قسمٌ بالدَّواةِ والقلمِ، وما سهَّلَ اللهُ من التَّفاهُمِ بهما؛ فإنَّ التَّفاهمَ تارةً بالنُّطقِ وتارةً بالكتابة.

وفي الخبرِ: أنَّ النُّونَ هاهنا لوحٌ من نورٍ، وكتبَ فيه الملائكةُ ما يأمرُهم به اللهُ(٣).

وفي جميعِ ما ذكرنا نظرٌ؛ لأنَّ ﴿نٓ﴾ حرفٌ لم يُعرَب، ولو كانَ كلمةً تامّةً أُعرِبَ كما أُعرِبَ القلمُ، فهو إذاً حرفُ هجاءٍ كما في سائرِ مفاتيحِ السُّورِ، وعلى

= وقال ابن كثير عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤] عن الإسناد المذكور: فهذا الإسناد إلى هؤلاء الصحابة مشهور في تفسير السدي ويقع فيه إسرائيليات كثيرة، فلعل بعضها مدرج ليس من كلام الصحابة، أو أنهم أخذوه من بعض الكتب المتقدمة، والله أعلم.

(١) ذكره عنهما الواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٦٩)، ورواه عن مجاهد الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٤١)، وهو في «تفسير مقاتل» (٤/ ٤٠٣).

(٢) ذكره أبو حفص النسفي في «التيسير» (١٤/ ٥٢٠) عن عكرمة، وذكره عنه البغوي في «تفسيره» (٤/ ٣٦١) بسياق آخر قال: «كان معه في التابوت غلام قد حمل معه القوس والنشاب فرمى بسهم فعاد إليه السهم متلطخًا بدم سمكة قذفت نفسها من بحر في الهواء». وكلاهما من خرافات الإسرائيليات.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٤٤) عن معاوية بن قرة يرفعه، وساقه عنه ابن كثير في «تفسيره» (٨/ ١٨٦)، ثم قال: «وهذا مرسل غريب».

هذا قيلَ: هو اسمُ السُّورةِ؛ أي: هذه سورةُ ن، ثمَّ قالَ: ﴿وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ﴾.

ثمَّ أظهرَ قومٌ النُّونَ في قولِه: ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ﴾؛ لأنَّ النِّيَّةَ الوقفُ بدليلِ اجتماعِ السَّاكنينِ، وإذا كانَت موقوفةً كانَت في تقديرِ الانفصالِ ممَّا بعدَها، وإذا انفصلَ وجبَ التَّبيينُ، وأخفاه قومٌ لأنَّه في تقديرِ الوصلِ، ولهذا قلنا: ﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ﴾ فلم نقطعْ همزةَ الوصلِ مع هذه الحروفِ، **وقد ذكرنا هذه في** ﴿طسٓ﴾ و﴿يسٓ﴾(١).

﴿وَٱلْقَلَمِ﴾ أقسمَ بالقلمِ لِـمَا فيه من البيانِ كاللِّسانِ، وهو واقعٌ على كلِّ قلمٍ ممَّا يكتُبُ به مَن في السَّماءِ ومَن في الأرضِ.

وقالَ ابنُ عبَّاسٍ: هذا قسمٌ بالقلمِ الَّذي خلقَه اللهُ، فأمرَه، فجرى بكتابةِ جميعِ ما هو كائنٌ إلى يومِ القيامةِ، وقالَ: أوَّلُ ما خلقَ اللهُ القلمَ [قال]: اكتبْ ما هو كائنٌ إلى يومِ القيامةِ، فجرى بما هو كائنٌ إلى يومِ تقومُ السَّاعة(٢).

---

(١) ذكر المصنف ذلك في سورة (يس) (٦/ ٩٧). وانظر: «السبعة» (ص: ٦٤٦) و«التيسير» (ص: ١٨٣).
قال ابن الجزري في «النشر» (١/ ٥٤٩): «الخلاف فيه كالخلاف في ﴿يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ﴾ أدغم النون في الواو الكسائي ويعقوب وخلف وهشام، إلا أنه لم يختلف فيه عن قالون أنه بالإظهار. واختلف عن ورش وحده وعن عاصم والبزي وابن ذكوان...» فذكر الخلاف عنهم ثم قال: «وأظهر النون من ﴿نٓ﴾ الباقون وهم أبو عمرو وحمزة وأبو جعفر وقالون وقنبل».

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٢٧٣)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٤٠ ـ ١٤١)، ورواه مرفوعاً أبو يعلى في «معجمه» (٦٩)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٢٢٧). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٢٨): «رواه الطبراني، وقال: لم يرفعه عن حماد بن زيد إلا مؤمل بن إسماعيل، قلت: ومؤمل ثقة كثير الخطأ، وقد وثقه ابن معين وغيره، وضعفه البخاري وغيره، وبقية رجاله ثقات». ومؤمل بن إسماعيل قال عنه البخاري: مُنكر الحديث، وقال أبو زرعة: في حديثه خطأ كثير. انظر: «المغني في الضعفاء» للذهبي (٢/ ٦٨٩).
=

قالَ: وهو قلمٌ من نورٍ طولُه كما بينَ السَّماءِ والأرضِ(١).

وفي روايةٍ: اكتبَ القدرَ(٢)؛ أي: ما هو كائنٌ إلى يومِ القيامةِ، وإنَّما يجري النَّاسُ على أمْرٍ قد قُدِرَ وقد فُرِغَ منه.

وفي التَّفاسيرِ: أنَّه القلمُ الَّذي كُتِبَ به اللَّوحُ المحفوظُ(٣).

﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾؛ أي: وما يَكتبون؛ أي: ما يكتبُه النَّاسُ ويتفاهمونَ به.

وقيلَ: ما يكتبُه الملائكةُ بالقلمِ مِن أعمالِ بني آدمَ، وما يُوحِي اللهُ إلى الرُّسل.

وقيلَ: المرادُ بقولِه: ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ المصدرُ؛ أي: وسَطْرِهم وكِتابتِهم، كقولِه: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ﴾ [النحل: ١١٦]؛ أي: لوصفِ ألسنتِكم الكذبَ، فهذا الَّذي هو فيه ما هو كائنٌ إلى يومِ القيامةِ؛ أي: اللَّوحُ المحفوظُ، فهو قسمٌ بالقلمِ وبالكتابِ المسطورِ به.

وقيلَ: أي: والذي يسطرونَه من الأعمالِ والأمورِ الكائنةِ إلى القيامةِ، فهو قسمٌ بالقلمِ والأعمالِ الَّتي تُكتَبُ به.

= وله شاهد من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه، رواه أبو داود (٤٧٠٠) واللفظ له، والترمذي (٢١٥٥) قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أول ما خلق الله القلم فقال له: اكتب، قال: رب وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة»، وفي رواية الترمذي: «قال: اكتُب القدَرَ ما كان وما هو كائنٌ إلى الأبدِ»، ورواه الترمذي أيضاً (٣٣١٩) بلفظ: «إنَّ أولَ ما خَلَق اللهُ القلم، فقال له: اكتُب، فجرى بما هو كائنٌ إلى الأبد»، وَفِي الحَدِيثِ قِصَّةٌ. قال الترمذي: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ غريبٌ وفيه عن ابن عباسٍ.

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٧٢) ثم قال: وهذا قوله في رواية أبي الضحى وأبي ظبيان وأبي صالح ومقسم.

(٢) ورد ذلك في رواية عبد الرزاق والطبري المتقدمة، وانظر كذلك حديث عبادة بن الصامت المتقدم في التعليق نفسه.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٤٠٣)، وانظر الآثار الواردة في ذلك في «الدر المنثور» (٨/ ٢٤١ ـ ٢٤٢).

(٢) ـ ﴿مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ﴾.

قولُه تعالى: ﴿مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ﴾؛ أي: انتفَى عنك الجنونُ بنعمةِ ربِّكَ، كما تقولُ: أنتَ بنعمةِ اللهِ فَهِمٌ [وما أنتَ بنعمةِ اللهِ بجاهل]، وهذا جوابُ قولِهم[١]: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ﴾ [الحجر: ٦].

وقيلَ: ما أنتَ بمجنونٍ، وذلكَ مِن نعمةِ اللهِ عليكَ.

قالَ ابنُ عبَّاسٍ: يريدُ: بنعمةِ ربِّك عليكَ بالإيمانِ والنُّبوَّةِ[٢].

***

(٣) ـ ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا غَيۡرَ مَمۡنُونٖ﴾.

قولُه تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا غَيۡرَ مَمۡنُونٖ﴾؛ أي: لهو[٣] على ما تحمَّلتَ من أثقالِ النُّبوَّةِ ﴿غَيۡرَ مَمۡنُونٖ﴾؛ أي: غيرَ منقوصٍ، والمنينُ: الضَّعيفُ، ومنه: «يمنُّ عليك بشَينِه»[٤]، والمنُّ في النِّعمةِ قد يُكدِّرُ النِّعمة.

***

(٤) ـ ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ﴾.

قولُه تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ﴾ هو ردٌّ على مَن قالَ: إنَّه لـمجنونٌ، وفي الخبرِ: «كانَ خُلُقُه عليه السَّلامُ القرآنَ»[٥]؛ أي: ما أدَّبه به القرآنُ.

---

(١) في (أ): «وهذا العذاب الجواب قولهم»، والتصويب من «البسيط» (٢٢/ ٧٤) وما بين معكوفتين منه.

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٧٤) من رواية عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) قوله: «لهو» كذا في (أ)، وذكر القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ١٤٠) عبارة المصنف هذه، وفيه بدل «لهو»: «ثواباً»، وكلاهما صواب.

(٤) لم أجد هذه العبارة، والشين: العيب.

(٥) رواه مسلم (٧٤٦) عن عائشة رضي الله عنها ضمن حديث، وفيه: «فإن خُلُقَ نبيِّ الله ﷺ كان القرآنَ».

وسُئِلَت عائشةُ عن خُلُقِه عليه السَّلامُ فقرأتْ ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ إلى عشرِ آياتٍ[1].

وقالَت: ما كانَ أحدٌ أحسنَ خُلقاً من رسولِ اللهِ عليه السَّلامُ، ما دعاه أحدٌ مِن أصحابِه ولا مِن أهلِ بيتِه إلا قالَ: لبَّيكَ، ولذلك قالَ اللهُ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[2].

ولم يُذكَر خُلُقٌ محمودٌ إلا وكانَ للنَّبيِّ عليه السَّلامُ منه الحظُّ الأوفرُ.

* * *

(٥ ـ ٦) ـ ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۝٥ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ﴾.

قولُه تعالى: ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ﴾؛ أي: فسترى يا محمَّدُ ويَرى المشركون ﴿بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ﴾ الباءُ زائدةٌ؛ أي: أيّكم المجنونُ الَّذي لا يُفكِّرُ في عاقبةِ أمرِه ولا ينظرُ لنفسِه، ولهذا نزلَ بالكفَّارِ العذابُ من القتلِ والسَّبيِ، وسيَرون في الآخرةِ ما يَرَون.

والباءُ قد تُزادُ، كقولِه: ﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ﴾ [المؤمنون: ٢٠].

وقيلَ: الباءُ ليسَت زائدةً، والمعنى: بأيّكم المفتونُ والجنونُ، والمصدرُ قد يَجيءُ على المفعولِ نحو: المعقولِ والميسورِ، بمعنى: العقلِ واليُسرِ.

وقيلَ: الباءُ بمعنى (في)؛ أي: في أيّكم المفتونُ؛ أي: المجنونُ؛ أي: في أيِّ الفريقين: في فرقتِكَ يا محمَّدُ أو في فرقةِ الوليدِ بنِ المغيرة، ومعظمُ السُّورةِ فيه وفي أبي جهلٍ.

وقيلَ: ﴿ٱلْمَفْتُونُ﴾ هو الشَّيطانُ؛ لأنَّه مفتونٌ في دِينِه، وكانوا يقولون: إنَّ به

---

(١) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٣٠٨)، النسائي في «الكبرى» (١١٢٨٧)، والحاكم في «المستدرك» (٣٤٨١).

(٢) رواه أبو الشيخ الأصبهاني في «أخلاق النبي ﷺ» (٢)، وأبو نعيم في «دلائل النبوة» (١١٩)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٤٣).

شيطاناً، وعنَوا بالمجنونِ هذا، قالَ اللهُ: سيعلمونَ غداً بأيِّهم الشَّيطانُ الَّذي يحصلُ من مسِّهِ الجنونُ واختلاطُ العقلِ.

***

(٧) ـ ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾؛ أي: إنَّ اللهَ هو العالمُ فلا يَخفى عليه شيءٌ، ويُجازي كلَّ إنسانٍ غداً بعملِه.

***

(٨ ـ ٩) ـ ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ۝٨ وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ نهاه عن مماثلةِ المشركين، وكانوا يَدْعونَه إلى أن يَكفَّ عنهم بعضَ الكفِّ ليكفُّوا عنه، فبيَّنَ اللهُ أنَّ مماثلتَهم كفرٌ، وقالَ: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٤].

قولُه تعالى: ﴿وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ الإدْهانُ: اللِّينُ والمُصانعةُ.

وقيلَ: المقاربةُ في الكلامِ والتَّليينُ في القولِ.

قالَ المُبرِّدُ: يُقالُ: أدْهَنَ في القولِ وداهَنَ في أمرِه؛ أي: خانَ فيه وأظهرَ خلافَ ما يُضمِرُ[١]؛ أي: ودُّوا لو تركْتَ بعضَ ما أنتَ عليه ليتركُوا بعضَ ما هم عليه.

قالَ القُتيبيُّ: طلبوا منه أن يعبدَ آلهتَهم مُدَّةً، ويعبدوا إلهَه مُدَّةً[٢].

وقالَ ابنُ عبَّاسٍ: أي: ودُّوا لو تكفرُ فيكفرون[٣].

---

(١) ذكر عنه الواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٧٩) وفيه: «أدهن الرجل في دينه، وداهن في أمره».

(٢) انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ٤٧٨).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٥٦).

(١٠) ـ ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾.

قولُه تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾ نهى عن طاعةِ بعضِهم خصوصاً؛ أي: لا تُطعِ المكذِّبينَ عموماً، ولا تُطِعْ منهم خصوصاً كلَّ مَن لهجَ بالكذبِ والحلفِ بما كانُوا يحلفونَ به من أصنامِهم ومن اللهِ تعالى.

﴿مَّهِينٍ﴾: ضعيفِ القلبِ.

وقيلَ: هو مِن المهانةِ بمعنى: القِلَّةِ؛ أي: القلَّةِ في الرَّأيِ والتَّمييزِ.

وقيلَ: هو الحقيرُ الَّذي عُرِفَ بأنَّه يحلفُ على الكذبِ.

قالَ ابنُ عبَّاسٍ: يعني: الأخنسَ بنَ شَريقٍ[١].

وقيلَ: نزلَت في الوليدِ بنِ المغيرةِ حينَ عرضَ على النَّبيِّ عليه السَّلامُ المالَ ليرجعَ عن دينِه[٢].

والكذَّابُ مَهينٌ في العُرفِ، والمهنةُ: الخدمةُ، والخادمُ يسعَى في أسبابِ المنزلِ، فإذاً المهينُ هو السَّاعي في الشرِّ[٣].

* * *

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٨١) عن الكلبي والسدي وابن عباس رضي الله عنهما، ورواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٥٧٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٦٤) عن السدي، وذكره ابن هشام في «السيرة» (١/ ٣٦٠) عن ابن إسحاق.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٤٠٤).

(٣) في (أ): «السير»، والمثبت مستفاد من «البسيط» (٢٢/ ٨١) حيث ذكر عن الحسن وقتادة: المهين: المكثار من الشر. قال: ومعناه أنه الوضيع بإكثاره من القبيح.

(١١) ـ ﴿هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ﴾.

قولُه تعالى: ﴿هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ﴾؛ أي: مُغتابٍ للنَّاسِ طَعَّانٍ فيهم، والهمزُ: الغمزُ والكسرُ، والهمَّازُ يهمزُ النَّاسَ بلسانِه.

﴿مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ﴾؛ أي: يمشي بالنَّميمةِ بينَ النَّاسِ ليُفسِدَ ما بينَهم، يُقالُ: نمَّ يَنُمُّ ويَنِمُّ نمّاً ونَميماً ونَميمةً؛ أي: مشَى وسعَى بالفسادِ.

***

(١٢) ـ ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾.

قولُه تعالى: ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾ قالَ ابنُ عبَّاسٍ: الخيرُ هاهنا الإسلامُ، وكانَ للوليدِ بنِ المغيرةِ عشرةُ بَنين، فكانَ يقولُ لهم ولقرابتِه: إن يتَّبعْ أحدٌ منكم دِينَ محمَّدٍ لا أنعمُه بشيءٍ أبداً. فمنعَهم الإسلامَ[1].

وقيلَ: أي: منَّاعٍ رِفدَه ونفعَه لأجلِ الخيرِ، وهو الإسلامُ.

وقيلَ: الخيرُ المالُ؛ أي: بخيلٍ بالمالِ.

﴿مُعْتَدٍ﴾؛ أي: ظَلومٍ مُتجاوِزٍ للحدِّ صاحبِ باطلٍ.

﴿أَثِيمٍ﴾؛ أي: آثمٍ، فهو قبيحٌ بالمعاملةِ فيما بينَه وبينَ الخَلقِ وفيما بينَه وبينَ اللهِ.

***

(١٣) ـ ﴿عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾.

قولُه تعالى: ﴿عُتُلٍّۭ﴾ هو الشَّديدُ الخصومةِ بالباطلِ.

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٨٢) من رواية عطاء والكلبي عن ابن عباس، وعن مقاتل. وذكره الزجاج في «معاني القرآن» (٥/ ٢٠٥) دون نسبة، وبنحوه عن ابن عباس الثعلبي في «تفسيره» (٢٧/ ١٧٨).

وقيلَ: الفظُّ الكافرُ والغليظُ الجافي.

وقيلَ: الأكولُ المَنُوعُ.

وأصلُه: العَتْلُ، وهو السَّوقُ الشَّديدُ والقَودُ العنيفُ، كما قالَ: ﴿فَٱعْتِلُوهُ﴾ [الدخان: ٤٧].

﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ قيلَ: مع ذلك، كقولِه: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾ [النازعات: ٣٠]؛ أي: مع ذلك.

وقيلَ: مرجعُ ﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ إلى الخبرِ؛ أي: فأُخبرُكم بعدَ ما تقدَّمَ في خبري أنَّه عُتُلٌّ.

﴿زَنِيمٍ﴾ الزَّنيمُ: الدَّعِيُّ الملصَقُ بالقومِ ليسَ منهم، والزَّنَمةُ من ذلك شيءٌ للزِّيادةِ[1]، وزُنِمَت الشَّاةُ أيضاً إذا شُقَّت أذنُها فاسترخَت هُنَيَّةٌ[2] كالشَّيءِ المعلَّقِ.

قالَ ابنُ عبَّاسٍ: أي: هو دَعِيٌّ في قريشٍ، وليس منهم[3].

وقالَ مجاهدٌ وسعيدُ بنُ المسيِّبِ وعكرمةُ: هو ولدُ الزِّنى الملحَقُ بالقومِ في النَّسبِ[4].

---

(١) كذا وقعت العبارة في (أ)، والذي في «البسيط» (٢٢/ ٨٦): «والزَّنمةُ من كلِّ شيءِ الزِّيادةُ»، وانظر التعليق الآتي.

(٢) في «البسيط» (٢٢/ ٨٦): «هدبة»، وفي نسخة منه كالمثبت، وفي المعاجم: الزنمة: شيء يقطع من أذن البعير فيترك معلّقاً. انظر: (مادة زنم) في «الصحاح» و«النهاية» و«القاموس».

(٣) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٨٦) من رواية عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) ذكره عنهم الواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٨٦)، ورواه ابن وهب في «جامعه ـ التفسير» (١٦٥)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٦٥) عن سعيد بن المسيب، ورواه ابن أبي حاتم في «العلل» (٥/ ٣٤)، وابن الأنباري في «الوقف والابتداء» (١/ ٦٥)، عن عكرمة.

وقد قيلَ: إنَّما ادَّعاه أبوه بعدَ ثماني عشرةَ سنةً(١).

وقيلَ: وصفَه بالزَّنيمِ لأنَّه كانَ في أصلِ أذنِه مثلُ زنمةِ الشَّاةِ(٢).

وقيلَ: الزَّنيمُ: المعروفُ بالشَّرِّ والفجورِ.

ومعظمُ المفسِّرين على أنَّ هذا نزلَ في الوليدِ بنِ المغيرةِ، وكانَ يطعِمُ أهلَ منى حَيساً ثلاثةَ أيَّامٍ، ويُنادي: ألا لا يُوقِدَنَّ أحدٌ تحتَ بُرمَةٍ، ألا لا يُدخِّنَنَّ أحدٌ بكُراعٍ، ألا ومَن أرادَ الحَيسَ فليأتِ الوليدَ بنَ المغيرةِ، وكانَ يُنفقُ في الحجَّةِ الواحدةِ عشرين ألفاً أو أكثرَ، ولا يُعطي المسكينَ درهماً، فلهذا قيلَ له: ﴿مَنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾، وفيه نزلَ ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [فصلت: ٦ ـ ٧](٣).

ومَن قالَ: نزلَت هذهِ الآيةُ في الأخنسِ بنِ شَريقٍ الثَّقفيِّ، فلعلَّ اسمَ الزَّنيمِ لحقَه لاختلاطِه بقومٍ وهو مِن غيرِهم، وكانَ حليفَ بني زُهرةَ(٤).

***

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٧/ ١٧٩)، والواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٨٧)، عن مرة الهمداني.

(٢) روى البخاري (٤٩١٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾ قال: رجل من قريش له زنمة مثل زنمة الشاة».

(٣) ذكره أبو حفص النسفي في «التيسير» (١٤/ ٥٢٩) عن الخارجة، وذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ١٥٥)، ولم يعزه لأحد. والحيس: تمر يخلط بسمن أو أقط. وقوله: «الخارجة» لعله خارجة بن مصعب فإن النسفي ينقل عنه.

(٤) **وقع هنا في النسخة (أ) سقط حتى الآية (٢٤) من هذه السورة، وقد استدركناه من «تفسير القرطبي» (٢١/ ١٥٦ ـ ١٦٦) بعد تهذيبه بما يتناسب مع منهج المؤلف، ووضعه ضمن معكوفتين، وسنشير إلى نهايته في موضعه.**

(١٤ - ١٥) - ﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾.

[**قوله تعالى**: ﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾ قُرِئ: ﴿آنْ كَانَ﴾ بهمزةٍ واحدةٍ ممدودةٍ على الاستفهام، وقُرِئ: ﴿أأَنْ كَانَ﴾ بهمزتينِ محقَّقتينِ، وقُرِئ بهمزةٍ واحدةٍ على الخبر(١).

فمَن قرأ بهمزةٍ مطوَّلةٍ أو بهمزتينِ محقَّقَتينِ فهو استفهامٌ والمرادُ به التوبيخُ، ويَحسُنُ له أن يقف على ﴿زَنِيمٍ﴾ ويبتدئَ: ﴿أَن كَانَ﴾ على معنى: أَلِأَن كان ذا مالٍ وبنينَ تطيعُه.

ويجوزُ أن يكونَ التقديرُ: أَلِأَنْ كان ذا مالٍ وبنينَ يقولُ إذا تُتلى عليه آياتُنا: ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾.

ويجوزُ أن يكونَ التقديرُ: أَلِأَنْ كان ذا مالٍ وبنينَ يَكفرُ ويستكبِرُ، ودلَّ عليه ما تقدَّم من الكلام فصار كالمذكورِ بعدَ الاستفهام.

ومَن قرأ: ﴿أَن كَانَ﴾ بغير استفهام فهو مفعولٌ من أجلِه والعاملُ فيه فعلٌ مضمَرٌ، والتقدير: يكفرُ لِأَنْ كان ذا مالٍ وبنين، ودلَّ على هذا الفعلِ: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾، ولا يعمل في ﴿أَن﴾: ﴿تُتْلَىٰ﴾ ولا ﴿قَالَ﴾ لأن ما بعدَ (إِذَا) لا يعمل فيما قبلَها؛ لأن (إِذَا) تضافُ إلى الجُملِ التي بعدَها، ولا يَعملُ المضافُ إليه فيما قبلَ المضاف، و﴿قَالَ﴾ جوابُ الجزاءِ ولا يعملُ فيما قبلَ الجزاء؛ إذْ حُكْمُ العاملِ أنْ يكونَ قبلَ المعمولِ فيه، وحكم الجواب أن يكون بعد الشرط فيصير مقدَّماً مؤخَّراً في حالٍ.

---

(١) قرأ شعبة وحمزة: ﴿أأن كان﴾ بهمزتين محققتين، وابن عامر بهمزة واحدة ممدودة، والباقون بهمزة واحدة مفتوحة على الخبر. انظر: «السبعة» (ص: ٦٤٦)، و«التيسير» (ص: ٢١٣).

ويجوزُ أن يكونَ المعنَى: لا تُطِعْه لِأنْ كان ذا يسارٍ وعَدَدٍ.

قال ابنُ الأنباري: ومَن قرأ بلا استفهامٍ لم يَحْسُنْ أن يقفَ على ﴿زَنِيمٍ﴾ لأن المعنى: لأنْ كان وبأنْ كان، فـ﴿أَن﴾ متعلِّقةٌ بما قَبْلَها(١).

قال غيرُه: يجوزُ أن يتعلَّق بقوله: ﴿مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ﴾ والتقدير: يَمشي بنميمٍ لِأَنْ كان ذا مالٍ وبنين.

وأجاز أبو عليٍّ أن يتعلق بـ﴿عُتُلِّۭ﴾.

وأساطيرُ الأولين: أباطيلُهم وتُرَّهاتُهم وخُرافاتُهم.

* * *

(١٦) ـ ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾.

قوله تعالى: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾ قال ابن عباسٍ: معنى ﴿سَنَسِمُهُۥ﴾: سنَخْطِمُه بالسيف، قال: وقد خُطِمَ الذي نزلتْ فيه يومَ بدرٍ بالسيف؛ فلم يَزَلْ مخطوماً إلى أن مات(٢).

وقال قتادةُ: سنَسِمُه يومَ القيامةِ على أنفه سِمَةً يُعرَفُ بها(٣).

يقالُ: وَسَمْتُه وَسْماً وسِمَةً: إذا أثَّرْتَ فيه بسِمَةٍ وكَيٍّ، وقد قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦] فهذه علامة ظاهرة، وقال تعالى: ﴿وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ [طه: ١٠٢] وهذه علامةٌ أخرى ظاهرةٌ. فأفادت هذه الآيةُ علامةً

---

(١) انظر: «إيضاح الوقف والابتداء» (٢/ ٩٤٤).

(٢) ذكره بتمامه الواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٩٣). ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٧٠) مختصرا بلفظ: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾ فقاتَل يومَ بدرٍ، فخُطِم بالسيف في القتال.

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٢٨٨)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٧٠).

ثالثةً وهي الوسمُ على الأنف بالنار، وهذا كقوله تعالى: ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ﴾ [الرحمن: ٤١] قاله الكلبيُّ وغيرُه[١].

وقال أبو العاليةِ ومجاهدٌ: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾؛ أي: على أنفِه، ونُسوِّدُ وجهَه في الآخرة فيُعْرَفُ بسوادِ وجهِه[٢].

والخرطوم: الأنفُ من الإنسانِ، ومِن السِّباع: موضعُ الشَّفَةِ، وخراطيمُ القوم: ساداتُهم.

قال الفرَّاء: وإن كان الخرطومُ قد خُصَّ بالسِّمَةِ فإنه في معنى الوجه؛ لأنَّ بعضَ الشيءِ يعبَّرُ به عن الكلِّ[٣].

وقال الطبريُّ: نبيِّنُ أمرَه تِبْياناً واضحاً حتى يَعْرِفوه فلا يَخْفَى عليهم كما لا تخفَى السِّمةُ على الخراطيم[٤].

وقيل: المعنى: سنُلْحِقُ به عاراً وسُبَّةً حتى يكونَ كمَن وُسِمَ على أنفِه.

قال القُتَبي: تقول العرب للرجل يُسبُّ سُبَّةَ سُوءٍ قَبيحةٍ باقيةٍ: قد وُسِمَ مِيْسَمَ سُوءٍ؛ أي: أُلْصِقَ به عارٌ لا يُفارِقُه؛ كما أنَّ السِّمَةَ لا يُمْحَى أثرُها.

قال: وهذا كلُّه نَزَل في الوليد بن المغيرةِ، ولا نَعْلَمُ أنَّ الله تعالى بَلَغ مِن ذكرِ عيوبِ أحدٍ ما بلَغَه منه؛ فأَلحَقَه به عاراً لا يفارِقُه في الدنيا والآخرة؛ كالوَسْم على الخرطوم[٥].

---

(١) بنحوه في «النكت والعيون» (٦/ ٦٦).

(٢) ذكره عنهما الثعلبي في «تفسيره» (٢٧/ ٢٠٩).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٧٤).

(٤) انظر: «تفسير الطبري» (٢٣/ ١٧٠ ـ ١٧١).

(٥) انظر: «تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة (ص: ١١٨ ـ ١٢٠).

وقيل: هو ما ابتلاهُ اللهُ به في الدُّنيا في نَفْسِه ومالِه وأهلِه من سوءٍ وذلٍّ وصَغَارٍ.

وقيل: المعنى: سنَحُدُّه على شُربِ الخمر، والخُرطومُ: الخمرُ، وجمعُه: خراطيم.

***

(١٧ ـ ١٩) ـ ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ﴾ يريد أهلَ مكة، والابتلاءُ: الاختبار، والمعنى: أعطَيْناهم أموالاً ليَشْكُروا لا ليَبْطَروا؛ فلمَّا بَطِروا وعادَوا محمدًا ﷺ ابتلَيْناهم بالجوع والقَحْط كما بَلَوْنا أهلَ الجنةِ المعروفِ خبرُها عندهم.

وذلك أنها كانتْ بأرضِ اليمنِ بالقربِ منهم على فراسخَ من صنعاءَ – ويقال: بفرسخين ـ وكانت لرجلٍ يؤدِّي حقَّ الله تعالى منها ؛ فلمَّا مات صارتْ إلى ولَدِه، فمَنَعوا الناسَ خيرَها، وبَخِلوا بحقِّ الله فيها ؛ فأهلَكَها الله مِن حيثُ لم يُمْكِنْهم دفعُ ما حلَّ بها[١].

قال الكلبيُّ: كان بينَهم وبين صنعاءَ فَرْسخانِ؛ ابتلاهم الله بأنْ أَحرق جنَّتهم[٢].

وقيل: هي جنةٌ بضَرْوانَ، وضَرْوانُ على فرسخٍ من صنعاءَ، وكان أصحابُ هذه الجنةِ بعدَ رفعِ عيسى عليه السلام بيسيرٍ، وكانوا بخلاءَ فكانوا يَجدُّون التمرَ ليلاً من أجْلِ المساكين، وكانوا أرادوا حصادَ زرعها وقالوا: لا يدخلُها اليوم عليكم مسكين، فغَدَوا عليها فإذا هي قد اقتُلِعت من أصلِها فأصبحَتْ كالصَّرِيم[٣]؛ أي:

---

(١) سيأتي قريباً عن السدي بأتم من هذا.

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٩٦).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٧٥) عن سعيد بن جُبير قال: هي أرض باليمن يقال لها: ضَرْوان، من صنعاء على ستة أميال. =

كالليل؛ ويقالُ أيضاً للنهار: صريمٌ. فإن كان أراد الليل فلاسْوِدادِ موضِعِها، وكأنهم وجدوا موضعَها حَمْأة، وإن كان أراد بالصريم النهارَ فلِذَهابِ الشجرِ والزرعِ ونقاءِ الأرض منه.

وكان الطائفُ الذي طافَ عليها جبريلُ عليه السلام فاقتَلَعها، فيقالُ: إنه طاف بها حولَ البيتِ ثم وضعَها حيث مدينةُ الطائف اليوم؛ ولذلك سميتِ الطائفَ، وليس في أرض الحجاز بلدةٌ فيها الشجرُ والأعنابُ والماءُ غيرها[1].

وقيل: سمِّيت الطائفَ لأنَّ رجلاً من الصَّدِف يقال له: الدَّمُون، بنى حائطاً وقال: قد بنيتُ لكم طائفاً حولَ بلدِكم؛ فسُمِّيت الطائفَ[2].

= وقال عبد الله بن الإمام أحمد: سمعت أبي يقول: مَرَرْت بها فيما بين صنعاء وقرية عبد الرزاق، فرأيت أنا الأرض، وهي يُقال لها: ضروان، أرض سوداء لا يَنبت فيها شيء إذا خرجت من آخرها أرض حمراء تعلم أنها محترقة.

ونقل عنه المروذي قوله: هذه مدينة ضروان قد مررت بها، وهي قريبة من عبد الرزاق، رأيتها سوداء حمراء، أثر النار يتبين فيها، ليس فيها أثر زرع ولا خضرة. انظر: «العلل برواية عبد الله» (٥٨٥٥)، و«بدائع الفوائد» (٣/ ١٠٩)، و«الجامع لعلوم الإمام أحمد» (١٣/ ٥٠٨).

وفي «معجم البلدان» (٣/ ٤٥٦): «ضروان بالتحريك: بليد قرب من صنعاء، سمي باسم واد هو على طرفه وهو واد ملعون جرج مشؤوم، حجارته تشبه أنياب الكلاب لا يقدر أحد أن يطأه بوجه ولا سبب ولا ينبت شيئاً، ولا يستطيع طائر أن يمرّ به فإذا قاربه مال عنه، وقيل: هي الأرض التي ذكرها الله تعالى في كتابه العزيز، وقيل: إنها كانت أحسن بقاع الله في الأرض وأكثرها نخلاً وفاكهة وإن أهلها غدوا إليها وتواصوا ألّا يدخلها عليهم مسكين...».

(١) ذكره دون نسبة مكي في «الهداية» (١٢/ ٧٦٤٠)، والسمعاني في «تفسيره» (٦/ ٢٣)، والسهيلي في «الروض الأنف» (٧/ ٢٦٤)، ولم أجده مسنداً، وليس مما يصح.

(٢) انظر: «التعريف والإعلام» للسهيلي (ص: ١٧٤ ـ ١٧٥). والصدف: مخلاف (وهو الناحية أو المحافظة) من اليمن منسوب إلى القبيلة. انظر: «معجم البلدان» (٣/ ٣٩٧).

ورَوَى أسباطٌ عن السُّدِّي قال: كان قومٌ باليمن، وكان أبوهم رجلاً صالحاً، وكان إذا بلَغَ ثمارُه أتاهُ المساكينُ فما يمنعُهم مِن دخولها وأنْ يأكلوا منها ويَتزوَّدوا؛ فلمَّا مات قال بنُوه بعضُهم لبعضٍ: «عَلَامَ نعطي أموالَنا هؤلاء المساكين؟! تعالَوا فلْنُدْلِجْ فنَصرمنَّها قبلَ أن يعلمَ المساكينُ» ولم يَستثنُوا، فانطَلَقوا وبعضُهم يقولُ لبعضٍ خَفْتاً: ﴿لَا يَدۡخُلَنَّهَا ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكُم مِّسۡكِينٞ﴾؛ فذلك قوله تعالى: ﴿إِذۡ أَقۡسَمُواْ﴾ يعني: حلَفوا فيما بينهم: ﴿لَيَصۡرِمُنَّهَا مُصۡبِحِينَ﴾ يعني: لنَجذَّنَّها وقتَ الصبحِ قبل أن تخرج المساكينُ ﴿وَلَا يَسۡتَثۡنُونَ﴾ يعني: لم يقولوا: إن شاء الله[1].

وقال ابن عباسٍ: كانت تلك الجنةُ دونَ صنعاءَ بفَرْسَخَين، غَرَسها رجلٌ من أهلِ الصَّلاح، وكان له ثلاثةُ بنينَ، وكان للمساكينِ كلُّ ما تعدَّاه المنجَلُ فلم يجذَّه من الكَرْم، فإذا طُرِح على البساطِ فكلُّ شيءٍ سقطَ عن البساطِ فهو أيضاً للمساكين، فإذا حصَدوا زرعَهم فكلُّ شيءٍ تعدَّاه المنجلُ فهو للمساكين، فإذا درَسوا كان لهم كلُّ شيءٍ انتَثَر؛ فكان أبوهم يتصدَّقُ منها على المساكين، وكان يعيشُ في ذلك في حياةِ أبيهِم اليتامى والأراملُ والمساكين، فلمَّا مات أبوهم فعَلوا ما ذكر الله عنهم، فقالوا: قَلَّ المالُ وكَثُر العيال؛ فتحالَفوا بينهم ليَغْدُوُنَّ غدوةً قبل خروجِ الناسِ ثم ليَصْرِمُنَّها ولا تعرف المساكين، وهو قوله: ﴿إِذۡ أَقۡسَمُواْ﴾؛ أي: حلَفوا ﴿لَيَصۡرِمُنَّهَا﴾: ليَقطعُنَّ ثمرَ نخيلِهم إذا أصبَحوا بسُدْفةٍ من الليلِ لئلَّا ينتبهَ المساكينُ لهم[2].

والصَّرْمُ: القطعُ، يقال: صَرَم العِذْقَ عن النخلة. وأَصْرَمَ النخلُ؛ أي: حان وقتُ صِرامه؛ مثلَ: أَرْكَبَ المهرُ، و: أَحْصَدَ الزرعُ؛ أي: حان ركوبُه وحصادُه.

---

(١) ذكره أبو الليث السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٤٨٣).

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٧/ ٢١١ ـ ٢١٢) من طريق محمد بن مروان عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس. وهذا إسناد ساقط.

﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ﴾؛ أي: ولم يقولوا: إن شاء الله.

﴿فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ﴾ ينادي بعضُهم بعضاً: ﴿أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ﴾: عازِمين على الصَّرْم والجدَادِ.

قال قتادةُ: حاصِدِين زَرْعَكم.

وقال الكلبيُّ: ما كان في جنتِهم من زرعٍ ولا نخيل.

وقال مجاهدٌ: كان حرثُهم عِنَباً، ولم يقولوا: إن شاء الله.

وقال أبو صالحٍ: كان استثناؤهم قولُهم: سبحانَ الله ربِّنا.

وقيل: معنى ﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ﴾؛ أي: لا يستثنُون حقَّ المساكين؛ قاله عِكرمةُ.

فجاؤوها ليلاً فرأوا الجنةَ مسودَّةً قد طاف عليها طائفٌ من ربِّك وهم نائمون.

قيل: الطائفُ جبريلُ عليه السلام؛ على ما تقدَّم ذكرُه.

وقال ابن عباسٍ: أمرٌ من ربِّك[١].

وقال قتادةُ: عذابٌ من ربِّك[٢].

وقال ابن جُريجٍ: عنُقٌ من نارٍ خرجَ من وادي جهنم[٣].

والطائفُ لا يكونُ إلا بالليل؛ قاله الفرَّاء[٤].

و في هذه الآيةِ دليلٌ على أنَّ العزمَ ممَّا يؤاخَذُ به الإنسان؛ لأنهم عزَموا على أن يفعلوا فعُوقبوا قبلَ فعلِهم، ونظيرُ هذه الآيةِ قولُه تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٧٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣٠٤٢).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٦٧).

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٦٧).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٧٥).

بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥]، وعن النبيِّ ﷺ قال: «إذا الْتَقَى المسلمانِ بسَيْفَيْهِما فالقاتلُ والمقتولُ في النار» قيل: يا رسولَ الله، هذا القاتلُ فما بالُ المقتول؟ قال: «إنه كان حَريصاً على قتلِ صاحبِه»[١].

* * *

(٢٠ ـ ٢٢) ـ ﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ﴾.

قولـه تعالـى: ﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾؛ أي: كالليـلِ المظلِم؛ عن ابن عبـاس والفرَّاء وغيرِهما[٢].

وعـن ابـن عباسٍ أيضـاً: كالرماد الأسـود، قال: الصَّريـم: الرمادُ الأسـودُ بلُغةِ خُزيمةَ[٣].

وقال الثوريُّ: كالزرعِ المحصود، فالصَّريمُ بمعنَى المصرومِ؛ أي: المقطوعِ ما فيه.

وقال الحسن: صُرِمَ عنها الخيرُ؛ أي: قُطع؛ فالصَّريمُ مفعولٌ أيضاً.

وقيل: أي: كالرَّملةِ انصَرمتْ مِن مُعظَمِ الرَّملِ، يقالُ: صريمةٌ وصرائمُ؛ فالرملةُ لا تُنبِتُ شيئاً يُنتَفَعُ به.

وقال الأخفشُ: أي: كالصُّبحِ انْصَرَمَ من اللَّيل.

وقال المبرِّدُ: أي: كالنهار؛ فلا شيءَ فيها.

وقيـل: الصَّريـمُ: اللَّيـلُ، والصَّريـمُ: النهـار؛ أي: يَنصـرِمُ هـذا عـن ذاك وذاك عـن هذا.

---

(١) رواه البخاري (٣١)، ومسلم (٢٨٨٨)، من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٧٥). ورواه عن ابن عباس الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٧٤).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٧/ ٢١٦).

وقيل: سمِّي الليلُ صريماً لأنه يَقطَعُ بظُلْمتِه عن التصرُّف؛ ولهذا يكون فعيلٌ بمعنى فاعلٍ[(١)].

قال المصنفُ: **وفي هذا نظرٌ**؛ لأنَّ النهارَ يسمَّى صريماً ولا يَقطَعُ عن تَصَرُّفٍ.

***

(٢٣ ـ ٢٤) ـ ﴿فَانطَلَقُواْ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ۝٢٣ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ﴾.

قوله تعالى: ﴿فَانطَلَقُواْ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ﴾؛ أي: يتسارُّون؛ أي: يُخْفُون كلامَهم ويُسِرُّونه لئلَّا يَعلَمَ بهم أحدٌ، وهو من خَفَتَ يَخْفِتُ: إذا سَكَن ولم يبيِّنْ.

وقيل: يُخْفُون أنفسَهم من الناسِ حتى لا يَرَوْهم، وكان أبوهم يُخبِرُ الفقراءَ والمساكينَ فيَحضُروا وقتَ الحصادِ والصِّرَام.

***

(٢٥) ـ ﴿وَغَدَوْاْ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَغَدَوْاْ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ﴾؛ أي: على قَصْدٍ وقدرةٍ في أنفسهم ويظنُّون أنهم تمكَّنوا من مُرادهم. قال معناه ابنُ عباس وغيرُه[(٢)]. والحَرْدُ: القَصْدُ. حرَد يحرِد ـ بالكسر ـ حرداً: قَصَد، تقول: حَرَدْتُ حَرْدَكَ؛ أي: قَصَدْتُ قَصْدَك.

وقال قتادةُ ومجاهدٌ: ﴿عَلَىٰ حَرْدٍ﴾؛ أي: على جِدٍّ[(٣)]][(٤)].

قال الحسنُ: على فاقةٍ[(٥)].

---

(١) ذكر هذه الأقوال من قول الحسن إلى هنا الواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٩٨ ـ ٩٩).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٧٦ ـ ١٧٧) عن ابن عباس وقتادة.

(٣) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٧٦ ـ ١٧٧).

(٤) **نهاية السقط المستدرك من «تفسير القرطبي» الذي نبهنا عليه قريباً (ص ٢٠٧).**

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٧٨).

من قولِهم: حارَدَتِ النَّاقة؛ أي: على قِلَّةِ مالِهم عندَهم، قالُوا: المالُ قليلٌ لا يَسعُ المساكينَ.

وقالَ الأزهريُّ: قيلَ: ﴿حَرْدٍ﴾ اسمُ قريتِهم[1]. وقيلَ: اسمُ جنَّتِهم.

﴿قَٰدِرِينَ﴾؛ أي: قادرين على جنَّتِهم في ظنِّهم وعندَ أنفسِهم.

***

(٢٦ ـ ٢٧) ـ ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ ۝٢٦ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ﴾؛ أي: لـمَّا رأوها مُحرَّقةً لا شيءَ فيها قد صارَت كاللَّيلِ الأسودِ ينظرونَ إليها كالرَّمادِ أنكرُوها وشكُّوا فيها، فقالَ بعضُهم لبعضٍ: إنَّا لضالُّونَ؛ أي: ضلَلْنا الطَّريقَ إلى جنَّتِنا.

وقيلَ: أي: إنَّا لضالُّونَ عن الصَّوابِ في غدوِّنا على نيَّةِ منعِ المساكينِ، فلذلك عُوقِبْنا.

﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾؛ أي: حُرِمْنا جنَّتَنا لـمنعِنا المساكينَ، أو قالُوا: نحنُ مُحارَفُونَ[2] محرومون، كما يقولُ مَن يَخيبُ في شيءٍ: هذا مِن حِرماني.

***

(٢٨ ـ ٢٩) ـ ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ۝٢٨ قَالُواْ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾.

قولُـه تعالـى: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾؛ أي: أمثَلُهـم وأعدلُهـم وأعقلُهـم: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾؛ أي: هـلَّا تُعظِّمـونَ اللهَ بتفويـضِ الأمـرِ إليـه إذ قلتُم: لنصرِمُنَّهـا مصبحينَ،

---

(١) انظر: «تهذيب اللغة» (٤/ ٢٣٩).

(٢) قوله: «محارفون» رجل محارف بفتح الراء، أي: محدود محروم، وهو خلاف قولك: مبارك، وقد حورف كسبُ فلان: إذا شدِّد عليه في معاشه، كأنّه مِيلَ برزقه عنه. انظر: «الصحاح» (مادة: حرف).

فقطعتُم القولَ من غيرِ استثناءٍ. وهذا يدلُّ على أنَّ هذا الأوسطَ كانَ أمرَهم بالاستثناءِ، فلم يُطيعوه. وفي التَّفاسيرِ: كانَ التَّسبيحُ منهم الاستثناءَ.

قولُه تعالى: ﴿قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا﴾ اعترفُوا بالمعصيةِ، ونزَّهُوا اللهَ عن أن يكونَ ظالماً فيما فَعَلَ، وأقَرُّوا على أنفسِهم بالظُّلمِ.

***

(٣٠ - ٣٢) - ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ (٣٠) قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ (٣١) عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ﴾؛ أي: لامَ بعضُهم بعضاً في منعِ حقوقِ المساكينِ.

قولُه تعالى: ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ﴾؛ أي: طَغَينا فيما أعطانا الله ولم نشكُرْه كما شكرَت آباؤُنا من قبلُ.

قولُه تعالى: ﴿عَسَى رَبُّنَا﴾ تعاقدُوا وقالُوا: إن أبدلَنا اللهُ خيراً منها لنصنعَنَّ كما صنعَت أباؤُنا، فدعَوا اللهُ وتضرَّعُوا، فأبدلَهم اللهُ خيراً منها جنَّةً يُقالُ لها: الحيوانُ، فيها عِنبٌ ليس يحمِلُ البغلُ منها عنقوداً جزاءً لهم على رجوعِهم إلى اللهِ[1].

وهذا وعظٌ لأهلِ مكَّةَ بالرُّجوعِ إلى اللهِ لمَّا أبلاهم بالجدبِ لدُعاءِ النَّبيِّ عليه السَّلام[2].

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٧/ ٢٢٤) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) ذكر نحوه بلا نسبة: الزجاج في «معاني القرآن» (٥/ ٢٠٩)، والماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (١٠/ ١٤٤)، والثعلبي في «تفسيره» (٢٧/ ٢١٠)، وذكره أبو حفص النسفي في «التيسير» (١٤/ ٥٤٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وقالَ ابنُ عبَّاسٍ: هذا مثَلٌ لأهلِ مكَّةَ حينَ خرجُوا إلى بدرٍ، وحلفُوا ليقتُلُنَّ محمَّداً وأصحابَه، ولَيَرجعُنَّ إلى مكَّةَ، [حتى] يطوفُوا بالبيتِ ويشربُوا الخمرَ، وتضربَ القِيانُ على رؤوسِهم، فأخلفَ اللهُ ظنَّهم، فقُتِلُوا وأُسِرُوا وانهزموا كأهلِ هذه الجنَّةِ لمَّا خرجُوا عازمينَ على الصِّرامِ فخابوا(١).

وقالَ الحسنُ: قولُ أهلِ الجنَّةِ: ﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ﴾ لا أدري إيماناً كانَ ذلكَ منهم أو على حدِّ ما يكونُ من المشركين إذا أصابَهم الشِّدَّةُ(٢). فتوقَّفَ في كونِهم مؤمنينَ، والمعظمُ يقولون: إنَّهم تابُوا وأخلصُوا.

* * *

(٣٣) ـ ﴿كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ﴾ أي: كالذي فُعِلَ بهؤلاءِ يُفعَلُ بمَن سلكَ سبيلَهم.

﴿وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُ﴾؛ أي: للكافرين.

والحقُّ الَّذي منعَه أهلُ الجنَّةِ المساكينَ يحتملُ أنَّه كانَ واجباً عليهم، ويحتملُ أنَّه كانَ تطوُّعاً.

وقالَ خارجةُ: هذه القريةُ كانَت قريةً من صنعاءَ، وكانَ أهلُها على دينِ عيسى، وكانَ الفقراءُ يعملونَ ستَّ سنين في تلك الجنَّةِ، والنَّفقةُ على الأغنياءِ، فإذا كانَت السَّنةُ السَّابعةُ كانَ للفقراءِ ثمرُها وخيرُها غيرَ أنَّ ذواتِ تلك الأرضِ لأربابِها الأغنياءِ، وكانوا بذلك ما شاءَ اللهُ، ثمَّ دخلَهم ما يدخلُ النَّاسَ، فغدَوا ليحرمُوا المساكينَ في

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٢/ ١٠٨) من رواية عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما، وما بين معكوفتين منه.

(٢) ذكره أبو حفص النسفي في «التيسير» (١٤/ ٥٣٩).

سَنتِهم السَّابعةِ، فابتلاهُمُ اللهُ بما ذَكَرَ، فتابَ عليهم، فلمَّا كانَت السَّنةُ الثَّامنةُ عمرُوها من أموالِهم ودفعُوها إلى الفقراءِ بما فيها، فتابَ اللهُ عليهم[1].

وقيلَ: السُّورةُ مكيَّةٌ، فيَبعدُ حملُ الآيةِ على ما أصابَ أهلَ مكَّةَ من القحطِ، وعلى قتالِ بدرٍ.

***

(٣٤ ـ ٣٦) ـ ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٣٤) أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (٣٥) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ لـمَّا أخبرَ أنَّ عذابَ الآخرةِ أكبرُ بيَّنَ أنَّه للكفَّارِ، وأمَّا المتَّقونَ فلهم جنَّاتُ النَّعيمِ، فإنَّهم لـم يَمنعُوا أموالَهم من طاعةِ اللهِ.

قولُه تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ قالَ مقاتلٌ: لـمَّا نزلَ ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ قالَ كفَّارُ مكَّةَ: إنَّا نُعطَى في الآخرةِ خيراً ممَّا يُعطَون، فنزلَت ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾، ثمَّ وبَّخَهم فقالَ: ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾؛ إذ حكمْتُم أنَّ لكم مِنَ الخيرِ ما لِلمسلمين[2].

***

(٣٧ ـ ٣٨) ـ ﴿أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ (٣٧) إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ﴾؛ أي: ألكم كتابٌ تُدلُونَ به وتَدَّعونَ أنَّ الفضلَ والخيرَ لكم عندَ اللهِ؛ أي: ادَّعَيتم ما ادَّعَيتم بدليلِ عقلٍ أم بدليلِ نقلٍ؟!

---

(١) ذكره أبو حفص النسفي في «التيسير» (١٤/ ٥٤٠) عن أبي معاذ عن خارجة. وهو خارجةُ بنُ مُصْعب بن خارجة أبو الحَجَّاج الضُّبَعيُّ السَّرخسيُّ، عالِمُ أهل خُراسانَ على لِينٍ فيه، توفي سنة (١٦٨). انظر: «تاريخ الإسلام» (٤/ ٢٤٨).

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٤٠٧).

قولُه تعالى: ﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ﴾ كسرُ ﴿إِنَّ﴾ لمكانِ اللَّامِ في الخبرِ، كما تقولُ: «علمتُ أنَّكَ عاقلٌ» بالفتحِ و: «علمتُ إنَّك لعاقلٌ» بالكسرِ، والمعنى: أعندَكم كتابٌ فيه أنَّ لكم الاختيارَ حتَّى يُسوَّى بينكم وبين المسلمين وتدخلوا الجنَّةَ؟!

﴿تَخَيَّرُونَ﴾؛ أي: تَختارونَ وتَشتَهون.

وقيلَ: ﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ﴾ الكنايةُ في ﴿فِيهِ﴾ ترجعُ إلى الحُكمِ؛ أي: فيه تَدرسونَ إنَّ لكم في الحُكمِ لَـمَا تخيَّرون؛ لأنَّ قولَه: ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ دليلٌ على الحُكمِ، فجازَ أن يُكنَى عنه، كقولِه: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ [الأنعام: ١٢١].

وقيلَ: ﴿أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ﴾؛ أي: كتابٌ في هذا الحُكمِ الَّذي حَكمتُموه.

وقيلَ: تمَّ الكلامُ عند قولِه: ﴿تَدْرُسُونَ﴾؛ أي: تدرسونَ فيه التَّسويةَ بينكم وبين المسلمين، ثمَّ ابتدأَ فقالَ: ﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ﴾؛ أي: إنَّ لكم في هذا الكتابِ إذاً ما تَخيَّرون؛ أي: ليس لكم ذلك، والكنايةُ مِن ﴿فِيهِ﴾ الأولى والثَّانيةِ راجعةٌ إلى الكتاب.

***

(٣٩ ـ ٤٠) ـ ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ (٣٩) سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَلِكَ زَعِيمٌ﴾.

قولُه تعالى: ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ﴾؛ أي: أم لكم عهودٌ على اللهِ استوثَقْتُم بها منه في أن يُدخلكم الجنَّةَ.

﴿بَالِغَةٌ﴾؛ أي: مُتناهِيةٌ في التَّوكيدِ.

ثمَّ؛ قيلَ: أيمانٌ إلى يومِ القيامةِ.

وقيلَ: تمَّ الكلامُ عند قولِه: ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾، ثمَّ قال: ﴿إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾ إذاً، أي: ليس الأمرُ كذلك.

وقيلَ: ﴿إِنَّ﴾ من صلةِ الأيمانِ، فالموضعُ النَّصبُ، ولكن كُسِرَت (إنَّ) لـمكان اللَّام في قولِه: ﴿لَمَا﴾، كما تقولُ: حلفْتُ إنَّ لك لكذا.

قولُه تعالى: ﴿سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ﴾؛ أي: أيُّهم كفيلٌ لهم بأنَّ لهم في الآخرةِ ما للمسلمين، والزَّعيمُ: الكَفيلُ؛ أي: أيُّهم يقومُ بتصحيحِ هذه الدَّعوى.

* * *

(٤١ ـ ٤٣) ـ ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ﴾؛ أي: قل: ألهم شُركاءُ فليأتوا بهؤلاء الشُّركاءِ إن أمكنَهم[1].

وقيلَ: ﴿شُرَكَاءُ﴾؛ أي: أقوامٌ يشهدونَ لهم بصحَّةِ ما يَدَّعون.

قولُه تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾؛ أي: فليأتوا بشركائِهم يومَ يُكشَفُ عن ساقٍ؛ أي: كُشف عن الأمر الشَّديد، إذا اشتد الأمر والحرب[2] قيلَ: كشفَ الأمرُ عن ساقِه، واستُعِيرَ السَّاقُ والكشفُ عنها في موضعِ الشِّدَّة.

وقيلَ: ساقُ الشَّيءِ: أصلُه الَّذي به قِوامُه؛ كساقِ الشَّجرِ وساقِ الإنسانِ؛ أي: يومَ يُكشَفُ عن أصلِ الأمرِ فتَظهَرُ حقائقُ الأمورِ وأصلُها.

وقيلَ: يُكشَفُ عن ساقِ جهنَّمَ.

---

(١) فهو على هذا أمرٌ معناه التعجيز. انظر: «تفسير القرطبي» (٢١/ ١٧٤).

(٢) في (أ): «أي: تبدوا الأمر الشدائد اشتد الحرب»، ولا معنى لها، والتصويب مستفاد من «البسيط» (٢٢/ ١١٣ ـ ١١٤) حيث نقل قول الزجاج: معنى ﴿يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ يُكشف عن الأمر الشديد، وقول أبي عبيدة: إذا اشتد الأمر والحرب قيل: قد كشف الأمر عن ساقه. وانظر: «مجاز القرآن» (٢/ ٢٦٦)، «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢١٠).

وقيلَ: عن ساقِ العرشِ.

وقيلَ: يريدُ وقتَ اقترابِ الأجلِ وضعفِ البدنِ؛ أي: يَكشفُ المريضُ عن ساقِه ليُبصِرَ ضعفَه، ويدعوه المؤذِّنُ إلى الصَّلاةِ فلا يمكنُه أن يقومَ ويخرجَ.

﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ قالَ مقاتلٌ: تُدمَجُ أصلابُ الكفَّارِ يومَئذٍ، فيكونُ الصُّلبُ عظماً واحداً كصَياصِي البقرِ؛ لأنَّهم لم يَسجدوا للهِ في الدُّنيا[1].

وقيلَ: يُقالُ لهم: اسجدوا سجوداً ينفعُكم، فلا يَستطيعونَ.

قولُه تعالى: ﴿خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ﴾؛ أي: يَخضعونَ حينَ أيقَنُوا بالعذابِ ﴿تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ وهو ذلُّ النَّدامةِ والحسرةِ ﴿وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ﴾؛ أي: في الدُّنيا ﴿وَهُمْ سَٰلِمُونَ﴾ مُعافَون؛ أي: يُدعَون بالأذانِ والإقامةِ.

وقيلَ: بالتَّكليفِ الموجَّهِ عليهم في الشَّرعِ.

***

(٤٤ ـ ٤٥) ـ ﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾.

قولُه تعالى: ﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ هذا تسليةٌ للنَّبيِّ عليه السَّلام؛ أي: كِلْ إليَّ؛ فإنِّي أنتقمُ منهم.

قولُه تعالى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم﴾؛ أي: نُمهِلُهم ثمَّ نُؤاخِذُهم، والاستدراجُ: تركُ المُعاجلةِ والمُجاهرةِ، واستدرجَ فلانٌ فلاناً؛ أي: استخرجَ ما عندَه قليلاً قليلاً.

﴿مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾؛ أي: من حيثُ يَغترُّونَ بطولِ الإمهالِ.

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٤٠٨).

قالَ أبو رَوْقٍ: أي: كلَّما أحدثُوا خطيئةً جدَّدْنا لهم نِعمةً وأنسيناهم الاستغفارَ[1].

قولُه تعالى: ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ﴾؛ أي: أمْهِلُهم، والملاوَةُ: المُدَّة من الدَّهر، وأملَى اللهُ له؛ أي: أطالَ له الملاوةَ، والمَلَوانِ: اللَّيلُ والنَّهارُ.

وقيلَ: ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ﴾؛ أي: لا أعاجِلُهم بالموتِ.

﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾؛ أي: إنَّ قهري شديدٌ، ولا يفوتُني أحدٌ.

* * *

(٤٦ ـ ٤٧) ـ ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ﴾ عادَ الكلامُ إلى ما تقدَّمَ من قولِه تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ﴾؛ أي: أم تلتمِسُ منهم ثواباً على ما تدعوهم إليه من الإيمانِ باللهِ ﴿فَهُم مِّن﴾ غرامةِ ذلك ﴿مُّثْقَلُونَ﴾؟

قولُه تعالى: ﴿أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾؛ أي: أم إنَّما يُصِرُّونَ على الكفرِ لأنَّ عندَهم الغيبَ، فهم يكتبونَ ذلك ليكونَ مَحفوظاً عندهم؟

وقيلَ: أي: أم عندَهم اللَّوحُ المحفوظُ فهم يكتبونَ منه ما هو كائنٌ، ويكتبونَ أنَّهم أفضلُ منكم وأنَّهم لا يُعاقَبونَ؟

* * *

(٤٨ ـ ٥٠) ـ ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾؛ أي: لا تضجَرْ واصبرْ على أذى القومِ، والحُكمُ هاهنا: القضاءُ.

---

(١) ذكره عن أبي روق: أبو حفص النسفي في «التيسير» (١٤/ ٥٤٧). ورواه الدينوري في «المجالسة» (٣٤٠٨) من طريق أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وقيلَ: أي: اصبرْ على ما قضَى به عليكَ ربُّكَ من تبليغِ الرِّسالةِ.

﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾؛ أي: كيُونسَ ﴿إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾؛ أي: لا تغضَبْ ولا تَعجَلْ عليَّ غَضَبَ يونسَ، و﴿إِذْ﴾ يرجعُ إلى الصُّحبةِ؛ أي: لا تكنْ كمَن صَحِبَ الحوتَ حينَ نادى.

﴿إِذْ نَادَىٰ﴾؛ أي: نادَى ربَّه؛ أي: مِن بطنِ الحوتِ، فقالَ: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

﴿وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾؛ أي: مملوءٌ غمّاً وكرباً، وقد قيلَ: غاظَه تأخيرُ العذابِ عنهم، فغاضبَهم، فضيَّقَ اللهُ عليه الأمرَ في خروجِه حتَّى التقمَه الحوتُ.

قولُه تعالى: ﴿لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾؛ أي: لولا أن تابَ اللهُ عليه لَـمَّا استغفرَ وسبَّحَ ﴿لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾، ولكن انتفَى عنه الذَّمُّ بأن تداركَه ربُّه.

وقيلَ: لولا فضلُ اللهِ عليه لبقيَ في بطنِ الحوتِ إلى يومِ القيامةِ، ثمَّ نُبِذَ بعراءِ القيامةِ مذموماً، ويدلُّ عليه قولُه تعالى: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الصافات: ١٤٣ ـ ١٤٤].

﴿مَذْمُومٌ﴾؛ أي: مُذنِبٌ[١] لم تُقبَل توبتُه.

وقيلَ: ﴿مَذْمُومٌ﴾؛ أي: مُبعَدٌ من كلِّ خيرٍ[٢].

قولُه تعالى: ﴿فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ﴾؛ أي: اصطفاه، وردَّ إليه الوحيَ، وشفَّعَه في قومِه [و] في نفسِه وقَبِلَ توبتَه ﴿فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ بأن أرسلَه إلى مئةِ ألفٍ أو يَزيدونَ.

* * *

---

(١) في (أ): «مليم»، والتصويب من «تفسير القرطبي» (٢١/ ١٨٤).

(٢) في (أ): «جهة»، والتصويب من «البسيط» (٢٢/ ١١٩)، و«تفسير القرطبي» (٢١/ ١٨٤).

(٥١) ـ ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ﴾.

قولُه تعالى: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أخبرَ بشدَّةِ عداوتِهم للنَّبيِّ عليه السَّلامُ، وأمرَه بالصَّبرِ على ذلك.

﴿لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ﴾؛ أي: ينظرونَ إليك نظراً شديداً كأنَّهم يَصرعُونَكَ بنظرِهم، تقولُ: نظرَ إليَّ فلانٌ نظراً كادَ يَصرعُني وكادَ يأكلُني.

وقيلَ: ﴿لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ﴾؛ أي: يُصِيبونَكَ بأعينِهم؛ أي: يقولونَ: ما رأينا مثلَ حُجَجِهِ. وفي الخبرِ: «العَينُ حقٌّ»(١)؛ أي: كائنٌ.

وفي هذا نظرٌ؛ لأنَّ الإصابةَ بالعينِ إنَّما تكونُ مع الاستحسانِ والإعجابِ، لا مع الكراهيةِ والبُغضِ، ولهذا قالَ: ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ﴾؛ أي: يَنسبونَكَ إلى الجنونِ إذا رأوكَ تقرأُ القرآنَ.

وقُرِئَ: ﴿لَيَزلِقونَكَ﴾ بفتحِ الياءِ وكسرِ اللَّامِ(٢)، يُقالُ: زَلَقَه وأَزْلَقَه بمعنًى.

***

(٥٢) ـ ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿وَمَا هُوَ﴾؛ أي: وما القرآنُ ﴿إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾.

وقيلَ: وما محمَّدٌ إلَّا ذِكرٌ وشَرَفٌ للعالمين، **والأوَّلُ أحسنُ**؛ لقولِه: ﴿لَيُزْلِقُونَكَ﴾.

***

---

(١) رواه مسلم (٢١٨٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما، ورواه البخاري (٥٩٤٤)، ومسلم (٢١٨٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) قرأ بها نافع، والباقون بضم الياء. انظر: «السبعة» (ص: ٦٤٧)، و«التيسير» (ص: ٢١٣).

تفسيرُ سورةِ الحاقَّةِ

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١ ـ ٣) ـ ﴿ٱلْحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾.

﴿ٱلْحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾ هيَ القِيامةُ؛ لأنَّ فيها الثَّوابَ وحقائقَ الأمورِ، فالحاقَّةُ: ذاتُ الحواقِّ منَ الأمورِ، وهي الصَّادقةُ الواجبةُ الصِّدقِ والثَّوابِ والعقابِ.

وقيلَ: الحاقَّةُ بمعنى: الحَقَّةِ المُحِقَّةِ، تقولُ: هذه حَقَّتي؛ أي: حقِّي.

وقالَ اللَّيثُ: والحاقَّةُ: النَّازلةُ الَّتي حقَّت [فلا كاذبة] لـهـ[ـا](١).

وقيلَ: السَّاعةُ الَّتي حقَّ فيها الجزاءُ، وهيَ القِيامةُ.

وقالَ الأزهريُّ: يُقالُ: حَاقَقتُه حِقاقاً فحَقَقتُه أحُقُّه؛ أي: غالبتُه فغلبتُه، فالقيامةُ حاقَّةٌ لأنَّها تَحُقُّ كلَّ مُحاقٍّ في دينِ اللهِ بالباطلِ؛ أي: كلَّ مخاصِمٍ(٢).

وقولُه: ﴿مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾ تعظيمٌ لشأنِ القيامةِ، كما تقولُ: زيدٌ ما هوَ؟! والمعنى: يومُ القيامةِ وأيُّ شيءٍ عظيمٍ يومُ القيامةِ؟!

وقيلَ: سُمِّيَت القيامةُ حاقَّةً لأنَّ فيها يصيرُ كلُّ إنسانٍ حقيقاً بجزاءِ عملِه.

والنَّبيُّ عليه السَّلامُ كانَ عالماً بالقيامةِ، وقيلَ: بالصِّفةِ، فقيلَ تفخيماً لشأنِها: وما أدراكَ ما هي؟ كأنَّكَ لستَ تعلمُها؛ إذ لـم تعايِنْها.

---

(١) انظر: «العين» (٣/ ٧)، وعنه الواحدي في «البسيط» (٢٢/ ١٢٩). وما بين معكوفتين منهما.

(٢) انظر: «تهذيب اللغة» (٣/ ٢٤٣).

(٤) - ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ﴾.

قولُه تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ﴾؛ أي: فحلَّ بهم العقابُ، فاحذَرُوا مثلَه، وأعادَ ذِكرَ القيامةِ باسمٍ آخرَ - وهو القارعةُ - لتفخيمِ أمرِها بهذا الوصفِ الآخرِ، وتُسمَّى القيامةُ القارعةَ لأنَّها تقرَعُ قلوبَ العبادِ وتهجمُ عليها.

وقيلَ: تقرعُ أعداءَ اللهِ بالعقابِ.

وقيلَ: تقرعُ كلَّ شيءٍ بالإهلاكِ.

والقارعةُ: اسمُ الدَّاهيةِ.

وقيلَ: كذَّبَت بالقارعةِ؛ أي: بالعذابِ الَّذي نزلَ بهم في الدُّنيا، وكانَ نبيُّهم يُخوِّفُهم بذلكِ فيُكذِّبونه.

* * *

(٥) - ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ﴾.

قولُه تعالى: ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ﴾ فيه إضمارٌ؛ أي: بالصَّيحةِ الطَّاغيةِ؛ أي: المجاوزةِ للحدِّ؛ أي: لحدِّ الصَّيحاتِ منَ الهولِ، كما قالَ: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ﴾ [القمر: ٣١]، والطُّغيانُ: مُجاوزةُ الحدِّ، ومنه: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ﴾ [الحاقة: ١١]؛ أي: جاوزَ الحدَّ.

وقيلَ: الطَّاغيةُ هاهنا: الطُّغيانُ، فهي مصدرٌ كالكاذبةِ والعافيةِ والعاقبةِ؛ أي: أُهلِكُوا بطغيانِهم وكفرِهم؛ أي: كذَّبُوا رُسلَ اللهِ.

وقيلَ: أي: بالفرقةِ الطَّاغيةِ من جُملةِ ثمودَ، وهم الذين تآمَرُوا في عقرِ النَّاقةِ فعقرُوها؛ أي: أُهلِكوا بما أقدمَ عليه طاغيتُهم من عقرِ النَّاقةِ.

وقيلَ: الطَّاغيةُ: ذلك الرَّجلُ الواحدُ الَّذي أقدمَ على عقرِ النَّاقةِ، وأُهلِكَ الجميعُ

لأنَّهم رضُوا بفعلِه ومَالَؤُوه، وقيلَ له: طاغيةٌ، كما يُقال: فلانٌ راويةٌ للشّعرِ، وداهيةٌ، وعلَّامةٌ، ونسَّابةٌ.

* * *

(٦) ـ ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾.

قولُه تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ﴾ الصَّرصرُ: ما جمعَ البردَ وشدَّةَ العُصوفِ.

﴿عَاتِيَةٍ﴾؛ أي: عتَتْ على خُزَّانِها.

وقيلَ: عتَتْ على عادٍ فقهرَتْهم.

وقيلَ: هو مِن قولِه: ﴿وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ [مريم: ٨]؛ أي: نهايةً في الجُفُوفِ، يُقال: عَتَا البيت؛ أي: أنهى جفافَه، وكذلك عتَتْ الرِّيحُ؛ أي: انتهَت في القوَّةِ والشِّدَّةِ، وفي الخبرِ: «طغى الماءُ على خُزَّانِه يومَ نوحٍ، وعتَت الرِّيح على خُزَّانِها يومَ عادٍ، فلم يكنْ لهم عليها سبيلٌ»(١).

* * *

(٧) ـ ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾.

﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ﴾؛ أي: أدامَها عليهم بلا فُتورٍ، وقيلَ: سلَّطَها عليهم.

﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ﴾ حتَّى أتَت عليهم ﴿حُسُومًا﴾؛ أي: مُتتابعةً لا تنقطعُ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٢١٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما موقوفاً، ورواه أبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١٢٥٣)، والثعلبي في «تفسيره» (٢٧/ ٢٧٨)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٦٥) عنه مرفوعًا، وله شاهد رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٢١٠)، عن علي رضي الله عنه موقوفاً.

قالَ الفرَّاءُ: الحُسُومُ: التَّتابُعُ، من حَسْمِ الدَّاءِ، وهو الكيُّ؛ لأنَّ صاحبَه يُكوى بالمكواةِ، ثمَّ يُتابَعُ ذلك عليه[1].

وقالَ اللَّيثُ: الحُسومُ الشُّؤمُ، يُقالُ: هذه ليالي الحُسُومِ؛ أي: تَحسِمُ الخيرَ عن أهلِها[2].

وقيلَ: الحسمُ: الاستئصالُ، ويُقالُ للسَّيفِ: حُسامٌ؛ لأنَّه يَحسِمُ العدوَّ عمَّا يريدُ مِن بلوغِ عَداوَتِه، فهي القاطعةُ بعذابِ الاستئصالِ.

وقولُه: ﴿حُسُومًا﴾ نصبٌ على الحالِ.

وقالَ الزَّجَّاجُ: أي: تحسمُهم حُسوماً؛ أي: تُفنِيهم[3]، فهو مصدرٌ مؤكِّدٌ.

ويجوزُ أن يكونَ مَفعولاً له؛ أي: سخَّرَها عليهم هـذه المُدَّةَ للحُسومِ؛ أي: لقَطعِهم واستئصالِهم.

قولُه تعالى: ﴿فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا﴾؛ أي: في تلكَ اللَّيالي والأيَّامِ ﴿صَرْعَىٰ﴾ هي جمعُ صريعٍ؛ يعني: مَوتَى؛ أي: صُرِعُوا لـموتِهم؛ أي: فيراهم مَن يراهم صَرعَى، أو: فلو رأيتَهم رأيتَهم صَرعَى.

﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾؛ أي: كأنَّهم أصولُ نخلٍ خاويةِ الأجوافِ لا شيءَ فيها، والنَّخلُ تُؤنَّثُ وتُذكَّرُ، وقد قالَ اللهُ في موضعٍ آخرَ: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾ [القمر: ٢٠].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٨٠).

(٢) انظر: «العين» (٣/ ١٥٣)، وحكاه عنه الأزهري في «تهذيب اللغة» (٤/ ٢٠٠)، والواحدي في «البسيط» (٢٢/ ١٣٩).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢١٤)، و«البسيط» للواحدي (٢٢/ ١٤١).

فيَحتملُ أَنَّهم شُبِّهُوا بالنَّخيلِ الَّتي صُرِعَت من أصلِها، وهو إخبارٌ عن عِظَمِ أجسامِهِم.

ويَحتملُ أن يكونَ المرادُ به الأصولَ دونَ الجذوعِ؛ أي: أنَّ الرِّيحَ قد قطعَتْهم حتَّى صارُوا قِطَعاً عظاماً كأصولِ النَّخلِ ﴿خَاوِيَةٍ﴾؛ أي: الرِّيحُ كانَت تدخُلُ أجوافَهم فتصرعُهم كالنَّخلِ الخاويةِ الجَوفِ.

ويحتملُ: كأنَّهم أعجازُ نخلٍ خاويةٍ عن أصولِها من البِقاعِ، كما قال: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً﴾ [النمل: ٥٢]؛ أي: خَرِبةً لا سكَّانَ فيها.

وقيلَ: الخاويةُ تعني: الباليةَ؛ لأنَّها إذا بَلِيَت خَلَت أجوافُها، فشُبِّهُوا بعدَ أن هلكُوا بالنَّخيلِ الباليةِ.

***

(٨) ـ ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ﴾.

قولُه تعالى: ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ﴾؛ أي: هل رأيتَ أحداً من عادٍ وثمودَ باقياً؛ أي: إذا انقرضُوا فسينقرضونَ.

ويجوزُ أن يكونَ الآنَ من نسلِ عادٍ وثمودَ أقوامٌ؛ لأنَّ المرادَ: لم يبقَ من أولئكَ الذينَ كذَّبُوا وأُخِذُوا، قيل: المرادُ أنَّه لم يَبقَ من نسلِ أولئكَ أحدٌ، فردَّ هؤلاءِ بهذه الآيةِ على مَن صارَ إلى أنَّ قوماً من العربِ من أولادِ ثمودَ.

الباقيةُ مصدرٌ؛ أي: هل ترى لهم من بقاءٍ؟ ويجوزُ أن يكونَ اسماً؛ أي: هل ترى لهم أحداً باقياً؟ أو: هل ترى لهم من نفسٍ باقيةٍ؟

وقالَ ابنُ جريجٍ: كانُوا سبعَ ليالٍ وثمانيةَ أيَّامٍ أحياءً في عذابِ اللهِ من الرِّيحِ، فلمَّا أمسَوا اليومَ الثَّامنَ ماتُوا فاحتملتْهم الرِّيحُ فألقتْهم في البحرِ، فذلك قولُه:

﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ﴾، وقولُه: ﴿لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ﴾ [الأحقاف: ٢٥][١].

* * *

(٩) ـ ﴿وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ﴾.

قولُه تعالى: ﴿وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ﴾ قرأ أبو عمرو وعاصمٌ والكسائيُّ: ﴿ومَن قِبَلَه﴾ بكسرِ القافِ[٢]؛ أي: ومَن معَه وتَبِعَه، تقولُ: «ذهبَ فلانٌ من قِبَلِ السُّوقِ» بكسرِ القافِ وفتحِ الباءِ، وقُرِئَ: ﴿وَمَن قَبْلَهُۥ﴾ بفتحِ القافِ[٣]؛ أي: ومَن تقدَّمَه؛ يعني: من الكفَّارِ.

﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ﴾؛ أي: الَّتي انقلبَت بأهلِها، وحُذفَ المضافُ؛ أي: وأهلُ القُرى المؤتفكاتِ، يعني: قُرى لوطٍ.

ويجوزُ أن يُرادَ بالمؤتفكاتِ: الذين أُهلِكُوا من قوم لوطٍ؛ أي: والأممُ المؤتفكاتُ.

قال الفرَّاء: هم الذين ائتُفِكُوا بخطيئَتِهم[٤].

﴿بِٱلْخَاطِئَةِ﴾؛ أي: الخطايا الَّتي كانُوا يفعلونها.

---

(١) رواه ابن المنذر، كما في «الدر المنثور» للسيوطي (٨/ ٢٦٦).

(٢) قرأ بها أبو عمرو والكسائي، أما عاصم فهي من رواية أبان بن تغلب عنه كما ذكر ابن مجاهد، والمشهور عنه كقراءة باقي السبعة بفتح القاف وإسكان الباء. انظر: «السبعة» (ص: ٦٤٨)، و«التيسير» (ص: ٢١٣).

(٣) انظر التعليق السابق.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٨٠). وعلى هذا فالمؤتفكات: القوم الذين أهلكُوا. انظر: «البسيط» (٢٢/ ١٤٥).

وقيلَ: أي: بالشِّركِ.

وقالَ الجُرجانيُّ[(١)]: أي: بالخَطأِ العظيمِ، والخاطئةُ مصدرٌ كالخَطأِ.

* * *

(١٠) ـ ﴿فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً﴾.

قولُه تعالى: ﴿فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ﴾ يعني: موسى، وقيلَ: لوطاً، **والأصحُّ** أنَّه عن الأمَّتَينِ، وهو كقولِه: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٦].

﴿فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً﴾؛ أي: عاليةً غالبةً شديدةً رابيةً على عذابِ الأممِ، يُقال: رَبَا الشَّيء يَربُو؛ أي: زادَ وتضاعفَ.

* * *

(١١) ـ ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾.

قولُه تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ﴾ ذكرَ قصصَ مَن حلَّ بهم العذابُ، وفي ضمنِها زجرُ هذه الأُمَّةِ عن الاقتداءِ بهم في معصيةِ الرُّسلِ، ومَنَّ عليهم بأنَّهم من ذرِّيَّةِ مَن نجا مِنَ الغرقِ لتصديقِه الرُّسلَ.

قالَ ابنُ عبَّاسٍ: طغى الماءُ زمنَ نوحٍ على خُزَّانِه، وكَثُرَ عليهم فلم يَدرُوا كم خَرَجَ، وليسَ من السَّماءِ قطرةٌ قبلَه ولا بعدَه إلَّا بكيلٍ معلومٍ غيرَ ذلك اليومِ[(٢)].

وقيلَ: ﴿طَغَا الْمَاءُ﴾؛ أي: جاوزَ حدَّه، قيلَ: عَلا كلَّ شيءٍ فارتفَعَ فوقَه بخمسةَ عشرَ ذراعاً.

---

(١) قوله: «الجرجاني» كذا قال، وتابعه القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ٢٦٢). ولعل الصواب: «الزجاج». انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢١٥)، و«البسيط» (٢٢/ ١٤٦).

(٢) رواه سعيد بن منصور في «سننه ـ التفسير» (٢٢٨١)، وتقدم نحوه قريباً عند قوله تعالى: ﴿بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٦].

﴿حَمَلْنَكُمْ﴾؛ أي: حملْنا آباءَكم وأنتم في أصلابِهم ﴿فِي ٱلْجَارِيَةِ﴾؛ أي: في السَّفينةِ الَّتي تَجري في الماءِ، وهي سفينةُ نوحٍ، فالمحمولُ في الجاريةِ نوحٌ وأولادُه، وكلُّ مَن على وجهِ الأرضِ من نسلِ أولئك.

* * *

(١٢) ـ ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾.

قولُه تعالى: ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً﴾؛ أي: عِظةً تذكِّرُهم عاقبةَ الكفرِ وعاقبةَ الإيمانِ، والكنايةُ ترجِعُ إلى السَّفينةِ.

وقيلَ: أي: لنجعلَ تلك الفِعلةَ من إغراقِ قومِ نوحٍ وإنجاءِ مَن آمَنَ معه موعظةً لكم، قاله الزجَّاج(١)، ولهذا قالَ: ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾؛ أي: تحفظَها وتسمعَها أذنٌ حافظةٌ لِـمَا جاءَ مِن عندِ الله، والسَّفينةُ لا تُوصَفُ بهذا.

ويُقال: وَعَيتُ كذا؛ أي: حفظْتُه في نفسي، ووَعَيتُ العِلمَ، ووَعَيتُ ما قُلتَ، وأوعَيْتُ المتاعَ في الوعاءِ، ويُقالُ لكلِّ [ما حفظتَه] في غيرِ نفسِك: أوْعَيْتُه، ولِـمَا حفظتَه في نفسِك: وعَيتُه(٢).

وقيلَ: بقيَتْ ألواحٌ من سفينةِ نوحٍ على الجُوديِّ؛ أي: أبقينا لكم تلك الأخشابَ حتَّى تتذكَّرُوا ما حلَّ بقومِ نوحٍ وإنجاءِ اللهِ آباءَكم، وكم مِن سفينةٍ هلَكَت وصارَت تراباً ولم يبقَ منها شيءٌ، ونظيرُ قولِه: ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ [ق: ٣٧].

* * *

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢١٥)، و«البسيط» (٢٢/ ١٥٠) والكلام وما سيأتي منه.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢١٥ ـ ٢١٦)، و«البسيط» (٢٢/ ١٥٠) وما بين معكوفتين منهما.

(١٣) ـ ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ﴾.

قولُه تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ أخبرَ عمَّا يكونُ قبلَ القيامةِ ليَستعدُّوا للقيامةِ؛ لأنَّ العاقلَ إذا عَلِمَ ما على طريقِه من المخاوفِ أخذَ أُهبَةَ الطَّريقِ.

وهذه النَّفخةُ هي النَّفخةُ الأولى، فلا يبقى أحدٌ إلَّا ماتَ.

وقيلَ: هي النَّفخةُ الأخيرةُ، وقال: ﴿نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ﴾ فلا تُثنَّى.

قالَ الأخفشُ: وقعَ الفعلُ على النَّفخةِ إذ لـم يكن قبلَها اسمٌ مرفوعٌ، فقيلَ: ﴿نَفۡخَةٞ﴾، ويجوزُ: (نفخةً) نصباً على المصدرِ[(١)]، أو يُقالُ[(٢)]: اقتصَرَ على الإخبارِ عن الفعلِ، كما تقولُ: ضُرِبَ ضَرباً.

وقالَ الزَّجَّاجُ: قولُه: ﴿فِي ٱلصُّورِ﴾ يقومُ مقامَ ما لـم يُسمَّ فاعلُه؛ لأنَّ المعنى: نُفِخَ الصُّورُ نفخةً واحدةً[(٣)].

وإنَّما ذُكِّرَ ﴿نُفِخَ﴾ لأنَّ تأنيثَ ﴿نَفۡخَةٞ﴾ ليسَ بحقيقيٍّ؛ لأنَّ النَّفخةَ والنَّفخَ بمعنىً واحدٍ.

* * *

(١٤) ـ ﴿وَحُمِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةٗ وَٰحِدَةٗ﴾.

قولُه تعالى: ﴿وَحُمِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ﴾؛ أي: رُفِعَت من أماكنِها ﴿فَدُكَّتَا﴾؛ أي: فُتِّتَا وكُسِّرَتا، **ولا يجوزُ** في ﴿دَكَّةٗ﴾ إلَّا النَّصبُ لارتفاعِ الضَّميرِ في ﴿دكتا﴾.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٥٤٨). و«معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢١٦)، قال الزجاج: «وذكر الأخفش (نفخة واحدة) بالنصب ولم يذكر قرئ بها أم لا، وهي في العربية جائزة».

قلت: قرأ بها أبو السمال كما في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٦١).

(٢) في (أ): «ويقال»، والمثبت من «تفسير القرطبي» (٢١/ ١٩٩).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢١٦).

وقالَ الفرَّاءُ: لـم يقل: فَدُكِكْنَ؛ لأنَّه جعلَ الجبالَ كالواحدِ والأرضَ كالواحدةِ، كقولِه: ﴿أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا﴾، ولم يقل: كُنَّ[1].

وهذا الدَّكُّ كالزلزلةِ، كما قال: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ [الزلزلة: ١].

* * *

(١٥ ـ ١٧) ـ ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَآ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾.

قولُه تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾؛ أي: قامَتِ القيامةُ ﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ﴾؛ أي: انصدَعَت وتقطَّعَت. وقيلَ: تنشقُّ لنزولِ مَن فيها منَ الملائكةِ.

﴿فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾؛ أي: مُتخرِّقةٌ بالانشقاقِ كالشَّيءِ ينشقُّ وينقطعُ، والوَهيُ: الانخراقُ، فيكونُ بمعنى الضَّعفِ، ويُقالُ: كلامٌ واهٍ؛ أي: ضعيفٌ، فعلى هذا ﴿فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾؛ أي: ضعيفةٌ بعدَ الصَّلابةِ.

قولُه تعالى: ﴿وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا﴾؛ أي: صارَت الملائكةُ على جوانبِها وأطرافِها؛ لأنَّ السَّماءَ مكانُهم، فإذا انقطعَت وصارَت كالعهنِ المنفوشِ لـم يمكِنِ السُّكونُ فيها، فيخرجونَ إلى حدودِ السَّماءِ يكونونَ خارجَ الأطرافِ.

وقيلَ: إذا صارَت قطعاً بقيَت الملائكةُ على تلك القطعِ الَّتي ليسَت مُنشقَّةً في أنفسِها.

وقيلَ: ﴿عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا﴾؛ أي: على أرجاءِ الأرضِ؛ أي: ينزلونَ إلى الأرضِ ويَحرسونَ أطرافَها، والأرجاءُ: النَّواحي، يُقالُ: رَجاً ورَجَوانِ وأرْجَاءٌ، ويُقالُ ذلك أيضاً لحرفِ البئرِ والقبرِ.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٨١).

﴿وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ﴾؛ أي: فوقَ رؤوسِهم ﴿يَوۡمَئِذٖ﴾؛ أي: يومَ القيامةِ ﴿ثَمَٰنِيَةٞ﴾ قيلَ: ثمانيةُ أملاكٍ على صُورةِ الأوعالِ. وفي الخبرِ: «أنَّ فوقَ السَّماءِ السَّابعةِ ثمانيةُ أوعالٍ بينَ أظلافِهنَّ ورُكَبِهنَّ ما بينَ سماءٍ إلى سماءٍ، وفوقَ ظهورِهنَّ العرشُ»[(١)].

قالَ عطاءٌ عن ميسرةَ: أرجلُهنَّ في تخومِ الأرضِ السَّابعةِ، يحملونَ العرشَ، ما فيهم أحدٌ يرفَعُ طَرْفَه[(٢)].

وقالَ الكلبيُّ: أي: ثمانيةُ أجزاءٍ من عشرةِ أجزاءٍ، ثمَّ ذَكَرَ عددَ كثرةِ الملائكةِ بما يطولُ ذِكرُه ووصفُه[(٣)].

وقالَ مقاتلٌ: ثمانيةُ أجزاءٍ منَ الكروبيِّينَ لا يعلمُ كثرتَهم إلَّا اللهُ[(٤)].

---

(١) رواه أبو داود (٤٧٢٣)، والترمذي (٣٣٢٠)، وابن ماجه (١٩٣)، من طريق سِماكٍ، عن عبدِ الله بن عَميرَةَ، عن الأحنفِ بن قَيسٍ، عن العباس بن عبد المطلب، عن النبي ﷺ. قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، وروى الوليد بن أبي ثور عن سماك نحوه ورفعه، وروى شريك عن سماك بعض هذا الحديث ووقفه ولم يرفعه. قلت: إسناده ضعيف؛ سماك ـ وهو ابن حرب ـ وإن كان صدوقاً كان ربما لُقِّن، فإذا انفرد بأصل لم يكن حجة كما قال الحافظ في «التهذيب»، وقد تفرد بالرواية عن عبد الله بن عميرة، وعبد الله بن عميرة مجهول، والأحنف بن قيس لا يعرف له سماع من العباس.
الأوعال: جمع وعل، وهو التيس الجبلي.

(٢) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٤٩٠)، والواحدي في «البسيط» (٢٢/ ١٦٠)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٢٣٠)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٤٨٠)، بلفظ: «أرجلهم في التخوم لا يستطيعون أن يرفعوا أبصارهم من شعاع النور».

(٣) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٢/ ١٦١).

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٤٢٣). وروى ابن أبي شيبة في «العرش» (٢٧) من طريق الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما في الآية قال: «ثمانية أجزاء من تسعة، قال: الجن والإنس والشياطين والملائكة كلهم إلا الكروبيين حملة العرش جزء، والكروبيون ثمانية أجزاء، كل جزء منهم بعدة هؤلاء الأربعة». وفيه بشر بن عمارة وهو ضعيف. والكروبيون: سادة الملائكة، منهم جبريل =

وقالَ ابنُ عبَّاسٍ: ثمانيةُ صفوفٍ من الملائكةِ[١].

وفي بعضِ الأخبارِ: «هم اليومَ أربعةٌ، فإذا كانَ يومُ القيامةِ أَيَّدَهم بأربعةٍ أُخرى، فكانُوا ثمانيةً»[٢].

والمعنى: يَنزِلُ بالعرشِ، ثمَّ إضافةُ العرشِ إلى اللهِ تعالى كإضافةِ البيتِ، وليسَ البيتُ للسُّكنى، فكذلك العرشُ.

***

= وميكائيل وإسرافيل، وهم المقربون، من كرب: إذا قَرُب. انظر: «الفائق» (٣/ ٢٥٨).

(١) رواه ابن أبي شيبة في «العرش» (٣٣)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٢٢٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٧٠).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٢٢٩)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٢/ ٤٦٨) من طريق ابن إسحاق عن النبي ﷺ بلاغاً، ورواه الطبري أيضًا من طريق ابن زيد عن النبي ﷺ، وكلاهما معضل.

وجاء في حديث الصور الطويل: «والملائكة تحمل عرشه يومئذ ثمانية وهم اليوم أربعة».

رواه إسحاق بن راهويه في «مسنده» (١٠)، والمروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٢٧٣)، والبيهقي في «البعث والنشور» (٦٠٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. قال ابن كثير: هذا حديث مشهور، وهو غريب جدًّا، ولبعضه شواهد في الأحاديث المتفرقة، وفي بعض ألفاظه نكارة، تفرد به إسماعيل بن رافع قاص أهل المدينة، وقد اختلف فيه، فمنهم من وثقه، ومنهم من ضعفه، ونص على نكارة حديثه غير واحد من الأئمة، كأحمد بن حنبل، وأبي حاتم الرازي، وعمرو بن علي الفلاس، ومنهم من قال فيه: هو متروك. وقال ابن عدي: أحاديثه كلها فيها نظر إلا أنه يكتب حديثه في جملة الضعفاء.

قلت ـ القائل ابن كثير ـ: وقد اختلف عليه في إسناد هذا الحديث على وجوه كثيرة، قد أفردتها في جزء على حدة. وأما سياقه، فغريب جدًّا، ويقال: إنه جمعه من أحاديث كثيرة، وجعله سياقاً واحداً، فأنكر عليه بسبب ذلك.

(١٨ ـ ١٩) ـ ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ﴾.

قولُه تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ﴾؛ أي: على اللهِ، وليس ذلك عرضاً يَعلَمُ به ما لم يكن عالماً، بل معناه الحسابُ وتقريرُ الأعمالِ عليهم للمجازاةِ.

﴿لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾؛ أي: هو عالمٌ بكلِّ شيءٍ من أعمالِكم.

وقيلَ: لا يَخفَى عليه إنسانٌ؛ أي: لا يَبقَى إنسانٌ لا يُحاسَبُ.

وقُرِئَ: ﴿لا يَخْفَى﴾ بالياءِ والتَّاءِ(١).

قولُه تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ قالَ مُقاتِلٌ: نزلَت في أبي سلمةَ عبدِ اللهِ بنِ عبدِ الأسدِ المخزوميِّ زوجِ أمِّ سلمةَ يُعطَى كتابَه بيمينِه(٢).

قالَ الكلبيُّ: فيقرأُ بعضُ هؤلاءِ سيِّئاتِه في باطنِه فيَسوؤُه ذلك، ويقرأُ النَّاسُ كتابَه في ظاهرِ الكتابةِ فيقولون: نَجَا هذا، فإذا بلغَ أسفلَ كتابِه قيلَ: إنَّ اللهَ غفرَ لكَ، فيَبيضُّ وجهُه ويُشرِقُ لونُه، ثمَّ يقرأُ حسناتِه في ظاهرِ الكتابِ، فيسرُّه ذلك(٣).

﴿فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ﴾؛ أي: تعالَوا اقرَؤُوا حسابيَه، فقولُه: ﴿هَاؤُمُ﴾؛ أي: تعالَوا. وقالَ مقاتلٌ: أي: هَلُمَّ(٤).

وفي اللُّغةِ: ﴿هَاؤُمُ﴾: خُذُوا، ومنه الخبرُ في الرِّبا: «إلَّا هاءَ وهاءَ»(٥)؛..........

---

(١) قرأ حمزة والكسائي بالياء، وباقي السبعة بالتاء. انظر: «السبعة» (ص: ٦٤٨)، و«التيسير» (ص: ٢١٣).

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٤٢٣)، ورواه ابن أبي عاصم في «الأوائل» (٨٢) عن ابن عباس موقوفاً عليه، ورواه مرفوعاً الطبراني في «الأوائل» (٨٢).

(٣) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٢/ ١٦٤).

(٤) كذا ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٢/ ١٦٤)، وفي «تفسير مقاتل» (٤/ ٤٢٣): «هاكم».

(٥) رواه البخاري (٢١٧٠)، ومسلم (١٥٨٦)، عن عمر رضي الله عنه، وتمامه: «البر بالبر رباً إلا هاء =

أي: يقولُ كلُّ واحدٍ لصاحبِه: خُذْه.

قالَ ابنُ السِّكِّيتِ: يُقالُ: هاءَ يا رجلُ، وهاؤُما يا رجلانِ، وهائِي يا امرأةُ، وهائِيَا وهائِينَ، وفيه لغاتٌ أُخَرُ(١).

﴿كِتَٰبِيَهْ﴾ قُرِئَ بالهاءِ وصلاً ووقفاً، وقُرِئَ بحذفِ الهاءِ في الوصلِ(٢)، **والأكثرُ** الإثباتُ تشبيهاً بالقوافي.

* * *

(٢٠) ـ ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ﴾.

قولُه تعالى: ﴿إِنِّي ظَنَنتُ﴾؛ أي: أيقنْتُ في الدُّنيا ﴿أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ﴾ في الآخرةِ ولم أُنكرِ البعثَ، وإنَّما سُمِّيَ هذا العلمُ ظنًّا لأنَّ المعارفَ النَّظريَّةَ لا يخلو صاحبُها من خطرانِ وساوسِ وخطراتِ الشَّيطانِ.

وقيلَ: أي: إنِّي ظننْتُ أن يُؤاخِذَني اللهُ بسيِّئاتي، وقد تفضَّلَ عليَّ بعفوِه ولم يُؤاخِذني بها.

* * *

(٢١ ـ ٢٤) ـ ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٢١ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝٢٢ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ۝٢٣ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾.

قولُه تعالى: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾؛ أي: في الجنَّةِ في عيشٍ يَرضاه لا مكروهَ

= وهاء، والشعير بالشعير رباً إلا هاء وهاء، والتمر بالتمر رباً إلا هاء وهاء».

(١) انظر: «إصلاح المنطق» (ص: ٢٠٨).

(٢) قرأ يعقوب بحذف الهاء في الأربعة في الوصل، وحمزة بحذفها في الوصل في ﴿مَالِيَهْ﴾، و﴿سُلْطَانِيَهْ﴾، والباقون بإثباتها في الحالين. انظر: «السبعة» (ص: ١٨٨)، و«التيسير» (ص: ٢١٤)، و«النشر» (٢/ ١٤٢).

فيـه، ﴿رَّاضِيَةٍ﴾؛ أي: ذاتِ رضـا، مثـل رجـلٍ لابِنٍ وتامِـرٍ بمعنى: ذي لبَـنٍ وتَمرٍ.

وقيلَ: أي: في حالةٍ من العيشِ راضيةٍ يَرضاها في الجنَّةِ.

وقالَ الفرَّاءُ: ﴿رَّاضِيَةٍ﴾؛ أي: فيها الرِّضا، كقولِه: ﴿مَّآءٍ دَافِقٍ﴾، وسرٌّ كاتِمٌ، وليلٌ نائِمٌ، فهو فاعِلٌ بمعنى مَفعولٍ؛ لأنَّهم يقولونَ ذلك لا على بناءِ الفعلِ[1].

قولُه تعالى: ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾؛ أي: في بستانٍ مُرتَفعِ الدَّرجةِ؛ لأنَّ الجنَّةَ درجاتٌ ترتفعُ؛ أي: تعيشُ عيشاً مَرضيّاً في جنّةٍ عاليةٍ.

قولُه تعالى: ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾؛ أي: ثمارُها قريبةُ المتناوَلِ، فلا كلفةَ في أخذِها، والقُطوفُ: جمعُ قِطفٍ، وهو ما يُقطَفُ من الثِّمارِ، والقَطْفُ بالفتحِ المصدرُ، والقِـطافُ بالفتحِ والكسرِ: وقتُ القَطفِ.

قولُه تعالى: ﴿كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ﴾؛ أي: يُقالُ لهم ذلك، وجَمعَ وقالَ: ﴿كُلُواْ﴾ بعدَ قولِه: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾؛ لقولِه: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ﴾، و﴿مَنْ﴾ يتضمَّنُ معنى الجمعِ.

﴿هَنِيٓـًٔا﴾؛ أي: لا تَشوبُه غائلةٌ وتنغِّصُه.

﴿بِمَآ أَسْلَفْتُمْ﴾؛ أي: ذلك[2] لكم بما قدَّمتُم من الأيَّامِ الَّتي مضَت لكم في الدُّنيا في الطَّاعةِ، والإسلافُ: تقديمُ ما ترجُو أن يعودَ عليك بخيرٍ، فهو كالإقراضِ، يُقال: أسلفَ في كذا؛ أي: قدَّمَ مالَه.

و﴿ٱلْخَالِيَةِ﴾: الماضيةِ، ومنه: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ [البقرة: ١٣٤].

وفـي التَّفاسـيرِ: ﴿بِمَآ أَسْلَفْتُمْ﴾ يعنـي: الصَّـومَ؛ لأنَّهـم لمَّـا أُمِـروا بـالأكلِ

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٨٢).

(٢) بعدها في (أ): «خيرا»، والمثبت هو الأنسب بالسياق.

والشُّربِ دلَّ ذلك على أنَّه لـمَنِ امتنعَ في الدُّنيا عنهما بالصَّومِ طاعةً للهِ[1]

***

(٢٥ ـ ٢٩) ـ ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ۝٢٥ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ۝٢٦ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ۝٢٧ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ۝٢٨ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ﴾.

قولُه تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ﴾ نزلَت في الأسودِ بنِ عبدِ الأسدِ المخزوميِّ، وهو أخو الَّذي نزلَ فيه ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾، قتلَه حمزةُ ببدرٍ، يُؤتيهُ الملَكُ كتابَه، فيتمنَّى أنَّه لـم يُؤتَ لِـمَا فيه من مقابحِ أعمالِه الَّتي يَسوَدُّ لها وجهُه وتَزرَقُّ عينُه[2].

قولُه تعالى: ﴿وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ﴾؛ أي: يا ليتني لـم أعلمْ أيَّ شيءٍ حسابي؛ أي: لا من حيلة[3] في ذلك الحسابِ، وإنَّما هو عليه.

قولُه تعالى: ﴿يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ﴾ يريدُ: موتاً لا بعثَ معه، والكنايةُ في

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٢/ ١٧٣) عن الكلبي.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٤٢٣)، ورواه ابن أبي عاصم في «الأوائل» (٨٢)، والمقدسي في «المختارة» (١٣/ ٣٨)، عن ابن عباس موقوفاً عليه، وفيهما: «سفيان بن عبد الأسد»، ورواه مرفوعاً الطبراني في «الأوئل» (٨٢)، وفيه: «أبو سفيان بن عبد الأسد». وفي كليهما حبيب بن زريق وهو متروك كما قال ابن حجر في «زهر الفردوس» (١/ ٢١٩).

وفي «نسب قريش» لأبي عبد الله الزبيري (ص: ٣٣٧): «فولد عبد الأسد بن هلال: عبد الله أبا سلمة، أول من هاجر إلى أرض الحبشة، وشهد بدراً، وتوفي على عهد رسول الله ﷺ، وأمه: برة بنت عبد المطلب بن هاشم؛ وسفيان بن عبد الأسد، والأسود، قتل يوم بدر كافراً، قتله حمزة بن عبد المطلب، وكان حلف يوم بدر ليكسرن حوض النبي ﷺ فقاتل حتى وصل إلى الحوض، فأدركه حمزة وهو يكسر الحوض، فقتله، واختلط دمه بالماء؛ وأمهما من كندة».

(٣) «لا من حيلة» كذا في (أ)، ولعل الصواب: «لا شيء له».

﴿يَٰلَيْتَهَا﴾ عن غيرِ مذكورٍ، و﴿ٱلْقَاضِيَةَ﴾: القاطعةَ عنِ الحياةِ.

وقيلَ: ﴿يَٰلَيْتَهَا﴾ ترجعُ إلى الموتةِ الَّتي ماتَها في الدُّنيا.

وقيلَ: تمنَّوا أن يكونُوا ماتوا حينئذٍ، كالرَّجلِ يلقَى شدَّةً فيقولُ: يا ليتَني متُّ لأستريحَ من هذه الشِّدَّةِ، ويُقالُ: قضى عليه فلانٌ؛ أي: مات.

قولُه تعالى: ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ﴾؛ أي: لم يدفعْ عنِّي عذابَ اللهِ.

وقيلَ: أي: ما الَّذي أغنَى عنِّي ولم أُحشَرْ معه؟ كما قال: ﴿وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ [مريم: ٨٠]، أو: ما الَّذي أغنى عنِّي؛ إذ لم يُكتب[1] في الدُّنيا في حسابي.

قولُه تعالى: ﴿هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ﴾؛ أي: ضلَّت عنِّي حُجَّتي الَّتي كنتُ أحتجُّ بها على محمَّدٍ.

وقيلَ: يقولُ هذا حينَ شهدَت عليه جوارحُه بالشِّركِ.

وقيلَ: أي: هلكَ عنِّي وضاعَ سُلطاني الَّذي كانَ لي في الدُّنيا، وكانَ هذا الرَّجلُ مُطاعاً في أصحابِه.

وقيلَ: زالَ عنِّي مُلكي[2]، فلا أملكُ لنفسي شيئاً.

***

(٣٠ ـ ٣٢) ـ ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ﴾.

قولُه تعالى: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾ لمَّا بيَّنَ ما يُقالُ لمَن أُوتيَ كتابَه بيمينِه، وهو:

---

(١) بعدها في (أ) كلمة غير واضحة رسمها هكذا: «ايعافي»، ولم يظهر لنا معناها.

(٢) في (أ): «زالت عني ملكتي» والمثبت من «تفسير الثعلبي» (٢٧/ ٣١١)، و«البسيط» (٢٢/ ١٧٦ و١٧٧)، ونسباه لابن زيد. ووقع في الموضع الثاني في «البسيط» في بعض نسخه مثل (أ).

﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا﴾، بيَّنَ ما يُقالُ لمَن أُوتِيَ كتابَه بشمالِه؛ أي: يُقالُ لخَزنةِ جهنَّمَ: ﴿خُذُوهُ﴾.

ثمَّ قيل: يَبتدِرُه مئةُ ألفِ ملكٍ، ثمَّ تُجمَعُ يدُه إلى عنقِه، وهو قولُه: ﴿فَغُلُّوهُ﴾؛ أي: شدُّوه بالأغلالِ.

قولُه تعالى: ﴿ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾؛ أي: ثمَّ أدخلُوه نارَ جهنَّمَ مغلولاً، يُقال: أصلَيتُه النَّارَ وصلَّيتُه؛ أي: أوردتُه إيَّاها، كما يُقالُ: أكرمتُه وكرَّمتُه.

قولُه تعالى: ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ السِّلسلةُ: حلَقٌ منتظِمةٌ كلُّ حَلْقةٍ منها في حَلْقةٍ، وكلُّ شيءٍ مستمرٍّ بعد شيءٍ على الولاءِ فهو مُسلسَلٌ.

والذَّرْعُ: التَّقديرُ بالذِّراعِ من اليدِ، يُقال: ذرَعَ الثَّوبَ؛ أي: قدَّرَه بذراعِه.

﴿سَبْعُونَ ذِرَاعًا﴾ قالَ نوفٌ: «كلُّ ذراعٍ سبعونَ باعاً، كلُّ باعٍ أبعدُ ممَّا بينَك وبينَ مكَّةَ»، وكانَ في رحبةِ الكوفةِ[1].

وقالَ مقاتلٌ: لو أنَّ حَلْقةً منها وُضِعَت على ذِروةِ جبلٍ لذابَ كما يذوبُ الرَّصاصُ[2].

وقالَ الحسنُ: اللهُ أعلمُ بأيِّ ذراعٍ هو[3].

---

(١) رواه ابن المبارك في «الزهد» (٢/ ٨٣)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٣٣١٦)، وهناد بن السري في «الزهد» (٢٦٩)، وابن أبي الدنيا في «صفة النار» (١٣٨)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٢٣٧).

(٢) ذكره مقاتل بن سليمان في «تفسيره» (٤/ ٤٢٤) من حديث علي رضي الله عنه مرفوعًا، ورواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٧/ ٣١٥) عن سويد بن يحيى يبلغ به، وذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ٣٦١) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٧/ ٣١٣)، والواحدي في «البسيط» (٤/ ٣٤٧).

﴿فَٱسۡلُكُوهُ﴾؛ أي: اجعلوه فيها، يُقال: سَلَكْتُه في الطَّريقِ وفي القيدِ وأسْلَكْتُه؛ أي: أدخلْتُه.

قالَ ابنُ عبَّاسٍ: تُدخَلُ من أسفلِه وتُخرَجُ من حَلقِه، ثمَّ يُجمَعُ بينَ ناصيتِه وقدميه(١).

وقالَ الكلبيُّ: كما يُسلَكُ الخيطُ في اللُّؤلؤةِ، ثمَّ يُجعَلُ في عنقِه سائرَها(٢).

وهذا يدلُّ على أنَّه مُنفرِدٌ بتلك السِّلسلةِ.

وقيلَ: يُجمَعُ أهلُ النّارِ في تلك السِّلسلةِ.

ثمَّ؛ قيلَ: هذه السِّلسلةُ من الغلِّ؛ أي: غُلُّوه بالسِّلسلةِ، وقوله: ﴿فَٱسۡلُكُوهُ﴾ على هذا؛ أي: أدخلُوه السِّلسلةَ.

وقيلَ: أي: خُذُوه فغُلُّوه، ثمَّ أدخلُوه النّار، ثمَّ بعد ذلك اسلُكُوه في السِّلسلةِ، فهي زائدةٌ على الغلِّ.

وقالَ الفرَّاءُ: أي: ثمَّ اسلُكُوا فيه السِّلسلةَ، كما تقولُ: أدخلتُ رأسي في القلنسوةِ، وأدخلتُ القلنسوةَ في رأسي، واستجازُوا ذلك؛ لأنَّ معناه معروفٌ(٣).

* * *

---

(١) رواه بنحوه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٢٣٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٧٢)، والبيهقي في «البعث» (١١٢١)، بلفظ: «تسلك في دبره حتى تخرج من منخريه، حتى لا يقوم على رجليه».

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٢/ ١٨٠).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٨٢).

(٣٣ ـ ٣٧) ـ ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ ٱلۡعَظِيمِ ٣٣ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ٣٤ فَلَيۡسَ لَهُ ٱلۡيَوۡمَ هَٰهُنَا حَمِيمٞ ٣٥ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنۡ غِسۡلِينٖ ٣٦ لَّا يَأۡكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلۡخَٰطِـُٔونَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ ٱلۡعَظِيمِ﴾؛ أي: أصابَه هذا العذابُ لأنَّه كانَ لا يُصدِّقُ باللهِ ورُسلِه.

قولُه تعالى: ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ﴾؛ أي: على الإطعامِ، كما يُوضَعُ العطاءُ موضعَ الإعطاءِ في مثلِ قولِ القائلِ:

وبَعْـدَ عَطائِـكَ المِئـةِ الرِّتَاعَـا[1]

أي: بعد إعطائِك.

فبيَّنَ أنَّه عُذِّبَ على تركِ الإطعامِ وعلى الأمرِ بالبخلِ كما عُذِّبِ بسببِ الكُفرِ، والحضُّ: التَّحريضُ، يُقال: حَضَضْتُه أَحضُّه، وحَضَضْتُه أحْضُضْه.

قولُه تعالى: ﴿فَلَيۡسَ لَهُ ٱلۡيَوۡمَ هَٰهُنَا حَمِيمٞ﴾؛ أي: ليسَ له قريبٌ يَرِقُّ له ويَدفَعُ عنه، وحَامَّةُ الرَّجلِ: قَرابتُه وأنصارُه.

قولُه تعالى: ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنۡ غِسۡلِينٖ﴾ هو صديدُ أهلِ النَّارِ.

وقالَ أبو عُبيدةَ: كلُّ جرحٍ غسلتَه فخرجَ منه شيءٌ فهو غِسلِين، وهو فِعْلِين من الغَسلِ[2]. فكأنَّه يَنغسِلُ مِن أبدانِهم.

والطَّعامُ: ما هُيِّئَ للأكلِ، ولـمَّا أُقيمَ ذلك مقامَ الطَّعامِ لهم سُمِّيَ طعاماً، كما يُقال: تَحِيَّتُه الضَّربُ، وعِتابُه السَّيفُ.

---

(١) عجز بيت للقطامي، وهو في «ديوانه» (ص: ٣٧)، و«طبقات فحول الشعراء» (٢/ ٥٣٧)، و«الشعر والشعراء» (٢/ ٧١٣)، وصدره:

أَكُفْـرًا بعـد ردِّ المـوتِ عنـي

(٢) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ٢٦٨).

قولُه تعالى: ﴿لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ﴾؛ أي: لا يأكلُ هذا الغسلينَ إلَّا المُذنِبون، يُقال: خَطِئَ يَخطأُ فهو خاطِئٌ.

* * *

(٣٨ ـ ٤٠) ـ ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾.

قولُه تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ﴾؛ أي: أقسمُ.

وقيلَ: هو ردٌّ لكلامٍ سبقَ؛ أي: ليسَ كما يقولُه المشركون.

وقيلَ: (لا) هاهنا نفيٌ للقَسمِ؛ أي: لا يُحتاجُ في هذا إلى قسمٍ؛ لوضوحِ الحقِّ في ذلك، وعلى هذا فجوابُه كجوابِ القسمِ.

﴿بِمَا تُبْصِرُونَ﴾؛ أي: الدُّنيا ﴿وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾؛ أي: الآخرة.

وقيلَ: ما تُبصرون مِن الأشياءِ وما لا تُبصرون، فهو قَسَمٌ بجميعِ الموجوداتِ والكائناتِ.

قولُه تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ يعني: القرآنَ، والرَّسولُ جبريلُ، كما قال: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ﴾ [التكوير: ١٩ ـ ٢٠].

وقيلَ: الرَّسولُ الكريمُ هاهنا محمَّدٌ عليه السَّلامُ؛ لقولِه: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ﴾، ﴿لَقَوْلُ﴾: لَتِلاوةُ[1].

* * *

(٤١ ـ ٤٣) ـ ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ﴾ لأنَّه مُباينٌ لصُنوفِ ـ لضُروب ـ الشِّعرِ كلِّها.

---

(١) أي: ليس القرآن قول الرسول ﷺ، إنما هو من قول الله عز وجل، ونسب القول إلى الرسول لأنه تاليه ومبلغه والعامل به، كقولنا: هذا قول مالك. انظر: «تفسير القرطبي» (٢١/ ٢١٣).

﴿قليلاً ما يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿ما﴾ لغوٌ، وهي مُؤكِّدةٌ؛ أي: لا يُصدِّقونَ بأنَّ القرآنَ من قِبَلِ اللهِ، أو لا يُؤمنون أصلاً، تقولُ: قلَّ ما تأتينا؛ أي: لسْتَ تأتينا أصلاً.

وقيلَ: ذلك القليلُ من إيمانِهم أنَّهم كانُوا إذا سُئِلَوا مَن خَلقَهم قالوا: اللهُ.

قُرِئَ ﴿تؤمنون﴾ و﴿تذكرون﴾ بالتَّاءِ والياءِ[1].

قولُه تعالى: ﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ﴾؛ أي: ليس القرآنُ قولَ كاهنٍ؛ لأنَّه وردَ بسبِّ الشَّياطينِ وشَتمِهم، فلا يُنزِّلونَ شيئاً على ما يَسبُّهم.

قولُه تعالى: ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾؛ أي: قُلْ: هوَ تنزيلٌ مِن الله، وهو عطفٌ على قولِه: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ ﴿تَنزِيلٌ﴾.

***

(٤٤ - ٤٧) - ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٦) فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ﴾؛ أي: لو تَقوَّلَ على اللهِ لـم يكنْ عند اللهِ مُحاباةٌ، بل يُعاجِلُه بالعقوبةِ المُهلِكةِ.

﴿تَقَوَّلَ﴾؛ أي: تَكلَّفَ وأتى بقولٍ من قِبَلِ نفسِه.

﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾؛ أي: بالقوَّةِ والقدرةِ؛ أي: لأخذناه بالقوَّةِ، و(مِن) صلةٌ، وعبَّرَ عن القوَّةِ والقدرةِ باليمينِ؛ لأنَّ قوَّةَ كلِّ شيءٍ في مَيامِنِه.

وقيلَ: وردَ هذا الكلامُ على عادةِ النَّاسِ في الأخذِ بيدِ مَن يُعاقَبُ، تقولُ في حقِّ مَن تريدُ مُعاقبتَه: خُذُوا بيدِه؛ أي: لأمَرْنا بالأخذِ بيدِه وبالَغْنا في عقابِه.

---

(١) قرأ ابن كثير وابن عامر بخلف عن ابن ذكوان بالياء، والباقون بالتاء. انظر: «السبعة» (ص: ٦٥٠)، و«التيسير» (ص: ٢١٤).

وقيلَ: اليمينُ بمعنى: الحقِّ؛ أي: لانتقمْنا منه بالحقِّ، كقولِه: ﴿إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ﴾ [الصافات: ٢٨]؛ أي: مِن قِبَلِ الحقِّ.

وقيلَ: أي: لقطعْنا عنه التَّصرُّفَ، وقبضْنا يدَه عن النُّبوَّةِ.

قولُه تعالى: ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ﴾؛ أي: ثمَّ عاقبناه بقطعِ الوَتينِ، والوَتِينُ: نياطُ القلبِ، وهو عِرقٌ يجري في الظَّهرِ حتَّى يتَّصلَ بالقلبِ، وإذا انقطعَ بطلَت القُوى وماتَ صاحبُه، والمَوتُونُ: الَّذي قُطِعَ وَتينُه؛ أي: لو كذَبَ علينا لأهلكناه.

قولُه تعالى: ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ﴾؛ أي: لا أحدَ يمنعُنا عن ذلك، وهذا اللَّفظُ يقعُ على الجَمعِ؛ أي: فما منكم قومٌ يحجزونَ عنه، قالَ اللهُ: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ [البقرة: ١٣٦]، وفي الخبرِ: «لم تَحلَّ الغنائمُ لأحَدٍ سُوْدِ الرُّؤوسِ قبلَكم»(١).

و﴿مِّنْ﴾ زيادةٌ، والحجزُ: المنعُ.

***

(٤٨ ـ ٥٢) ـ ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾.

قولُه تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾؛ أي: إنَّ القرآنَ لَعِظةٌ لـمَن يتَّقي الشِّركَ والذُّنوبَ.

قولُه تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ﴾؛ أي: مَن لا يُؤمِنُ بأنَّ القرآنَ من عندِ اللهِ.

قولُه تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾؛ أي: وإنَّ يومَ القيامةِ، والحسرةُ: النَّدامةُ، أي: يندمونَ على تركِ الإيمانِ.

وقيلَ: وإنَّ تكذيبَهم بالقرآنِ لَندامةٌ لهم يومئذٍ.

---

(١) رواه الترمذي (٣٠٨٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

قولُه تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلۡيَقِينِ﴾؛ أي: وإنَّ القرآنَ تنزيلٌ من اللهِ فهو الحقُّ اليقينُ.

وقيلَ: أي: حقًّا يقيناً ليَكونَنَّ ذلك حسرةً عليهم يومَ القيامةِ، فعلى هذا ﴿وَإِنَّهُۥ لَحَسۡرَةٌ﴾؛ أي: وإنَّه لتَحسُّرٌ، فهو مصدرٌ بمعنى التَّحسُّرِ، فيجوزُ تذكيرُه.

قولُه تعالى: ﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾؛ أي: فصلِّ لربِّكَ الَّذي عَصَمَكَ.

وقيلَ: أي: فاشتغلْ بالتَّسبيحِ والتَّنزيهِ، فإنَّ اللهَ سينتقمُ لكَ ممَّن كذَّبَكَ.

* * *

تفسيرُ سورةِ ﴿سَأَلَ﴾

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) ـ ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ﴾.

قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ﴾ نزلت في النَّضرِ بنِ الحارثِ إذ قالَ: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئۡتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٖ﴾(١).

فالسُّؤالُ بمعنى الدُّعاءِ؛ أي: دعا داعٍ على نفسِه بالعذابِ، يُقالُ: دعا على فلانٍ بالويلِ، ودعا عليه بالعذابِ، ويُقال: دعوتُ بزيدٍ؛ أي: التمسْتُ إحضارَه؛ أي: التمسَ مُلتمِسٌ عذاباً للكافرينَ، وهو واقعٌ بهم لا محالةَ يومَ القيامةِ، وعلى هذا فالباءُ زائدةٌ، كقولِه: ﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهۡنِ﴾ [المؤمنون: ٢٠]، وقوله: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ﴾ [مريم: ٢٥] فهي تأكيدٌ؛ أي: سألَ سائلٌ عذاباً واقعاً.

وقيلَ: الباءُ بمعنى: عن؛ أي: سألَ سائلٌ عن العذابِ: بمَن يقعُ، أو: متى يقعُ؟ قالَ اللهُ تعالى: ﴿فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا﴾ [الفرقان: ٥٩]؛ أي: سَلْ عنه، ويُقالُ: خرجْنا نسألُ عن فلانٍ وبفلانٍ، فالمعنى: سألُوا بمَن يقعُ العذابُ ولمَن يكونُ؟ فقالَ اللهُ: ﴿لِّلۡكَٰفِرِينَ﴾.

ويحتملُ: سألَ سائلٌ عن العذابِ للكافرينَ متى يقعُ.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٧٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما، ورواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ١٤٥) عن عطاء والسدي، ورواه البزار في «مسنده» (٥٠٩٨)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١٥٥٦)، عن ابن عباس رضي الله عنهما، دون ذكر ما قاله النضر.

وقيلَ: [ليس][1] هذا السَّائلُ هو الدَّاعي، ولكنَّه رسولُ اللهِ؛ أي: دعا اللهَ عليه السَّلامُ بالعقابِ، وطلبَ أن يُوقعَه اللهُ بالكفَّارِ، وهو واقعٌ بهم لا محالةَ، وامتدَّ الكلامُ إلى قولِه: ﴿فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلًا﴾؛ أي: لا تستعجِلْ؛ فإنَّه قريبٌ.

وقولُه: ﴿لِّلۡكَٰفِرِينَ﴾؛ أي: التمَسَ لهم العذابَ.

وقيلَ: ﴿لِّلۡكَٰفِرِينَ﴾؛ أي: على الكافرينَ، كقولِه: ﴿وَإِنۡ أَسَأۡتُمۡ فَلَهَا﴾ [الإسراء: ٧]؛ أي: فعليها.

وقالَ أبو عليٍّ: أي: سألَ سائلٌ النَّبيَّ عليه السَّلامُ أو المسلمينَ بعذابٍ واقعٍ، فلم يذكرِ المفعولَ الأوَّلَ لـ﴿سَأَلَ﴾[2].

وهذا كلُّه على قراءةِ مَن قرأَ ﴿سَأَلَ﴾ بالهمزِ، وقُرِئَ ﴿سالَ سائِلٌ﴾ بغيرِ همزٍ[3]، وله وجهانِ:

أحدُهما: أنَّه أرادَ (سَأَلَ) بالهمزِ فخفَّفَ.

وقيلَ: (سالَ) بغيرِ همزٍ لغةٌ مِن السُّؤالِ، قالَ أبو زيد: سمعْتُ مَن يقولُ: هما يَتساولانِ، ومنه:

سَالَتْ هُذَيلٌ رَسُولَ اللهِ فَاحِشَةً[4]

والثَّاني: أنَّه مِن السَّيلانِ؛ قالَ ابنُ عبَّاسٍ: يريدُ وادياً في جهنَّمَ سالَ

---

(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢) انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (٢/ ٢١٣).

(٣) قرأ بها نافع وابن عامر، والباقون بالهمز. انظر: «السبعة» (ص: ٦٥٠)، و«التيسير» (ص: ٢١٤).

(٤) صدر بيت لحسان بن ثابت رضي الله عنه، كما في «ديوانه» (ص: ٣٩)، و«الكتاب» (٣/ ٤٦٨)، و«سيرة ابن هشام» (٢/ ١٨٠)، و«المقتضب» (١/ ١٦٧). وعجزه:

ضَلَّتْ هُذَيلٌ بما قالَتْ ولَم تُصِبِ

بعـذابٍ واقـعٍ[1]، فيكـونُ ذلـك الـوادي عذابـاً لهـم علـى مـا أرادَه الـرَّبُّ.

ثمَّ؛ قيل: أن يستمرَّ بهم العذابُ كالسيلِ الَّذي يستمرُّ من جريانه وهوله، أن يكونَ هذا مبالغةً في الإخبارِ عن هلاكِهم في غمراتِ العذاب، كما يُقالُ: سالَ بفلانٍ السَّيلُ واستمرَّ به العذابُ.

و﴿سَآئِلٌ﴾ مهموزٌ؛ لأنَّه إن كانَ من ﴿سَأَلَ﴾ بالهمزِ فهو مهموزٌ، وإن كانَ من غيرِ الهمزِ كانَ مهموزاً أيضاً، نحو: قائِلٍ وخائِفٍ؛ لأنَّ العينَ اعتلَّ في الفعلِ فاعتلَّ في اسمِ الفاعلِ أيضاً، ولم يكن الاعتلالُ بالحذفِ لخوفِ الالتباسِ، وكانَ بالقلبِ إلى الهمزِ، ولكَ تخفيفُ الهمزةِ حتَّى تكونَ بينَ بينَ.

﴿وَاقِعٍ﴾؛ أي: يقعُ بالكفَّارِ، ثمَّ بيَّنَ أنَّه مِن عندِ اللهِ ذي المعارجِ.

* * *

(٢) - ﴿لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ﴾.

قولُه تعالى: ﴿لِّلْكَٰفِرِينَ﴾؛ أي: بعذابٍ لهم أو بعذابٍ عليهم، كما سبقَ.

وقالَ الفرَّاءُ: التَّقديرُ: بعذابٍ للكافرينَ واقعٍ، فـ(الواقعُ) من نعتِ (العذابِ)، واللَّام دخلَت للعذابِ لا للواقعِ[2]؛ أي: هذا العذابُ للكافرينَ في الآخرةِ لا يدفعُه عنهم أحدٌ.

* * *

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٢٠٢) من رواية عطاء عن ابن عباس: وروى عبد بن حميد وابن المنذر كما في «الدر المنثور» (٨/ ٢٧٨) عن ابن عباس قال: «سال واد في جهنم». وروى الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٢٤٩) عن ابن زيد بلفظ: «قال: قال بعض أهل العلم: هو واد في جهنم يقال له: سائل».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٨٣).

(٣) - ﴿مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾.

قولُه تعالى: ﴿مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾ والمعارجُ: الدَّرجاتُ، ومنه ﴿وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ [الزخرف: ٣٣]، قيل: أرادَ به معارجَ السَّماءِ الَّتي تَعرُجُ منها الملائكةُ إليها، كما قال: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤]، وقد جعلَ اللهُ للملائكةِ معارجَ يعرجونَ منها إلى أماكنِهم من السَّماءِ.

وقيلَ: ﴿ٱلْمَعَارِجِ﴾: الغُرَفُ، كما يُقالُ لها: عَلاليَّ؛ أي: أنَّه ذو الغُرفِ؛ أي: جعلَ لأوليائِه في الجنَّةِ غُرفاً.

وقالَ قتادةُ: ﴿ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾؛ أي: ذي الفواضلِ والنِّعمِ[1]؛ إذ لإنعامِه مراتبُ، فالمعارجُ مراتبُ إنعامِه على الخَلقِ.

وقرأَ عبدُ اللهِ (ذي المَعاريجِ) بالياءِ[2]، يُقالُ: مِعرَجٌ ومَعَارِجُ ومِعْراجٌ ومَعَارِيجُ، مثل مِفتاحٍ ومَفاتيحَ.

وقيلَ: كلُّ فتقٍ بينَ سماءَينِ فهو مِعراجٌ.

* * *

(٤) - ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾.

قولُه تعالى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾؛ أي: تصعَدُ في المعارجِ الَّتي جعلَها لهم إليه ﴿وَٱلرُّوحُ﴾؛ أي: جبريلُ. وقيلَ: هو مَلَكٌ آخرُ غيرُ جبريلَ عظيمُ الخِلقةِ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٢٥٠).

(٢) ونقلها عن المصنف: القرطبيُّ في «تفسيره» (٢١/ ٢٢٣)، ولم أجدها عند المتقدمين عن ابن مسعود في هذه الآية، لكن ذكرها ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ٥٤) عن طلحة (وهو ابن مصرف) في قوله تعالى: ﴿وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ [الزخرف: ٣٣].

﴿تَعْرُجُ﴾ بالياءِ والتَّاءِ[١].

﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾؛ أي: عروجُهم إلى المكانِ الَّذي هو محلُّهم في وقتٍ كانَ مقدارُه على غيرِهم لو صعدَ خمسينَ ألفَ سنةٍ، قالَه وهبٌ والكلبيُّ ومحمَّدُ بنُ إسحاقَ[٢].

قال وهبٌ: ما بين أسفلِ الأرضِ إلى العرشِ مسيرةُ خمسينَ ألفِ سنة[٣].

وهو قولُ مجاهدٍ[٤].

وجَمعَ بينَ هذه الآيةِ وقولِه: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ في سورةِ السَّجدةِ فقال: يُسارُ خمسينَ ألفَ سنةٍ من أسفلِ الأرضينَ السَّبعِ إلى العرشِ، ومِن السَّماءِ الدُّنيا إلى الأرضِ ألفُ سنةٍ، خمسُ مئةٍ للنُّزولِ وخمسُ مئةٍ للصُّعودِ[٥].

أو يُقالُ: (ألف سنة)؛ لأنَّ عرضَ كلِّ سماءٍ خمسُ مئةِ سنةٍ، وبينَ السَّماءِ والسَّماءِ خمسُ مئةِ سنةٍ.

وقوله: ﴿فِي يَوْمٍ﴾؛ أي: من أيَّامِ الدُّنيا؛ أي: يصعدونَ في يومٍ من أيَّامِ الدُّنيا

---

(١) قرأ الكسائي بالياء، وباقي السبعة بالتاء. انظر: «السبعة» (ص: ٦٥٠)، و«التيسير» (ص: ٢١٤).

(٢) ذكره عنهم الواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٢١٠)، والقرطبي في «تفسيره» (١٨/ ٢٨٢).

(٣) المرجعين السابقين.

(٤) رواه عنه ابن أبي الدنيا في «الأهوال» (١٢١) ولفظه: «من منتهى أمره من أسفل الأرضين إلى منتهى أمره من فوق السماوات، مقدار ذلك خمسين ألف سنة»، وانظر التعليق الآتي.

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٢٥١ ـ ٢٥٢) بلفظ: منتهى أمره من أسفل الأرضين إلى منتهى أمره من فوق السماوات مقدار خمسين ألف سنة؛ و﴿يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [السجدة: ٥] يعني بذلك نزل الأمر من السماء إلى الأرض، ومن الأرض إلى السماء في يوم واحد، فذلك مقداره ألف سنة، لأن ما بين السماء إلى الأرض مسيرة خمس مئة عام.

من مُنتهَى الأرضِ السَّابعةِ إلى مُنتهى السَّماواتِ عندَ العرشِ مقدارَ ما هو مسافةُ خمسينَ ألفَ سنةٍ للآدميِّينَ لو احتاجُوا إلى قطعِها.

وقيلَ: أرادَ: يومُ القيامةِ خمسونَ ألفَ سنةٍ؛ أي: الملائكةُ تصعدُ إليه، ثمَّ القيامة، فيفصل اللهُ من الحُكمِ بينَ عبادِه ما لا يكونُ مثلُه في الدُّنيا إلَّا في خمسينَ ألفَ سنةٍ، أو يقعُ العذابُ بالكفَّارِ في يومٍ طولُه خمسونَ ألفَ سنةٍ، ثمَّ يدخلونَ النّارَ للاستقرارِ.

والأكثرونَ على أنَّ المرادَ: يفرغُ من الحسابِ في يومٍ واحدٍ من أيَّامِ الدُّنيا، ولا يقعُ ذلك إلَّا في خمسينَ ألفَ سنةٍ لغيرِه.

وقيلَ: بل يكونُ الفراغُ لنصفِ يومٍ؛ لقولِه[1] تعالى: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٤]، و[هذا] على قَدْرِ فهمِ الخَلقِ، [و]إلَّا فلا يشغلُه شأنٌ عن شأنٍ.

وقالَ مُقاتِلٌ: فيه تقديمٌ واحدٌ وتأخيرٌ؛ أي: بعذابٍ واقعٍ في يومٍ، وهو يومُ القيامةِ[2].

قالَ الحسنُ: هو يومُ القيامةِ[3].

ولكنَّ يومَ القيامةِ لا نفادَ له، فالمرادُ ذِكرُ موقفِهم للحسابِ، فهو في خمسينَ ألفَ سنةٍ من سنيِّ الدُّنيا، ثمَّ حينئذٍ يستقرُّ أهلُ الدَّارينِ في الدَّارينِ.

فعلى القولِ الأوَّلِ؛ أي: مُدَّةُ عروجِ الملائكةِ إلى مكانِهم في يومٍ من أيَّامِ الدُّنيا ولو قُدِّرَ ذلك اليومُ في حقِّكم لاحتجْتُم إلى خمسينَ ألفَ سنةٍ.

---

(١) كذا في (أ)، وفي «تفسير القرطبي» (٢١/ ٢٢٦): «كقوله»، وما سيأتي بين معكوفتين منه.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٤٣٥ ـ ٤٣٦)، وفيه: «ثم أخبر الله عز وجل عن ذلك العذاب متى يقع بها فقال: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾، فيها تقديم». وانظر: «البسيط» للواحدي (٢٢/ ٢٠٨).

(٣) ذكره عنه الواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٢٠٨).

وعلى القولِ الثَّاني: يَفرغُ من حسابِ الخلقِ في يومٍ أو نصفِ يومٍ من أيَّامِ الدُّنيا، ولو وَلِيَ ذلك غيرُه لاحتاجَ إلى خمسينَ ألفَ سنةٍ.

وعلى الثَّالثِ: يقعُ العذابُ بالكافرينِ يومَ القيامةِ، وهو يومٌ وقتُ المحاسبةِ منه خمسونَ ألفَ سنةٍ، ويستقرُّ الخلقُ في الدَّارينِ.

قالَ الحكَمُ وعكرمةُ: الدُّنيا مِن أوَّلِها إلى آخرِها يومٌ مقدارُه خمسونَ ألفَ سنةٍ، لا يدري أحدٌ كم مضى ولا كم بقيَ إلَّا اللهُ عزَّ وجلَّ(١).

فالمعنى على هذا: (تعرجُ الملائكةُ في يومٍ)؛ أي: في يومِ الدُّنيا الَّتي مقدارُها خمسونَ ألفَ سنةٍ.

ويحتملُ أنَّهم لـمَّا استعجَلوا العذابَ قال: إنَّ العذابَ يقعُ بهم بعدَ انقضاءِ الدُّنيا، ثمَّ أخبرَ أنَّ مُدَّةَ الدُّنيا هذا المقدارُ، وأنَّه انقضى أكثرُه وبقيَ الأقلُّ، ﴿فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلًا﴾ فقد قَرُبَ الأمرُ.

وسُئِلَ ابنُ عبَّاسٍ عن هذه الآيةِ وعن قولِه: ﴿فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥٓ أَلۡفَ سَنَةٖ﴾ فقال: أيَّامٌ سمَّاها اللهُ عزَّ وجلَّ هو أعلمُ بها كيف تكونُ، وأكرهُ أن أقولَ فيها ما لا أعلمُ(٢).

وقيلَ: معنى ذِكرِ ﴿خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ﴾ تمثيلٌ، وهو تعريفُ طولِ مُدَّةِ القيامةِ وما يَلقَى النَّاسُ فيه من الشَّدائد، والعربُ تصفُ أيَّامَ الشِّدَّةِ بالطّولِ.

* * *

(١) ذكره عنهما الثعلبي في «تفسيره» (٢٧/ ٣٣٩)، ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٣٢١) عن الحكم بن أبان عن عكرمة.

(٢) رواه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص: ٣٧٦)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٢٥٤)، والحاكم في «المستدرك» (٣٨٠٣).

(٥) ـ ﴿فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلًا﴾.

﴿فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلًا﴾؛ أي: فاصبرْ يا محمَّدُ على تكذيبِهم إيَّاك، أو على تبليغِ الرِّسالةِ ﴿صَبۡرٗا جَمِيلًا﴾؛ أي: لا جزعَ فيه ولا شكوى.

ثمَّ؛ قيل: كانَ هذا قبل الأمرِ بالقتالِ[1].

* * *

(٦ ـ ٧) ـ ﴿إِنَّهُمۡ يَرَوۡنَهُۥ بَعِيدٗا ٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبٗا﴾.

قولُه تعالى: ﴿إِنَّهُمۡ يَرَوۡنَهُۥ﴾؛ أي: يرونَ العذابَ ﴿بَعِيدٗا﴾ غيرَ كائنٍ ﴿وَنَرَىٰهُ﴾ إنَّما هو آتٍ قريبٌ، فقولُه: ﴿يَرَوۡنَهُۥ بَعِيدٗا﴾؛ أي: يَستبعدونَ مجيئَه، أو يعتقدونَه غيرَ كائنٍ.

ثمَّ؛ قيل: ﴿يَرَوۡنَهُۥ﴾؛ أي: يرون العذاب. وقيلَ: أي: يَرونَ هذا اليوم.

﴿وَنَرَىٰهُ﴾؛ أي: نعلمُه؛ لأنَّ الرُّؤيةَ إنَّما تتعلَّقُ بالموجود، وهو كقولِك: الشَّافعيُّ يرى في هذه المسألةِ كذا وكذا، وكانَت رؤيةُ الكفَّارِ بعدَ هذا اليومِ نوعاً من الاعتقادِ، وكانوا يظنُّونَه علماً.

* * *

(٨ ـ ١٠) ـ ﴿يَوۡمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلۡمُهۡلِ ٨ وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ٩ وَلَا يَسۡـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمٗا﴾.

قولُه تعالى: ﴿يَوۡمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلۡمُهۡلِ﴾؛ أي: تصيرُ كدُرديِّ الزَّيتِ[2].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٢٥٥) عن ابن زيد، وقال الطبري: «لا وجه له»، وذكره النحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٧٤٩).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٤٩) عن مجاهد وابن عباس رضي الله عنهما، و(٢١/ ٥٧) عن سعيد بن جبير.

وقيلَ: كعَكرِ القَطِرانِ.

وقيلَ: مثلَ الفضَّةِ المُذَابةِ، قاله ابنُ مسعودٍ والحسنُ[١]، واستدلَّ هؤلاءِ بما وردَ في الأخبارِ أنَّ السَّماءَ من حديدٍ[٢].

وقيلَ: ﴿كَٱلْمُهْلِ﴾؛ أي: كالقيحِ والصَّديدِ.

وقيلَ: المهلُ: الشَّيءُ الأسودُ.

وقالَ اللَّيثُ: المهلُ: الفِلزُّ، وهو جواهرُ الأرضِ.

وقالَ اللَّيثُ: المهلُ أيضاً: ما يَتحاتُّ من الخُبزةِ من رمادٍ وغيرِه إذا أُخرِجَت من المَلَّةِ، والمهلُ أيضاً: ضربٌ من القَطرانِ إلَّا أنَّه ماءٍ رقيقٌ، وهو شبيهٌ بالزَّيتِ، تُدهَنُ به الإبلُ في الشِّتاءِ[٣].

﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ﴾؛ أي: كالصُّوفِ، وهو الصُّوفُ ذو الألوانِ، فشَبَّهَ الجبالَ به في تلوُّنِها ألواناً.

﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾؛ أي: يشغلُهم بأنفسِهم، لا يتفرَّغُ هذا لذا.

---

(١) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٣٥٢) عن الحسن. وروى الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٥٦) معناه عن ابن مسعود في قوله: ﴿كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ﴾ [الكهف: ٢٩] قال: دخل عبد الله بيت المال، فأخرج بقايا كانت فيه، فأوقد عليها النار حتى تلألأت قال: «أين السائل عن المهل؟ هذا المهل».

(٢) لم يصح فيه شيء، فقد روى الثعلبي في «تفسيره» (٢٧/ ٩٨ ـ ٩٩) عن بريدة وكعب قالا: «سماء الدنيا موج مكفوف، والثانية: مرمرة بيضاء، والثالثة: حديد، والرابعة: صفر...» الخبر. وفيه المسيب بن شريك وهو متروك.

ورواه مقاتل في «تفسيره» (٤/ ٦٩٣) عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباسٍ مرفوعاً: «خَلق اللهُ السماء الدنيا من ماء حرج مكفوفٍ، والثانيةَ من حديدٍ، والثالثةَ من فضةٍ...» الحديث، ومقاتل متروك.

(٣) انظر: «العين» (٤/ ٥٧).

وقيلَ: لا يتساءلونَ لأنَّ اللهَ بصَّرَهم أهلَ النّارِ وأهلَ الجنَّةِ، وعلاماتُهم ظاهرةٌ، فلا حاجةَ إلى تَعرُّفٍ، وفيه إضمارٌ؛ أي: لا يسألُ حميمٌ حميمَه عن شأنِه وأمرِه.

وقيلَ: لا يَسألُ حميمٌ عن حميمِه، فحُذفَ الجارُّ ووصلَ الفعلَ.

وقُرِئَ: ﴿ولا يُسأَلُ﴾ بالضَّمِّ[1]؛ أي: لا يُسألُ حميمٌ [عن][2] حميمه لتَعرُّفِ شأنِه من جهتِه، كما يُتعرَّفُ خبرُ الإنسانِ من جهةِ صديقِه، والمعنى: لا يُؤاخَذُ هذا بذنبِ ذاك، وفيه حذفُ الجارِّ أيضاً.

***

(١١ - ١٤) - ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ﴾.

قولُه تعالى: ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ﴾؛ أي: يُعَرَّفُونهم حتَّى يصيرَ كلُّ إنسانٍ منهم بصيراً بصاحبِه مُبصِراً له يراه ويعرفُه؛ أي: لشغلِه بنفسِه لا يسألُ حميمَه وإن عرفَه.

وقيلَ: يفرُّ عنه يخافُ أن ينالَه من جهتِه مُطالَبةٌ، في بعضِ الأخبارِ: «أنَّ أهلَ القيامةِ يَفِرُّون من المعارفِ مخافةَ المظالمِ»[3].

---

(١) هي قراءة أبي جعفر والبزي بخلف عنه. انظر: «السبعة» (ص: ٦٥٠)، و«النشر» (٢/ ٣٩٠).

(٢) من «البسيط» (٢٢/ ٢١٥)، و«تفسير القرطبي» (٢١/ ٢٢٩).

(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٢٢٩) بلا راو ولا نسبة. وروى أبو داود (٤٧٥٥) عن عائشة رضي الله عنها أنها ذكرت النار فبكت، فقال رسول الله ﷺ: «ما يبكيك؟» قالت: ذكرت النار فبكيت، فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: «أما في ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد أحدًا: عند الميزان حتى يعلم أيخف ميزانه أو يثقل، وعند الكتاب حين يقال: ﴿هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ﴾ [الحاقة: ١٩] حتى يعلم أين يقع كتابه أفي يمينه أم في شماله أم من وراء ظهره؟ وعند الصراط إذا وضع بين ظهري جهنم».

وقيلَ: يَعرفُ حميمَه ساعةً، ثمَّ يفرُّ عنه ويشغلُ عنه، فيزولُ التَّعارُفُ.

وقيلَ: يتبرَّأُ الأتباعُ من المتبوعينَ، ولا يتساءلونَ سؤالَ الحميمِ الحميمَ.

وقيلَ: ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ﴾ يرجعُ إلى الملائكةِ؛ أي: يُعرِّفونَ أحوالَ النَّاسِ فيسوقونَ كلَّ فريقٍ إلى ما يليقُ بهم، وتمَّ الكلامُ عند قولِه: ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ﴾.

ثمَّ؛ قالَ: ﴿يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ﴾؛ أي: المشركُ، وقيلَ: هو عامٌّ في كلِّ مذنِبٍ، وأجْرَمَ؛ أي: اكتسَبَ.

﴿لَوْ يَفْتَدِى﴾؛ أي: يتمنَّى أن يمكنَه الافتداءُ حتَّى يُخلِّصَ نفسَه عن العذابِ ببذلِ البنينَ والأقاربِ.

قولُه تعالى: ﴿وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ﴾ فصيلةُ الرَّجلِ: رَهطُه الأدنَونَ، وكانَ يُقالُ: العبَّاسُ فصيلةُ النَّبيِّ عليه السَّلام(١)، والفصيلةُ أخصُّ من القبيلةِ.

وقالَ المُبرِّدُ: الفصيلةُ: القطعةُ من أعضاءِ الجسدِ، وهي دونَ القبيلةِ، وسُمِّيَت عشيرةُ الرَّجلِ فصيلةً تشبيهاً بالبعضِ منه(٢).

﴿ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ﴾؛ أي: عشيرتُه القريبةُ الَّذين يَأوي إليهم.

أي: يودُّ أن يفتديَ بهذه الأشياءِ ثمَّ يُنجِيه ذلك الفداءُ، ولا بدَّ من هذا الإضمارِ، وهو كقولِه: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ﴾ [الأنعام: ١٢١]؛ أي: وإنَّ أكلَه لفسقٌ.

وقيلَ: قولُه: ﴿يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ﴾ يقتضي جواباً بالفاءِ، كقولِه: ﴿وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ [القلم: ٩]، فهذا الجوابُ في هذه الآيةِ قولُه تعالى: ﴿ثُمَّ يُنجِيهِ﴾، فقد وُضِعَ ﴿ثُمَّ﴾ موضعَ الفاءِ لأنَّهما من حروفِ العطفِ؛ أي: يودُّ المجرمُ لو يَفتدي فيُنجِيه الافتداءُ.

---

(١) نقله الأزهري في «تهذيب اللغة» (١٢/ ١٣٥) عن أبي عبيد.

(٢) ذكره عنه الواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٢١٧)، والقرطبي في «تفسيره» (١٨/ ٢٨٦).

(١٥ ـ ١٨) ـ ﴿كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ ۝١٥ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ۝١٦ تَدْعُواْ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ۝١٧ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ﴾.

قولُه تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ﴾؛ أي: ليسَ كذلك، بل لا يُنجِيه من عذابِ اللهِ الافتداءُ، ثمَّ قال: ﴿إِنَّهَا لَظَىٰ﴾؛ أي: هيَ جهنَّمُ الَّتي تتلظَّى نيرانُها، كقولِه: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ﴾ [الليل: ١٤]، واشتقاقُ ﴿لَظَىٰ﴾ من التَّلظِّي، وجُعِلَت ﴿لَظَىٰ﴾ اسماً لجهنَّمَ، فهو اسمٌ مُؤنَّثٌ معرفةٌ فلا ينصرفُ.

قولُه تعالى: ﴿نزاعةٌ للشَّوى﴾ قُرِئَ بالرَّفعِ؛ أي: إنَّ لظَى نزَّاعةٌ؛ أي: هيَ نزاعةٌ، وقُرِئَ ﴿نَزَّاعَةً﴾ بالنَّصبِ على الحالِ[1]، كقولِه: ﴿هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا﴾ [فاطر: ٣١]، وتقولُ: أنا زيدٌ معروفاً، أو تقول: تتلظَّى نزَّاعةً للشَّوى، وقالَ أبو عليٍّ: أي: أَعْنِيها نزَّاعةً للشَّوى[2].

والشَّوى: الأطرافُ، وهي اليدانِ والرِّجلانِ، ويُقالُ للرَّامي: قد أشوَى؛ أي: أصابَ الشَّوى، والشَّوى أيضاً: جلدُ الرَّأس، واحدتُها: شواةٌ؛ أي: أنَّ النَّارَ لا تتركُ لهم لحماً ولا جلداً ولا طَرَفاً إلَّا أحرقَتْه.

قولُه تعالى: ﴿تَدْعُواْ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ﴾؛ أي: تدعو لظَى إلى نفسِها مَن أدبرَ في الدُّنيا عن طاعةِ اللهِ وتولَّى عن الإيمانِ، ودعاؤُها أن تقولَ: إليَّ يا مُشرِكُ يا كافرُ.

وقيلَ: تدعو مَن أدبرَ عن الحقِّ باسمِه.

ودعاءُ لظَى بخلقِ الحياةِ فيها حتَّى تدعوَ، وخوارقُ العادةِ غداً كثيرةٌ.

وقيلَ: أي: تدعو الزَّبانيةُ، فانضافَ ذلك إلى ﴿لَظَىٰ﴾.

وقيلَ: هوَ ضربُ مثلٍ؛ أي: مصيرُهم إلى النَّارِ.

---

(١) قرأ حفص بالنصب، والباقون بالرفع. انظر: «السبعة» (ص: ٦٥٠)، و«التيسير» (ص: ٢١٤).

(٢) انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (٦/ ٣٢٠).

قولُه تعالى: ﴿وَجَمَعَ﴾؛ أي: جمعَ المالَ فأمسكَه ولم ينفقْه في طاعةِ اللهِ ﴿فَأَوْعَىٰٓ﴾ جعلَه في وعاءٍ فلم يُؤدِّ منه الزَّكاة.

* * *

(١٩ ـ ٢١) ـ ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا﴾.

قولُه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾؛ أي: يميلُ إلى المنعِ والجزَعِ من الشَّدائد، والهلعُ: شدَّةُ الجزعِ مع شدَّةِ الحزنِ والضَّجرِ، يُقالُ: هَلِعَ الرَّجلُ يهلَعُ، مثل حمِدَ يحمَدُ، فهوَ هالِعٌ وهَلُوعٌ.

قولُه تعالى: ﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا﴾؛ أي: هوَ في الشَّرِّ جزوعٌ، وإذا أصابَه الخيرُ فهوَ مَنوعٌ، والشَّرُّ: البُؤسُ والفقرُ، والخيرُ: المالُ.

* * *

(٢٢ ـ ٢٣) ـ ﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ۝٢٢ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ﴾ الإنسانُ اسمٌ للجنسِ، فاستثنى عنهم هؤلاء؛ أي: إلَّا المعروفينَ بأداءِ الصَّلواتِ تعظيماً لله، وهم المؤمنون ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ﴾؛ أي: على مواقيتِها.

وقيلَ: هم الذين إذا صلَّوا لـم يَلتفتُوا يميناً وشمالاً، والدَّائمُ: السَّاكنُ، ومنه: «نهَى عَنِ البَولِ في الماءِ الدَّائمِ»[1]؛ أي: السَّاكن.

* * *

---

(١) رواه البخاري (٢٣٩)، ومسلم (٢٨٢)، عن أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: «لا يبولن أحدكم في الماء الدائم الذي لا يجري، ثم يغتسل فيه».

(٢٤ ـ ٢٥) ـ ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾.

قولُه تعالى: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ﴾؛ أي: يُخرِجون الزَّكواتِ المفروضةَ ﴿لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ السَّائلُ: الَّذي يَسألُ، والمحرومُ: الَّذي أُصِيبَ في زرعِه أو تجارتِه وهوَ لا يَسألُ.

وقالَ الزَّجَّاجُ: هوَ الَّذي حُرِمَ المكاسبَ وهو لا يَسألُ(١).

وقيلَ: هوَ الَّذي لا سهمَ له في المغانمِ.

* * *

(٢٦ ـ ٢٨) ـ ﴿وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾.

قولُه تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾؛ أي: لا يُكَذِّبون تكذيبَ المشركين، بل يَعملون عملَ مَن يعلمُ أنَّه يُجازى بعملِه.

قولُه تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾؛ أي: خائفون.

* * *

(٢٩ ـ ٣١) ـ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾؛ أي: عن النِّساءِ ﴿إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ﴾ بيَّنَ ما يَحلُّ من النِّساءِ، وهي المنكوحةُ والمملوكةُ ملكَ اليمينِ.

وقيلَ: ﴿عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ﴾ وإنَّما يُلامونَ في الشَّرعِ على غيرِ أزواجِهم.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٢٢).

قولُه تعالى: ﴿فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ﴾؛ أي: فمَن طلبَ وراءَ ما أحلَلْناه له في الشَّرعِ ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ﴾؛ أي: المجاوِزونَ حدودَ الله.

وقال: ﴿وَرَآءَ ذَٰلِكَ﴾ ولم يقل: ذينك؛ لأنَّ المعنى: فمَن طلبَ سِوى.

* * *

(٣٢) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ﴾ تدخلُ فيه أماناتُ الدِّينِ، فإنَّ الشَّرائعَ أماناتٌ ائتمَنَ اللهُ عليها عبادَه، وتدخلُ فيه أماناتُ النَّاسِ من الودائعِ.

قُرِئَ: ﴿لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ﴾، وقُرِئَ: ﴿لأمانَتِهم﴾[1]، والأمانةُ اسمُ جنسٍ.

* * *

(٣٣ ـ ٣٥) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمۡ قَآئِمُونَ ٣٣ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ٣٤ أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٖ مُّكۡرَمُونَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمۡ قَآئِمُونَ﴾ وقُرِئَ: ﴿بشهادَتِهم﴾[2]، والمصدرُ قد يُفرَدُ وإن أُضِيفَ إلى جمعٍ، كقولِه: ﴿لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ﴾ [لقمان: ١٩] يعني: الشَّهاداتِ عندَ الحكَّام؛ أي: لا يكتمونها.

وقالَ ابنُ عبَّاسٍ: يريدُ الشَّهادةَ بأنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ وحدَه لا شريكَ له[3]؛ أي: يحفظونَ هذه الشَّهادةَ فلا يُشرِكونَ باللهِ تعالى.

---

(١) قرأ بها ابن كثير، والباقون بالأولى. انظر: «السبعة» (ص: ٦٥١)، و«التيسير» (ص: ١٥٨).

(٢) قرأ حفص بالألف على الجمع، والباقون بغير ألف. انظر: «السبعة» (ص: ٦٥١)، و«التيسير» (ص: ٢١٤).

(٣) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٢٣١) من رواية عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣٦ ـ ٣٨) ـ ﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾.

قولُه تعالى: ﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ﴾؛ أي: ما لهم لا يُسرِعونَ إليك ويجلسونَ حَواليكَ ولا يَعملونَ بما تأمرُهم به؟

وقولُه: ﴿مُهْطِعِينَ﴾ نصبٌ على الحالِ.

نزلَت في جمعٍ من المنافقينَ المستهزئينَ كانُوا يحضرونَه عليه السَّلامُ ولا يؤمنونَ.

﴿قِبَلَكَ﴾؛ أي: نحوَك.

قولُه تعالى: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ﴾؛ أي: جلسُوا مِن عن يمينِكَ وشمالِكَ ﴿عِزِينَ﴾؛ أي: مُجتمِعين، وعِزونَ ـ على مثالِ عِضُون ـ: جماعاتٌ في تفرِقةٍ.

وقيلَ: هوَ من قولِك: عزا فلانٌ نفسَه إلى بني فلانٍ يَعزُوها عزواً: إذا انتمَى إليهم، والاسمُ: العِزوةُ [وكأنَّ العزوةَ كلُّ جماعةٍ اعتزاؤها واحدٌ][1].

قولُه تعالى: ﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ﴾ نزلَ في قولِهم: إن كانَ اللهُ يُعطِي أصحابَ محمَّدٍ في الآخرةِ خيراً فنحنُ أولى بذلك.

* * *

(٣٩ ـ ٤١) ـ ﴿كَلَّآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾ وهوَ الماءُ المهينُ الَّذي لا قَدْرَ له عندَ الله إلَّا إذا عَمِلَ صالحاً، فمِن أين لهم الطَّمعُ في الجنَّة؟

---

(١) انظر: «تهذيب اللغة» (٣/ ٦٣)، و«البسيط» (٢٢/ ٢٣٤) وما بين معكوفتين منهما.

وقيلَ: أي: هم مِن بني آدمَ وحكمْنا فيهم أنَّ مَن أشركَ باللهِ لا يدخلُ الجنَّةَ.

وقيلَ: كانُوا يستهزئونَ بفقرِ المسلمين ويتكبَّرونَ عليهم، فقال: ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾ من القَذَرِ، فلا يليقُ بهم هذا التَّكبُّر.

قولُه تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ﴾؛ أي: فأُقسمُ، وقد ذكرناه في مواضعَ، والمشارقُ: مشرقُ كلِّ يومٍ من السَّنةِ، والمغاربُ: مغربُ كلِّ يومٍ منها.

﴿إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ۝٤٠ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾؛ أي: نقدرُ على إهلاكِهم والذَّهابِ بهم والمجيءِ بخيرٍ منهم في الفضلِ والمالِ وغيرِهما.

﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾؛ أي: ما يَفوتُنا ما نريدُ بهم من خيرٍ وشرٍّ، ولكلِّ شيءٍ وقتٌ مُقدَّرٌ عندنا.

* * *

(٤٢) ـ ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟﴾؛ أي: اشتغِلْ بما أُمِرتَ به ولا يَعظمَنَّ عليكَ شرِكُهم وطمعُهم في الجنَّة، فإنَّما هم أصحابُ خوضٍ في الباطلِ.

﴿حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ﴾ وهوَ يومُ القيامةِ.

* * *

(٤٣) ـ ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾؛ أي: من القبورِ ﴿سِرَاعًا﴾؛ أي: متبادرين[1] إلى موضعِ الحسابِ ﴿كأنَّهم إلى نَصْبٍ يُوفِضون﴾؛ أي: كأنَّه نُصِبَ لهم علمٌ فهم يَعْدون إليه.

---

(١) في (أ): «متبالدين»، ولا معنى لها.

قُرِئَ: ﴿نَصْبٍ﴾ بفتحِ النُّون وسكونِ الصَّادِ، وهوَ كلُّ شيءٍ يُنصَبُ.

وقالَ الحسنُ: كأنَّهم يُسرِعونَ إلى أنصابِهم أيُّهم يَستلمُ أوَّلاً[١]؛ يعني: الأوثانَ.

قالَ الزَّجَّاجُ: على هذا قراءةُ مَن قرأَ ﴿نُصُبٍ﴾ بضمِّ النُّونِ والصَّادِ[٢]، وهي قراءةُ ابنِ عامرٍ وعاصمٍ[٣].

وقالَ أبو عليٍّ: يجوزُ أن يكونَ (النُّصُب) جمعَ نَصْبٍ، مثل سُقُفٍ في جمعِ سَقْفٍ، ووُرُدٍ في جمعِ وَردٍ، ويجوزُ فيه التَّثقيلُ والتَّخفيفُ مثل أُسْدٍ وأُسُدٍ في جمعِ أَسَدٍ.

قال: ويجوزُ أن يكونَ النَّصْبُ [والنُّصبُ] لُغتينِ مثل ضَعْفٍ وضُعْفٍ، والثَّقيلُ فيه ما في شُغْلٍ وشُغُلٍ، وطُنْبٍ وطُنُبٍ[٤].

وقيلَ: النَّصبُ واحدٌ، والنُّصُبُ جمعٌ، مثل رَهْنٍ ورُهُنٍ.

﴿يُوفِضُونَ﴾؛ أي: يُسرِعون.

وقالَ اللَّيثُ: وَفَضَتِ الإبلُ تفِضُ وَفضاً، واستوفَضَت، وأوْفَضَها صاحبُها[٥]، فالإيفاضُ مُتعدٍّ، والذي في الآيةِ لازمٌ، يقالُ: وَفَضَ وأوفَضَ واستوفَضَ بمعنًى.

* * *

---

(١) رواه إبراهيم الحربي في «غريب الحديث» (٢/ ٧٩٤)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٢٨٧).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٢٤)، و«البسيط» للواحدي (٢٢/ ٢٣٧).

(٣) هي قراءة ابن عامر وعاصم من رواية حفص، وباقي السبعة بفتح النون وسكون الصاد. انظر: «السبعة» (ص: ٦٥١)، و«التيسير» (ص: ٢١٤).

(٤) انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (٦/ ٣٢٣).

(٥) انظر نحوه في «العين» (٧/ ٦٦)، وانظر: «البسيط» للواحدي (٢٢/ ٢٣٧).

(٤٤) ـ ﴿خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۚ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ﴾؛ أي: لِما يتوقَّعُونه من عذابِ اللهِ قد ذلَّت أبصارُهم وانخفضَت.

﴿تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞ﴾؛ أي: تغشاهم ذِلَّةُ المذنِبين.

﴿ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ﴾؛ أي: تيقَّنوه الآنَ وإن كذَّبُوا به مِن قبلُ، وخرجَ الخبرُ بلفظِ الماضي لأنَّ ما وعدَ اللهُ تعالى يكونُ لا محالةَ.

* * *

تفسيرُ سورةِ نوحٍ عليه السَّلام

بسمِ اللّهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) ـ ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾.

قولُه تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ﴾؛ أي: أرسلناه بأَنْ أَنذِرْ قومَكَ، فنُزِعَ الخافضُ.

وقيلَ: أمرْناهُ أن أنذِرْ؛ لأنَّ في الإرسالِ معنى الأمرِ، فلا حاجةَ إلى إضمارِ الباءِ.

﴿مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾؛ أي: الطُّوفان.

وقيلَ: أي: أنذرْهم العذابَ على الجملةِ إن لم يُؤمِنوا.

* * *

(٢ ـ ٣) ـ ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ۝٢ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ﴾.

قولُه تعالى: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ﴾؛ أي: فأتاهم فـ﴿قَالَ﴾ لهم: ﴿يَٰقَوۡمِ﴾ وأضافَهم إلى نفسِه تنبيهاً على أنَّه لا يريدُ بهم إلَّا خيراً ﴿إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ﴾؛ أي: مُخوِّفٌ ﴿مُّبِينٌ﴾؛ أي: مُظهِرٌ لكم بلسانِكم الَّذي تعرفونَه ما يجبُ عليكم.

قولُه تعالى: ﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾؛ أي: إنِّي مُبينٌ لكم أن اعبدُوا اللهَ.

* * *

(٤) ـ ﴿يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرۡكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۚ لَوۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾.

﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ قيل: ﴿مِّن﴾ بمعنى: عن؛ أي: يصفحْ لكم عن ذنوبِكم.

وقيلَ: يغفرْ لكم ما سلفَ مِن ذنوبِكم، وهوَ بعضُ الذُّنوبِ، فـ﴿مِّن﴾ للتَّبعيضِ.

وقيلَ: أرادَ بالبعضِ: ما لا يتعلَّقُ بحقوقِ المخلوقين.

﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾؛ أي: إلى أجلٍ تعرفونَه، أو أجلٍ مُسمًّى عندَ اللهِ.

وقالَ ابنُ عبَّاسٍ: أي: يُنسِئُ في أعمارِكم[١]، ومعناه: أنَّ اللهَ كانَ قضى قبلَ خلقِهم أنَّهم إن آمنُوا باركَ في أعمارِهم، وإن لـم يُؤمنُوا عُوجِلوا بالعذابِ المهلِكِ، فبأيِّ الأجلينِ هلكُوا كانَ ذلك بقضاءٍ من اللهِ وقدرٍ.

وقالَ مقاتلٌ: يؤخِّرْكم إلى مُنتهَى آجالِكم في عافيةٍ، ولا يُعاقبْكم بالقَحطِ وغيرِه[٢]، والمعنى على هذا: يؤخِّركم[٣] من العقوباتِ والشَّدائدِ إلى آجالِكم.

وقالَ الزَّجَّاجُ: أي: يؤخِّركم عن العذابِ فتموتونَ غيرَ مِيتةِ المُستأصَلينَ بالعذابِ[٤].

والكلامُ في الآجالِ معروفٌ، فقد صارَ قومٌ إلى أنَّ الأجلَ واحدٌ، فمَن قُتِلَ لو لم يُقتَل لَـماتَ في تلك الحالةِ، وعلى هذا يُحتاجُ في الآيةِ إلى تأويلٍ.

وقالَ قومٌ: لو لـم يُقتَل لبقيَ، وهذا غيرُ بعيدٍ؛ لأنَّ الرَّبَّ علمَ ما كانَ وما يكونُ، وما لا يكونُ ممَّا يستحيلُ أن يكونَ، وما لا يكونُ ممَّا يجوزُ أن يكونَ، ويعلمُ أنَّ هذا الجائزَ لو كانَ كيفَ يكونُ، فيجوزُ أن يكونَ في علمِ اللهِ أنَّ هذا العبدَ لو دعا وأطاعَ

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٢٤٨) من رواية عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٤٤٩)، و«البسيط» (٢٢/ ٢٥٠)، و«تفسير القرطبي» (٢١/ ٢٥١).

(٣) بعدها في (أ): «إلى منتهى»، والتصويب من «البسيط» و«تفسير القرطبي».

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٢٨).

لبقيَ إلى مئةِ سنةٍ، ولو لم يفعلْ ذلك لبقيَ إلى خمسينَ سنة، ثمَّ يعلمُ على التَّحقيقِ ما الَّذي يقعُ من الأمرين الجائزَين، **وهذا هوَ الَّذي فسَّرنا به قولَ ابنِ عبَّاسٍ**: يُنسِئُ في أعمارِكم.

﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ﴾؛ أي: كلُّ أجَلٍ كتبَه اللهُ لعبادِه يموتونَ عندَه بضربٍ من الموتِ، فإنَّ ذلك الأجلَ إذا جاءَ لا يُؤخَّرُ؛ أي: ما وقعَ في معلومِ اللهِ أنَّه سيقعُ لا يُؤخَّرُ.

وقيلَ: إذا جاءَ الأجلُ المضروبُ للعقابِ لم يتأخَّرِ العقابُ، وهوَ الَّذي ذكرنا قبلَ هذا.

ووجهُ إضافةِ الأجَلِ إلى اللهِ أنَّه الَّذي أثبتَه، وقد يُضافُ إلى القومِ، كقولِه: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ﴾ [الأعراف: ٣٤] لأنَّه مضروبٌ لهم.

***

(٥ ـ ٦) ـ ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارًا﴾.

قولُه تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي﴾؛ أي: بلَّغَهم فعصَوه فقالَ: ربِّ إنِّي دعوتُ قومي إلى عبادتِك ﴿لَيْلًا وَنَهَارًا﴾؛ أي: سرًّا وجهراً.

وقيلَ: أي: واصلْتُ الدُّعاءَ.

﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ﴾ الدُّعاءُ ﴿إِلَّا فِرَارًا﴾؛ أي: تباعُداً من الإيمان.

***

(٧) ـ ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا﴾.

قولُه تعالى: ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ﴾؛ أي: إلى سببِ المغفرةِ، وهو الإيمانُ.

﴿جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ﴾؛ أي: يقولونَ: لا نسمعُ ما تقولُ ﴿وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ﴾ قالَ ابنُ عبَّاسٍ: جعلُوا ثيابَهم على رؤوسِهم لئلا يَسمعوا كلامِي[1]، فاستغشاءُ الثِّيابِ إذاً ليَسدُّوا آذانَهم حتَّى لا يَسمعُوا، أو لتنكيرِهم أنفسَهم حتَّى يسكتَ الدَّاعي، وليُعرِّفُوه إعراضَهم عنه.

﴿وَأَصَرُّواْ﴾؛ أي: على الكفرِ ﴿وَٱسْتَكْبَرُواْ﴾؛ أي: عن الإيمانِ.

* * *

(٨ - ١٢) - ﴿ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝٨ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۝٩ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾.

قولُه تعالى: ﴿ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا﴾؛ أي: بأعلى صوتي.

وقيلَ: أي: أظهرتُ لهم الدَّعوةَ.

قولُه تعالى: ﴿ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ﴾؛ أي: لم أُبْقِ مجهوداً.

وقيلَ: ﴿وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ﴾: أتيتُهم في منازِلِهم.

قولُه تعالى: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ﴾؛ أي: سَلُوه المغفرةَ من ذنوبِكم السَّالفةِ بإخلاصِ الإيمانِ الآن.

وقالَ مقاتلٌ: لـمَّا كذَّبوا نوحاً زماناً طويلاً حبَسَ اللهُ تعالى عنهم المطرَ، وأعقَمَ أرحامَ نسائِهم أربعين سنةً، فهلَكَت مواشيهم وزروعُهم، فصارُوا إلى نوحٍ

---

(١) ذكره عنه الواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٢٥١)، وروى سعيد بن منصور وابن المنذر كما في «الدر المنثور» (٨/ ٢٨٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما في الآية قال: «غطوا بها وجوههم لكي لا يروا نوحًا ولا يسمعوا كلامه».

واستغاثوا به، فقالَ: ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ﴾ مِن الشِّركِ، ﴿إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا﴾ لم يزل كذلك لمَن أنابَ إليه[1].

قولُه تعالى: ﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾؛ أي: يرسلْ ماءَ السَّماءِ، ففيهِ إضمارٌ.

وقيلَ: السَّماءُ: المطرُ؛ أي: يُرسلِ المطرَ.

والمدرارُ: الكثيرُ الدَّرِّ، والدَّرُّ: تَحلُّبُ الشَّيءِ حالاً بعدَ حالٍ، يُقال: دَرَّ اللَّبنُ يَدِرُّ ـ بالكسرِ ـ ويدُرُّ ـ بالضَّمِّ ـ دَرًّا ودُروراً.

قالَ ابنُ عبَّاسٍ: هوَ المطرُ لِإبَّانِه[2].

قولُه تعالى: ﴿وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ﴾؛ أي: يُتبعْ أموالَكم أموالاً غيرَها زيادةً لكم، وكذلك في الأولادِ، يُقال: أمَدَّ السُّلطانُ الجيشَ بجيشٍ آخرَ.

﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ﴾؛ أي: بساتين ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾ وكانَت قد غارَت مياهُهم ويبسَت أشجارُهم، فدعاهم إلى التَّوحيدِ ليُصيبُوا الدُّنيا والآخرة.

* * *

(١٣ ـ ١٤) ـ ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾.

قولُه تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ قيل: الرَّجاءُ بمعنى الخوفِ؛ أي: ما لكم لا تَخافون للهِ عظمةً وقدرةً على أخذِكم بالعقوبةِ؛ أي: أيُّ عُذرٍ لكم في تركِ الخوفِ من اللهِ؟

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٤٥٠).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٦٤) من قول هارون التيمي، ومعنى (لإبانه): لوقته، وعلق البخاري قبل حديث (٤٩٢٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «يتبع بعضهم بعضاً». ووصله الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٤٤٤)

وقال مجاهدٌ: أي: لا تُبالون للهِ عظمةً[١].

وقالَ قُطرُبٌ: هذه لغةٌ حجازيَّةٌ، وهذيلٌ وخُزاعةُ ومضرُ[٢] يقولون: لم أَرْجُ؛ أي: لم أُبالِ[٣].

والوقارُ: العظمةُ، والتَّوقيرُ: التَّعظيمُ.

وقيلَ: أي: ما لكم لا تَعتقدونَ أنَّ مَن وقَّرَ اللهَ فاجتنبَ معاصيَه وعملَ بطاعتِه نفعَه ذلك.

وقالَ الحسنُ: أي: ما لكم لا تَعرفون للهِ حقًّا ولا تَشكرونَه[٤].

وقيلَ: أي: ما لكم لا تُوحِّدون اللهَ؛ لأنَّ مَن عظَّمَه فقد وحَّدَه.

قولُه: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾؛ أي: وقد جعلَ لكم في أنفسِكم آيةً تدلُّ على توحيدِه.

وقولُه: ﴿أَطْوَارًا﴾؛ أي: نُطفةً ثمَّ علقةً ثمَّ مضغةً؛ أي: طَوراً بعدَ طَورٍ، والطَّورُ: التَّارةُ؛ أي: مَن فعلَ هذا وقَدَرَ عليه فهوَ حقيقٌ أن تعظِّمُوه.

وقيلَ: ﴿أَطْوَارًا﴾؛ أي: أنواعاً؛ أي: صحيحاً وسقيماً وبصيراً وضريراً وغنيًّا وفقيراً.

* * *

(١) رواه عنه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٢٩٥).
ورواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٤٧٩٠)، وأبو داود في «الزهد» (٣٤١)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٢٩٦)، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) في «الأضداد»: «ونضر».

(٣) ذكره بنحوه ابن الأنباري في «الأضداد» (ص: ١٨). وفيه: «ونضر».

(٤) رواه الدولابي في «الكنى والأسماء» (١٥٨٩)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٧/ ٣٩٠)، والماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ١٠١).

(١٥ ـ ١٦) ـ ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ۝١٥ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾.

قولُه تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾؛ أي: ألم تعلمُوا أن الَّذي قدرَ على هذا فهوَ الَّذي يجبُ أن يُعبَدَ، ومعنى الطِّباقِ: أنَّ بعضَها فوقَ بعضٍ.

﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾؛ أي: نوراً يهتدي به أهلُ الأرضِ في ليلِهم ﴿وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾؛ أي: يُضيءُ لهم في نهارِهم ليتوصَّلوا إلى التَّعرُّفِ لـمعايشِهم.

﴿فِيهِنَّ﴾؛ أي: في السَّماواتِ.

قالَ ابنُ عبَّاسٍ: وجهُه في السَّماواتِ وقفاه في الأرضِ[1].

وقيلَ: على العكسِ.

وقالَ الكلبي: ﴿فِيهِنَّ﴾؛ أي: معهنَّ[2]؛ أي: خلقَ القمرَ والشَّمسَ مع خلقِ السَّماواتِ.

وقالَ الأخفشُ: هذا على التَّجوُّزِ، كما يُقال: أتيتُ بني تميمٍ، وإنَّما أتيتَ بعضَهم، والقمرُ نورٌ في السَّماءِ الدُّنيا[3]، وعلى هذا أُقيمَ البعضُ مقامَ الكلِّ، كما يُقال: خرجَ إلى البصرةِ على البغالِ، وركبَ إلى بغدادَ في السُّفنِ، وهذا لأنَّ الكلَّ كالشَّيءِ الواحدِ في هذه الأشياءِ.

وقيلَ: حُذفَ المضافُ؛ أي: وجعلَ القمرَ في بعضِهنَّ؛ أي: في إحداهنَّ.

* * *

---

(١) رواه أبو الشيخ في «العظمة» (٦١٤)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٥٤٥).

(٢) ذكره عنه ابن أبي زمين في في «تفسيره» (٥/ ٤١)، والواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٢٥٩).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٥٥٠).

(١٧ ـ ١٨) ـ ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ۝١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾.

قولُه تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا﴾؛ أي: خلقَ آدمَ من ترابٍ، والمصدرُ: الإنباتُ، فجعلَ الاسمَ الَّذي هوَ النَّباتُ في موضعِ المصدرِ.

وقالَ الزَّجَّاجُ: هوَ على المعنى؛ لأنَّ معنى ﴿أَنۢبَتَكُم﴾: [جعلَكم] تَنبتونَ نباتاً[1].

وقيلَ: أي: أنبتَ لكم من الأرضِ النَّباتَ.

قولُه تعالى: ﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا﴾؛ أي: يُميتُكم فتُدفنون في الأرضِ، ثمَّ يخرجُكم منها للحسابِ.

***

(١٩ ـ ٢٠) ـ ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ۝١٩ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾.

قولُه تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا﴾؛ أي: كالبساطِ المفروشِ تستقرُّون عليها ﴿لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾؛ أي: في طُرقٍ قد وسَّعَها اللهُ لكم، والفِجاجُ: جمعُ فَجٍّ، وهوَ الطَّريقُ الواسعُ، وقالَ في موضعٍ آخرَ: ﴿فِجَاجًا سُبُلًا﴾ [الأنبياء: ٣١]، وهاهنا: ﴿سُبُلًا فِجَاجًا﴾، والعربُ قد تُتبعُ أحدَ الاسمينِ الآخرَ.

***

(٢١) ـ ﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا﴾.

قولُه تعالى: ﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى﴾؛ أي: امتنعُوا عن إجابتي إلى ما دعوتُهم إليه من التَّوحيدِ ﴿وَٱتَّبَعُوا۟﴾ كُبراءَهم وأغنياءَهم الذين لم يزدْهم كفرُهم وأموالُهم وأولادُهم ﴿إِلَّا ضَلَٰلًا﴾ في الدُّنيا وعقاباً.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٣٠)، وما بين معكوفتين منه.

قُرِئَ: ﴿وَوَلَدُهُۥ﴾ و: ﴿ووُلْدُه﴾ بضمِّ الواوِ[1]، وهوَ لغةٌ في (الوَلِدِ)، ويجوزُ أن يكونَ جَمعاً للوَلَدِ، أو للوُلْدِ، كالفُلكِ فإنَّه واحدٌ وجَمعٌ.

* * *

(٢٢) - ﴿وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا كُبَّارٗا﴾.

قولُه تعالى: ﴿وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا كُبَّارٗا﴾ هو تغريرُهم النَّاسَ بما أُوتُوا مِن الدُّنيا والولدِ، حتَّى قالَت الضَّعفةُ: لو لا أنَّهم على الحقِّ لَما أُوتُوا هذه النِّعَمَ.

وقيلَ: مكرُهم كفرُهم.

* * *

(٢٣) - ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا ﴾.

قولُه تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ﴾؛ أي: قالُوا لأتباعِهم: الْزَمُوا ما أنتم عليه من عبادةِ الأوثانِ، ولو صدقَ نوحٌ لَـمَا كانَ مَن يعبدُ ربَّ نوحٍ فقيراً مَهيناً.

﴿وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا﴾ خصَّصَها بالذِّكرِ، كقولِه: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ﴾ [الأحزاب: ٧]، وهذه أسماءُ آلهتِهم، ثمَّ عبدَتها العربُ، فكانَ ودٌّ لكلبٍ بدومةَ الجندلِ، وكانَ سواعٌ لهذيلٍ، ويغوثُ لبني غُطَيفٍ من مُرادٍ، ويَعوقُ لهَمْدانَ، ونسرٌ لذي الكُلاعِ من حِمير[2].

---

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي بضم الواو وإسكان اللام، والباقون بفتح الواو واللاَّم. انظر: «السبعة» (ص: ٦٥٢)، و«التيسير» (ص: ٢١٥).

(٢) رواه البخاري (٤٩٢٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما وزاد: أسماءُ رجال صالحين من قوم نوح، فلما هَلَكوا أَوْحى الشيطانُ إلى قومهم أنِ انْصِبُوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابًا وسَمُّوها بأسمائهم، ففعلوا، فلم تُعبدْ، حتى إذا هَلَك أولئك وتَنَسَّخ العلمُ عُبدت.

قالَ ابنُ عبَّاسٍ: إنَّها صارَت مدفونةً وقتَ الطُّوفانِ، ثمَّ أخرجَها الشَّيطانُ لمُشركي العربِ[١].

وقالَ محمَّدُ بنُ كعبٍ: هذه أسماءُ قومٍ كانُوا صالحينَ بينَ آدمَ ونوحٍ، فنشأ قومٌ بعدَهم، وأخذُوا أخذَهم في العبادةِ، فقالَ لهم إبليسُ: لـو صوَّرتُم صُورَهم كانَ أشوقَ لكم إلى العبادةِ. ففعلُوا، ثمَّ نشأ قومٌ بعدَهم فقالَ لهم إبليسُ: إنَّ الذين مِن قبلِكم كانُوا يعبدونهم. فابتدأ عبادةُ الأوثانِ من ذلك الوقتِ[٢].

قُرِئَ: ﴿وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا﴾ بفتحِ الواوِ[٣].

وقالَ الليثُ: وَدٌّ ـ بفتحِ الواوِ ـ صنمٌ كانَ لقومِ نوحٍ، ووُدٌّ ـ بالضَّمِّ ـ: صنمٌ لقريشٍ، وبه سُمِّيَ عَمرُو بنُ عبدِ وُدٍّ[٤].

***

(٢٤) ـ ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾.

قولُه تعالى: ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا﴾؛ أي: أضلَّ كبراؤُهم كثيراً، فهوَ عطفٌ على قولِه: ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا﴾ [نوح: ٢٢].

وقيلَ: أي: الأصنامُ أضلُّوا كثيراً؛ أي: ضلَّ بسببِها كثيرٌ، وأجْرَى عليهم وصفَ ما يعقلُ لاعتقادِ الكفَّارِ فيهم ذلك.

﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ﴾؛ أي: المشركين ﴿إِلَّا ضَلَالًا﴾: خُسراناً وكُفراً، وإنَّما دعا

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٧/ ٣٩٩).

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٧/ ٣٩٧) مطولًا.

(٣) قرأ نافع بضم الواو، والباقون بفتح الواو. انظر: «السبعة» (ص: ٦٥٣)، و«التيسير» (ص: ٢١٥).

(٤) انظر: «العين» (٨/ ١٠٠)، وذكره عنه الواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٢٦٩).

عليهم لأنَّ اللهَ أعلمَه أنَّهم لا يَؤمنون، كما قالَ: ﴿أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾ [هود: ٣٦].

وقيلَ: ﴿إِلَّا ضَلَٰلًا﴾؛ أي: إلَّا ذهاباً عن طريقِ الجنَّةِ والثَّوابِ.

* * *

(٢٥) - ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا﴾.

قولُه تعالى: ﴿ممَّا خَطَايَاهُم أُغرِقُوا﴾؛ أي: بسببِ إصرارِهم على الكفرِ أُغرِقوا، ثمَّ أُحرِقوا بالنّارِ عقيبَ الإغراقِ، وهذا يدلُّ على عذابِ القبرِ، ومُنكِروه يقولون: صاروا مُستحقِّينَ دخولَ النّارِ، أو عرضَ عليهم أماكنُهم من النّارِ، كما قالَ: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾.

وقيلَ: إشارةٌ إلى ما في الخبرِ مِن قولِه: «البحرُ نارٌ في نارٍ»[1].

و(ما) صلةٌ؛ أي: مِن خطاياهم أُغرِقوا، وقُرِئَ: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ﴾[2].

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٥/ ١٥)، والماوردي في «الحاوي الكبير» (١/ ٤٠)، دون نسبة ولا سند. وروى أبو داود (٢٤٨٩) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يركب البحر إلا حاج أو معتمر أو غاز في سبيل الله، فإن تحت البحر نارًا، وتحت النار بحرًا».
قال ابن عبد البر في «التمهيد» (١/ ٢٤٠): «وهو حديث ضعيف مظلم الإسناد لا يصححه أهل العلم بالحديث لأن رواته مجهولون لا يعرفون وحديث أم حرام هذا يرده» يعني حديث: «المائد في البحر الذي يصيبه القيء له أجر شهيد والغَرِق له أجر شهيدين».
قال الخطابي في «معالم السنن» (٢/ ٢٣٨) في شرح حديث عبد الله بن عمرو: هذا تفخيم لأمر البحر وتهويل لشأنه، وأن الآفة تسرع إلى راكبه، ولا يؤمن هلاكه في غالب الأمر، كما لا يؤمن الهلاك من النار لمن لابسها ودنا منها، وهذا في معرض التخييل والتمثيل.

(٢) قرأ أبو عمرو: (خطاياهم) مثل قضاياهم، وباقي السبعة: ﴿خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ﴾. انظر: «السبعة» (ص: ٦٥٣)، و«التيسير» (ص: ٢١٥).

﴿فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم﴾؛ أي: لأنفسِهم ناصراً؛ أي: مَن يدفعُ عنهم العذابَ.

***

(٢٦ - ٢٧) - ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا (٢٦) إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾.

قولُه تعالى: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ﴾ هذا بعدَ أن أخبرَه اللهُ بأنَّهم لا يؤمنون.

﴿دَيَّارًا﴾؛ أي: خلقاً، وهوَ فَيْعَالٌ مِن الدَّورانِ، وأصلُه: دَيْوارٌ، فقُلِبَتِ الواوُ ياءً وأُدغِمَت إحداهما في الأخرى، يُقال: ما بالدارِ ديَّارٌ؛ أي: أحدٌ.

وقيلَ: الدَّيَّارُ: صاحبُ الدَّارِ.

قولُه تعالى: ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ﴾ لأنَّهم كانُوا يقولونَ لأبنائِهم: احذرُوا هذا الكذَّابَ لا تغترُّوا بعدَنا بقولِه، وقد أوصانا آباؤُنا بمثلِ هذا.

﴿وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ قطَعَ بذلك؛ لأنَّ اللهَ أخبرَه بذلك.

***

(٢٨) - ﴿رَّبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾.

قولُه تعالى: ﴿رَّبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ﴾ دعا لنفسِه ولوالديه وللمؤمنينَ ﴿وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا﴾؛ أي: مَسجدي ومُصلَّايَ مُصلِّياً مُصدِّقاً باللهِ، وكانَ إنَّما يدخلُ بيوتَ الأنبياءِ مَن آمنَ بهم، وكانَ أبواه مؤمنين، وهما لمكُ بنُ متوشلخ وشمخا بنتُ أنُوش.

قالَ الكلبيُّ: كانَ بينه وبينَ آدمَ عشرةُ آباءٍ كلُّهم مؤمنٌ(١).

وقالَ ابنُ عبَّاسٍ: أي: ولمن دخلَ في دِيني مؤمناً(٢)، فالبيتُ بمعنى: الدِّينِ.

﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾؛ أي: هلاكاً ودماراً، والتَّبارُ: الهلاكُ، ومنه: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ﴾ [الأعراف: ١٣٩]، قيل: أرادَ جميعَ المشركين. وقيلَ: مشركي قومِه.

ورُويَ: أنَّ اللهَ تعالى أعقمَ أرحامَ نساءِ قومِ نوحٍ قبلَ الغرقِ بأربعينَ عاماً، فلم يَكن فيمَن هلكَ إلَّا كافرٌ(٣).

* * *

---

(١) ذكره عنه الواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٢٧٥).

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٢٧٥) من رواية عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٧/ ٤٠٩)، والواحدي في «البسيط» (١١/ ٤٣١)، واعترضه أبو حيان في «البحر» (٢٠/ ٥٤٢) بقوله: وهذا لا يظهر لأنه قال: ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ﴾ الآية، فقوله: ﴿وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ يدل على أنه لم يعقم أرحام نسائهم.

تفسيرُ سورةِ الجنِّ

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) ـ ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾.

قولُه تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾؛ أي: قلْ يا محمَّدُ لأمَّتِك: أوحَى اللهُ إليَّ على لسانِ جبريلَ أنَّه استمعَ إليَّ نفرٌ من الجنِّ، وما كانَ عليه السَّلامُ عالماً به قبلَ إذ أوحيَ إليه، هكذا قالَ ابنُ عبَّاس، قال: ما مرَّ رسولُ اللهِ عليه السَّلامُ إلى الجنِّ ولا رآهم، ولكنَّه انطلقَ في طائفةٍ من أصحابِه إلى سوقِ عكاظٍ وقد حِيلَ بينَ الشَّياطينِ وبينَ خبرِ السَّماء، وأُرسلَت عليهم الشُّهبُ، فرجعَت الشَّياطينُ إلى قومِهم، وقالوا: حِيلَ بيننا وبينَ خبرِ السَّماءِ وأُرسلَت علينا الشُّهبُ. فقالوا: ما حِيلَ بيننا وبينَ خبرِ السَّماءِ إلَّا مِن حَدَثٍ، فاضربوا مشارقَ الأرضِ ومغاربَها فانظروا ما هذا الَّذي حالَ بيننا وبينه؟! فانطلقوا، فانصرفَ أولئك النَّفرُ الَّذينَ توجَّهوا نحوَ تهامةَ إلى رسولِ اللهِ عليه السَّلام وهو بنخلةَ عامداً إلى سوقِ عكاظٍ وهوَ يُصلِّي بأصحابِه صلاةَ الفجرِ، فلمَّا سمعُوا القرآنَ استمعُوا له، فقالوا: واللهِ هذا الَّذي حالَ بيننا وبينَ خبرِ السَّماءِ. فهناك رجعُوا إلى قومِهم فقالوا: يا قومَنا إنَّا سمعنا قرآناً عجباً يهدي إلى الرُّشدِ فآمنَّا به، وأنزلَ اللهُ هذه السُّورة[1].

وفي هذا دليلٌ على أنَّه عليه السَّلامُ لـم يرَ الجنَّ، ولكن حضَرُوه وسمعُوا قرآنَه، **وفيه دليلٌ** على أنَّ الجنَّ كانُوا مع الشَّياطينِ حتَّى تجسَّسوا الخبرَ بسببِ الشَّياطينِ لمَّا

---

(١) رواه مسلم (٤٤٩)، ورواه البخاري (٧٧٣) دون قوله: «ما قرأ رسول الله ﷺ على الجن وما رآهم».

رُمُوا بالشُّهب، وكانَ المرميُّون بالشُّهبِ من الجنِّ أيضاً، وقيلَ لهم: شياطينُ، كما قال: ﴿شَيَـٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾، فإنَّ الشَّيطانَ كلُّ متمرِّدٍ عن طاعةِ الله.

وروى عاصمٌ عن زرٍّ قال: قدمَ رهطُ زوبعةَ وأصحابُه مكَّةَ على النَّبيِّ عليه السَّلام. وقيلَ: كانُوا تسعةً، منهم زوبعةُ، فسمعوا قراءةَ النَّبيِّ عليه السَّلامُ، ثمَّ انصرفوا، فذلك قولُه: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾[(١)].

وقالَ ابـنُ مسعودٍ: أُمِرَ النَّبيُّ عليه السَّلامُ بالمسيرِ إليهم قَصداً لقراءةِ القرآنِ عليهم[(٢)].

وعلى هذا يحتملُ أنَّه لـم يرهم بل سمعُوا قراءته.

وقد قيل: إنَّ الجنَّ أتَوا النَّبيَّ عليه السَّلامُ دفعتين: إحداهما بمكَّةَ فهي الَّتي ذكرها ابنُ مسعود، والثَّانية بنخلةَ فهي الَّتي ذكرها ابنُ عبَّاسٍ.

ورُويَ عن ابنِ مسعودٍ: أنَّ النَّبيَّ عليه السَّلامُ قال: «قد أُمِرتُ أن أتلوَ القرآنَ على الجنِّ، فمَن يذهبُ معي؟» فسكتوا، ثمَّ قالَ الثَّانيةَ فسكتوا، ثمَّ قالَ الثَّالثة فقالَ عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ: أنا أذهبُ معكَ يا رسولَ اللهِ، فانطلقَ حتَّى إذا جاءَ الحجُونَ عندَ

---

(١) رواه بنحوه البزار في «مسنده» (١٨٤٦). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٠٦): رواه البزار ورجاله ثقات. ورواه الحاكم في «المستدرك» (٣٧٠١) من طريق عاصم عن زر عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. وعزاه الحافظ في «الإصابة» (٢/ ٥٨١) للحاكم ولابن أبي شيبة وأحمد بن منيع في مسنديهما، وقال: إسناده جيد.

وذكر الدارقطني في «العلل» (٥/ ٥٤) الخلاف في وصله وقطعه، فرواه عن عاصم عن زر، وعن عاصم عن زر عن ابن مسعود، ولم يرجح بينهما. وجاء في أكثر المصادر: (سبعة) بدل (تسعة).

(٢) رواه الفاكهي في «أخبار مكة» (٢٣١٩)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٩٩٦٢). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٣١٤): «رواه الطبراني، وفيه أبو زيد وقيس بن الربيع أيضاً وقد ضعفه جماعة». ورواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ١٦٦) عن قتادة مرسلاً.

شِعبِ أبي دُبٍّ خطَّ عليَّ خطّاً وقال: «لا تُجاوِزْه»، ثمَّ مضى إلى الحجُونِ، فانحدرُوا عليه أمثالَ الحَجَلِ يَحدرونَ الحجارةَ بأقدامِهم، يمشونَ يقرعونَ في دفوفِهم كما تقرعُ النِّسوةُ في دفوفِها حتَّى غشَوه فلا أراه، فقمْتُ، وأومأ بيدِه إليَّ أن أجلِسَ، فتلا القرآنَ فلم يزل صوتُه يرتفعُ، ولصقوا بالأرضِ حتَّى ما أراهم، فلمَّا انفتلَ إليَّ قال: «أردتَ أن تأتِيَني؟» قلتُ: نعم يا رسولَ اللهِ، قال: «ما كانَ ذلك لكَ، هؤلاءِ الجنُّ أتَوا يستمعونَ القرآنَ، ثمَّ ولَّوا إلى قومِهم مُنذرينَ، فسألوني الزَّادَ فزوَّدتُهم العظمَ والبعرَ، فلا يَستطِيبنَّ أحدٌ بعظمٍ ولا بعرٍ»[1].

---

(١) رواه الفاكهي في «أخبار مكة» (٢٣١٩) من طريق ابن جريج قال: أخبرني مخبر عن أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. وإسناده ضعيف لإبهام الراوي عن أبي عبيدة، كما أن أبا عبيدة لم يسمع من أبيه.

وحديث خروج ابن مسعود مع النبي ﷺ ليلة الجن وما خط عليه من الخط رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤٣٨١)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٩٩٦٢). وإسناده ضعيف لجهالة أبي زيد مولى عمرو بن حريث المخزومي. وانظر: «الدراية في تخريج الهداية» لابن حجر (١/ ٦٦).

ورواه الإمام أحمد أيضاً من طريق آخر (٣٧٨٨)، ورواه من طريق ثالث الطبري في «تفسيره» (٢١/ ١٦٧)، وله روايات أخر تنظر في حواشي «المسند» ولا يخلو كل منها من مقال، وهي تخالف ما صح عند مسلم (٤٥٠) من حديث ابن مسعود أنه لم يكن مع النبي ﷺ ليلة الجن، وأنه قال: لم أكن ليلة الجن مع رسول الله ﷺ، ووددت أني كنت معه. وفي رواية: قال علقمةُ: أنا سألتُ ابنَ مسعودٍ فقلتُ: هل شَهِدَ أحدٌ منكم مع رسولِ الله ﷺ ليلةَ الجنِّ؟ قال: لا... الحديث.

قال العيني في «عمدة القاري» (٣/ ١٨٠): «يجوز أن يكون صحبه في بعض الليل واستوقفه في الباقي ثم عاد إليه، فصح أنه لم يكن معه عند الجن، لا نفس الخروج، وقد قيل: إن ليلة الجن كانت مرتين. ففي أول مرة خرج إليهم لم يكن مع النبي ﷺ ابن مسعود ولا غيره، كما هو ظاهر حديث مسلم، ثم بعد ذلك خرج إليهم وهو معه ليلة أخرى، كما روى أبو حاتم في «تفسيره» في أول سورة الجن».

وقال ابن كثير: وقد يحتمل أن يكون أول مرة خرج إليهم لم يكن معه ﷺ ابن مسعود رضي الله عنه ولا غيره، كما هو ظاهر سياق رواية مسلم، ثم بعد ذلك خرج معه ليلة أخرى.

وفي روايةٍ: انطلقَ النَّبيُّ عليه السَّلامُ حتَّى إذا جِئنا المسجدَ الَّذي عندَ حائطِ عوفٍ خطَّ لي خطّاً، فأتاه نفرٌ منهم، فقالَ أصحابُنا: كأنَّهم رجالُ الزُّطِّ[1]، وكأنَّ وجوهَهم المكَاكيُّ[2]. فقالوا: ما أنتَ؟ قال: «أنا نبيُّ اللهِ»، قالوا: فمَن يشهدُ لكَ على ذلك؟ قال: «هذه الشَّجرةُ، تعالَي يا شجرةُ»، فجاءَت تجرُّ عروقَها لها قعاقِعُ حتَّى انتصبَت بينَ يديه فقال: «على ماذا تشهدينَ لي؟» قالَت: أشهدُ أنَّكَ رسولُ اللهِ، قال: «اذهبي»، فرجَعَت كما جاءَت تجرُّ بعروقِها الحجارةَ لها قعاقعُ حتَّى عادَت حيثُ كانَت[3].

ثمَّ رُويَ أنَّه عليه السَّلامُ لمَّا فرغَ وضَعَ رأسَه على حِجرِ ابنِ مسعودٍ فرقَدَ، ثمَّ استيقظَ فقال: «هل مِن وَضوءٍ» فقال: لا، فقال: إلَّا أنَّ معي إداوةً فيها نبيذٌ، فقال: «هل هوَ إلَّا تمرٌ وماءٌ» فتوضَّأ منه[4].

---

(١) الزط، بالضم: جيل من الناس، كما في «الصحاح» وقد جاء ذكره في البخاري في صفة موسى عليه السلام: كأنه من رجال الزط. واختلف فيهم، فقيل: هم السبابجة: قوم من السند بالبصرة.
وقال القاضي عياض: هم جنس من السودان طوال، ومثله في «التوشيح» للجلال، وزاد: مع نحافة.
ونقل الأزهري عن الليث أنهم جيل من الهند إليهم تنسب الثياب الزطية، قال: وهو معرَّب جت ـ بالفتح ـ بالهندية. قال الصاغاني: أما الليث فلم يقل في كتابه هذا، وأما «جت» بالهندية فصحيح بفتح الجيم، وكذلك هو مضبوط في نسخة صححها الأزهري، وعليها خطه بفتح الجيم، فتح معربه أيضاً، وفي «الصحاح»: الواحد: زطي، كالروم والرومي والزنجي، وقال ابن دريد: الزط هذا الجيل، وليس بعربي محض، وقد تكلمت به العرب. انظر: «تاج العروس» (مادة: زطط).

(٢) قوله: «المكاكي» لعله أراد به جمع المكوك وهو نوع من المكاييل شبه وجوههم به، لكن جاء في «المذكر والمؤنث» لابن الأنباري (١/ ٥٤٣) منع المكاكي فقال: «والمكوك: مذكر، وجمعه: مكاكيك، ولا يقال في جمعه: مكاكي، إنما المكاكي جمع المكاء، والمكاء: طائر».

(٣) رواه الفاكهي في «أخبار مكة» (٤/ ٢٣) عقب الخبر السابق فقال: قال ابن جريج في حديثه هذا: وأما مجاهد فقال: قال عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه: «فانطلق بي النبي ﷺ... » الحديث.

(٤) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤٢٩٦)، وأبو داود (٨٤)، والترمذي (٨٨)، وابن ماجه (٣٨٤)، =

وقيلَ: الجنُّ الَّذينَ أَتَوه بمكَّةَ جنُّ نَصيبين، والذينَ أتَوه بنخلةَ جنُّ نينوى.

وقيلَ: إنَّه استمعَ إليه النَّفرُ الَّذينَ كانُوا يتجسَّسُون الأخبارَ، ثمَّ حيلَ بينهم وبينَ السَّماءِ، فأخبرُوا قومَهم، وأتوا سبعين، وكانوا من جنِّ نَصيبين، فاستمعُوا قراءتَه وآمنُوا كما قالَ اللهُ: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الأحقاف: ٢٩]، ثمَّ أُمرَ بالخروجِ إليهم كما روى ابنُ مسعودٍ.

والإيحاءُ: إلقاءُ المعنى إلى النَّفسِ في خَفاءٍ كالإلهامِ وإنزالِ الملَكِ، ويكونُ ذلك في سرعةٍ، مِن قولِهم: الوَحَا الوَحَا[1].

﴿أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ﴾ بفتحِ الألفِ، وموضعُها رفعٌ، كقولِه: ﴿وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ﴾ [هود: ٣٦].

= من طريق أبي زيد عن ابن مسعود قال: لما كان ليلة الجن تخلف منهم رجلان وقالا: نشهد الفجر معك يا رسول الله فقال لي النبي ﷺ: «أمعك ماء؟» قلت: ليس معي ماء، ولكن معي إداوة فيها نبيذ، فقال النبي ﷺ: «تمرة طيبة، وماء طهور» فتوضأ.

قال الترمذي: «وإنما روي هذا الحديث عن أبي زيد، عن عبد الله، عن النبي ﷺ، وأبو زيد رجل مجهول عند أهل الحديث لا تعرف له رواية غير هذا الحديث، وقد رأى بعض أهل العلم الوضوء بالنبيذ منهم: سفيان، وغيره، وقال بعض أهل العلم: لا يتوضأ بالنبيذ، وهو قول الشافعي، وأحمد، وإسحاق، وقال إسحاق: «إن ابتلي رجل بهذا فتوضأ بالنبيذ وتيمم أحب إلي»، وقول من يقول: لا يتوضأ بالنبيذ، أقرب إلى الكتاب وأشبه، لأن الله تعالى قال: ﴿فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ [النساء: ٤٣]».

وقال ابن حجر في «فتح الباري» (١/ ٣٥٤): هذا الحديث أطبق علماء السلف على تضعيفه، وقيل على تقدير صحته: إنه منسوخ لأن ذلك كان بمكة ونزول قوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟﴾ إنما كان بالمدينة بلا خلاف، أو هو محمول على ماء ألقيت فيه تمرات يابسة لم تغير له وصفًا، وإنما كانوا يصنعون ذلك لأن غالب مياههم لم تكن حلوة.

(١) الوحا الوحا؛ أي: العجل العجل. انظر: «مجمع الأمثال» للميداني (٢/ ٣٨٠).

والنَّفرُ: الرَّهطُ. وقالَ الخليلُ: ما بينَ ثلاثةٍ إلى عشرةٍ[1].

﴿فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا﴾ بكسرِ الألفِ لأنَّه حكايةُ قولِ الجنِّ.

﴿قُرۡءَانًا عَجَبٗا﴾؛ أي: قرآناً ذا عجَبٍ، تعجَّبوا منه لبلاغتِه.

وقيلَ: قرآناً عربيًّا لا يُوجَدُ مثلُه.

***

(٢) - ﴿يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدٗا﴾.

قولُه تعالى: ﴿يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ﴾؛ أي: إلى الإيمانِ باللهِ ﴿فَـَٔامَنَّا بِهِۦ﴾؛ أي: فاهتدينا به، وصدَّقْنا أنَّه من عندِ اللهِ ﴿وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدٗا﴾؛ أي: لا نرجعُ إلى إبليسَ ولا نطيعُه؛ لأنَّه كانَ الَّذي بعثَهم ليأتُوه بالخبرِ الَّذي له رُميَ الجنُّ بالشُّهبِ.

وقيلَ: لا نتَّخذُ مع اللهِ إلهاً آخرَ؛ لأنَّه المنفردُ بالرُّبوبيَّةِ.

وفي هذا تعجيبُ المؤمنين بذهابِ مشركي قريشٍ عمَّا أدركَتْه الجنُّ بتدبُّرِها للقرآنِ.

وقولُه: ﴿ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ﴾؛ أي: استمعُوا إلى النَّبيِّ عليه السَّلامُ فعلمُوا أنَّ ما يقرؤُه كلامُ اللهِ، ولم يُذكَرِ المستمَعُ إليه لدلالةِ الحالِ عليه.

***

(٣) - ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةٗ وَلَا وَلَدٗا﴾.

قولُه تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾ قُرِئَ: ﴿وإنَّه﴾ بالكسرِ عطفاً على قولِه: ﴿إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا﴾، وقُرِئَ: ﴿وَأَنَّهُۥ﴾[2]،..................................

---

(١) انظر: «العين» (٨/ ٢٦٧).

(٢) قرأ ابن عامر وحفص وحمزة والكسائي بفتح الهمزة من ﴿وأنه﴾ ﴿وأنا﴾ ﴿وأنهم﴾ من قوله =

وهوَ ردٌّ على قولِه: ﴿فَـَٔامَنَّا بِهِۦ﴾؛ أي: وأنَّه تعالى جدُّ ربِّنا[١].

وقيلَ: أي: وصدَّقنا أنَّه تعالى جدُّ ربِّنا.

﴿مَا ٱتَّخَذَ صَـٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾؛ لأنَّ الصَّاحبةَ تُتَّخذُ للحاجةِ إليها، والولدَ للتَّكثُّرِ به والاستئناسِ، والرَّبُّ تعالى عنه كما تعالى عن الأندادِ.

والجَدُّ: العظمةُ.

قال أنس: كانَ الرَّجلُ إذا حفظَ البقرةَ وآلَ عمرانَ جدَّ فينا[٢]؛ أي: جَلَّ وعَظُمَ في عيونِنا.

وقيلَ: الجدُّ بمعنى: الحظِّ والغِنى، ومنه: «ولا ينفعُ ذا الجدِّ منك الجدُّ»[٣]، قالَ أبو عُبيدٍ والخليلُ: أي: ذا الغِنى منك الغِنى، إنَّما تنفعُه الطَّاعةُ[٤].

= تعالى: ﴿وأنه تعالى جد ربنا﴾ إلى قوله: ﴿وأنا منا المسلمون﴾ في ابتداء كل آية والباقون بكسرها. انظر: «السبعة» (ص: ٦٥٦)، و«التيسير» (١/ ٢١٥).

(١) المعنى: فآمنا به وبأنه تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا، وكذلك ما بعده، كذا نقله الزجاج في «معاني القرآن» (٥/ ٢٣٤) عن بعض النحويين، ثم تعقبه بقوله: «وهذا رديء في القياس؛ لا يعطف على الهاء المكنية المحفوضة إلا بإظهار الخافض، ولكن وجهه أن يكون محمولًا على معنى (آمناً به)، لأن معنى آمنا به: صدقناه وعلمناه، ويكون المعنى: وصدقنا أنه تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا». ونقل كلام الزجاج الواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٢٨٣)، وأقره عليه، **والظاهر أن المصنف لم يعبأ بردهما، فقدم هذا القول، ثم أخر ما استحسناه وقدم له بـ«قيل»**، وقد تقدم عند تفسير قوله تعالى: ﴿والأرحامِ﴾ بالكسر على قراءة حمزة الكلام في مسألة جواز العطف دون إعادة الخافض، **وللمصنف ثمة كلام حسن في الرد على من ضعَّف تلك القراءة واستقبَحَ العطف على الضمير دون إعادة الجار ومنهم الزجاج.**

(٢) قطعة من حديث رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٢٢١٥).

(٣) قطعة من حديث رواه البخاري (٨٤٤)، ومسلم (٥٩٣)، عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه.

(٤) انظر: «غريب الحديث» لأبي عبيد (١/ ٢٥٧) (مادة: جدد)، وفي «العين» (٦/ ٧): «وجد ربنا: عَظَمتُه، ويقال: غِناه».

ويجوزُ إطلاقُ لفظِ (الجدِّ) في حقِّ اللهِ تعالى؛ إذ لو لـم يجز لَما ذُكِرَ في القرآنِ، غيرَ أنَّه لفظٌ مُوهِمٌ، فتجنُّبُه أولى.

***

(٤) ـ ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا﴾.

قولُه تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا﴾؛ أي: المشركون من الجنِّ.

وقيلَ: أي: إبليس، والسَّفَهُ: خفَّةُ العقلِ.

﴿شَطَطًا﴾؛ أي: قولاً جائراً عن الحقِّ، وهوَ أنَّه لا بعثَ، وأنَّ للهِ شريكاً وصاحبةً وأولاداً.

***

(٥) ـ ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾.

قولُه تعالى: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾؛ أي: ظنَّنا أنَّ إبليسَ وغيرَه من الجنِّ والإنسِ لا يَجترِئونَ على الكذبِ على اللهِ، وظنَّنا أنَّ سفيهَنا صادقٌ فيما كانَ يكذبُ على اللهِ إلى أن سمعْنا القرآنَ، والظَّنُّ هاهنا: التَّوهُّمُ.

وقُرِئَ: ﴿أن لَن تَقَوَّلَ﴾ مُشدَّدةً[1]؛ أي: لن تتقوَّل.

***

(٦) ـ ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾.

قولُه تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾ قيل: هذا من قولِ اللهِ، وليس إخباراً عن الجنِّ، فمَن فتحَ فإنَّه حملَها على ﴿أُوحِيَ﴾، ومَن كسرَ جعلَها مبتدأةً من اللهِ.

---

(١) قرأ بها يعقوب من العشرة. انظر: «النشر» (٢/ ٣٩٢).

﴿يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ كانَت العربُ في الجاهليَّةِ إذا سافرَ الرَّجلُ منهم فأمسى في قفرٍ من الأرضِ قال: أعوذُ بسيِّدِ هذا الوادي ـ أو: بعزيزِ هذا المكانِ ـ مِن شرِّ سُفهاءِ قومِه. فيَبيتُ في جوارٍ منهم حتَّى يصبحَ.

﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ الرَّهَقُ: السَّفَهُ والطُّغيانُ والظُّلمُ، وأصلُه: غشيانُ الشَّيء، يُقالُ: في فلانٍ رَهَقٌ؛ أي: يَغشَى المحارمَ، ومنه: ﴿وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ﴾ [يونس: ٢٦]، والمعنى: زادُوهم إثماً، فقالُوا: سُدنا الإنسَ والجنَّ.

ويجوزُ أن يكونَ المعنى: زادَتِ الجنُّ الإنسَ ظلماً؛ أي: لـمَّا تعوَّذُوا بهم، استذلُّوهم واجترَؤوا عليهم ودَعَوهم إلى الشِّركِ.

وقيلَ: زادَ الجنُّ الإنسَ إثماً في دينِهم، فكفرُوا وظنُّوا أنَّه تحصَّلَ لهم أمانٌ من جهةِ الجنِّ، والاستعاذةُ بالجنِّ دونَ الاستعاذةِ باللهِ شركٌ، وأُضيفَت الزِّيادةُ إلى الجنِّ إذ كانُوا سبباً لها.

وقيلَ: لا ينطلقُ لفظُ (الرِّجال) على الجنِّ، فالمعنى: أنَّه كانَ رجالٌ من الإنسِ يعوذُونَ من شرِّ الجنِّ برجالٍ من الإنسِ، وكانَ الرَّجلُ من الإنسِ يقولُ مثلاً: أعوذُ بحذيفةَ بنِ بدرٍ مِن جنِّ هذا الوادي.

وفي هذا تَحكُّمٌ؛ إذ لا يَبعُدُ إطلاقُ لفظِ (الرِّجالِ) على الجنِّ.

ويحتملُ أن يكونَ قولُه: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ﴾ إخباراً عن قولِ الجنِّ.

* * *

(٧) ـ ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا﴾.

قولُه تعالى: ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ﴾ قيل: هوَ من قولِ الله، والكلامُ في فتحِ ﴿أنهم﴾ وكسرِها كما سبقَ، ويحتملُ أن يكونَ إخباراً عن قولِ الجنِّ؛ أي: أنَّ هؤلاءِ الجنَّ ظنُّوا كما ظننتُم معاشرَ الإنسِ ـ أو ظنَّ منكم أقوامٌ ـ أن لا بعثَ، أو ظنُّوا أنْ

لن يبعثَ اللهُ رسولاً إلى خلقِه يُقيمُ به الحجَّةَ عليهم، وكانَ هذا توكيدٌ للحجَّةِ على قريشٍ؛ أي: إذا آمَنَ هؤلاءِ الجنُّ بمحمَّدٍ فأنتم أحقُّ بذلك.

* * *

(٨) - ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾.

قولُه تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ﴾ هوَ إخبارٌ عن الجنِّ؛ أي: مسسنا السَّماءَ، قاله ابنُ عبَّاسٍ(١).

وقالَ الكلبيُّ: أي: أتينا السَّماءَ، ورُمنا استراقَ السَّمعِ، وعالجنا غيبَ السَّماءِ لنُلقِّنَه إلى الكهنةِ(٢).

وقوله: ﴿لَمَسْنَا﴾؛ أي: التمسْنا وطلبْنا.

﴿فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا﴾؛ أي: حفظةً؛ يعني: الملائكةَ.

والحَرَسُ: جمعُ حارسٍ، وقد يكونُ الحَرَسُ مصدراً كالغَلَبِ، فيكونُ الشَّديدُ وصفاً، وعلى الأوَّلِ قولُه: ﴿شَدِيدًا﴾ من تأكيدِ ﴿مُلِئَتْ﴾، كما تقولُ: ضُرِبَ شديداً، ويجوزُ أن يكونَ ﴿شَدِيدًا﴾ من نعتِ الحرسِ؛ أي: مُلِئَت ملائكةً شداداً، ووُحِّدَ الشَّديدُ على لفظِ الحَرَسِ لأنَّه على لفظِ الواحدِ، وهوَ كما يُقال: السَّلفُ الصَّالحُ، بمعنى: الصَّالحين، وجمعُ السَّلفِ: أسلافٌ، وجمعُ الحَرَسِ: أحراسٌ، ومن جعلَ الحرَسَ مصدراً فالمعنى: حُرِسَت حراسةً شديدةً.

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٢٩٣).

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٢٩٣ - ٢٩٤) عن الكلبي وأبي علي الفارسي، وعبارته: «وقال الكلبي: يقول: أتينا السماء. قال أبو علي: تأويله عالجنا غيب السماء، ورمنا استراقه فنلقيه إلى الكهنة، وليس من اللمس بالجارحة في شيء. وهذا معنى قول الكلبي». وقول أبي علي في «الحجة» (٣/ ١٦٣).

وقيلَ: اللَّمسُ في قولِه: ﴿لَمَسْنَا﴾ هوَ اللَّمسُ المعروفُ، وهو المُماسَّةُ.

﴿وَشُهُبًا﴾: الكواكبُ المضيئةُ الَّتي هيَ كالشُّهبِ من النّارِ، الواحدُ: شهابٌ، قالَ اللهُ تعالى: ﴿بِشِهَابٍ قَبَسٍ﴾ [النمل: ٧].

وقيل: نارٌ من الكواكبِ الَّتي لا تزولُ.

قالَ ابنُ عبَّاسٍ: يريدُ بالشُّهبِ: النّارَ الَّتي يُرجَمُ بها مَنِ استرقَ السَّمعَ[١].

والطَّلبُ قد يُسمَّى لـمساً على الاستعارةِ، كما تقولُ: عثرتُ عليه؛ أي: عرفتُه ووجدتُه؛ لأنَّ مَن عثرَ على شيءٍ وجدَه وعرفَه، وكذا مَن طلبَ شيئاً وجَدَه ولمسَه.

* * *

(٩) ـ ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْآنَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾.

قولُه تعالى: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا﴾؛ أي: من السَّماءِ ﴿مَقَاعِدَ﴾؛ أي: مواضعَ يُقعَدُ في مثلِها لاستماعِ الأخبارِ من السَّماءِ.

﴿فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْآنَ﴾؛ أي: يُحاولِ الاستماعَ الآنَ رُمِيَ بالشُّهبِ ﴿يَجِدْ لَهُۥ﴾ كنايةٌ عن المستمعِ ﴿شِهَابًا رَّصَدًا﴾ ليُرجَمَ به، فهوَ لا يقدرُ على الاستماع.

والرَّصَدُ: الحافظُ للشَّيءِ المنتظِرُ له، والجمعُ: أرْصادٌ، وهوَ فـي غيرِ هـذا الموضعِ يجوزُ أن يكونَ جَمعاً كالحَرَسِ، والواحدُ: راصدٌ.

* * *

(١٠) ـ ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾.

قولُه تعالى: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: بحدوثِ الرَّجمِ بالكواكبِ ﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾؛ أي: خيراً.

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٢٩٤).

وقيلَ: ﴿لَا نَدْرِيَ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ بإرسالِ محمَّدٍ إليهم، فإنَّهم يُكذِّبونه ويَهلِكونَ كما هلكَ مَن كذَّبَ من الأمم، أم أرادَ أن يُؤمنوا فيَهتدوا، والشَّرُّ والرَّشدُ على هذا: الكفرُ والإيمانُ، وكانَ هذا قولَ الجنِّ فيما بينهم قبلَ أن يستمعوا قراءةَ النَّبيِّ عليه السَّلام، ولـمَّا سمعُوا قراءتَه علمُوا أنَّهم مُنِعُوا من السَّماءِ حراسةً للوحيِ.

وقيلَ: لا، بل هذا قولٌ قالوه لقومِهم بعد أن انصرفُوا إليهم مُنذرين؛ أي: لـمَّا آمنُوا أشفقُوا أن لا يؤمنَ كثيرٌ من أهلِ الأرضِ، فقالوا: إنَّا لا ندري أيكفُرُ أهلُ الأرضِ بما آمنَّا به أو يؤمنون؟

وقد اختلفُوا في الرَّمي بالنُّجومِ، قيل: لم يكن[1] قبلَ المبعثِ، فقالَ الكلبيُّ وقومٌ: لـم تكن تُحرَسُ السَّماءُ في الفترةِ بين محمَّدٍ وعيسى خمسَ مئةِ عامٍ، فلمَّا بُعثَ محمَّدٌ عليه السَّلامُ مُنِعوا من السَّماواتِ كلِّها، وحُرِسَت بالملائكةِ والشُّهب[2].

وعلى هذا حدثَ انقضاضُ الكواكبِ بعد مبعثِ نبيِّنا عليه السَّلام، وهوَ إحدى آياتِه، واستدلَّ هؤلاءِ بأنَّ رميَ الشَّياطينِ بالشُّهبِ لو كانَ قبلَ هذا الوقتِ لَـمَا كانَ لهذه الآياتِ، وقد قالَ اللهُ إخباراً عنهم: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ﴾ إلى قولِه: ﴿فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْآنَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾.

---

(١) في (أ): «قيل كان»، والصواب المثبت.

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٢٩٥)، وذكر نحوه الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ١٥٢).
قلت: وروى الإمام أحمد في «المسند» (٢٤٨٢)، والترمذي (٣٣٢٤)، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان الجن يسمعون الوحي فيستمعون الكلمة فيزيدون فيها عشرًا، فيكون ما سمعوا حقًّا، وما زادوه باطلًا، وكانت النجوم لا يرمى بها قبل ذلك، فلما بعث النبي ﷺ كان أحدهم لا يأتي مقعده إلا رمي بشهاب يحرق ما أصاب، فشكوا ذلك إلى إبليس، فقال: ما هذا إلا من أمر قد حدث فبث جنوده، فإذا هم بالنبي ﷺ يصلي بين جبلي نخلة، فأتوه فأخبروه، فقال: هذا الحدث الذي حدث في الأرض». وقال الترمذي: «حسن صحيح».

وقالَ [يعقوبُ بنُ عُتبةَ بنِ المغيرةِ بنِ] الأخنسِ بنِ شَريقٍ: أوَّلُ مَن فَزِعَ للرَّمي بالنُّجومِ حينَ رُمِيَ بها هذا الحيُّ من ثقيفٍ، فجاؤوا إلى رجلٍ منهم يُقالُ: له: «عمرو بن أُميَّة» كانَ داهيةَ العرب، فقالوا: ألم ترَ يا عمرُو ما حدثَ في السَّماءِ من القذفِ بهذه النُّجوم؟! فقالَ: بلى، فانظرُوا فإن كانَت معالمُ النُّجومِ الَّتي يُهتدى بها في البرِّ والبحرِ، وتُعرَفُ بها الأنواءُ في الصَّيفِ والشِّتاءِ، هيَ الَّتي يُرمى بها، فهوَ واللهِ طيُّ الدُّنيا وهلاكُ الخَلقِ الَّذي فيها، وإن كانَت نجوماً غيرَها، وهي ثابتةٌ بحالِها، فهذا لأمرٍ حدَثَ أرادَ اللهُ بهذا الخلق، ولا أدري ما هو[1].

وعلى هذا كانَ انقضاضُ الكواكبِ موجوداً إلى أن رُفِعَ عيسى، فلم يُرموا بالنُّجومِ في زمنِ الفترةِ حتَّى بَعثَ اللهَ محمَّداً عليه السَّلام.

وقالَ قومٌ: لـم تزلِ النُّجومُ يُرمى بها في الجاهليَّةِ وفي الفترةِ بينَ عيسى ومحمَّدٍ عليه السَّلام، وذِكرُه موجودٌ في الكتبِ المتقدِّمةِ وكتبِ العجمِ وفي أشعارِ الجاهليَّة، ويجوزُ أن يكونَ في بعضِ الأوقاتِ أكثرَ وفي بعضِها أقلَّ، وعلى هذا فما كانَ مِن قبلُ مصروفٌ إلى الجنِّ والشَّياطينِ، ثمَّ عندَ المبعثِ رُمِي بها الشَّياطينُ.

ورُويَ عن ابنِ عبَّاسٍ قال: بينما النَّبيُّ عليه السَّلامُ جالسٌ في نفرٍ منَ الأنصارِ إذ رُمِيَ بنجمٍ فقال: «ما كنتُم تقولونَ في مثلِ هذا في الجاهليَّةِ؟» فقالُوا: كنَّا نقولُ: يموتُ عظيمٌ، أو يُولَدُ عظيمٌ. فقالَ عليه السَّلام: «إنَّها لا تُرمَى لـموتِ أحدٍ ولا لحياةِ أحدٍ، ولكنَّ ربَّنا تباركَ اسمُه إذا قضَى أمراً في السَّماءِ سبَّحَ حملةُ العرشِ، ثمَّ سبَّحَ أهلُ كلِّ سماءٍ حتَّى ينتهيَ التَّسبيحُ إلى هذه السَّماءِ، ويستخبرُ أهلُ السَّماءِ حملةَ العرشِ: ماذا قالَ ربُّكم؟ فيخبرونَهم، ويخبرُ أهلُ كلِّ سماءٍ حتَّى ينتهيَ الخبرُ

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٥/ ٤٣٧)، والبغوي في «تفسيره» (٤/ ٣٧٣)، وما بين معكوفتين منهما.

إلى هذه السَّماءِ، فتَتخطَّفُ الجنُّ فيُرمَون، فما جاؤوا به فهوَ حقٌّ، ولكنَّهم يَزيدونَ فيه»(١)، وهذا يدلُّ على أنَّ الرَّجم كانَ قبلَ المبعثِ.

وقالَ ابنُ قتيبةَ: كانَ، ولكن اشتدَّتِ الحراسةُ بعدَ المبعثِ، وكانوا من قبلُ يسترِقونَ السَّمعَ في بعضِ الأحوالِ، فلمَّا بُعثَ محمَّدٌ عليه السَّلامُ مُنِعَت من ذلك أصلاً(٢).

وقالَ قومٌ منهم الجاحظُ: إنَّما حدثَ الرَّميُ بالشُّهبِ عندَ المبعثِ، ولم يُوجَد فيه شعرٌ جاهليٌّ مَحكيٌّ من الشُّعراءِ قبلَ مبعثِ النَّبيِّ عليه السَّلامُ حتَّى تكونَ فيه حجَّةٌ(٣).

قالَ الجاحظُ: فلو قيل: كيف تتعرَّضُ الجنُّ لإحراقِ نفسِها بسببِ سماعِ خبرٍ

---

(١) رواه بنحوه مسلم (٢٢٢٩)، والترمذي (٣٢٢٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) انظر: «تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة (ص: ٢٤٢)، واستدل بأبيات من الشعر الجاهلي، ثم قال: «وفي أيدي الناس كتب من كتب الأعاجم وسيرهم: تنبىء عن انقضاض النجوم في كلّ عصر وكلّ زمان».

(٣) انظر: «الحيوان» (٦/ ٤٥٧ - ٤٦١)، وقد ذكر الأبيات التي استشهد بها من أثبت وجود الشهب في الشعر الجاهلي ورد عليها بالتفصيل. ثم إن الجاحظ لم ينكر وجود الشهب، وإنما أنكر أن تكون الشهب هي لقذف مسترقي السمع من الشياطين قبل مبعث النبي ﷺ، ورد على ما استدل به من وجود ذلك في كتب الأقدمين بقوله: «وزعمتم أنّكم وجدتم ذكر الشّهب في كتب القدماء من الفلاسفة، وأنّه في الآثار العلوية لأرسطاطاليس، حين ذكر القول في الشّهب، مع القول في الكواكب ذوات الذوائب، ومع القول في القوس والطّوق الذي يكون حول القمر بالليل. فإن كنتم بمثل هذا تستعينون، وإليه تفزعون، فإنّا نوجدكم من كذب التّراجمة وزيادتهم، ومن فساد الكتّاب من جهة تأويل الكلام، ومن جهة جهل المترجِم بنقل لغة إلى لغة، ومن جهة فساد النّسخ، ومن أنه قد تقادم فاعترضت دونه الدّهور والأحقاب، فصار لا يؤمَن عليه ضروب التّبديل والفساد. وهذا الكلام معروف صحيح».

بعد أن صارَ ذلك معلوماً لهم؟ فالجوابُ: أنَّ اللهَ تعالى يُنسيهم ذلك حتَّى تعظُمَ المحنةُ، كما يَنسى إبليسُ في كلِّ وقتٍ أنَّه لا يُسلمُ، وأنَّ اللهَ تعالى قالَ له: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الحجر: ٣٥]، ولولا هذا لـمَا تحقَّقَ التَّكليفُ في حقِّه[١].

والرَّصَدُ قيلَ: الملائكةُ؛ أي: ورَصَداً من الملائكةِ.

وقيلَ: الرَّصَدُ هوَ الشِّهابُ؛ أي: شهاباً قد رُصِدَ له ليُرجَمَ به، فهوَ فَعَلٌ بمعنى: مَفعولٍ، كالخَبَطِ والنَّفَضِ[٢].

❊ ❊ ❊

(١١) ـ ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾.

قولُه تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ﴾؛ أي: قالَ بعضُهم لبعضٍ لـمَّا دَعَوا أصحابَهم إلى الإيمانِ بمحمَّدٍ عليه السَّلام: وأنَّا كنَّا قبلَ استماعِ القرآنِ منَّا الصَّالحونَ ومنَّا الكافرونَ.

وقيلَ: الفريقانِ من المسلمينَ؛ أي: منَّا الصَّالحونَ المبرِّزون ومنَّا أقوامٌ من المسلمين دونَ أولئك في الصَّلاحِ، والمعنى: ومِن جملةِ الجنِّ الَّذينَ نحنُ منهم قومٌ مؤمنون، إلَّا أنَّهم مع إيمانِهم دونَ القومِ المشهورينَ بالصَّلاحِ.

﴿كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾؛ أي: لـم يكن كلُّ الجنِّ كفَّاراً، بل كانُوا مُختلِفينَ، منهم كفَّارٌ، ومنهم مؤمنون صُلحاءُ، ومنهم مؤمنونَ غيرُ صلحاء، وليسَ ما أحدَثْناه نحن من الإيمانِ بما استمعْنا من القرآنِ أمراً ابتدعناه وخالَفْنا فيه كلَّ أهلِ جِنسِنا، بل هوَ شيءٌ قديمٌ، وهذا لأنَّه كانَ في الجنِّ مَن آمَنَ بموسى وعيسى، وقد أخبرَ الله عنهم أنَّهم

---

(١) انظر: «الحيوان» (٦/ ٤٥٥ ـ ٤٥٧).

(٢) النَّفَضُ ـ بالتحريك ـ: ما تساقط من الورق والثمر. انظر: «الصحاح» (مادة: نفض). والخَبَط مثله.

قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [الأحقاف: ٣٠]، وهـذا يدلُّ على إيمانِ قومٍ منهم بالتَّوراةِ، وكانَ هذا مبالغةً منهم في دعاءِ مَن دَعَوهم إلى الإيمانِ بمحمَّدٍ عليه السَّلام.

وقالَ قومٌ: أي: وإنَّا بعدَ استماعِ القرآنِ مُختلِفون منَّا المؤمنونَ ومنَّا الكافرون، أو منَّا الصَّالحونَ ومنَّا مؤمنون لـم يَتناهَوا في الصَّلاحِ، **والأوَّلُ أحسنُ**؛ لأنَّه قال: ﴿كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾ [الجن: ١١]، وهذا يُشيرُ إلى ما مضى، وأيضاً لا فائدةَ في قولِهم: نحن الآنَ مُنقسِمونَ إلى مؤمنٍ وإلى كافرٍ.

والطَّرائقُ: جمعُ طريقةٍ، وهي مَذهبُ الرَّجلِ؛ أي: كنَّا فِرقاً مختلفةً، ويُقالُ: القومُ طرائقُ؛ أي: على مذاهبَ شتَّى، والقِددُ نحوٌ من الطَّرائقِ، وهوَ تأكيدٌ لها، ويُقالُ لكلِّ طريقٍ: قِدَّةٌ، وأصلُها من قَدِّ السُّيورِ، ويُقال: صارَ القومُ قِدداً؛ أي: تفرَّقَت أهواؤُهم.

***

(١٢) ـ ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا﴾.

قولُه تعالى: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: قد علمْنا بالاستدلالِ والتَّفكُّرِ في آياتِ اللهِ أنَّا في قبضتِه وسلطانِه لن نُعجزَه؛ أي: لن نَفوتَه إن هربْنا في الأرضِ، والظَّنُّ بمعنى العلمِ هاهنا، وهوَ خلافُ الظَّنِّ في قولِه: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾، ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ﴾.

***

(١٣) ـ ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾.

قولُه تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ﴾؛ أي: من محمَّدٍ عليه السَّلامُ ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾

وباللهِ ﴿فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ﴾؛ أي: يُصدِّقْ به ﴿فَلَا يَخَافُ بَخْسًا﴾؛ أي: نقصاً في ثوابِه ﴿وَلَا رَهَقًا﴾؛ أي: ظلماً بأن يذهبَ عملُه كلُّه.

وقيلَ: ﴿رَهَقًا﴾؛ أي: عذاباً.

قالَ المُبرِّدُ: البَخسُ: الظُّلمُ، والرَّهَقُ: ما يَغشى مِن المكروهِ[١].

***

(١٤ ـ ١٥) ـ ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾.

قولُه تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ﴾؛ أي: وأنَّا بعدَ استماعِ القرآنِ مختلفونَ، فمنَّا مَن أسلَمَ، ومنَّا مَن كفرَ.

والقاسطُ: الجائرُ عن قصدِ[٢] السَّبيلِ.

﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا﴾؛ أي: قصدُوا طريقَ الحقِّ وتعمَّدُوا وتَوخَّوا، ويُقال: فلانٌ يتحرَّى بقولِه الصَّوابَ، وأصلُه من قولِك: ذلك أحرى؛ أي: أقربُ وأجدرُ، ويُقال: بالحريِّ يفعلُ كذا؛ أي: يجبُ عليه ذلك.

قولُه تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ﴾؛ أي: الكافرون ﴿فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾؛ أي: وقوداً.

وقوله: ﴿فَكَانُوا۟﴾؛ أي: في علمِ اللهِ وحُكمِه.

والقاسطُ: الجائرُ، والمقسِطُ: العادلُ.

***

(١) ذكره عنه الواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٣٠٥).

(٢) في (أ): «قسط» والصواب المثبت.

(١٦) ـ ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾.

قولُه تعالى: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم﴾ هذا من قولِ اللهِ؛ أي: لو آمَنَ هؤلاءِ الكفَّارُ لوسَّعْنا عليهم في الدُّنيا وبسطْنا لهم في الرِّزقِ، وهذا محمولٌ على الوحيِ؛ أي: أوحِيَ إليَّ أنْ لو استقاموا.

﴿مَّآءً غَدَقًا﴾؛ أي: كثيراً، وكانَ قد حُبِسَ عنهم المطرُ سبعَ سنين.

قالَ ابنُ جُبيرٍ ومجاهدٌ: ﴿مَّآءً غَدَقًا﴾؛ أي: ماءً كثيراً[(١)]. والغَدَقُ: الماءُ الكثيرُ، يُقال: غدِقَتِ العينُ تَغدَقُ مثلَ: حَمِدَ يحمَدُ، فهي غَدِقةٌ، وروضةٌ مُغدِقةٌ؛ أي: ريًّا من الماءِ، ومطرٌ مُغدَودِقٌ وغَيداقٌ وغَيدَقٌ؛ أي: كثيرُ الماءِ.

﴿عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ﴾؛ أي: على طريقِ الإسلامِ.

وقالَ الكلبيُّ: أي: لو استقامُوا على الطَّريقةِ الَّتي هم عليها من الكفرِ لوسَّعْنا عليهم النِّعم فتنةً لهم، ولهذا قالَ: ﴿لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾[(٢)].

***

(١٧) ـ ﴿لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾.

قولُه تعالى: ﴿لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾؛ أي: لنختبرَهم كيف شُكرُهم على تلك النِّعمِ، وهذا على القولِ الأوَّلِ، وأمَّا على القولِ الثَّاني؛ أي: لوسَّعْنا عليهم الدُّنيا فتنةً لهم واستدراجاً؛ لتكونَ فتنةً عليهم في الدُّنيا وزيادةً في عذابِ الآخرةِ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٣٣٦) عن مجاهد بلفظ: «﴿لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾: الكثير».
وذكره عنهما الواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٣٠٩) بلفظ: «مالاً» مكان «ماء». وهكذا رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٣٣٦) عنهما، ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٣٥٣) عن ابن جبير.

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٣٠٩)، وقال: «وهذا قول الربيع، وزيد بن أسلم، والثمالي، وأبي مجلز، واختيار الفراء، وابن كيسان».

﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ﴾؛ أي: لـم يَشكرْ نعمَه ﴿نَسْلُكْه﴾، قُرِئَ ﴿يَسْلُكْهُ﴾ بالياءِ[١]؛ أي: يُدخلْه ﴿عَذَابًا صَعَدًا﴾؛ أي: شاقّاً شديداً.

قالَ ابنُ عبَّاسٍ: هوَ جبلٌ في جهنَّمَ[٢].

وقالَ الكلبيُّ: نُكلِّفْه أن يصعدَ جبلاً في النَّارِ من صخرةٍ ملساءَ، يُجذَبُ مِن أمامِه بسلاسلَ، ويُضرَبُ مِن خلفِه بمقامِعَ، حتَّى يبلغَ أعلاها، ولا يبلغَ في أربعين سنةً، فإذا بلغَ أعلاها أُحدِرَ إلى أسفلِها، ثمَّ يُكلَّفُ أيضاً صعودَها، فذلك دأبُه أبداً[٣].

قيل: نزلَت في الوليدِ بنِ المغيرةِ، ونظيرُها: ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا﴾ [المدثر: ١٧].

ويُقال: تَصَعَّدَه الأمرُ؛ أي: شقَّ عليه.

وقالَ أبو عُبيدةَ: الصَّعَدُ مصدرٌ؛ أي: عذاباً ذا صَعَدٍ، والمشيُ في الصُّعودِ يَشقُّ على الإنسانِ، فسُمِّيَت المشقَّةُ صَعَداً[٤].

ويُقال: سَلَكْتُ الخيطَ وأسلَكْتُه؛ أي: أدخَلْتُه.

وقيلَ: أي: يُحِلُّ به عذاباً كما يُسلَكُ الرُّمحُ في البدنِ عندَ الطَّعنِ، فهوَ إدخالٌ بمعنى: الإحلالِ.

* * *

(١) قرأ بها عاصم وحمزة والكسائي، والباقون بالنون. انظر: «السبعة» (ص: ٦٥٦)، و«التيسير» (ص: ٢١٥).

(٢) رواه عنه هناد بن السري في «الزهد» (٢٧٩)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٣٣٩)، والحاكم في «المستدرك» (٣٨٥٩)، وصححه.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٧/ ٤٤٤)، وسمى الرجل: الوليد بن المغيرة.

(٤) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ٢٧٢)، و«البسيط» (٢٣/ ٣١٤ ـ ٣١٥)، وعنه نقل المصنف.

(١٨) - ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾.

قولُه تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾؛ أي: وأُوحِيَ إليَّ أنَّ المساجدَ لله؛ أي: البيوتُ المبنيةُ الَّتي تَبنيها أهلُ المللِ للعبادةِ هيَ لله، وهوَ المستحِقُّ للعبادةِ فيها.

وقالَ الخليلُ: أي: ولأنَّ المساجدَ للهِ فلا تدعوا، كقولِه: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ﴾؛ أي: ولأنَّ هذهِ أمَّتُكم أمَّةً واحدةً ﴿وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢]؛ أي: لهذا فاعبدون[١].

وقالَ مقاتلٌ: يعني بالمساجدِ: الكنائسَ والبِيَعَ ومساجدَ المسلمين، فإنَّها للهِ، وذلك أنَّ أهلَ الكتابِ يُشرِكون في صلاتِهم في البِيَعِ والكنائسِ، فأمرَ اللهُ المؤمنين بالتَّوحيدِ[٢].

وواحَدُ المساجدِ على هذا: «مَسجَدٌ» بفتحِ الجيمِ للموضعِ الَّذي يُسجَدُ عليه، وفيه بُعدٌ إنِ اتُّخِذَ لذلك[٣].

وقالَ سعيدُ بنُ جُبَيرٍ: المساجدُ: الَّتي يَسجدُ عليها العبدُ، وهي سبعةٌ: القدمانِ والرُّكبتانِ واليدانِ والوجهُ[٤]؛ أي: هذه الأعضاءُ مخلوقةٌ للهِ، هوَ ابتدأها وفطرَها، فلا ينبغي أن يسجدُوا عليها لغيرِه، والمساجدُ على هذا: مواضعُ السُّجودِ مِن الجسدِ، والواحدُ: «مَسجَدٌ» بفتحِ الجيمِ.

---

(١) انظر: «الكتاب» (٣/ ١٢٧ - ١٢٨)، و«المقتضب» (٢/ ٣٤٧)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٩٣) و(٣/ ١٢).

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٤٦٤).

(٣) انظر: «البسيط» (٢٣/ ٣١٦)، وفيه: وعلى هذا القول واحدها يجوز أن يكون «مسجَداً» بفتح الجيم، وهو موضع السجود من الأرض، ويجوز أن يكون «مسجِداً» بكسر الجيم، وهو اسم جامع للموضع الذي يسجد عليه، وفيه بُعد أن يكون اتخذ لذلك.

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٧/ ٤٤٤)، والواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٣١٦).

وقالَ الحسينُ: أرادَ البقاعَ كلَّها[1]؛ أي: أنَّ الأرضَ كلَّها موضعٌ للسُّجودِ، فلا تسجدوا عليها لغيرِ خالقِها.

وقيلَ: المساجدُ هيَ الصَّلواتُ؛ أي: لأنَّ السُّجودَ لله، فالمَسجَدُ ـ بفتحِ الجيمِ ـ مصدرٌ بمعنى: السُّجودِ.

وقالَ ابنُ عبَّاسٍ: يريدُ مكَّةَ الَّتي هيَ القِبلةُ[2]، وسُمِّيَت مكَّةُ: المساجدَ؛ لأنَّ كلَّ أحدٍ يسجدُ إليها.

ومَن قالَ: المساجدُ: المواضعُ الَّتي بُنِيَت للصَّلاةِ، فواحدُها «مَسجِدٌ» بكسرِ الجيمِ، والمصادِرُ من هذا البابِ بفتحِ العينِ إلَّا في أحرفٍ معدودةٍ، وهي: المسجِدُ والمطلِعُ والمنسِكُ والمسكِنُ والمصرِفُ والمفرِقُ والمسقِطُ والمجزِرُ والمحشِرُ والمشرِقُ والمغرِبُ، وقد جاءَ الفتحُ في بعضِها وهوَ: المنسَكُ والمطلَعُ والمسكَنُ والمفرَقُ، وهوَ جائزٌ في كلِّها وإن لـم يُسمَع.

وقالَ ابنُ جُبيرٍ: قالَت الجنُّ للنَّبيِّ عليه السَّلام: كيفَ نأتي المساجدَ ونحن ناؤون منك؟ فنزلَت: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾[3]؛ أي: أخلِصُوا العبادةَ أينما كنتُم.

* * *

(١٩) ـ ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾.

قولُه تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ يجوزُ الفتحُ؛ أي: أُوحِيَ إليَّ أنَّه، ويجوزُ

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٧/ ٤٤٥)، والواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٣١٧)، عن الحسن.

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٣١٧).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٣٤١).

الكسرُ على الاستئنافِ(١)، وقولُه: ﴿عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ يعني: محمَّداً حينَ كانَ يُصلِّي ببطنِ نخلةَ ويقرأُ القرآنَ.

﴿يَدْعُوهُ﴾؛ أي: يعبدُه.

﴿كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾؛ أي: كادُوا يركبونَه حرصاً على القرآنِ وحبًّا لاستماعِه. وقالَ الزَّجَّاجُ: كادوا يَسقطونَ عليه(٢).

﴿لِبَدًا﴾؛ أي: جماعاتٍ، واحدتُها: لِبْدةٌ، وكلُّ شيءٍ ألصقتَه بشيءٍ إلصاقاً شديداً فقد لبَّدْتَه(٣)، واللِّبْدُ: الَّذي يُفرَشُ(٤)، والجمعُ: اللُّبودُ، ويُقال: لُبَدٌ ولِبَدٌ للمالِ الكثيرِ.

قالَ أبو عليٍّ: «اللُّبَدُ» بضمِّ اللَّامِ: الكثيرُ، مِن قولِه: ﴿أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا﴾، كأنَّه لُبِدَ لركوبِ بعضِه على بعضٍ لكثرتِه، وقُرِئَ هاهنا: ﴿لُبَدًا﴾، والمعنى واحد(٥).

وقيلَ: هذا من قولِ الجنِّ؛ لـمَّا رجعُوا إلى قومِهم أخبروهم بما رأَوا من طاعةِ أصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ له وائتمامِهم به في الرُّكوعِ والسُّجودِ.

---

(١) تقدم من قرأ بكل وجه منها.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٣٦).

(٣) في «البسيط»: «فقد لبَّدتَه». وهو أنسب.

(٤) انظر: «تفسير القرطبي» (٢١/ ٣٠٢) وفيه: وهو من تلبد الشيء على الشيء؛ أي: تجمع ؛ ومنه: اللِّبْد الذي يفرش لتراكم صوفه.

(٥) انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (٦/ ٣٣٣)، وعبارته: «وما روي عن ابن عامر: ﴿لُبَداً﴾ فإن اللُّبد: الكثير، من قوله: ﴿أهلكت مالا لبداً﴾، وكأنه قيل له: لُبَداً؛ لركوب بعضه على بعض، ولصوقِ بعضه ببعض لكثرته، فكأنه أراد: كادوا يلصقون به من شدّة دنوهم للإصغاء والاستماع مع كثرتهم، فيكون على هذا قريب المعنى من قوله: ﴿لِبَداً﴾ إلّا أن ﴿لِبَداً﴾ أعرف بهذا المعنى وأكثر». والقراءة بضم اللام هي رواية هشام عن ابن عامر، وقرأ الباقون بكسرها. انظر: «السبعة» (ص: ٦٥٦)، و«التيسير» (ص: ٢١٥).

وقيلَ: أي: ولـمَّا قامَ عبدُ اللهِ للدُّعاءِ إلى اللهِ تلبَّدَت الإنسُ والجنُّ، وتظاهرُوا عليه ليُبطِلوا الحقَّ الَّذي جاءَ به، فأبَى اللهُ إلَّا أن ينصرَه.

وكانَ مَجيءُ الجنِّ في ليلتين، فالذي رُويَ أنَّهم كانُوا سبعةَ نفرٍ، فلعلَّه كانَ في إحدى المرَّتين، ثمَّ ازدحمُوا في المرَّةِ الثَّانية، ويكفي[1] أن ينعقد أن يكونوا سبعةً ثمَّ ازدحموا طلباً للقُربِ منه.

وقيلَ: اللُّبَدُ بضمِّ اللَّامِ وفتحِ الباءِ: الشَّيءُ اللَّازمُ، ومنه قيل: «لُبَدٌ» لنسرِ لُقمانَ؛ لبقائِه ودوامِه.

وقُرِئَ: (لُبُداً) بضمِّ اللَّامِ والباءِ[2]، وهوَ جمعُ لَبيدٍ، وهوَ الجُوالقُ الصَّغيرُ.

وقُرِئَ: (لُبَّداً) بالتَّشديدِ[3]، وهوَ جمعُ لابِدٍ، مثلَ: رُكَّعٍ وراكعٍ، وسُجَّدٍ وساجدٍ.

* * *

(٢٠) ـ ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا﴾.

قولُه تعالى: ﴿قالَ إنَّما أدعُو ربِّي﴾؛ أي: قالَ محمَّدٌ عليه السَّلام: ﴿إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّى﴾ لمَّا تعجَّبَ الكفَّار منه، وقالوا: ارجع عمَّا تقولُ، وقُرِئَ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّى﴾[4].

* * *

---

(١) غير واضحة في (أ)، وهذا أقرب شيء إلى رسمها.

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٦٣) عن مجاهد، و«المحتسب» (٢/ ٣٣٤) عن الجحدري.

(٣) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٦٣) عن الجحدري، و«المحتسب» (٢/ ٣٣٤) عنه وعن الحسن بخلاف.

(٤) قرأ عاصم وحمزة: ﴿قل﴾، وباقي السبعة: ﴿قال﴾. انظر: «السبعة» (ص: ٦٥٧)، و«التيسير» (ص: ٢١٥).

(٢١) - ﴿قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾.

قولُه تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾؛ أي: لا أقدرُ أن أدفعَ عنكم ضرًّا ولا على أنَّ أُوصِلَ إليكم خيراً.

وقيلَ: لا أملكُ أن أهديَكم، فالرَّشَدُ: الهُدى، ولا أن أدفعَ عنكم الكُفرَ، فالضَّرُّ: الكفرُ؛ أي: إنَّما عليَّ التَّبليغُ.

وقيلَ: أي: لا يمكنُني الإغناءُ والإفقارُ والصِّحَّةُ والسَّقَمُ، ولا العقوبةُ ولا الثَّوابُ، وإنَّما الكلُّ بيدِ الله.

* * *

(٢٢ - ٢٣) - ﴿قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا ۝٢٢ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾.

قولُه تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ﴾؛ أي: لا يدفعُ عذابَه عنِّي أحدٌ إن استحقَقْتُه وكذا عنكم، وهذا لأنَّهم قالوا: اترك ما تدعو إليه ونحنُ نُجيرُكَ.

﴿وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾؛ أي: مَلجأً وحِرْزاً.

وقالَ الكلبيُّ: الملتحَدُ: المدخَلُ في الأرضِ مثلَ السَّربِ[1]. واشتقاقُه من اللَّحدِ.

قولُه تعالى: ﴿إِلَّا بَلَٰغًا﴾؛ أي: لا يُنجِّيني إلَّا أن أُبلِّغَ عنِ اللهِ ما أُرسِلتُ به، فهوَ نصبٌ على البدلِ عند الزَّجَّاج[2].

---

(١) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (٢٧/ ٤٦٠)، والواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٣٢٦).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٣٧).

وقالَ الفرَّاءُ: ﴿إِلَّا بَلَغًا﴾ مُستثنًى من قولِه: ﴿لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾؛ أي: أن أبلِّغَكم ما أُرسِلْتُ به[1].

﴿وَرِسَٰلَٰتِهِۦ﴾ على القولِ الأوَّلِ؛ أي: ولن أجدَ من دونِه مُلتحداً إلَّا أن أبلِّغَ ما يأتيني من اللهِ ورسالاتِه الَّتي أَمرَني بتبليغِها، أو: إلَّا أن أبلِّغَ عنِ اللهِ وأعمَلَ برسالاتِه، فآخُذَ نفسي بما آمرُ به غيري.

وعلى الثَّاني: لا أملكُ إلَّا أن أبلِّغَكم ما يأتيني مِن اللهِ ومِن رسالاتِه، فأمَّا الضَّرُّ والرَّشدُ فمِن الله، أو: لا أملكُ إلَّا هذه الرِّسالاتِ الَّتي أرسلَني اللهُ بها إليكم.

وقولُه: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾؛ أي: يتركِ الإيمانَ والطَّاعةَ ﴿فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ ﴿إنَّ﴾ بالكسرِ؛ لأنَّ ما بعدَ فاءِ الجزاءِ موضعُ ابتداءٍ.

وهذه المعصيةُ هيَ الشِّركُ، ولهذا قال: ﴿فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾.

وقيلَ: هوَ محمولٌ على المعاصي الأُخَرِ، وقولُه: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ معناه: إلَّا أن أعفوَ وتلحقَهم شفاعةٌ، ولا محالةَ إذا خرجُوا من الدُّنيا على الإيمانِ يلحقُهم العفوُ.

* * *

(٢٤) ـ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا﴾.

قولُه تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ﴾ ﴿حَتَّىٰٓ﴾ هاهنا مبتدأٌ؛ أي: حتَّى إذا رأوا ما يُوعَدونَ من عذابِ الآخرةِ، أو: ما يُوعَدونَ من عذابِ الدُّنيا، وهوَ القتلُ ببدرٍ، ﴿فَسَيَعْلَمُونَ﴾ حينئذٍ ﴿مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا﴾ هم، أم المؤمنين؟ ﴿وَأَقَلُّ عَدَدًا﴾؛ أي: جُنداً.

* * *

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٩٥).

(٢٥ ـ ٢٦) ـ ﴿قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا﴾.

قولُـه تعالـى: ﴿قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾ لـمَّا قالوا: متى السَّـاعة؟ قال: قـل: ﴿إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ﴾؛ أي: لا يعـرفُ وقـتَ نـزولِ العـذابِ ووقتَ قيـامِ القيامةِ إلَّا اللهُ تعالـى، فهـوَ غيـبٌ لا أعلمُ منـه إلَّا مـا يُعَرِّفُنيه اللهُ.

﴿أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا﴾؛ أي: غايةً وبُعداً.

قولُه تعالى: ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ﴾؛ أي: قل: ربِّي عالمُ الغيبِ، وهوَ ما غابَ عن العبادِ ﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا﴾.

***

(٢٧) ـ ﴿إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾.

قولُه تعالى: ﴿إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾؛ أي: لا يُظهِرُ على غَيبِه إلَّا الرُّسلَ؛ لأنَّ الرُّسلَ مُؤيَّدونَ بالمعجزاتِ، ومنها: الإخبارُ عن بعضِ الغائباتِ.

وقيلَ: إلَّا مَن ارتضاه من رسولٍ، فإنَّه يُطلعُه على ما يشاءُ مِن غيبِه.

﴿فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾؛ أي: منَ الملائكةِ يَحرسونَه من أن يقربَ منه شيطانٌ، فيَحفظُ الوحيُ مِن استراقِ الشَّياطينِ والإلقاءِ إلى الكهنةِ.

وفي الآثارِ: أنَّ جبريلَ كانَ إذا نزلَ بالوحيِ نزلَت معه ملائكةٌ مِن كلِّ سماءٍ يحفظونَه من استماعِ الجنِّ للاستراقِ والإلقاءِ على الكهنةِ قبلَ أن يُبلِّغَ الرَّسولَ(١).

---

(١) رواه بنحوه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٣٥٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية قال: أربعة حفظة من الملائكة مع جبرائيل ﴿لِّيَعْلَمَ﴾ محمد ﴿أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا﴾ قال: وما نزل جبريل عليه السلام بشيء من الوحي إلا ومعه أربعة حفظة». ورواه =

ومعنى ﴿يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾؛ أي: يُدخِلُ الحَفَظَةَ الأرضَ، فيُدخِلُهم بينَ يدي الرَّسولِ ومِن خلفِه.

وقيلَ: يبعثُ ملائكةً يحرسونَه من الشَّياطينِ أن يتمثَّلُوا له في صورةِ الملائكةِ.

وقيلَ: يحفظونَ الرَّسولَ عن كلِّ مَن يقصدُه بسوءٍ من الجنِّ والإنسِ، كما قال: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧].

وكلُّ هذا على أنَّ المعنيَّ بالرَّسولِ: الملكَ الَّذي يُرسَلُ بالوحيِ إلى النَّبيِّ المنزَّلِ عليه الوحيُ.

وقيلَ: أرادَ بالرَّسولِ: الملكَ الَّذي يُرسَلُ بالوحي إلى النَّبيِّ أن لا يظهرَ على أحَدٍ وقتَ القيامةِ إلَّا على بعضِ الملائكةِ، ثمَّ إذا أمرَه أن يُخبِرَ النَّبيَّ بشيءٍ من ذلك أمرَ جَمعاً منَ الملائكةِ بحفظِه في حالِ النُّزولِ بالوحيِ.

* * *

(٢٨) ـ ﴿لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا﴾.

قولُه تعالى: ﴿لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ قالَ مقاتلٌ وقتادةُ: أي: يعلمَ محمَّدٌ أنَّ الرُّسلَ قبلَه قد بلَّغوا الرِّسالةَ كما بلَّغَ هوَ الرِّسالةَ[1]، وفيه حذفٌ يتعلَّقُ به اللامُ؛ أي: أخبرْناه بحفظِنا الوحيَ ليعلمَ أنَّ الرُّسلَ قبلَه كانُوا على مثلِ حالتِه من التَّبليغِ بالحقِّ والصِّدقِ.

= المستغفري في «فضائل القرآن» (٧٨٨) عن سعيد بن جبير، ولفظه: «لم ينزل من الوحي شيء إلا أنزل مع جبريل أربعة من الملائكة يحفظونه من بين يديه، وَمن خلفه ﴿لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ إلا الأنعام فإنها نزلت معها سبعون ألف ملك».

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٤٦٧)، ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٣٦٠)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٣٥٤)، عن قتادة.

وقيلَ: ليعلمَ محمَّدٌ والرُّسلُ أنَّ الملائكةَ المبعوثينَ إلى الرُّسلِ بلَّغُوا رسالاتِ ربِّهم، فلا يشكُّون[1] في ذلك، ويعلمونَ أنَّها حقٌّ منَ الله.

وقيلَ: ليعلمَ الرُّسلُ أنَّ الملائكةَ بلَّغُوا رسالاتِ ربِّهم، وكانُوا محروسينَ عن الشَّياطينِ.

وقيلَ: أي: ليعلمَ اللهُ أن قد أبلَغَ الرُّسلُ.

وقيلَ: الإبلاغُ علمُ أنَّهم سيُبلِغون، فإذا أبلغُوا فعلِمَه عَلِمَ بأنَّ الإبلاغَ الَّذي كانَ معدوماً قد وُجِدَ، وإنَّما يحدثُ الإبلاغُ لا العلمُ.

وقيلَ: ليعلمَ الرَّسولُ أيُّ رسولٍ كانَ أنَّ الرُّسلَ سواه أبلغُوا.

وقيلَ: أي: ليعلمَ إبليسُ أن الرُّسلَ قد أبلغُوا رسالاتِ ربِّهم سليمةً من تخليطِه واستراقِ أصحابِه.

وقيلَ: أي: ليعلمَ الخلقُ أنَّ الرُّسلَ قد أبلغُوا، وتدلُّ على هذا قراءةُ مَن قرأَ: ﴿لِيُعلَمَ﴾ بضمِّ الياء[2].

﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾؛ أي: علمَ ما عندَ الرُّسلِ وعندَ الملائكةِ، أو: قدرَ على كلِّ شيءٍ ممَّا لديهم ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾؛ أي: عرفَ عددَ ما خلَقَ.

﴿عَدَدًا﴾ نصبٌ على الحالِ، أو على المصدرِ حملاً على المعنى؛ إذ المعنى: عدَّ كلَّ شيءٍ عدداً.

* * *

---

(١) في (أ): «يسألون»، والمثبت من «البسيط» (٢٢/ ٣٣٤).

(٢) قراءة رويس. انظر: «النشر» (٢/ ٣٩٢).

تفسيرُ سورةِ المُزَّمِّلِ

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١ ـ ٤) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ﴾؛ أي: يا أيُّها المتزمِّلُ بثيابِه، وهوَ المتلفِّفُ بها، والخطابُ للنَّبيِّ عليه السَّلام، قيل: كانَ نائماً مُزمَّلاً بثيابِه فأُمِرَ بالقيامِ للصَّلاةِ.

وفي السُّورةِ الأمرُ بصلاةِ اللَّيلِ و[هجر](١) المنامِ، والتَّزمُّلُ بالثَّوبِ يكونُ باللَّيلِ، وقد بلغَه من المشركين سوءُ قولٍ فيه، فاشتدَّ عليه، فتزمَّلَ في ثيابِه وتدثَّرَ، فنزلَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ﴾ و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾.

وقيلَ: كانَ هذا في ابتداءِ ما أُوحِيَ إليه، فإنَّه لمَّا سمعَ صوتَ الملكِ ونظرَ إليه أخذَتْه الرِّعدةُ، فأتى أهلَه فقالَ: «زمِّلُوني، دثِّرُوني»(٢).

---

(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢) رواه بنحوه البخاري (٣)، ومسلم (١٦٠) عن عائشة رضي الله عنها ضمن حديث بدء الوحي، وفيه: «... ثم حبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء، فيتحنث فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ، قال: ما أنا بقارئ. قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، قلت ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة، ثم أرسلني فقال: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ﴾ فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت =

وقيلَ: أي: يا مَن تَقلَّدَ أمرَ النُّبوَّةِ، أو: يا أيُّها المتقلِّدُ للنُّبوَّةِ والملتزمُ للرِّسالةِ، فهذا معنى المُزَّمِّلِ، والتَّزمُّلُ: التَّلفُّفُ في اللِّباسِ، وتَزَمَّلَ الرَّجلُ وازَّمَّلَ بمعنًى، وزمَّلَ غيرَه.

﴿قُمِ ٱلَّيۡلَ﴾؛ أي: تهجَّدْ باللَّيلِ واسهَرْ للصَّلاةِ فيه، يعني: صلِّ عامَّةَ اللَّيلِ ﴿إِلَّا قَلِيلٗا﴾ منه، ولا تقتصِرْ على القليلِ، بل اجتهدْ في عبادةِ ربِّك، وكانَ هذا ربطاً لجأشه، وتعريفاً أنَّه إذا اشتغلَ بالصَّلاةِ فسيكفيه اللهُ كلَّ خوفٍ وكلَّ همٍّ.

وقالَ ابنُ عبَّاسٍ: كانَ قيامُ اللَّيلِ فريضةً على النَّبيِّ عليه السَّلامُ والأنبياءِ قبلَه؛ لقولِه: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ﴾ [الإسراء: ٧٩][(١)]؛ أي: زيادةَ وجوبٍ عليه.

﴿إِلَّا قَلِيلٗا﴾ قالَ الكلبيُّ: يعني بالقليلِ: الثُّلثَ الأخيرَ[(٢)].

﴿نِّصۡفَهُۥٓ﴾ قالَ الزَّجَّاجُ: هوَ بدلٌ من ﴿ٱلَّيۡلِ﴾، كما تقولُ: ضربتُ زيداً رأسَهُ، وهوَ من قولِك: ضربتُ رأسَ زيدٍ، فالمعنى: قُمْ نصفَ اللَّيلِ إلَّا قليلاً، وقولُه: ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ هوَ قولُه: ﴿أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا﴾؛ أي: من النِّصفِ، ولكنَّه ذُكِرَ ثانياً مع الزِّيادةِ[(٣)].

وقولُه: ﴿أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ﴾ معناه: قمْ نصفَ اللَّيلِ، أو انقصْ من نصفِ اللَّيلِ، أو زد على نصفِ اللَّيل.

= خويلد رضي الله عنها فقال: زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر: لقد خشيت على نفسي، فقالت خديجة: كلا والله ما يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق...».

(١) رواه عنه بنحوه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٤٢)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٣/ ٤٦٨)، وروى الإمام أحمد في «المسند» (٢٢٢١٠) عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: «إنما كانت النافلة خاصة لرسول الله ﷺ».

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ١٢٦)، والواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٣٤٥).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٣٩).

قالَ المفسِّرونَ: أو انقصْ من النِّصفِ قليلاً إلى الثُّلثِ، أو زد على النِّصفِ إلى الثُّلثينِ، فخيَّرَه في هذه السَّاعاتِ، فكانَ النَّبيُّ عليه السَّلامُ وطائفةٌ من المؤمنين يقومون على هذه المقادير، وشقَّ ذلك عليهم، فكانَ الرَّجلُ لا يدري كم صلَّى وكم بقيَ من اللَّيل، فكانَ يقومُ الليلَ كلَّه مخافةَ أن يفوتَه شيءٌ من القَدْرِ الواجبِ، فخَفَّفَ اللهُ عنهم، ونسخَ ذلك بقولِه: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ﴾ [المزمل: ٢٠][(١)].

وقالَ أبو عبدِ الرَّحمنِ السّلميُّ: لمَّا نزلَت ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾ قاموا حَولاً حتَّى ورمَت أقدامُهم وسوقُهم، ثمَّ نزلَ ﴿فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ فاستراحَ النَّاس[(٢)].

وقيلَ: كانَ هذا بمكَّةَ قبلَ فريضةِ الصَّلواتِ الخمسِ.

﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾؛ أي: لا تعجَل بقراءةِ القرآنِ، بل اقرأه في مَهَلٍ وبيانٍ مع تدبُّرِ المعاني، والتَّرتيلُ: التَّنضيدُ والتَّنسيقُ وحسنُ النِّظام، ومنه: [ثغرٌ] رَتِلٌ؛ أي: حَسَنُ التَّنضيدِ.

***

(٥) ـ ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾.

قولُه تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ هوَ متَّصلٌ بما فُرِضَ من قيامِ اللَّيلِ؛ أي: ﴿سَنُلْقِي عَلَيْكَ﴾ بافتراضِ صلاةِ اللَّيلِ ﴿قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ يثقُلُ حَملُه؛ لأنَّ اللَّيلَ للمنامِ، فمَن أُمِرَ بقيامِ أكثرِه لـم يتهيَّأ له ذلك إلَّا بحملٍ شديدٍ على النَّفسِ ومجاهدةٍ للشَّيطانِ، فهوَ أمرٌ ثقيلٌ على العبدِ.

---

(١) روى نحوه مسلم (٧٤٦) عن عائشة رضي الله عنها قالت: «فإنَّ الله عزَّ وجلَّ افْترَض قيامَ الليلِ في أول هذه السورة، فقام نبيُّ الله ﷺ وأصحابُه حولًا، وأمسَكَ اللهُ خاتِمَتَها اثنَيْ عشرَ شهرًا في السماء، حتى أَنزلَ اللهُ في آخِر هذه السُّورةِ التخفيفَ، فصار قيامُ الليلِ تطوُّعًا بعدَ فريضةٍ». وسيذكره المصنف آخر السورة.

(٢) رواه محمد بن نصر كما في «مختصر قيام الليل» (ص: ٢٢)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٣٦٢).

وقيلَ: أي: سنُوحي إليك القرآنَ، وهوَ قولٌ ثقيلٌ يثقُلُ العملُ بشرائعِه وحدودِه.

وقيلَ: معنى ثقلِه: أنَّه يثقُلُ على الكفَّارِ؛ لِـمَا فيه من الاحتجاجِ عليهم، والبيانِ لضلالتِهم، وسبِّ آلهتِهم، والكشفِ عمَّا حرَّفَه أهلُ الكتابِ.

وقيلَ: أي: أنَّه كلامٌ ذو قَدْرٍ ورزانةٍ بنفسِ معانيه وجنسِ نظمِه، ليسَ بالخفيفِ الوزنِ والمقدارِ.

وقيلَ: أي: ثقيلُ المحملِ، فإنَّه عليه السَّلامُ كانَ يثقلُ عليه الوحيُ عند نزولِه حتَّى رُويَ أنَّ الوحيَ نزلَ عليه وهوَ على ناقتِه فثقُلَ عليها حتَّى وضعَت جِرانَها، فلم تستطع أن تتحرَّكَ[1].

وقالَ زيدُ بنُ ثابتٍ: كنتُ أكتبُ الوحيَ لرسولِ اللهِ عليه السَّلامُ: (لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله)، فجاءَ ابنُ أمِّ مكتومٍ فقال: يا رسولَ اللهِ، إنَّ بي مِن الضَّررِ ما ترى، فقالَ زيدٌ: فثقلَت فخذُ رسولِ اللهِ على فخذي حتَّى خشيتُ أن ترضَّها، فنزلَت ﴿غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ﴾[2].

وقيلَ: ثقيلٌ على مَن لـم يُؤمن به، فإنَّه يُعاقَبُ به غداً.

وقالَ الحسنُ: ثقيلٌ في الميزانِ يومَ القيامةِ[3].

وقيلَ: القولُ الثَّقيلُ يومَ القيامةِ في هذه الآيةِ هوَ قولُ: لا إلهَ إلَّا اللهُ؛ إذ في الخبرِ: «لا إلهَ إلَّا اللهُ خفيفةٌ على اللِّسانِ ثقيلةٌ في الميزانِ»[4].

---

(١) رواه بنحوه الإمام أحمد في «المسند» (٢٤٨٦٨) عن عائشة رضي الله عنها، ولفظه: «إن كان ليوحى إلى رسول الله ﷺ وهو على راحلته، فتضرب بجرانها». قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٢٥٧): «رجاله رجال الصحيح». والجران: باطن العنق مما يلي الأرض.

(٢) رواه البخاري (٢٨٣٢).

(٣) ذكره محمد بن نصر كما في «مختصر قيام الليل» (ص: ٣١)، والسمعاني في «تفسيره» (٦/ ٧٨).

(٤) رواه ابن حبان في «المجروحين» (٣/ ١٤٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً، وتمامه: «القنوا =

(٦) ـ ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾.

قولُه تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا﴾ بيَّنَ فضلَ صلاةِ اللَّيلِ على صلاةِ النَّهارِ، وأنَّ الاستكثارَ من صلاةِ اللَّيلِ والقرآنِ فيها أمكنُ وأجلبُ للثَّوابِ، فقال: قمِ اللَّيلِ ورتِّلِ القرآنَ، فإنَّا سنُلقي عليك القرآنَ، وقراءتُه في صلاةِ اللَّيلِ أمكنُ.

ثمَّ؛ قيل: ناشئةُ اللَّيل: أوقاتُ اللَّيلِ وساعاتُه؛ لأنَّ أوقاتَه تنشأُ أوَّلاً فأوَّلاً، يُقالُ: نشَأَ الشَّيءُ يَنشَأُ: إذا ابتدأَ وأقبَلَ شيئاً بعدَ شيءٍ، وأنشأَه اللهُ فنشَأَ، والمرادُ: إنَّ ساعاتِ اللَّيلِ النَّاشئةَ، فاكتفى بالوصفِ من الاسمِ، وعلى هذا فالتَّأنيثُ للَفظِ السَّاعة؛ لأنَّ كلَّ ساعةٍ تحدُثُ.

وقيلَ: النَّاشئةُ مصدرٌ بمنزلةِ الخاطئةِ والكاذبةِ؛ أي: إنَّ نشأةَ اللَّيلِ هيَ أشدُّ وطئاً.

وقيلَ: ناشئةُ اللَّيلِ: قيامُ اللَّيلِ، قالَ ابنُ مسعودٍ: الحبشةُ يقولونَ: نشأ؛ أي: قامَ[1]. فلعلَّه أرادَ أنَّ الكلمةَ عربيَّةٌ، ولكنَّها شائعةٌ في لسانِ الحبشةِ غالبةٌ عليهم، وإلا فليسَ في القرآنِ ما ليسَ من لغةِ العربِ، والنُّشوءُ بمعنى القيامِ ليسَ بديعاً، فكأنَّ القائمَ ينشأُ للصَّلاةِ؛ أي: يقومُ لها، فالمعنى: إنَّ ما أمرَكَ اللهُ أن تُنشِئَه باللَّيلِ مِن القيامِ أشدُّ وطئاً، وعلى هذا فالمرادُ: قيامُ جميعِ اللَّيلِ.

= موتاكم شهادة أن لا إله إلا الله فإنها خفيفة على اللسان ثقيلة في الميزان ولو جعلت «لا إله إلا الله» في كفة وجعلت السماوات والأرض وما فيهن في كفة لرجحت بهن لا إله إلا الله»، وضعفه بأبي جرير مولى الزهري ـ ويقال له أيضاً: «أبو حرب» كما في «ميزان الاعتدال» (٤/ ٥١٣) ـ وقال عنه: «يروي عن الزهري العجائب من المقلوبات والأوابد من الملزقات، لا تحل الرواية عنه ولا كتابة حديثه إلا على سبيل الاعتبار».

(١) رواه عنه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٩٩٧٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٨٠). وعلقه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قبل حديث (١١٤١)، ووصله عنه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٣٦٦).

وقيلَ: ناشئةُ اللَّيل؛ أي: أوَّلُه، ومنه سُمِّيَ الشَّابُّ ناشئاً، وسمِّيَ المبتدئُ في العلمِ ناشئاً، فناشئةُ اللَّيلِ: ساعتُه الأولى وبدايتُه.

قالَ عليُّ بنُ الحسنِ: هيَ ما بينَ المغربِ إلى العشاءِ(١).

وقد حملَ قومٌ قولَه: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾ [السجدة: ١٦] على الصَّلاةِ بينَ المغربِ والعشاءِ.

وقالَ قومٌ: ناشئةُ اللَّيل: القيامُ إلى الصَّلاةِ بعدَ النَّومِ، وسُئِلَ ابنُ عبَّاسٍ عن ناشئةِ اللَّيلِ، فقيل: أهي أوَّلُ اللَّيلِ؟ فقالَ: لا، ولكنَّه القيامُ بعدَ النَّومِ(٢).

﴿هِيَ أَشَدُّ وَطْـًٔا﴾ قُرِئَ ﴿وَطْـًٔا﴾ بفتحِ الواوِ وسكونِ الطَّاءِ؛ أي: ساعاتُ اللَّيلِ أصلحُ وأثبتُ للصَّلاةِ؛ لأنَّ اللَّيلَ وقتُ مَنامٍ وتَودُّعٍ وإجْمامٍ، فمَن شغلَه بالعبادةِ فقد تحمَّلَ المشقَّةَ العظيمةَ، فيعظُمُ أجرُه، يُقال: اشتدَّت وطأةُ السُّلطانِ على الرَّعيَّة؛ أي: ثقُلَ عليهم ما حمَّلَهم من المُؤنِ.

وقيلَ: ﴿أَشَدُّ وَطْـًٔا﴾؛ أي: أشدُّ ثباتاً منَ النَّهارِ، وأنَّ اللَّيلَ يخلو فيه الإنسانُ بما يعملُه، فيكونُ ذلك أثبتَ للعملِ، وأنفى لِـمَا يُلهي ويَشغلُ القلبَ، فالوَطءُ: الثَّباتُ، تقولُ: وَطِئتُ الأرضَ بقدمي.

---

(١) رواه بنحوه الثعلبي في «تفسيره» (٢٧/ ٤٩٠)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٤٧٥٦)، وذكره عنه محمد بن نصر كما في «مختصر قيام الليل» (ص: ٤٠). وروي نحوه عن أنس رضي الله عنه، رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٥٩٢٦) عن ثابت، عن أنس، أنه كان يصلي ما بين المغرب والعشاء، ويقول: هي ناشئة الليل.

(٢) ذكره عنه بنحوه إبراهيم الحربي في «غريب الحديث» (٢/ ٨٧٩)، والأزهري في «تهذيب اللغة» (١١/ ٢٨٨). وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٧/ ٤٩١)، والواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٣٥٩)، عن عائشة رضي الله عنها.

وقالَ الفرَّاءُ: ﴿أَشَدُّ وَطْئًا﴾؛ أي: أثبتُ قياماً[١]؛ أي: أدومُ لـمَن أرادَ الاستكثارَ منَ العبادةِ، واللَّيلُ وقتُ فراغٍ عن أشغالِ المعاشِ، فعبادتُه تدومُ ولا تنقطعُ.

قالَ الكلبيُّ: ﴿أَشَدُّ وَطْئًا﴾؛ أي: أشدُّ نشاطاً للمُصلِّي[٢].

ومَن قالَ: ﴿نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ﴾: أوَّلُ اللَّيلِ، قال: الإنسانُ في أوَّلِ اللَّيلِ أنشطُ للقراءةِ، ومَن قالَ: هيَ القيامُ بعدَ النَّومِ، قال: إذا تودَّعَ[٣] الإنسانُ ساعةً، ثمَّ قامَ، فكأنَّه نشوءٌ جديدٌ، فيكونُ في هذه الحالةِ أنشطَ في القراءةِ والصَّلاةِ، ويكونُ ذلك أثبتَ لقَدَمِه حتَّى لا يميلَ ولا يسقطَ.

وقُرِئَ: ﴿وِطَاءً﴾ بكسرِ الواوِ ومدِّ الألفِ[٤]، وهوَ مصدرُ واطَأَ يُواطِئُ؛ أي: وافَقَ، وواطأتُه على كذا مُواطأةً ووِطاءً؛ أي: ساعاتُ اللَّيلِ أوفقُ للقيامِ لفراغِ قلبِ المصلِّي وانقطاعِه عن أشغالِ المعاشِ وتفرُّغِه لذكرِ اللهِ.

وقالَ ابنُ عبَّاسٍ: أي: يُواطئُ السَّمعُ القلبَ[٥]، قالَ اللهُ تعالى: ﴿لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ [التوبة: ٣٧]؛ أي: ليُوافِقوا.

﴿وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾؛ أي: القراءةُ باللَّيلِ أقومُ منها بالنَّهارِ؛ أي: أشدُّ استقامةً واستمراراً على الصَّوابِ؛ لأنَّ الأصواتَ هادئةٌ والدُّنيا ساكنةٌ ساكتةٌ، فلا يضطربُ على المصلِّي ما يَقرؤُه.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٩٧).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ١٢٧)، والواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٣٥٩).

(٣) تودَّع: تفعَّل من وَدُعَ ككَرُم ووضَعَ بمعنى: سكَنَ واستقر، ومنه: الدَّعة، وهي الخفضُ والسعة في العيش.

(٤) قرأ بها أبو عمرو وابن عامر، والباقون بفتح الواو وسكون الطاء. انظر: «السبعة» (ص: ٦٥٨)، و«التيسير» (ص: ٢١٦).

(٥) ذكره عنه ابن زنجلة في «حجة القراءات» (ص: ٧٣٠)، والواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٣٦٢).

وقالَ أبو عليٍّ: ﴿وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾؛ أي: أشدُّ استقامةً لفراغِ البالِ باللَّيلِ[١].

***

(٧) - ﴿إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾.

قولُه تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾؛ أي: متصرَّفاً كبيراً وتَقلُّباً[٢] في حوائجِكَ وأمورِ دُنياك، ففرِّغْ نفسَكَ باللَّيلِ لعبادةِ ربِّك، والتَّسبيحُ: الجريُ والدَّورانُ، ومنه: السِّباحةُ في الماءِ.

وقيلَ: السَّبحُ: الفراغُ؛ أي: إنَّ لك فراغاً للحاجاتِ بالنَّهارِ.

وقيلَ: ﴿إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا﴾؛ أي: نوماً، والسَّبحُ: التَّمدُّدُ، ذكرَه الخليلُ[٣].

وقالَ الزَّجَّاجُ: أي: إن فاتَكَ في اللَّيلِ شيءٌ، فلكَ في النَّهارِ فراغٌ للاستدراكِ[٤].

***

(٨) - ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾.

قولُه تعالى: ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ﴾؛ أي: ادعُهُ بأسمائِه الحُسنى ليحصلَ لك محمودُ العاقبةِ.

﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾؛ أي: انقطِعْ بعبادتِك إليه، ولا تُشرِكْ به غيرَه، يقالُ: بَتَلْتُ الشَّيءَ؛ أي: قطَعْتُه، وهذه صدقةٌ بتَّةٌ بَتْلَةٌ؛ أي: مُنقطِعةٌ عن صاحبِها؛ أي: قطعَ مِلكَه عنها بالكلِّيَّةِ، ويُقالُ للرَّاهبِ: مُتَبَتِّلٌ؛ أي: لانقطاعِه عن النَّاسِ وانفرادِه

---

(١) انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (٦/ ٣٣٥).

(٢) في (أ): «وتعلنا»، ولعل الصواب هو المثبت.

(٣) انظر: «العين» (٣/ ١٥١)، وفيه: «﴿سَبْحًا طَوِيلًا﴾، أي: فراغًا للنوم».

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٤٠)، وفيه: «معناه فراغاً طويلًا ومتصرفاً طويلًا».

بالعبـادةِ، والعـذراءُ البَتـولُ: المنقطعةُ عـن الأزواجِ، وإنَّما قـال: ﴿تَبۡتِيلٗا﴾ ولـم يقل: تبتُّلاً؛ لـرُؤوسِ الآي.

وقيـلَ: أي: تبتَّـلْ إليه مُبَتِّلاً نفسَـك إليـه تبتيلاً، وهـذا كقولِه: ﴿أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا﴾ [نوح: ١٧].

* * *

(٩) ـ ﴿رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا﴾.

قولُـه تعالـى: ﴿رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ﴾ قُـرِئَ: ﴿رَّبُّ﴾ بالرَّفـعِ؛ أي: هوَ ﴿رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ﴾، فيكـونُ خبـرَ ابتـداءٍ محـذوفٍ، كقولِـه: ﴿بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكُمُۗ ٱلنَّارُ﴾، وقولِـه: ﴿مَتَٰعٞ قَلِيلٞ﴾ [آل عمران: ١٩٧]؛ أي: تَقلُّبُهم متاعٌ قليلٌ.

وقيلَ: ﴿رَّبُّ﴾ رفعٌ بالابتداءِ وخبرُه ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾.

وقُرِئَ: ﴿ربِّ﴾ بالخفضِ[١] على إتْباعِ قولِه: ﴿ٱسۡمَ رَبِّكَ﴾، فربُّ[٢] المشرقِ والمغربِ من أسمائِه، ومَن عَلِمَ أنَّه مالكُ المشارقِ والمغاربِ انقطَعَ بعملِه وأمَلِه إليه.

﴿فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا﴾؛ أي: قائماً بأمورِك، وقيلَ: كفيلاً على ما وعَدَك.

* * *

(١٠) ـ ﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا﴾.

قولُه تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾؛ أي: لا تَجزعْ من قولِ المشركين، ولا تمتنِعْ من دعائِهم إلى اللهِ.

---

(١) قرأ بها ابن عامر وحمزة والكسائيُّ وشعبة، والباقون بالرَّفع. انظر: «السبعة» (ص: ٦٥٨)، و«التيسير» (ص: ٢١٦).

(٢) في (أ): «قرئ»، ولعل الصواب هو المثبت.

﴿وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾؛ أي: لا تُكافِئْهم؛ فإنَّ في ذلك تركَ الدُّعاءِ إلى الله، ولكن ادعُهم إلى الله، فإذا سمعتَهم يقولونَ ما تكرَهُ، فأعرِضْ عنهم حتَّى يَخوضُوا في شيءٍ غيرِه، وكانَ هذا قبلَ الأمرِ بالقتالِ.

***

(١١) ـ ﴿وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُو۟لِى ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا﴾.

قولُه تعالى: ﴿وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ﴾؛ أي: كِلْ أمرَهم إليَّ، فإنِّي أنتقمُ منهم لك.

﴿أُو۟لِى ٱلنَّعْمَةِ﴾؛ أي: أولي الغِنى واللَّذَّةِ في الدُّنيا[1] ﴿وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا﴾؛ أي: أخِّرْهم بالعذابِ الَّذي تَستبطِئُه لهم مُدَّةً قليلةً حتَّى يبلغَ الكتابُ أجلَه، وهذا أمرٌ والمرادُ به الخبرُ؛ أي: لـم يبقَ لهم إلى أن أُنزِلَ العذابَ عليهم إلَّا قليلٌ.

وقيلَ: ﴿وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا﴾؛ أي: مُدَّةَ الدُّنيا.

***

(١٢ ـ ١٣) ـ ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ۝١٢ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾.

قولُه تعالى: ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا﴾؛ أي: إنَّ عندَنا قُيوداً سُوداً من النَّارِ، والنِّكلُ: ما مُنِعَ به الإنسانُ الحركةَ من قَيدٍ وغيرِه.

﴿وَجَحِيمًا﴾؛ أي: ناراً حاميةً مُستعِرةً.

﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾؛ أي: لا يَسوغُ في الحلقِ، والغُصَّةُ: ما يَغَصُّ به الإنسانُ.

قالَ ابنُ عبَّاسٍ: يريدُ الزَّقومَ[2].

---

(١) نقل السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٢٧١) عن أهل اللغة: «النِّعمة بكسر النون هي المنة واليد الصالحة، والنُّعمة بالضم هي الميسرة، وبالنصب هي السعة في العيش».

(٢) رواه عن ابن عباس الحاكم في «المستدرك» (٨٧٥٧). ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٣٨٤) عن مجاهد.

وقـالَ الزَّجَّـاجُ: أي: طعامُهـم الضَّريـعُ، كمـا قـال: ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ﴾ [الغاشـية: ٦]، وهوَ شـوكٌ كالعوسَـجِ(١).

وقيلَ: شوكٌ لا يدخلُ في الحلقِ ولا يخرجُ(٢).

* * *

(١٤) - ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾.

قولُه تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ﴾؛ أي: يُنكِّل بهم يومَ تَرجُفُ الأرضُ، أو: وذرني والمكذبينَ يومَ تَرجُفُ الأرضُ؛ أي: تتزلزَلُ وتتحرَّكُ أغلظَ حركةٍ.

﴿وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا﴾ الكَثيبُ: القطعةُ من الرَّملِ بحيثُ لا يتماسَكُ.

وقالَ الخليلُ: الكثيبُ: نثرُ التُّرابِ أو الشَّيءُ يُرمَى به(٣)، يُقالُ: انكَثَبَ انكثاباً، وسُمِّيَ الكثيبُ كثيباً؛ لأنَّ ترابَه كأنَّه مَكثوبٌ منثورٌ بعضُه على بعضٍ لِرخاوتِه؛ أي: الجبالُ تصيرُ من هولِ يومِ القيامةِ كالتُّرابِ المنتثِرِ.

﴿مَّهِيلًا﴾؛ أي: سائلاً، يُقالُ: مَهِيلٌ ومَهيولٌ، مثل مَدينٍ ومَديونٍ، ومَكيلٍ ومَكيولٍ، فالمهيلُ والمهيولُ بمعنى: المصبوبِ، يُقال: هِلْتُ الطَّعامَ أَهِيلُه هَيْلاً فهوَ مَهِيلٌ: إذا أرسلتَه يجري(٤).

* * *

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٤٢).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٣٨٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) انظر: «البسيط» (٢٢/ ٣٧٦)، وفي «العين» (٥/ ٣٥١): «كثب: كَثَبْتُ التراب ونحوه كثباً فانكثب، أي: نثرته. وسمي الكثيبُ لدقة ترابه، كأنه منثور بعضه فوق بعض رخاوة. وكل طائفة من التمر والبر مصبوب فهو كُثْبَةٌ، وجمعه: كُثَبٌ».

(٤) انظر: «البسيط» (٢٢/ ٣٧٦)، وقد جمعه الواحدي من كلام الفراء والزجاج وأبي عبيدة.

(١٥) ـ ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ رَسُولٗا شَٰهِدًا عَلَيۡكُمۡ كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولٗا﴾.

قولُه تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ﴾ أخبرَ ببعضِ ما فعَلَ بالأممِ الكافرةِ؛ أي: معاشرَ أهلِ مكَّةَ، إنَّا أرسلْنا إليكم محمَّداً ﴿شَٰهِدًا عَلَيۡكُمۡ﴾ يومَ القيامةِ، فأجابَه مَن أجابَ، وكذَّبَه مَن كذَّبَ ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولٗا﴾ يعني: موسى.

قالَ مُقاتِلٌ: ذكرَ موسى وفرعونَ؛ لأنَّ أهلَ مكَّةَ ازدَرَوا محمَّداً واستخفُّوا به لأنَّه وُلِدَ فيهم، كما أنَّ فرعونَ ازدَرَى موسى لأنَّه ربَّاه ونشَأَ فيما بينَهم، كما قالَ: ﴿أَلَمۡ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدٗا﴾ [الشعراء: ١٨][(١)].

* * *

(١٦) ـ ﴿فَعَصَىٰ فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذۡنَٰهُ أَخۡذٗا وَبِيلٗا﴾.

قولُه تعالى: ﴿فَعَصَىٰ فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ﴾؛ أي: كذَّبَه ولم يُؤْمِنْ به ﴿فَأَخَذۡنَٰهُ أَخۡذٗا وَبِيلٗا﴾؛ أي: غرَّقْناه، والوَبيلُ: الغليظُ الثَّقيلُ، يُقال: صارَ هذا وَبالاً عليه؛ أي: أفضَى به إلى غايةِ المكروهِ، ويُقالُ للمطرِ العظيمِ: وابِلٌ، واستوبَلَ فلانٌ كذا؛ أي: لم يَحمَد عاقبتَه، وماءٌ وَبِيلٌ؛ أي: وخيمٌ غيرُ مُرْوٍ[(٢)].

* * *

(١٧) ـ ﴿فَكَيۡفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرۡتُمۡ يَوۡمٗا يَجۡعَلُ ٱلۡوِلۡدَٰنَ شِيبًا﴾.

قولُه تعالى: ﴿فَكَيۡفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرۡتُمۡ﴾ هوَ تقريعٌ وتوبيخٌ؛ أي: كيفَ تتَّقونَ

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٤٧٧).

(٢) «مروٍ» كذا في (أ) ولها وجه، لكن الذي في المصادر: «غير مريء». انظر: «تهذيب اللغة» (١٥/ ٢٧٨)، والغريبين» (مادة: وبل)، و«البسيط» (٢٢/ ٣٧٨).

العذابَ غداً إن كفرتُم؟ وفيه تقديمٌ وتأخيرٌ؛ أي: كيفَ تتَّقونَ يوماً يجعلُ الولدانَ شيباً إن كفرتُم، وهذا في قراءةِ عبدِ اللهِ(١).

قالَ الحسنُ: أي: بأيِّ صلاةٍ تتَّقونَ العذابَ؟! بأيِّ صومٍ تتَّقونَ العذابَ(٢)؟! وفيه إضمارٌ؛ أي: كيفَ تتَّقونَ عذابَ يومٍ.

وقالَ قتادةُ: واللهِ ما يتَّقي مَن كفرَ باللهِ ذلك اليومَ بشيءٍ(٣).

﴿يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا﴾ من الهولِ.

وقيلَ: هذا حين يُقالُ لآدمَ: «قُمْ فابعَثْ بعثَ النّارِ مِن ذُرِّيَّتِكَ مِن كلِّ ألفٍ تسعَ مئةٍ وتسعةً وتسعين»(٤)، ثمَّ أهلُ الجنَّةِ يُغيِّرُ اللهُ أحوالَهم وأوصافَهم على ما يريدُ.

وقيلَ: هذا ضربُ مثلٍ لشدَّةِ ذلك اليومِ، وهوَ مجازٌ.

* * *

(١٨) ـ ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرُۢ بِهِۦۚ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا﴾.

قولُه تعالى: ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرُۢ بِهِۦ﴾؛ أي: تنشقُّ السَّماءُ حينئذٍ من أهوالِ ذلك اليومِ.

---

(١) ذكر هذه القراءة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: الفراء في «معاني القرآن» (٣/ ١٩٨)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٣٨٨).

(٢) رواه عبد بن حميد وابن المنذر كما في «الدر المنثور» (٨/ ٣٢١).

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٣٧٤)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٣٨٨).

(٤) رواه مسلم (٢٩٤٠) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، ضمن حديث وفيه: «ثم يقال: أخرجوا بعث النار، فيقال: من كم؟ فيقال: من كل ألف تسع مئة وتسعة وتسعين، قال: فذاك يوم يجعل الولدان شيباً، وذلك يوم يكشف عن ساق»، ورواه البخاري (٦٥٣٠) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، ولفظه: «يقول الله: يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك والخير في يديك، قال: يقول: أخرج بعث النار، قال: وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسع مائة وتسعة وتسعين، فذاك حين يشيب الصغير».

﴿بِهِۦ﴾؛ أي: فيه؛ أي: في ذلك اليومِ.

وقيلَ: لذلك اليومِ، يُقال: فعلتُ كذا بحُرمتِكَ ولحرمتِك، والباءُ واللّامُ و(في) تتقارَبُ في مثلِ هذا الموضعِ، قالَ اللهُ تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧]؛ أي: في يومِ القيامةِ.

وقيلَ: ﴿بِهِۦ﴾؛ أي: بالأمرِ؛ أي: السَّماءُ منفطرٌ بما يجعلُ الولدانَ شيباً.

وقيلَ: منفطرٌ باللهِ؛ أي: بأمرِه، قالَ أبو عمرِو بنِ العلاءِ: لم يقل: منفطرةٌ؛ لأنَّ مجازَها مجازُ السَّقفِ، تقولُ: هذا سماءُ البيتِ[١].

وقالَ الفرَّاءُ: السَّماءُ يُذكَّرُ ويُؤنَّثُ[٢].

وقالَ أبو عليٍّ: هوَ من بابِ الجرادِ المنتشِرِ، والشَّجرِ الأخضرِ، و﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾[٣].

وقيلَ: ما كانَ تأنيثُه غيرَ حقيقيٍّ جازَ تذكيرُه.

وقالَ أبو عليٍّ أيضاً: أي: السَّماءُ ذاتُ انفطارٍ، كقولِهم: امرأةٌ مُرضِعٌ؛ أي: ذاتُ رضاعٍ، ولم يُرَدِ الفعلُ[٤].

﴿كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا﴾؛ أي: وعدُه بالبعثِ كائنٌ لا مَحالةَ.

* * *

---

(١) ذكره عنه أبو عبيدة في «مجاز القرآن» (٢/ ٢٧٤).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٩٩).

(٣) انظر: «البسيط» (٢٢/ ٣٨٢)، وعزاه لـ«المسائل الحلبية»، ولم أجده في مطبوعها.

(٤) انظر: «التعليقة على كتاب سيبويه» (١/ ٢٤٧) لأبي علي وفيه: «لم يُرد بمنفطر الاسم الجاري على الفعل، وإنما أراد الذي بمعنى النَّسَب، أي: ذات انفطار».

(١٩) ـ ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾.

قولُه تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ﴾ يعني: آياتِ القرآنِ تذكرةٌ ووعظٌ يجبُ تأمُّلُها، ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾؛ أي: بالطَّاعةِ والتَّصديقِ.

* * *

(٢٠) ـ ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ﴾.

قولُه تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ﴾ نَسَخَ بهذه الآيةِ فَرْضيَّةَ صلاةِ اللَّيلِ.

قالَت عائشةُ: افترضَ اللهُ قيامَ اللَّيلِ في أوَّلِ هذه السُّورةِ، فقامَ نبيُّ اللهِ وأصحابُه حَولاً حتَّى انتفخَت أقدامُهم، وأمسكَ اللهُ خاتمَتَها في السَّماءِ اثني عشرَ شهراً، ثمَّ أنزلَ اللهُ التَّخفيفَ في آخرِ هذه السُّورةِ فصارَ قيامُ اللَّيلِ تطوُّعاً[1].

أي: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ﴾ يا محمَّدُ ﴿أَنَّكَ تَقُومُ﴾ باللَّيلِ للصَّلاةِ ﴿أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ﴾؛ أي: أقلَّ من ثُلثي اللَّيلِ ﴿وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ﴾ بالنَّصبِ عطفاً على ﴿أَدْنَىٰ﴾ ومحلُّه النَّصبُ؛ أي: تقومُ أدنى من ثلثي اللَّيلِ وتقومُ نصفَه وثلثَه؛ أي: تارةً هكذا وتارةً هكذا، فكانُوا لا يَنتقصونَ من ثلثِ اللَّيلِ؛ لأنَّهم أُمِرُوا في فرضِ القيامِ بهذه المقاديرِ، فامتثلُوا ما أُمِرُوا به من ليالِيَ مختلفةٍ، كمَن يحنثُ في اليمينِ فيُكفِّرُ مرَّةً بالعتقِ ومرَّةً بالكسوةِ ومرَّةً بالإطعامِ.

---

(١) رواه مسلم (٧٤٦).

ويحتملُ أنَّ بعضَهم كانَ يقومُ الثُّلثَ، والبعضَ النِّصفَ، والبعضَ الثُّلثينِ أو أدنى منه؛ إذ كلُّ ذلك كانَ مُباحاً، كجَمعٍ حنثُوا: يُكفِّرُ بعضُهم بالإعتاقِ والبعضُ بالإطعامِ والبعضُ بالكسوةِ.

وإنَّما قال: (أدنى من الثُّلثينِ)؛ لأنَّهم كانُوا يجتهدون في الثُّلثينِ بالتَّحرِّي، فيُؤدِّيهم ذلك إلى النَّقصِ منه، فهوَ عندَ اللهِ أدنى من الثُّلثينِ وعندَ القومِ الثُّلثانِ، وكذلك هذا على قراءةِ مَن قرأَ: ﴿ونِصْفِه وثُلثِه﴾ بالجرِّ[1]؛ أي: أدنى من نصفِه وثلثِه، وذلك على الاجتهادِ المؤدِّي إلى النَّقصِ.

وعلى القراءةِ الأولى يحتملُ أنَّهم كانُوا يُصيبونَ الثُّلثَ والنِّصفَ لخفَّةِ القيامِ عليهم بذلك القَدْرِ، وكانوا يَزيدونَ، وفي الزِّيادة إصابةُ المقصودِ، فأمَّا الثُّلثانِ فكانَ يَثقلُ عليهم قيامُه فلا يُصيبونَه وينقصونَ منه.

ويحتملُ أنَّهم أُمِرُوا بقيامِ نصفِ اللَّيلِ، ورُخِّصَ لهم في الزِّيادةِ والنُّقصانِ، وكانوا ينتهونَ في الزِّيادةِ إلى قريبٍ من الثُّلثينِ، [وفي النِّصفِ إلى الثُّلثِ][2].

ويحتملُ أنَّه قُدِّرَ لهم النِّصفُ وأنقصُ إلى الثُّلثِ، والزِّيادةُ إلى الثُّلثينِ، وكانَ فيهم مَن يَفي بذلك، وفيهم [مَن][3] يتركُ ذلك إلى أن نُسِخَ عنهم.

وقالَ قومٌ: إنَّما افتُرِضَ عليهم الرُّبعُ، فما كانوا [ينقصُون من الربع][4]. **وهذا القولُ تحكُّمٌ.**

---

(١) قرأ بها نافع وأبو عمرو وابن عامر، والباقون بالنصب. انظر: «السبعة» (ص: ٦٥٨)، و«التيسير» (ص: ٢١٦).

(٢) **ما بين معكوفتين من «تفسير القرطبي» (٢١/ ٣٤٤) وقد نقل كلام المصنف بحرفه وعزاه إليه، وجاء** مكانه في (أ) عبارة مكررة، وهي: (ورُخِّصَ لهم في الزِّيادةِ والنُّقصانِ إلى قريبٍ من الثُّلثينِ).

(٣) ما بين معكوفتين من «تفسير القرطبي».

(٤) ما بين معكوفتين من «تفسير القرطبي»، لكن فيه مكان «فما كانوا»: «وكانوا»، ولعله سهو أو خطأ =

﴿وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ﴾؛ أي: يعلمُ اللَّيلَ والنَّهارَ على حقائقِها، وأنتم تعلمونَ ذلك بالتَّحرِّي والاجتهادِ الَّذي قد يقعُ فيه الخطأُ.

﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ﴾؛ أي: لن تُطيقوا معرفةَ حقائقِ ذلك والقيامَ به.

وقالَ مقاتلٌ: كانَ الرَّجلُ يُصلِّي اللَّيلَ مخافةَ أن لا يصيبَ [ما أمر الله] به، فقالَ تعالى: ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ﴾(1).

و﴿أَن﴾ مخفَّفةٌ منَ الثَّقيلةِ؛ أي: عَلِمَ أنَّكم لن تُحصوه؛ لأنَّكم إن زدتُم ثقُلَ عليكم واحتجتُم إلى تكليفِ ما ليسَ فرضاً، وإن نقصتُم شقَّ ذلك عليكم.

﴿فَتَابَ عَلَيۡكُمۡ﴾؛ أي: فعادَ عليكم بالعفوِ، وهذا يدلُّ على أنَّه كانَ فيهم مَن تركَ بعضَ [ما] أُمِرَ به.

وقيلَ: أي: فرجعَ بكم من ثقيلٍ إلى خفيفٍ، ومِن عُسرٍ إلى يُسرٍ، وإنَّما أُمِرُوا بحفظِ الأوقاتِ على طريقِ التَّحرِّي، فخفَّفَ عنهم ذلك التَّحرِّي.

وقيلَ: معنى ﴿وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ يخلقُهما مُقدَّرين، كقولِه: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا﴾ [الفرقان: ٢]، وعلى الأوَّلِ ﴿يُقَدِّرُ﴾؛ أي: يَعلَمُ المقدارَ.

﴿فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ﴾؛ أي: فصلُّوا ما تيسَّرَ عليكم، والصَّلاةُ تُسمَّى قرآناً، كقولِه: ﴿وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ﴾ [الإسراء: ٧٨]؛ أي: صلاةَ الفجرِ، وهوَ تسميةُ الصَّلاةِ ببعضِ ما هوَ مِن أعمالِها وأقوالِها، كما تُسمَّى تسبيحاً وسجوداً وركعةً.

= نساخ، فقد جاء في «البسيط» (٢٢/ ٣٨٤) عن الجرجاني صاحب «النظم»: الأقل الذي افترض عليهم: الربع، لم ينقصوا من الربع على قول من قرأ بالجر».

(١) ذكره عنه الواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٣٨٥)، وما بين معكوفتين منه.

وقيلَ: أي: فاقرؤوا فيما تُصلُّونه باللَّيلِ ما خَفَّ عليكم وتيسر[1] بالقراءةِ فيه.

ثمَّ؛ قيل: هذا نَسخَ فرضَ صلاةِ اللَّيلِ كلِّها، **والمشهورُ** أنَّ هذا النَّسخَ في حقِّ الأُمَّةِ، وبقيَتِ الفريضةُ في حقِّ النَّبيِّ عليه السَّلام.

وقيلَ: نسخَ التَّقديرَ بمقدارٍ، وبقيَ[2] أصلُ الوجوبِ، كقولِه: ﴿فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ﴾ [البقرة: ١٩٦]، فالهديُ لا بدَّ منه، كذلكَ لـم يكنْ بدٌّ من صلاةِ اللَّيلِ، ولكن فُوِّضَ قَدْرُه إلى اختيارِ المصلِّي.

وعلى هذا؛ فقد قالَ قومٌ: فرضُ قيامِ اللَّيلِ بالقليلِ باقٍ، وهوَ مذهبُ الحسنِ[3].

وقالَ قومٌ: نُسِخَ بالكلِّيَّةِ، فلا تجبُ صلاةُ اللَّيلِ أصلاً، وهوَ مذهبُ الشَّافعيِّ[4].

ولعلَّ الفريضةَ في حقِّ النَّبيِّ عليه السَّلامُ هذا، وهوَ قيامُه، ومقدارُه مُفوَّضٌ إلى خِيرتِه، وإذا ثبَتَ أنَّ القيامَ ليسَ فرضاً، فقوله: ﴿فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ معناه: اقرؤوا إن تيسَّرَ عليكم ذلك، وصلُّوا إن شئتم.

وصارَ قومٌ إلى أنَّ النَّسخَ بالكلِّيَّةِ تقرَّرَ[5] في حقِّ النَّبيِّ أيضاً، فما كانَت صلاةُ اللَّيلِ [واجبةً] عليه، وقولُه: ﴿نَافِلَةً لَّكَ﴾ [الإسراء: ٧٩] محمولٌ على حقيقةِ النَّفلِ.

ومَن قالَ: نُسِخَ المقدارُ وبقيَ أصلُ وجوبِ قيامِ [اللَّيلِ]، ثمَّ نُسِخَ، فهذا النَّسخُ

---

(١) في (أ) كلمة غير واضحة، ولعل المثبت موافق للسياق.

(٢) في (أ): «وقيلَ: بقيَ»، والمثبت من «تفسير القرطبي» (٢١/ ٣٤٧).

(٣) روى ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٦٦٠٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣٢١٦)، عن الحسن قال: «صلوا من الليل ولو قدر حلب شاة». وهذا القول رده النووي بالإجماع والنصوص الصحيحة على أنه لا واجب إلا الصلوات الخمس. انظر: «شرح مسلم» (٦/ ٢٧).

(٤) انظر: «الأم» (١/ ٨٦).

(٥) في (أ): «تكرر» والمثبت من «تفسير القرطبي» (٢١/ ٣٤٧)، وما سيأتي بين معكوفتين منه.

الثَّاني وقعَ ببيانِ مواقيتِ الصَّلاةِ، كقولِه: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ﴾ [الإسراء: ٧٨]، وقولِه: ﴿فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ﴾ [الروم: ١٧]، وما في الخبرِ: أنَّ الزِّيادةَ [على] الصَّلواتِ الخمسِ تطوُّعٌ(١).

وقيلَ: وقَعَ النَّسخُ بقولِه: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ﴾ [الإسراء: ٧٩]، والخطابُ للنَّبيِّ عليه السَّلامُ وللأمَّةِ، كما أنَّ فَرْضيَّةَ الصَّلاةِ ـ وإن خُوطِبَ بها النَّبيُّ عليه السَّلامُ [في قولِه]: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ﴾ ـ كانَت عامَّةً له ولغيرِه.

وقد قيلَ: إنَّ فَرْضيَّةَ قيامِ اللَّيلِ امتدَّت إلى ما بعد الهجرةِ ونُسِخَت بالمدينةِ؛ لقولِه: ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، وإنَّما فُرِضَ القتالُ بالمدينةِ، فعلى هذا بيانُ المواقيتِ إنَّما جرى بمكَّةَ، فقيامُ اللَّيلِ نُسِخَ بقولِه: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ﴾ [الإسراء: ٧٩].

وقالَ ابنُ عبَّاسٍ: لمَّا قدمَ رسولُ اللهِ المدينةَ نسخَ قولُ الله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ﴾ وجوبَ صلاةِ اللَّيلِ(٢).

﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ﴾ يَشقُّ عليهم قيامُ اللَّيلِ، ويشقُّ عليهم أن تفوتَهم الصَّلاةُ ﴿وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ يعني: المسافرينَ في التِّجاراتِ، فقد لا

---

(١) رواه البخاري (٤٦)، ومسلم (١١)، من حديث طلحة بين عبيد الله رضي الله عنه، قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ من أهل نجد ثائر الرأس، يسمع دوي صوته ولا يفقه ما يقول، حتى دنا، فإذا هو يسأل عن الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «خمس صلوات في اليوم والليلة» فقال: هل عليَّ غيرها؟ قال: «لا، إلا أن تطوَّع» الحديث.

(٢) رواه أبو عبيد في «الناسخ والمسنوخ» (٤٦٧)، والنحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٧٥٣)، والطبراني في «مسند الشاميين» (٢٤١٦)، وبنحوه أبو داود (١٣٠٤).

يُطيقونَ قيامَ اللَّيل ﴿وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ يعني: المجاهدين، فإنَّهم قد لا يُطيقونَ قيامَ اللَّيلِ.

﴿فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُ﴾؛ أي: في اللَّيلِ من القرآنِ.

﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾؛ أي: المفروضةَ عليكم؛ يعني: لوَقْتِها[١].

﴿وَأَقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا﴾؛ أي: تطوَّعُوا بما أمكنَ من وجوهِ البرِّ والإنفاقِ في سبيلِ الله.

وقيلَ: أرادَ جميعَ الطَّاعاتِ قولاً وفعلاً. والقرضُ الحسنُ: ما قُصِدَ به وجهُ الله خالصاً.

﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ﴾؛ أي: من فرضٍ ونفلٍ ﴿تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: تجدوا ثوابَه ﴿هُوَ خَيۡرٗا﴾؛ أي: تجدوه خيراً عندَ الله لكم من متاعِ الدُّنيا.

وقالَ ابنُ عبَّاسٍ: تجدوه عندَ الله هوَ خيراً ممَّا تُؤخِّرونه إلى الوصيَّةِ[٢].

وقيلَ: هوَ خيرٌ عندَ اللهِ ثواباً من جميعِ الأجرِ في الدُّنيا.

وقولُه: ﴿هُوَ﴾ زيادةٌ في الكلامِ، كقولِه: ﴿وَلَٰكِن كَانُواْ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الزخرف: ٧٦].

﴿وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَ﴾؛ أي: ممَّا يلحقُكم من التَّقصيرِ فيما أُمِرْتم به ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمُۢ﴾ يسترُ ذنوبَكم ويرحمُكم.

* * *

---

(١) في (أ): «يعني الصلاة»، والمثبت من «تفسير القرطبي» (٢١/ ٣٥٢).

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٣٨٩).

تفسيرُ سورةِ المُدَّثِّرِ

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١ ـ ٢) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ﴾.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ نزلَ معظمُ السُّورةِ في الوليدِ بنِ المغيرةِ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾؛ أي: يا أيُّها الرَّجلُ المُدَّثِّرُ؛ أي: المُشتمِلُ بالدِّثارِ، وهوَ خطابٌ للنَّبيِّ عليه السَّلام، والمُدَّثِّرُ مدغمٌ كالمُزَّمِّل.

ثمَّ؛ قيل: كانَ نائماً فجاءَه جبريلُ عليه السَّلامُ، فأنبهَهُ وأمرَهُ بدعاءِ قومِه.

وقيلَ: أي: يا أيُّها الملبَّسُ لباسَ النُّبوَّةِ المحمَّلُ أثقالَها قُمْ؛ يُقال: ردَّاهُ اللهُ رداءَ عملِه، وألبسَه لباسَ التَّقوى، وتلبَّسَ فلانٌ بأمرِ كذا.

قوله تعالى: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾؛ أي: انتصِبْ بالجدِّ لهذا الأمرِ الَّذي رُشِّحت له وأُلزِمْتَ به[1].

وقيلَ: كانَ هذا في ابتداءِ الوحيِ، وخافَ أن يكونَ الشَّيطانُ قد اعتراهُ بشيءٍ، فاستوحشَ ووجدَ بَرداً في بدنِه، فجاءَ إلى بيتِ خديجةَ قائلاً: «دَثِّرُوني دَثِّرُوني» فدثَّرُوه، فأتاه جبريلُ، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ﴾[2] كفَّارَ مكَّةَ العذابَ إن لم يُوحِّدُوا ربَّك.

---

(١) في (أ): «رسخت له وتنتخب [دون تنقيط] به»، والمثبت هو الأنسب بالسياق.

(٢) رواه البخاري (٤٩٢٢)، ومسلم (١٦١)، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

وقيلَ: بلغَه قولُ كفَّارِ مكَّةَ فيه: إنَّه ساحرٌ، فوجدَ من ذلك غمّاً وحُمَّ، فتدثَّرَ بثيابِه، فقالَ اللهُ: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾؛ أي: لا تُفكِّرْ في قولِهم وبلِّغْهمُ الرِّسالة.

وقيلَ: اجتمعَ أبو لهبٍ وأبو سفيانَ والوليدُ بنُ المغيرةِ والنَّضرُ بنُ الحارثِ وأُميَّةُ بنُ خلفٍ والعاصُ بنُ وائلٍ ومطعمُ بنُ عديٍّ، وقالوا: قد اجتمعَت وفودُ العربِ في أيَّامِ الحجِّ، وهم يسألونَ قريشاً عن أمرِ محمَّدٍ، وقد اختلفْتُم في الإخبارِ عنه، فمِن قائلٍ يقولُ: مجنونٌ، وآخرُ يقولُ: كاهنٌ، وآخرُ يقولُ: شاعرٌ، وتعلمُ العربُ أنَّ هذا كلَّه لا يجتمعُ في رجلٍ قطُّ، فسمُّوا محمَّداً باسمٍ واحدٍ تَجتمعونَ عليه، وتُسمِّيه العربُ به، فقامَ رجلٌ منهم فقالَ: شاعرٌ، فقالَ الوليدُ: سمعتُ كلامَ عبيدِ بنِ الأبرصِ وأُميَّةَ بنِ أبي الصَّلتِ، وما يشبهُ كلامُ محمَّدٍ كلامَ واحدٍ منهما، فقالوا: هذا كاهنٌ، فقالَ: الكاهنُ يصدُقُ ويكذِبُ، وما كذبَ محمَّدٌ قط، فقامَ آخرُ فقالَ: مجنونٌ، فقالَ الوليدُ: الجنونُ[1] الَّذي يخنقُ النَّاسَ، وما خُنقَ محمَّدٌ قط. وانصرفَ الوليدُ إلى بيتِه فقالوا: صَبَأَ الوليدُ بنُ المغيرةِ، فدخلَ عليه أبو جهلٍ، وقالَ: ما لك يا أبا عبدِ شمسٍ؟! هذه قريشٌ تجمعُ لك شيئاً يعطونَكَه، زعمُوا أنَّكَ قد احتجْتَ وصبأتَ، فقالَ الوليدُ: ما لي إلى ذلك حاجةٌ، ولكنِّي فكَّرْتُ في محمَّدٍ فقلتُ: ما يكونُ مِن السَّاحرِ؟ فقيلَ: يُفرِّقُ بينَ الأبِ وابنِه، وبينَ الأخِ وأخيه، وبينَ المرأةِ وزوجِها، فقلتُ: إنَّه ساحرٌ. فشاعَ هذا في النَّاسِ وصاحُوا يقولونَ: محمَّدٌ ساحرٌ. وقد رجعَ رسولُ ﷺ إلى بيتِه مَحزوناً، فتدثَّرَ بقطيفةٍ، ونزلَت ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾[2].

---

(١) في (أ): «المجنون»، والمثبت من «تفسير القرطبي» (٢١/ ٣٥٦).

(٢) رواه مختصراً الطبراني في «المعجم الكبير» (١١٢٥٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما، ولفظه: «إن الوليد بن المغيرة صنع لقريش طعامًا فلما أكلوا قال: ما تقولون في هذا الرجل؟ فقال بعضهم: ساحر، وقال بعضهم: ليس بساحر، وقال بعضهم: كاهن، وقال بعضهم: ليس بكاهن، وقال بعضهم: =

وقيلَ: أي: يا أيُّها المشتمِلُ برحمةِ اللهِ، قُمْ فأنذرْ عذابَ ربِّكَ.

* * *

(٣) ـ ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾.

قولُه تعالى: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾؛ أي: فعظِّمْ ولا تُشرِكْ به غيرَه ممَّن ليسَ بربٍّ لك، بل هوَ مربوبٌ لربِّك، وهذا التَّكبيرُ قد يكونُ في الصَّلاةِ وغيرِها.

وقالَ الزَّجَّاجُ: الفاءُ في قولِه: ﴿فَكَبِّرْ﴾ على معنى جوابِ الجزاءِ، كما دخلَتْ فاءُ ﴿فَأَنذِرْ﴾؛ أي: قُمْ فكبِّرْ ربَّكَ[1]، وكذلك ما بعدَه.

وقالَ ابنُ جني: هوَ كقولِك: زيداً فاضربْ؛ أي: زيداً اضربْ، فالفاءُ زائدةٌ[2].

ولـمَّا نزلَ قولُه: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ قامَ رسولُ اللهِ، وقالَ: «اللهُ أكبرُ كَبيراً»، فكبَّرَت خديجةُ وفرحَتْ، وعلمَتْ أنَّه الوحيُ من اللهِ تعالى[3].

* * *

(٤) ـ ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾.

قولُـه تعالـى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾؛ أي: مِـنَ الإثـمِ؛ أي: نفسَـكَ فطهِّـرْ مـن الذَّنـبِ،

= شاعر، وقال بعضهم: ليس بشاعر، وقال بعضهم: سحر يؤثر، فأجمع رأيهم على أنه سحر يؤثر، فبلغ ذلك النبي ﷺ فحزن وقنع رأسه، وتدثر، فأنزل الله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ (١) قُمۡ فَأَنذِرۡ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ (٤) وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ (٥) وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ (٦) وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ﴾». قال الهيثمي في المجمع (٧/ ١٣١): «وفيه إبراهيم بن يزيد الخوزي، وهو متروك»، وضعفه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٣٢٥). ورواه بكر بن العلاء في «أحكام القرآن» (٢/ ٦٤١) عن يعلى بن عطاء مرسلاً.

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٤٥).

(٢) انظر: «سر صناعة الإعراب» لابن جني (١/ ٢٧١).

(٣) ذكره مقاتل في «تفسيره» (٤/ ٤٩٠).

والعـربُ تكنِـي بالثِّيـابِ عـن النَّفـسِ، قالـه ابنُ عبَّـاس(١).

وقالَ في روايةٍ: أي: لا تَغدرْ فتكونَ دنسَ الثِّيابِ، والعربُ تقولُ للغادرِ: إنَّه دنسُ الثِّيابِ(٢).

وقالَ عكرمةُ: أي: لا تلبسْ ثوبَكَ على معصيةٍ وغدرٍ(٣).

وقيلَ: أي: وعملَكَ فأصلِحْ.

وقالَ الحسنُ: أي: خُلُقَكَ فحسِّنْ(٤)؛ لأنَّ خُلقَ الإنسانِ يشتملُ على أحوالِه اشتمالَ ثيابِه على نفسِه.

وقيلَ: أي: لا تَكنْ ثيابُكَ الَّتي تلبسُها مغصوبةً أو مِن وجهٍ لا يحلُّ.

وقالَ سعيدُ بنُ جُبَيرٍ: أي: قلبَكَ فطهِّرْ(٥).

وقيلَ: أُمِرَ بتطهيرِ ثيابِه التي يُصلِّي فيها مِن النَّجاساتِ.

وقالَ الزَّجَّاجُ: أي: وثيابَكَ فقصِّرْ؛ لأنَّ الثَّوبَ القصيرَ أبعدُ من النَّجاسةِ؛ لأنَّه لا ينجرُّ على الأرضِ(٦).

وقيلَ: أي: نساءَك فطهِّرْهنَّ، ويُكنَى عن النِّساءِ باللِّباسِ، قالَ اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٤٠٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٨٢).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٤٠٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٨٢).

(٣) رواه سعيد بن منصور في «سننه ـ التفسير» (٢٣٢٣)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٤٠٥).

(٤) ذكره ابن المنذر في «الأوسط» (٢/ ١٣٥)، والماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (١٠/ ٣٠١)، والماوردي في «الحاوي الكبير» (٢/ ٢٤١)، وأبو حفص النسفي في «التيسير» (١٥/ ٨٧).

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٨/ ٢١)، والواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٤٠٢).

(٦) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٤٥).

وقيلَ: طهِّرْ ثيابَكَ عن أن تلبسَها على استشعارِ خوفٍ مِن المشركين.

***

(٥) ـ ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾.

قولُه تعالى: ﴿والرِّجزَ فاهجُرْ﴾؛ أي: عبادةَ الأصنامِ. وقيلَ: يعني: الشَّيطانَ. وقيلَ: المآثمَ.

والرِّجزُ في اللُّغةِ: العذابُ، قالَ اللهُ: ﴿لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ﴾ [الأعراف: ١٣٤]، فعلى هذا فالتَّقديرُ: وذا الرِّجزِ فاهجر؛ أي: ذا العذابِ؛ أي: ما يُؤدِّي إلى العذابِ من الإثمِ والشَّيطانِ والأوثانِ.

وقيلَ: أي: اهجرِ العذابَ.

وقيلَ: اهجرِ الفُحشَ والسَّفَهَ والخَنَا.

وقُرِئَ: ﴿وَٱلرُّجْزَ﴾ بضمِّ الرَّاءِ(١)، وهما لغتانِ مثلُ الذِّكرِ والذُّكرِ.

***

(٦) ـ ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾.

قولُه تعالى: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾؛ أي: لا تَمنُن على ربِّكَ بما تتحمَّلُه من أثقالِ النُّبوَّةِ كالذي يستكثِرُ ما يتحمَّلُه بسببِ الغيرِ.

قالَ الحسنُ: أي: لا تَمنُن على ربِّكَ بحسناتِك مُستكثِراً لها(٢).

وقيلَ: لا تستكثرِ الامتنانَ على النَّاسِ بما تعلِّمُهم من أمرِ الدِّينِ.

وقيلَ: لا تمنُن بالنُّبوَّةِ على النَّاسِ لتأخذَ منهم أجراً.

---

(١) قرأ بها حفص، والباقون بكسر الراء. انظر: «السبعة» (ص: ٢٥٩)، و«التيسير» (ص: ٢١٦).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٢٦٦٧)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٤١٥).

وقيلَ: المنُّ: الضَّعفُ؛ أي: لا تضعُفْ عن الخيرِ أنْ لا تَستكثِرَ منه، بل استكثِرْ منه ما أمكنَكَ. وفي قراءةِ عبدِ اللهِ: (لا تمنُنْ أن تستكثرَ)[1].

وقيلَ: أي: لا تُعطِ لتأخذَ أكثرَ ممَّا أَعطيتَ من المالِ، يُقال: مَنَنْتُ فلاناً كذا؛ أي: أعطيتُه، ويُقالُ للعطيَّةِ: المنَّةُ، فكأنَّه أُمِرَ بأن تكونَ عطاياه للهِ، لا لارتِقابِ ثوابٍ من الخلقِ عليها؛ لأنَّه عليه السَّلامُ ما كانَ يَجمعُ الدُّنيا، ولهذا قالَ: «ما لي ممَّا أفاءَ اللهُ عليكم إلَّا الخمسُ، والخمسُ مَردودٌ فيكم»[2]، وكانَ ما يَفضُلُ من نفقةِ عيالِه مصروفاً إلى مصالحِ المسلمين، ولهذا لـم يُورَثْ؛ لأنَّه كانَ لا يملكُ لنفسِه الادِّخارَ والاقتناءَ، وقد عصمَه اللهُ عن الرَّغبةِ في شيءٍ من الدُّنيا، ولهذا حُرِّمَت عليه الصَّدقةُ.

وقيلَ: أي: لا تمنُن على النَّاسِ بما تعطيهم، فإنَّكَ لو فعلتَ ذلك كنتَ مُستكثِراً لـمَا تعطيهم مانّاً به.

و﴿تَسْتَكْثِرُ﴾ بالرَّفعِ، وهوَ في معنى الحالِ، تقولُ: جاءَ زيدٌ يركضُ؛ أي: راكضاً؛ أي: لا تُعطِ شيئاً مُقدِّراً أن تأخذَ بدلَه ما هوَ أكثرُ منه.

***

(٧) - ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾.

قولُه تعالى: ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾؛ أي: اصبرْ على امتثالِ أمرِ اللهِ احتساباً له.

وقيلَ: اصبرْ نفسَك على العبادةِ وعلى أذى المشركين.

---

(١) ذكرها الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٤١٧)، وابن خالويه في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٦٤)، وهذا محمول على التفسير لمخالفته سواد المصحف الذي أجمعت عليه الأمة وفي مقدمتها ابن مسعود وقراء الصحابة.

(٢) رواه أبو داود (٢٦٨٤)، والنسائي (٤١٣٩)، عن عبد الله بن عمرو، ورواه أبو داود (٢٧٥٥) عن عمرو بن عبسة، ورواه النسائي (٤١٣٨) عن عبادة بن الصامت.

وقيلَ: إذا أعطَيتَ عطيَّةً فأعطِها لربِّك واصبرْ حتَّى يكونَ هوَ الَّذي يُثيبُكَ عليها.

***

(٨ ـ ١٠) ـ ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾.

قولُه تعالى: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ﴾؛ أي: إنَّ اللهَ لأعدائِك بالمرصادِ يومَ القيامةِ؛ أي: فإذا نُفِخَ في الصُّورِ، والنَّاقورُ فاعولٌ من النَّقرِ يُنقَرُ فيه للتَّصويتِ، وهوَ كالهاضومِ مِن الهضمِ، والحاطومِ من الحَطْمِ.

قالَ هشام: النَّاقورُ شيءٌ كهيئةِ البوقِ(١)، ويُعنى به: النَّفخةُ الثَّانيةُ.

﴿فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾؛ أي: نُقِرَ في يومٍ عسيرٍ حينئذٍ ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾؛ أي: غيرُ هيِّنٍ، وفحوى الخطابِ يدلُّ على أنَّه هيِّنٌ على المؤمنين.

***

(١١) ـ ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾.

قولُه تعالى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ هذه الآياتُ في الوليدِ بنِ المغيرةِ، فإنَّه لـمَّا قالَ: لا يشبهُ كلامُ محمَّدٍ الشِّعرَ، وإنَّه ليسَ بمجنونٍ ولا كاهنٍ، وقالوا له: صبأْتَ، فقال: أمهلوني حتَّى أفكِّرَ، ثمَّ قالَ: إنَّه ساحرٌ، فنزلَت الآياتُ(٢).

أي: ﴿ذَرْنِي﴾ يا محمَّدُ وهذا المشركَ الَّذي خلقتُه فأخرجتُه من بطنِ أمِّه فرداً وحيداً لا مالَ له ولا ولدَ، فأنعمْتُ عليه فكفرَ، فإنِّي سأكفيكَه.

فقولُه: ﴿وَحِيدًا﴾ يرجعُ إلى الوليدِ لـم يكنْ له شيءٌ فملَّكْتُه.

---

(١) علقه البخاري عن مجاهد قبل حديث (٦٥١٧)، ووصله الطبري في «تفسيره» (١٨/ ١٣١).

(٢) رواه ابن إسحاق في «سيرته» (ص: ١٥١) عن ابن عباس رضي الله عنهما، ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٣٨٣)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٤٢٩)، عن عكرمة.

وقيلَ: وحيداً يرجعُ إلى الرَّبِّ تعالى؛ أي: انفردتُ بخلقِه، ولم يَشْرَكني فيه أحدٌ، فأنا أُهلكُه ولا أحتاجُ إلى ناصرٍ في إهلاكِه.

وقالَ ابنُ عبَّاسٍ: كانَ الوليدُ يقولُ: أنا الوحيدُ بنُ الوحيدِ، ليسَ لي في العربِ نظيرٌ، ولا لأبي، وكانَ يُسمَّى: الوحيدَ[1]، فقالَ اللهُ: ذرني ومَن خلقتُه وهوَ بزعمِه وحيدٌ؛ لا أنَّ اللهَ صدَّقَه بأنَّه وحيدٌ، وهوَ كقولِه: ﴿ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩]؛ أي: في زعمِك، وقولِه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ﴾ [الحجر: ٦]؛ أي: بزعمِك[2].

وقيلَ: الوحيدُ الَّذي لا يتبيَّنُ أبوه، وكانَ الوليدُ معروفاً بأنَّه دَعِيٌّ، كما ذكرنا في قولِه: ﴿عُتُلِّۭ بَعۡدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾ [القلم: ١٣]، وهوَ في صفةِ الوليدِ أيضاً.

﴿وَمَنۡ خَلَقۡتُ﴾ فيه إضمارٌ؛ أي: ومَن خلقتُه وحيداً، فالعائدُ إلى الموصولِ محذوفٌ.

* * *

(١٢ ـ ١٦) ـ ﴿وَجَعَلۡتُ لَهُۥ مَالٗا مَّمۡدُودٗا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودٗا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمۡهِيدٗا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطۡمَعُ أَنۡ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِأٓيَٰتِنَا عَنِيدٗا﴾.

قولُه تعالى: ﴿وَجَعَلۡتُ لَهُۥ مَالٗا مَّمۡدُودٗا﴾ غِلالُه غيرُ منقطعةٍ، فلا ينقضي شيءٌ حتَّى يُدرِكَ شيءٌ آخرُ.

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٤١٨).

(٢) **هذا الكلام رد من المصنف على الواحدي**، فإن الواحدي قد قال بعد أن ساق الكلام السابق: «هذا غير صحيح، أنه لا يجوز أن يكون تفسيرًا لقوله: ﴿خَلَقۡتُ وَحِيدٗا﴾؛ لأن الله تعالى لا يصدقه في دعواه أنه وحيد، لا نظير له، فيقول: خلقته وحيدًا».

وقيلَ: جعلتُ له مالاً يُمدُّ في عدَدِه أيَّ عددٍ[١].

قالَ ابنُ عبَّاسٍ: ما بينَ مكَّةَ إلى الطَّائفِ من الإبلِ المؤبَّلةِ، والخيلِ المسوَّمةِ، والنَّعمِ المرسلةِ مع أولادِها، وكانَت له بساتينُ بالطَّائفِ، ومالٌ كثيرٌ من الصَّامتِ والعبيدِ والجواري[٢].

وقالَ مقاتلٌ: كانَ له بستانٌ بالطَّائفِ لا ينقطعُ خيرُه شتاءً ولا صيفاً[٣].

وقالَ قتادةُ: كانَ له أربعةُ آلافِ دينارٍ[٤].

وقالَ الثَّوريُّ: ألفُ ألفٍ[٥].

والأظهرُ أنَّه إشارةٌ إلى ما لَه نماءٌ، فلا ينقطعُ رزقُه، بل يتوالَى كالزَّرعِ والضَّرعِ والتِّجارة.

قولُه تعالى: ﴿وَبَنِينَ شُهُودًا﴾ كانَ له عشرةُ أولادٍ، وهم حضورٌ بمكَّةَ لا يحتاجونَ إلى السِّفرِ للتِّجارةِ. وقيلَ: كانُوا ثلاثةَ عشرَ. وقيلَ: سبعةً.

قولُه تعالى: ﴿وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمۡهِيدٗا﴾؛ أي: بسطْتُ له في العيشِ حتَّى أقامَ ببلدتِه مُطمئنّاً مُترَفِّهاً يُرجَعُ إلى رأيِه.

قولُه تعالى: ﴿ثُمَّ يَطۡمَعُ أَنۡ أَزِيدَ﴾؛ أي: ثمَّ هوَ يطمعُ بعد هذا كلِّه أن أزيدَه في المالِ والولدِ ﴿كَلَّآۖ﴾؛ أي: لا يكونُ هذا ولا أريدُه.

---

(١) «أي عدد» كذا في (أ)، ولعل الأولى إن لم يكن في الكلام سقط ولا تحريف: «أيَّ مدد».

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٤١٩) من رواية عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٨٣٨).

(٤) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (٢٨/ ٤١)، والواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٤٢٠).

(٥) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (٢٨/ ٤٢)، والواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٤٢٠).

قالَ مقاتلٌ: فلم يزلِ الوليدُ بعد هذا في نقصانٍ حتَّى افتقرَ وماتَ فقيراً[(١)].

قالَ [الحسن][(٢)]: أي: ثمَّ يطمعُ أن أدخلَه الجنَّةَ وأعطيَه في الآخرةِ أموالاً وأولاداً.

وقيلَ: يطمعُ أن أتركَ ذلك في عقبِه، وذلك أنَّه كانَ يقولُ: إنَّ محمَّداً مبتورٌ؛ أي: أبترُ، وينقطِعُ ذِكرُه بموتِه، وكانَ يظنُّ أنَّ ما رُزِقَ لا ينقطعُ.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ لِـَٔايَٰتِنَا عَنِيدًا﴾؛ أي: معانِداً لِمَا جاءَ به محمَّدٌ، يُقالُ: عانَدَ فهوَ عَنيدٌ، مثلَ: جالَسَ فهوَ جَليسٌ.

* * *

(١٧) ـ ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا﴾.

قولُه تعالى: ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا﴾؛ أي: سأكلِّفُه مشقَّةً منَ العذابِ، **وقد قدَّمنا أنَّ الصَّعودَ في التَّفاسيرِ** عقبةٌ يُكلَّفُ الكافرُ صعودَها، وهي مِن صخرةٍ ملساء، حتَّى إذا بلغَ أعلاها أُحدِرَ إلى أسفلِها، ثمَّ يُكلَّفُ أيضاً أن يصعدَها، وذلك دأبُه أبداً، يُجذَبُ من أمامِه بسلاسلَ من حديدٍ، ويُضرَبُ في خلفِه بمقامعِ الحديدِ، ويصعدُها في أربعينَ سنةً.

* * *

(١٨ ـ ٢٤) ـ ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾.

قولُه تعالى: ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾ أخبرَ عن بعضِ صُنعِ هذا الكافرِ من تكذيبِ كتابِ

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٤٩٤).

(٢) في (أ): «ثم قال»، والصواب المثبت، وقول الحسن ذكره ابن أبي زمنين في «تفسيره» (٥/ ٥٦)، والماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ١٤٠)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٣٦٢).

اللهِ وتلقيبِه رسولَ اللهِ عليه السَّلامُ بعدَ تردُّدِه في نظيرِه؛ أي: إنَّه فكَّرَ في أمرِ النَّبيِّ عليه السَّلامُ تَفَكُّر مَن يقدِّر أنه يأتي بحجَّةٍ، ثمَّ قالَ: إنَّه ساحرٌ.

قولُه تعالى: ﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾؛ أي: لُعِنَ، كقولِه: ﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ﴾ [الذاريات: ١٠]، وقولِه: ﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠]، وهذا دعاءٌ عليه.

وقيلَ: ﴿فَقُتِلَ﴾؛ أي: لزمَتْه الحجَّةُ، وضاقَ عليه الاختيارُ ﴿كَيْفَ قَدَّرَ﴾، وعلى هذا هوَ إخبارٌ عنه بمعنى: أنَّه لُعِنَ أو عُوقِبَ وقُهِرَ بما استنبطَ ﴿كَيْفَ قَدَّرَ﴾؛ أي: ردَّدَ رأيَه بينَ أن يقولَ: شاعرٌ، أو كاهنٌ، أو مجنونٌ، أو ساحرٌ.

وقيلَ: أي: لُعِنَ على أيِّ حالٍ كانَ، و﴿كَيْفَ قَدَّرَ﴾ تعجُّبٌ، وهوَ كلامٌ مبتدأٌ؛ أي: كيفَ قدَّرَ في القرآنِ ومحمَّدٍ هذه الخيالاتِ الباطلةَ!

قولُه تعالى: ﴿ثُمَّ قُتِلَ﴾؛ أي: عُوقِبَ بعقابٍ آخرَ ﴿كَيْفَ قَدَّرَ﴾ في إبطالِ الحقِّ.

﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾؛ أي: أعادَ النَّظرَ مرَّةً ثالثةً استفراغاً للمجهودِ وإظهاراً أنَّه منصفٌ.

قولُه تعالى: ﴿ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ﴾؛ أي: كَلَحَ وتغيَّرَ لونُه وتكرَّهَ وجهُه كالذي ينظرُ في شيءٍ ثمَّ يَلُوحُ له وجهُ الصَّوابِ.

وقيلَ: أرادَ أن يقولَ: شاعرٌ، فلم ينتظِمْ له، فأراد أن يقولَ: كاهنٌ، فلم يتَّجِه له، فأراد أن يقولَ: مجنونٌ، فلم يستقِمْ له، فعبَسَ وبسَرَ حتَّى عنَّ له أن يقولَ: ساحرٌ.

ويُقالُ: قَتلْتُ الخمرَ: ذلَّلتُها بالمزجِ، وتقولُ: قتلتُ هذا الشَّيءَ عِلماً، ويُقالُ: قتلَتْ أرضٌ جاهلَها، وقتلَ أرضاً عالمُها، فالمعنى: أخبرَه اللهُ أنَّه قهرَه وأذلَّه، إذ هوَ دعا عليه.

وقيلَ: مرَّ الوليدُ على أصحابِ رسولِ اللهِ عليه السَّلامُ وهم جلوسٌ، فقالوا:

هل لك إلى خيرٍ إلى الإسلامِ؟ فعبسَ في وجوهِهم وبسَرَ، ثمَّ أدبرَ واستكبرَ، فقالَ: إنْ هذا إلَّا سحرٌ يُؤثَر(١).

والعبوسُ والبُسورُ بمعنىً، ذُكِرَ بلفظين.

وقيلَ: ﴿عَبَسَ﴾: قطَّبَ ممَّا بينَ عينيه ﴿وَبَسَرَ﴾: إذا اهتمَّ وفكَّرَ.

قولُه تعالى: ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ﴾؛ أي: أدبرَ إلى أهلِه مكذِّباً ﴿وَاسْتَكْبَرَ﴾؛ أي: تعظَّمَ عن الإيمانِ.

وقيلَ: أدبرَ عن الإيمانِ وتكبَّرَ حينَ دُعِيَ إليه.

قولُه تعالى: ﴿فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾؛ أي: ما هذا إلَّا سحرٌ يَأْثُرُه محمَّدٌ عن أهلِ بابل، ألا ترونه كيفَ فرَّقَ بينَ فلانٍ وأهلِه، وبينَ فلانٍ وابنِه وأخيه؟ يُقالُ: أثَرتُ الحديثَ آثُرُه أثْراً؛ أي: حدَّثتُ به عن قومٍ في آثارِهم؛ أي: بعدَ ما ماتوا، ثمَّ صارَ(٢) بمعنى الرِّوايةِ والإخبارِ عمَّا كانَ.

وقالَ ابنُ عبَّاسٍ: أي: يُؤثَرُ على جميعِ السِّحرِ(٣). فهوَ على هذا من الإيثار(٤).

* * *

(٢٥) - ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾.

قولُه تعالى: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾؛ أي: ما هذا إلَّا كلامُ المخلوقين تَختَدِعُ به القلوبَ كما تُختدَعُ بالسِّحرِ، تعلَّمَه محمَّدٌ من غيرِه، وكأنَّه قالَ: إنَّ محمَّداً ليسَ يدري أنَّه سحرٌ، ولكنَّه سحرٌ تعلَّمَه من غيرِه وتلَقَّنَه.

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٤٣٠) عن الكلبي.

(٢) بعدها في (أ): «ما يذكر»، والمثبت من «البسيط» (٢٢/ ٤٣١).

(٣) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٤٣٢) من رواية عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) في (أ): «البيان»، والمثبت من «البسيط» (٢٢/ ٤٣٢).

ثمَّ؛ قيلَ: أرادَ: تلقَّنَه عن أهلِ بابل.

وقيلَ: عن مُسيلمةَ.

وقيلَ: عن عبدٍ لبني الحضرميِّ الكاهن.

وقيلَ: من أبي فُكَيهةَ يسارٍ، فهوَ الَّذي يأتيه به من مسيلمةَ.

وقيلَ: إنَّما تلقَّنَه ممَّن ادَّعَى النُّبوَّة من قبلُ فنسجَ على منوالِهم.

وقالَ أبو سعيدٍ الضَّريرُ: ﴿إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾: إلَّا سحرٌ يُورَثُ[1].

***

(٢٦ ـ ٢٩) ـ ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ﴾.

قولُه تعالى: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾: سأدخلُه النّارَ، وسقرُ من أسماءِ جهنَّم، فلا ينصرفُ للتَّعريفِ والتَّأنيثِ.

قالَ ابنُ عبَّاسٍ: هيَ الطَّبقُ السَّادسُ من جهنَّمَ[2].

يُقالُ: سقَرَته الشَّمسُ؛ أي: آلَمَت دماغَه.

قولُه تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ﴾ هذا مبالغةٌ في وصفِها؛ أي: وما أعلَمَكَ أيُّ شيءٍ سقرُ؟!

قولُه تعالى: ﴿لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ﴾؛ أي: تأتي علـى كلِّ شيءٍ من المعذَّبِ مِن لحمِه ودمِه وشَعَرِه وبَشَرِه، فتحرقُ الجميعَ، فكرَّرَ اللَّفظَ فقالَ: ﴿لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ﴾ تأكيداً.

وقيلَ: أي: لا تُبقي منهم شيئاً، ثمَّ يُعادون خلقاً جديداً، فلا تَذَر؛ أي: تُعاوِدُ إحراقَهم هكذا أبداً.

---

(١) ذكره أبو حفص النسفي في «التيسير» (١٥/ ٩٨).

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٤٣٢).

وقيلَ: لا تُبقي من مستحقِّي العذابِ أحداً إلَّا أحرقَتْه، ولا تذرُ من أبدانِ المعذَّبين شيئاً إلَّا أحرقَتْه.

وقالَ السُّدِّيُّ: لا تُبقي لهم شيئاً؛ لحماً ولا دماً، ولا تذرُ لهم عظماً(١).

قولُه تعالى: ﴿لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ﴾ يُقالُ: لاحَه العطشُ ولوَّحَه؛ أي: غيَّره، والْتَاحَ؛ أي: عطشَ، والبشرُ جمعُ بشرةٍ، وهي الجلدُ؛ أي: تُسوِّدُ بشرةَ مَن يُطرَحُ فيها.

وقيلَ: البشرُ: النَّاسُ؛ أي: تغيِّرُ خَلقَهم.

وقالَ ابنُ عبَّاسٍ: أي: تَلُوحُ لأهلِها من مسيرةِ خمسِ مئةِ عامٍ(٢). وعلى هذا هوَ مِن لاحَ الشَّيءُ يلوحُ: إذا لـمَعَ، والمرادُ بالبشرِ على هذا النَّاسُ لا الجلودُ.

والبشرةُ في الأصلِ: ظاهرُ الجلدِ، وسُمِّيَ الإنسانُ بشراً لأنَّه ظاهرُ الجلدِ، فلا وَبَرَ له.

* * *

(٣٠ ـ ٣١) ـ ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾.

قولُه تعالى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾: على سقرَ تسعةَ عشرَ منَ الملائكةِ يُلقونَ فيها أهلَها.

ثمَّ؛ قيلَ: على جملةِ النّارِ تسعةَ عشرَ منَ الملائكةِ هم خزنتُها، مالكٌ وثمانيةَ عشرَ ملكاً.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٨/ ٥٧)، والواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٤٣٣).

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٤٣٥) من رواية عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وقيلَ: هم تسعةَ عشرَ صنفاً من الملائكةِ.

وقيلَ: تسعةَ عشرَ نقيباً.

وقيلَ: عددُهم تسعةَ عشرَ، أعينُهم كالبرقِ، وأنيابُهم كالصَّياصي، وأشعارُهم تمسُّ أقدامَهم، يخرجُ لهيبُ النّارِ من أفواهِهم، ما بين مَنكِبي أحدِهم مسيرةُ سنةٍ، يسعُ كفُّ أحدِهم مثلَ ربيعةَ ومضرَ، نُزِعَت منهم الرَّأفةُ والرَّحمةُ، يدفعُ أحدُهم سبعين ألفاً فيرمِيهم حيثُ أرادَ مِن جهنَّم[١].

ولـمَّا أخبرَ اللهُ بعددِ خزنةِ النّارِ قالَ المشركون: وما مقدارُ هذا العددِ؟ وقالَ أبو جهلٍ: يُخوِّفُكم بتسعةَ عشرَ وأنتمُ الدُّهْمُ! أمُعجِزٌ كلَّ مئةٍ أن يبطِشوا بواحدٍ منهم ثمَّ يخرجونَ من النّارِ؟! فنزلَ قولُه: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾[٢].

وقالَ المسلمونَ: لا يُقاسُ الملائكةُ بالحدَّادين، فجَرَى مثلاً[٣]؛ أي: لا يُقاسُون بالسَّجَّانين من النّاسِ، والحدَّادُ: السَّجَّانُ؛ أي: ليسَ خزنةُ النّارِ آدميِّينَ فيدفعُهم الآدميُّون، بل هم ملائكةٌ، بل لا يطاوقهم البشرُ لِـمَا خصَّهم اللهُ به من شدَّةِ الأنفسِ.

﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ﴾؛ أي: عددَهم في القِلَّةِ ﴿إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾: إلَّا ضلالةً لهم حتَّى قالوا ما قالوا وازدادُوا كفراً.

---

(١) ذكره مقاتل في «تفسيره» (٤/ ٤٩٦).

(٢) ذكر نحوه مقاتل في «تفسيره» (٤/ ٤٩٧)، ورواه بنحوه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٣٨٤) عن قتادة، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٤٣٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما. والدُّهم: العدد الكثير. انظر: «الغريبين» (مادة: دهم).

(٣) انظر: «جمهرة الأمثال» (١/ ٢٦٨)، وقال: «جرى مثلاً في الصغير يقاس بالكبير».

وقيلَ: إلَّا اختباراً لهم ليتأمَّلُوا أنَّ اللهَ قادرٌ على كلِّ شيءٍ، وخصَّ الكافرين لأنَّ شدَّةَ المحنةِ عليهم، وذلك أدعَى إلى الإيمانِ.

وقيلَ: ما جعلْنا عدَّتَهم إلَّا عذاباً، كما قالَ: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُوا۟ فِتْنَتَكُمْ﴾ [الذاريات: ١٣ ـ ١٤]؛ أي: جعلْنا ذلك سببَ كفرِهم وسببَ العذابِ.

﴿لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾؛ أي: ليستيقنوا قوَّةَ أمرِ محمَّدٍ وصِدقَه؛ لموافقةِ كتبِهم. ثمَّ يحتملُ أنَّه يريدُ الَّذينَ آمنُوا منهم كعبدِ اللهِ بن سلامٍ، ويحتملُ أن يريدَ الكلَّ.

﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا﴾ لأنَّها في كتابِ أهلِ الكتابِ كذلك.

﴿وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾؛ أي: ولكيلا يشكَّ هؤلاءِ في أنَّ خزنةَ جهنَّمَ تسعةَ عشرَ.

﴿وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ نفاقٌ وشكٌّ.

وقيلَ: السُّورةُ مكيَّةٌ، ولم يكن بها نفاقٌ، فالمرضُ: الكفرُ والشِّركُ.

﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ﴾؛ أي: مُشرِكو العربِ.

﴿مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾: ما أرادَ اللهُ بهذا العددِ الَّذي ذكرَه حديثاً؛ أي: ما هذا من الحديثِ، قالَ اللَّيثُ: المثَلُ: الحديثُ نفسُه، و﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [الرعد: ٣٥]: حديثُها والخبرُ عنها[1].

﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ﴾؛ أي: كما أضلَّ مَن أنكرَ عددَ الخزنةِ وهَدَى مَن صدَّقَ يضلُّ مَن يشاءُ ويهدي مَن يشاءُ.

---

(١) انظر: «العين» (٨/ ٢٢٨)، وفيه: «المثل: الشيء يضرب للشيء فيجعل مثله. والمثل: الحديث نفسه. وأكثر ما جاء في القرآن نحو قوله جل وعز: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ﴾، فمثلها هو الخبر عنها».

وقيلَ: كذلك يضلُّ اللهُ عن الجنَّةِ مَن يشاءُ ويهدي إليها مَن يشاءُ.

﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ هذا جوابُ أبي جهلٍ، فإنَّه قالَ: ما لـمحمَّدٍ مِن الجنودِ إلَّا تسعةَ عشرَ[1]. وهوَ إخبارٌ عن كثرةِ جُنودِه.

وقالَ عطاءٌ: أي: جنودَ ربِّكَ منَ الملائكةِ الموكَّلينَ بالعذابِ[2].

وعلى هذا فخزنةُ النَّارِ تسعةَ عشرَ، ولهم من الأعوانِ منَ الملائكةِ ما لا يعلمُه إلَّا الله.

﴿وَمَا هِيَ﴾؛ أي: وما سقرُ ﴿إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾؛ أي: إلَّا تذكرةٌ للعالَمِ.

وقالَ الزَّجَّاجُ: أي: النّارُ في الدُّنيا تُذكِّرُ النّارَ في الآخرةِ[3].

وقيلَ: وما هذه العِدَّةِ إلَّا ذكرى للبشرِ؛ أي: ليتذكَّروا ويعلَمُوا كمالَ قدرةِ اللهِ، وأنَّه لا يحتاجُ إلى أعوانٍ وأنصارٍ، فالكنايةُ على هذا في قولِه: ﴿وَمَا هِيَ﴾ ترجعُ إلى الجنودِ لأنَّهم أقربُ مذكورٍ.

***

(٣٢ ـ ٣٧) ـ ﴿كَلَّا وَالْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿كَلَّا وَالْقَمَرِ﴾؛ أي: ليسَ الأمرُ كما يقولُ مَن زعمَ أنَّه يُقاوِمُ خزنةَ النّارِ، ثمَّ أقسمَ على ذلك بالقمرِ.

---

(١) ذكره مقاتل في «تفسيره» (٤/ ٤٩٧).

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٤٤٢).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٤٨).

قولـه تعالـى: ﴿واللَّيـلِ إذَا دَبَـرَ﴾؛ أي: ولَّى وذهبَ، يُقـالُ: دَبَرَ وأَدْبَـرَ بمعنًى، ومثلُـه: قَبَـلَ وأَقْبَلَ، وقُـرِئَ: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ﴾ بالألفِ[١].

وقيلَ: دَبَرَ؛ أي: جاءَ بعدَ النَّهارِ؛ أي: إذا أقبلَ بعدَ مضيِّ النَّهارِ، يُقالُ: دَبَرَ اللَّيلُ النَّهارَ؛ أي: جاءَ بعدَه.

قولُه تعالى: ﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَآ أَسۡفَرَ﴾؛ أي: أضاءَ وتبيَّنَ.

قولُه تعالى: ﴿إِنَّهَا لَإِحۡدَى ٱلۡكُبَرِ﴾؛ أي: إنَّ سقرَ إحدى العظائِمِ.

وقالَ مقاتلٌ: الكُبَرُ: درجاتُ جهنَّمَ وأبوابُها[٢].

والكُبَرُ: جمعُ الكُبرى، مثلَ: الصُّغَرُ والصُّغرى، و(إحدى) اسمٌ بُنِيَ ابتداءً للتَّأنيثِ، وليسَ مبنيّاً على المذكَّرِ نحو عُقْبى وأُخْرى، وألفُ (إحدى) مقطوعٌ لا يَذهبُ في الوصلِ.

وقيلَ: أي: هذه الآيةُ الَّتي تبيَّنَت لكم هي[٣] إحدى الآياتِ الكُبرِ؛ إذ وافَقَ ما وردَ في القرآنِ ما عَرفَه أهلُ الكتبِ من عددِ خزنةِ جهنَّمَ.

قولُه تعالى: ﴿نَذِيرٗا لِّلۡبَشَرِ﴾ قالَ الزَّجَّاجُ: هوَ نصبٌ على الحالِ، وذُكِّرَ لأنَّ معناه معنى العذابِ، أو أرادَ: ذاتَ إنذارٍ، كقولِهم: امرأةٌ طاهرٌ وطالقٌ[٤].

---

(١) قرأ بها نافع وحمزةُ وحفص، والباقون: ﴿إذا دَبَـرَ﴾. انظر: «السبعة» (ص: ٦٥٩)، و«التيسير» (ص: ٢١٦).

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٤٩٨)، وفيه: (﴿إِنَّهَا﴾ إن سقر ﴿لَإِحۡدَى ٱلۡكُبَرِ﴾ من أبواب جهنم السبعة: جهنم، ولظى، والحطمة، والسعير، وسقر، والجحيم، والهاوية».

(٣) في (أ): «أي»، والصواب المثبت.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٤٩).

وقالَ أبو عليٍّ: هوَ حالٌ من ﴿قُمْ﴾[١] فـي أوَّلِ السُّورةِ[٢]. وهكذا قالَ ابنُ عبَّاسٍ؛ لأنَّه قالَ: أي: قمْ نذيراً للبشرِ[٣].

وقالَ الفرَّاءُ: يجوزُ أن يكونَ النَّذيرُ بمعنى الإنذارِ؛ أي: أنذِرْ إنذاراً، فهوَ كقولِه: ﴿فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾ [الملك: ١٧][٤]؛ أي: إنذارِي[٥].

وقيـلَ: النَّذيـرُ من صفـةِ اللهِ؛ أي: ومـا جعلنا أصحـابَ النَّارِ إلَّا ملائكـةً مُنذِراً بذلك البشـرَ.

وقـالَ الأخفـشُ: ذكّـرَ ﴿نَذِيرًا﴾ لأنَّ فَعِيلاً قد يكـونُ مثلَ فَعُـولٍ، فيكونُ للأنثى والجمـع بغيرِ هاء.

قولُه تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾؛ أي: نذيراً لـمَن شاءَ منكم أن يأتيَ نبيًّا أو نذيراً، فيكونَ ما يأتيه وما يذرُه على ما يوجبُه هذا الإنذارُ، والتَّقدُّمُ والتَّأخُّرُ كنايةٌ عن الفعلِ وتركِه، بمعنى: الآيةُ نذيرٌ للمُتعبِّدين.

وقيلَ: لمَن شاءَ أن يتقدَّمَ بالطَّاعةِ أو يتأخَّرَ بالمعصيةِ، فإنَّ المطيعَ يتقدَّمُ عند اللهِ وعند النَّاسِ، والعاصي متخلِّفٌ متأخِّرٌ.

وقيلَ: نذيراً لـمَن شاءَ أن يتقدَّمَ إلى سقرَ الَّتي مرَّ ذكرُها، أو يتأخَّرَ عنها، والتَّقدُّمُ إليها بالكفرِ والتَّأخُّرُ بالإيمانِ.

وقيلَ: أي: لمَن شاءَ أن يتقدَّمَ إلى الجنَّةِ، أو يتأخَّرَ إلى النَّار.

---

(١) في (أ): «خلق»، والتصويب من «الحجة» (١/ ٢٥٥).

(٢) انظر: «الحجة» (١/ ٢٥٥)، و(٦/ ٣٦٢).

(٣) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٣٩٤).

(٤) في (أ): «فكيف كان نذير» والصواب المثبت.

(٥) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٠٥)، ورد على من قال بأنه حال من ﴿قُمْ﴾ فقال: «وليس ذلك بشيء والله أعلم لأن الكلام قد حدث بينهما شيء منه كثير، ورفعه في قراءة أبي ينفي هذا المعنى».

وقيلَ: أي: نذيراً لـمَن شاءَ أن يتقدَّمَ منكم أو يتأخَّرَ، كما قالَ: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ۝٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [التكوير: ٢٨ ـ ٢٩]؛ أي: إنَّما ينتفعُ بهذا الإنذارِ مَن أشاءُ أن يتقدَّمَ في طاعتي.

***

(٣٨ ـ ٤٢) ـ ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۝٣٨ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ۝٣٩ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ۝٤٠ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝٤١ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ المُكلَّفُون مُحتبَسونَ بأعمالِهم إلى أن يُحاسَبوا، فيَنفكُّ رهنُ مَن ثَقُلَت موازينُه بالطَّاعاتِ، ويَغلَقَ رهنُ مَن خفَّت موازينُه عن الطَّاعاتِ، والارتهانُ كنايةٌ عن الحسابِ، والرَّهنُ: الثَّباتُ والاحتباسُ.

وقالَ ابنُ عبَّاس: أي: كلُّ نفسٍ مراهنةٌ في جهنَّمَ(١).

ثمَّ استثنى أصحابَ اليمينِ.

قالَ ابنُ عبَّاسٍ: هم المسلمون، وهم الَّذينَ كانُوا على يمينِ آدمَ إذ قالَ اللهُ: «هؤلاءِ في الجنَّةِ ولا أُبالي»(٢).

وقيلَ: هم الَّذينَ أُعطوا كتبَهم بأيمانِهم.

وقيلَ: أصحابُ اليمينِ: أطفالُ المسلمين الَّذينَ لـم يَعملوا ما يُحاسَبون عليه. قالَه ابنُ عمرَ وعليٌّ رضيَ اللهُ عنهما(٣).

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٠/ ٤٩١) بلفظ: «ارتهن أهل جهنم بأعمالهم».

(٢) ذكره في هذه الآية الواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٤٥٣) عن الكلبي، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٥/ ٤١٣)، والواحدي في «البسيط» (٢١/ ٢١٦)، عن ابن عباس لكن عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾ [الواقعة: ٨].

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٣٨٨)، وسعيد بن منصور في «سننه ـ التفسير» (٢٣٣٩)، وابن أبي =

وقيلَ: عنى بأصحابِ اليمينِ الملائكةَ.

والأوجَهُ التَّعميمُ فيمَن لـم يكن عليه عقابٌ.

وقيلَ: أصحابُ اليمينِ: مَن سبقَت لهم القسمةُ بالشَّهادةِ.

وقيلَ: المرادُ بقولِه: ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾ الكفَّارُ، ثمَّ قالَ: ﴿إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ﴾ فهوَ استثناءٌ منقطِعٌ؛ أي: لكنْ أصحابُ اليمينِ ليسُوا مُرتهَنين.

قولُه تعالى: ﴿فِي جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾؛ أي: هم في جنَّاتٍ يسألونَ المجرمينَ إذا اطَّلعُوا عليهم، فيقولون: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ﴾؟ وهذا سؤالُ توبيخٍ.

وقيلَ: هذا السُّؤالُ يكونُ بعدَ شفاعةِ الأنبياءِ والأولياءِ، فيقولُ أهلُ الجنَّةِ لـمَن بقيَ في النَّارِ: ما الَّذي أبقاكم في النَّارِ حتَّى لـم تَلحقْكم شفاعةٌ؟!

ومعنى ﴿مَا سَلَكَكُمْ﴾؛ أي: ما أدخلَكم النَّارَ، أو: ما حبسَكم في النَّارِ وأبقاكم فيها.

***

(٤٣ ـ ٤٨) ـ ﴿قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ﴾ قيلَ: مِن الموحِّدينَ. وقيلَ: من المصلِّين.

﴿وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ﴾: لم نك نتصدَّقُ.

﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ﴾؛ أي: نقولُ الباطلَ والزُّورَ في آياتِ اللهِ، والخوضُ: التَّرويجُ في الشَّيءِ على وجهِ الباطلِ.

= شيبة في «مصنفه» (٣٤٥١١)، والحاكم في «المستدرك» (٣٨٧٤)، عن علي رضي الله عنه. ورواه سعيد بن منصور في «سننه ـ التفسير» (٢٣٤٠)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٤٦٣٦)، عن ابن عمر رضي الله عنهما.

وقالَ ابنُ عبَّاسٍ: أي: كنَّا نكذِّبُ معَ المكذِّبين(١).

﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ﴾؛ أي: يومِ الجزاءِ ﴿حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ﴾؛ أي: الموتُ؛ لقولِه: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩]؛ أي: بَقِينا على التَّكذيبِ إلى الموتِ، فلم نُؤمِن في الدُّنيا، وسَمَّى الموتَ يقيناً لأنَّ الشُّكوكَ تزولُ عقيبَ التَّثبُّتِ.

قولُه تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾؛ أي: هؤلاءِ لا تنفعُهم شفاعةُ أحدٍ، بل الشَّفاعةُ للمؤمنينَ.

***

(٤٩ ـ ٥٢) ـ ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً﴾.

قولُه تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾ يعني: كفَّارَ قريشٍ، والتَّذكرةُ: التَّذكيرُ بمواعظِ القرآنِ ﴿مُعْرِضِينَ﴾ نصبٌ على الحالِ؛ أي: لا شيءَ لهم في الآخرةِ إذ أعرضُوا اليومَ عن القرآنِ.

قولُه تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ﴾؛ أي: كأنَّهم بهائمُ.

قالَ ابنُ عبَّاسٍ: أرادَ: الحمرَ الوحشيةَ(٢).

﴿مُّسْتَنفِرَةٌ﴾؛ أي: نافرةٌ، يُقالُ: نَفَرَ واستنفَرَ، مثلَ: عَجِبَ واستَعْجَبَ، وسَخِرَ واستَسْخَرَ، وقُرِئَ: ﴿مُستنفَرةٌ﴾ بفتحِ الفاءِ(٣)؛ أي: مَذعورةٌ.

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٤٥٦).

(٢) ذكره عنه الواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٤٥٨).

(٣) قرأ بها نافع وابن عامر، والباقون بكسر الفاء. انظر: «السبعة» (ص: ٦٦٠)، و«التيسير» (ص: ٢١٦).

﴿فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾ والقسورةُ: الأسدُ، وهي من القسرِ بمعنى القهر؛ أي: أنَّه يقهرُ السِّباعَ، والحمرُ الوحشيَّةُ تهربُ من الأسدِ؛ أي: هؤلاءِ المشركون إذا رأَوا محمَّداً وسمعوا القرآنَ هربوا منه هربَ الحُمرُ من الأسدِ.

وقيلَ: القسورةُ: الرُّماةُ، وهم القُنَّاص.

وقالَ قتادةُ: القسورةُ: النَّبلُ[1].

وقالَ ابنُ الأعرابيِّ: القسورةُ: أوَّلُ اللَّيلِ[2]؛ أي: فرَّت من ظُلمةِ اللَّيلِ.

قولُه تعالى: ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً﴾؛ أي: يريدُ كلُّ واحدٍ منهم أن يُنزَّلَ عليه كتابٌ من السَّماءِ يُخبرُ فيه بصدقِكَ.

وقيلَ: أي: يريدُ كلُّ واحدٍ منهم أن يأتيَه منشورٌ من السَّماءِ بأنَّ له مِن اللهِ ما يحبُّ مع إصرارِه على الكفرِ.

***

(٥٣) ـ ﴿كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿كَلَّا﴾؛ أي: لا يُؤتَون الصُّحفَ ﴿بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾؛ أي: لا أعطيهم ما يمتنُّونَ لأنَّهم لا يخافونَ الآخرة.

وقيلَ: أي: إنَّهم لا يخافونَ الآخرةَ، ولو خافوها لَـمَا اقترحُوا هذه الآيةَ اقتراحاً بعدَ وضوحِ المعجزاتِ.

***

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٤٠١)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٤٥٧).

(٢) ذكره الأزهري في «تهذيب اللغة» (٨/ ٣٠٥)، والواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٤٦٣).

(٥٤ ـ ٥٦) ـ ﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ۝٥٤ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝٥٥ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾.

قولُه تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ﴾؛ أي: ليسَ الأمرُ كما يُقدِّرون، إنَّه ـ أي: القرآن ـ تذكرةٌ، وليس بسحرٍ يُؤثَرُ.

وقيلَ: ﴿كَلَّآ﴾؛ أي: حقًّا إنَّ القرآنَ ﴿تَذْكِرَةٌ﴾.

﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾؛ أي: اتَّعظَ ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ﴾؛ أي: ما يتَّعِظون ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾؛ أي: أَنْ يشاءَ اللهُ اتِّعاظَهم وهدايتَهم ﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾؛ أي: إنَّ اللهَ أهلٌ لأنْ تُتَّقى محارمُه، وأهلٌ لأنْ يَغفِرَ لمَن اتَّقاه.

وقيلَ: أهلٌ أَنْ يُتَّقى عقابُه، وأهلٌ أَنْ يُعمَلَ بما يُؤدِّي إلى مَغفرتِه[1].

***

(١) إلى هنا ينتهي ما ثبت عندنا بيقين أنه من تفسير الإمام أبي نصر القشيري المسمى بـ «التيسير في التفسير»، وما جاء بعده من تفسيرٍ بدءاً من «سورة القيامة» حتى «سورة الناس» ليس من تفسيره قطعاً؛ وإنما هو من تكملة ناسخ المخطوطة كما بينَّا في مقدمة التحقيق وأقمنا على ذلك الشواهد الكثيرة القاطعة بذلك، فلتنظر ثمة.

مُلۡحَقُ ٱلتَّفۡسِيرِ

تفسيرُ سورةِ القيامةِ

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١ ـ ٢) ـ ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾.

﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾؛ أي: أُقسمُ بيومِ القيامةِ، وأقسمُ بالنَّفسِ اللَّوَّامةِ، ثمَّ فيه وجهان:

أحدُهما: أنَّ ﴿لَآ﴾ صلةٌ.

والثَّاني: أنَّه ردٌّ لكلامٍ سبقَ ـ وهوَ شائعٌ ـ وإن كانَ هذا أوَّلَ السُّورةِ؛ لأنَّ القرآنَ كالسُّورةِ الواحدةِ، ولهذا قد يُذكَرُ الشَّيءُ في سورةٍ ويَجيءُ جوابُه في سورةٍ أخرى، كقولِه تعالى: ﴿وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ﴾ [الحجر: ٦]، وجوابُه في سورةٍ أخرى: ﴿مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ﴾ [القلم: ٢].

وقرأ ابنُ كثيرٍ: ﴿لَأُقۡسِمُ﴾[١]، وقرأ الجميعُ: ﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾.

وإنَّما أقسمَ بيومِ القيامةِ تعظيماً لشأنِه، وعلى قراءةِ ابنِ كثيرٍ أقسمَ بالأولى، ولم يُقسِمْ بالثَّانية.

قولُه تعالى: ﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ قيلَ: هيَ كلُّ نفسٍ تلومُ نفسَها يومَ القيامةِ، فالمحسنُ يقولُ: لِمَ لـمْ أزددْ إحساناً؟ والمسيءُ يقولُ: لـم اقترفتُ عصياناً؟

---

(١) قرأ بها ابن كثير بخلف عن البزي. انظر: «السبعة» (ص: ٦٦١)، و«التيسير» (ص: ٢١٦).

وقالَ الحسنُ: هيَ النَّفسُ المؤمنةُ لا تراها إلَّا تلومُ نفسَها على كلِّ حالٍ[١].

وقالَ مقاتلٌ: هيَ النَّفسُ الكافرةُ تلومُ نفسَها غداً[٢].

وقيلَ: المعنى: أقسمُ بيومِ القيامةِ ولا أقسمُ بالنَّفسِ اللَّوَّامةِ الَّتي هيَ إمَّا كافرةٌ ولا قَدْرَ لها، وإمَّا مؤمنةٌ اقترفَت ذنباً فلامَت نفسَها، وليسَ للعاصي أيضاً خطرٌ يُقسَمُ به.

* * *

(٣) ـ ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ﴾.

قولُه تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ﴾ قالَ الزَّجَّاجُ: أَقْسَمَ بيومِ القيامةِ وبالنَّفسِ اللَّوَّامةِ ليَجْمَعنَّ العظامَ للبعثِ، فهذا جوابُ القسمِ[٣].

وقالَ النُّحاسُ: جوابُ القسمِ محذوفٌ؛ أي: لتُبعثُنَّ[٤].

نزلَت في عديِّ بنِ ربيعةَ، قالَ للنَّبيِّ عليه السَّلامُ: حدِّثني عن يومِ القيامةِ، متى يكونُ؟ وكيفَ يكونُ أمرُها وحالُها؟ فأخبرَه النَّبيُّ بذلك، فقالَ: لو عاينتُ ذلك اليومَ لم أصدِّقكَ يا محمَّدُ، ولم أُؤمِن به، أوَ يجمعُ اللهُ هذه العظامَ[٥]؟!

---

(١) رواه بنحوه الإمام أحمد في «الزهد» (١٦١٦)، وابن أبي الدنيا في «محاسبة النفس» (٤)، ولفظه: «إن المؤمن لا تراه إلا يلوم نفسه يقول: ما أردت بكلمتي، يقول: ما أردت بأكلتي، ما أردت بحديث نفسي، فلا تراه إلا يعاتبها، وإن الفاجر يمضي قدماً فلا يعاتب نفسه».

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٥٠٩).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٥١)، و«تفسير القرطبي» (٢١/ ٤٠٧).

(٤) انظر: «القطع والائتناف» للنحاس (ص: ٧٧٣).

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٥٠٩)، و«تفسير الثعلبي» (٢٨/ ١١٥)، و«تفسير البغوي» (٨/ ٢٨٠)، ولم يذكروا له سنداً ولا راوياً.

وقيلَ: نزلَتِ الآيةُ في أبي جهلٍ[1].

* * *

(٤) ـ ﴿بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾.

﴿بَلَىٰ﴾؛ أي: بلى نجمعُها ﴿قَٰدِرِينَ﴾ نصبٌ على الحالِ؛ أي: بلى نجمعُها قادرين ﴿عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾.

وقيلَ: المضمَرُ (كنَّا)؛ أي: بلى كنَّا قادرين في الابتداءِ، وقد اعترفَ به المشركون.

﴿عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾: بنانَ الإنسانِ، فنبَّهَ بالبنانِ على بقيَّةِ الأعضاءِ؛ أي: قدرْنا على خلقِ الإنسانِ ابتداءً، ومَن قدرَ على الابتداءِ قدرَ على الإعادةِ.

أو: كنَّا قادرينَ على أنَّ نسويَ بنانَه حتَّى يكونَ كالشَّيءِ الواحدِ حتَّى تلحقَ الرَّاحةُ بالأناملِ فلا يمكنه أن يعملَ به شيئاً[2]، فتكونُ يدُ الإنسانِ ورجلُه كخفِّ البعيرِ وحافرِ الحمارِ، فيتناولُ الأشياءَ بفيه كالبهائمِ، ثمَّ قالَ: اعترفتُم بقدرتِه على هذا، فلمَ تُنكرونَ قدرتَه على الإعادةِ؟

وقيلَ: المضمرُ (نجمعُها)؛ أي: بلى نجمعُها قادرينَ على أن نُسوِّيَ البنانَ؛ أي: نقدر على أن نُعيدَ الإنسانَ في هيئةِ البهائمِ، فكيفَ في صورتِه الَّتي كانَ عليها؟ وهوَ كقولِه: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ۝٦٠ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الواقعة: ٦٠ ـ ٦١].

وقيلَ: أي: نجعل الأصابعَ على هيئةٍ واحدةٍ من غيرِ اختلافٍ.

---

(١) انظر: «البسيط» (٢٢/ ٤٧٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما. وانظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٥١٤).

(٢) قوله: «فلا يمكنه أن يعمل به شيئاً» من «تفسير القرطبي» (٢١/ ٤٠٩)، ووقع مكانه في (أ): «من غير أن يعمل الشيء».

وقالَ الزَّجَّاج؛ أي: نقدرُ على جمعِ السَّلامياتِ على صغرِها، فنُعيدُها كما كانَت، فما الظَّنُّ ببقيَّةِ الأجزاءِ[1]؟

* * *

(٥ ـ ٦) ـ ﴿بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ۝ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾.

قولُه تعالى: ﴿بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ﴾ ﴿ٱلْإِنسَٰنُ﴾ هاهنا الكافرُ؛ أي: لو فكَّرَ لعرفَ قُدرةَ الرَّبِّ، ولكنَّه ركبَ رأسَه في الغفلةِ، فهوَ يُكذِّبُ بالبعثِ، فيفعلُ ما يشاءُ لأنَّه اعتقدَ الأمنَ منَ العذابِ.

وقيلَ: أي: يريدُ الإنسانُ ليُكذِّبَ بيومِ القيامةِ، وإذا كذَّبَ بها فقد فجَرَ فيما هوَ أمامَه؛ أي: في البعثِ الَّذي هوَ أمامَه.

وقيلَ: بل يريدُ الإنسانُ ليفجُرَ في مُقبِلِ أيَّامِه، فلا ينزجِرَ عن معصيتِه، فقولُه: ﴿أَمَامَهُۥ﴾ كنايةٌ عن إقدامِه على المعصيةِ في مستقبلِ أوقاتِه.

وقيلَ: أي: يعزمُ على المعصيةِ أبداً، وإن كانَ لا يعيشُ إلَّا مُدَّةً قليلةً.

وقالَ ابنُ عبَّاسٍ: يُعجِّلُ المعصيةَ، ويُسوِّفُ التَّوبةَ[2].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٥١)، وقد ذكر معناه، وعبارته: «بلى نجمعها قادرين على تسوية بنانه على ما كانت وإن قل عظامها وصغرت وبلغ منها البلى». والأقرب لما ذُكر هنا لفظ ابن قتيبة في «تأويل مشكل القرآن» (ص: ٢٠٦) حيث قال: «بلى، فاعلموا أنّا نقدر على رد السّلاميات على صغرها ونؤلّف بينها حتى يستوي البنان، ومن قدر على هذا فهو على جمع كبار العظام أقدر». وهكذا ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٤٠٨) جامعاً كلام القتبي مع كلام الزجاج.

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٤٨٠) من رواية عطاء والكلبي عن ابن عباس رضي الله عنهما، ورواه ابن أبي الدنيا في «قصر الأمل» (٢٠٥)، ومن طريقه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٦٧٣)، عن أبي وكيع عن أبي إسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس بلفظ: «يقدم الذنب ويؤخر التوبة»، ورواه الحاكم في «المستدرك» (٣٨٧٨) وصححه، وعنه البيهقي في «الشعب» (٧٢٣٢)، عن =

وقيلَ: يُطيلُ الأملَ، ويَنسى الموتَ.

وقيلَ: ﴿لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ﴾: ليُكذِّبَ بيومِ البعثِ، فالمكذِّبُ بالبعثِ فاجرٌ.

* * *

(٧) ـ ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ﴾.

قولُه تعالى: ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ﴾ فإذا تحيَّرَ البصرُ ممَّا يرى من أهوالِ القيامةِ، تحقَّقَ له أنَّه قصَّرَ، قُرِئَ: ﴿بَرِقَ﴾ بكسرِ الرَّاء؛ أي: فزِعَ وتحيَّرَ، وقُرِئَ: ﴿فإذا بَرَقَ البصرُ﴾ بفتحِ الرَّاءِ[1]، وهوَ بمعنى: تحيَّرَ، فبَرَقَ وبَرِقَ بمعنىً واحدٍ.

وقيلَ: ﴿برَقَ﴾ بالفتحِ؛ أي: شخَصَ البصرُ.

وقالَ الزَّجَّاجُ: ﴿بَرِقَ﴾ بمعنى: تحيَّرَ، مثلَ: حَمِدَ يَحمَدُ، وأصلُه: أن يُكثرَ الإنسانُ النَّظرَ إلى لمعانِ البَرْقِ ويؤثِّرَ ذلك في ناظرِه، وهو كما يُقالُ: قَمِرَ بصرُه؛ أي: فَسدَ من النَّظرِ إلى القمرِ، ثمَّ استُعيرَ في الحيرةِ[2].

وقيلَ: هذا البرقُ الدَّهشُ في القيامةِ. وقيلَ: عندَ الموتِ. وقيلَ: عندَ رؤيةِ جهنَّمَ.

* * *

(٨) ـ ﴿وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ﴾.

قولُه تعالى: ﴿وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ﴾ ذهبَ ضوؤُه، والخسوفُ في الدُّنيا إلى انجلاءٍ، وغداً لا يعودُ ضوؤُه.

= إسرائيل عن أبي إسحاق سعيد بن جبير عن ابن عباس، بلفظ: «سوف أتوب»، وهكذا علقه البخاري عن ابن عباس قبل الحديث (٤٩٢٧).

(١) قرأ بها نافع. انظر: «السبعة» (ص: ٦٦١)، و«التيسير» (ص: ٢١٦).

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٤٨٥) عن الزجاجي، وفي «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٥٢): «من قرأ: (بَرِقَ) فمعناه: فزع وتحير، ومن قرأ: (بَرَق) فهو من بَرَق يَبْرُق. من بريق العينين».

(٩) ـ ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ﴾.

قولُه تعالى: ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ﴾ قالَ ابنُ عبَّاسٍ: جُمِعا كالبعيرينِ القَرينينِ[(١)].

وقالَ الكلبيُّ: كالثَّورينِ العقيرينِ[(٢)].

وقالَ الزَّجَّاجُ والفرَّاءُ: جُمِعا في ذهابِ نورِهما[(٣)].

وقالَ الفرَّاءُ: لـم يقل: جُمِعَت؛ لأنَّ المعنى: جُمِعَ بينهما[(٤)].

وقالَ أبو عُبيدةَ: لتذكيرِ القمرِ[(٥)].

وقالَ الكسائيُّ: أي: جُمِعَ النُّوران[(٦)].

وقيلَ: هذا الجمعُ: أنهما يُجمَعانِ ويُقرَّبانِ من النَّاسِ، فيلحقُهم العَرَقُ لشدَّةِ الحرِّ، فكأنَّ المعنى: يُجمَع حرُّهما عليهم.

وقيلَ: يُجمَعُ الشَّمسُ والقمرُ فلا يكونُ ثَمَّ تعاقُبُ ليلٍ ونهارٍ.

ومَن قالَ: ﴿بَرِقَ ٱلۡبَصَرُ﴾ عندَ الموتِ، يقولُ: معنى خسوفِ القمرِ عندَ الموتِ: أنَّ ضوءَ البصرِ يذهبُ عندَ الموتِ.

* * *

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٤٨٦) عن مقاتل، وفي «تفسير مقاتل» (٤/ ٥١٠): «وجمع بين الشمس والقمر كالبقرتين المقرونتين يوم القيامة».

(٢) ذكره عنه الواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٤٨٦).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٠٩)، و«معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٥٢).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٠٩).

(٥) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ٢٧٧).

(٦) ذكره عنه الفراء في «معاني القرآن» (٣/ ٢٠٩)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٤٨١)، والنحاس في «إعراب القرآن» (٥/ ٥٣)، وقال: وأولى ما قيل فيه قول الكسائي.

(١٠) ـ ﴿يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ﴾.

قولُه تعالى: ﴿يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ﴾؛ أي: يقولُ هذا الإنسانُ المنكِرُ للقيامةِ في ذلك الوقتِ: أينَ الفرارُ؟ وقيلَ: إلى أينَ الفرارُ؟ يُقالُ: فَررتُ الجبلَ، وفَررتُ إلى الجبلِ.

وقُرِئَ: (المَفِرُّ) بكسرِ الفاءِ[1]، فهوَ الملجأُ والمهرَبُ؛ لأنَّ المكسورَ العينِ من هذا البابِ معناه: الموضعُ في الغالبِ.

* * *

(١١ ـ ١٢) ـ ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ ۝١١ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ﴾.

قولُه تعالى: ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ﴾ الوزرُ: الجبلُ الحصينُ الَّذي يُلجَأُ إليه.

قولُه تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ﴾؛ أي: إلى ربِّكَ المنتهَى والمصيرُ؛ أي: تؤولُ الأمورُ إلى حُكمِه.

وقيلَ: أي: المستقرُّ في الآخرةِ حيثُ يجعلُه اللهُ تعالى مأوًى لعبادِه، فمستقَرُّ المؤمنِ الجنَّةُ، ومستقَرُّ الكافرِ النّارُ، فليسَ الأمرُ إلى العبادِ حتَّى يَفرُّوا ويستقرُّوا حيثُ أرادوا.

* * *

(١٣) ـ ﴿يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾؛ أي: يُخبَرُ بما قدَّمَ من أعمالِه وما أخَّرَ من عملٍ بعدَ مماتِه.

وقيلَ: ﴿بِمَا قَدَّمَ﴾؛ أي: من معصيةٍ، وما أخَّرَ؛ أي: من طاعةٍ.

---

(١) نسبت لجمع منهم الحسين بن علي وابن عباس والحسن وعكرمة وأيوب السختياني والزهري. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٦٥)، و«المحتسب» (٢/ ٣٤١)، و«البحر» (٢١/ ١١٢).

وقيلَ: يُخبَرُ بما عملَ في أيَّامِ التَّكليفِ بالمتقدِّمِ منه وبالمتأخِّرِ؛ بما قدَّمَ من أموالِه في الصِّدقاتِ، وما خلَّفَ لورثتِه. وهذا الإنباءُ يكونُ في القيامةِ عندَ وزنِ الأعمالِ، ويجوزُ أن يكونَ عندَ الموتِ.

* * *

(١٤) ـ ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ﴾.

قولُه تعالى: ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ﴾؛ أي: يُنبَّأُ الإنسانُ يومئذٍ بأعمالِه، بل لا يحتاجُ إلى أن يُخبرَه غيرُه لأنَّه على نفسِه حجَّةٌ؛ لأنَّ جوارحَه تشهدُ عليه؛ كقولِه: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم﴾ [النور: ٢٤]، والبصيرةُ: البيِّنةُ والحجَّةُ؛ كقولِه: ﴿هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ٢٠٣].

وقيلَ: جعلَه هوَ البصيرةَ، كما تقولُ للرَّجلِ: «أنت حجَّةٌ على نفسِك»، وهوَ كما يُقالُ لـمَن يعيبُ غيرَه بفعلٍ ثمَّ يرتكبُه: «أنت حجَّةٌ على نفسِك؛ لأنَّك تعيبُ غيرَكَ، فكأنَّكَ تعيبُ نفسَك عليه أيضاً».

وأمَّا تأنيثُ البصيرةِ فلأنَّ المرادَ بالإنسانِ هاهنا: الجوارحُ؛ لأنَّها شاهدةٌ على نفسِ الإنسانِ، فكأنَّه قالَ: بل الجوارحُ على نفسِ الإنسانِ بصيرةٌ.

وقالَ أبو عُبيدةَ: هوَ كقولِك: رجلٌ علَّامةٌ وراويةٌ(١).

* * *

(١٥) ـ ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾.

قولُه تعالى: ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾ هيَ جمعُ مَعْذِرةٍ؛ أي: ولو أدلَى بعُذرٍ لـم ينفعْه ذلك؛ لأنَّ جسَده عليه شاهدٌ.

---

(١) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ٢٧٧).

وقالَ الضَّحَّاكُ: أي: ولو أرخَى السُّتورَ(١).

وقالَ الزَّجَّاجُ: المعاذيرُ: السُّتورُ، والواحدُ: مِعذارٌ(٢)؛ أي: وإن أرخى السترَ فنفسُه شاهدةٌ عليه.

وقيلَ: أي: يُؤاخَذُ غداً بعملِه ولا يُعذَرُ في الذَّنبِ، وإن كانَ في الدُّنيا يطلبُ تأويلاً، ويُعلِّلُ نفسَه تعليلاً.

***

(١٦ ـ ١٩) ـ ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾.

قولُه تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ الخطابُ له ﷺ؛ أي: لا تحرِّكْ بقراءةِ القرآنِ لسانَك قبلَ تمامِ وحيِهِ أخذاً له على عجلةٍ مخافةَ أن يتفلَّتَ منك.

قيلَ: إنَّه ﷺ كانَ يُعالِجُ من التَّنزيلِ شدَّةً بحيث كانَ يقرؤُه معَ جبريلَ عند نزولِه، فيَشُقُّ عليه الاستماعُ مع التِّلاوةِ مع شدَّةِ تنزُّلِ الوحي(٣).

قولُه تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾؛ أي: جمعَه في صدرِك وإثباتَ قراءتِه في لسانِكَ، وهوَ تعليلٌ للنَّهيِ من بابِ تعلمةِ الآدابِ والملاطفةِ بالأحبابِ.

---

(١) رواه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص: ٣٤٢)، ومن طريقه الداني في «المكتفى في الوقف والابتدا» (ص: ٢٢٧)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٨٧)، والماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ١٥٥). جميعهم بلفظ: ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾ قال: ستوره، وأهل اليمن يسمون الستر: المعذار. وبنحو هذا رواه ابن المنذر كما في «الدر المنثور» (٨/ ٣٤٧).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٥٣).

(٣) روى معناه البخاري (٥)، ومسلم (٤٤٨)، من حديث ابن عباس رضي اللّه عنهما، وفي آخره: «فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك إذا أتاه جبريل استمع، فإذا انطلق جبريل قرأه النبي ﷺ كما قرأه».

قولُه تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَهُ﴾: فإذا قرأناه بقراءةِ جبريلَ عليكَ ﴿فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾؛ أي: فاستمعْ قراءتَه، وكانَ ﷺ بعدَ ذلك إذا أتاه جبريلُ استمعَ له، فإذا انصرفَ جبريلُ قرأَه ﷺ كما قرأَه جبريلُ، كما وعدَه اللهُ بذلك.

قولُـه تعالـى: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾؛ أي: بيـانَ مـا أشـكلَ عليـك مـن مَعانيـه بالتَّفهيـمِ لـك.

وعلى أنَّ الخطابَ معه ﷺ فوجهُ المناسبةِ بينَ الآيتينِ: أنَّ الأُولى تضمَّنَت الإعراضَ عن آياتِ الله، وهذه تضمَّنَت المبادرةَ إليها بحفظِها.

وقيلَ: الخطابُ مع الإنسانِ المذكورِ، والمعنى: أنَّه يُؤتى كتابَه فيتلجلجُ لسانُه من سرعةِ قراءتِه، فيُقالُ له: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ فـ﴿إِنَّ عَلَيْنَا﴾ بمقتضى الوعدِ جمعَ ما فيه من أعمالِك ﴿وَقُرْءَانَهُۥ﴾؛ أي: قراءتَه، ﴿فَإِذَا قَرَأْنَهُ﴾ عليك ﴿فَٱتَّبِعْ﴾ قراءتَه بالإقرارِ والتَّأويل، ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾؛ أي: بيانَ أمرِه بالجزاءِ عليه.

* * *

(٢٠ ـ ٢١) ـ ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ۝٢٠ وَتَذَرُونَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ۝٢٠ وَتَذَرُونَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾؛ أي: ارتدِعْ وانزجِرْ يا إنسانُ عن الاغترارِ بحبِّ العاجلةِ وهي الدُّنيا، وتركِ الآخرةِ؛ أي: تركِ العملِ لها، كقولِه: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ [الأعلى: ١٦]، والمخاطبُ الإنسانُ، والمرادُ الجنسُ حملاً على ما قبلَه مِن قولِه: ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ﴾، ولذلك جمعَ الضَّميرَ في الفعلينِ، وتؤيِّدُه قراءةُ ابنِ كثيرٍ وابنِ عامرٍ والبصريِّين بالياءِ فيهما، وقرأ المدنيَّانِ والكوفيُّونَ بتاءِ الخطابِ فيهما التفاتاً(١).

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٦٦١)، و«التيسير» (ص: ٢١٧)، و«النشر» (٢/ ٣٩٣).

(٢٢ ـ ٢٣) ـ ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾.

قولُه تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾؛ أي: وجوهٌ في يومِ القيامةِ بهيَّةٌ مشرقةٌ ناظرةٌ إلى ربِّها؛ أي: حالَ نظرِها إليه لا تنظرُ غيرَه ولا تلتفتُ لسواه، ويؤيِّدُه تقديمُ المعمولِ.

يُقالُ: نَضَرَ الله وجهَه نَضْراً ونَضْرةً ونَضارةً.

قالَ ابنُ عبَّاسٍ: ﴿نَّاضِرَةٌ﴾؛ أي: حسنةٌ(١).

وقالَ مجاهدٌ: مسرورةٌ(٢).

وقالَ مقاتلٌ: بِيضٌ يعلوها النُّورُ(٣).

وقالَ السُّدِّيُّ: مضيئةٌ(٤).

وقالَ الفرَّاءُ: مشرقةٌ بالنَّعيمِ(٥)، كقولِه: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ [المطففين: ٢٤].

قالَ ابنُ عبَّاسٍ: وأكثرُ النَّاسِ ينظرُ ربَّه يومَ القيامةِ وفي الجنَّةِ بلا حجابٍ، فالمشاهدون له مُستغرِقون في مُطالعةِ جمالِه بحيث يَغفلونَ عن سواه من دهشةِ جلالِه(٦).

---

(١) رواه عبد الله بن الإمام أحمد في «السنة» (٤٨٥)، والآجري في «الشريعة» (٥٨٤)، وسنذكر لفظه قريباً.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥٠٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٨٧).

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٥/ ١١٦).

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٨/ ١٤٢).

(٥) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢١٢).

(٦) لم أقف عليه هكذا، وروى عبد الله بن الإمام أحمد في «السنة» (٤٨٥)، والآجري في «الشريعة» (٥٨٤) عن ابن عباس: «﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ يعني حسنها ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ قال: نظرت إلى الخالق عز وجل». =

(٢٤) ـ ﴿وَوُجُوهٞ يَوۡمَئِذِۭ بَاسِرَةٞ﴾.

قولُه تعالى: ﴿وَوُجُوهٞ يَوۡمَئِذِۭ بَاسِرَةٞ﴾؛ أي: كالحةٌ مسودَّةٌ من شدَّةِ العبوسِ؛ لشدَّةِ ما ترى في ذلك اليومِ.

***

(٢٥) ـ ﴿تَظُنُّ أَن يُفۡعَلَ بِهَا فَاقِرَةٞ﴾.

قولُه تعالى: ﴿تَظُنُّ أَن يُفۡعَلَ بِهَا فَاقِرَةٞ﴾؛ أي: تُوقِنُ أن يُفعَلَ بها شيءٌ شديدٌ مِنَ العذابِ، أو أمرٌ عظيمٌ من الدَّواهي الَّتي تكسِرُ فِقارَ الظَّهرِ[1].

= ونقل القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٤٣١) عن أبي نصر القشيري هنا كلاماً وهو: وقيل: «﴿إِلَىٰ﴾ واحد الآلاء؛ أي: نِعمُه منتظرة، وهذا أيضاً باطلٌ؛ لأن واحد الآلاء يكتب بالألف لا بالياء، ثم الآلاء: نعمُه الدُّفَّعُ، وهم في الجنة لا ينتظرون دفعَ نعمِه عنهم، والمنتظِر للشيء متنغِّصُ العيش، فلا يُوصَفُ أهل الجنة بذلك».

وقوله: «وهذا أيضا باطل» إشارة إلى ما ذكره القرطبي قبله عن بعض السلف ـ منهم مجاهد ـ من تفسير ﴿نَاظِرَةٞ﴾ بمنتظرة ثواب ربها، ثم تعقبه بقوله: «وهذا القول ضعيف جدًّا خارج عن مقتضى ظاهر الآية والأخبار»، ثم نقل عن الأزهري إبطاله بقوله: إن قول مجاهد: «تنتظر ثواب ربها» خطأ؛ لأنه لا يقال: «نظر إلى كذا» بمعنى الانتظار، وإن قول القائل: «نظرت إلى فلان» ليس إلا رؤية عين، كذلك تقوله العرب؛ لأنهم يقولون: «نظرت إليه» إذا أرادوا نظر العين، فإذا أرادوا الانتظار قالوا: «نظرته». وانظر: «تهذيب اللغة» (١٤/ ٢٦٦)، ونقله أيضاً الواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٥٠٩)، فلعله سقط من المخطوط هذا الوجه أيضاً كما سقط ما قبله.

(١) بعدها في (أ): «جمع فاقرة»، ولعل في الكلام سقطاً، وقد نقل الواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٥١٢) عن المبرد قوله: ونُرى أن أصلها من الفِقْرة والفِقَارة، وهما واحدها، وجمعها: فِقار وفِقَر، وكأن فاقرة: داهية تقطع الظهر.

قالَ سعيدُ بنُ المسيّبِ: قاصِمةُ الظَّهرِ[١].

وقالَ ابنُ زيد: دخولُ النّارِ[٢].

وقالَ الكلبيُّ: هيَ أن يُحجَبَ عن رؤيةِ ربِّه عزَّ وجلَّ[٣].

والآيةُ الَّتي قبلَها ترغيبٌ في الآخرةِ واستمالةٌ للعملِ لها، وهذه تنفيرٌ عن الدُّنيا والغرورِ بها، وكفاه ما حلَّ به من الهوانِ والخسرانِ، وما فاتَه من رؤيةِ الملكِ الدَّيَّانِ.

* * *

(٢٦) - ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ﴾؛ أي: ردعٌ عن إيثارِ الدُّنيا على الآخرةِ، أو ﴿كَلَّآ﴾ بمعنى: ألَا، وفاعلُ ﴿بَلَغَتِ﴾ النَّفسُ، وأضمرَها لدلالةِ الكلامِ عليها، والتَّراقي: جمعُ التَّرقُوةِ، وهي مقدَّمُ الحلقِ من أعلى الصَّدرِ، وهوَ موضعُ الحشرجةِ.

قيلَ: ويُكنى ببلوغِ النَّفسِ التَّراقي عن الإشفاءِ على الموتِ.

* * *

(٢٧) - ﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾.

قولُه تعالى: ﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾؛ أي: قالَ مَن حولَه: هل مِن طبيبٍ يَرقيه ويُداويه ويَشفيه برقيَتِه ويُبرِئُه.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٨/ ١٥٥).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥١٢) بلفظ: «تظن أنها ستدخل النار، قال: تلك الفاقرة». وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٨/ ١٥٦) بلفظ: «تعلم أنها ستدخل النار». ووقع في (أ): «ابن الأزهري»، وهو خطأ.

(٣) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٥١٤). ووقع في (أ): «ابن الكلبي»، وهو خطأ.

وقالَ سليمانُ(١) ومقاتلٌ: هذا من قولِ الملائكةِ، يقولُ بعضُهم لبعضٍ: مَن يَرقَى بروحِه؟ فتصعدُ بها ملائكةُ الرَّحمةِ أو ملائكةُ العذابِ(٢).

***

(٢٨ ـ ٢٩) ـ ﴿وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ۝٢٨ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ﴾.

قولُه تعالى: ﴿وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ﴾: وتيقَّنَ مَن بلغَت نفسُه ذلك أنَّه الفراقُ مِن الدُّنيا الَّتي اغترَّ بها وآثرَ حبَّها على الآخرةِ، فلم يَعملْ لها.

قولُه تعالى: ﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ﴾؛ أي: التفَّت إحدى ساقيه بالأخرى عندَ الموتِ من شدَّةِ الكربِ، أو في الكفنِ، أو: التفَّت شدَّةُ فراقِ الدُّنيا بشدَّةِ إقبالِ الآخرةِ.

قالَ قتادةُ والسُّدِّيُّ: التفَّتِ الشِّدَّةُ بالشِّدَّةِ(٣).

وقالَ عطاءٌ: شدَّةُ الموتِ بشدَّةِ الآخرةِ(٤).

وقالَ سعيدٌ: تتابعَت عليه الشَّدائدُ(٥).

---

(١) هو التيمي.

(٢) ذكره عنهما الواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٥١٧)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥١٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما وعن أبي الجوزاء.
ونقل القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٤٣٤) عن أبي نصر القشيري هنا قوله: «وأظهر عاصم وقوم النون في قوله تعالى: ﴿مَنْ رَاقٍ﴾ واللامَ في قوله: ﴿بَلْ رَانَ﴾ لئلا يشبه (مَرَّاق) وهو بائع المرقة، و(برَّان) في تثنية البَر، والصحيح ترك الإظهار، وكسرةُ القاف في ﴿مَنْ رَاقٍ﴾ وفتحة النون في ﴿بَلْ رَانَ﴾ تكفي في زوال اللبس. وأمثل مما ذُكر: قَصَدَ الوقفَ على ﴿مَنْ﴾ و﴿بَلْ﴾ فأظهرهما».

(٣) ذكره بمعناه عنهما وعن غيرهم الواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٥١٩ ـ ٥٢٠)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥١٨) عن قتادة.

(٤) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٥١٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما من رواية عطاء.

(٥) سعيد هنا هو ابن جبير كما ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٨/ ١٦٦)، والواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٥٢٠).

وقالَ السُّدِّيُّ: لا يخرجُ من كربٍ إلَّا جاءَه أشدُّ منه[١].

وقالَ ابنُ عبَّاسٍ: أمرُ الدُّنيا بأمرِ الآخرةِ، وكانَ في آخرِ يومٍ من أيَّامِ الدُّنيا وأوَّلِ يومٍ من أيَّامِ الآخرةِ[٢].

وقالَ الضَّحَّاكُ: النَّاسُ يُجهِّزونَ جسدَه والملائكةُ يُجهِّزونَ روحَه[٣].

* * *

(٣٠) ـ ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ﴾.

قولُه تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ﴾؛ أي: إلى ربِّك يا محمَّدُ ـ مُصلحِ حالِكَ بالأمنِ في ذلك اليومِ والاصطفاءِ ـ المساقُ؛ أي: السَّوقُ، لا إلى غيرِه، ومعنى هذا يدلُّ على أنَّ العاملَ في (إذا بلغَتِ النَّفسُ التَّراقي) هو: تُساقُ؛ أي: لحُكمِ ربِّها، فيُساقُ العبادُ جميعاً إلى اللهِ وإلى حُكمِه.

* * *

(٣١ ـ ٣٣) ـ ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ﴾.

قولُه تعالى: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ فلا صدَّقَ الإنسانُ بما يجبُ التَّصديقُ به، أو: فلا صدَّقَ مالَه؛ أي: زكَّاه، ولا صَلَّى ما فُرِضَ عليه، ولكن كذَّبَ بالقرآنِ وتولَّى عن الإيمانِ، أو تولَّى عن الطَّاعةِ، أو عن النَّبيِّ ﷺ.

وقيلَ: نزلَت في أبي جهلٍ[٤].

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٨/ ١٦٦).

(٢) رواه بنحوه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥١٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٨٨).

(٣) رواه ابن المبارك في «الزهد» (١٥١٧)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥١٧).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥٢٤) عن ابن زيد. وهو في «تفسير مقاتل» (٤/ ٥١٣).

قولُـه تعالـى: ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ﴾؛ أي: يتبختـرُ فـي مشـيتِه ويَختـالُ مرحـاً وإعجابـاً وافتخـاراً بذلـك، وأصلُه: يتمطَّـطُ، من المطِّ، وهـوَ المدُّ؛ أي: يتمـدَّدُ؛ لأنَّ المتبختـرَ يمـدُّ خطاه، فأُبدِلَـت الطَّاءُ يـاءً، أو هوَ مأخوذٌ مـن المَطَـا؛ أي: الظَّهرِ؛ لأنَّه يَلويـه عنـدَ مشـيِه، ومنـه: «المُطَيْطـاءُ» مِشـيةٌ فيهـا تبختـرٌ، وهـوَ تهديدٌ فـي المعنى، ويُؤكِّـدُ بمـا بعدَه مـن المبنى.

* * *

(٣٤ ـ ٣٥) ـ ﴿أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰ ٣٤ ثُمَّ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰٓ﴾.

قولُه تعالى: ﴿أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰ ٣٤ ثُمَّ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰٓ﴾؛ أي: ويلٌ لك، من الوَلْي، وأصلُه: أولاكَ اللهُ ما تكرهُه، واللَّامُ مزيدةٌ كما في ﴿رَدِفَ لَكُم﴾ [النمل: ٧٢]، أو المعنى: أولى لكَ الهلاكُ، أو هوَ مِن آلَ يُؤولُ، والمعنى: عقباكَ النّارُ، وهوَ دعاءٌ عليه، والعربُ تقولُ: «أولى لفلانٍ» إذا دعَت عليه بالمكروهِ.

عن قتادةَ: أنَّ النَّبيَّ ﷺ لـمَّا نزلَت هذهِ الآيةُ أخذَ بمجامعِ ثوبِ أبي جهلٍ بالبطحاءِ، وقالَ له: ﴿أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰ ٣٤ ثُمَّ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰٓ﴾ فقالَ أبو جهلٍ لعنَه الله: أتُوعِدُني يا محمَّدُ؟ واللهِ لا تستطيعُ أنتَ ولا ربُّك أن تفعلا فيَّ شيئاً، وإنِّي لأعزُّ مَن مشى بين جبلَيها. فصُرِعَ يومَ بدرٍ شرَّ مَصرعٍ، وقُتِلَ شرَّ قِتلةٍ(١).

ورُويَ أنَّه ﷺ كانَ يقولُ: «إنَّ لكلِّ أمةٍ فرعونَ، وفرعونُ هذه الأُمَّةِ أبو جهلٍ»(٢).

* * *

---

(١) رواه بنحوه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٤١٦)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ٦١) و(٢٣/ ٥٢٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٨٩).

(٢) رواه بنحوه الإمام أحمد في «المسند» (٣٨٢٤)، والبزار في «مسنده» (١٨٦١)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٥٩٦١)، جميعهم بلفظ: «هذا فرعون هذه الأمة».

(٣٦ ـ ٤٠) ـ ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ۝٣٦ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ۝٣٧ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٣٨ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ۝٣٩ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾.

قولُه تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾؛ أي: هَمَلاً لا يُكلَّفُ بأمرٍ ولا نهيٍ، ولا يُعاقَبُ إذا سيقَ إلى ربِّه، من أسديتُ الإبلَ: إذ تركتَها تذهبُ حيثُ شاءَت بلا راعٍ، وحسبانُه يتضمَّنُ إنكارَه الحشرَ والمجازاةَ، والمعنى: لا يظنَّ ذلك، ومثلُه قولُه: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا﴾ [المؤمنون: ١١٥]، وقد أومأَ إلى الدّلالةِ على البعثِ بما بعدَه، وهو:

قولُه تعالى: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ﴾؛ أي: إنَّه كانَ، فالاستفهامُ تقريريٌّ، و﴿يُمْنَىٰ﴾ بالياءِ والتَّاءِ: يُصبُّ في الرَّحمِ، قرأ يعقوبُ وحفصٌ عن عاصمٍ بالياءِ، وهي قراءةُ الحسنِ(١)؛ أي: مَن أوَّلَهُ على إرجاعِ الضَّميرِ للمنيِّ لأنَّه مذكَّرٌ، والباقون بتاءِ التَّأنيثِ على إرجاعِه للنُّطفةِ(٢).

قولُه تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾؛ أي: ثمَّ كانَ المنيُّ علقةً، فخلقَ اللهُ منها الإنسانَ فسوَّاه؛ أي: عدَّلَ أعضاءَه، أو فقدَّرَه وعَدَلَه بأن سوَّى يديه ورجليه وعينيه وجميعَ أعضائِه، أو فجَعلَ فيه الرُّوحَ بسَوِيِّ خَلقَةٍ.

قولُه تعالى: ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾؛ أي: ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ﴾ ـ منَ المنيِّ الَّذي صارَ علقةً؛ أي: قطعةَ دمٍ، ثمَّ مضغةً؛ أي: قطعةَ لحمٍ ـ النَّوعينِ؛ ذكَراً تارةً، وأُنثى أخرى، أو: خلقَ من مَنيِّه هذا ذكوراً أو إناثاً، أو ذكراً أو أُنثى، مُجتمِعَينِ تارةً ومُنفرِدينِ أخرى.

---

(١) ذكرها عنه الثعلبي في «تفسيره» (٢٨/ ١٨٠).

(٢) قرأ يعقوب وحفص بالياء، واختلف عن هشام. انظر: «النشر» (٢/ ٣٩٤).

وهوَ استدلالٌ للمُعتبِرِ، وقد وَبَّخَ على تركِ الاعتبارِ، ومنها قولُه تعالى: ﴿أَلَيۡسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡـِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾: أليسَ الفعَّالُ لهذه الأشياءِ المشاهدةِ المرئيةِ لكم قادراً على إحيائِكم وإرجاعِكم للجزاءِ؟!

عنه ﷺ: أنَّه كانَ إذا قرأَ هذه السُّورةَ قالَ: «بلى»[1]، ورُوِيَ: أنَّه كانَ يقولُ: «سبحانَكَ اللَّهمَّ بلى»[2].

وعن عمرَ: مَن يَسألُ عن يومِ القيامةِ فليقرأْ هذه السُّورةَ[3].

* * *

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٧٣٩١)، وأبو داود (٨٨٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وإسناده ضعيف لإبهام الراوي عن أبي هريرة. ورواه المستغفري في «فضائل القرآن» (٧٠)، وابن المنذر وابن مردويه من حديث جابر رضي الله عنهما، كما في «الدر المنثور» للسيوطي (٨/ ٣٦٤).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥٢٨) عن قتادة قال: ذُكِرَ لنا أنَّ نبي الله ﷺ كان إذا قرأها قال: «سبحانك وبلى».

ورواه أبو داود (٨٨٤)، ومن طريقه البغوي في «شرح السنة» (٦٢٤)، عن موسى بن أبي عائشة قال: كان رجل يصلي فوق بيته، فكان إذا قرأ: ﴿أَلَيۡسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡـِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾، قال: سبحانك فبلى. فسألوه عن ذلك، قال: سمعته من رسول الله ﷺ ورجاله ثقات إلا أن موسى بن أبي عائشة لم يرو عن أحد من الصحابة، وروايته إنما هي عن التابعين، وقد ذكروا أنه كثير الإرسال. ويؤيد هذا رواية أبي عبيد في «فضائل القرآن» (ص: ١٥١) عن موسى بن أبي عائشةَ، عن رجلٍ، عن آخرَ، عن آخرَ: أنه كان يَقرأ فوق بيتٍ له... الحديث.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٤٧٧)، وعبد بن حميد وابن المنذر عن قتادة، كما في «الدر المنثور» (٨/ ٣٤٢).

تفسيرُ سورةِ الإنسانِ

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) ـ ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾.

﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾[1]؛ أي: قد أتى على الإنسانِ، تأتي (هل) بمعنى (قد) في الاستفهامِ خاصَّةً، كما هنا، وتكونُ همزةُ الاستفهامِ مقدَّرةً معها، وتقديرُه: أقد أتى؟ تقريراً وتقريباً.

قالَ الزَّجَّاجُ: المعنى: ألم يأتِ[2]؟

﴿عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ﴾ آدمَ ﴿حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾؛ أي: طائفةٌ من الزَّمانِ الطَّويلِ، ومقدارُها أربعون سنةً، قيلَ: إنَّ آدمَ مكَثَ أربعينَ سنةً من طينٍ بينَ مكَّةَ والطَّائفِ، ثمَّ مِن صلصالٍ أربعين، ثمَّ من حمأٍ مسنونٍ أربعين، ثمَّ نُفِخَ فيه الرُّوحُ، فتمَّ خلقُه في مئةٍ وعشرينَ سنةً[3].

وقيلَ: المرادُ بالإنسانِ: الجنسُ، وبالحينِ: مُدَّةُ الحَملِ.

---

(١) نقل القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٤٤٣) عن أبي نصر القشيري قوله: «إن هذه السورة نزلت في علي بن طالب رضي الله عنه والمقصود من السورة عام، وهكذا القول في كل ما يقال: إنه نزل بسبب كذا وكذا».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٥٧).

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ١٦٢) من رواية الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما، وذكره الواحدي في «البسيط» (٢٣/ ٨) عن ابن مسعود، وعن ابن عباس من رواية عطاء عنه.

قولُه تعالى: ﴿لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا﴾؛ أي: من حينِ تصويرِه من الطِّينِ إلى أن نُفِخَ فيه الرُّوحُ؛ أي: كانَ مَنسيّاً لا يُعرَفُ ولا يُذكَرُ ولا يُدرَى ما اسمُه[1].

رُوِيَ عن عمرَ أنَّه سمعَ رجلاً يقرأُ هذه الآيةَ، فقالَ: ليتَها تمَّتْ[2]. يريدُ: ليتَه بقيَ على ما كانَ عليه، لم يُخلَق ولم يُكلَّف.

ومحلُّ الجملةِ نصبٌ حالٌ من ﴿ٱلۡإِنسَٰنِ﴾، أو رفعٌ وصفٌ لـ﴿حِينٞ﴾.

* * *

(٢) ـ ﴿إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا﴾.

قولُه تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ﴾؛ أي: إنَّا خلقْنا ابنَ آدمَ مِن منيِّ الرَّجلِ ومن منيِّ المرأةِ، وأصلُ النُّطفة: ما نَطَفَ من الماءِ.

﴿أَمۡشَاجٖ﴾؛ أي: أخلاطٍ، واحدُها: مِشْجٌ بالكسرِ، أو مَشِيجٌ، مثلَ: خِدْنٍ وخَدينٍ.

قالَ الزَّجَّاجُ: واحدُ الأمشاجِ: مِشجٌ[3].

وقالَ ابنُ فارسٍ: واحدُها: مِشجٌ ومَشِيجٌ[4].

قالَ ابنُ عبَّاسٍ ومجاهدٌ والرَّبيعُ: أي: ماءُ الرَّجلِ وماءُ المرأةِ يختلطانِ في

---

(١) نقل القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ١١٩) عن أبي نصر القشيري قوله: «وعلى الجملة: ما كان مذكورًا للخلق، وإن كان مذكورًا لله».

(٢) رواه ابن المبارك في «الزهد» (٢٣٥)، وأبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص: ١٥٠)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٤٩٥) بلفظ: «ليت ذلك الحين».

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٥٧)، وفيه: «مشيج».

(٤) انظر: «مقاييس اللغة» (مادة: مشج).

الرَّحِمِ[١]، فيكونُ منهما الولدُ، فماءُ الرَّجلِ أبيضُ غليظٌ، وماءُ المرأةِ أصفرُ رقيقٌ، فأيُّهما علا صاحبَه كانَ الشَّبَهُ له.

قيلَ: والعَصَبُ والعظمُ من ماءِ الرَّجلِ، واللَّحمُ والدَّمُ والشَّعرُ من ماءِ المرأةِ.

وقالَ الضَّحَّاكُ: المرادُ بالأمشاجِ: اختلاطُ ألوانِ النُّطفةِ، فنُطفةُ الرَّجلِ بيضاءُ وحمراءُ، ونُطفةُ المرأةِ خضراءُ وحمراءُ. وهي روايةُ الوالبيِّ عن ابنِ عبَّاسٍ[٢].

وقالَ الكلبيُّ: الأمشاجُ: البياضُ في الحُمرةِ والصُّفرةِ[٣]، فكلُّ لونينِ اختلَطا فهوَ أمشاجٌ.

وقالَ ابنُ مسعودٍ: هيَ العروقُ الَّتي تكونُ في النُّطفةِ[٤].

وقالَ الحسنُ: نُطفةٌ مُشِجَت بدمٍ، وهوَ دمُ الحيضِ، فإذا حبلَت المرأةُ ارتفعَ الحيضُ[٥].

وقالَ قتادةُ: هيَ أطوارُ الخلقِ، تكونُ نُطفةً ثمَّ علقةً ثمَّ مضغةً ثمَّ عظماً ثمَّ تكونُ لحماً، ثمَّ يُنشِئُه اللهُ خلقاً آخرَ[٦].

---

(١) ذكره عنهم الثعلبي في «تفسيره» (٢٨/ ١٩٥)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥٣٢) عن الربيع بن أنس، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٩٠)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٥٩٧)، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وروى الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥٣٥) عن مجاهد قال: «أي الماءين سبق أشبه عليه أعمامه وأخواله».

(٢) ذكره عنه وعن الضحاك الثعلبيُّ في «تفسيره» (٢٨/ ١٩٥)، والوالبي هو علي بن أبي طلحة.

(٣) ذكره البغوي في «تفسيره» (٨/ ٢٩٢).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥٣٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٩٠)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٩١٤٧).

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٨/ ١٩٦)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٣٦٨) إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥٣٤).

وجازَ وصفُ الواحدِ بالجمعِ لأنَّه كانَ في الأصلِ متفرِّقاً ثمَّ جُمِعَ؛ أي: نُطفةٍ أخلاطٍ، فهي في معنى الجمعِ، كقولِه: ﴿رَفۡرَفٍ خُضۡرٍ﴾ [الرحمن: ٧٦]، أو تُجعَلُ أجزاؤُها نُطفاً.

أو أنَّ ﴿أَمۡشَاجٍ﴾ مفردٌ، فهوَ مِثلُ قولِهم: «بُرمةٌ أعشارٌ»[١]، وأنَّ المثالَ وما شاكلَه ألفاظٌ مفردةٌ غيرُ جموعٍ، ولذلك وقعَت صفاتٍ للأفرادِ.

وقولُه: ﴿نَّبۡتَلِيهِ﴾؛ أي: نختبرُه بالتَّكاليفِ، مستأنفةٌ، أو حالٌ مقدَّرةٌ من ﴿ٱلۡإِنسَٰنَ﴾، أو مِن ضميرِ الفاعلِ؛ أي: مُريدينَ ابتلاءَه حالَ تأهُّلِه.

قولُه تعالى: ﴿فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا﴾؛ أي: فجعلناه بسببِ إرادةِ ابتلائِه سميعاً بصيراً، وعلى هذا التَّقديرِ لا يُحتاجُ لتقديمٍ ولا تأخيرٍ.

وقالَ الفرَّاءُ: الآيةُ فيها تقديمٌ وتأخيرٌ، والتَّقديرُ: فجعلناه سميعاً بصيراً لنبتليَه[٢]؛ لأنَّ الابتلاءَ لا يقعُ إلَّا بعدَ تمامِ الخلقِ.

وقالَ بعضُهم: فجعلناه سميعاً بصيراً ليتمكَّنَ من مشاهدةِ الدَّلائلِ واستماعِ الآياتِ إذا نزلَت.

***

(٣) ـ ﴿إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا﴾.

قولُه تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ﴾؛ أي: بيَّنا له طريقَ الحقِّ والهدى مِن

---

(١) قوله: «برمة أعشار»، البرمة: القدر، و«برمة أعشار»: إذا انكسرت قطعًا، ومثله: «ثوب أخلاق» يَصِفون به الواحدَ إذا كانت الخُلُوقة فيه كلِّه، كما قالوا: «حبْلٌ أزمامٌ» و«أرضٌ سَباسِب»، أخلق الثوبُ: إذا بلي. انظر: «الصحاح» و«اللسان» (مادة: عشر وخلق).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢١٣).

الضَّلالـةِ، وعرَّفنـاه طريقَ الخيرِ والشَّـرِّ ببعثِ الرُّسـلِ وتصديقِهـم بالمعجزاتِ، أو بنصـبِ الدَّلائـلِ وإنـزالِ الآياتِ.

﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾؛ أي: إمَّا مؤمناً سعيداً، وإمَّا كافراً شقيًّا، وهما حالانِ من المفعولِ في ﴿هَدَيْنَهُ﴾؛ أي: بيَّنا له في حالةِ شكرِه أو كفرِه المقدَّرةِ.

و﴿إِمَّا﴾ لتفصيلِ الأحوالِ؛ أي: هديناه في حالَيه جميعاً، أو للتَّقسيمِ، والمعنى: أو مقسوماً إليها بعضُهم شاكرٌ بالاهتداءِ أو الأخذِ فيه، وبعضُهم كفورٌ بالإعراضِ عنه.

أو حالانِ من ﴿ٱلسَّبِيلَ﴾ بمعنى: عرَّفناه السَّبيلَ إمَّا سبيلاً شاكراً، وإمَّا سبيلاً كفوراً، كقولِه تعالى: ﴿وَهَدَيْنَهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾، فتجوَّزَ بوصفِ ﴿ٱلسَّبِيلَ﴾ بالشُّكرِ والكفرِ، والمعنى: بيَّنا له الطَّريقينِ إن شكرَ وإن كفرَ.

والقراءةُ بكسرِ همزةِ ﴿إما﴾ فيهما، وقُرِئَ بفتحِها على تقديرِ محذوفٍ[1]، وتقديرُه: أمَّا شاكرٌ فيُحسَنُ إليه، وأمَّا كفورٌ فيُعاقَبُ.

وعبَّرَ بـ(كفورٍ) دونَ (كافرٍ) ـ ليطابِقَ قِسيمَه ـ محافظةً على الفواصلِ، وإشعاراً بأنَّ الإنسانَ لا يخلو عن كُفرانٍ غالباً، وإنَّما المأخوذُ به التوغُّلُ فيه.

***

(٤) ـ ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَاْ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا﴾.

قولُه تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَاْ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا﴾؛ أي: هيَّأنا للكافرين باللهِ وبآياتِه ﴿سلاسلَ﴾ يُسحَبونَ بها في النَّارِ ﴿وَأَغْلَٰلًا﴾ في أعناقِهم تُشدُّ فيها السَّلاسلُ، و﴿سعيرا﴾: ناراً مُسعَّرةً؛ أي: مُهيَّجةً يُعذَّبونَ بها.

قرأ نافعٌ وأبو بكرٍ وهشامٌ والكسائيُّ: ﴿سلاسلًا﴾ بالتَّنوينِ؛ لِمَا حَكَى الكسائيُّ:

---

(١) نسبت لأبي السمال. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٦٦).

أنَّ مِن العربِ مَن يصرفُ كلَّ ما لا يَنصرفُ، قالوا: وأكثرُ ما سُمِعَ هذا في الشِّعرِ، وأمَّا في الكلامِ فقليلٌ.

قالَ الزَّجَّاجُ: إنَّما صُرِفَ لتكونَ أواخرُ الآيِ على لفظٍ واحدٍ(١).

وقالَ آخرُ: هذه النُّونُ بدلٌ من حرفِ الإطلاقِ، فجرى الوصلُ مجرى الوقفِ.

وقرأ مَن بقيَ بغيرِ تنوينٍ(٢)، وكلُّهم وقفَ عليها بالألفِ اتِّباعاً لخطِّ المصحفِ، ولأنَّ مَن صرفَ منهم أبدلَ من التَّنوينِ ألفاً، لكنَّ حمزةَ وقُنبلاً يقفانِ بغيرِ ألفٍ؛ لأنَّهما لـم يُثبِتا في الوصلِ تنويناً فيُبدلا(٣) في الوقفِ منه ألفاً(٤).

وإنَّما قدَّمَ الوعيدَ على الوعدِ؛ لأنَّ إنذارَهم أهمُّ وأنفعُ، وتصديرُ الكلامِ وختمُه بذكرِ المؤمنينَ أحسنُ.

* * *

(٥) ـ ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ يَشۡرَبُونَ مِن كَأۡسٖ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾.

قـولُه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ يَشۡرَبُونَ مِن كَأۡسٖ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ الأبـرارُ: جمعُ بَرٍّ كنَهرٍ وأنْهارٍ، أو: جمعُ بارٍّ كشاهدٍ وأشْهادٍ وناصرٍ وأنْصارٍ، وهم المؤمنونَ الصَّادقونَ في إيمانِهم، أو المطيعونَ لربِّهم، أو الَّذينَ لا يُؤذُون الذَّرَّ ولا يُضمِرونَ الشَّرَّ، أو هم الَّذينَ سمَتْ هممُهم عن المستحقَراتِ، وظهرَت في قلوبِهم ينابيعُ الحكمةِ، فأنِفُوا مساكنةَ أهلِ الدُّنيا، أولئك ﴿يَشۡرَبُونَ مِن كَأۡسٖ﴾ هوَ إناءٌ يُشرَبُ فيه

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٦٦٣)، و«التيسير» (ص: ٢١٧).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٥٨).

(٣) في (أ): «فيبدلان»، والصواب المثبت.

(٤) انظر: «السبعة» (ص: ٦٦٣)، و«التيسير» (ص: ٢١٧).

الخمرُ، ولا يُسمَّى كأساً إلَّا إذا كانَ فيه الخمرُ، والمرادُ: من خمرٍ، تسميةً للحالِّ باسمِ المحلِّ، و﴿مِن﴾ للتَّبعيضِ.

﴿كَانَ مِزَاجُهَا﴾؛ أي: يكونُ مزاجُ تلك الخمرةِ ﴿كَافُورًا﴾.

قالَ قتادةُ: تُمزجُ لهم بالكافورِ وتُختَمُ بالمسكِ(١).

وقالَ عكرمةُ: ﴿مِزَاجُهَا﴾؛ أي: طعمُها(٢).

وقالَ أهلُ المعاني: أي: كالكافورِ في بياضِه وطِيبِه وبَردِه؛ لأنَّ الكافورَ لا يُشرَبُ، وهوَ كقولِه: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا﴾ [الكهف: ٩٦]؛ أي: كنارٍ، فتُخلَقُ لها رائحةُ الكافورِ وبياضُه وبردُه وكأنَّها مُزِجَت به.

وقالَ عطاءٌ والكلبيُّ: الكافورُ اسمٌ لعينِ ماءٍ في الجنَّةِ(٣).

***

(٦) ـ ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾.

قولُه تعالى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾؛ أي: عيناً للكافورِ المذكورةِ، والمرادُ فيها رائحتُه، أو: عيناً للتَّسنيمِ، نُصِبَ تبعاً للكافورِ، أو على المدحِ، أو بـ: أعني.

وقالَ الزَّجَّاجُ: الأجودُ أن يكونَ المعنى: من عينٍ(٤).

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥٣٩).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٨/ ٢٠٤)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٣٦٩) إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

(٣) ذكره ابن أبي زمنين في «تفسيره» (٥/ ٧٠)، والماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ١٦٥)، عن الكلبي، وذكره الواحدي في «البسيط» (٢٣/ ٢٢) من رواية عطاء والكلبي عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٥٨).

﴿يَشۡرَبُ بِهَا﴾؛ أي: يشربُها، فالباءُ صلةٌ.

وقيلَ: الباءُ بمعنى (مِن) التَّبعيضيَّةِ.

و﴿عِبَادُ ٱللَّهِ﴾ قالَ ابنُ عبَّاسٍ: أولياؤُه(١).

﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفۡجِيرٗا﴾؛ أي: يقودُونها أو يجرُّونها حيثُ شاؤُوا من منازِلِهم وقصورِهم كمَن يكونُ له نهرٌ في الدُّنيا يفجِّرُه هاهنا وهاهنا إلى حيثُ يريدُ، فهي تجري عندَ كلِّ أحدٍ منهم كذلك بسهولةٍ من غيرِ أخدودٍ، وكذا جميعُ أنهارِ الجنَّة.

وقيلَ: هيَ عَينٌ في دارِ محمَّدٍ ﷺ تُفجَّرُ في دورِ الأنبياءِ والمؤمنينَ(٢).

***

(٧) ـ ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا﴾.

قولُه تعالى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ﴾؛ أي: يُوفُونَ بالنَّذرِ في طاعةِ اللهِ، في الحديثِ الشَّريفِ: «مَن نَذَرَ أن يُطيعَ اللهَ فليُطعْهُ، ومَن نَذَرَ أن يعصيَ اللهَ فلا يعصِهِ»(٣).

أو: يُوفُون بما فَرَضَ اللهُ تعالى عليهم من الواجباتِ؛ لأنَّ مَن وفَى بما أوجَبَ هوَ على نفسِه كانَ لِمَا أوجبَه اللهُ عليه أوفَى.

أو: هوَ جوابٌ عن سؤالٍ مُقدَّرٍ، كأنَّه قيلَ: ما بالُهم يُرزَقون ذلك؟ فقيلَ: لأنَّهم كانُوا يُوفونَ بالنَّذرِ(٤).

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٣/ ٢٤).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٨/ ٢٣٥).

(٣) رواه البخاري (٦٦٩٦) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٤) في «تفسير القرطبي» (٢١/ ٤٥٧): «قوله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ﴾؛ أي: لا يخلفون إذا نذروا. وقال معمر عن قتادة: بما فرض الله عليهم من الصلاة والزكاة والصوم والحج والعمرة وغيره من الواجبات. وقال مجاهد وعكرمة: يوفون إذا نذروا في حق الله جل ثناؤه. وقال الفراء والجرجاني: =

﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾؛ أي: مُنتشِراً مُستطيلاً ظاهراً، من استطارَ الحريقُ والفجرُ: انتشَرَ وظهَرَ، وانتشارُ ذلك اليومِ عندَ انشقاقِ السَّماءِ وتناثرِ الكواكبِ وتكويرِ الشَّمسِ ونسفِ الجبالِ وغورِ المياهِ.

قالَ بعضُهم: خافُوا مع وفاءِ نذورِهم وأداءِ فروضِهم لِعلمِهم بما بقيَ عليهم من حقوقِ اللهِ تعالى حيثُ لـم يهتدوا إليها، فخوفُهم مِن تقصيرِهم في الشُّكرِ على النِّعمِ، لا خوفُ مَن اجتنَى واجترمَ.

❊ ❊ ❊

(٨) ـ ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾.

قولُه تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ يُطعمونَ الطَّعامَ على حبِّ الطَّعامِ؛ أي: مع محبَّتِهم وشهوتِهم واحتياجِهم له؛ لِمَا فيه من الإيثارِ على النُّفوسِ.

وقيلَ: على حبِّ اللهِ تعالى؛ أي: إنَّما قصدُهم بإطعامِهم وجهُه الكريمُ وابتغاءُ مرضاتِه.

وقيلَ: على حبِّ الإطعامِ، والمعنى: أنَّ ذلك مِن طبعِهم، لا للرِّياءِ ونحوِه. والأوَّلُ أمدحُ.

= وفي الكلام إضمار؛ أي: كانوا يوفون بالنذر في الدنيا. والعرب قد تزيد مرة كان وتحذف أخرى. والنذر: حقيقته ما أوجبه المكلف على نفسه من شي يفعله. وإن شئت قلت في حده: النذر: هو إيجاب المكلف على نفسه من الطاعات ما لو لم يوجبه لم يلزمه. وقال الكلبي: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾؛ أي: يتممون العهود. والمعنى واحد، وقد قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾ [الحج: ٢٩] أي: أعمال نسكهم التي ألزموها أنفسهم بإحرامهم بالحج. وهذا يقوي قول قتادة، وأن النذر يندرج فيه ما التزمه المرء بإيمانه من امتثال أمر الله، قاله القشيري».

﴿مِسْكِينًا﴾: فقيراً ﴿وَيَتِيمًا﴾: صغيراً لا أبَ له، ﴿وَأَسِيرًا﴾ قيلَ: هوَ مَن حُبِسَ بحقٍّ مطلَقاً. وقيلَ: أسارى الكفَّارِ إلى أن يَختارَ الإمامُ فيهم ما تقتضيه المصلحةُ.

قال الحسنُ: كانَ ﷺ يُؤتى بأسيرٍ، فيدفعُه إلى بعضِ المسلمين فيقولُ: «أحسِنْ إليه»، فيكونُ عندَه اليومينِ والثَّلاثةَ، فيُؤثرُه على نفسِه[1]. وفي هذا دليلٌ على أنَّ إطعامَ الأسيرِ المشرِكِ حسنٌ يُرجَى ثوابُه.

وقيلَ: المرادُ بالأسيرِ: المملوكُ. وقيلَ: المرأةُ.

وقيلَ: الغريمُ، في الحديثِ: «غريمُكَ أسيرُكَ فأحسِنْ إليه»[2].

قيلَ: نزلَت في أبي الدَّحداحِ الأنصاريِّ صامَ يوماً، فلمَّا أرادَ أن يُفطِرَ جاءَه مسكينٌ ويتيمٌ وأسيرٌ، فأطعمَهم ثلاثةَ أرغفةٍ، وبقيَ له هوَ وزوجتُه رغيفٌ واحد[3].

***

(٩) - ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾.

قولُه تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾؛ أي: قالوا ذلك امتثالاً لأمرِه بذلك، أو لطلبِ ثوابِه، أو لتَمحيضِه لوجهِه الكريمِ خالصاً، وهوَ الأكملُ؛ لـمَّا نزَّههم الله عن عيبِ الرِّياءِ وغيرِه، وأنَّهم يُراقبون الله تعالى، ويُخلِصون له نيَّاتِهم في جميعِ أوقاتِهم وحالاتِهم، أوضَحُوا لـمَن أحسنُوا إليه أنْ لا مِنَّةَ لهم عليه بقولِهم ذلك.

---

(١) لم أجده مسندًا، وذكره الزيلعي وابن حجر في تخريجيهما «الكشاف» وسكتا عنه. وقال الولي العراقي: لم أجده. انظر: «الفتح السماوي» (٣/ ١٠٧٠).

(٢) سكت عنه الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (٤/ ١٣٣)، وقال الولي العراقي: لم أجده. انظر: «الفتح السماوي» (٣/ ١٠٧٠).

(٣) ذكره مقاتل في «تفسيره» (٤/ ٥٢٥).

أو أنَّهم لـم يقولُوا، وإنَّما علمَ اللهُ ذلك من نفوسِهم وقلوبِهم؛ قالَ مجاهدٌ: لـم يقولوا هذا بألسنتِهم، ولكن علمَ اللهُ ذلك من قلوبِهم، فأثنَى عليهم[(١)]، بقولِه: ﴿لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً﴾ مكافأةً في مقابلِ ذلك ﴿وَلَا شُكُورًا﴾؛ أي: شُكراً، فهوَ مصدرُ شَكَرَ، وهوَ كالكُفُورِ والدُّخولِ.

رُويَ عن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها: أنَّها كانَت تبعَثُ بالصِّدقةِ لـمُستحقِّيها، ثمَّ تسألُ عن قولِهم: ما قالوا؟ فإن ذكرُوا لها دعاءً، دعَت لهم بمثلِه؛ ليبقى ثوابُ الصَّدقةِ مُتمحِّضاً[(٢)].

* * *

(١٠) ـ ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾.

قولُه تعالى: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ العبوسُ: الكريهُ المنظرِ الكالحُ، وذلك لشدَّتِه، وهوَ مجازٌ كقولِهم: يومٌ صائمٌ وليلٌ نائمٌ، سُمِّيَ بذلك لأنَّ الوجوهَ يشتدُّ عبوسُها فيه ويُستكرَهُ منظرُها ويُستبشَعُ، حتَّى رُويَ أنَّ الكافرَ يعبسُ يومئذٍ حتَّى يسيلَ بين عينيه شبيهُ القَطرانِ.

قالَ الكلبيُّ: العَبوسُ: الَّذي لا انبساطَ فيه[(٣)].

ثمَّ أكَّدَ الشِّدَّةَ بقولِه: ﴿قَمْطَرِيرًا﴾؛ أي: شديدَ العُبوسِ والكراهةِ.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٤٢٨)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥٤٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦٨٩٧). ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥٤٦) عن سعيد بن جبير. وذكر القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٤٦٠) كلام مجاهد، وزاد: «ليرغب في ذلك راغب»، ثم قال: «وقاله سعيد بن جبير حكاه عنه القشيري».

(٢) رواه بنحوه النسائي في «السنن الكبرى» (١٠٠٦٢).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٨/ ٢١٥).

قالَ قتادةُ ومجاهدٌ: القمطريرُ: الَّذي يقبِضُ الوجوهَ والجباهَ[١].

وقالَ الكلبيُّ: القمطريرُ الشَّديدُ[٢].

وقالَ الأخفشُ: القمطريرُ أشدُّ ما يكونُ من الأيَّامِ وأطولُه في البلايا[٣].

يُقالُ: يومٌ قمطريرٌ وقماطرٌ: إذا كانَ شديداً كريهاً، واقمطرَّ اليومُ فهوَ مُقمَطِرٌّ: إذا اشتدَّ وطالَ.

* * *

(١١) ـ ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾.

قولُه تعالى: ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ﴾؛ أي: صرفَ عنهم شرَّه وأزالَ عنهم مخافتَه، قُرِئَ مخفَّفاً ومشدَّداً[٤].

﴿وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾؛ أي: أعطاهم حُسناً وإضاءةً وبشاشةً في وجوهِهم، وذلك في مقابلةِ عُبوسِ وجوهِ الكفَّارِ وكلوحِها، وأعطاهم سروراً في قلوبِهم في مقابلةِ حُزنِ قلوبِ الكفَّارِ.

* * *

(١٢) ـ ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾.

قولُه تعالى: ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾؛ أي: أعطاهم بسببِ صبرِهم على

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٤٢٧)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥٤٨)، عن قتادة، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥٤٩) عن مجاهد.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٨/ ٢١٥).

(٣) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (٢٨/ ٢١٦)، وأبو حفص النسفي في «التيسير» (١٥/ ١٤١).

(٤) بالتخفيف قراءة الجمهور، والتشديد نسبها ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ٤١١) لأبي جعفر يزيد بن القعقاع.

طاعةِ اللهِ واجتنابِ معصيةِ اللهِ والإيثارِ مع الفقرِ والجوعِ ورثاثةِ الملبسِ جنّةً أُدخِلُوها وحريراً أُلبِسوه، وذِكرُ الحريرِ مع الجنَّةِ يكونُ معه غالباً الإيثارُ على النَّفسِ، ويقترنُ به عادةَ الصَّبرُ على الشَّدائدِ كالعري[1]، فأُبدِلوا بصبرِهم على ذلك خيرَ مَطعمٍ وخيرَ مَلبسٍ.

***

(١٣) ـ ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾.

قولُه تعالى: ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾؛ أي: مُتَّكئينَ في الجنَّةِ على الأرائكِ، وهي السُّرُرُ في الحِجالِ، واحدُها: أريكةٌ، ولا تكونُ أريكةً إلَّا إذا اجتمعا.

﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾؛ أي: لا يَرونَ فيها حرّاً ولا برداً.

وقالَ مقاتلٌ: لا يرون شمساً يُؤذيهم حرُّها، ولا زمهريراً يُؤذيهم بردُها، لأنَّهما يُؤذيان في الدُّنيا[2]. والزَّمهريرُ: البردُ الشَّديدُ.

وقيلَ: لا يَرونَ في الجنَّةِ شمساً ولا قمراً؛ لأنَّ الزَّمهريرَ هوَ القمرُ في لغةِ طيِّئٍ، قالَ شاعرُها:

وليلـةٍ ظلامُهـا قَـدِ اعْـتَـكَـرْ قَطَعتُها والزَّمْهَريـرُ مـا زَهَـرْ[3]

فهي مضيئةٌ بذاتِها من غيرِ شمسٍ ولا قمرٍ.

---

(١) «كالعري» كذا في (أ)، ولعله يريد به قلة الثياب ورثاثة الملبس.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٥٢٧)، وعبارته: «لا يرون فيها شمساً لا يصيبهم حر الشمس ولا زمهريراً؛ يعني: ولا يصيبهم برد الزمهرير لأنه ليس فيها شتاء ولا صيف».

(٣) روى هذا القول مع بيت الشعر الثعلبي في «تفسيره» (٢٨/ ٢٢١) عن ثعلب. وذكره عنه أيضاً الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ١٦٩)، وأبو موسى المديني في «المجموع المغيث» (مادة: زمهر).

(١٤) ـ ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾.

قولُه تعالى: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ﴾؛ أي: قريبةً منهم ﴿ظِلَٰلُهَا﴾؛ أي: ظلالُ أشجارِها.

ونصبُ ﴿دانيةً﴾ عطفٌ على محلِّ ﴿لَا يَرَوْنَ﴾؛ أي: غيرَ رائِينَ ودانيةً، وقيلَ: على المدحِ، وقيلَ: صفةٌ لـ﴿جَنَّةً﴾ إن جُعِلَ ﴿مُّتَّكِـِٔينَ﴾ و﴿لَا يَرَوْنَ﴾ صفةً لها.

وقيلَ: على الاختصاصِ.

ويجوزُ أن يكونَ التَّقديرُ: وجنَّةً أُخرى دانيةً عليهم ظلالُها، وكأنَّهم قد وُعِدُوا جنَّتينِ، كقولِه: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦].

﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا﴾؛ أي: سُخِّرَت وانقادَت ثمارُها، وقطوفٌ: جمعُ قِطفٍ، وهوَ كلُّ ما يُجتنَى ويُقطَفُ من الفواكهِ، ﴿تَذْلِيلًا﴾؛ أي: طائعةً، فيأكلونَ منها كيفَ شاؤُوا، وعلى أيِّ حالٍ شاؤوا.

* * *

(١٥ ـ ١٦) ـ ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾.

قولُه تعالى: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم﴾ بالبناءِ للمفعولِ، وقالَ فيما بعدُ: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾ بالبناءِ للفاعلِ؛ لأنَّ المقصودَ هنا ما يُطافُ به، والمقصودُ فيما بعدُ الطَّائفون.

﴿بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ﴾ جمعُ كُوبٍ، وهي أقداحٌ بلا عُرًى ﴿كَانَتْ﴾؛ أي: تكوَّنَت ـ لا أنَّها كانَت قبلَ ذلك ـ تعظيماً وتشريفاً للشَّاربين على حدِّ قولِه تعالى: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧]، وكذا قولُه: ﴿كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ [الإنسان: ٥].

﴿قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ﴾ قالَ بعضُهم: المرادُ: بياضُ الفضَّةِ في صفاءِ القواريرِ، فهي من فضَّةٍ في صفاءِ الزُّجاجِ، يُرَى ما في داخلِها من خارجِها.

﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾؛ أي: قدَّرَها السُّقاةُ الطَّائفونَ بها عليهم؛ أي: جعلُوها على قَدْرِ رِيِّ

شارِبِها لتكونَ ألذَّ له، فلا تفضُلُ، ولا تنقُصُ فيطلبَ الزِّيادةَ. أو على مقدارِ الكفِّ[(١)].

قالَ مجاهدٌ: أي: لا تفيضُ ولا تغيضُ[(٢)].

أو المعنى: أنَّ أهلَ الجنَّةِ قدَّرُوها في أنفسِهم على أشكالٍ مخصوصةٍ، فجاءَت كما قدَّرُوها تكرمةً لهم.

وقُرِئَ: (قُدِّرُوها) مجهولاً[(٣)]، تقولُ: قَدَرْتُ الشَّيءَ، وقَدَّرَنيهِ فلانٌ؛ أي: جعلني قادراً عليه.

* * *

(١٧) - ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا﴾.

قولُه تعالى: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا﴾؛ أي: خمراً ﴿كَانَ مِزَاجُهَا﴾؛ أي: ما تُمزَجُ به ﴿زَنجَبِيلًا﴾، وهوَ مِن ألذِّ المشروبِ عندَهم؛ إذ هوَ مِن زنجبيلِ الجنَّةِ.

قالَ مجاهدٌ: وزنجبيلُ الجنَّةِ لا يُشبهُ زنجبيلَ الدُّنيا[(٤)].

---

(١) يعني: أنها كانت بمقدار ملء الكف، لم تعظم فيثقل حملها، فكانت كما يشتهون. وهذا قول الربيع كما في «البسيط» (٢٣/ ٤٥)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥٥٩) عن ابن عباس بلفظ: قُدِّرت للكف. وإسناده ضعيف، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ١٧٠) عن الضحاك بلفظ: على قدر ملء الكف.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٥٤٦٢)، وهناد في «الزهد» (٦٨)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥٥٨).

(٣) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٦٦) عن علي وابن عباس رضي الله عنهم والسلمي والشعبي.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥٦٠) بلفظ: ﴿كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا﴾ قال: «يأثُرُ لهم ما كانوا يشربون في الدنيا» زاد بعض الرواة في حديثه: «فَيُحَبِّبُهُ إليهم».

أو الزَّنجبيلُ عينٌ في الجنَّةِ يُوجَدُ منها طعمُ الزَّنجبيلِ.

قالَ قتادةُ: يشربُها المُقرَّبونَ صرفاً، وتُمزَجُ لسائرِ أهلِ الجنَّةِ(١).

***

(١٨) ـ ﴿عَيۡنٗا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلۡسَبِيلٗا﴾.

قولُه تعالى: ﴿عَيۡنٗا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلۡسَبِيلٗا﴾ ﴿عَيۡنٗا﴾ أُبدِلَ من ﴿زَنجَبِيلًا﴾ أو من ﴿كَأۡسٗا﴾، أو يُنصَبُ على الاختصاصِ.

﴿سَلۡسَبِيلٗا﴾: سهلةَ المساغِ، يُقالُ: ماءٌ سَلسالٌ وسَلسَلٌ وسُلاسِلٌ ـ بالضَّمِّ ـ: إذا كانَ سهلَ الدُّخولِ في الحلقِ لعُذوبتِه، وكذلك السَّلسبيلُ، فيكون معنى ﴿تُسَمَّىٰ﴾ على هذا: تُوصَفُ.

قالَ الزَّجَّاجُ: السَّلسبيلُ في اللُّغةِ صفةٌ لِـمَا كانَ في غايةِ السَّلاسةِ، فكأنَّ العينَ سُمِّيَت بصفتِها(٢).

***

(١٩) ـ ﴿وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيۡتَهُمۡ حَسِبۡتَهُمۡ لُؤۡلُؤٗا مَّنثُورٗا﴾.

قولُه تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ﴾ بتلكَ الصِّفةِ؛ أي: بصفةِ الولدانِ لا يَشيبونَ.

وقيلَ: معنى ﴿مُّخَلَّدُونَ﴾: مُقَرَّطونَ، والخِلَدة(٣) حُليٌّ في الآذانِ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥٦١)، ورواه سعيد بن منصور في «سننه ـ التفسير» (٢٤٢٥)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٢٢)، والبيهقي في «البعث» (٣٢٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسۡنِيمٍ﴾ [المطففين: ٢٧].

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٦١).

(٣) في (أ): «والخلدان» والصواب المثبت.

﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ﴾ لحُسنِهم وانتشارِهم في الخدمةِ ﴿لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾ مِن سِلْكِه أو صدفِه، واللُّؤلؤُ المنثورُ أشدُّ صفاءً وأحسنُ منظراً ممَّا ثُقِبَ؛ لأنَّه إذا ثُقِبَ نقصَ صفاؤُه ومائيته، وما لـم يُثقَب لا يكونُ إلَّا منثوراً.

* * *

(٢٠) ـ ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾.

قولُه تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ﴾؛ أي: في الجنَّةِ بمعنى: وُجِدَتِ الرُّؤيةُ منك فيها، فلم يُعلِّقْه بمفعولٍ إشارةً لشِيَاعِه وعمومِه ﴿رَأَيْتَ﴾ هوَ جوابُ ﴿إذا﴾.

﴿نَعِيمًا﴾ عظيماً لا يُوصَفُ ﴿وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ واسعاً لا غايةَ له.

وأخرجَ ابنُ وهبٍ عن الحسنِ البصريِّ: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ: «إنَّ أدنى أهلِ الجنَّةِ منزلةً الَّذي يرَكَبُ ألفُ ألفٍ مِن خَدَمِه من الولدانِ المخلَّدينَ على خيلٍ من ياقوتٍ أحمرَ لها أجنحةٌ من ذهبٍ، ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾»[(١)].

* * *

(٢١) ـ ﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾.

قولُه تعالى: ﴿عَالِيَهُمْ﴾؛ أي: فوقَهم، فنصبُه على الظَّرفيةِ، وهوَ خبرٌ لـمبتدأٍ بعدَه هوَ ﴿ثِيَابُ سُندُسٍ﴾، والضَّميرُ المتَّصلُ للمَطوفِ عليهم، والسُّندسُ: هوَ الحريرُ الأخضرُ، أو رقيقُ الدِّيباجِ، وهوَ الرَّفيعُ منه.

﴿وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ بالجرِّ: ما غلظَ من الدِّيباجِ، فهوَ البطائنُ، والسُّندسُ الظهائرُ.

---

(١) عزاه لابن وهب: السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٣٧٦). وذكره القرطبي في «التذكرة» (ص: ٩٩٩)، وعنه ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢٠/ ٣٩٩).

وفي قراءةٍ عكسُ ما ذُكِرَ فيهما، وفي أخرى برفعِهما، وأخرى بجرِّهما[١].

﴿وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾ كما حُلُّوا أساورَ من ذهبٍ، فيُجمَعُ لهم بينَ النَّوعينِ، فإن شاؤوا أفردوا، وإن شاؤوا جمعوا.

﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ مبالغةً في طهارتِه ونظافتِه؛ إذ لم تُدنِّسْه الأيدي ولا الأرجلُ، أو أنَّه لا يَصيرُ بولاً بل رَشْحَ مسكٍ بخلافِ خمرِ الدُّنيا؛ لأنَّهم يُؤتَونَ بالطَّعامِ، فإذا طَعِموا أُتُوا بالشَّرابِ الطَّهورِ، فيشربونَه فيُطهِّرُ بطونَهم، ويصيرُ ما أكلوا رشحاً يخرجُ من جلودِهم أطيبَ من المسكِ الإذفرِ، ثمَّ تَضْمُرُ بطونُهم وتعودُ شهوتُهم.

أو هوَ عينُ ماءٍ على بابِ الجنَّةِ مَن شربَ منه نُزِعَ ما كانَ في قلبِه من غلٍّ وغشٍّ وحسدٍ.

* * *

(٢٢) ـ ﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾.

قولُه تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً﴾؛ أي: هذا المذكورُ من النَّعيمِ كانَ ثواباً لعملِكم، ﴿وَكَانَ سَعْيُكُم﴾؛ أي: عملُكم في الدُّنيا ﴿مَّشْكُورًا﴾ يُجازَى عليه غيرَ مُضيَّعٍ.

قالَ عطاءٌ: شكرتُكُم عليه وأَثَبْتُكم أفضلَ الثَّوابِ[٢].

* * *

---

(١) قرأ نافع وحفص برفعهما، وابن كثير وأبو بكر بخفض الأول ورفع الثاني، وابن عامر وأبو عمرو برفع الأول وخفض الثاني، وحمزة والكسائي بخفضهما. انظر: «السبعة» (ص: ٦٦٤ ـ ٦٦٥)، و«التيسير» (ص: ٢١٨).

(٢) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٤٠٥)، والبغوي في «تفسيره» (٨/ ٢٩٨)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٣٨١).

(٢٣) ـ ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا﴾.

قولُه تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ﴾؛ أي: إنَّا نزَّلْنا عليكَ القرآنَ لا غيرُنا ﴿تَنزِيلًا﴾: آيةً بعدَ آيةٍ وحُكماً بعدَ حُكمٍ؛ أي: فصَّلناه ولم نُنزِّلْه جملةً واحدةً.

قيلَ: إنَّما نُزِّلَ القرآنُ نجوماً ليُحفَظَ ويُعمَلَ به، أو لحكمةٍ اقتضَت ذلك لم نطَّلِعْ عليها.

* * *

(٢٤) ـ ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾.

قولُه تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾؛ أي: لقضائِه عليك، أو على تبليغِ رسالتِه، أو على ما ينالُك مِن الأذى، فهوَ كقولِه: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، أو المرادُ: لا تجزعْ بتأخيرِ نصرِه عنكَ على كفَّارِ مكَّةَ.

﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ﴾؛ أي: كفَّارِ مكَّةَ وغيرِهم ﴿ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾؛ أي: كلَّ آثمٍ وكلَّ كفورٍ؛ أي: لا تطعْ أيّاً كانَ فيما دعاكَ إليه.

وقيلَ: المرادُ بالآثمِ والكفورِ أبو جهلٍ[(١)].

وقيلَ: المرادُ بالآثمِ والكفورِ عُتبةُ بنُ ربيعةَ والوليدُ بنُ المغيرةِ، قالا للنَّبيِّ: ارجِعْ عن هذا الأمرِ[(٢)].

* * *

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٤٣٩)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ٦١)، و(٢٣/ ٥٧٢)، عن قتادة.

(٢) ذكره مقاتل في «تفسيره» (٤/ ٥٣٣)، وعنه الثعلبي في «تفسيره» (٢٨/ ٢٥٩).

(٢٥ ـ ٢٦) ـ ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ٢٥ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا﴾.

قولُـه تعالـى: ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا﴾؛ أي: داوِمْ علـى ذكـرِ ربِّـكَ فـي الوقتيـنِ المذكوريـنِ، والمـرادُ: غالـبُ الأوقاتِ.

أو: دُمْ على صلاةِ الفجرِ والظُّهرِ والعصرِ، فإنَّ الأصيلَ يتناولُ وقتَيهما.

﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ﴾؛ أي: صلاةَ المغربِ والعشاءِ، وفي إدخالِ (مِن) على الظَّرفِ إيذانٌ أنَّ المرادَ: الصَّلاةُ في بعضِ اللَّيلِ أيضاً.

﴿وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا﴾؛ أي: صلِّ له بعدَ المكتوبةِ نافلةً في طائفةٍ صالحةٍ من اللَّيلِ ثُلثيه أو نصفَه أو ثُلثَه.

ويجوزُ أن يُرادَ بالذِّكرِ: التَّسبيحُ في تلكَ الأوقاتِ.

* * *

(٢٧) ـ ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمٗا ثَقِيلٗا﴾.

قولُه تعالى: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ﴾؛ أي: كفَّارُ مكَّةَ وغيرُهم يحبُّونَ الدُّنيا ويُؤثِرونها على الآخرةِ، كقولِه: ﴿بَلۡ تُؤۡثِرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا﴾ [الأعلى: ١٦].

﴿وَيَذَرُونَ﴾: يترُكونَ ﴿وَرَآءَهُمۡ﴾؛ أي: أمامَهم ﴿يَوۡمٗا ثَقِيلٗا﴾: شديداً؛ لشدَّةِ ما فيه من الأهوالِ، وهوَ يومُ القيامةِ، والمعنى: تركوا الإيمانَ والعملَ به.

* * *

(٢٨) ـ ﴿نَّحۡنُ خَلَقۡنَٰهُمۡ وَشَدَدۡنَآ أَسۡرَهُمۡۖ وَإِذَا شِئۡنَا بَدَّلۡنَآ أَمۡثَٰلَهُمۡ تَبۡدِيلًا﴾.

قولُـه تعالـى: ﴿نَّحۡنُ خَلَقۡنَٰهُمۡ﴾: أوجَدْناهـم من العـدمِ ﴿وَشَدَدۡنَآ﴾؛ أي: قوَّينا ﴿أَسۡرَهُمۡ﴾: أعضاءَهـم ومفاصلَهـم، أو: أحكَمْنـا خَلْقَهم، فكيـفَ لا يَتوجَّهونَ بها فـي الطَّاعاتِ؟

وقيلَ: المرادُ بالأسْرِ: عَجْبُ الذَّنبِ لأنَّه لا يتفتَّتُ في القبرِ. ولا يُنافي هذا قولَه: ﴿وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا﴾ [النساء: ٢٨]؛ إذ المرادُ ثَمَّ ضعفُه؛ أي: ضعفُ صبرِه عن النِّساءِ، ومِن ثَمَّ أُبيحَ له نكاحُ الأَمَةِ، أو ضعفُه غلبةُ هواه عن شَهوتِه، فلذا وُصِفَ بالضَّعفِ، ولا كذلك هنا، فلذلك وُصِفَ بالضَّعفِ هناك وبالقوَّةِ هنا.

قولُه تعالى: ﴿وَإِذَا شِئۡنَا بَدَّلۡنَآ أَمۡثَٰلَهُمۡ﴾؛ أي: جعلْنا أمثالَهم في الخِلقةِ بدلاً منهم بعدَ إهلاكِهم ﴿تَبۡدِيلًا﴾ تأكيدٌ لـ﴿بَدَّلۡنَآ﴾ ووقعَت (إذا) موقعَ (إنْ) نحو ﴿إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ﴾ [النساء: ١٣٣]؛ لأنَّه تعالى لم يشأْ ذلك، و(إذا) إنَّما تُستعمَلُ لما يَقعُ.

* * *

(٢٩) ـ ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا﴾.

قولُه تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞ﴾؛ أي: الآيةَ أو السُّورةَ أو الآياتِ القريبةَ أو الشَّريعةَ بجملتِها ﴿تَذۡكِرَةٞ﴾: عِظةٌ للخَلقِ ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا﴾: طريقاً بالطَّاعةِ، أو وسيلةً، أو مُقرِّباً إليه.

* * *

(٣٠) ـ ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا﴾.

قولُه تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾؛ أي: لا تشاؤونَ اتِّخاذَ السَّبيلِ بالطَّاعةِ. قرأَ ابنُ كثيرٍ وأبو عمرٍو وابنُ عامرٍ بخلافٍ عنه: ﴿يشاءون﴾ بالغيبِ[1]؛ لموافقةِ قولِه: ﴿خَلَقۡنَٰهُمۡ﴾ وما بعده، والباقونَ بالخطابِ التفاتاً له.

﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ الَّذي لا رادَّ لمشيئتِه ذلك.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بخَلقِه وبما يَشاؤُه كلُّ أحدٍ ﴿حَكِيمٗا﴾ يضعُ الشَّيءَ في محلِّه من ثوابٍ وغيرِه.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٦٦٥)، و«التيسير» (ص: ٢١٨)، و«النشر» (٢/ ٣٩٦).

(٣١) ـ ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحْمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾:

﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ﴾ قُربَه وإيمانَه واتِّخاذَ سبيلٍ[1] إليه ﴿فِي رَحْمَتِهِۦ﴾ وهمُ المؤمنون والمقرَّبون.

﴿وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾؛ أي: مُؤلِماً، وهم الكافرونَ المُعرِضونَ، وناصبُ ﴿الظالمين﴾ فِعلٌ يُفسِّرُه الَّذي بعدَه، وهوَ ﴿أَعَدَّ لَهُمْ﴾.

وناسبَ أوَّلُ السُّورةِ آخرَها؛ إذ في أوَّلِها تذكيرُ الإنسانِ بأنَّه أتى عليه حينٌ لم يكنْ فيه مذكوراً، فخلَقَه وأوجدَه لِيَبتليَه، والابتلاءُ يظهرُ أثرُه بالمصيرِ، وهوَ إمَّا إلى جنَّةٍ أو إلى نارٍ، فناسبَ الختمُ بذلك، وأيضاً كانَ ولا مشيئةَ له إلَّا أن يشاءَ اللهُ، فشاءَ اللهُ إيجادَه.

* * *

---

(١) في (أ): «سبيلاً» ولا يستقيم.

تفسيرُ سورةِ المُرسَلاتِ

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١ ـ ٧) ـ ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ﴿٣﴾ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ﴿٤﴾ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٥﴾ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ﴾.

﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا﴾ أقسمَ سُبحانَه بطوائفِ الملائكةِ أرسلَهُنَّ بأوامرِه مُتتابِعةً، فعصَفْنَ عصفَ الرِّياحِ في الامتثالِ، ونشرْنَ الشَّرائعَ في الأرضِ على يدِ الأنبياءِ؛ ليَفْرُقْنَ بينَ الحقِّ والباطلِ، فألقيْنَ إلى الأنبياءِ ذِكراً، وألقيْنَ إلى محمَّدٍ ﷺ آياتِ القرآنِ، فقصَصْنَ سائرَ الكتبِ والأديانِ.

أو الرِّياحِ المتتابعةِ كعُرفِ الفرسِ يتلو بعضُها بعضاً، أو السَّحابِ.

قولُه تعالى: ﴿فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا﴾؛ أي: الرِّياحِ الشَّديدةِ الهبوبِ، أو الملائكةِ كما تقدَّمَ، أو الملائكةِ تعصفُ بروحِ الكافرِ، و﴿عَصْفًا﴾ مصدرٌ مؤُكِّدٌ.

﴿وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا﴾ الرِّياحُ النُّشرُ بينَ يدي المطرِ، أو الَّتي تَنشُرُ السَّحابَ وتأتي بالمطرِ.

﴿فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا﴾؛ أي: آياتِ القرآنِ تفرقُ بين الحقِّ والباطلِ، أو الملائكةِ يُلقُون الوحيَ للأنبياءِ، وهم يُلقونَه إلى الأممِ كما تقدَّمَ.

﴿فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٥﴾ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾ جمعُ عَذيرٍ ونَذيرٍ، هما حالانِ من الضَّميرِ في (المُلقِيات)؛ أي: مُعذِرينَ ومُنذِرينَ، أو هما مصدرانِ يُسكَّنُ وسطُهما ويُضمُّ، وانتصابُهما على المفعولِ له؛ أي: للإعذارِ والإنذارِ، أو انتصابُهما على البدلِ من ﴿ذِكْرًا﴾.

قولُه تعالى: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ﴾ هوَ جوابُ القسمِ، والمخاطبونَ كفَّارُ مكَّةَ. وقيلَ: وغيرُهم؛ أي: الَّذي توعدونَه من مَجيءِ السَّاعةِ والبعثِ لكائنٌ لا مَحالةَ؛ أي: لا بدَّ منه.

* * *

(٨ ـ ١٣) ـ ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ ﴿٨﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتۡ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ نُسِفَتۡ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتۡ ﴿١١﴾ لِأَيِّ يَوۡمٍ أُجِّلَتۡ ﴿١٢﴾ لِيَوۡمِ ٱلۡفَصۡلِ﴾.

قولُه تعالى: ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ﴾ مُحِيَ نورُها، أو مُحِقَت ذواتُها بالكُلِّيَّةِ وانعدَمَت.

﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتۡ﴾؛ أي: شُقِّقَت وفُتِحَت، أو صُدِعَت.

﴿وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ نُسِفَتۡ﴾: أُزِيلَت من أماكنِها ففُتِّتَت وسُيِّرَت.

وقيلَ: قُلِعَت متفرِّقةً أجزاؤُها، كقولِه: ﴿وَبُسَّتِ ٱلۡجِبَالُ بَسًّا﴾ [الواقعة: ٥].

أو: رُفِعَت من أماكنِها بسرعةٍ، يُقالُ: انتسفْتُ الشَّيءَ: اختطفْتُه بسرعةٍ.

وقُرِئَ: (طُمِّسَت) و(فُرِّجَت) و(نُسِّفَت) بالتَّشديدِ(١).

﴿وإذا الرُّسلُ وُقِّتَتْ﴾ بالواوِ على الأصلِ؛ أي: من غيرِ إبدالٍ؛ لأنَّه مِن الوقتِ، وهي قراءةُ أبي عمرٍو، ومَن عَداه بهمزةٍ مضمومةٍ بدلَ الواوِ(٢)؛ أي: جُمِعَت الرُّسلُ لوقتٍ يَحضرونَ فيه للشَّهادةِ على أممِهم، وهوَ يومُ القيامةِ، والمعنى: بلغَت إلى يومِها الَّذي كانَت تنتظرُه.

---

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٦٧)، و«البحر» (٢١/ ١٦٩)، عن عمرو بن ميمون، ولم يذكرا: (نسِّفت). وذكر الثلاثة الزمخشري في «الكشاف» دون أن ينسب القراءة لأحد.

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٦٦٦)، و«التيسير» (ص: ٢١٨). وقرأ بالواو والتخفيف أبو جعفر بخلف عن ابن جماز، والوجه الثاني لابن جماز كقراءة الباقين بالهمز والتشديد. انظر: «النشر» (٢/ ٣٩٦).

﴿لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ﴾: أُخِّرَتْ، مـن التَّأجيلِ، قُصِدَ به تعظيمُه وتفخيمُه؛ أي: ليومٍ عظيمٍ، وهوَ يومُ الشَّهادةِ.

﴿لِيَوْمِ الْفَصْلِ﴾ بينَ الخلائقِ، بيانٌ لِـمَا قبلُ؛ أي: لمَا تقدَّمَ، ويُؤخَذُ منه جوابُ (إذا) في قولِه: ﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ﴾؛ أي: بانَ الأمرُ وانفصلَ.

وقالَ بعضُهم: أي: وقَعَ الفصلُ بينَ الخلائقِ.

* * *

(١٤ ـ ١٥) ـ ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ ﴿١٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾ تهويلٌ لشأنِه وتفخيمٌ لأوانِه.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ بالبعثِ، وجازَ وقوعُ ﴿وَيْلٌ﴾ مبتدأً ـ وإن كانَ نكرةً ـ لِـمَا فيه من معنى الدُّعاءِ، أو أنَّه نُعِتَ بـ﴿يَوْمَئِذٍ﴾، وخبرُه ﴿لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾، وهوَ وعيدٌ لهم، وكرَّرَها عشرَ مرَّاتٍ، والتِّكرارُ في مقامِ التَّرغيبِ والتَّرهيبِ يحسُنُ، لا سيَّما إذا تغايرَت الآياتُ السَّابقةُ على المرَّاتِ المكرَّرةِ.

* * *

(١٦ ـ ١٩) ـ ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ﴾؛ أي: ألم نُهلِك الأوَّلينَ الَّذينَ كذَّبُوا الرُّسلَ؟ والمعنى: أهلكناهم بتكذيبِهم. وقُرِئَ بفتحِ النُّونِ مِن (هَلَكَه) بمعنى: أَهْلَكَه[1].

ثمَّ استأنَفَ تهديداً لكفَّارِ مكَّةَ وللسَّالكينَ سُنَّتَهم فقالَ: ﴿ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ﴾، المعنى: أهلكْنا الأوَّلينَ المكذِّبينَ في الدُّنيا، وسنفعلُ بهؤلاءِ المكذِّبينَ من أهلِ مكَّةَ

---

(١) نسبت لقتادة. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٦٧).

وغيرِهم ما فعلْنا بأولئك؛ أي: أهلكْنا الأوَّلينَ من قومِ نوحٍ وعادٍ وثمودَ، ثمَّ أتبعناهم الآخِرينَ من قومِ شعيبٍ ولوطٍ وموسى، فعلى هذا لا يجوزُ الوقفُ على ﴿ٱلۡأَوَّلِينَ﴾[1].

﴿كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ ﴿كَذَٰلِكَ﴾؛ أي: مثلَ فِعلِنا بالمُكذِّبينَ ﴿نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾: بكلِّ مَن أجرَمَ فيما يُستقبَلُ، فنُهلكُهم، وليسَ بمعطوفٍ؛ لأنَّ العطفَ مُقتضاه أن يكونَ المعنى: أهلكناهم ثمَّ أتبعْنا، وليسَ كذلكَ؛ لأنَّ الإتباعَ لم يكن وقعَ عند نزولِ الآيةِ.

﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ﴾ تكريرُها يُؤذن بالتَّأكيدِ والتَّهديدِ الشَّديدِ، كقولِه: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ١٣].

* * *

(٢٠ ـ ٢٤) ـ ﴿أَلَمۡ نَخۡلُقكُّم مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ (٢٠) فَجَعَلۡنَٰهُ فِي قَرَارٖ مَّكِينٍ (٢١) إِلَىٰ قَدَرٖ مَّعۡلُومٖ (٢٢) فَقَدَرۡنَا فَنِعۡمَ ٱلۡقَٰدِرُونَ (٢٣) وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿أَلَمۡ نَخۡلُقكُّم مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ﴾؛ أي: ضعيفٍ، وهوَ المنيُّ، مِن المهانةِ، وهي الضَّعفُ، ومنه: العبدُ المَهينُ؛ لرِقَّه وضعفِه.

﴿فَجَعَلۡنَٰهُ فِي قَرَارٖ مَّكِينٍ﴾؛ أي: في موضعٍ حَريزٍ هوَ الرَّحمُ.

﴿إِلَىٰ قَدَرٖ مَّعۡلُومٖ﴾؛ أي: إلى مقدارٍ من الوقتِ معلومٍ عندَ اللهِ، وهوَ إلى وقتِ الولادةِ.

---

(١) قال الأشموني في «الوقف والابتداء» (٢/ ٣٨٥): «﴿نُهۡلِكِ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ كاف على قراءة من قرأ: «ثم نتبعهم» بالرفع على الاستئناف، وليس بوقف لمن قرأه بسكون العين عطفاً على ﴿نُهۡلِكِ﴾، ومَن قدر حذف الضمة تخفيفاً كما في: «يأمركم» جاز له الوقف على ﴿ٱلۡأَوَّلِينَ﴾». والقراءة بسكون العين قراءة شاذة نسبت للأعرج وأبي عمرو. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٦٧).

وقولُه: ﴿إِلَىٰ قَدَرٍ﴾ في موضعِ الحالِ، والمعنى: إلى قَدَرٍ مُؤَخَّرٍ مُؤَجَّلٍ معلومٍ.

﴿فَقَدَرْنَا﴾ على ذلك، أو: فقَدَرناه، وتدلُّ عليه قراءةُ نافعٍ والكسائيِّ بالتَّشديدِ(١)، أو هما لغتانِ.

قالَ الفرَّاءُ: العربُ تقولُ: قَدَرَ عليه، وقَدَّرَ عليه؛ بالتَّشديدِ والتَّخفيفِ(٢).

ويعضُدُ التَّخفيفَ قولُه: ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ﴾ نحن ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ لقدرتِنا على ذلك، أو الإعادةِ.

* * *

(٢٥ ـ ٢٨) ـ ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ شَٰمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا﴾ ﴿كِفَاتًا﴾؛ أي: كافِتَةً، اسمٌ لِـمَا يُكْفَتُ؛ أي: يُضمُّ ويُجمعُ، كالضِّمَامِ والجِماعِ لِـمَا يُضَمُّ ويُجمَعُ، أو: مصدرٌ نُعِتَ به، أو: جمعُ كافِتٍ كصائمٍ وصِيامٍ، أو كِفْتٍ وهوَ الوعاءُ، أُجرِي على الأرضِ باعتبارِ أقطارِها.

﴿أَحْيَآءً﴾ على ظهرِها ﴿وَأَمْوَٰتًا﴾ في بطنِها، نُصِبا بـ﴿كِفَاتًا﴾ على المفعوليَّةِ، أو بمضمَرٍ يُفسِّرُه ﴿كِفَاتًا﴾، وتقديرُه: تكفتُهم أحياءً في منازلِهم وأمواتاً في قبورِهم.

أو هما حالان؛ أي: نجمعُهم في الأرضِ في هاتين الحالينِ.

استدلَّ بعضُ علماءِ الشَّافعيّةِ على قطعِ النَّبَّاشِ بهذا(٣).

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٦٦٦)، و«التيسير» (ص: ٢١٨).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٢٣).

(٣) قال الماوردي في «الحاوي» (١٣/ ٣١٤): ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا﴾؛ أي: نجمعهم أحياء على ظهرها ونضمهم أمواتاً في بطنها، فجعل بطنها حرزاً للميت كما جعل ظهرها حرزاً للحي فاستويا في الحكم.

قالوا: والتَّنكيرُ فيهما للتَّفخيمِ؛ لأنَّهم لا يُحصَونَ كثرةً.

قولُه تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ شَـٰمِخَـٰتٍ﴾؛ أي: جبالاً ثوابتَ طِوالاً، والتَّنكيرُ للتَّفخيمِ أو الإشعارِ بأنَّ فيها ما لـم يُعرَف ولم يُرَ.

﴿وَأَسْقَيْنَـٰكُم مَّآءً فُرَاتًا﴾؛ أي: عَذْباً.

وقيلَ: ﴿وَأَسْقَيْنَـٰكُم مَّآءً فُرَاتًا﴾ بخلقِ الأنهارِ والمنافعِ فيها.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ قالَ مُقاتلٌ: هذا كلُّه أعجبُ من البعثِ[1].

***

(٢٩ ـ ٣١) ـ ﴿ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَـٰثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ﴾.

قولُه تعالى: ﴿ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ قيلَ: يُقالُ ذلك للمُكذِّبين يومَ القيامةِ، أو يُقالُ للمُكذِّبين بأمثالِ هذه النِّعمِ[2]؛ أي: يُقالُ للمُكذِّبينَ: انطلِقُوا إلى ما كنتُم به مُكذِّبينَ منَ العذابِ في النَّارِ.

﴿ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَـٰثِ شُعَبٍ﴾؛ أي: ظلِّ دخانِ جهنَّمَ، كقولِه: ﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ﴾ [الواقعة: ٤٣]، وهذا الظِّلُّ إذا ارتفعَ افترَقَ ثلاثَ فرقٍ لعظمتِه.

قيلَ: هوَ لسانُ النَّارِ يُحيطُ بالكفَّارِ كالسُّرادقِ، ويتشعَّبُ من دخانِها ثلاثَ

---

(١) ذكره عنه الواحدي في «البسيط» (٢٣/ ٩٤). وهو في «تفسير مقاتل» (٤/ ٥٤٤ ـ ٥٤٥) بمعناه، فإنه قال: «ثم بين لهم بدء خلق أنفسهم لئلا يكذبوا بالبعث وليعتبروا، فقال: يا معشر المكذبين ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ ...»، ثم قال: «﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ بالبعث وقد علموا أن الله تعالى قد خلق هذه الأشياء كلها».

(٢) قوله: «قيلَ: يُقالُ ذلك للمُكذِّبين يومَ القيامةِ، أو يُقالُ للمُكذِّبين بأمثالِ هذه النِّعمِ» وقع في (أ) قبل «قوله تعالى: ﴿ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾» وحقُّه أن يكون هنا.

شُعبٍ، فتُظلِّلُهم حتَّى يُفرَغَ من حسابِهم، والمؤمنون في ظلِّ العرشِ.

وقيلَ: هوَ عنُقٌ من النّارِ يتشعَّبُ ثلاثَ فرقٍ، فيقفُ النُّورُ على رؤوسِ المؤمنين، والدُّخانُ على رؤوسِ المنافقين، واللَّهبُ الصَّافي على رؤوسِ الكافرين.

قالَ مجاهدٌ: تكونُ شعبةٌ فوقَ الإنسانِ وشعبةٌ عن يمينِه وشعبةٌ عن شمالِه، فتُحيطُ به(١).

وقالَ الضَّحَّاكُ: الشُّعبُ الثَّلاثُ: الضَّريعُ والزَّقومُ والغِسلين(٢). وعلى هذا إنَّما يكونُ هذا بعد دخولِ النّارِ.

﴿لَّا ظَلِيلٍ﴾؛ أي: لا يُظلُّهم من حرِّ ذلك اليومِ ﴿وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ﴾: لا يَردُّ عنهم مِن لهبِ جهنَّمَ شيئاً.

* * *

(٣٢ ـ ٣٤) ـ ﴿إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ﴾؛ أي: تلكَ النّارُ تَرمي بشَررٍ، وهوَ ما تطايَرَ منها، واحده: شَرَرةٌ. وقُرِئَ: (بشرَارٍ) جمعِ شَرارةٍ(٣)، والمعنى واحدٌ.

وقولُه: ﴿كَٱلْقَصْرِ﴾؛ أي: البناءِ العظيمِ مِن الحصونِ وغيرِها، المعنى: يتطايرُ من شدَّةِ توقُّدِها شِرارٌ كالأبنيةِ العِظامِ.

وقيلَ: القصرُ: الخشبُ العظامُ.

---

(١) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٣٨٥).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ١٧٩)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٣٨٥).

(٣) انظر: «تفسير الثعلبي» (٢٨/ ٢٨٧)، و«المحرر الوجيز» (٥/ ٤٢٠)، و«البحر» (٢١/ ١٧٤)، عن عيسى بن عمر بفتح الشين، وقرئ بكسرها كما في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٦٧) عن ابن عباس، و«الكامل في القراءات» (ص: ٦٥٦) عن ابن مقسم.

وقيلَ: القصرُ: أسافلُ النَّخلِ، واحدتُها: قَصْرةٌ؛ كجَمْرةٍ وجَمْرٍ.

وقُرِئَ بفتحِ الصَّادِ جمعُ قَصَرةٍ(١) كشَجَرةٍ وشَجَرٍ، وهي أصلُ العُنقِ أيضاً(٢).

[وقرئ بكسرِ القافِ وفتحِ الصَّاد وهي أيضاً] جمعُ قَصْرةٍ كحَاجَةٍ وحِوَجٍ(٣).

وقُرِئَ بضمِّ القافِ والصَّادِ جمعُ قَصرِ البناءِ كرَهْنٍ ورُهُنٍ(٤).

وقُرِئَ بضمِّ القافِ وإسكانِ الصَّادِ بتخفيفِ جمعُ قصرِ البناءِ(٥).

ثمَّ رُدَّ الضَّميرُ إلى اللَّفظِ دونَ المعنى، فقالَ:

﴿كأَنَّهُ جِمَالاتٌ صُفرٌ﴾ هوَ جمعُ جِمالةٍ جمعِ جَمَلٍ، وفي قراءةٍ ﴿جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ﴾(٦) في هيئتِها ولونِها.

وفي الحديثِ: «شَرارُ النَّارِ أسودُ كالقِيرِ»(٧)، والعربُ تُسمِّي سوادَ الإبلِ

---

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٦٧)، و«المحتسب» (٢/ ٣٤٦) عن ابن عباس. وزاد ابن جني نسبتها لسعيد بن جبير.

(٢) أي: عنق النخلة.

(٣) انظر: «تفسير القرطبي» (٢١/ ٥١٠)، وما بين معكوفتين منه، والقراءة في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٦٧) عن سعيد بن جبير، و«المحتسب» (٢/ ٣٤٦) وزاد نسبتها لابن عباس.

(٤) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٦٧) عن ابن مسعود.

(٥) نسبت لأبي العالية وأبي عمران وأبي نهيك ومعاذ القارئ. انظر: «زاد المسير» (٤/ ٣٨٥).

(٦) قرأ بها حمزة والكسائيُّ وحفص، والباقون: ﴿جِمَالاتٌ﴾. انظر: «السبعة» (ص: ٦٦٦)، و«التيسير» (ص: ٢١٨).

(٧) لم أقف عليه بهذا اللفظ مسنداً، وذكره البغوي في «تفسيره» (٨/ ٣٠٧)، والخازن في «تفسيره» (٤/ ٣٨٤).

وروى الإمام مالك في «الموطأ» (٥/ ١٤٤٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه موقوفاً عليه أنه قال: «أترونها حمراء كناركم هذه؟ لهي أسود من القار» والقار الزفت.

صُفراً الشَوبِ سوادِها بصُفرةٍ، فقيلَ: ﴿صُفْرٌ﴾ في الآيةِ بمعنى: سُودٍ؛ لِمَا ذُكِرَ.

وقيلَ: المرادُ مِن قولِه: ﴿صُفْرٌ﴾ اللَّونُ المعهودُ المعلومُ.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾.

* * *

(٣٥ ـ ٣٧) ـ ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ۝٣٥ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ۝٣٦ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ۝٣٥ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾؛ أي: هذا يومُ القيامةِ الَّذي لا ينطقونَ فيه بشيءٍ، ولا يُؤذَنُ لهم في العُذرِ فيعتذرون، هوَ عطفٌ على ﴿يُؤْذَنُ﴾ من غيرِ تَسبُّبٍ عنه، فمِن ثَـمَّ ارتفعَ، وهوَ داخلٌ في حيِّزِ النَّفي؛ أي: لا إذنَ ولا اعتذارَ.

وفي يومِ القيامةِ مواقفُ، ففي بعضِها يَختصمونَ ويتكلَّمونَ ويَعتَذِرونَ، وفي بعضِها يُختَمُ على أفواهِهم فلا ينطقونَ ولا يعتذرونَ، ولا يُنافي هذا قولَه: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ﴾ [غافر: ٥٢]، والجوابُ بأنَّ المرادَ بها الظَّالمونَ من المسلمين وما هنا الكافرونَ= ضعيفٌ؛ لتعقيبِ تلكَ الآيةِ بقولِه: ﴿وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ [غافر: ٥٢].

وفائدةُ قولِه: ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ﴾ إلخ عَقِبَ ما سبقَه مِن ذِكرِ نفيِ النُّطقِ الَّذي لا يكونُ الاعتذارُ إلَّا به: المبالغةُ في تقبيحِ حالِهم، والإشارةُ إلى أنَّهم لو أُذِنَ لهم في العُذرِ لـم يَعتذروا، وحجَّة لحوقه، لكن إذا أُذِنَ له فيه نَطَقَ.

* * *

(٣٨ ـ ٤٠) ـ ﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ ۝٣٨ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ۝٣٩ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ﴾؛ أي: هذا يومُ الفَصلِ بينَ أهلِ

الجنَّةِ والنّارِ، أو بينَ المحقِّ والمبطِلِ، جمعناكم أيُّها المُكذِّبونَ من هذه الأُمَّةِ والأوَّلينَ من المُكذِّبينَ قبلَهم، فيُحاسَبون ويُعذَّبون جميعاً.

﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ﴾؛ أي: إن كانَ لكم حِيلةٌ في دفعِ العذابِ عنكم فافعلوها، أو إن كانَ لكم حِيلةٌ يا معشرَ المُكذِّبينَ تحتالونَ بها عليَّ ﴿فَكِيدُونِ﴾؛ أي: فبادرُوا إلى ذلك.

وقالَ مقاتلٌ: المعنى: إن كانَت لكم حيلةٌ فاحتالُوا لأنفسِكم(١).

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾.

***

(٤١ ـ ٤٥) ـ ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ﴾ المرادُ بالمتَّقين: الخالِصينَ مِن الشِّركِ الَّذينَ اتَّقوه؛ لأنَّهم في مقابلةِ المُكذِّبينَ.

والظِّلالُ: جمعُ ظِلٍّ، والمرادُ: تكاثُفُ ظلِّ الأشجارِ؛ إذ لا شمسَ يُستَظَلُّ من حرِّها.

﴿وَعُيُونٍ﴾ ما ينبعُ ويجرِي على وجهِ أرضِ الجنَّةِ وفي أعاليها بلا أُخدودٍ ولا حيلةٍ في إجرائِه وارتفاعِه.

﴿وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ فمآكِلُهم ومشاربُهم بحسبِ شهواتِهم بخلافِ الدُّنيا، فإنَّه بحسبِ ما يجدُ النَّاسُ في الغالبِ؛ لعدمِ وجودِ الشَّيءِ في غيرِ أوانِه.

قولُه تعالى: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾؛ أي: يُقالُ للمتَّقينَ: كلُوا مِن

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٥٤٦)، وعبارته: «يقول إن كان لكم مكر فامكروا».

فواكهِ الجنَّةِ ومَآكلِها، واشربُوا من أنهارِها ﴿هَنِيٓـًٔا﴾؛ أي: سائِغاً بلا داءٍ ولا موتٍ ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ في الدُّنيا من الطَّاعةِ وعدمِ الإشراكِ والتَّكذيبِ.

﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ﴾؛ أي: كجزائِنا المتَّقينَ ﴿نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ في عقائدِهم، أو المحسنينَ في طاعتِهم، أو هم المتَّقونَ السَّابقونَ في الآيةِ وزادَهم وصفَ الإحسانِ. قالَ بعضُهم: والإحسانُ مِن العبدَ: تركُ الكلِّ لأجلِه.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾.

***

(٤٦ ـ ٤٧) ـ ﴿كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا﴾ هوَ تهديدٌ لكفَّارِ مكَّةَ المُكذِّبينَ؛ أي: كُلوا وتمتَّعُوا زمناً قليلاً، وغايتُه الموتُ ﴿إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ﴾: كافرونَ مُستحقُّونَ العذابَ.

قالَ سهلٌ: مَن كانَت همَّتُه بطنَه وفرجَه فقد أظهرَ خسارتَه(١).

وقالَ بعضُهم: التَّمتُّعُ بالدُّنيا من أفعالِ المنافقين، وحبُّها والطُّمأنينةُ إليها من أفعالِ الكافرين، والسَّعيُ إليها من أفعالِ [الظالمين، والأخذُ منها على قَدْرِ الحاجة من أفعال] عوامِّ المؤمنين، والإعراضُ عنها والبغضُ لها من أفعالِ الزَّاهدين، وأهلُ الحقيقةِ أجلُّ خَطراً مِن أن يُؤثِّرَ عنهم حبُّ الدُّنيا وبغضُها(٢).

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ حيثُ عرَّضُوا أنفسَهم للعذابِ الدَّائمِ بالتَّمتُّعِ القليلِ.

***

(٤٨ ـ ٤٩) ـ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ﴾؛ أي: ﴿وَإِذَا قِيلَ﴾ للكفَّارِ مُطلقاً أو

(١) انظر: «تفسير سهل التستري» (ص: ١٨٤).

(٢) ذكره بأطول مما هنا البقاعي في «نظم الدرر» (٢١/ ١٨٥)، وما بين معكوفتين منه.

كفَّارِ مكَّةَ: ﴿ٱرْكَعُوا۟﴾ في الدُّنيا؛ أي: صلُّوا واخشعُوا ﴿لَا يَرْكَعُونَ﴾؛ أي: لا يُصلُّون، أو أنَّها نزلَت في ثقيفٍ حينَ أمرَهم النَّبيُّ ﷺ بالصَّلاةِ فقالُوا: لا نجبِّي[1] لأنَّها مَسبَّةٌ، فقالَ النَّبيُّ ﷺ: «لا خَيرَ في دِينٍ ليسَ فيه ركوعٌ وسجودٌ»[2].

وقالَ ابنُ عبَّاسٍ: إنَّما يُقالُ لهم هذا يومَ القيامةِ حينَ يُدعَونَ إلى السُّجودِ فلا يَستطيعونَ[3].

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾.

***

(٥٠) ـ ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾ هوَ توبيخٌ على تركِ الإيمانِ بالقرآنِ

---

(١) أصل التجبية: أن يقوم الإنسان قيام الراكع، وقيل: هو أن يضع يده على ركبتيه وهو قائم، وقيل: هو أن يَنْكَبَّ على وجهه باركاً، وهو السجود، والمراد بقولهم: «لا يجبُّوا» أنهم لا يُصَلُّون، ولفظ الحديث يدل على الركوع. انظر: «جامع الأصول» (٨/ ٤١٣).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٨/ ٢٩٥)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ٤٢١)، عن مقاتل. ورواه الإمام أحمد في «المسند» (١٧٩١٣)، وأبو داود (٣٠٢٦) دون سبب النزول، من طريق الحسن عن عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه: أن وَفْدَ ثَقيفٍ لَمَّا قدِموا على رسولِ الله ﷺ أنزلَهم المسجدَ ليكون أرقَّ لقلوبهم، فاشترطوا عليه أن لا يُحْشَروا ولا يُعْشَرُوا ولا يُجَبُّوا، فقال رسولُ الله ﷺ: «لكم أن لا تُحشَروا ولا تُعشَروا، ولا خيرَ في دِين ليس فيه ركوعٌ». ورجاله ثقات، إلا أن في سماع الحسن ـ وهو البصري ـ من عثمان بن أبي العاص اختلافاً، قال عبد الحق الإشبيلي «الأحكام الوسطى» (٣/ ٧٥): ولا يعرف للحسن سماع عن عثمان، والحديث معروف وليس طرقه بقوية.
قلت: ويُثبت سماعه منه ما أورده البخاري في «التاريخ الكبير» (٦/ ٢١٢) عن الحسن قوله: كنا ندخل على عثمان بن أبي العاص.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٦١٣).

مع غايةِ إعجازِه ونهايةِ إيجازِه، والمعنى: فبأيِّ كتابٍ بعدَ القرآنِ يُصدِّقونَ والحالُ أنَّه لا كتابَ بعدَه، وليسَ إلَّا هوَ، فلا يُصدِّقونَ، أو لا يمكنُ إيمانُهم بغيرِه من كتبِ اللهِ بعدَ تكذيبِهم به؛ لاشتمالِه على الإعجازِ الَّذي لم يشتمِلْ عليه غيرُه.

* * *

جُزْءُ عَمَّ

تفسيرُ سورةِ النَّبأِ

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١ ـ ٣) ـ ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ① عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ② ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾.

﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾؛ أي: عن أيِّ شيءٍ ﴿يَتَسَآءَلُونَ﴾: يسألُ بعضُ قريشٍ بعضاً.

﴿عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ﴾ بيانٌ لذلكَ الشَّيءِ، والاستفهامُ لتفخيمِه وتعظيمِ شأنِه، وهوَ ما جاءَ به النَّبيُّ ﷺ من القرآنِ المشتمِلِ على البعثِ وغيرِه. وقيلَ: هوَ البعثُ فقط.

أو هوَ كقولِكَ: «زيدٌ! ما زيدٌ؟» إذا لم تَرَ له مثيلاً، كأنَّه لعظمتِه عندَكَ تسألُ عن حقيقتِه، وهذا خطابُ العربِ على عادتِهم، لا أنَّه تعالى يَخفى عليه شيءٌ، أو يعظُمُ عندَه، فيكشفُ عن حقيقتِه.

القراءةُ ﴿عَمَّ﴾؛ أي: بالإدغامِ وحذفِ الألفِ، وأصلُها: (عن ما)، وقُرِئَ بها، ثمَّ أُدغِمَت النُّونُ في النُّونِ فصارَت (عمَّا) بإثباتِ الألفِ، وقُرِئَ بها[١]، وعليها بيتُ حسَّانَ:

عَلى ما قامَ يَشتُمُني لئيمٌ ... كَخِنزيرٍ تمرَّغَ في رَمادِ[٢]

ثمَّ حُذِفَ الألفُ للفرقِ بينَ الاستفهامِ والخبرِ.

---

(١) نسبت لعكرمة وعيسى بن عمر. انظر: «المحتسب» (٢/ ٣٤٧).

(٢) انظر: «ديوان حسان بن ثابت» (ص: ١٩٩)، وهو في «المحتسب» (٢/ ٣٤٧)، و«مغني اللبيب» (ص: ٣٩٤)، برواية: «تمرغ في دمان»، وقال ابن هشام: والدمان كالرماد وزناً ومعنى.

وقُرِئَ: (عَمَّهْ) بهاءِ السَّكتِ[1]، كأنَّه أُجرِيَ الوصلُ مجرى الوقفِ.

والمرادُ بالنَّبأِ العظيمِ: القرآنُ، كقولِه: ﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ﴾ [ص: ٦٧]، أو البعثُ، أو شأنُ النَّبيِّ ﷺ.

﴿ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ في القرآنِ، أو في الرَّسولِ، بأن قالَ بعضُهم: شعرٌ، وقالَ بعضُهم: سحرٌ، وقالَ بعضُهم: كهانةٌ، أو بعضُهم قالَ: شاعرٌ، وبعضُهم: كاهنٌ.

وإن جعلتَ الضَّميرَ في ﴿فِيهِ﴾ للبعثِ كانَ قولُه: ﴿مُخْتَلِفُونَ﴾ راجعاً للمؤمنينَ والكافرينَ معاً؛ لأنَّ المؤمنينَ يُثبِتونَه والكافرينَ يُنكِرونَه.

* * *

(٤ ـ ٥) ـ ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ ردعٌ لـمُنكِري البعثِ، أو مُنكِري شأنِ النَّبيِّ ﷺ، أي: سيعلمونَ ما يحلُّ بهم على إنكارِهم، وأعادَ ذلك تأكيداً وتهديداً.

وأشارَ بـ﴿ثُمَّ﴾ لشدَّةِ الوعيدِ الثَّاني لبُعدِ رُتبتِه عن الأوَّلِ، أو الأوَّلُ توعُّدٌ للكافرين بما يرونَه عندَ النَّزعِ والثَّاني توعُّدٌ لهم بما يَصيرونَ إليه من عذابِ الآخرةِ، أو الأوَّلُ توعُّدٌ بأهوالِ يومِ القيامةِ والثَّاني توعُّدٌ بما بعدَها من النّارِ وحرِّها.

و﴿كَلَّا﴾ الأولى ردعٌ عن الاختلافِ، والثَّانيةُ عن الكفرِ.

ويجوزُ أن يُقالَ: جِيءَ بحرفِ الاستقبالِ مرَّتينِ وبحرفِ الرَّدعِ مرَّتينِ للإيذانِ بأنَّ الوعيدَ والعذابَ تَدومُ مُدَّتُهما على هؤلاءِ، وأنَّ ذلك واقعٌ بهم لا مَحالةَ.

وقُرِئَ بالتَّاءِ فيهما[2]؛ أي: قلْ لهم يا محمَّدُ: ستَعلمونَ.

---

(١) قرأ بها يعقوب والبزي بخلف عنهما. انظر: «النشر» (٢/ ١٢٤).

(٢) ذكرها ابن مجاهد في «السبعة» (ص: ٦٦٨) من رواية ابن ذكوان عن ابن عامر، ولم ترد في «التيسير» و«النشر».

(٦ ـ ٩) ـ ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝٦ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ۝٨ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾.

قولُه تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا﴾ فِراشاً كمهدِ الطِّفلِ، أشارَ به سُبحانَه إلى قُدرتِه على البعثِ الَّذي هو مِن النَّبأِ العظيمِ المختلَفِ فيه.

﴿وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ تُثبِّتُ بها الأرضُ كما يُثبَّتُ الخِباءُ بالأوتادِ. والاستفهامُ للتَّقريرِ.

﴿وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ ذُكوراً وإناثاً، وأضداداً بِيضاً وسُوداً وحُمراً.

﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ راحةً لأبدانِكم، أو قطعاً لكم عن الحركةِ، أو قطعاً لأعمالِكم؛ لأنَّ أصلَ السَّبتِ: القطعُ والرَّاحةُ، والسُّباتُ: الانقطاعُ عن الحركةِ مع بقاءِ الرُّوحِ.

* * *

(١٠ ـ ١٣) ـ ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ۝١١ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ۝١٢ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾.

﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا﴾ سَكَناً تسكنونَ فيه، وغِطاءً يسترُ بظُلمتِه فيُستراحُ فيه.

﴿وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا﴾؛ أي: عيشاً، وهوَ مصدرٌ؛ أي: ذا مَعاشٍ، أو: وقتَ مَعاشٍ؛ لأنَّكم تستيقظونَ فيه وتَطلبونَ فيه معايِشَكم ومكاسِبَكم.

قالَ ابنُ عبَّاسٍ: تبتغونَ فيه من فضلِ اللهِ ما قَسَمَ لكم من رزقِه[1].

والمعاشُ: العيشُ والتَّصرُّفُ في المصالحِ.

﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾؛ أي: سبعَ سماواتٍ، وشِدادٌ: جمعُ شديدةٍ؛ أي: قويَّةً مُحكَمةً لا يُؤثِّرُ فيها مرورُ الزَّمانِ.

---

(١) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٤١٢)، والبغوي في «تفسيره» (٨/ ٣١٢).

﴿وَجَعَلۡنَا سِرَاجٗا وَهَّاجٗا﴾: مُنيراً وقَّاداً، والمعنى: جامعةً للنُّورِ والحرارةِ، ومنه: توهَّجَتِ النّارُ: توقَّدَت فظهرَ نورُها وحرُّها، والمرادُ بـ﴿سِرَاجٗا﴾: الشَّمسُ.

***

(١٤ ـ ١٥) ـ ﴿وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡمُعۡصِرَٰتِ مَآءٗ ثَجَّاجٗا ١٤ لِّنُخۡرِجَ بِهِۦ حَبّٗا وَنَبَاتٗا﴾.

﴿وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡمُعۡصِرَٰتِ﴾ هيَ الَّتي تَعْصِرُ السَّحابَ وتأتي بالمطرِ، أو هيَ الجَنوبُ، أو الرِّياحُ ذواتُ الأعاصيرِ، فعلى هذا ﴿مِنَ﴾ بمعنى: الباء؛ أي: (بالمُعصِراتِ)، وقُرِئَ بها[١].

أو المُعصِراتُ: السَّحابُ الَّتي قاربَت أن تعصرَها الرِّياحُ فتُمطرَ ولم تُمطِرْ، كقولِهم: أجَزَّ الزَّرعُ فهوَ مُجِزٌّ: إذا حانَ له أن يُجَزَّ، قالوا: ومنه: أعصَرَتِ الجاريةُ فهي مُعصِرٌ إذا قَرُبَ حيضُها ولم تَحِض.

قالَ ابنُ فارسٍ: المعصِرُ الجاريةُ الَّتي حاضَت وذلك عصرُ شبابِها[٢].

وقالَ الجوهريُّ: الجاريةُ أوَّلَ ما أدركَت وحاضَت يُقالُ لها: أعصَرَت، كأنَّها قد دخَلَت عصرَ شبابِها أو بلغَتْه[٣].

أو المُعصِراتُ: السَّماواتُ تعصِرُ الماءَ؛ لأنَّ الماءَ ينزلُ من السَّماءِ إلى السَّحابِ، فكأنَّ السَّماواتِ مُعصِراتٌ يَعصرنَ؛ أي: يَحمِلْنَ السَّحابَ على العصرِ، ويُمْكِنَّ منه.

وقالَ ابنُ كيسانَ: المُعصِراتُ: المُغيثاتُ، مِن قولِه: ﴿فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ﴾ [يوسف: ٤٩]، والعاصِرُ هوَ المُغيثُ، لا المُعصِرُ[٤].

---

(١) نسبت لعكرمة. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٦٨)، و«المحتسب» (٢/ ٣٤٧).

(٢) انظر: «مجمل اللغة» (ص: ٦٧٢).

(٣) انظر: «الصحاح» (مادة: عصر).

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٨/ ٣١١)، والبغوي في «تفسيره» (٨/ ٣١٣).

قالوا: والمعنى: الَّتي حانَ لها أن تُعصِرَ؛ أي: تُغِيثَ.

﴿مَآءً ثَجَّاجًا﴾: مُنصبًّا شديداً، أو: صبَّاباً، يُقالُ: ثجَّهَ، وثَجَّ بنفسِه، يُستعمَلُ مُتعدِّياً ولازماً، كوزَّرْتَ الرَّجلَ ووَزَرَ بنفسِه، ومنه الحديثُ: «أفضلُ الحجِّ العَجُّ والثَّجُّ»[1] يعني: رفعَ الصَّوتِ بالتَّلبيةِ وسيلانَ دماءِ الهديِ.

ومنه: كانَ ابنُ عبَّاسٍ مِثَجًّا يسيلُ غَرباً[2]؛ أي: يثجُّ الكلامَ ثجًّا في خُطبتِه.

ثمَّ علَّلَ الإنزالَ بقولِه: ﴿لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا﴾ هوَ ما يأكلُه الأناسيُّ كالحِنطةِ والشَّعيرِ ﴿وَنَبَاتًا﴾ هوَ ما تنبتُه الأرضُ علفاً للدَّوابِّ كالتِّبنِ والحشيشِ.

قالَ الزَّجَّاجُ: كلُّ ما حُصِدَ فهوَ حبٌّ، وما أكلَته الماشيةُ فهوَ نباتٌ[3].

أو الحبُّ: اللُّؤلؤُ، والنَّباتُ: العشبُ. قالَ عكرمةُ: ما أنزلَ اللهُ مطراً إلَّا أنبتَ به في البحرِ لؤلؤاً وفي الأرضِ عُشباً[4].

---

(١) رواه الترمذي (٨٢٧)، وابن ماجه (٢٩٢٤)، من طريق ابن أبي فديك، عن الضحاك بن عثمان، عن محمد بن المنكدر، عن عبد الرحمن بن يربوع، عن أبي بكر رضي الله عنه مرفوعاً. قال الترمذي: غريب، لا نعرفه إلا من حديث ابن أبي فديك، وابن المنكدر لم يسمع من عبد الرحمن...
ورواه الترمذي (٢٩٩٨)، وابن ماجه (٢٨٩٦)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً. قال الترمذي: هذا حديثٌ لا نعرفُه من حديث ابن عمر إلا من حديث إبراهيم بن يزيدَ الخُوزِيِّ المَكِّيِّ، وقد تَكلَّمَ بعضُ أهلِ الحديث في إبراهيم بن يزيدَ من قِبَلِ حفظه.

(٢) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (٨١٢٣)، والجاحظ في «البيان والتبيين» (١/ ٨٩)، وابن قتيبة في «غريب الحديث» (٢/ ٣٥٤)، من قول الحسن. ولفظ عبد الرزاق: «مثجة بحراً غرباً» ورواه عقبه بلفظ: «مثجًّا عالماً». قوله: «مثجًّا»: يعني: كانَ يَصُبُّ الكلامَ صَبًّا؛ لوُفورِ فَضْلِهِ وفَصاحَةِ لَفْظِهِ، قوله: «يسيل غرباً»؛ أي: يَسِيلُ فلا يَنقَطِعُ، يُقالُ: بعَينِه غَرْبٌ، إذا كانَتْ تَسِيلُ فلا يَنقَطِعُ دَمعُها. عن ابن قتيبة.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٧٢).

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ١٨٤)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٣٨٩).

(١٦) ـ ﴿وَجَنَّٰتٍ أَلۡفَافًا﴾.

﴿وَجَنَّٰتٍ أَلۡفَافًا﴾؛ أي: بساتينَ مُلتفَّةً بالشَّجرِ، قالوا: واحدُها: لِفٌّ ـ بالكسرِ ـ ولَفِيفٌ.

أو واحدُها: لَفَّاءُ، وجمعُها: لُفٌّ، وجمعُ جمعِها: ألفافٌ(١).

أو هيَ واحدٌ لا جمعَ له كالأَخْيَافِ(٢).

***

(١٧) ـ ﴿إِنَّ يَوۡمَ ٱلۡفَصۡلِ كَانَ مِيقَٰتٗا﴾.

قولُه تعالى: ﴿إِنَّ يَوۡمَ ٱلۡفَصۡلِ كَانَ مِيقَٰتٗا﴾(٣) يومُ الفصلِ: هوَ يومُ القضاءِ بينَ الخلائقِ، و﴿كَانَ﴾؛ أي: في عِلمِ اللهِ أو حُكمِه ﴿مِيقَٰتٗا﴾ حدّاً تُؤَقَّتُ به الدُّنيا وتنتهي عنده، أو حدّاً للخلائقِ ينتهون إليه، أو وقتاً للثَّوابِ والعقابِ.

***

(١٨) ـ ﴿يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأۡتُونَ أَفۡوَاجٗا﴾.

﴿يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ﴾ هوَ بدلٌ من ﴿يَوۡمَ ٱلۡفَصۡلِ﴾، أو عطفُ بيانٍ، والمعنى: يومَ

---

(١) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ٢٨٢)، و«غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ٥٠٩). قال الآلوسي: واستُبعد بأنه لم يجيء في نظائره ذلك، فقد جاء: خُضْرٌ، جمع خضراء، وحُمْرٌ جمع حمراء، ولم يجيء أخضارٌ جمع خُضْرٍ ولا أحمارٌ جمع حُمْرٍ وجمع الجمع لا ينقاس، ووجود نظيره في المفردات لا يكفي كذا قيل. انظر: «روح المعاني» (٢٨/ ٢١٧).

(٢) هم ولد المرأة من آباء شتى. انظر: «غريب الحديث» للخطابي (٢/ ١٦٠).

(٣) جاء في هامش (أ): «لمَّا ذكرَ ما يُستدلُّ به على صِحَّةِ البعثِ بحيث لا يبقى لأحدٍ شُبهةٌ فيها، صارَ المقامُ مقامَ أن يُسألَ عن ميقاتِه، فكأنَّ سائلاً قالَ: أيُّ وقتٍ ميقاتُه؟ فأجابَه بقولِه: ﴿إِنَّ يَوۡمَ ٱلۡفَصۡلِ كَانَ مِيقَٰتٗا﴾. حاشية».

يَنفخُ إسرافيلُ في القَرنِ ﴿فَتَأْتُونَ﴾ من قبورِكم إلى الموقفِ ﴿أَفْوَاجًا﴾ أُمماً مختلفةً، أو جماعاتٍ.

رُويَ عنه ﷺ أنَّه قالَ: «يُحشَرُ عشرةُ أصنافٍ من أمَّتي [أشتاتًا قد ميزهم الله تعالى من جماعة المسلمين، وبدَّل صورهم]، بعضُهم على صورةِ القِرَدةِ وهمُ القُتَّاتُ من النَّاسِ، وبعضُهم على صورةِ الخنازيرِ وهم أهلُ السُّحتِ، وبعضُهم مُنكَّسونَ أرجلُهم فوقُ ووجُوهُهم أسفلُ يُسحَبونَ عليها وهم أكلَةُ الرِّبا، وبعضُهم عُمياً[1] وهم الَّذينَ يَجورونَ في الحُكمِ، وبعضُهم صُمّاً وبُكماً وهم المعجَبونَ بأعمالِهم، وبعضُهم يَمضغُونَ ألسنتَهم فهي مُدلَّاةٌ على صدورِهم يسيلُ القيحُ من أفواهِهم يتقذَّرُهم أهلُ الجَمعِ، وهم العلماءُ والقُصَّاصُ الَّذينَ تُخالِفُ أقوالُهم أعمالَهم، وبعضُهم مُقطَّعةٌ أيديهم وأرجلُهم وهم الَّذينَ يُؤذونَ الجيرانَ، وبعضُهم يُصلَبونَ على جذوعٍ من نارٍ وهم السُّعاةُ بينَ النَّاسِ إلى السُّلطانِ، وبعضُهم أشدُّ نَتْناً من الجِيَفِ وهم الَّذينَ يبتغونَ الشَّهواتِ واللَّذَّاتِ ومنعوا حقَّ اللهِ تعالى في أموالِهم، وبعضُهم يلبسونَ جِباباً سابغةً من قطرانٍ لازقةً بجلودِهم وهم أهلُ الكِبرِ والفخرِ والخُيلاءِ»[2].

***

(١٩ ـ ٢٠) ـ ﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾.

﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ﴾؛ أي: شُقِّقَت لنزولِ الملائكةِ ﴿فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا﴾؛ أي: ذاتَ أبوابٍ، أو أنَّها تنحلُّ وتتناثرُ حتَّى تصيرَ ذاتَ أبوابٍ وطرقٍ، والمعنى: أنَّها لكثرةِ أبوابِها ليسَت إلَّا أبواباً[3].

---

(١) كذا في (أ) ويصح بتقدير الخبر (يحشرون)، و(عمياً) حال منه.

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٨/ ٣١٤) مطولًا من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما. وقال ابن حجر في «لسان الميزان» (٧/ ١٤١): حديث موضوع ظاهر الوضع.

(٣) جاء في هامش (أ): «لعلَّ المرادَ: فكانَت مواضعُ الشقِّ المدلولُ عليها بـ﴿فتحت﴾ أبواباً تتنزَّلُ منها =

﴿وَسُيِّرَتِ ٱلۡجِبَالُ﴾؛ أي: ذُهِبَ بها عن أماكنِها ﴿فَكَانَتۡ سَرَابًا﴾: هباءً مُنبثّاً تُرى كالسَّرابِ بعدَ صلابتِها.

***

(٢١ ـ ٢٦) ـ ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتۡ مِرۡصَادٗا ٢١ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابٗا ٢٢ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابٗا ٢٣ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرۡدٗا وَلَا شَرَابًا ٢٤ إِلَّا حَمِيمٗا وَغَسَّاقٗا ٢٥ جَزَآءٗ وِفَاقًا﴾.

قولُه تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتۡ مِرۡصَادٗا﴾[1]؛ أي: راصِدةً، أو مُرصَدةً، أو مَوضِعَ رَصدٍ، يرصدُ فيه خزنةُ النّارِ الكفّارَ، أو خزنةُ الجنَّةِ المؤمنين ليحرسُوهم من فيحِها.

أو: طريقاً ومَمرّاً، فلا سبيلَ إلى الجنَّةِ حتَّى تُقطَعَ وتُجْلَى[2]، والمعنى: أن جهنَّمَ كانَت للكفَّارِ في علمِ اللهِ تعالى والزَّبانيةُ ترصدُهم منها لتطرحَهم فيها، فهي لا بدَّ لهم منها؛ لأنَّها جُعِلَت ﴿لِّلطَّٰغِينَ﴾[3]: الكافرينَ ﴿مَـَٔابٗا﴾: مرجِعاً.

وقُرِئَ: ﴿أن جهنَّم﴾ بفتحِ الهمزةِ[4]، تعليلٌ على قيامِ السَّاعةِ، تقديرُه: كانَ ذلكَ لأجلِ الجزاءِ.

= الملائكةُ، ويصعدُ إليها أهلُ الجنَّةِ، وينظرُ منها أهلُ العَرَصاتِ إلى الجنَّةِ. تفسير».

(١) في هامش (أ): «رَصدٌ مصدرٌ بمعنى التَّرقُّبِ والانتظارِ، أو مبالغةُ اسمِ فاعلٍ. و»

(٢) في «تفسير القرطبي» (٢٢/ ١٥): «حتى تُقطع جهنم». نقل القرطبي بعد هذا كلاماً هنا عن أبي نصر القشيري فقال: «وذكر القشيري: أن المرصاد المكان الذي يرصد فيه الواحد العدو، نحو المضمار: الموضع الذي تضمر فيه الخيل. أي هي معدة لهم، فالمرصاد بمعنى المحل، فالملائكة يرصدون الكفار حتى ينزلوا بجهنم».

(٣) جاء في هامش (أ): «يحتملُ أن يتعلَّقَ بـ﴿مرصاداً﴾».

(٤) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٦٨)، و«المحرر الوجيز» (٥/ ٤٢٥)، عن أبي معمر المنقري.

﴿لَّبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا﴾[1]: دهـوراً متتابعـةً، وليسَ في الآيةِ ما يـدلُّ على خروجِهم منها.

قراءةُ حمزةَ: ﴿لَبِثِينَ﴾ بلا ألفٍ كحَذِرٍ وفَرِقٍ، والباقون بألفٍ[2] على أنَّه اسمُ فاعلٍ من لَبِثَ، ويُقوِّيه أنَّ المصدرَ: اللَّبْثُ ـ بالإسكانِ ـ كالشَّربِ، وهوَ حالٌ مقدَّرةٌ؛ أي: مُقدَّرٌ لبثُهم فيها أحقاباً، وهوَ ظرفُ زمانٍ العاملُ فيه ﴿لَّبِثِينَ﴾، أو ﴿لَبِثِينَ﴾ على تعديةِ فَعِلٍ بالكسرِ.

والأحقابُ: الدُّهورُ الَّتي لا نهايةَ لها، جمعُ حُقْبٍ بضمِّ أوَّلِه.

والحقبُ قيلَ: ثمانونَ سنةً. وقيلَ: إحدى وثمانونَ سنةً. وقيلَ: سبعَ عشرةَ ألفَ سنةٍ. والأشهرُ الثَّاني.

رُويَ أنَّه لو علمَ أهلُ النّارِ أنَّهم يلبثونَ في النَّارِ عددَ حصَى الدُّنيا لفرحُوا، ولو علمَ أهلُ الجنَّةِ أنَّهم يلبثونَ في الجنَّةِ عددَ حصَى الدُّنيا لحزنُوا[3].

---

(١) جاء في هامش (أ): «اللَّبثُ المكثُ، وهو حالٌ من الطاغين».

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٦٦٨)، و«التيسير» (ص: ٢١٩).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «العلل» (٥/ ٥٢٨)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٣٨٤)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٤١٤) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً. قال ابن أبي حاتم: «قال أبي: هذا حديث منكر». وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣٩٦): « فيه الحكم بن ظهير، وهو مجمع على ضعفه».

قال ابن رجب في «التخويف من النار» (ص: ٢٤٧) بعد أن ذكر هذا الحديث: «والحكم بن ظهير ضعيف.

ولعل هذا الكلام في آخر الحديث موقوف عَلَى ابن مسعود، فإنه روي عنه موقوفًا من وجه آخر بإسناد جيد؛ قال أبو الحسن بن البراء العبدي في كتاب «الروضة» له: حدثنا أحمد بن خالد هو الخلال، حدثنا عثمان بن عمر، أنبأنا إسرائيل، عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون، عن عبد الله، =

﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾[١] قيلَ: البردُ النَّومُ أو الرّاحةُ، أو لا يذوقونَ فيها برداً نافعاً من حرِّها، أو الرَّوحُ والرَّاحةُ؛ أي: لا يَجدونَ فيها لذَّةً، أو المرادُ بردُ الشَّبابِ.

قالَ ابنُ عبَّاسٍ: لا يذوقونَ فيها بردَ الشَّبابِ[٢].

وقالَ مقاتلٌ: لا يذوقونَ فيها برداً ينفعُهم من حرٍّ، ولا شراباً ينفعُهم من عطشٍ[٣]؛ أي: لا يشربون للتَّلذُّذِ بخلافِ ما يُشرَبُ للعذابِ.

﴿إِلَّا حَمِيمًا﴾؛ أي: لكن يشربونَ ماءً حارّاً غايةَ الحرارةِ ﴿وَغَسَّاقًا﴾ هوَ الزَّمهريرُ المحرِقُ ببردِه، أو صديدُ أهلِ النّارِ.

﴿جَزَآءً وِفَاقًا﴾؛ أي: جُوزُوا به مُوافِقاً لعملِهم ووِفاقاً لها.

قالَ مقاتلٌ: وافَقَ العذابُ الذَّنبَ، فلا ذنبَ أعظمُ من الشِّركِ، ولا عذابَ أعظمُ من النّارِ[٤].

* * *

= قال: لو أن أهل جهنم وُعدوا يومًا من أبد أو عدد أيام الدُّنيا لفرحوا بذلك اليوم، لأنّ كل ما هو آت قريب».

(١) جاء في هامش (أ): «حالٌ من المستكِنِّ في ﴿لابثين﴾، أو تفسيرٌ له؛ أي: صفةٌ كاشفةٌ لـ: ﴿أحقاباً﴾. حاشية».

(٢) رواه الفراء في «معاني القرآن» (٣/ ٢٢٨) من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: «لا يذقون فيها برد الشراب ولا الشراب».

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٥٦٣)، وعبارته: «يعني لا يذوقون فيها روحاً طيباً، ولا شراباً بارداً ينفعهم من هذه النار».

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٥٦٣)، وعباته: «كما أنه ليس في الأعمال أخبث من الشرك بالله ـ عز وجل ـ وكذلك ليس من العذاب شيء أخبث من النار، فوافقت النار الشرك».

(٢٧ - ٣٠) - ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ كِتَـٰبًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾؛ أي: لا يَخافون أن يُحاسبوا، والمعنى: إنَّهم كانُوا لا يُؤمنونَ بالبعثِ ولا بأنَّهم يُحاسبونَ.

﴿وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾: القرآن، أو بما جاءَت به الأنبياءُ، أو المرادُ: لم يُؤمنوا وكذَّبوا بآياتِنا ﴿كِذَّابًا﴾ مُشدَّدٌ مصدرُ فعَّلَ، يُقالُ: حرَّقْتُ الثَّوبَ حِرَّاقاً، وفسَّرْتُ الآيَةَ فِسَّاراً، وكِذَّابٌ المشدَّدُ يُؤذِنُ بالإفراطِ في التَّكذيبِ، وقُرِئَ (كِذَاباً) مخففاً مصدرَ كَذَبَ المخفَّفِ[1]، ومنه بيتُ الأعشى:

فصَدَقْتُها وكَذَبْتُها والمرءُ ينفعُه كِذَابُه[2]

وقُرِئَ: (كُذَّاباً) بضمِّ الكافِ مُشدَّداً جمعُ كاذِبٍ[3]؛ أي: كذَّبُوا بآياتنا كاذِبين، أو هوَ وصفُ الواحِدِ، يُقالُ: رجلٌ كُذَّابٌ وحُسَّانٌ وبُخَّالٌ بالضَّمِّ والتَّشديدِ مبالغةً.

﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ كِتَـٰبًا﴾[4] (كلَّ شيءٍ) منصوبٌ بفعلٍ مضمرٍ يفسِّرُه

---

(١) أي: (وكَذَبوا بآياتنا كِذَاباً). انظر: «المحتسب» (٢/ ٣٤٨) عن علي رضي الله عنه.

(٢) البيت للأعشى، كما في «مجاز القرآن» (٢/ ٢٨٣)، و«تفسير الطبري» (٢٤/ ٤٢)، وقال المبرد في «الكامل» (٢/ ١٥٦): وأنشد المازني للأعشى، وليس مما روت الرواة متصلاً بقصيدة. والرواية عنده: «فصَدَقْتُهم وكَذَبْتُهم...».

(٣) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٦٨) عن عمر بن عبد العزيز والماجشون.

(٤) جاء في هامش (أ): «أي: ضبطناه ضبطاً، فكلُّ مَن فعلَ عصياناً نجزيه على عملِه، وأمَّا الكفَّارُ فيُجزون بعدمِ رجاءِ الحسابِ وتكذيبِ الآيةِ، و﴿كلّ شيءٍ﴾ ليس اعتراضاً، بل لبيانِ ما فعلُوا إجمالاً، وعطف على قولِه: ﴿إنهم كانوا﴾، ولك أن تجعلَ معنى قوله: ﴿وكلّ شيءٍ﴾ الآيةَ: إنَّا قدَّرنا كلَّ شيءٍ قبلَ وجودِه تقديراً لا يتغيَّرُ، كما أنَّ المكتوبَ لا يغيَّرُ، وحينئذٍ يتفسَّرُ عليه قوله: ﴿فذوقوا﴾، أو يتفسَّرُ على قولِه: ﴿إنهم كانُوا﴾ الآية. س».

﴿أَحْصَيْنَٰهُ﴾ بعده، و﴿كِتَٰبًا﴾ نُصِبَ مصدراً؛ لأنَّ كتبنا بمعنى: (أحصينا)، أو حالاً بمعنى: مكتوباً في اللَّوحِ المحفوظِ أو صُحفِ الحفظةِ.

والمعنى: جميعُ الأشياءِ مكتوبةٌ محفوظةٌ عندنا لم يُنسَ منها شيءٌ، والآيةُ اعتراضٌ.

﴿فَذُوقُواْ﴾[(١)]؛ أي: جزاءَ أعمالِكم، [وهو] مسبَّبٌ عن كفرِهم بالحسابِ وتكذيبِهم بالآياتِ، ثمَّ زادَهم تهديداً بقولِه:

﴿فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ ومجيئُه بـ(لن) والاستثناءِ بعدها وتنكيرُه ﴿عَذَابًا﴾ يُؤذِنُ أنْ لا بدَّ من زيادتِهم عذاباً لا يدخُلُ تحتَ الحصرِ.

في الحديثِ الشَّريفِ: «هذهِ الآيةُ أشدُّ ما في القرآنِ على أهلِ النّارِ»[(٢)].

❊ ❊ ❊

---

(١) جاء في هامش (أ): «أي: فذوقوا الحميمَ والغساقَ.س».

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» كما في «تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (٤/ ١٤٥)، وأبو الشيخ في «طبقات المحدثين بأصبهان» (١/ ٤١١)، من رواية جسر بن فرقد السبخي عن الحسن: سألت أبا برزة الأسلمي...، فذكره. قال الزيلعي: وجسر بن فرقد ضعيف جدًّا.

ورواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٨/ ٣٣٣) من طريق آخر، وفيه الحسن بن دينار، أبو سعيد البصري وهو الحسن بن واصل التميمي ودينار زوج أمه، قال النسائي: متروك، وقال ابن عدي: أجمع من تكلم في الرجال على ضعفه وهو إلى الضعف أقرب. انظر: «تهذيب التهذيب» (٢/ ٢٧٥).

ورواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٨/ ٣٣٤) من طريق الحسن بن دينار عن الحسن به. والحسن بن دينار متروك واتهم بالكذب. انظر: «الضعفاء والمتروكون» لابن الجوزي (١/ ٢٠١).

ورواه ابن أبي الدنيا في «صفة النار» (١٨٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٩٥)، وابن قانع في «معجم الصحابة» (٣/ ١٥٩) من طريق جسر بن فرقد عن الحسن عن أبي برزة موقوفاً.

ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٦) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما موقوفاً.

(٣١ ـ ٣٤) ـ ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ۝٣١ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ۝٣٢ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ۝٣٣ وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾.

قولُه تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾؛ أي: فوزاً وظَفراً بمطلوبِهم، أو: موضعَ فوزٍ في الجنَّةِ، أو: مُستنزَهاً فيها، أو: موضعَ نجاةٍ ممَّا فيه الكفَّارُ.

قالَ بعضُهم: تُقى الأولياءِ أن يتَّقيَ رؤيةَ تَقواه(١)، فلا يَرى العصمةَ إلَّا مِن اللهِ، فلا ينقطعُ إلَّا إليهِ.

﴿حَدَآئِقَ﴾: جمعُ حديقةٍ، وهي أرضٌ ذاتُ أشجارٍ.

﴿وَأَعْنَٰبًا﴾ قيلَ: معطوفٌ على ﴿مَفَازًا﴾. وقيلَ: على ﴿جنَّات﴾ من عطفِ الخاصِّ على العامِّ لنكتةِ الاهتمامِ؛ إذ كانَ مألوفاً لهم مثل قولِه: ﴿فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [النساء: ٩].

والمعنى: في الجنَّةِ بساتينُ فيها أصنافُ الشَّجرِ المثمِرِ من العنبِ وغيرِه.

﴿وَكَوَاعِبَ﴾ عطفٌ على ﴿حَدَآئِقَ﴾؛ أي: جواري قد تَكعَّبَت ثُدِيُّهنَّ؛ أي: تفلَّكَت وأظهرت، وهنَّ النَّواهدُ، واحدتُها كاعِبٌ.

﴿أَتْرَابًا﴾: جمعُ تِرْبٍ بكسرِ التَّاء؛ أي: مُستوياتٍ في السِّنِّ(٢).

﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾ قالَ ابنُ عبَّاسٍ والحسنُ وقتادةُ: مترعةً مملوءةً(٣).

---

(١) ذكره في «الرسالة القشيرية» (١/ ٢٢٩) عن الواسطي.

(٢) في هامش (أ): «وفي بعضِ التَّفاسيرِ: نساءُ أهلِ الجنَّةِ كلُّهنَّ بنات ستَّةَ عشرَ ورجالُها أبناءُ ثلاثةٍ وثلاثين. س».

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٤٦١) عن قتادة. ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٩ ـ ٤٠) عن ابن عباس والحسن وقتادة.

وروى البخاري (٣٨٣٩ ـ ٣٨٤٠) عن عكرمة: «﴿وكأساً دهاقاً﴾ قال: ملأى متتابعة» قال: وقال ابن عباس: «سمعت أبي يقول في الجاهلية: اسقنا كأسًا دهاقًا».

وقالَ سعيدُ بنُ جُبَيرٍ ومجاهدٌ: متتابعةً[١].

وقالَ عكرمةُ: صافيةً[٢].

* * *

(٣٥ ـ ٣٦) ـ ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا (٣٥) جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا﴾.

﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا﴾ هذه بعضُ أوصافِ الجنَّةِ، اللَّغْوُ: الباطلُ من الكلامِ، والكِذَابُ بالتَّخفيفِ: الكذبُ، وبالتَّشديدِ[٣]: التَّكذيب؛ أي: لا يسمعونَ عندَ شُربِ الخمرِ وغيرِه من الأحوالِ لغواً من القولِ، ولا كذباً، ولا تكذيباً لأحدٍ، بخلافِ ما يقعُ في الدُّنيا عند شربِ خمرِها، والمعنى: لا يسمعون في الجنَّةِ باطلَ الكلامِ ولا كلامَ أحدٍ يَكذِبُ صاحبَه فيما يَعِدُه، ولا يُكذِّبُه بأن يقولَ له: كذَبتَ، فلا يَكذِبون ولا يُكذِّبون.

وقُرِئَ: (كُذَّاباً) بالضَّمِّ جمعُ كاذبٍ[٤]؛ أي: لا يسمعونَ أحاديثَ رجلٍ كذَّابٍ.

﴿جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً﴾ بنصبِ ﴿جَزَآءً﴾[٥] و﴿عَطَآءً﴾ مَصدرين، أو بنصبِ ﴿عَطَآءً﴾ بـ﴿جَزَآءً﴾ نصبَ المفعولِ؛ أي: جزاهم عطاءً[٦].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٢).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤١). وعزاه القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٢٦) لعكرمة وزيد بن أسلم ثم نقل عن أبي نصر القشيري قوله: «وهو جمع دَهَق، وهو خشبتان يعصر بهما، والمراد بالكأس: الخمر، فالتقدير: خمراً ذات دهاق؛ أي: عصرت وصفيت».

(٣) قرأ بالتخفيف الكسائي، والباقون بالتشديد. انظر: «السبعة» (ص: ٦٦٩)، و«التيسير» (ص: ٢١٩).

(٤) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٦٨) عن عمر بن عبد العزيز والماجشون.

(٥) في هامش (أ): «إمَّا صفةٌ لـ﴿حدائق﴾ وأخواته، وإمَّا حالٌ من فاعلِ ﴿لا يسمعون﴾؛ أي: مجزيين جزاءً».

(٦) في هامش (أ): «قولُه: ﴿عطاء﴾ يحتملُ المفعولَ له أيضاً. وقيلَ: ﴿عطاء﴾ بدلٌ من ﴿جزاء﴾».

﴿حِسَابًا﴾ هوَ صفةٌ لـ﴿عَطَآءً﴾؛ أي: كافياً، مِن قولِهم: أعطاني فأحسَبَني؛ أي: أكثرَ عليَّ حتَّى قلتُ: حسبي.

قالَ قتادةُ: ﴿عَطَآءً حِسَابًا﴾: كثيراً[١].

أو ﴿حِسَابًا﴾: على حَسَبِ أعمالِهم، من المحاسبةِ على قَدْرِها.

وقُرِئَ بفتحِ الحاءِ وتشديدِ السِّينِ[٢] بمعنى: المُحْسِبِ، كالدَرَّاكِ بمعنى: المدرِكِ، من حسَّبْتُ الرَّجلَ: إذا أكرمتَه وأعطيتَه ما يُرضيه، وأحسبتُه أيضاً لغةٌ فيه.

وقُرِئَ: (عَطاءً حَسَناً) من الحُسنِ[٣].

قال جعفرٌ: الجزاءُ مِن الله تعالى على وجهينِ في الابتداءِ: الإيمانُ والإسلامُ من غيرِ مسألةٍ، والعطاءُ في الانتهاءِ: التَّجاوزُ عن الزَّلَّاتِ والغفلاتِ والمعاصي، ودخولُ الجنَّةِ برحمتِه من عطاياه، وكذلكَ النَّظرُ إلى وجهِه في دارِ النَّعيمِ إنَّما هوَ بمحضِ فضلِه العميمِ.

***

(٣٧) ـ ﴿رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلرَّحۡمَٰنِۖ لَا يَمۡلِكُونَ مِنۡهُ خِطَابٗا﴾.

﴿رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾[٤] بالجرِّ والرَّفعِ في ﴿ربّ﴾، قرأَ ابنُ عامرٍ

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٤) بلفظ: «أي: عطاء كثيرًا، فجزاهم بالعمل اليسير الخير الجسيم الذي لا انقطاع له».

(٢) نسبت لابن قطيب. انظر: «المحتسب» (٢/ ٣٤٩).

(٣) نسبت لابن عباس رضي الله عنهما. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٦٨).

(٤) في هامش (أ): «وهي جملةٌ مفصولةٌ، أو بدلٌ أو صفةٌ على قراءتي الرَّفعِ والجرِّ في ﴿ربّ﴾، فـ﴿الرَّحمنُ﴾ على قراءتهما مبتدأٌ، وخبرُه ﴿لا يملكون﴾، أو يكونُ خبراً لمبتدأٍ محذوفٍ تقديرُه: هو الرَّحمنُ، وأمَّا رفعُهما فإنَّ ﴿ربُّ السَّماواتِ﴾ مبتدأٌ، و﴿الرَّحمنُ﴾ خبرُه، أو بدلٌ منه ويكونُ =

ويعقوبُ والكوفيُّون بخفضِ ﴿رَّبِّ﴾ على أنَّه صفةٌ لقولِه: ﴿مِّن رَّبِّكَ﴾، والباقون بالرَّفعِ على أنَّه خبرُ محذوفٍ، ويتحصَّلُ من ذلك ضمُّ ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ مع جرِّ ﴿رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾، وهوَ واضحٌ[١].

﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾؛ أي: الخَلقُ ﴿مِنْهُ خِطَابًا﴾، فلا يقدرُ أحدٌ أن يُخاطبَه خوفاً منه وإجلالاً إلَّا بإذنِه، أو المعنى: لا يملكونَ الشَّفاعةَ إلَّا بإذنِه.

* * *

(٣٨) ـ ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾.

﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ﴾ يجوزُ في ﴿يَوْمَ﴾ أن يكونَ ظرفاً لـ﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾، ولـ﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ﴾.

و﴿ٱلرُّوحُ﴾: جبريلُ، أو مَلَكٌ لم يَخلقِ اللهُ أعظمَ منه، أو خَلقٌ على صورةِ بني آدمَ، أو هم بنو آدمَ، أو جندُ اللهِ.

أو هوَ خَلقٌ لم يخلقِ اللهُ أشرفَ ولا أقربَ من ربِّ العالمين منه يجيءُ يومَ القيامةِ ﴿صَفًّا﴾ وحدَه.

أو هوَ ملكٌ ما خلقَ اللهُ بعدَ العرشِ أعظمَ منه يقومُ وحدَه صفّاً، والملائكةُ كلُّهم صفّاً، فيكونُ [عظمُ] خَلقُه مثلَ صفوفِهم[٢].

= الخبرُ ﴿لا يملكون﴾. حاشية».

(١) قرأ برفعهما ابن كثير ونافع وأبو عمرو، وقرأ عاصم وابن عامر ويعقوب بالجر فيهما، وحمزة والكسائي بجر الأول ورفع الثاني. انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٦٩)، و«التيسير» (ص: ٢١٩)، و«النشر» (٢/ ٣٩٧).

(٢) انظر: «البسيط» (٢٣/ ١٤٧) وما بين معكوفتين منه، وقد نسبه لابن عباس من رواية عطاء، وهكذا فعل في «الوسيط» (٤/ ٤١٧) أيضاً لكن فيه: «...فيكون عظم صفه مثل صفوفهم». والمعنى واحد.

أو ﴿ٱلرُّوحُ﴾: أرواحُ النَّاسِ تقومُ مع الملائكةِ بينَ النَّفختينِ قبلَ عودِها إلى أجسادِها، أو القرآنُ؛ أقوالٌ للعلماءِ.

قولُه تعالى: ﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ﴾؛ أي: جميعُ الخلائقِ في ذلك الوقتِ ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ في الكلامِ، أو في الشَّفاعةِ، ومعناه: لا كلامَ ثَمَّ إلَّا بإذنِه.

﴿وَقَالَ صَوَابًا﴾ في الدُّنيا؛ أي: حقّاً، وهوَ لا إلهَ إلَّا اللهُ، ويشملُ أيضاً كلَّ حقٍّ.

قالَ عطاءٌ: الخالصُ: ما كانَ للهِ، والصَّوابُ: ما كانَ على السُّنَّةِ[1].

* * *

(٣٩) ـ ﴿ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا﴾.

قولُه تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ﴾: الكائنُ الواقعُ، وهوَ يومُ القيامةِ، أو الواقعُ فيه ما وُصِفَ لا مَحالةَ[2].

﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا﴾[3] مَرجِعاً وسبيلاً بطاعتِه واجتنابِ معصيتِه؛ ليسلمَ منَ العذابِ، وتعليقُه بالمشيئةِ ليسَ للتَّخييرِ، بل هوَ تنزلٌ بعد بيانِ سبيلِ الرُّشدِ.

---

(١) روى ابن أبي الدنيا في «الإخلاص» (٢٢) عن إبراهيم بن الأشعث في قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: ٧] قال: «أخلصه وأصوبه، قال: إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل حتى يكون خالصاً صواباً، والخالص إذا كان لله، والصواب: إذا كان على السنة»، ورواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٧/ ٩١)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٩٥)، من طريق ابن الأشعث عن الفضيل بن عياض.

(٢) في هامش (أ): «قولُه: «الكائنُ... لا محالةَ» تفسيرٌ لـ﴿الحقُّ﴾ الَّذي هو صفةُ اليومِ، أو خبرُ ﴿ذلك اليومِ﴾».

(٣) في هامش (أ) عند كلمة ﴿ربه﴾: «الضَّميرُ راجعٌ إلى «مَن» أو إلى ﴿اليوم الحقِّ﴾».

(٤٠) ـ ﴿إِنَّآ أَنذَرۡنَٰكُمۡ عَذَابٗا قَرِيبٗا يَوۡمَ يَنظُرُ ٱلۡمَرۡءُ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلۡكَافِرُ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا﴾.

قولُه تعالى: ﴿إِنَّآ أَنذَرۡنَٰكُمۡ عَذَابٗا قَرِيبٗا﴾[1] الخطابُ لكفَّارِ مكَّةَ، فالآيةُ تهديدٌ وإعلامٌ لهم أنَّ البعيدَ من عذابِه قريبٌ؛ لأنَّه لا بدَّ من وقوعِه، فهوَ متحقِّقُ الوقوعِ، وكلُّ ما هوَ آتٍ قريبٌ، ولأنَّ مبدأَه الموتُ، أو هوَ من بابِ قولِه: ﴿إِنَّهُمۡ يَرَوۡنَهُۥ بَعِيدٗا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبٗا﴾ [المعارج: ٦ ـ ٧].

﴿يَوۡمَ يَنظُرُ ٱلۡمَرۡءُ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُ﴾ يرى ما قدَّمَه من خيرٍ وشرٍّ، والمرءُ عامٌّ[2].

وقيلَ: هوَ الكافرُ؛ لقولِه: ﴿إِنَّآ أَنذَرۡنَٰكُمۡ﴾، فيكونُ الكافرُ ظاهراً وُضِعَ موضعَ المضمَرِ لزيادةِ الذَّمِّ في قولِه: ﴿وَيَقُولُ ٱلۡكَافِرُ﴾.

و﴿مَا﴾ استفهاميَّةٌ منصوبةٌ بـ ﴿قَدَّمَتۡ﴾؛ أي: ينظرُ أيَّ شيءٍ قدَّمَت يداه؟ أو موصولةٌ منصوبةٌ بـ﴿يَنظُرُ﴾، والرَّاجعُ إلى الصِّلةِ محذوفٌ.

رُويَ أنَّ اللهَ تعالى يحشرُ البهائمَ والوحوشَ يومَ القيامةِ حتَّى يقتصَّ للشَّاةِ الجمَّاءِ من الشَّاةِ القَرناءِ إذا نطحَتْها في الدُّنيا، فإذا فرغَ من ذلك قيلَ لها: كوني تُراباً[3].

---

(١) في هامش (أ): «بمنزلةِ العلَّةِ لما قبلَه، وهو قول: ﴿فمن شاء﴾. س».

وكتب في الهامش بجانبه: «أيُّها المنكِرون للبعثِ المستهزِئونَ بمُخبِرِه. س».

(٢) في هامش (أ): «لو كانَ ﴿يوم ينظر المرء﴾ ظرفاً مستقراً؛ أي: قريباً كائناً يومَ ينظرُ المرء، أمَّا لو كانَ ظرفاً لغواً للقُربِ فلا حاجةَ إليه؛ لأنَّ العذابَ في هذا اليومِ قريبٌ لا فاصلَ بينه وبينَ المرءِ. س».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥٤)، والحاكم في «المستدرك» (٨٧١٦)، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما موقوفاً، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه موقوفاً عليه، وروى مسلم (٢٥٨٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء».

رُويَ أنَّه تعالى يقولُ: إنَّما خلقتُكم مُسخَّرينَ لبني آدمَ، وكنتُم مُطيعينَ، فارجعُوا إلى ما كنتم عليه تراباً[١].

أو أنَّه تعالى يقولُ لمُؤمني الجنِّ بعدَ الحسابِ: كونوا تُراباً. فيكونونَ تُراباً[٢]، فثَمَّ يندمُ العصاةُ ﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِي كُنتُ تُرَٰبًا﴾، قالوا: فيتمنَّى أن لو كانَ في الدُّنيا خنزيراً وفي الآخرةِ تراباً.

أو المرادُ بالكافرِ: إبليسُ، يَرى ما أعدَّ اللهُ تعالى لآدمَ وولدِه من الثَّوابِ، فيتمنَّى أن لو كانَ تراباً حينَ احتقرَه بقولِه: ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢].

وزعمَ بعضُهم أنَّه لا يُقالُ: «المرءُ» إلَّا للمسلمِ؛ لقولِه: ﴿يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾، ثمَّ قالَ: ﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ﴾.

وعن ابنِ عبَّاسٍ: أنَّ المرءَ أُبيُّ بنُ خلفٍ وعقبةُ بنُ أبي مُعَيطٍ[٣]، والكافرَ أبو جهلٍ[٤].

***

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٨/ ٣٥٤) عن المقاتلَين، وذكره البغوي في «تفسيره» (٨/ ٣١٨) عن مقاتل.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «الإشراف» (٣٨٧)، والثعلبي في «تفسيره» (٢٤/ ١٤٢)، عن ليث بن أبي سليم. قال الإمام النووي في «شرح مسلم» (٤/ ١٦٩): «وهذا مذهب ابن أبي سليم وجماعة والصحيح أنهم يدخلونها وينعمون فيها بالأكل والشرب وغيرهما وهذا قول الحسن البصري والضحاك ومالك بن أنس وابن أبي ليلى وغيرهم».

(٣) إلى هنا ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٣/ ١٥٠) عن عطاء.

(٤) كذا في «تفسير السمعاني» (٦/ ١٤٣) بلا نسبة.

تفسيرُ سورةِ ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ﴾

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) ـ ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا﴾.

﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا﴾ هيَ الملائكةُ تَنزِعُ الأرواحَ من الأجسادِ.

أو: الَّتي تنزِعُ أرواحَ الكفَّارِ من أجسادِها؛ قالَ ابنُ مسعودٍ: ينزعُها ملكُ الموتِ من تحتِ كلِّ شعرةٍ، ومن الأظافيرِ وأصولِ القدمين، حتَّى إذا كادَت تخرجُ ردَّها في جسدِه ثمَّ ينزعُها، فهذا عملُه[١].

قالَ مُقاتِلٌ: ملكُ الموتِ وأعوانُه ينزعونَ أرواحَ الكفَّارِ كما يُنزعُ السَّفُّودُ الكثيرُ الشُّعب مِن الصُّوفِ[٢].

أو النَّازعات: الموتُ ينزعُ النُّفوسَ، أو هيَ النَّفسُ تَنزِعُ؛ أي: تخرجُ.

أو النُّجومُ تنزعُ من أفقٍ إلى أفقٍ، وإغراقُها في النَّزعِ: قطعُها الفَلَكَ وانتقالُها من برجٍ إلى برجٍ.

أو هيَ خيولُ الغزاةِ تَنزعُ في أعنَّتِها؛ أي: تجذبُ لطلبِ الغارةِ.

والإغراقُ: النَّزعُ بشدَّةٍ كإغراقِ النَّازعِ في القوسِ.

***

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٨/ ٣٦٣).

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٥٧٣).

(٢) ـ ﴿وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا﴾.

قولُه تعالى: ﴿وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا﴾ هيَ الملائكةُ تَنْشِطُ أرواحَ المؤمنين؛ أي: تسلُّها برفقٍ.

أو هيَ الأنفسُ تَنشطُ للخروجِ بعرضِ الجنَّةِ عليها.

أو هيَ النُّجومُ تَنشطُ من أُفقٍ إلى أفقٍ؛ أي: تذهبُ بسرعةٍ.

أو هيَ الملائكةُ تَنشطُ أرواحَ الكفَّارِ من بينِ الجلدِ والأظفارِ حتَّى تخرجَها بالكربِ والغمِّ والشِّدَّةِ تعذيباً لهم.

أو هيَ نفسُ المؤمنِ تَنشطُ عندَ الموتِ لِمَا تَرى من الكرامةِ الَّتي أُعِدَّت لها.

***

(٣) ـ ﴿وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا﴾.

قولُه تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا﴾ هيَ الملائكةُ تقبضُ أرواحَ المؤمنين وتسلُّها سلّاً رفيقاً، ثمَّ يدَعونها حتَّى تستريحَ كالسَّابحِ بالشَّيءِ في الماءِ برفقٍ.

أو هيَ الملائكةُ ينزلونَ من السَّماءِ مُسرعينَ امتثالاً لأمرِ اللهِ تعالى.

أو هيَ خيولُ الغزاةِ، أو جميعُ الخيولِ.

أو النُّجومُ والشَّمسُ والقمرُ، كقولِه تعالى: ﴿كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٣].

أو الموتُ يسبحُ في نفوسِ بني آدمَ.

أو هيَ السُّفنُ.

***

(٤) ـ ﴿فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا﴾.

قولُه تعالى: ﴿فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا﴾ هيَ الملائكةُ تسبقُ أرواحَ المؤمنينَ إلى الجنَّةِ، أو تسبقُ بالوحيِ، أو أنَّها سبقَت بني آدمَ بالإيمانِ والعملِ الصَّالحِ.

قالَ ابنُ مسعودٍ: هيَ أنفسُ المؤمنينَ تسبقُ إلى الملائكةِ الَّذينَ يقبضونَها شوقاً إلى لقاءِ اللهِ وكرامتِه وقد عاينَتِ السُّرورَ[١].

أو هيَ النُّجومُ يسبقُ بعضُها بعضاً في السَّيرِ.

* * *

(٥) ـ ﴿فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا﴾.

قولُه تعالى: ﴿فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا﴾ نصبُ مصدرٌ، أو بإسقاطِ حرفِ الجرِّ، وهي الملائكةُ تدبِّرُ أمرَ الدُّنيا[٢]، وهم أربعةٌ: جبريلُ موكَّلٌ بالرِّياحِ والجنودِ، وميكائيلُ موكَّلٌ بالقَطرِ والنَّباتِ، وملكُ الموتِ موكَّلٌ بقبضِ الأنفسِ، وإسرافيلُ موكَّلٌ بنزولِ الأمرِ عليهم[٣]. أو جبريلُ موكَّلٌ بالوحيِ وإسرافيلُ بالصُّورِ.

أقسمَ الله تعالى بهذه الأشياءِ كما يشاءُ، وجوابُ هذه الأقسامِ محذوفٌ، والتَّقديرُ: لتُبعثُنَّ وتحاسبُنَّ.

وقيلَ: الجوابُ ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰٓ﴾.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٨/ ٣٧٣)، وذكره الواحدي في «البسيط» (٢٣/ ١٦٧) وزاد نسبته إلى ابن عباس من رواية عطاء.

(٢) نقل القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٤٢) عن أبي نصر القشيري قوله: «أجمعوا على أن المراد الملائكة». قال: «وقال الماوردي: فيه قولان: أحدهما: الملائكة، قاله الجمهور. والقول الثاني: هي الكواكب السبعة. حكاه خالد بن معدان عن معاذ بن جبل. وفي تدبيرها الأمر وجهان: أحدهما: تدبير طلوعها وأفولها. الثاني: تدبيرها ما قضاه الله تعالى فيها من تقلب الأحوال. وحكى هذا القول أيضاً القشيري في «تفسيره» وأن الله تعالى علق كثيراً من تدبير أمر العالم بحركات النجوم، فأضيف التدبير إليها وإن كان من الله، كما يسمى الشيء باسم ما يجاوره».

(٣) رواه أبو الشيخ في «العظمة» (٣٧٨) و(٣٨٠)، وأبو الليث السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ١٠٣)، والبيهقي في «الشعب» (١٥٨)، من قول عبد الرحمن بن سابط.

(٦ ـ ٧) ـ ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ﴾.

قولُه تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ﴾[1] هيَ النَّفخةُ الأولى يتزلزلُ لها كلُّ شيءٍ وتموتُ منها الخلائقُ، أو تتزلزلُ الأرضُ والجبالُ، أو القيامةُ.

﴿تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ﴾ هيَ النَّفخةُ الثَّانيةُ، سُمِّيَت بذلك لأنَّها تأتي بعدَ الأولى، وكلُّ شيءٍ جاءَ بعدَ شيءٍ فقد رَدِفَه.

أو الرَّاجفةُ هوَ تزلزلُ الأرضِ والجبالِ كما سبقَ، والرَّادفةُ حين تَنشقُّ السَّماءُ وتنتثرُ كواكبُها عقيبَ الرَّاجفةِ.

قالَ قتادةُ: هما صَيحتانِ: الأولى تُميتُ كلَّ شيءٍ، والأخرى تُحيي كلَّ شيءٍ، وبينهما أربعون سنةً[2].

أو ﴿ٱلرَّاجِفَةُ﴾ القيامةُ، و﴿ٱلرَّادِفَةُ﴾ البعثُ.

وموضعُ ﴿تَتْبَعُهَا﴾ نصبُ حالٌ[3]؛ أي: تابعَها الرَّادفةُ.

كانَ النَّبيُّ عليه السَّلامُ إذا ذهبَ رُبعِ اللَّيلِ قامَ وقالَ: «أيُّها النَّاسُ، اذكرُوا اللهَ، اذكرُوا اللهَ، جاءَتِ الرَّاجفةُ تتبعُها الرَّادفةُ، جاءَ الموتُ بما فيه، جاءَ الموتُ بما فيه»[4].

* * *

(٨ ـ ٩) ـ ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۝ أَبْصَـٰرُهَا خَـٰشِعَةٌ﴾.

قولُه تعالى: ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ التَّقديرُ: وجفَتِ القلوبُ يومَ ترجُفُ الرَّاجفةُ،

---

(١) في هامش (أ): «منصوبٌ بجوابٍ مُضمَرٍ».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٦٦/٢٤).

(٣) في هامش (أ): «عن ﴿الرَّاجفة﴾».

(٤) رواه الترمذي (٢٤٥٧) عن أبي بن كعب رضي الله عنه، وقال: حديث حسن.

الوَجِيفُ والوَجِيبُ واحدٌ، وهوَ الاضطرابُ والحركةُ، والمعنى: أنَّ قلوبَهم مُضطربةٌ مُتحرِّكةٌ زائلةٌ عن أماكنِها لهولِ ذلك اليومِ، أو خائفةٌ قلقةٌ، أو وَجِلةٌ.

وجازَ الابتداءُ بها وإن كانَت نكرةً لأنَّها موصوفةٌ، وصفتُها ﴿وَاجِفَةٌ﴾، وخبرُها ﴿أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ﴾: ذليلةٌ؛ لمُعاينةِ النّارِ أو لهولِ ما تَرى، كقولِه: ﴿خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ﴾ [الشورى: ٤٥].

قالوا: أضافَ الأبصارَ إلى القلوبِ والمرادُ أصحابُها، ويجوزُ أن يُرادَ: أبصارُ القلوبِ حقيقةً؛ لأنَّ القلوبَ لها أبصارٌ.

والمعنى: هم ذليلونَ مُضطَربونَ، قالَ عطاءٌ: أبصارُ مَن لَـم يمُت على الإسلامِ.

* * *

(١٠) ـ ﴿يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ﴾.

﴿يَقُولُونَ﴾؛ أي: مُنكِرو البعثِ إذا أُخبِروا به ـ وهم أربابُ عقولٍ وأبصارٍ ظاهرةٍ ـ استهزاءً وإنكاراً للبعثِ يقولون: ﴿أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ﴾(١)؛ أي: أَنُردُّ بعدَ الموتِ إلى الحافرةِ؛ أي: إلى مبدأِ الأمرِ والحياةِ؛ إذ الحافرةُ اسمٌ لأوَّلِ الشَّيءِ وابتدائِه، مِن قولِهم: رجعَ فلانٌ في حافرتِه: إذا رجعَ من حيثُ جاءَ.

أو الحافرةُ: وجهُ الأرضِ، وهيَ بمعنى: مَحفورةٍ، كـ﴿عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٢١] بمعنى: مَرضيَّةٍ، أو سُمِّيَت حافرةً لأنَّها مُستقَرُّ الحوافرِ، فالمعنى: أإنَّا لـمردودونَ إلى الأرضِ.

وقيلَ: الحافرةُ: النّارُ.

---

(١) في هامش (أ): «أي: أإنَّا أُرجِعنا إلى ما كنَّا من الحياةِ في الحافرةِ؛ أي: في طريقِه الَّتي جاءَ فيها فحفرَها. س».

(١١) ـ ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً﴾.

﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً﴾[١] (إذا) بمعنى: إذ.

قرأ حمزةُ والكسائيُّ وخلفٌ وأبو بكرٍ ﴿ناخِرةً﴾ بالألفِ، والباقون بلا ألفٍ[٢]، وهما لغتان بمعنًى؛ كطَمِعٍ وطامِعٍ، وحَذِرٍ وحَاذِرٍ، ومعناهما: الباليةُ، وفرَّقَ بعضُهم بينهما فقالَ: النَّخرةُ: الباليةُ، والنَّاخرةُ: المجوَّفةُ الَّتي تمرُّ فيها الرِّيحُ فتنخرُ؛ أي: تُصوِّتُ، والمعنى: أإذا كنَّا عظاماً نخرةً نحيا ونرجعُ.

* * *

(١٢ ـ ١٤) ـ ﴿قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ﴾.

ثمَّ إنَّ مُنكِري البعثِ ﴿قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾؛ أي: إن صحَّت تلكَ الرَّجعةُ تكونُ رجعةً ذاتَ خُسرانٍ، أو: خاسراً أصحابُها؛ لِـمَا ينالُنا منَ العذابِ بتكذيبِنا بذلك في الدُّنيا، وقولُهم ذلك استبعادٌ واستهزاءٌ، ومرادُهم: لا يكونُ ذلك قطُّ، فردَّ تعالى عليهم وأعلَمَهم بسرعةِ ذلك وسهولتِه عليه بقولِه:

﴿فَإِنَّمَا هِىَ﴾؛ أي: الرَّادفةُ ـ وهي النَّفخةُ الأخيرةُ الَّتي يعقبُها البعثُ ـ ﴿زَجْرَةٌ﴾؛ أي: صيحةٌ ﴿وَٰحِدَةٌ﴾ تسمعونها، والمعنى: لا يَستبعِدوا رجوعَهم إلى الآخرةِ فمَا بينَهم وبينها إلَّا النَّفخةُ الثَّانيةُ، فإذا نُفِخَت ﴿فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ﴾؛ أي: فإذا هم على وجهِ الأرضِ؛ أي: صارَ الخلقُ جميعاً على وجهِها أحياءً بعدَ أن كانُوا في جوفِها أمواتاً.

(١) في هامش (أ): «أي: أرددنا إذا كنَّا، وقُرِئَ بدونِ الاستفهامِ، وهو متعلِّقٌ بـ(مردودون)؛ أي: أإنَّا لمردودون، وجُعلَ على هذا التَّقديرِ متعلِّقاً بمحذوفٍ؛ أي: رددنا إذا كنَّا عظاماً، فيكونُ الكلامُ خبراً عمَّا قالوا. س». والكلام فيه بعض غموض ولعل فيه سقطا أو تحريفاً.

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٦٧٠)، و«التيسير» (ص: ٢١٩).

وتُسمَّى الفلاةُ ووجهُ الأرضِ: ساهرةً؛ قالَ الفرَّاءُ: لأنَّ فيها نومَ الحيوانِ وسهرَه[١].

أو هيَ أرضٌ بيضاءُ مُستويةٌ، سُمِّيَت بذلك لأنَّ السَّرابَ يجري فيها، كقولِهم: «خيرُ المالِ عينٌ ساهِرةٌ لِعَينٍ نائمةٍ»، وسُمِّيَت بذلك لأنَّ سالكَها لا ينامُ خوفاً.

أو هيَ جبلُ بيتِ المقدسِ، أو الشَّامُ.

***

(١٥ ـ ١٩) ـ ﴿هَلْ أَتَنكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾.

قولُه تعالى: ﴿هَلْ أَتَنكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾؛ أي: قد أتاك يا محمَّدُ حديثُ موسى، أو: أليس قد أتاك حديثُ موسى، فيُسلِّيَكَ على تكذيبِ قومِك، ويُهدِّدَهم عليه بأنْ يُصيبَهم مِثلُ ما أصابَ مَن هوَ أعظمُ منهم؟ فالاستفهامُ تقريريٌّ، والمرادُ: تقريرُ نبيِّه بما جرى لـموسى عليهما السَّلام؛ لأنَّه كانَ قد عرفَ ذلك.

﴿إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى﴾[٢] هوَ وادٍ، وقد ذُكِرَ في ﴿طه﴾، فقالَ له: يا موسى ﴿ٱذْهَبْ﴾؛ لأنَّ النِّداءَ يدلُّ على القولِ، وقُرِئَ: (أن اذهَبْ)[٣].

﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾: عَلا وتكبَّرَ وكفرَ باللهِ، أو: كفرَ وتجاوزَ الحدَّ في الكفرِ.

قالَ بعضُهم: الإشارةُ إلى فرعونَ والبعثُ إلى السَّحرةِ، وإنَّ اللهَ لـم يُرسِل أنبياءَه

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٣٢).

(٢) في هامش (أ) عند كلمة ﴿إذ﴾: «متعلِّقٌ بـ﴿حديث﴾؛ أي: حديثُه الواقعُ في هذا الوقتِ، وفيه أنَّ بعضَ القصَّةِ ـ وهو أنَّه أراه الآيةَ الكُبرى ـ لم يكن في هذا الوقتِ، فالتَّقديرُ: اذكرْ إذ ناداه. س».

(٣) نسبت لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه في «الكشاف» للزمخشري، و«التفسير الكبير» للرازي (٣١/ ٣٨)، و«تفسير أبي السعود» (٩/ ٩٩).

إلى أعدائِه، وإنَّما يَبعَثُ إليهم ليُخرجَ أولياءَه المؤمنين من بين أعدائِه الكافرين.

ثمَّ أخبرَ نبيَّه عليه السَّلامُ أنَّه أمرَ موسى بإبلاغِ الرِّسالةِ إلى فرعونَ بصيغةِ الاستفهامِ والعَرْضِ ليكونَ أصغَى لأُذنِه وأوعى لقلبِه ولِما له عليه من حقِّ التَّربيةِ بقولِه: ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾[١] يُقالُ: هل لك في كذا؟ و: هل لك إلى كذا؟ كما تقولُ: هل ترغبُ إلى كذا؟ و: هل ترغبُ فيه؟

﴿إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾: تتطهَّرَ من الشِّركِ.

قالَ ابنُ عبَّاسٍ: تشهدَ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ[٢].

قرأ الحِرْميانِ بتشديدِ الزَّاي لإدغامِ التَّاءِ فيها، ومَن بقيَ بتخفيفِها بحذفِ التَّاءِ الثَّانيةِ[٣].

قالَ أبو عثمانَ: هل لك في أن أُطهِّرَك من الجناياتِ الَّتي تلطَّخْتَ بها وأردَّكَ إلى حدِّ العبوديَّةِ الَّذي به النَّجاةُ[٤]؟

﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾؛ أي: أدلَّكَ على معرفتِه، وأحقِّقَ ذلك عندَك بالبراهينِ،

---

(١) في هامش (أ) عند كلمة ﴿فقل﴾: «قلتُ: فاءُ تعقيبٍ للذَّهابِ، أو تفريعٍ على الطُّغيانِ؛ إذ طغيانُه سببُ أن تعرضَ عليه الهداية برفقٍ. س». وعند ﴿هل لك﴾: «أي: فاعرضْ عليه الطَّهارةَ مِن الشِّركِ، والهدايةَ إلى الرَّبِّ، والخشيةَ. س». وعند ﴿إلى أن تزكى﴾: «وقيلَ: ﴿إلى أنَّ تزكى﴾ متعلِّقٌ بـ﴿هل لك﴾ لكونِه في معنى: أدعوك. س».

(٢) ذكره عنه الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٤١٩)، والبغوي في «تفسيره» (٨/ ٣٢٨)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٨١)، والطبراني في «الدعاء» (١٥٥٣)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ٣٣٣)، عن عكرمة.

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٦٧١)، و«التيسير» (ص: ٢١٩).

(٤) ذكره السلمي في «تفسيره» (٢/ ٣٧٠) وفيه بدل «أبو عثمان»: «ابن عطاء».

﴿فَتَخْشَىٰ﴾ فتخافَ عقابَه، أو تخافَه هو؛ لأنَّكَ قد عرفتَه، ومَن عرفَه خشيَه[1].

قالَ الترمذيُّ: الخشيةُ ميراثُ صحَّةِ الهدايةِ.

وهذا كالتَّفصيلِ لقولِه: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٤].

* * *

(٢٠) ـ ﴿فَأَرَىٰهُ ٱلْآيَةَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾.

﴿فَأَرَىٰهُ ٱلْآيَةَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾[2] مِن آياتِه التِّسعِ، وهي العصا، وإنَّما خصَّ ما ذكَرَ مع أنَّه رأى الآياتِ التِّسعَ؛ لأنَّه قصدَ الإخبارَ عمَّا رآه أوَّلَ ملاقاتِه له، وكانَ المرئيُّ العصا أوَّلاً.

وقيلَ: بل، هيَ واليدُ معاً. فعليه: إطلاقُ الآيةِ الكُبرى عليهما لاتِّحادِ معناهما، أو لأنَّ الثَّانيةَ كانَت تابعةً للأولى، فكأنَّهما آيةٌ واحدةٌ، أو المرادُ: اليدُ وحدَها.

* * *

(٢١ ـ ٢٦) ـ ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْآخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ﴾.

﴿فَكَذَّبَ﴾ فرعونُ موسى ﴿وَعَصَىٰ﴾ ربَّه تعالى بعد علمِه صِدْقَ موسى.

﴿ثُمَّ أَدْبَرَ﴾: أعرضَ وتولَّى عن الإيمانِ، أو عن الحقِّ، أو عمَّا جاءَ به موسى من التَّكاليفِ والأحكامِ.

﴿يَسْعَىٰ﴾ في الفسادِ في الأرضِ، أو يسعى هارباً لـمَّا رأى الحيَّةَ.

قالَ الحسنُ: كانَ رجلاً طيَّاشاً خفيفاً[3].

---

(١) في هامش (أ): «لأنه إنَّما يخشى اللهَ من عبادِه العلماءُ».

(٢) في هامش (أ): «الفاءُ التَّعقيبيَّةُ».

(٣) ذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (١٠/ ٤٠٩).

﴿فَحَشَرَ﴾ فجمَعَ قومَه وجنودَه، ومنهم السَّحرةُ ﴿فَنَادَىٰ﴾ بنفسِه في جمعِه، أو أمرَ منادياً ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ فلا ربَّ فوقي، أو أرادَ أنَّ الأصنامَ أربابُهم وهوَ ربُّها، أو أرادَ أنَّه ربُّ القادةِ والسَّادةِ.

قالَ بشرٌ: أنطقَ اللهُ تعالى فرعونَ بالعريضِ من الدَّعاوَى، وأخلاه مِن حقائقِها.

﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ﴾ القويُّ الشَّديدُ البطشِ ﴿نَكَالَ﴾ هوَ مصدرٌ مؤكِّدٌ لمحذوفٍ، كأنَّه قيلَ: نكَّلَ اللهُ به نكالَ ﴿ٱلْآخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ﴾:

قيلَ: هما الكلمتانِ اللتانِ قالهما: الأولى ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص: ٣٨] والآخرةُ ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾(١)، وكانَ بينهما أربعونَ سنةً.

أو الآخرةُ النّارُ، والأولى الغَرَقُ.

قالَ السُّدِّيُّ: بقيَ بعدَ الآخرةِ ثلاثينَ سنةً(٢).

أو الأولى تكذيبُه وعصيانُه، والآخرةُ قولُه: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾.

والنَّكالُ والتَّنكيلُ واحدٌ؛ أي: بمعنًى، وهوَ العقوبةُ والتَّعذيبُ.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾؛ أي: ما جرى لفرعونَ وما أُخِذَ به مِن النَّكالِ لتكذيبِه وعصيانِه ﴿لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ﴾: لعِظَةً لِمَن يخافُ اللهَ واليومَ الآخرَ.

* * *

(٢٧ ـ ٣٣) ـ ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٨٤ ـ ٨٦) عن ابن عباس ومجاهد والشعبي والضحاك وابن زيد.

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ١٩٨)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٣٩٦).

قولُه تعالى: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ﴾(١) هذا تهديدٌ وتبكيتٌ لـمُنكِري البعثِ؛ أي: أأنتم أصعبُ خَلقاً أم السَّماءُ أشدُّ وأصعبُ؛ أي: فمَن قدرَ على خلقِها وإيجادِها وإقامتِها بلا عَمَدٍ يعجَزُ عن إعادتِكم بعدَ الموتِ؟ واللهُ لا يُعجزُه شيءٌ ولا يَؤُودُه، والمعنى: الَّذي قدرَ على إيجادِ السَّماءِ كما ترونَها يقدرُ على إعادتِكم وإرجاعِكم بعد الموتِ، والكلُّ في قدرتِه واحدٌ.

﴿بَنَىٰهَا﴾ إخبارٌ بخلقِ السَّماءِ وكيفيَّةِ خلقِها.

﴿رَفَعَ سَمْكَهَا﴾(٢)؛ أي: جعلَ مقدارَ ارتفاعِها في الهواءِ خمسَ مئةِ عامٍ، أو سَمكُها: سقفُها.

﴿فَسَوَّىٰهَا﴾؛ أي: جعلَها مُستويةً، فلا فطورَ ولا تفاوتَ مع عظمِها، أو فعدلَها، أو فتمَّمَها بما يتمُّ به كمالُها من الكواكبِ والتَّداويرِ وغيرِها، من قولِهم: سوَّى فلانٌ أمرَه، إذا أصلحَه.

﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا﴾؛ أي: أظلمَه، يُقالُ: أغْطَشَ اللَّيلُ، وغَطِشَ، وأغْطَشَه اللهُ، كأظلَمَ وظَلِمَ وأظلمَه اللهُ، وزناً ومعنًى.

﴿وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا﴾؛ أي: أبرزَ ضوءَ شمسِها، كقولِه: ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا﴾ [الشمس: ١]، والمرادُ النَّهارُ.

وأضافَهما إلى السَّماءِ؛ لأنَّ الظُّلمةَ والنُّورَ ينزلانِ منها، فاللَّيلُ ظلُّها والشَّمسُ سراجُها.

﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾؛ أي: بعدَ خلقِ السَّماءِ، نَصبٌ بمضمرٍ يفسِّرُه قولُه: ﴿دَحَىٰهَآ﴾؛ أي: بسَطَها، وكانَت مخلوقةً قبلَ خلقِ السَّماءِ بلا دَحوٍ.

---

(١) في هامش (أ): «يعني: السَّماءُ أشدُّ خلقاً منكم».

(٢) كتب تحتها في (أ): «حال».

وقيلَ: ومعنى ﴿بَعۡدَ ذَٰلِكَ﴾: قبلَ خلقِ السَّماواتِ والأرضِ، كقولِه: ﴿وَلَقَدۡ كَتَبۡنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعۡدِ ٱلذِّكۡرِ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]، أو ﴿بَعۡدِ﴾ بمعنى: مع، كقولِه: ﴿عُتُلِّۢ بَعۡدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾ [القلم: ١٣]؛ أي: دحا الأرضَ مع خلقِ السَّماواتِ، والمشهورُ الأوَّلُ.

قالَ ابنُ عبَّاسٍ: خلقَ اللهُ تعالى الأرضَ بأقواتِها مِن غيرِ أن يدحوَها، ثمَّ استوى إلى السَّماءِ فسواهُنَّ سبعَ سماواتٍ، ثمَّ دحا الأرضَ بعد ذلك[1].

﴿أَخۡرَجَ مِنۡهَا مَآءَهَا﴾ بأن فجَّرَ عيونَها ﴿وَمَرۡعَىٰهَا﴾: ما يأكلُه النَّاسُ والأنعامُ، استُعيرَ الرَّعيُّ للآدميِّ كما استُعيرَ الرَّتعُ في قولِه: ﴿يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ﴾.

قالوا: ودلَّ بذكرِ الماءِ والمرعى على أنَّ جميعَ ما يُرتفَقُ به أُخرِجَ من الأرضِ، قالوا: لأنَّ كلَّ جامدٍ ومائعٍ من حيِّزِ الماءِ، وكلَّ نامٍ ونابتٍ مِن حيِّزِ المرعى.

﴿وَٱلۡجِبَالَ أَرۡسَىٰهَا﴾؛ أي: أثبتَها على وجهِ الأرضِ؛ لتسكُنَ.

لم يَدخُلِ حرفُ العطفِ على ﴿أَخۡرَجَ﴾؛ لأنَّ معنى دحا: بسطَها لتُسكَنَ، ثمَّ فسَّرَ البسطَ بما لا بدَّ لساكنِها منه، وهوَ الماءُ والمرعى، فقالَ: ﴿أَخۡرَجَ﴾؛ أي: بلا عاطفٍ، أو يكونُ ﴿أَخۡرَجَ﴾ حالاً بإضمارِ (قد)، كقولِه: ﴿أَوۡ جَآءُوكُمۡ حَصِرَتۡ صُدُورُهُمۡ﴾ [النساء: ٩٠].

والمرادُ: بسطَ الجبالِ، وجعلَها أوتاداً للأرضِ لتستقرَّ عليها، ويصيَر فيها الماءُ والمرعى.

﴿مَتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ﴾ هوَ مفعولٌ له لمُقدَّرٍ بمعنى: فعلَ ذلك متعةً، أو مصدرُ متَّع[2].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٩٢).

(٢) في (أ): «تمتع»، والمثبت هو الصواب، والتقدير: مَتَّعْتُكُمْ بِهِ مَتَاعًا، أو: مُتِّعتُم به متاعًا. انظر: «تفسير =

(٣٤ ـ ٣٦) ـ ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ (٣٤) يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ (٣٥) وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ﴾.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ﴾؛ أي: الدَّاهيةُ العُظمى الَّتي تَطُمُّ على الدَّواهي؛ أي: تغلبُها وتعلو عليها؛ لأنَّ الطَّامَّةَ عندَ العربِ الدَّاهيةُ الَّتي تعلو جميعَ الدَّواهي، وهي النَّفخةُ الثَّانيةُ، أو القيامةُ، أو السَّاعةُ الَّتي يُساقُ فيها أهلُ الجنَّةِ إلى الجنَّةِ وأهلُ النَّارِ إلى النَّارِ، وخُصَّ ما هنا بالطَّامَّةِ موافقةً لـمَا قبلَه مِن داهيةِ فرعونَ، وهي قولُه: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾، وكذا وُصِفَت بالكُبرى موافقةً لقولِه قبلُ: ﴿فَأَرَىٰهُ ٱلْـَٔايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ [النازعات: ٢٠]، بخلافِ ما في (عبسَ) لـم يتقدَّمْه شيءٌ من ذلك، فخُصَّت بالصَّاخَّةِ، وإن شاركَتِ الطَّامَّةَ في أنَّها النَّفخةُ الثَّانيةُ؛ لأنَّها الصَّوتُ الشَّديدُ كما يأتي، والصَّوتُ يكونُ بعدَ الطَّمِّ، فناسَبَ جعلَ الطَّمِّ للسَّابقةِ والصَّخِّ للَّاحقةِ.

﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ﴾؛ أي: عَمِلَ في الدُّنيا من خيرٍ وشرٍّ، بأن يَراه مُدوَّناً في صحيفتِه، وقد كانَ قد نسيَها من فَرْطِ الغفلةِ أو طولِ المُدَّةِ، وهوَ[1] بدلٌ من ﴿إذا جاءت﴾، و﴿مَا﴾ موصولةٌ أو مصدريَّة.

﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ﴾؛ أي: أُظهِرَتِ النَّارُ المحرِقةُ لكلِّ راءٍ، فيُشاهدونها جميعاً.

قالَ مُقاتلٌ: يُكشَفُ عنها الغطاءُ، فيَنظر إليها الخَلقُ[2].

= ابن أبي زمنين» (٢/ ٤٨)، و«الهداية» لمكي (٣/ ١٨٧٩)، وانظر كذلك ما تقدم عند تفسير قوله تعالى: ﴿مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ﴾ [المائدة: ٩٦].

(١) أي: ﴿يَوْمَ﴾.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٥٧٩)، وعبارته: «﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ﴾ لأن الخلق يومئذ يبصرونها فمن كان منها أعمى في الدنيا؟ فهو يومئذ يبصر».

وزعمَ بعضُهم: أنَّ المسلمين لا يَرونها ولا يَسمعون صوتَها؛ لقولِه تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾ [الأنبياء: ١٠٢].

وقُرِئَ بالتَّاء[١]؛ أي: تَرَى جهنَّمُ، كقولِه: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ [الفرقان: ١٢]، أو هوَ خطابٌ للنَّبيِّ ﷺ؛ أي: ترى أنت يا محمَّدُ.

* * *

(٣٧ ـ ٤١) ـ ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾.

قولُه تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ﴾ حتَّى كفرَ، أو جحدَ حقوقَ الله تعالى وكفرَ نعمَه ﴿وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ فانهمَكَ فيها، واتَّبعَ شهواتِه، ولم يستعدَّ للآخرةِ ﴿فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾؛ أي: مأواه ومنزلُه، واللَّامُ فيه سادٌّ مسدَّ الإضافةِ؛ للعِلمِ بأنَّ صاحبَ المأوى هوَ الطَّاغي.

رُويَ أنَّ هذه الآية نزلَت في أبي عَزيز بنِ عُميرٍ، والتي بعدَها في أخيه مُصعَبِ بنِ عُميرٍ[٢]، وهي: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾؛ أي: مقامَه بينَ يدي ربِّه؛ لعِلمِه بالمبدأِ والمعادِ.

---

(١) نسبت لعكرمة. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٦٨)، و«المحتسب» (٢/ ٣٥١).

(٢) قال الحافظ في «الكاف الشاف» (ص: ١٨١): لم أجده. وذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٦٤) من رواية الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما، ونحوه في «تفسير الثعلبي» (١٤/ ٢٣) عن ابن إسحاق. وهذا الخبر يخالف ما ذكره ابن حجر في «الإصابة» (٧/ ٢٢٨ ـ ٢٢٩) من إسلامه وعدّه في الصحابة، وأن له سماعاً من النبي ﷺ، وروى من طريق ابن إسحاق بسنده عن أبي عزيز قال: كنت في الأسارى يوم بدر، فسمعت رسول الله ﷺ يقول: «استوصوا بالأسارى خيراً». ثم قال: وقال الزّبير بن بكّار، وابن الكلبيّ، وأبو عبيد، والبلاذريّ، والدّارقطنيّ: إن أبا عزيز قتل يوم أحد كافرا. وردّ ذلك أبو عمر [ابن عبد البر] بأن ابن إسحاق عدّ من قتل من الكفار من بني عبد الدار أحد عشر رجلا ليس فيهم أبو عزيز، وإنما فيهم أبو يزيد بن عمير.

قالَ ذو النُّونِ: مقاماتُ الخائفينَ عشرةٌ: الحزنُ الدَّائمُ، والفقرُ الغالبُ، والخشيةُ المقلِقةُ، وكثرةُ الوَلَهِ، ووجَلُ القلبِ، وتنغيصُ العيشِ، ومرافقةُ الكَمَدِ، والفكرةُ الدَّائمةُ، وعدمُ الاستراحةِ، وعدمُ الإيناسِ بالنَّاسِ.

وقالَ بعضُهم: مَن تحقَّقَ في مقامِ الخوفِ ألقاه خوفُه عن كلِّ مُفرِحٍ، وألزمَه الكمدُ إلى أن يَظهَرَ له الأمنُ من خوفِه.

﴿وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ﴾؛ أي: عن المحارمِ الَّتي تشتهيها نفسُه، أو هوَ الرَّجلُ يهمُّ بالمعصيةِ فيذكُرُ مقامَه في الحسابِ فيتركُها.

قالَ سهلٌ: لا يَسلمُ من الهوى إلَّا الأنبياءُ وبعضُ الكُمَّلِ المحفوظين، وليسَ كلُّهم، وإنَّما يسلمُ مِن الهوى مَن ألزمَ نفسَه الأدبَ(١).

ومَن تركَ هواه ﴿فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾؛ أي: مأواه، لـمَّا عُلِمَ أنَّه لا مَأوى للطَّاغينَ إلَّا جهنَّمُ، ولا مَأوى للخائفينَ إلَّا الجنَّةُ، استُغنِيَ عن الإضافةِ فيهما، وهذا كقولِك لـمُخاطبِكَ: «غُضَّ الطَّرفَ»، تريد: غُضَّ طرفَكَ.

* * *

(٤٢ ـ ٤٦) ـ ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾.

قولُه تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾؛ أي: يسألُك كفَّارُ مكَّةَ عن السَّاعةِ: متى ظهورُها، أو وقوعُها، أو قيامُها، أو إرساؤُها، أو استقرارُها؟ مِن قولِهم: رسَتِ السَّفينةُ: استقرَّت.

﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ﴾؛ أي: في أيِّ شيءٍ أنتَ مِن أن تذكُرَ وقتَها لهم؛ أي: ما أنتَ

---

(١) انظر: «تفسير التستري» (ص: ١٨٦).

مِن ذِكرِها وتبيينِ وقتِها لهم في شيءٍ؛ فإنَّ ذكرَها لا يزيدُهم إلَّا غيّاً وعِناداً، ووقتُها ممَّا استأثرَ اللهُ بعلمِه.

وقيلَ: ﴿فِيمَ﴾ إنكارٌ لسؤالِهم، و﴿أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ﴾ مستأنَفٌ، معناه: أنتَ ذِكرٌ مِن ذِكرها؛ أي: علامةٌ مِن أشراطِها؛ فإنَّ إرسالَه خاتماً للأنبياءِ أمارةٌ مِن أماراتِها، فلا حاجةَ بهم إلى السُّؤالِ عنها؛ لأنَّ بعثَك مِن أشراطِها، وفي الحديثِ: «بُعِثتُ أنا والسَّاعةَ كهاتينِ»[1]، والمعنى عليه: بعثُكَ دليلُ قربِها وقيامِها.

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ﴾؛ أي: مُنتهى عِلمِها متى تكونُ؟

قالوا: لـم يُؤتِه أحداً مِن خَلقِه.

وقيلَ: أعلمَ اللهُ به نبيَّه وأمرَه بكتمِه، ثمَّ أخبرَه أنَّه لـم يَبعثْه لذلك وإنَّما بعثَه نذيراً لـمَن يخافُ هَولَها ويخشاه، فقالَ:

﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا﴾ مُخوِّفُ مَن يخافُها، وخصَّه بإنذارِ الخاشين وإن كانَ مُنذِراً للخَلقِ أجمعين؛ لأنَّهم هم المنتفِعونَ به.

﴿كَأَنَّهُمْ﴾؛ أي: كفَّارَ مكَّةَ أو كلَّ كافرٍ ﴿يَوْمَ يَرَوْنَهَا﴾؛ أي: السَّاعةَ ﴿لَمْ يَلْبَثُوٓاْ﴾ في الدُّنيا أو في قبورِهم ﴿إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾؛ أي: ضُحى العشيةِ، والمعنى: عشيَّةَ يومٍ أو بُكرتِه، وصحَّ إضافةُ الضُّحى للعشيَّةِ لِمَا بينهما من الملابسةِ؛ إذ هما طرَفا النَّهارِ، وحسَّنَ الإضافةَ وقوعُ ﴿ضُحَىٰهَا﴾ فاصلةً لتُوازنَ رؤوسَ الآيِ قبلَه، وهوَ كقولِه: ﴿لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، وهذا تزهيدٌ في الدُّنيا وترغيبٌ في الآخرةِ.

* * *

(١) رواه البخاري (٦٥٠٤)، ومسلم (٢٩٥١) من حديث أنس رضي الله عنه، رواه البخاري (٦٥٠٣)، ومسلم (٢٩٥٠) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه.

تفسيرُ سورةِ ﴿عَبَسَ﴾

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١ ـ ٢) ـ ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ﴾.

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾؛ أي: النَّبيُّ عليه السَّلامُ، وهوَ كَلَحٌ في الوجه يحصل من الإعراضِ، كانَ عليه السَّلامُ فعَلَ ذلك لمَّا جاءَه عبدُ اللهِ بنُ أمِّ مكتومٍ فقطعَه عمَّا هوَ مشغولٌ به ممَّن يرجو إسلامَه مِن أشرافِ قريشٍ الَّذي هوَ حريصٌ على إسلامِهم، ويرجو بإسلامِهم إسلامَ غيرِهم، ولم يَدرِ الأعمى أنَّه مشغولٌ بذلك، فناداه: علِّمْني ممَّا علَّمَكَ الله. فانصرفَ عليه السَّلامُ إلى بيتِه، فعُوتِبَ في ذلك بما ذُكِرَ[1].

وقيلَ: كرَّرَ النِّداءَ ـ وهوَ لا يعلمُ أنَّه مُقبِلٌ على غيره ـ حتَّى ظهرَتِ الكراهةُ في وجهِ رسولِ اللهِ؛ لقطعِه كلامَه، فأعرَض عنه، فنزلَ ذلك عتاباً له.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٠٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٩٩)، عن ابن عباس رضي الله عنهما. ورواه الترمذي (٣٣٣١) مختصراً من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «أنزل: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ في ابن أم مكتوم الأعمى، أتى رسول الله ﷺ فجعل يقول: يا رسول الله، أرشدني. وعند رسول الله ﷺ رجل من عظماء المشركين، فجعل رسول الله ﷺ يعرض عنه ويُقبل على الآخر، ويقول: أترى بما أقول بأساً؟ فيقول: لا، ففي هذا أنزل». وقال الترمذي: هذا حديث غريب. وروى بعضهم هذا الحديث عن هشام بن عروة، عن أبيه قال: أنزل: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ في ابن أم مكتوم، ولم يذكر فيه عن عائشة.

وكانَ النَّبيُّ عليه السَّلامُ بعدَ ذلك يُكرِمُه، وإذا رآه قالَ: «مرحباً بمَن عاتبَني فيه ربِّي»[(١)]، واستخلفَه على المدينةِ مرَّتين[(٢)].

﴿أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ﴾؛ أي: لأجلِ أن جاءَه الأعمى، وذكرَ الأعمى للإشعارِ بعُذرِه في الإقدامِ على قطعِ الكلامِ، وللدَّلالةِ على أنَّه أحقُّ بالرَّأفةِ والرِّفقِ.

* * *

(٣ ـ ٤) ـ ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ﴾.

﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾؛ أي: وأيُّ شيءٍ يجعلُك عالماً بحالِ هذا الأعمى؟ ثمَّ بيَّنَ حالَه فقالَ: ﴿لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾؛ أي: يتطهَّرُ مِن الذُّنوبِ بما يتعلَّمُه من الشَّرائعِ منك، وعلى رأيِ مُقاتلٍ: لعلَّه يُؤمِنُ[(٣)].

﴿أو يَذكَّرُ فتَنفَعُه الذِّكرى﴾؛ أي: يتَّعظُ فتنفعُه موعظتُكَ، وقرأ عاصمٌ: ﴿فَتَنفَعَهُ﴾ بنصبِ العينِ على جوابِ التَّرجِّي، والباقونَ بالرَّفعِ[(٤)] عطفاً على ﴿يَذَّكَّرُ﴾.

* * *

(١) أورده مكي بن أبي طالب في «الهداية إلى بلوغ النهاية» (١٢/ ٨٠٥٣) عن سفيان الثوري، والسمعاني في «تفسيره» (٦/ ١٥٧) عن سفيان بن عيينة. وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٨/ ٤١٧)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٤٩) دون نسبة، وذكره الديلمي في «مسند الفردوس» (٦٥١٠) عن أنس رضي الله عنه.

(٢) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٤/ ١٩٥) عن الضحاك، وذكره مقاتل في «تفسيره» (٤/ ٥٩٠)، ورواه الإمام أحمد في «المسند» (١٣٠٠٠)، وأبو داود (٢٩٣١)، عن أنس رضي الله عنه بلفظ: «استخلف ابن أم مكتوم على المدينة مرتين يصلي بهم وهو أعمى».

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٥٩٠).

(٤) انظر: «السبعة» (ص: ٦٧٢)، و«التيسير» (ص: ٢٢٠).

(٥ ـ ٧) ـ ﴿أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ﴾.

قولُه تعالى: ﴿أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ﴾؛ أي: بالمالِ.

وقالَ ابنُ عبَّاسٍ: استغنى عنِ اللهِ وعن الإيمانِ[١].

﴿فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ﴾؛ أي: تتعرَّضُ له، وتُقبِلُ عليه، وأصلُ المُصادَّةِ: المُعارَضةُ.

رُويَ أنَّه عليه السَّلامُ ما عبَسَ بعدها في وجهِ فقيرٍ، ولا تصدَّى لغنيٍّ[٢].

قرأ الحِرْميَّانِ بتشديدِ الصَّادِ، وخفَّفَها مَن بقيَ[٣]، وقُرِئَ: (تُصدَّى) بضمِّ التَّاءِ[٤]؛ أي: تُعرِضُ، والمعنى: يدعوك داعٍ إلى التَّصدِّي له مِن حرصِك على إسلامِه.

﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ﴾؛ أي: لا بأسَ عليك في أن لا يزَّكى؛ أي: أن لا يُؤمنَ ويهتديَ، والمعنى: ليسَ عليك في تركِه الإيمانَ والتَّزكيةَ شيءٌ، إن عليكَ إلَّا البلاغُ.

***

(٨ ـ ١٠) ـ ﴿وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخْشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ﴾.

﴿وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخْشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ﴾؛ أي: مَن جاءَك مُسرِعاً طالباً للخيرِ، وهوَ الأعمى، فأنت تتشاغلُ عنه وتُعرِضُ، مِن لَهَا عن الشَّيءِ والتَهَى وألْهَى:

---

(١) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٤٢٢)، والبغوي في «تفسيره» (٨/ ٣٣٦)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٤٠٠).

(٢) ذكره أبو حفص النسفي في «التيسير» (١٥/ ٢١٥) عن الحكم بن عتيبة، وورد في عدة تفاسير دون نسبة ولا عزو.

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٦٧٢)، و«التيسير» (ص: ٢٢٠).

(٤) نسبت لأبي جعفر في غير المشهور عنه. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٦٩)، و«المحتسب» (٢/ ٣٥٢).

اشتَغَلَ، وقُرِئَ: (تَتَلهَّى)[١]، وقُرِئَ: (تُلهَّى)[٢]؛ أي: يُلهِيكَ شأنُ الصَّناديدِ عنه.

* * *

(١١ ـ ١٦) ـ ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ١١ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ١٢ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ١٣ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ١٤ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ١٥ كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾.

﴿كَلَّآ﴾ لا تفعلْ يـا محمَّدُ مثلَ ذلك بعدَها[٣] ﴿إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾؛ أي: الموعظةُ أو السُّورةُ أو آياتُ القرآنِ تذكرةٌ، بمعنى: تذكيرٍ وموعظةٍ للخلقِ.

﴿فَمَن شَآءَ﴾؛ أي: مِن عبادِ الله ﴿ذَكَرَهُۥ﴾؛ أي: ما ذُكِرَ مِن الآياتِ والسُّورةِ، والمرادُ: حفظَه واتَّعظَ به.

﴿فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ﴾؛ أي: مُعظَّمةٍ عندَ اللهِ ﴿مَّرْفُوعَةٍ﴾ في السَّماءِ، أو في المقدارِ ﴿مُّطَهَّرَةٍ﴾ منزَّهةٍ عن مسِّ الشَّياطينِ، لا يمسُّها إلَّا المطهَّرونَ، وهم الملائكةُ، والمرادُ بالصُّحفِ: اللَّوحُ المحفوظُ، فعلى هذا المرادُ ارتفاعُها في السَّماءِ السَّابعةِ، أو هيَ صحفُ الأنبياءِ، كقولِه: ﴿إِنَّ هَـٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ١٨ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ [الأعلى: ١٨ ـ ١٩]، وعلى هذا: المرادُ ارتفاعُ قَدرِها.

﴿بِأَيْدِى سَفَرَةٍ﴾؛ أي: كَتَبةٍ مِنَ الملائكةِ ينسخونَها مِن اللَّوحِ المحفوظِ، والسَّفَرةُ: جمعُ سفيرٍ أو سافرٍ، والثَّاني أولى؛ لأنَّه مِن الكتابةِ لا من الرِّسالةِ، والكاتبُ سافرٌ، والكِتابُ سِفرٌ؛ لأنَّه يَكشفُ الشَّيءَ ويوضِّحُه، مِن أسفَرَ

---

(١) نسبت لطلحة بن مصرف. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٦٩).

(٢) نسبت لأبي جعفر في غير المشهور عنه. انظر: «المحتسب» (٢/ ٣٥٢).

(٣) قال القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٧٤): «﴿كلا﴾ كلمة ردع وزجر؛ أي: ما الأمر كما تفعل مع الفريقين؛ أي: لا تفعل بعدها مثلها من إقبالك على الغني وإعراضك عن المؤمن الفقير، والذي جرى من النبي ﷺ كان ترك الأولى كما تقدم، ولو حمل على صغيرة لم يبعد، قاله القشيري».

الصُّبحُ: أضاءَ واتَّضحَ، أو السَّفرةُ: القُرَّاءُ، أو أصحابُ رسولِ اللهِ عليه السَّلامُ.

﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾؛ أي: كرامٍ على اللهِ، والبررةُ: المطيعونَ، جمعُ بارٍّ أو بَرٍّ.

* * *

(١٧ ـ ٢٣) ـ ﴿قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ (١٧) مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ (١٨) مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ (١٩) ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ (٢٠) ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ (٢١) ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ (٢٢) كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ﴾.

قولُه تعالى: ﴿قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾؛ أي: لُعِنَ وأُبعِدَ، و﴿مَا أَكْفَرَهُ﴾: ما أشدَّ كُفرَه، وهوَ دعاءٌ على كلِّ كافرٍ، أو على أُميَّةَ بنِ خلفٍ، أو هوَ عتبةُ بنُ أبي لهبٍ[1]، أو هوَ استفهامُ توبيخٍ وتبكيتٍ، تقديرُه: أيُّ شيءٍ أكفرَه؟ أي: أيُّ شيءٍ أوقعَه في الكفرِ؟ أو استفهامُ تعجيبٍ، تقديرُه: اعجبُوا أنتم مِن كفرِه.

قال الواسطيُّ: ما أجهلَه بالمعرفةِ، وذلك لجهلِه بالموردِ والمصدَرِ.

والمعنى: قد تناهى في كُفرِه مع كثرةِ إنعامِه عليه.

ثمَّ أومأ إلى حقارةِ أصلِه الَّذي كانَ مِن حقِّه أن لا يغفلَ عنه ولا يتكبَّرَ، أو أن يرجعَ إلى خالقِه بحسنِ العبوديَّةِ:

﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ (١٨) مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ﴾؛ أي: أطواراً نُطفةً ثمَّ علقةً ثمَّ مُضغةً إلى آخرِ خَلقِه، أو ﴿قدَّرَه﴾: خلَقَ يديه ورجليه ورأسَه وغيرَ ذلك، كقولِه: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢].

﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾؛ أي: سهَّلَ له طريقَ خروجِه من بطنِ أُمِّه، أو سهَّلَ له طريقَ الحقِّ والباطلِ بأن أقدرَ كلَّ واحدٍ على طريقِه، كقولِه: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾ [الإنسان: ٣]

---

(١) ذكر الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٢٠٥) القول الأول عن مجاهد، والثاني عن الضحاك، والثالث عن ابن جريج والكلبي.

﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ١٠] قالَ ابنُ عبَّاسٍ: بيَّنَ له سبيلَ الخيرِ والشَّرِّ[١].

﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ﴾ جعلَ له قبراً يُوارَى فيه، أو جعلَه ذا قبرٍ تكرمةً له، ولم يتركْه مُلقًى على وجهِ الأرضِ كسائرِ الحيوانِ، يُقالُ: قَبَرتُ الميتَ؛ أي: دفنتُه، فأنا قابِرٌ، وأقْبَرتُه: أعنتُ على دفنِه، ومنه قولُ تميمٍ لعمرِو بنِ هُبيرةَ لـمَّا قتلَ صاحبَهم صالحَ بنَ عبدِ الرَّحمنِ: أَقْبِرْنا صالحاً. فقالَ: دُونَكموه[٢]. وأقبرَكَ الميتُ أيضاً إذا أمرَكَ أن تَقبرَه.

﴿ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ﴾: بعثَه للموقفِ، وقُرِئَ: (نَشَرَه) لغتانِ[٣]، يُقالُ: نَشَرَ اللهُ الموتى وأنْشَرَهم فنَشَروا: بعثَهم.

﴿كَلَّا﴾ بمعنى: حقّاً، أو ردعٌ وردٌّ لـمَا يقولُه الكافرُ.

﴿لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ﴾؛ أي: لم يَفعلْ ما أُمِرَ به من الإيمانِ والطَّاعةِ، فعلى هذا المرادُ الكافرُ، أو المعنى: لم يُؤدِّ كلَّ ما افتُرِضَ عليه، قالُوا: فهوَ على هذا عامٌّ في كلِّ أحدٍ، والمعنى: لم يخلُ الإنسانُ مِن تقصيرٍ ما، و﴿لَمَّا﴾ هاهنا بمعنى: لم.

* * *

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ٢١٨) من رواية أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما، وروى الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١١٢) عن مجاهد قال في الآية: «هو كقوله: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾».

(٢) ذكره أبو عبيدة في «مجاز القرآن» (٢/ ٢٨٦).

وذكره ابن السكيت في «إصلاح المنطق» (ص: ١٧٢) عن أبي عبيدة قال: وقالت بنو تميم للحجاج وكان قَتَل صالحاً وصلبه: أقبرنا صالحاً.

وكذا ذكره ابن قتيبة في «غريب الحديث» (١/ ٦١٢) عن أبي عبيدة، وفيه: للحجاج أو غيره.

(٣) نسبت لشعيب بن أبي حمزة في «تفسير ابن عطية» (٥/ ٤٣٩)، وزاد القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ٢١٩) نسبتها لأبي حيوة عن نافع.

(٢٤ ـ ٣٢) ـ ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ (٢٤) أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا (٢٦) فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَعِنَبًا وَقَضْبًا (٢٨) وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا (٢٩) وَحَدَآئِقَ غُلْبًا (٣٠) وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا (٣١) مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾.

﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ قالَ مقاتلٌ: هوَ عُتبة بن أبي لهبٍ[١].

﴿إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ﴾ كيفَ قدَّرَه اللهُ وجعلَه سبباً لحياتِه.

قالَ مجاهدٌ: إلى مَدخلِه ومَخرجِه[٢].

وقالَ ابنُ عبَّاسٍ: فلينظرْ إلى رجيعِه، فتعتبرَ نفسُه به[٣].

وقُرِئَ: (فَلِيَنْظُر) بكسرِ اللَّامِ؛ لأنَّها لامُ الأمرِ[٤]، والقراءةُ بإسكانِها.

قولُه تعالى: ﴿أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا﴾ قُرِئَ بفتحِ الهمزةِ بدلَ اشتمالٍ من الطَّعامِ، ومَن قرأ بكسرِها استئنافاً[٥]، جعلُوا الجملةَ تفسيراً لـ(ينظر) إلى حدوثِ الطَّعامِ كيفَ يكونُ، والمرادُ بالماءِ: المطرُ، والنَّظرِ: الاعتبارُ.

﴿ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا﴾؛ أي: بالنَّباتِ بعدَ مجيءِ المطرِ، والمصدرانِ مؤكِّدانِ.

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٥٩٢).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٨/ ٤٣٤)، والبغوي في «تفسيره» (٨/ ٣٣٨)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٤٢٠) إلى عبد بن حميد، وذكر مثله من رواية ابن المنذر عن عبد الله بن الزبير.

(٣) رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في «التواضع» (٢١٣) من رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) لم أجدها، ولم يثبتها ابن خالويه، فقال في «إعراب ثلاثين سورة» (ص: ٤٢): الكسر الأصل، والسكون عارض، فلو قرأ قارئ: (فلينظر الإنسان) بكسر اللام لكان سائغًا في العربية، غير أنه لا يُقرأ به إذ لم يتقدم له إمام، والقراءة سنة يأخذها آخر عن أول ولا تحمل على قياس العربية.

(٥) قرأ حمزة والكسائيُّ وعاصم بفتح الهمزة، والباقون بالكسر. انظر: «السبعة» (ص: ٦٧٢)، و«التيسير» (ص: ٢٢٠).

﴿فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا﴾ كالحنطةِ والشَّعيرِ.

قالَ ابنُ عطاءٍ: صبَّ مِن معانيه على قلوبِ أهلِ مُعاملتِه، فشقَّ منها معرفةً ووَجْداً، ثمَّ أنبتَ فيها محبَّةً وهيبةً وفهماً.

﴿وَعِنَبٗا وَقَضۡبٗا﴾؛ أي: قتّاً، وهوَ الرَّطْبةُ، سُمِّيَ بمصدرِه لأنَّه يُقضَبُ؛ أي: يُقطَعُ مرَّةً بعدَ مرَّةٍ، ويُقالُ لأرضِه: المقضابُ.

قالَ الحسنُ: القتُّ: العلفُ للدَّوابِّ[١].

﴿وَزَيۡتُونٗا﴾ وهوَ ما يعصرُ منه الزَّيتُ ﴿وَنَخۡلٗا ۝٢٩ وَحَدَآئِقَ غُلۡبٗا﴾: جمعُ حديقةٍ، وهي كلُّ أرضٍ ذاتِ شجرٍ، أو الحديقةُ: كلُّ بستانٍ عليه حائطٌ، وعن بعضِهم: ما لم يكن عليه حائطٌ فليسَ بحديقةٍ.

ويجوزُ في ﴿غُلۡبٗا﴾ أن يكونَ وصفاً لكلِّ واحدةٍ من الحدائقِ، فتكونُ كلُّ واحدةٍ غُلباً في نفسِها بأن تكونَ أشجارُها متكاثفةً مُلتفَّةً بعضُها إلى بعضٍ، أو وصفاً لأشجارِها، فتكونُ كلُّ شجرةٍ غلباً في نفسِها؛ أي: عظيمةً غليظةً.

أو الغُلبُ: العظامُ الأعناقِ، ومنه قيلَ لعظيمِ العنقِ: أغلبُ.

قالَ ابنُ عبَّاسٍ: هيَ الطِّوالُ[٢].

﴿وَفَٰكِهَةٗ وَأَبّٗا﴾؛ أي: أصنافَ الفواكهِ، والأبُّ: المرعى، قالُوا: لأنَّه يُؤَبُّ؛ أي: يُؤَمُّ ويُقصَدُ.

قالَ عكرمةُ: الفاكهةُ: ما يأكلُه النَّاسُ، والأبُّ: ما يأكلُه الدَّوابُّ[٣].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١١٦)، وفيه: «القضب: العلف».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١١٨).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٨/ ٤٤٤)، ورواه عبد بن حميد كما في «الدر المنثور» (٨/ ٤٢٢).

قالَ ابنُ عبَّاسٍ: الأبُ: ما أنبتَت الأرضُ ممَّا يأكلُه النَّاسُ والدَّوابُّ[١].

وعن أبي بكرٍ أنَّه سُئِلَ عن الأبِّ فقالَ: أيُّ سماءٍ تُظلُّني وأيُّ أرضٍ تُقلُّني إذا قلتُ في كتابِ اللهِ ما لا أعلمُ[٢]؟!

وعن عمرَ أنَّه قرأ هذه الآيةَ فقالَ: كلُّ هذا قد عرفناه، فما الأبُّ؟ ثمَّ رفضَ عصا كانَت بيدِه، وقالَ: هذا واللهِ هوَ التَّكلُّفُ، وما عليك يا ابنَ أمِّ عمرَ ألا تدريَ ما الأبُّ، ابتغوا ما تبيَّنَ لكم من هذا الكتابِ، وما لا فدعوه[٣].

وليسَ في نهيِ عمرَ نهيٌ عن تفهُّمِ مُشكلاتِ كتابِ اللهِ والنَّظرِ فيها، بل إيذانٌ بالحثِّ على النَّظرِ فيما هوَ أدقُّ من هذا وأكثرُ فائدةً ممَّا يتعلَّقُ بالأحكامِ، فصرفُ الهمَّةِ فيه أولى؛ لأنَّ جهلَه يُفضي إلى هدمِ الشَّريعةِ، ولأنَّه قد علمَ من ظاهرِ الآيةِ أنَّ الأبَّ شيءٌ من نباتِ الأرضِ، فلا يتعلَّقُ بتعيينِه حُكمٌ، وأنَّه خُلقَ للامتنانِ على الإنسانِ، ويُوضِّحُ هذا قولُه:

﴿مَتَٰعًا لَّكُمۡ﴾؛ أي: منفعةً أو تَمتُّعاً ﴿وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ﴾ فأنتم تتمتَّعونَ بالفاكهةِ والأنعامِ بالعشبِ.

وفي كلامِ أبي بكرٍ رضيَ اللهُ عنه إيذانٌ أنْ لا يُقدَم على الفُتيا والتَّفسيرِ من غيرِ تحقيقٍ، وزجرٌ عن ذلك.

ثمَّ أومأَ أنَّه لا بدَّ من الموتِ وإن حصلَ الانتفاعُ بقولِه:

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٢١)، وفي رواية أخرى له: «ما أنبتت الأرض للأنعام».

(٢) رواه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص: ٣٧٥)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٠١٠٧).

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٥٠١)، وأبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص: ٣٧٥)، وسعيد بن منصور في «سننه ـ التفسير» (٢٣٩٧)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٠١٠٥)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٢٣).

(٣٣ ـ ٣٧) ـ ﴿وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ﴾.

﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ﴾ هي الصَّيحةُ التي تصمُّ الأسماعُ لشدَّتِها، وهي النَّفخةُ الثَّانيةُ، وصخَّ الصَّوتُ الأذنَ يصخُّها صخّاً.

وقالَ بعضُهم: يُقالُ: صَخَّ لحديثِه، مثلَ أصاخَ، فوُصِفَتِ النَّفخةُ بالصَّاخَّةِ مجازاً؛ لأنَّ النَّاسَ يُصخُّونَ لها.

ثمَّ بيَّنَ متى هي: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ﴾؛ أي: وزوجتِه ﴿وَبَنِيهِ﴾، بدأَ بالأخِ، ثمَّ بالأبوينِ لأنَّهما أقربُ، ثمَّ بالصَّاحبةِ والولدِ لأنَّهما أقربُ وأحبُّ من الأخِ والأبوينِ؛ للإيذانِ أنَّه لا نفعَ لأحدٍ منهم، كأنَّه قيلَ: يفرُّ مِن أخيه، بل من أُمِّه وأبيه، بل من صاحبتِه وبنيه، أو يفرُّ حِذاراً منهم لـمطالبتِهم له بالتَّبعاتِ، فيقولُ الأخُ: لـم تُواسني بمالِك، والأبوان: قصَّرتَ في برِّنا، والصَّاحبةُ: أطعمتَني الحرامَ وفعلتَ وصنعتَ، والبنون: لـم تعلِّمْنا ولم ترشدْنا، وهذا عامٌّ في كلِّ كافرٍ في كلِّ موطنٍ من مواطنِ القيامةِ وخاصٌّ بالمؤمنين في بعضِ المواطنِ.

قالَ الحسنُ: أوَّلُ مَن يفرُّ مِن أخيه هابيلُ، ومِن أُمِّه محمَّدٌ، ومِن أبيه إبراهيمُ، ومِن بنيه نوحٌ، على الأنبياءِ أجمعين الصَّلاةُ والسَّلامُ(١).

قالَ ﷺ: «يُبعَثُ النَّاسِ حُفاةً عُراةً غُرلاً، قد ألجَمَهم العرقُ، وبلَغَ شحومَ الآذانِ» فقالَت سودةُ أو عائشةُ: يا رسولَ اللهِ، واسوءتاهُ، ينظرُ بعضُنا إلى بعضٍ؟! فقالَ: «قد شُغِلَ النَّاسُ ﴿لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾»(٢).

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٨/ ٤٥٠). وفيه إسحاق بن بشر وهو كذاب، يرويه عن شيخ لم يسمه فهو مبهم، والخبر موضوع.

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٤/ ٣٤)، والحاكم في «المستدرك» (٣٨٩٨)، وصححه من =

﴿لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ﴾: يشغلُه، ويكفيه عن الاهتمامِ بشأنِ غيرِه، لا يلتفتُ إنسانٌ إلى ذويه لشدَّةِ ما هوَ فيه.

وقُرِئَ: (يَعْنيه) بعينٍ مهملةٍ وياءٍ مفتوحةٍ، من العِنايةِ[1].

* * *

(٣٨ ـ ٤٢) ـ ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ مُّسۡفِرَةٞ ٣٨ ضَاحِكَةٞ مُّسۡتَبۡشِرَةٞ ٣٩ وَوُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ عَلَيۡهَا غَبَرَةٞ ٤٠ تَرۡهَقُهَا قَتَرَةٌ ٤١ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَفَرَةُ ٱلۡفَجَرَةُ﴾.

قولُه تعالى: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ مُّسۡفِرَةٞ﴾: مُضيئَةٌ مشرِقةٌ بالسُّرورِ من قيامِ اللَّيلِ وطولِ السُّجودِ، أو من طولِ ما اغبرَّت في سبيلِ اللهِ، فهي من سرورِها ﴿ضَاحِكَةٞ مُّسۡتَبۡشِرَةٞ﴾: مسرورةٌ فَرِحةٌ بثوابِ اللهِ لها.

قالَ أبو طاهرٍ: كُشِفَ عنها ستورُ الغفلةِ، فضحكَت بالدُّنوِّ من الحقِّ، واستبشرَت بمشاهدتِه.

وقالَ ابنُ عطاءٍ: أسفَرَ تلكَ الوجوهَ نظرُها إلى مولاها، وأضحكَها رضاه عنها.

﴿وَوُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ عَلَيۡهَا غَبَرَةٞ﴾؛ أي: غبارٌ.

= حديث سودة رضي الله عنها. وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣٣٣): «رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن عباس، وهو ثقة».

ورواه البخاري (٦٥٢٧)، ومسلم (٢٨٥٩)، من حديث عائشة رضي الله عنها مختصراً ولفظه: «تحشرون حفاة عراة غرلًا»، قالت عائشة: فقلت: يا رسول الله، الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض، فقال: «الأمر أشد من أن يهمهم ذاك».

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٦٩)، و«المحتسب» (٢/ ٣٥٢)، عن ابن محيصن والزهري.

قالَ مقاتلٌ: سوادٌ وكآبةٌ[١].

﴿تَرۡهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾ يَغشاها سوادٌ كالدُّخانِ، أو القترةُ الغَبرةُ.

قالَ ابنُ زيدٍ: الغَبَرةُ: ما انخفَضَ من الغبارِ إلى الأرضِ، والقَتَرةُ ما ارتفعَ منه إلى السَّماءِ[٢].

وقُرِئَ: (قَتْرةٌ) بإسكانِ التَّاءِ[٣] مصدراً، أو لغتانِ كسَمْعٍ وسَمَعٍ.

ثمَّ بيَّنَ مَن اتَّصفَ بهذا الوصفِ مهدِّداً فقالَ:

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَفَرَةُ ٱلۡفَجَرَةُ﴾؛ أي: الجامعون بينَ الكفرِ والفجورِ، وهما جمعُ كافرٍ وفاجرٍ.

قالَ بعضُهم: لمَّا جمعُوا بينَ الكُفرِ والفجورِ جُمعَ لهم بينَ سوادِ وجهِهم والغَبَرةِ.

* * *

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٥٩٣)، وعبارته: «عليها غبرة يعنى السواد كقوله: ﴿سَنَسِمُهُۥ﴾ بالسواد ﴿عَلَى ٱلۡخُرۡطُومِ﴾ [القلم: ١٦]، ﴿تَرۡهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾ يعني: يغشاها الكسوف وهي الظلمة».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٢٧).

(٣) ذكرها أبو حيان في «البحر» (٢١/ ٢٣٧) عن ابن أبي عبلة، ولعلها لم تصل الفراء فقد قال في «معاني القرآن» (٣/ ٢٣٩): «ويجوز في الكلام: قترة بجزم التاء. ولم يقرأ بها أحد».

تفسيرُ سورةِ التَّكويرِ

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١ ـ ١٤) ـ ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ ٢ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ سُيِّرَتۡ ٣ وَإِذَا ٱلۡعِشَارُ عُطِّلَتۡ ٤ وَإِذَا ٱلۡوُحُوشُ حُشِرَتۡ ٥ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ سُجِّرَتۡ ٦ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ ٧ وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ سُئِلَتۡ ٨ بِأَيِّ ذَنۢبٖ قُتِلَتۡ ٩ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتۡ ١٠ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ ١١ وَإِذَا ٱلۡجَحِيمُ سُعِّرَتۡ ١٢ وَإِذَا ٱلۡجَنَّةُ أُزۡلِفَتۡ ١٣ عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّآ أَحۡضَرَتۡ﴾.

﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ﴾: أظلَمَت، أو غارَت، أو اضمحلَّت، أو جُمِعَت وذُهِبَ بها، أو لُفَّت كما تُكوَّرَ العمامةُ؛ أي: تُلفُّ وتُجمَعُ، أو غُوِّرَت، وأصلُ التَّكويرِ: جمعُ الشَّيءِ بعضِه ببعضٍ، فإذا جُمِعت الشَّمسُ ولُفَّت ذهبَ ضَوؤُها.

قالَ ابنُ عبَّاسٍ: يُكوِّرُ اللهُ الشَّمسَ والقمرَ والنُّجومَ يومَ القيامةِ في البحرِ، ثمَّ يبعثُ عليها ريحاً فتضربُها فتصيرُ ناراً[1]. أو أنَّ جميعَها يُطرَحُ في النَّارِ؛ ليراها مَن عبدَها، كقولِه: ﴿إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨]، أو أنَّها تُعادُ لِـما خُلِقَت منه.

وارتفـاعُ ﴿ٱلشَّمۡسُ﴾ بفعـلٍ مُضمَرٍ يُفسِّـره ﴿كُوِّرَتۡ﴾، ولم ترتفـع بالابتداءِ؛ لأنَّ ﴿إِذَا﴾ تطلـبُ الفعـلَ لِمَـا فيها مِـن معنى الشَّـرطِ، وكـذا كلُّ ما جـاءَك مِن هذا.

---

(١) رواه هناد بن السري في «الزهد» (٣٣٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤٠٥)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١١٦١)، ولفظه: «يكور الله الشمس والقمر والنجوم في البحر، ثم يرسل عليهن ريحاً، فتنفخها فتصير ناراً، فذلك قوله تعالى ﴿وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ سُجِّرَتۡ﴾».

﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ﴾؛ أي: انقضَّت وتساقطَت على الأرضِ.

قالَ الكلبيُّ: تمطرُ السَّماءُ يومئذٍ نجوماً، فلا يبقى نجمٌ إلَّا وقعَ[(١)].

يُقالُ: انكدرَ الطَّائرُ: إذا وقعَ من عشِّه.

﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ ذُهِبَ بها عن وجهِ الأرضِ، فاستوَت مع الأرضِ، أو صارَت هباءً مُنبثاً.

﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ هيَ النُّوقُ الحواملُ، واحدُها: عُشراءُ، وهي الَّتي أتى على حملِها عشرةُ أشهرٍ، ثمَّ لا تزالُ كذلكَ حتَّى تضعَ، قالُوا: وهي أنفَسُ مالٍ عند العربِ وأعزُّه عليهم، و﴿عُطِّلَتْ﴾؛ أي: تُرِكَت هملاً بلا راعٍ، أو عُطِّلَ حلبُها لِـمَا جاءَهم من أهوالِ يومِ القيامةِ. أو العشارُ: السَّحابُ، أو المنازلُ، والأوَّلُ أشهرُ.

﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾؛ أي: جميعُ دوابِّ البرِّ جُمِعَت ليُقتصَّ لبعضِها من بعضٍ.

قالَ قتادةُ: يُحشَرُ كلُّ شيءٍ حتَّى الذُّبابُ للقصاصِ، فإذا قُضِيَ بينها صارَت تراباً[(٢)].

أو حشرُها موتُها، أو حشرُها اختلاطُها من هولِ يومِ القيامةِ.

عن أُبيِّ بنِ كعبٍ: ستُّ آياتٍ قبلَ يومِ القيامةِ: إذ[(٣)] النَّاسُ في أسواقِهم إذ ذهبَ

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٣/ ٢٥٠)، والبغوي في «تفسيره» (٨/ ٣٤٦).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٢٣) و(٦/ ١٩٤٧) و(٨/ ٢٦٧١) و(١٠/ ٣٤٠٤)، من طريق الضحاك عن ابن عباس بلفظ: «يحشر كل شيء حتى إن الذباب لتحشر»، أما قتادة فروي عنه معناه، فقد روى الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٣٧)، وعبد بن حميد وابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٨/ ٤٢٨) عنه قوله: «إن هذه الخلائق موافيةٌ يوم القيامة فيَقضِي الله فيها ما يشاء».

(٣) في المصادر: «بينما» أو «بينا».

ضوءُ الشَّمسِ، ثمَّ تناثرَت النُّجومُ، ثمَّ وقعَت الجبالُ على وجهِ الأرضِ فتحرَّكَت واضطربَت، وفزعَت الجنُّ والإنسُ، واصطفَّت الدَّوابُّ والطَّيرُ والوحشُ، وماجَ بعضُهم في بعضٍ، فقالَت الجنُّ: نحن نأتيكم بالخبرِ. فانطلقُوا فإذا البحارُ تأجَّجُ ناراً، فبينما هم كذلكَ إذ جاءَتْهم الرِّيحُ فأماتَتْهم[1].

﴿وإذا البحارُ سُجِرَت﴾ مُخفَّفاً عند أبي عمرٍو وابنِ كثيرٍ، ومَن بقيَ مشدَّداً[2]؛ أي: أُوقِدَت فصارَت ناراً تضطرمُ، أو: ﴿سُجِرَت﴾: مُلِئَت.

وقالَ مجاهدٌ ومقاتلُ: فُجِّرَ بعضُها في بعضٍ؛ العذبُ والملحُ، فصارَت البحورُ كلُّها بحراً واحداً[3].

وقالَ الكلبيُّ: مُلِئَت، والمسجورُ: المملوءُ[4].

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «الأهوال» (٢٣)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٢٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤٠٢).

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٦٧٣)، و«التيسير» (ص: ٢٢٠).

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٦٠١)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٨/ ٤٧٣) عن مجاهد ومقاتل والضحاك.

ونقل القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٩٨) هنا كلاماً طويلاً عن أبي نصر القشيري، فنقل عن الضحاك ومجاهد: فجرت فصارت بحراً واحداً. القشيري: وذلك بأن يرفع الله الحاجز الذي ذكره في قوله تعالى: ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾ [الرحمن: ٢٠] فإذا رفع ذلك البرزخ تفجرت مياه البحار فعمت الأرض كلها وصارت البحار بحراً واحداً. وقيل: صارت بحراً واحداً من الحميم لأهل النار. وعن الحسن أيضاً وقتادة وابن حيان: تيبس فلا يبقى من مائها قطرة. القشيري: وهو من سجرت التنور أسجره سجراً: إذا أحميته، وإذا سلط عليه الإيقاد نشف ما فيه من الرطوبة، وتسير الجبال حينئذ، وتصير البحار والأرض كلها بساطاً واحداً، بأن يُملأ مكان البحار بتراب الجبال.

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٥٠٥)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٣٩)، ولفظهما: «﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِرَتْ﴾ قال: ملئت، ألا ترى أنه قال: ﴿وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ﴾ [الطور: ٦]».

وقيلَ: صارَت مياهُها كلُّها بحراً واحداً من الحميمِ لأهلِ النّارِ.

وقالَ الحسنُ: يَبِسَت[١]. وهوَ قولُ قتادةَ قالَ: ذهبَ ماؤُها فلم تبقَ قطرةٌ[٢].

﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾: قُرِنَت بأشكالِها، فالصَّالحُ يُقرَنُ بالصَّالحِ في الجنَّةِ، والطَّالحُ بالطالحِ في النَّارِ، أو قُرِنَت الأرواحُ بأجسادِها بأن رُدَّت إليها، أو قُرِنَت بكتبِها وأعمالِها، أو قُرِنَت نفوسُ المؤمنين بالحورِ العينِ ونفوسُ الكافرين بالشَّياطينِ، وعن الحسنِ: أنَّ هذا كقولِه: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً﴾ [الواقعة: ٧][٣].

﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ﴾ هيَ الجاريةُ تُدفَنُ حيَّةً خوفَ العارِ والحاجةِ، سُمِّيَت بذلك لِـمَا يُطرَحُ عليها من التُّرابِ فيَؤودُها ـ أي: يُثقِلُها ـ حتَّى تموتَ، والوائِدُ: الفاعلُ، والموؤودُ: المفعولُ به.

وكانَت المرأةُ في الجاهليَّةِ إذا حملَت وجاءَ إبَّانُ وضعِها حفرَت حُفرةً، فتمخَّضَت على رأسِها، فإن ولدَت جاريةً رمَت بها فيها، أو غلاماً تركَته معها[٤].

وقيلَ: كانَ العربُ إذا كانَ الرَّجلُ منهم له حاجةٌ بالبنتِ وأرادَ حياتَها أبقاها وألبسَها جبَّةً أو مِسْحَ شعرٍ، وتركَها ترعى له الإبلَ والغنمَ في الباديةِ، [وإنْ أراد أنْ يقتلَها ترَكَها] حتَّى إذا كانَت سداسيَّةً، يقولُ لأمِّها: زيِّنيها وطيِّبيها حتَّى أذهَبَ بها إلى أحمائِها. وقد حفرَ لها بئراً في الصَّحراءِ، فيذهبُ بها إلى البئرِ ويقول لها: انظري.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٤٠)، وعلقه البخاري بعد حديث (٤٩٣٧) بلفظ: «ذهب ماؤها فلا يبقى قطرة».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٣٩).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٤٣) بلفظ: «ألحق كل امرئ بشيعته».

(٤) رواه عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم ـ كما في «الدر المنثور» (٨/ ٤٢٨) ـ والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٤٢٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (٢٨/ ٤٨١).

فيها فتنظرُ فيها فيدفعُها مِن خلفِها ويهيلُ عليها التُّرابَ حتَّى تستويَ البئرُ بالأرضِ[١].

قالُوا: ومنعَ من ذلك الفعلِ صعصعةُ بنُ ناجيةَ جدُّ الفرزدقِ، ولذلك افتخرَ به في قولِه:

ومنا الَّذي مَنَعَ الوائدات فأحيا الوَئِيدَ فلم تُوأدِ[٢]

فنبَّه سُبحانَه على قُبحِ هذا الفعلِ مُشيراً إلى عدلِه بقولِه: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ﴾؛ أي: المدفونةُ حيَّةً سُئِلَت عن وائدِها سؤالَ تبكيتٍ لقاتلِها، كقولِه لعيسى عليه السَّلامُ: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٦].

وقُرِئَ: (سَألَت) بالبناءِ للفاعلِ[٣]؛ أي: خاصَمَت عن نفسِها، أو سألَت اللهَ تعالى، أو قاتِلَها.

رُويَ أنَّ الوائدةَ هيَ الَّتي تُسأَلُ، فإن كانَ كذلكَ فـ﴿ٱلْمَوْءُۥدَةُ﴾ وُضِعَت مكانها[٤].

﴿بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾ القراءةُ ﴿قُتِلَتْ﴾ مجهولاً مُخفَّفاً، إخبارٌ عن الموءودةِ، ولو حُكِيَ ما خُوطِبَت به لقيلَ: (قُتِلْتِ)، وقُرِئَ بها[٥]، ولو حُكِيَ كلامُها حينَ سألتْ

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٨/ ٤٨١) دون نسبة، وما بين معكوفتين منه.

(٢) انظر: «ديوان الفرزدق» (١/ ١٧٣). الوئيد: فعيل بمعنى مفعول، فلذا لم يؤنث.

(٣) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٦٩) عن علي وابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم، وعن عشرة من أصحاب رسول الله ﷺ.

(٤) لم أجد من ذكر هذا القول، وهو قول غريب عجيب، فكيف يقول الله: ﴿ٱلْمَوْءُۥدَةُ﴾ ثم نقول: هي الوائدة، ووضعت ﴿ٱلْمَوْءُۥدَةُ﴾ مكانها؟ وقد يصح هذا على قراءة (سألت) لكنه ليس الظاهرَ من الكلام المسوقِ هنا.

(٥) ذكرها أبو حيان في «البحر» (١٤/ ٧٤) عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٤].

لقيلَ: (قُتِلْتُ)(١)، وقُرِئَ بها مع فتحِ سينِ (سَأَلَتْ)، وقُرِئَ: ﴿قُتِّلَت﴾ بالتَّشديدِ(٢).

وجوابُها عندَ سؤالِها: قُتِلتُ بغيرِ ذنبٍ، زعموا أنَّ في هذا دليلاً على أنَّ أولادَ المشركين لا يُعذَّبون، وأنَّ العذابَ لا يُستحقُّ إلَّا بالذَّنبِ(٣).

وعن ابنِ مسعودٍ: أنَّ الوائدةَ والموءودةَ في النَّارِ(٤)، فيجوزُ أن يُحمَلَ على البالغِ.

﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ مخفَّفَ الشِّينِ عند نافعٍ وعاصمٍ وابنِ عامرٍ، والباقون بتشديدِها(٥)؛ لكثرةِ الصُّحفِ، والمرادُ: صحفُ الأعمالِ، تُطوى عندَ الموتِ فلا تُنشَرُ إلى يومِ القيامةِ.

أو ﴿نُشِرَتْ﴾: تفرَّقَت بينهم، رُويَ: أنَّه إذا كانَ يومُ القيامةِ تطايرَت الصُّحفُ من تحتِ العرشِ، فتقعُ صحيفةُ المؤمنِ في يدِه مكتوبٌ فيها: ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٢٢]، وتقعُ صحيفةُ الكافرِ في يدِه فيها مكتوبٌ: ﴿فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ﴾(٦).

---

(١) قرأ بها مَن قرأ (سألت). انظر تخريج القراءة المذكورة.

(٢) وهي قراءة أبي جعفر من العشرة. انظر: «النشر» (٢/ ٣٩٨).

(٣) قاله الزمخشري في «الكشاف» عند هذه الآية، وهو القول الذي رجحه ابن عبد البر في «الاستذكار» (٣/ ١١٢)، والقرطبي في «تفسيره» عند قوله تعالى: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠].

(٤) رواه أبو داود (٤٧١٧) عن عامر الشعبي مرسلًا، وعن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً. وذكر الدارقطني في «العلل» (٥/ ١٦١) الخلاف في رفع الحديث.
ورواه الإمام أحمد في «المسند» (١٥٩٢٣) عن سلمة بن يزيد الجعفي رضي الله عنه.
وفي متن هذا الحديث نكارة، فإن الموءودة ـ وهي البنت التي تدفن حية ـ تكون غير بالغة، ونصوص الشريعة متضافرة على أنه لا تكليف قبل البلوغ. وانظر التعليق السابق.

(٥) انظر: «السبعة» (ص: ٦٧٣).

(٦) ذكره الزمخشري في «الكشاف» عند تفسير هذه الآية، والقرطبي في «تفسيره» (١٩/ ٢٣٤)، عن =

﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ﴾ نُزِعَت عن أماكنِها كما يُنزَعُ الإهابِ عن الشَّاةِ.

قالَ الزَّجَّاجُ: قُلِعَت كما يُقلَعُ السَّقفُ فطُويَت[1].

وقالَ مقاتلٌ: يُكشفُ عمَّن فيها[2].

وقُرِئَ: (قُشِطَت)[3]؛ لأنَّ القافَ والكافَ يتعاقبان؛ لقربِ مخرجيهما، كُشِطَ وقُشِطَ، ودُقَّ ودُكَّ، والقافورُ والكافورُ.

﴿وَإِذَا ٱلۡجَحِيمُ سُعِّرَتۡ﴾ مُشـدَّداً مبالغـةً، وقُـرِئَ مخفَّفـاً[4]، والمعنـى: أُوقِـدَت لأعـداءِ الله.

﴿وَإِذَا ٱلۡجَنَّةُ أُزۡلِفَتۡ﴾ قُرِّبَت لأولياءِ اللهِ، كقولِه: ﴿وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [الشعراء: ٩٠].

عن ابنِ عبَّاس رضيَ اللهُ عنهما: مِن أوَّلِ السُّورةِ إلى هنا ثنتا عشرةَ خصلةً، ستٌّ في الدُّنيا، وستٌّ في الآخرةِ[5].

= مرثد بن وداعة. ومرثد بن وداعة يكنى: أبا قتيلة، صحابي مقل له رواية عن بعض الصحابة. من رجال «التهذيب».

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٩١)، ولم يذكر: «فطويت».

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٦٠٢)، وفيه: «﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ﴾ عن من فيها لنزول الرب تبارك وتعالى والملائكة، ثم طويت».

(٣) نسبت لابن مسعود رضي الله عنه.انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٤١)، و«المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٦٩).

(٤) قرأ نافع وحفص وابن ذكوان بالتشديد، والباقون بالتخفيف. انظر: «السبعة» (ص: ٦٧٣)، و«التيسير» (ص: ٢٢٠).

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٨/ ٤٩١)، والبغوي في «تفسيره» (٨/ ٣٤٧)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٤٠٧).

وليسَ من أوَّلِ السُّورةِ إلى هنا وقفٌ تامٌّ، بل يجوزُ على رؤوسِ الآيِ لطولِ الكلامِ؛ لأنَّ العاملَ النَّصبَ في قولِه: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ وفيما عُطِفَ عليها ﴿عَلِمَتْ﴾ في قولِه:

﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ﴾ من خيرٍ أو شرٍّ، والمرادُ: جميعُ النُّفوسِ، كقولِه: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾ [آل عمران: ٣٠]؛ لأنَّ تنكيرَ النَّفسِ يُؤذِنُ بذلك، كقولِهم: «تمرةٌ خيرٌ من جرادةٍ»[١].

رُويَ أنَّها قُرِئَت عندَ ابنِ مسعودٍ فقالَ: وا انقطاعَ ظَهراه[٢].

والمعنى: إذا وَقَعَت هذه الأشياءُ عَلِمَت كلُّ نفسٍ عملَها فتُجازَى عليه.

* * *

(١٥ ـ ٢١) ـ ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾.

قولُه تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ﴾[٣] (لا) زائدةٌ، وتقدَّمَ نظيرُها، والمعنى:

---

(١) ورد هذا القول في خبر رواه الإمام مالك في «الموطأ» (٣/ ٦١٢) عن يحيى بن سعيد: أن رجلاً جاء إلى عمر بن الخطاب فسأله عن جرادة قتلها وهو محرم، فقال عمر لكعب: تعال حتى نحكم، فقال كعب: درهم، فقال عمر لكعب: إنك لتجد الدراهم، لتمرة خير من جرادة».

(٢) ذكره ابن خالويه في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٦٩)، والسخاوي في «جمال القراء» (ص: ٦٨١).

(٣) قال القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ١٠٩ ـ ١١٠٢٣٧) بعد أن ذكر عن ابن مسعود وجابر بن عبد الله وابن عباس: تفسير الخنس ببقر الوحش: وروى عنه (أي: عن ابن عباس) عكرمة قال: ﴿بِٱلْخُنَّسِ﴾: البقر، و﴿ٱلْكُنَّسِ﴾: هي الظباء، فهي خنسٌ إذا رأين الإنسان خنسن وانقبضن وتأخرن ودخلن كناسهن. =

أُقسـمَ ﴿بِٱلْخُنَّسِ﴾: جمـعِ خانِـسٍ وخانسـةٍ، وهـي الرَّواجـعُ.

قالَ قتادةُ: هيَ النُّجومُ تبدو باللَّيلِ، وتخنسُ بالنَّهارِ، فتَخْفَى ولا تُرى[1].

وتكنسُ: تأوي إلى مَجاريها.

وقالَ قومٌ: هيَ النُّجومُ الخمسةُ زُحَلُ والمشتري والمرِّيخُ والزُّهرةُ وعطاردُ، بينا تَرى النَّجمَ في آخرِ البرجِ إذ كَرَّ راجعاً إلى أوَّلِه.

أو جميعُ النُّجومِ تخنسُ بالنَّهارِ عن العيونِ وتكنسُ باللَّيلِ؛ أي: تطلعُ، كالوحشِ في كِناسِه.

أو هيَ بقرُ الوحشِ وظِباؤُه، والخَنَسُ في الأصلِ: قصرُ الأنفِ وتأخُّرُه عن الفمِ.

أو هيَ الملائكةُ.

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ﴾ أقبـلَ بظلامِـه، أو أدبـرَ، فهـوَ من الأضـدادِ، يُقالُ: عَسْـعَسَ وسَعْسَعَ.

﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾؛ أي: امتدَّ ضوؤُه بطلوعِ الفجرِ، فشبَّهَ ذلك بالمتنفِّسَ، ومنه: تنفَّسَ النَّهارُ: إذا شرعَ في الزِّيادةِ وظهرَ ذلك فيه.

ويجوزُ أن يُقالَ: لـمَّا كانَت أنفاسُ المشتاقينَ والمُعتبِرينَ والمُستغفرينَ المواصلينَ والمقاطعينَ تكثرُ فيه لهبوبِ نسمتِه وبروزِه وسرعةِ ذهابِه، فنُسِبَ ذلك إليه مجازاً.

= ثم نقل عن أبي نصر القشيري قوله: وقيل على هذا: ﴿بِٱلْخُنَّسِ﴾ من الخَنْس في الأنف، وهو تأخر الأرنبة وقصر القصبة، وأنوف البقر والظباء خنس. والأصح الحمل على النجوم، لذكر الليل والصبح بعد هذا، فذكر النجوم أليق بذلك»، ثم ذكر عليه تعقباً يراجع ثمة.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٥٤).

ثمَّ جاءَ بجوابِ القسمِ فقال: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾؛ أي: جبريلُ، ونُسِبَ إليه لأنَّه هوَ الَّذي نزلَ به، ولفظ ﴿رَسُولٖ﴾ يقتضي مُرسِلاً ومُرسَلاً إليه، فيكونُ المعنى: إنَّ القرآنَ لتبليغُ رسولٍ كريمٍ على اللهِ، وهوَ جبريلُ، خلافاً لِمَن زعمَ غيرَ ذلك.

﴿ذِي قُوَّةٍ﴾ كقولِه: ﴿شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ٥ ذُو مِرَّةٖ﴾ [النجم: ٥-٦]، وبلغَ مِن قوَّتِه أنَّه اقتلعَ مدائنَ لوطٍ من الماءِ الأسودِ، فرفعَها على جناحِه إلى السَّماءِ ثمَّ قلبَها.

﴿عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ﴾ في القوَّةِ والمنزلةِ، والظَّرفُ متعلِّقٌ بقولِه: ﴿مَكِينٖ﴾.

﴿مُّطَاعٖ ثَمَّ﴾؛ أي: في السَّماواتِ بأن تطيعَه ملائكتُها ﴿أَمِينٖ﴾ على الوحيِ، ومن طاعتِهم له: أنَّهم فتحُوا أبوابَ السَّماءِ ليلةَ المعراجِ باستفتاحِه لرسولِ اللهِ ﷺ، وفتحَ خزنةُ الجنَّةِ لمحمَّدٍ حتَّى دخلَها، وخزنةُ النَّارِ حتَّى نظرَ فيها[1].

---

(١) روى حديث المعراج عدد من الصحابة، منها ما رواه البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (١٦٤)، عن مالك بن صعصعة رضي الله عنه. ووفيه: «ثم انطلقنا حتى أتينا السماء الدنيا. فاستفتح جبريل ﷺ. فقيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ. قيل: وقد بعث إليه؟ قال: نعم. قال ففتح لنا...».

ومنها ما رواه البخاري (٣٤٩)، ومسلم (١٦٣)، عن أبي ذر رضي الله عنه، وفيه: «ثم أخذ بيدي فعرج بي إلى السماء الدنيا، فلما جئت إلى السماء الدنيا قال جبريل لخازن السماء: افتح، قال: من هذا؟ قال: هذا جبريل، قال: هل معك أحد؟ قال: نعم، معي محمد ﷺ»، وفيه: «ثم أدخلت الجنة».

وأما دخول النبي ﷺ الجنة ونظره للنار فيدل عليه عدة أحاديث منها ما رواه أبو داود (٤٨٧٨) عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل، قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس، ويقعون في أعراضهم».

وما رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٣٢٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وفيه: «ليلة أسري =

وقُرِئَ: (ثُمَّ) بضمِّ الثَّاءِ[1] تعظيماً للأمانةِ وبياناً أنَّها أفضلُ صفاتِه المعدودةِ.

* * *

(٢٢ ـ ٢٦) ـ ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾ معطوفٌ على الجوابِ، وما عُطِفَ على الجوابِ فهوَ جوابٌ، والمعنى: فأقسمُ بهذه الأشياءِ ما صاحبُكم بمجنونٍ، والمرادُ: النَّبيُّ عليه السَّلام؛ لأنَّ أهلَ مكَّةَ قالُوا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الحجر: ٦]، وإنَّ القرآنَ تقوَّلَه محمَّدٌ من تلقاءِ نفسِه، فردَّ اللهُ تعالى عليهم بقولِه: ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ [القلم: ٢]، وبقولِه: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾، والمعنى: أنَّ القرآنَ نزلَ به جبريلُ وأن محمَّداً ليسَ كما يقولُ المشركون، وحسبُك فضيلةً أن جُمِعَ بينهما في قسمٍ واحدٍ.

ثمَّ أومأَ إلى صدقِ نبيِّه بقولِه: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ﴾؛ أي: لقد رأى رسولُ اللهِ جبريلَ على صورتِه الَّتي خُلقَ عليها ﴿بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾، وهوَ الأفقُ الأعلى من ناحيةِ المشرقِ.

رُويَ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ لجبريلَ: «إنِّي أحبُّ أن أراكَ في صورتِكَ الَّتي تكونُ فيها في السَّماءِ» قالَ: لن تَقوى على ذلك، قالَ: «بلى» قالَ: فأينَ تشاءُ أن أتخيَّلَ لك؟ قالَ: «بالأبطحِ» قالَ: لا يسعُني، قالَ: «فبعرفاتٍ» قالَ: ذلك بالحريِّ لعلَّ أن

= بنبي الله ﷺ، دخل الجنة، فسمع من جانبها وجسا، قال: يا جبريل ما هذا؟ قال: هذا بلال»، وفيه: «فنظر في النار فإذا قوم يأكلون الجيف».

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٦٩) عن أبي حيوة.

يسعَني، فخرجَ النَّبيُّ ﷺ إليه، فإذا به قد أقبلَ من حيالِ عرفةَ بخشخشةٍ وجلجلةٍ قد ملأ ما بينَ المشرقِ والمغربِ، ورأسُه في السَّماءِ، ورجلاه في الأرضِ، فلمَّا رآه ﷺ خرَّ مغشيّاً عليه، فتحوَّلَ جبريلُ في صورتِه وضمَّه إلى صدرِه، وقالَ: يا محمَّدُ، لا تخفْ، فكيفَ لو رأيتَ أخي إسرافيلَ... الحديثَ[1].

﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ وأبو عمرٍو والكسائيُّ بالظَّاءِ؛ أي: بمُتَّهمٍ أن يَزيدَ إلى القرآنِ أو ينقصَ شيئاً فيما أو ممَّا أُوحِي إليه، ومَن بقيَ بالضَّادِ[2]، من الضنِّ والضِّنَّةِ، وهوَ البخلُ؛ أي: ببخيلٍ فيُخفي منه شيئاً، والمعنى: ليسَ بمُتَّهمٍ فيما يقولُه من الوحيِ، ولا بخيلٍ به فيأخذَ عليه حُلواناً كالكُهَّانِ، بل هوَ مُنزَّهٌ عن ذلك وأشباهِه.

﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ﴾؛ أي: ليسَ القرآنُ مِن تقوُّلاتِ الشَّياطينِ المسترقةِ للسَّمعِ، ولا بوحيِهم إيَّاه إلى أوليائِهم الكهنةِ، وهوَ ردٌّ على القائلين بأنَّه كهانةٌ أو سحرٌ.

﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ هوَ تهديدٌ للمشركين، والمعنى: أين تعدلونَ عن هذا القرآنِ وفيه الشِّفاءُ والبيانُ؟

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٨/ ٥٠٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وفي سنده إسحاق بن بشر أبو حذيفة البخاري منكر الحديث. انظر: «الكامل» لابن عدي (١/ ٥٤٨). وروى البخاري (٣٢٣٤)، عن عائشة رضي الله عنها قالت: «من زعم أن محمداً رأى ربه فقد أعظم ولكن قد رأى جبريل في صورته وخلقه ساد ما بين الأفق»، وفي رواية (٤٨٥٥): «ولكنه رأى جبريل عليه السلام في صورته مرتين».

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٦٧٣)، و«التيسير» (ص: ٢٢٠).

قالَ الزَّجَّاجُ: أين تسلكونَ أبينَ من هذه الطَّريقةِ الَّتي قد بيَّنتُ لكم(١)؟

ولم يُرَدْ بالذَّهابِ الحركةُ من مكانٍ إلى مكانٍ، وإنَّما المرادُ إنكارُهم الحقَّ واحتيالُهم في إبطالِه.

قالَ الجُنيدُ: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ فمَن طلَبَ ما لنا لا يجدُه عندَ غيرِنا، ومَن طَلَبَنا أسقَطْنا عنه تعبَ الطَّلَبِ وكنَّا له.

* * *

(٢٧ ـ ٢٩) ـ ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ٢٧ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾؛ أي: تذكيرٌ وموعظةٌ للخَلقِ أجمعين.

﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾ يجوزُ أن يكونَ بدلاً من ﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، والمرادُ: مَن يتَّبعُ الحقَّ ويُقيمُ عليه، وأُبدِلوا منهم لأنَّ الَّذينَ شاؤوا الاستقامةَ هم المُنتفِعونَ بالذِّكرِ، وكأنَّهم همُ الموعُوظونَ دونَ غيرِهم، وإن كانَ الوعظُ عامّاً.

عن أبي هُريرةَ: لـمَّا نزلَ ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾ قالُوا: الأمرُ إلينا إن شِئنا استقمنا، وإن شِئنا لـم نستقمْ ـ ورُويَ أنَّ القائلَ لذلك أبو جهلٍ ـ، فنزلَ ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(٢).

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٩٣).

(٢) رواه ابن أبي حاتم وابن مردويه كما في «الدر المنثور» (٨/ ٤٣٦)، والثعلبي في «تفسيره» (٢٨/ ٥١٠)، ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٥٢٥) من طريق سليمان بن موسى عن القاسم بن مخيمرة، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٧٢)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٤٣٢) عن سليمان بن موسى، ورواه ابن بطة في «الإبانة» (١٨١١) عن سعيد بن عبد العزيز.

في هذا دليلٌ أنَّ الإنسانَ لا يعملُ خيراً إلَّا بتوفيقِ اللهِ تعالى، ولا شرّاً إلَّا بخذلانِه، كقولِه: ﴿يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [المدثر: ٣١].

قالَ الواسطيُّ: أعجزَكَ في جميعِ أوصافِك وصفاتِه، فلا تشاءُ إلَّا بمشيئتِه، ولا تعملُ إلَّا بقوَّتِه، ولا تُطيعُ إلَّا بفضلِه، ولا تعصي إلَّا بخذلانِه، فماذا يبقى لك؟ وبماذا تفخرُ مِن أعمالِك؟ وليسَ إليك مِن فعلِكَ شيءٌ[١].

قالَ بعضُهم: إنَّ قولَه: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾ وقولَه: ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾ [المدثر: ٥٥]، وقولَه: ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾ [المزمل: ١٩] منسوخٌ بقولِه: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، وبعضُهم ردَّه[٢].

* * *

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٨/ ٥١٢).

(٢) ذكر أن الآية منسوخة هبة الله في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ١٩٥)، وابن حبيب كما في «الموافقات»، وقال ابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٤٠٩): «ولا أرى هذا القول صحيحاً، لأنه لو جاز وقوع مشيئتهم مع عدم مشيئته توجه النسخ. فأما إذ أخبر أن مشيئتهم لا تقع إلا بعد مشيئته، فليس للنسخ وجه». وانظر مزيد تفصيل في «الناسخ والمنسوخ» لأبي بكر بن العربي (٢/ ٣٥٣)، و«الموافقات» للشاطبي (٣/ ٣٥٩).

تفسيرُ سورةِ الانفطارِ

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١ ـ ٥) ـ ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ۝١ وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ ۝٢ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ ۝٣ وَإِذَا ٱلۡقُبُورُ بُعۡثِرَتۡ ۝٤ عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ وَأَخَّرَتۡ﴾.

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ﴾ انشقَّت، فيه إيماءٌ إلى عظمةِ ذلك اليومِ وعِظَمِه.

﴿وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ﴾ تساقَطَت متفرِّقةً.

﴿وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ﴾ بالتَّشديدِ: فُتِحَت مياهُها فصارَت بحراً واحداً. قالَ الحسنُ: ذهبَ ماؤُها.

وقُرِئَ بالتَّخفيفِ، وقُرِئَ: (فَجَرَتْ) بالبناءِ للفاعلِ[1]؛ أي: فاضَت بهدمِ برزخِها حتَّى اختلطَت بغيرِها نظراً إلى قولِه: ﴿بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٞ لَّا يَبۡغِيَانِ﴾ [الرحمن: ٢٠].

﴿وَإِذَا ٱلۡقُبُورُ بُعۡثِرَتۡ﴾: قُلِبَت، فجُعِلَ أسفلُها أعلاها، وأُخرِجَ موتاها.

وقيلَ: إنَّه مركَّبٌ من (بعثَ) وراء الإثارةِ كـ«بَسْمَلَ»، ونظيرُه «بَحْثَرَ» لفظاً ومعنًى، وقُرِئَ بها[2].

---

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٦٩)، بالتخفيف عن الربيع بن خثيم، وبالفتح والتخفيف عن مجاهد.

(٢) أي: (بحثرت) ولم أجده قراءة في هذه الآية وإن كانت كثير من كتب التفسير والمعاني قد ذكرته هنا على أن المعنى بالعين وبالحاء واحد. انظر: «غريب القرآن» (ص: ٥١٨)، و«تفسير الطبري» (٢٤/ ١٧٥)، و«ومعاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٩٥)، و«تفسير ابن فورك» (٣/ ١٦٧)، و«تفسير =

﴿عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ وَأَخَّرَتۡ﴾ من صالحِ عملها وسيِّئِه.

أو: ﴿مَّا قَدَّمَتۡ﴾ من الصِّدقاتِ ﴿وَأَخَّرَتۡ﴾ من البركاتِ.

أو: ما أسلفَت منَ الخطأِ وسوَّفَت من التَّوبةِ.

***

(٦ ـ ٨) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ٦ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ٧ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ﴾ المرادُ بالإنسانِ: كلُّ إنسانٍ، أو كلُّ كافرٍ، أو نزلَت في أبي الأشدِّ حين ضربَ النَّبيَّ ﷺ فلم يعاقبْه الله[1]، أو في الوليدِ بنِ المغيرةِ[2]، أو في أُبيِّ بنِ خلفٍ[3]؛ أي: أيُّ شيءٍ خدَعَكَ وجرَّأَكَ على عصيانِه؟

وذكرُ ﴿ٱلۡكَرِيمِ﴾ للمُبالغةِ في المنعِ عن الاغترارِ؛ فإنَّ محضَ الكرمِ لا يقضي

= الثعلبي» (٢٩/ ١٠)، وغيرها. وذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٥/ ١٠٤) من رواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس على أنه فسر ﴿بُعۡثِرَتۡ﴾ بـ: «بحثرت»، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٧٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤٠٨)، من هذا الطريق لكن بلفظ: «بحثت»، والمعنى واحد. لكن القراءة بالحاء قد وردت في شبيه هذا الموضع، في سورة العاديات: (وبحثر ما في القبور) ذكرها الفراء في «معاني القرآن» (٣/ ٢٨٦) عن بعض أعراب بني أسد، وحكاها الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٣٢٦) عن ابن مسعود.

(١) قاله مقاتل كما في «تفسيره» (٤/ ٦١٣)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٢٢١)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ٤٥٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وذكره الواحدي في «البسيط» (٢٣/ ٢٩٣) عن الكلبي. فهو إما من طريق مقاتل أو من طريق الكلبي ولا يصح أمثاله.

(٢) ذكره الواحدي في «السيط» (٢٣/ ٢٩٣) من رواية عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) رواه ابن المنذر عن عكرمة كما في «الدر المنثور» (٨/ ٤٣٩)، وذكره عنه الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٢٢١)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٤١٠).

إهمالَ الظَّالمِ وتسويةَ المُوالي والمُعادي والمُطيعِ والعاصي، فكيفَ إذا انضمَّ صفةُ القهرِ والانتقامِ؟ والإشعارِ بما به يغرُّه الشَّيطانُ؛ فإنَّه يقولُ له: افعلْ ما شئتَ فربُّك كريمٌ لا يُعذِّبُ أحداً ولا يُعاجِلُ بالعقوبةِ، والدّلالةِ على أنَّ كثرةَ كرمِه تستدعي الجدَّ في طاعتِه، لا الانهماكَ في عصيانِه اغتراراً بكرمِه(١).

والغُرورُ: تَسويلُ النَّفسِ للباطلِ وتسويفُها بالتَّوبةِ، فإنْ وقعَ مِن مؤمنٍ ناسَبَ أنَّه تلقينٌ للإجابةِ، وإلَّا فالمرادُ: الكريمُ الَّذي لـم يَعجَل عليك بالعقوبةِ في الدُّنيا، و﴿مَا﴾ استفهامُ توبيخٍ لا تعجُّبٍ.

﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ﴾ بعد أن لـم تكن شيئاً ﴿فَسَوَّىٰكَ﴾؛ أي: جعلَك مُستويَ الخِلقةِ مُتناسِبَ الشَّكلِ، لا تَطولُ يدٌ أو رجلٌ منك عن الأخرى مثلاً، ﴿فَعَدَلَكَ﴾ من العُدولِ: صرَفَكَ إلى شبهِ أبيك، أو مَن شاءَ من ذَويكَ، أو إلى صورِ النَّاسِ عن غيرِهم، أو ﴿عدلك﴾: جعلَك تمشي قائماً لا كالبهائمِ.

قالَ الجنيدُ: تسويةُ الخلقِ بالمعرفةِ، وتعديلُها بالإيمانِ.

﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾؛ أي: في أيِّ صورةٍ شاءَ مِن حسَنةٍ أو قبيحةٍ، أو طويلةٍ أو قصيرةٍ، أو ذُكورةٍ أو أُنوثةٍ، أو في أيِّ صورةِ حيوانٍ شاءَ، أو في شَبَهِ أبٍ أو أخٍ أو قرابةٍ.

---

(١) لعلَّه يرد على ما ورد عن بعضهم وانتشر بين العامة أن الله تعالى لقن الإنسان حجته في قوله: ﴿بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ﴾ فيقول المغتر: «غرني كرمك»، وهذا التأويل للآية لم يرتضه كثير من العلماء، وعده خروجًا عن معنى وسياق الآية، انظر: «تفسير الرازي» (٣١/ ٧٥). وقال ابن كثير في «تفسيره»: «وهذا الذي تخيله هذا القائل ليس بطائل؛ لأنَّه إنما أتى باسمه ﴿ٱلۡكَرِيمِ﴾؛ لينبه على أنه لا ينبغي أن يقابل الكريم بالأفعال القبيحة وأعمال السوء».

في الحديثِ: «إنَّ النُّطفةَ إذا استقَّرت في الرَّحمِ أُحضِرَ كلُّ عِرقٍ بينَه وبينَ آدمَ»(١).

والجارُّ متعلِّقٌ بـ﴿رَكَّبَكَ﴾، أو بمحذوفٍ ومحلُّه نصبُ حالٍ؛ أي: ركَّبَكَ حاصلاً في بعضِ الصُّورِ، أو بـ(عدلك)، ويكونُ في ﴿أَيِّ﴾ معنى التَّعجُّبِ؛ أي: عدلَكَ في صورةٍ عجيبةٍ، ثمَّ قالَ: [ما] شاءَ ركَّبَكَ من التَّراكيبِ الحسنةِ.

قالُوا: و﴿مَّا﴾ زائدةٌ، وجوَّزَ الزَّجَّاجُ أن تكونَ ﴿مَّا﴾ بمعنى الشَّرطِ والجزاءِ، والمعنى: في أيِّ صورةٍ ما شاءَ أن يُركِّبَك فيها ركَّبَك(٢).

وهذا تعديدٌ لأنعُمه تعالى عليهم، ووعيدٌ إن لـم يُؤمنوا.

* * *

(٩ ـ ١٢) ـ ﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ (٩) وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ (١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ﴾ ردعٌ وزجرٌ عن الاغترارِ بكرمِ الكريمِ تعالى.

والاغترارُ: الدَّوامُ على المعاصي مع تَسويلِ النَّفسِ وتمنِّيها الدَّرجاتِ العُلى، والرَّجاءُ: ما قارنَه عملٌ، والتَّكذيبُ بالدِّينِ هوَ التَّكذيبُ بالإسلامِ، أو الدِّينُ الجزاءُ، احتمالان.

قُـرِئَ بالخطـابِ لـكلِّ القُرَّاءِ علـى إرادةِ خطـابِ المُكذِّبينَ من كفَّـارِ مكَّةَ، إلَّا

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٩/ ٢٩٠)، و«الأوسط» (١٦١٣)، و«الصغير» (١٠٦)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٨٢٣)، من حديث مالك بن الحويرث، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٣٤): «رواه الطبراني في الثلاثة، ورجاله ثقات». وجوَّد إسناده السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٤٣٩) وعزاه إلى الحكيم الترمذي والطبراني وابن مردويه والبيهقي.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٩٥).

أبا جعفرٍ قرأ بالغيبِ[1] على إرادةِ الإخبارِ عن حالِ المُكذِّبينَ.

﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾ رُقباءَ منَ الملائكةِ يَحفظونَ عليكم أعمالَكم.

﴿كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾؛ أي: كراماً على اللهِ كاتبينَ لأقوالِكم وأفعالِكم ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾.

عن الفُضيلِ أنَّه كانَ إذا قرأها يقولُ: ما أشدَّها من آيةٍ على الغافلينَ!

قالَ أبو عثمانَ: مَن لم تزجُرْه عن المعاصي والمآثمِ مُراقبةُ الله تعالى إيَّاه، ونظرُه إليه ومخافتُه، كيفَ يردعُه عنها الكرامُ الكاتبون؟

وفي تعظيمِ الكُتَّابِ مآلٌ إلى تعظيمِ الجزاءِ؛ ليتيقَّظَ المؤمنون، وينزجِرَ العاصون.

* * *

(١٣ ـ ١٩) ـ ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (١٣) وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ (١٤) يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ (١٥) وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ (١٦) وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (١٧) ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (١٨) يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾.

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (١٣) وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ رُويَ أنَّ سليمانَ بنَ عبدِ الملكِ قالَ لأبي حازمٍ المدنيِّ: ليتَ شعري! ما لنا عندَ اللهِ؟ فقالَ له: انظر عملَك في كتابِ اللهِ، فإنَّكَ تعلمُ ما لك عنده. قالَ: فأين أجدُه؟ قالَ: عند قولِه: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (١٣) وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾. قالَ سليمانُ: فأينَ رحمةُ اللهِ؟ قالَ: ﴿قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦][2].

---

(١) انظر: «النشر» (٢/ ٣٩٩).

(٢) رواه الدارمي في «مسنده» (٦٧٣)، والدينوري في «المجالسة» (٣٤٥٦)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ٢٣٤)، ضمن خبر طويل.

قالَ أكثرُ العلماءِ: النَّعيمُ: الجنَّةُ، والجحيمُ: جهنَّمُ، نعوذ باللهِ منها.

وقالَ جعفرٌ: النَّعيمُ: المعرفةُ والمشاهدةُ، والجحيمُ: النُّفوسُ، فإنَّ لها نيراناً تتَّقدُ.

أو: النَّعيمُ: القناعةُ، والجحيمُ: الطَّمعُ.

أو: النَّعيمُ: التَّوكُّلُ، والجحيمُ: الحرصُ.

﴿يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾؛ أي: يدخلونَها ويُقاسُون حرَّها، والمرادُ بيومِ الدِّينِ: يومُ الجزاءِ والحسابِ، وهوَ يومُ القيامةِ.

﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ﴾ [يجوزُ أن] يكونَ المرادُ: أنَّهم يُعذَّبونَ بالنّارِ إذا دخلُوها وما يغيبون عنها بعد ذلك، وهوَ كنايةٌ عن خلودِهم فيها، وأنَّهم ما غابوا عنها قبلَ ذلك، قالَ[1]: لأنَّهم كانُوا يُعذَّبون في قبورِهم.

ويجوزُ أن يكونَ المرادُ والمعنيُّ مِن قولِه: ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ﴾؛ أي: عن النّارِ إذا دخلوها بأن تذهبَ عقولُهم ويُغشَى عليهم لشدَّةِ ما هم فيه، فلا يُحسُّونَ ألمَها، فيكونون في حُكمِ الغائبين.

وجعلَ بعضُهم الضَّميرَ في ﴿عَنْهَا﴾ للقيامةِ، وهذا تحقيقٌ للبعثِ، وعامٌّ في الأبرارِ والكفَّارِ لا يَغيبونَ عنه.

قولُه تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾؛ أي: وما أعلمَك وإن اجتهدْتَ في طلبِ الدِّرايةِ به ﴿مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ تعجُّبٌ وتفخيمٌ لشأنِ ذلك اليومِ؛ أي: أيُّ شيءٍ هوَ وطُولُه وهَولُه وفظاعتُه وزلزالُه؟! والمعنى: أنَّ شدَّتَه لا تُعرَفُ حقيقةً، وكيفَما تصوَّرتَه فهوَ أشدُّ من ذلك.

---

(١) «قال» كذا في (أ)، ولم يبين القائل، أو أنها زيدت سهواً.

﴿ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ﴾ تأكيدٌ لِـمَا قبلَه، سيقَ لزيادةِ التَّهويلِ والتَّخويفِ، ثمَّ زادَ ذلك اليومَ وصفاً، وأجملَ فيه، فقال:

﴿يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗا﴾ قالَ مقاتلٌ: لا تملِكُ نفسٌ كافرةٌ شيئاً من المنفعةِ(١).

أو المعنى: لا يملكُ الأمرَ أحدٌ إلَّا اللهُ تعالى، ولم يملكْه أحدٌ يومَ القيامةِ كما ملكَه في الدُّنيا، ويؤيِّدُ هذا قولُه: ﴿وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ﴾؛ أي: يومَ إذ كانَ البعثُ للجزاءِ ﴿لِّلَّهِ﴾ لا لغيرِه.

قالَ الواسطيُّ: الأمرُ اليومَ ويومئذٍ ولم يزلْ ولا زالَ للهِ، ولكنَّ الغيبَ تحقيقُه لا يشاهدُه إلَّا الأكابرُ من الأولياءِ، وهذا خطابٌ للعوامِّ، إذا شاهدوا الغيبَ يتيقَّنونَ أنَّ الأمرَ كلَّه للهِ، وأمَّا أهلُ المعرفةِ فمُشاهدتُهم الأمرَ اليومَ كمُشاهدتِهم في الآخرةِ، لا تزيدُهم مشاهدةُ الغيبِ عياناً على مُشاهدتِهم له تصديقاً، كعامرِ بنِ عبدِ القيسِ القائلِ: «لو كُشِفَ الغطاءُ ما ازددتُ يقيناً»(٢)، فهوَ ملكُ الملوكِ، لا مُلكَ لأحدٍ معه من غنيٍّ ومملوكٍ.

* * *

---

(١) ذكره عنه الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٤٣٣)، وفي «تفسير مقاتل» (٤/ ٦١٤): «﴿يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ﴾ يعنى لا تقدر ﴿نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗا﴾ يعني من المنفعة».

(٢) ذكره عنه القشيري في «لطائف الإشارات» (١/ ٥٨)، وذكره الكلاباذي في «التعرف» (ص: ١٠٣)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ٢٠٢)، عن سهل بن عبد الله.

تفسيرُ سورةِ المطفِّفينَ

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) ـ ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾.

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ الويلُ: العذابُ، أو وادٍ في جهنَّمَ، وهوَ مبتدأٌ خبرُه ما بعدَه، وسوَّغَ الابتداءَ به كونُه دعاءً، والمطفِّفُ: المنقِصُ من الكيلِ والوزنِ القَدْرَ الطَّفيفَ، وهوَ الشَّيءُ اليسيرُ الحقيرُ، أُخِذَ من طفِّ الشَّيءِ، وهوَ جانبُه.

رُويَ أنَّ رسولَ اللهِ قرأها على أهلِ المدينةِ لـمَّا قدمَ عليهم، وكانوا أخبثَ النَّاسِ كَيلاً، فنزلَ ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾، فأحسَنوا الكيلَ[١].

ولـمَّا قرأها عليهم قالَ بعدَها: «خمسٌ بخمسٍ» قيلَ: يا رسولَ اللهِ، ما خمسٌ بخمسٍ؟! قالَ: «ما نقضَ قومٌ العهدَ إلَّا سلَّطَ عليهم عدوَّهم، وما حكمُوا بغيرِ ما أنزلَ اللهُ إلَّا فشا فيهم الفقرُ، وما ظهرَ فيهم الفاحشةُ إلَّا فشا فيهم الموتُ، ولا طفَّفُوا الكيلَ إلَّا مُنِعُوا النَّباتَ، ولا مَنعُوا الزَّكاةَ إلَّا حُبِسَ عنهم القَطرُ»[٢].

---

(١) رواه النسائي في «الكبرى» (١١٥٩٠)، وابن ماجه (٢٢٢٣)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٨٦)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. وصحح إسناده السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٤٤١).

(٢) رواه الطبراني في «الكبير» (١٠٩٩٢)، والثعلبي في «تفسيره» (٢٩/ ٣٧ ـ ٣٨)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ٦٥): فيه إسحاق بن عبد الله بن كيسان المروزي لينه الحاكم، وبقية رجاله موثقون وفيهم كلام.

وقال المنذري في «الترغيب والترهيب» (١/ ٣١٠): رواه الطبراني في «الكبير»، وسنده قريب من الحسن وله شواهد. =

وعن عليٍّ ـ رضي الله عنه ـ أنَّه مرَّ ببائعٍ [وهو يزنُ] الزعفرانَ، وقد أرجحَ فيه، فقالَ له: أقمِ الوزنَ بالقسطِ، ثمَّ أرجِحْ بعدَ ذلك ما شئتَ(١).

قالُوا: أمرَه أوَّلاً بالتَّسويةِ ليعتادَها، وينفصلَ الواجبُ من النَّفلِ.

وعن ابنِ عبَّاسٍ: إنَّكم معاشرَ الأعاجمِ وُلِّيتُم أمرين بهما هلكَ مَن كانَ قبلَكم: المكيالَ والميزانَ(٢). قالُوا: وخَصَّ الأعاجمَ لأنَّهم يجمعون الكيلَ والوزنَ جميعاً، وكانا مُتفرِّقَين، وكانَ أهلُ مكَّةَ يَزِنونَ، وأهلُ المدينةِ يَكيلونَ.

* * *

(٢) ـ ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ﴾ قالَ الفرَّاءُ: (مِن) و(على) يعتقبانِ هنا؛ لأنَّه حقٌّ واجبٌ، فإذا قلتَ: اكتلتُ عليكَ، فكأنَّكَ قلتَ: أخذتُ ما عليكَ، وإذا قلتَ: اكتلتُ منكَ، فكأنَّكَ قلتَ: استوفيتُ منكَ(٣).

= قلت: من هذه الشواهد ما رواه الحاكم في «المستدرك» (٢٥٧٧) وصححه من حديث بريدة رضي الله عنه.

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٩/ ٤٢) وما بين معكوفتين منه.

(٢) رواه بهذا اللفظ هناد في «الزهد» (٦٨١)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٦/ ٣٢)، من طريق كريب عن ابن عباس. ورواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٥٩٣) و(٢٢/ ١٧٨)، وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٥/ ٢٨٥)، جميعهم من طريق قتادة عن ابن عباس بلفظ: «يا معشر الموالي...».

وقد رواه الترمذي (١٢١٧) من طريق حسين بن قيس، عن عكرمةَ، عن ابن عباسٍ قال: قال رسول الله ﷺ لأصحاب المكيال والميزان: «إنكم قد وُلِّيتم أمرين هلكت فيه أممٌ سالفةٌ قَبْلكم». قال الترمذي: هذا حديث لا نعرفُه مرفوعًا إلا من حديث حسين بن قيس، وحسينُ بن قيس يُضعَّف في الحديث، وقد رُوي هذا بإسناد صحيحٍ عن ابن عباس موقوفًا.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٤٦).

وجوَّزَ بعضُهم تعليقَ ﴿عَلَى﴾ بـ﴿يَسْتَوْفُونَ﴾، وتقديمُ المفعولِ على الفعلِ لإفادةِ الخصوصيَّةِ؛ أي: يستوفونَ على النَّاسِ خاصَّةً، وأمَّا أنفسُهم فيَستوفون لها.

* * *

(٣) ـ ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾.

﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ﴾؛ أي: كالوا لهم أو وزنوا لهم، يُقالُ: كِلتُكَ طعامَك وكِلتُ لك، ووزنتُكَ حقَّكَ ووزنتُ لك، كنصحتُكَ ونصحتُ لك، أو على تقديرِ حذفِ مُضافٍ وإقامةِ المضافِ إليه مقامَه، والمضافُ هوَ المكيلُ والموزونُ.

وجوَّزَ عيسى بنُ عمرَ وحمزةُ أن يكونَ (هم) ضميراً مرفوعاً للمطففين، فيقفانِ على ما قبلَه، ثمَّ يَبتدِئان (هُمْ يُخسِرونَ)[1] يُنقِصونَ الكيلَ والوزنَ، يُقالُ: أخسَرَ الميزانَ وخَسَرَه.

ومُنِعَ هذا بأن قيلَ: إذا جعلتَ الضَّميرَ يعودُ إلى النَّاسِ كانَ المعنى: إذا أخذوا من النَّاسِ استوفَوا وإذا أعطوهم أخسرُوا، وإذا جعلتَ الضَّميرَ للمطففين كانَ المعنى: إذا تولَّوا الكيلَ والميزانَ هم على الخصوصِ أخسرُوا، وهوَ كلامٌ مُتباينٌ؛

(١) ذكرها عن عيسى بن عمر الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٨٧)، وأبو بكر الأنباري في «الوقف والابتداء» (١/ ٣٤٦)، والنحاس في «إعراب القرآن» (٥/ ١٠٨).
وذكرها عن حمزة أبو بكر الأنباري في «الوقف والابتداء» (١/ ٣٤٧)، وابن خالويه في «إعراب القراءات» (ص: ٤٩٨)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ٤٥٠)، وهي خلاف المشهور عنه، وجعلها ابن خالويه من رواية عيسى بن عمر عن حمزة.
قال في «النشر» (٢/ ١٥٤): وأما ﴿كَالُوهُمْ﴾ و﴿وَّزَنُوهُمْ﴾ فإنهما كتبتا في جميع المصاحف موصولين بدليل حذف الألف بعد الواو منهما. وقد اختلف في كون ضميرهم مرفوعا منفصلاً أو منصوباً متصلاً، والصحيح أنه منصوب.

لأنَّ الكلامَ في الفعلِ لا في المباشرةِ، ولَكُتِبَ (كالوا) و(وزنوا) بألفٍ كـ(قالُوا) و(جاؤوا) فرقاً بين ضميرِ المفردِ والجمعِ. قالُوا: واتَّفقَتِ المصاحفُ على إسقاطِ الألفِ. وفي هذا نظرٌ؛ لأنَّ جماعةً ممَّن يُعتمَدُ عليهم يحذفونَ الألفَ خطّاً يجعلونَ المعنى فارقاً بينهما.

ثمَّ عجَّبَ من حالِهم وأنكرَ اجتراءَهم على التَّطفيفِ بقولِه:

* * *

(٤ ـ ٦) ـ ﴿أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ۝٤ لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ ۝٥ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾.

﴿أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ﴾: يتيقَّنُ ويعلمُ الَّذينَ يفعلونَ التَّطفيفَ ﴿أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ۝٤ لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾؛ أي: يومِ القيامةِ، كأنَّهم لا يُخطِرونَ الجزاءَ ببالِهم.

أبو حفصٍ: مَن علمَ أنَّه مبعوثٌ ثمَّ لا يجتنبُ المعاصيَ والذُّنوبَ والمخالفاتِ أجمَعَ فقد أخبرَ عن سرِّه أنَّه غيرُ مؤمنٍ بالبعثِ والحسابِ[١].

ووصفَ يومَ القيامةِ بالعظمةِ تهويلاً لشأنِه، وتعظيماً للجزاءِ الواقعِ فيه على التَّطفيفِ وغيرِه.

﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾؛ أي: يقومُ النَّاسُ من قبورِهم لـمالكِ أمرِهم، والمعنى: يقومون لأمرِه وحسابِه وجزائِه لهم.

أخرجَ البخاريُّ وغيرُه عن عبدِ اللهِ بنِ عمرَ: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ: «يقومُ النَّاسُ لربِّ العالمين حتَّى يغيبَ أحدُهم في رَشحِه إلى أنصافِ أُذنيه»[٢].

---

(١) انظر: «تفسير السلمي» (٢/ ٣٨٠). وأبو حفص هو عمرو بن سلم الحداد؛ والأصح: عمرو بن سلمى، صحب ابن خضرويه البلخي وغيره، وهو أول من أظهر طريقة التصوف بنيسابور. مات سنة (٢٦٤هـ) على الصحيح، وقيل: (٢٦٥هـ). انظر: «طبقات الأولياء» لابن الملقن (ص: ٢٤٨).

(٢) رواه البخاري (٤٩٣٨)، ومسلم (٢٨٦٢).

وورِدَ: أنَّ منهم مَن يُلجِمُه العرقُ إلجاماً، ومنهم مَن يأخذُه إلى ركبتيه فأقلَّ وأكثرَ بحسبِ الأعمالِ(١).

* * *

(٧ ـ ١٣) ـ ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ۝٧ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ۝٨ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝٩ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ۝١١ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ﴾ ﴿كَلَّآ﴾ ردعٌ؛ أي: ليسَ الأمرُ على ما هم عليه فلْيَرتدِعُوا، وتمامُ الكلامِ هاهنا.

وقالَ الحسنُ: ابتداءٌ يتَّصلُ بما بعدَه على معنى: حقّاً إنَّ كتابَ الفجَّارِ الَّذي كُتِبَ فيه أعمالُهم لفي سجِّين(٢).

قالَ عبدُ اللهِ بنُ عمرٍو وقتادةُ ومجاهدٌ: ﴿سِجِّينٍ﴾ هيَ الأرضُ السَّابعةُ السُّفلى، فيها أرواحُ الكفَّارِ(٣).

وفي الحديثِ الشَّريفِ: «إنَّ سجِّينَ أسفلَ سبعِ أرضينَ، وعلِّيينَ في السَّماءِ السَّابعةِ تحتَ العرشِ»(٤).

---

(١) رواه مسلم (٢٨٦٤) من حديث المقداد بن الأسود رضي الله عنه، وفيه بعد ذكر دنو الشمس من الخلق: «فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق. فمنهم من يكون إلى كعبيه، ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يكون إلى حقويه، ومنهم من يلجمه العرق إلجامًا». قال وأشار رسول الله ﷺ بيده إلى فيه.

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (٢٩/ ٤٥)، و«البسيط» (٢٣/ ٣١٤).

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٥٣٥) عن قتادة، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٩٣ ـ ١٩٥) عن عبد الله بن عمرو وابن عباس رضي اللّٰه عنهم ومغيث بن سمي وكعب وقتادة ومجاهد والضحاك وابن زيد.

(٤) رواه بهذا اللفظ الثعلبي في «تفسيره» (٢٩/ ٤٦ و٦٧) مقطعاً عند تفسير كل من ﴿سِجِّينٍ﴾ =

وسجِّينٌ: اسمُ محلٍّ مفردٌ، وليسَ جمعاً، وهوَ محلُّ إبليسَ وجنودِه، أو هوَ الكتابُ الجامعُ لأعمالِ الشَّياطينِ والكفرةِ.

وقيلَ: هوَ فِعِّيلٌ من السَّجن؛ أي: لفي حَبسٍ ضيِّقٍ شديدٍ(١).

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سِجِّينٞ﴾؛ أي: لستَ تعلمُه أنت ولا قومُك، والمرادُ: ما كتابُ سجِّين؟ فعليه ﴿كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ﴾ ـ أي: مختومٌ ـ تفسيرٌ له، وعلى الأوَّلِ هوَ تفسيرٌ له أيضاً لكن على المجازِ من تسميةِ الحالِّ باسمِ المحلِّ، أو مَكتوبٌ كُتِبَ فيه ما هم عاملون، وما إليه صائِرون، كالرَّقمِ في الثَّوبِ لا ينمحِي حتَّى يتجاوزوا عنه.

قالَ قتادةُ: رُقِمَ بشرٍّ(٢)، كأنَّه أُعلِمَ بعلامةٍ يُفرَّقُ بها أنَّه كافرٌ.

﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ﴾ زعمَ بعضُهم: أنَّ هـذا متعلِّقٌ بقولِه: ﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾، وما بينهما اعتراضٌ، ثمَّ نعتَهم فقال:

﴿ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ صفةٌ مخصِّصةٌ أو موضِّحةٌ أو ذامَّةٌ؛ أي: الجزاءِ، أو بدلٌ أو بيانٌ للمُكذِّبينَ، ثمَّ أخبرَ عن صفةِ مَن يكذِّبُ بيومِ الدِّينِ بقولِه تعالى:

﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ﴾؛ أي: والحالُ أنَّه ما يُكذِّبُ بذلك اليومِ ﴿إِلَّا كُلُّ مُعۡتَدٍ﴾؛ أي: مُتجاوِزٍ عن النَّظرِ غالٍ في التَّقليدِ حتَّى استقصَرَ قدرةَ الله تعالى وعلمَه، فاستحالَ منه الإعادةَ.

= و﴿عِلِّيِّينَ﴾ من حديث البراء رضي الله عنه، وإسناده ضعيف جدًّا فيه المسيب بن شريك وهو متروك. لكن ورد معناه فيما رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٨٥٣٤)، والحاكم في «المستدرك» (١٠٧)، من حديث البراء مطولاً بإسناد صحيح.

(١) نقل القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ١٤١) هنا عن أبي نصر القشيري قوله: «سجين: موضع في السافلين، يدفن فيه كتاب هؤلاء فلا يظهر بل يكون في ذلك الموضع كالمسجون. وهذا دليل على خبث أعمالهم، وتحقير الله إياها، ولهذا قال في كتاب الأبرار: ﴿يَشۡهَدُهُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٩٨).

ثمَّ ذكر الصِّفة الثَّانية بقولِه: ﴿أَثِيمٍ﴾؛ أي: فاجرٍ ظلومٍ، أو مُنهمكٍ في الشَّهواتِ، أو هيَ صفةُ مبالغةٍ من الإثمِ.

﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا﴾ هيَ القرآنُ ﴿قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾؛ أي: أكاذيبُهم، أو حكاياتُهم المسطَّرةُ قديماً، جمعُ أُسطورةٍ بالضَّمِّ، وإِسطارةٍ بالكسرِ.

* * *

(١٤) ـ ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾.

﴿كَلَّا﴾ ردعٌ وزجرٌ عن قولِهم الباطلَ ﴿بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم﴾؛ أي: غلبَ وغشَّاها ﴿مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ من المعاصي، فاسودَّت فلا تقبلُ الخيرَ ألبتَّةَ.

روى أبو هُريرةَ: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ: «إنَّ المؤمنَ إذا أذنَبَ كانَت نكتةٌ سوداءُ في قلبِه، فإن تابَ ونزعَ واستغفرَ صُقِلَ قلبُه منها، وإن زادَ زادَت حتَّى تعلوَ قلبَه، فذلكمُ الرَّانُ الَّذي ذكرَه اللهُ في كتابِه»(١).

وقالَ أبو معاذٍ: الرَّينُ: أن يسودَّ القلبُ من الذُّنوبِ، والطَّبعُ: أن يُطبَعَ على القلبِ، وهوَ أشدُّ من الرَّينِ، والإقفالُ أشدُّ من الطَّبعِ، وهوَ أن يُقفَلَ على القلبِ، قالَ تعالى: ﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤](٢).

وقالَ الحسنُ: هوَ الذَّنبُ على الذَّنبِ، حتَّى يُحيطَ الذَّنبُ بالقلبِ ويَغشَى(٣).

* * *

---

(١) رواه الترمذي (٣٣٣٤)، وابن ماجه (٤٢٤٤). وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٢) ذكره الأزهري في «تهذيب اللغة» (١٥/ ١٦٢)، والواحدي في «البسيط» (٢٣/ ٣٢٤).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٠١)، وعبد بن حميد كما في «الدر المنثور» (٨/ ٤٤٧).

(١٥) ـ ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ﴾ ﴿كَلَّآ﴾ ردعٌ عن الكسبِ الرَّائنِ على قلوبِهم. وقيلَ: بمعنى: حقّاً، كما مرَّ.

وفي الآيةِ دليلٌ على أنَّ غيرَهم يَراه ولا يُحجَبُ عنه، وقد ثبتَ ذلك في الأحاديثِ الصَّحيحة(١).

قالَ الحسنُ: لو علمَ الزَّاهدونَ والعابدونَ أنَّهم لا يرونَ ربَّهم في المعادِ لذهبَت أنفسُهم، وزهقَت أرواحُهم في الدُّنيا(٢).

وعن ابنِ عبَّاسٍ وقتادةَ: محجوبونَ عن رحمتِه.

وعن ابنِ كيسانَ: عن كرامتِه(٣).

---

(١) منها ما جاء في الصحيحين: «صحيح البخاري» (كتاب التوحيد) باب (٢٤): قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ﴾ [القيامة: ٢٢]، و«صحيح مسلم» (كتاب الإيمان) باب (٨٠): إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى. وباب (٨١): معرفة طريق الرؤية.

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٩/ ٦٤). وذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٤٤٦)، وأبو حفص النسفي في «التيسير» (١٥/ ٢٥٦).

(٣) ذكره عنهم الزمخشري في «الكشاف» عند هذه الآية ليصرف معناها إلى مذهبه الاعتزالي القائل بمنع الرؤية، ولم نجد هذه الأقوال عند غيره، بل ورد عن ابن عباس خلافه، فقد ذكر عنه ابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٤١٦) قوله: «إنهم عن النظر إلى ربهم يومئذ لمحجوبون، والمؤمن لا يحجب عن رؤيته».

وقد سُئل مالك بن أنس عن هذه الآية فقال: لمَّا حجبَ أعداءَه فلم يرَوْه تجلَّى لأوليائِه حتى رأوه.

وقال الشافعي: لما حجب قوماً بالسُّخْطِ دل على أن قوماً يرونه بالرِّضى.

قال ابن كثير رحمه الله: وهذا الذي قاله الإمام الشافعي رحمه الله في غاية الحسن، وهو استدلال بمفهوم الآية، كما دلّ عليه منطوق قوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ إِلى رَبِّها ناظِرَةٌ﴾ وكما دلت على =

(١٦ ـ ١٧) ـ ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ۝١٦ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾.

﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ﴾؛ أي: لداخِلو النّارِ المحرقةِ ليَصلَوها.

﴿ثُمَّ يُقَالُ﴾؛ أي: تقولُ لهم الملائكةُ؛ أي: ملائكةُ العذابِ، وهم الزَّبانيةُ: ﴿هَٰذَا﴾ العذابُ ﴿الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾؛ أي: في دارِ الدُّنيا.

* * *

(١٨ ـ ٢١) ـ ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ۝١٨ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ۝١٩ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ۝٢٠ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ فـ﴿كَلَّا﴾ ردعٌ عن التَّكذيبِ. وقيلَ: معناها: حقّاً، كما مرَّ، قالَ بعضُهم: ويجوزُ أن تكونَ بمعنى: ألَا.

قالَ مقاتلٌ: معناه: لا يؤمن بالعذابِ الَّذي يصلاه، ثمَّ يُبتدأ بقولِه: ﴿إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ﴾؛ أي: كتبَ أعمالِ المؤمنين ﴿لَفِي عِلِّيِّينَ﴾[(١)].

﴿عِلِّيِّينَ﴾: هوَ اسمُ علمٍ مفردٌ منقولٌ عن فِعِّيلٍ من العلوِّ، كسِجِّين فِعِّيلٍ من السجنِ، كما تقدَّمَ.

قالَ الفرَّاءُ: هوَ اسمٌ موضوعٌ على صيغةِ الجمعِ لا واحدَ له من لفظِه كعشرون[(٢)].

= ذلك الأحاديث الصحاح المتواترة في رؤية المؤمنين ربهم عز وجل في الدار الآخرة رؤية بالأبصار في عرصات القيامة، وفي روضات الجنان الفاخرة.

انظر: «تفسير الثعلبي» (٢٩/ ٦٣ ـ ٦٥)، و«البسيط» للواحدي (٢٣/ ٣٢٧)، و«تفسير البغوي» (٨/ ٣٦٦)، و«زاد المسير» (٤/ ٤١٦)، و«تفسير ابن كثير» عند هذه الآية.

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٦٢٣ ـ ٦٢٤)، وفيه: «ثم أوعدهم فقال: ﴿كَلَّا﴾ ثم انقطع الكلام، ثم رجع إلى قوله في: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ فقال: ﴿إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾...».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٤٧).

أو اسمٌ للملائكةِ، فلذلك جُمِعَ جمعَ العقلاءِ.

وهوَ في السَّماءِ السَّابعةِ تحتَ العرشِ.

وقالَ ابنُ عبَّاسٍ: هوَ لوحٌ من زبرجدةٍ خضراءَ مُعلَّقٌ تحتَ العرشِ أعمالُهم مكتوبةٌ فيه(١)، تكرمةً لهم وتشريفاً وإيذاناً بارتفاعِ قَدْرِهم عندَ ربِّهم.

أو هوَ سدرةُ المنتهى، أو قائمةُ العرشِ اليُمنى، أو الجنَّةُ، أو هوَ علوٌّ وصعودٌ.

قالَ الفرَّاءُ: ارتفاعٌ بعدَ ارتفاعٍ(٢). المعنى: إنَّ كُتبَ أعمالِهم مرتفعةُ المحلِّ والقَدْرِ لارتفاعِ قَدْرِهم.

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ﴾ استفهامُ تعظيمٍ وتفخيمٍ لشأنِه؛ أي: وما يُعْلِمُك ما كتابُ علِّيين؟

﴿كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ﴾(٣)؛ أي: مرقومٌ فيه أنَّ فلاناً أمِنَ من النَّارِ، فما أجلَّه مِن رَقْمٍ وما أحسنَه! وما أبهاه وما أجملَه! وليسَ هوَ بتفسيرٍ لـ﴿عِلِّيِّينَ﴾، وإنَّما هوَ تفسيرٌ لـ﴿كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ﴾ من جهةِ المعنى؛ [أي](٤): أيَّ كتابٍ هوَ؟

ثمَّ زادَ كتابَهم تشريفاً بقولِه:

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٩/ ٦٧)، والواحدي في «البسيط» (٢٣/ ٣٣٤).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٤٧).

(٣) ذكر القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ١٤٩) هنا عن الإمام أبي نصر القشيري: «وقيل: إن ﴿كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ﴾ ليس تفسيراً لـ﴿عِلِّيِّينَ﴾، بل تم الكلام عند قوله: (عليون) ثم ابتدأ وقال: ﴿كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ﴾؛ أي: كتاب الأبرار كتاب مرقوم، ولهذا عكس الرقم في كتاب الفجار».

(٤) زيادة يقتضيها السياق.

﴿يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ منَ الملائكةِ تشريفاً لهم، وهم الكروبيُّون؛ أي: يَحضرونَه ويشهدونَ على ما فيه يومَ القيامةِ.

* * *

(٢٢ ـ ٢٨) ـ ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ﴾؛ أي: الجنَّةِ.

﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾؛ أي: الأسرَّةِ في الحِجَالِ، ولا تُسمَّى أريكةً إلَّا إذا كانَت كذلكَ، والحِجالُ ـ بالكسرِ ـ: بيتٌ مزيَّنٌ بالثِّيابِ والسُّتورِ والأسرَّةِ.

﴿يَنظُرُونَ﴾ إلى ما شاؤوا مدَّ أعينِهم إليه من مناظرِ الجنَّةِ، وإلى ما أولاهم اللهُ تعالى من النِّعمةِ والكرامةِ، وإلى أعدائِهم يُعذَّبون في النَّارِ، وما تَحجبُ الحجالُ أبصارَهم عن الإدراكِ.

وقالَ الرَّازيُّ: ينظرونَ إلى ربِّهم بدليلِ قولِه تعالى: ﴿تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ﴾[1]؛ أي: إذا رأيتَهم عرفتَ أنَّهم من أهلِ التَّنعُّمِ لِـمَا يُرى من نَضارةِ وجوهِهم؛ أي: من حُسنِهم وبهجتِهم ونورِهم ورَونقِهم.

قالَ الحسنُ: النَّضرةُ: النُّورُ في الوجهِ والسُّرورُ في القلبِ[2].

---

(١) انظر: «التفسير الكبير» للرازي (٣١/ ٩١).

(٢) علقه البخاري بعد حديث (٣٢٣٩)، ووصله عنه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥٥٠)، وعبد بن حميد كما في «تغليق التعليق» (٣/ ٤٩٨) لكن في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ [الإنسان: ١١].

وقُرِئَ: ﴿تُعرَفُ﴾ مجهولاً، ورَفْع ﴿نضرةُ﴾ مفعول المجهولِ(١).

فبعدَ استقرارِهم في الجنَّةِ وأمنِهم وإضاءةِ وجوهِهم واستبشارِهم: ﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ﴾؛ أي: خمرٍ خالصةٍ من الغشِّ، أو بيضاءَ، أو عتيقةٍ، أو مِن عينٍ في الجنَّةِ مشوبةٍ بالمسكِ، أو من شرابٍ لا غشَّ فيه ﴿مَّخْتُومٍ﴾ ممزوجٍ بالكافورِ، أو مختومٍ على إنائِه.

أو ﴿مَّخْتُومٍ﴾: له ختامٌ، ثمَّ بيَّنَ الختامَ فقال:

﴿خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ﴾ قرأ الكسائيُّ بألفٍ قبلَ التَّاءِ وفتحِ التَّاءِ والخاءِ(٢)؛ أي: آخِرُه، كقولِه: ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، المعنى: أنَّ آخرَه إذا شُرِبَ لذيذٌ زائدُ الرَّائحةِ طيِّبُها، وإذا كانَ آخرُه كذلكَ فما ظنُّك بأوَّلِه؛ لأنَّ أوَّلَ الشَّرابِ ألذُّ من آخرِه، وهوَ إلى النَّفسِ أشهى.

ومَن بقيَ: بكسرِ الخاءِ وألفٍ بعدَ التَّاءِ: اسمٌ لِـمَا يُختَم به، وكأنَّه مختومٌ بالمسكِ.

أو الخِتامُ والخَاتَمُ واحدٌ، وهوَ آخرُ الشَّيءِ، ويُقالُ لها أيضاً: خَاتَامٌ وخَيتامٌ.

والمعنى: إنَّ شرابَ الأبرارِ ألذُّ شيءٍ وأطيبُه.

﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾؛ أي: فلْيرغَبِ الرَّاغبون، وليتسابَقِ المتسابقونَ بالمبادرةِ إلى طاعةِ اللهِ والدَّوامِ عليها، وأصلُه: من الشَّيءِ النَّفيسِ الَّذي تحرصُ عليه النُّفوسُ وتريدُه لنفاستِه، وتتنفَّسُ الصُّعداءَ على مفارقتِه.

---

(١) قرأ بها أبو جعفر ويعقوب. انظر: «النشر» (٢/ ٣٩٧).

(٢) أي: ﴿خَاتَمُهُ﴾، والباقون: ﴿ختامه﴾. انظر: «السبعة» (ص: ٦٧٦)، و«التيسير» (ص: ٢٢١).

وذكر ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ٤٥٣) القراءة بفتح التاء وبكسرها كلاهما عن الكسائي وعلي بن أبي طالب والضحاك والنخعي.

قَالَ ذو النُّونِ: علامةُ التنافُسِ فيه: تعلُّقُ القلبِ به، وطيرانُ الضَّميرِ إليه، والحركةُ عند ذِكرِه، والهربُ من النَّاسِ، والأنسُ بالوحدةِ، والبكاءُ على ما سلَفَ، وحلاوةُ سماعِ الذِّكرِ والتَّدبُّرِ في كلامِ الرَّحمنِ، وتلقِّي النِّعمِ بالفرحِ والشُّكرِ، والتَّعرُّضُ للمُناجاةِ.

﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ﴾؛ أي: ما يُمزَجُ به من ﴿تَسْنِيمٍ﴾ هيَ عينٌ في الجنَّةِ، سُمِّيَت بذلك لأنَّها أعلى عينٍ في الجنَّةِ، من سَنَمَه: إذا رفَعَه، أو العلوُّ معنويٌّ بمعنى: أشرفِ عيونِ الجنَّةِ، أو لأنَّها تأتيهم من العلوِّ، وتجري في الهواءِ، ثمَّ تنصبُّ في أواني أهلِ الجنَّةِ على مقدارِ الحاجةِ، فإذا امتلأت أمسكَت.

﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾؛ أي: يشربُ منها، أو الباءُ للسَّببيةِ، والمعنى: بسببِها على طريقةِ المزجِ منها.

قَالَ ابنُ عبَّاسٍ: هوَ خالصٌ للمُقرَّبين يشربونها صرفاً، وتُمزَجُ لسائرِ أهلِ الجنَّةِ(١).

قالَ بعضُهم: لأنَّه ليسَ مَنِ احتَمَلَ حَملَ الصَّفاتِ قَوِيَ على مشاهدةِ الذَّاتِ، ويشربُها المقرَّبونَ لحملِهم الصِّفاتِ والذَّاتِ جميعاً.

وقالَ الواسطيُّ: يشربُ بها المقرَّبونَ صرفاً على مشاهدةِ محبوبِهم.

وقالَ بعضُهم: يشربُ بها المقرَّبونَ على بساطِ القُربِ في مجلسِ الأُنسِ ورياضِ القُدسِ بكأسِ الرِّضا على مشاهدةِ الحقِّ تعالى.

* * *

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٥٤٢)، وسعيد بن منصور في «سننه ـ التفسير» (٢٤٢٥)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٢٢).

(٢٩ ـ ٣٦) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُواْ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضْحَكُونَ﴾ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: هم فقراءُ الصَّحابةِ، وهم عمَّارٌ وخبَّابٌ وصهيبٌ وبلالٌ وأصحابُهم، والمجرمون: أبو جهلٍ والوليدُ بنُ المغيرةِ والعاصُ بنُ وائلٍ وأصحابُهم، كانُوا يسخرون ويستهزئون كلَّما رأوهم، وإذا رجعُوا إلى أصحابِهم من كفَّارِ قريشٍ قالُوا لهم: رأينا فلاناً وفلاناً من أصحابِ محمَّدٍ واستهزأنا بهم. وكانَ ذلك منهم سُخريةً واحتقاراً[1].

﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ﴾؛ أي: المؤمنون؛ أي: اجتازَ المؤمنونَ بالمشركينِ ﴿يَتَغَامَزُونَ﴾ يشيرونَ إلى المؤمنينَ بالأعينِ والحواجبِ. وقيلَ: يغمزُ بعضُهم بعضاً.

قيلَ: جاءَ عليُّ بنُ أبي طالبٍ في نفرٍ من المسلمينَ، فسخِرَ منهم المنافقون وضحكُوا وتغامزُوا، ثمَّ رجعُوا إلى أصحابِهم فقالُوا: رأينا اليومَ الأصلعَ، وضحكُوا منه، فنزلَت قبلَ أن يصلَ عليٌّ إلى النَّبيِّ ﷺ[2].

﴿وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ﴾؛ أي: المجرمون رجعُوا برغبةٍ في الرُّجوعِ ﴿ٱنقَلَبُواْ﴾ حالةَ كونِهم ﴿فَاكِهِينَ﴾ مُعجَبينَ فَرِحينَ بما هم فيه. قرأ حفصٌ بغير ألف[3] بمعنى: فَرِحين.

وقيلَ: ﴿فَاكِهِينَ﴾: ناعمين. وقيلَ: أصحابَ فاكهةٍ ومِزاحٍ.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٩/ ٨٥) دون سند ولا راو.

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (٢٩/ ٨٦) عن الكلبي ومقاتل. وهو في «تفسير مقاتل» (٤/ ٦٢٥).

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٦٧٦)، و«التيسير» (ص: ٢٢١).

﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ﴾؛ أي: رأى الكافرونَ المؤمنينَ ﴿قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾؛ أي: المؤمنين ﴿لَضَآلُّونَ﴾ بإتيانِهم محمَّداً وإيمانِهم به.

﴿وَمَآ أُرۡسِلُواْ﴾؛ أي: الكافرون ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾: على المؤمنين ﴿حَٰفِظِينَ﴾ لهم ولأعمالِهم حتَّى يَردُّوهم إلى مصالِحهم، والمعنى: لـم يُوكَّلُوا بحفظِ أعمالِهم عليهم فيشهدونَ برُشدِهم وضلالِهم، وهوَ من قَبيلِ التَّهكُّمِ بهم.

وقيلَ: هوَ مِن جملةِ قولِ الكفَّارِ، وأنَّهم إذا رأوا المسلمين قالُوا: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ﴾، وأنَّهم لـم يُرسَلوا عليهم حافظين؛ إنكاراً لصدِّهم إيَّاهم عن الشِّركِ، ودعائِهم إلى الإسلامِ، وجِدِّهم في ذلك.

﴿فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ﴾ حينَ يرونَهم أذلَّاءَ مَغلولينَ في النّارِ.

وقيلَ: تُفتحُ للكفَّارِ أبوابُ النّارِ، ويُقالُ لهم: اخرجُوا منها، فإذا رأوها مفتوحةً أقبلوا إليها ليخرجُوا والمؤمنون ينظرون إليهم، فإذا انتهَوا إلى أبوابِها غُلِّقَت، ويُفعَلُ ذلك بهم مِراراً والمؤمنون يضحكونَ منهم.

وقيلَ: يُفتَحُ لهم بابٌ إلى الجنَّةِ، فيُقالُ لهم: اخرجُوا إليها، فإذا وصلُوا، غُلِّقَ دونَهم، فيضحكُ المؤمنون منهم.

﴿عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾ إلى أهلِ النّارِ، وما يُفعَلُ بهم، فيضحكونَ منهم ثـمَّ كما ضحكُوا منهم في الدُّنيا.

﴿هَلۡ ثُوِّبَ ٱلۡكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ ثوَّبَه وأثابَه: جازاه، والمعنى: هل جُوزِيَ الكفَّارُ جزاءَ استهزائِهم بالمؤمنين؟ وهذا استفهامُ تبكيتٍ وتقريرٍ، فيُقالُ: إيْ نَعَم.

* * *

تفسيرُ سورةِ الانشقاقِ

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١ ـ ٢) ـ ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ۝١ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ﴾.

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ﴾؛ أي: انصدعَت بالغمامِ، كقولِه: ﴿وَيَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلۡغَمَٰمِ﴾ [الفرقان: ٢٥].

قالَ عليٌّ: تنشقُّ من المجرَّةِ[(١)].

قالُوا: وانشقاقُها من علاماتِ السَّاعةِ.

﴿وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ﴾؛ أي: سمعَت وأطاعَت في انشقاقِها، وحُقَّ لها؛ أي: وجَبَ لها أن تسمعَ وتُطيعَ خالقَها، من حَقَّ الشَّيءُ: وَجَبَ، وحَقَّ بكذا، فهوَ محقوقٌ وحَقيقٌ.

***

(٣ ـ ٥) ـ ﴿وَإِذَا ٱلۡأَرۡضُ مُدَّتۡ ۝٣ وَأَلۡقَتۡ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتۡ ۝٤ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ﴾.

﴿وَإِذَا ٱلۡأَرۡضُ مُدَّتۡ﴾ زِيدَ في سعتِها كما يُمدُّ الأديمُ، وهوَ الجلدُ، ولم يبقَ عليها شاخصٌ.

قالَ مقاتلٌ: سُوِّيَت، فلم يَبقَ فيها بناءٌ ولا جبلٌ إلَّا دخلَ فيها[(٢)]، كقولِه: ﴿فَيَذَرُهَا قَاعٗا صَفۡصَفٗا ۝١٠٦ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجٗا وَلَآ أَمۡتٗا﴾ [طه: ١٠٦ ـ ١٠٧].

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤١١).

(٢) ذكره عنه الواحدي في «البسيط» (٢٣/ ٣٥٥)، والبغوي في «تفسيره» (٨/ ٣٧١)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٤١٩).

قالَ بعضُهم: أو ﴿مُدَّتۡ﴾: كُشِفَت عن الموتى لتَخرُجَ.

﴿وَأَلۡقَتۡ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتۡ﴾؛ أي: رمَت ما هوَ مدفونٌ فيها من الكنوزِ والموتى، كقولِه: ﴿وَأَخۡرَجَتِ ٱلۡأَرۡضُ أَثۡقَالَهَا﴾ [الزلزلة: ٢]، وتخلَّت عنه إلى ظاهرِها، وكأنَّها بالغَت في إخراجِ ما فيها بحيث لم تَدَعْ شيئاً في بطنِها، كما يُقالُ: تكرَّمَ فلانٌ؛ إذا بالغَ في الكرمِ.

﴿وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا﴾ في إلقاءِ ما فيها والتَّخلِّي عنه، وهوَ كما قبلَه، وذُكِرَ مرَّتين لأنَّ الأوَّلَ متَّصلٌ بالسَّماءِ والثَّاني بالأرضِ، وذلك كلُّه في يومِ القيامةِ.

وجوابُ ﴿إذا﴾ وما عُطِفَ عليها محذوفٌ تقديرُه: لَقِيَ الإنسانُ عملَه، ودلَّ عليه ما بعدَ ذلك، والتَّقديرُ: بُعِثتُم، أو: جُوزِيتُم، أو: لقيَ كلُّ إنسانٍ كدحَه، أو ﴿عَلِمَتۡ نَفۡسٌ مَّآ أَحۡضَرَتۡ﴾ [التكوير: ١٤]، أو ﴿عَلِمَتۡ نَفۡسٌ مَّا قَدَّمَتۡ وَأَخَّرَتۡ﴾ [الانفطار: ٥].

وقيلَ: الجوابُ مذكورٌ، وهوَ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ بتقديرِ الفاءِ، أو بتقديرِ: يُقالُ، أو هوَ (مُلاقيه)؛ أي: [إذا انشقت السماء] فأنتَ مُلاقيه[١].

وإن جُعِلَت ﴿إذا﴾ غيرَ شرطيَّةٍ فلا جوابَ لها، وهي منصوبةٌ بـ(اذكرْ) مُقدَّرةً.

***

(٦) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ﴾.

قولُه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا﴾؛ أي: ساعٍ إليه في عملِكَ، والكَدحُ: عملُ الإنسانِ وجهدُه في الأمرِ من الخيرِ والشَّرِّ حتَّى يكدَحَ ذلك فيه؛ أي: يُؤثِّرَ.

وقالَ قتادةُ والضَّحَّاكُ: عاملٌ لربِّكَ عملاً[٢].

---

(١) انظر: «البحر المحيط» (٢١/ ٢٨٤) وما بين معكوفتين منه، ونسب هذا القول للمبرد والأخفش.

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٥٤٥)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٣٦)، عن قتادة، ورواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٥٤٩٨) عن الضحاك.

﴿فَمُلَٰقِيهِ﴾؛ أي: مُلاقي جزاءَ عملِكَ خيراً كانَ أو شرّاً، أو في الكلامِ تقديمٌ وتأخيرٌ تقديرُه: يا أيُّها الإنسانُ إنَّك كادحٌ إلى ربِّكَ كدحاً فملاقيه إذا السَّماءُ انشقَّت.

***

(٧ ـ ٩) ـ ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا﴾.

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ﴾ الَّذي فيه أعمالُه ﴿بِيَمِينِهِۦ ٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ سهلاً، هوَ عَرضُ عملِه عليه، كما ثبَتَ في الصَّحيحينِ، وحديثُها: «مَن نُوقِشَ يَهْلِكْ»[1] والمناقشةُ: السُّؤالُ عن كلِّ شيءٍ.

وأمَّا المؤمنُ فبعدَ العَرضِ يُتجاوَزُ عنه ﴿وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا﴾؛ أي: إلى الجنَّةِ وما له فيها من الحورِ العِينِ والآدميَّاتِ، أو: إلى عشيرتِه إن كانُوا مؤمنين، أو: إلى جماعةِ المؤمنين ﴿مَسْرُورًا﴾ بما أُوتِيَ منَ الخيرِ والكرامةِ مِن تحقيقِ ميعادِ اللِّقاءِ، وبإنزالِه في منازلِ الأولياءِ والصَّادقينِ، وبشفاعتِه فيمَن تعلَّقَ به قلبُه.

***

(١٠ ـ ١٥) ـ ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ١٠ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ١١ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ١٢ إِنَّهُۥ كَانَ فِيٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ١٣ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ١٤ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا﴾.

قولُه تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ﴾؛ أي: بأن تُغَلَّ يُمناه إلى عُنقِه، وتُجعَلَ شمالُه وراءَ ظهرِه، فيُؤتى كتابَه بشمالِه من وراءِ ظهرِه، أو تُخلعُ يدُه اليُسرى من وراءِ ظهرِه فيأخُذُ بها كتابَه، فإذا عايَنَ ما فيه ﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا۟﴾ عندَ رؤيتِه أو عند ذلك

---

(١) رواه البخاري (١٠٣)، ومسلم (٢٨٧٦)، من حديث عائشة رضي الله عنها، وفيه: أن النبي ﷺ قال: «من حوسب عذب»، قالت عائشة: فقلت: أوليس يقول الله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ فقال: «إنما ذلك العرض، ولكن من نوقش الحساب يهلك».

﴿ثُبُورًا﴾؛ أي: يُنادي هلاكَه، بمعنى: أنَّه يقولُ: واثُبوراهُ، أو يقولُ: واويلاهُ، والثُّبورُ: الهلاكُ، وكذلكَ الويلُ.

﴿وَيَصۡلَىٰ سَعِيرًا﴾ بفتحِ الياءِ وإسكانِ الصَّادِ مخفَّفاً؛ أي: يَدخُلَ هوَ النّارَ، وهي قراءةُ حمزةَ وعاصمٍ، ومَن بقيَ بضمِّ الياءِ وفتحِ الصَّادِ مُشدَّداً(١)؛ أي: يُدخلُه غيرُه.

ثمَّ علَّلَ ذلك مُستأنِفاً فقال: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فِيٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورًا﴾؛ أي: عشيرتِه وولدِه في الدُّنيا بَطِراً بركوبِ هواه واتِّباعِ شهواتِه.

ثمَّ علَّلَ سرورَه فقالَ: ﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾: لن يَرجِعَ إلى الآخرةِ تكذيباً بالبعثِ.

قالَ ابنُ عبَّاسٍ: ما كنتُ أدري معنى ﴿يَحُورَ﴾ حتَّى سمعتُ أعرابيَّةً تقولُ لبُنيَّةٍ: حُورِي؛ أي: ارجعي(٢).

ويُقالُ: لا يَحورُ ولا يَحولُ؛ أي: لا يَرجِعُ ولا يتغيَّرُ.

أبو حاتمٍ يقفُ على ﴿بَلَىٰٓ﴾، وغيرُه يقفُ على ﴿يَحُورَ﴾، والوجهانِ جيِّدان، ثمَّ يَبتدِئُ: ﴿بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا﴾(٣): لا يفوتُه شيءٌ من أعمالِه منذ خَلقِه إلى يومِ بَعثِه.

ونزلَتِ الآيتانِ في أبي سلمةَ بنِ عبدِ الأشدِّ وأخيه الأسودِ بنِ عبدِ الأشدِّ(٤).

---

(١) قرأ أبو عمرو وعاصم وحمزة: ﴿وَيَصۡلَىٰ﴾ خفيفةً؛ والباقون بالتَّشديد. انظر: «السبعة» (ص: ٦٧٧)، و«التيسير» (ص: ٢٢١). ووقع في (أ): «ومن بقي بفتحِ الياءِ وإسكانِ الصَّادِ مخففا» وفيه تكرار، والتصويب من كتب القراءات.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٩/ ١١٠).

(٣) انظر: «القطع والائتناف» للنحاس (ص: ٧٩٧)، وفيه: «ولم يذكر نافع فيها تماماً إلا ﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ١٤ بَلَىٰٓ﴾ والتمام عند غيره ﴿إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا﴾».

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٦٣٤). والذي في المصادر: «الأسد» بالسين والدال المخففة، وهو أبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال القُرشي، ابن عمة النبي ﷺ، وكان زوجَ أُم سلمة قبل النبي ﷺ.

(١٦ ـ ١٩) ـ ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ ١٦ وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ١٧ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ١٨ لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ﴾.

قولُه تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ﴾ هوَ الحُمرةُ الَّتي تبقَى في الأفقِ بعدَ غروبِ الشَّمسِ، وبسقوطِه يدخلُ وقتُ العشاءِ عندَ عامَّةِ الفقهاءِ، أو هوَ البياضُ الَّذي يكونُ بعدَه، وسُمِّيَ شفقاً لرِقَّتِه، ومنه: الشَّفقةُ، وهي رقَّةُ القلبِ.

وقيلَ: هوَ النَّهارُ كلُّه، أو ما بقيَ من النَّهارِ.

﴿وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ﴾؛ أي: ضَمَّ وجَمعَ[1]، وَسَقَه فاتَّسَقَ واسْتَوسَقَ: اجْتَمَعَ، ووَسَقَ: عَلَا، المعنى: أنَّه أقسمَ باللَّيلِ وجميعِ ما فيه، وجنَّه اللَّيلُ، وعَلا عليه من سهلٍ أو جبلٍ، وحجرٍ وشجرٍ، وغيرِ ذلك.

﴿وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ﴾ اجتمَعَ واستوَى وتمَّ نورُه، وذلك أيَّامَ البِيضِ.

قالَ قتادةُ: استدارَ[2].

﴿لتَركَبَنَّ﴾ بفتحِ الباءِ خطاباً للإنسانِ في قولِه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ﴾، أو هوَ خطابٌ للنَّبيِّ ﷺ، ومَن بقيَ بضمِّ التَّاءِ خطاباً للجنسِ[3]؛ لأنَّ النِّداءَ للجنسِ.

---

(١) نقل القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ٢٧٧) عن يمان والضحاك ومقاتل بن سليمان: حمل من الظلمة. وعن مقاتل: أو حمل من الكواكب.

ثم نقل عن أبي نصر القشيري قوله: «ومعنى حمل: ضم وجمع، والليل يجلل بظلمته كل شي، فإذا جللها فقد وسقها، ويكون هذا القسم قسماً بجميع المخلوقات، لاشتمال الليل عليها، كقوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ٣٨ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ﴾ [الحاقة: ٣٨ ـ ٣٩]».

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٥٤٩)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٥٠).

(٣) قرأ بفتح الباء ابن كثير وحمزة والكسائيُّ، وباقي السبعة: ﴿لَتركبُنَّ﴾ بضم الباء. انظر: «السبعة» (ص: ٦٧٧)، و«التيسير» (ص: ٢٢١).

وقُرِئَ: «لتِركَبُنَّ» بكسرِ التَّاءِ وضمِّ الباءِ لغة تميم[١].

وقُرِئَ بضمِّ التَّاءِ وتشديدِ الكافِ وفتحِ الباءِ، من التَّركيبِ.

وقُرِئَ بكسرِ الباءِ الموحدةِ[٢] خطاباً للنَّفس.

وهوَ جوابُ القسمِ: فإن جعلتَه خطاباً للنَّبيِّ عليه السَّلامُ كانَ معنى ﴿لَتَرْكَبَنَّ طَبَقاً عن طَبَقٍ﴾: لتصعَدَنَّ يا محمَّدُ سماءً بعدَ سماءٍ؛ لأنَّ ﴿عَن﴾ بمعنى (بعد) هنا، قالَ الكلبيُّ: يعني: يصعدُ فيها[٣]، أو: درجةً بعدَ درجةٍ.

أو ليسَ بخطابٍ للنَّبيِّ عليه السَّلامُ، وإنَّما هوَ إخبارٌ عن السَّماءِ وتغيُّرِ حالاتِها بأن تصيرَ مرَّةً كالدِّهانِ، ومرَّةً كالمُهلِ، وتنشقَّ بالغمامِ مرَّةً، وتُطوى أخرى؛ لأنَّ الطَّبَقَ: الحالُ، والطَّبَقُ أيضاً: ما طابَقَ غيرَه؛ أي: ناسبَه ولاءَمَه.

وإن جعَلْتَه خطاباً للإنسانِ ـ مفرداً أو جِنساً ـ أو للنَّفس، كانَ المعنى: لتَركبنَّ حالاً بعدَ حالٍ، وأمراً بعدَ أمرٍ في الآخرةِ، بأن تَصيروا في الآخرةِ على غيرِ الحالِ الَّتي كنتُم عليها في الدُّنيا.

أو المعنى: لتَتَنقَّلنَّ عن حالٍ بعدَ حالٍ، وهَولٍ بعدَ هولٍ، كالموتِ ثمَّ البعثِ ثمَّ العرضِ، قالَ مقاتلٌ: الموتُ ثمَّ الحياةُ ثمَّ الموتُ ثمَّ الحياةُ[٤]. أو عن فقرٍ إلى غنًى وبالعكسِ.

---

(١) انظر: «البحر المحيط» (٢١/ ٢٩١) عن ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم. لكنها عنده بفتح الباء؛ لأنه أتبعها بقوله: «قيل: والخطاب للرسول ﷺ».

(٢) أي: (لَتَرْكَبِنَّ). انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٧١) عن بعضهم.

(٣) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٣/ ٣٦٩)، والبغوي في «تفسيره» (٨/ ٣٧٥).

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٦٤٠)، وفيه: «حالاً بعد حال، يقول: خلقًا من نطفة، ثم صارت النطفة علقة، ثم صارت العلقة مضغة، ثم صارت إنسانًا ميتًا في بطن أمه، حتى نفخ فيه الروح، ثم صار إنسانا حيًّا، ثم أخرجه الله تعالى من بطن أمه فكان طفلًا، ثم يبلغ أشده، ثم شاخ وكبر، ثم مات ولبث =

وقالَ عكرمةُ: حالٌ بعدَ حالٍ، رضيعٌ ثمَّ فطيمٌ ثمَّ غلامٌ ثمَّ شابٌّ ثمَّ شيخٌ[١].

وقالَ أبو عُبيدةَ: لتَركبنَّ سننَ مَن قبلَكم وأحوالَهم.

قالَ ﷺ: «لَتتبعُنَّ سننَ مَن قبلَكم شِبراً بشبرٍ وذِراعاً بذراعٍ، حتَّى لو دخلُوا جُحرَ ضبٍّ تبعتموهم» قيلَ: يا رسولَ اللهِ، اليهودُ والنَّصارى؟ قالَ: «فمَن؟»[٢].

* * *

(٢٠ ـ ٢٤) ـ ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢١﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ الضَّميرُ لكفَّارِ مكَّةَ، أو للكفَّارِ مُطلقاً؛ أي: لا يؤمنونَ بمحمَّدٍ عليه السَّلامُ والقرآنِ.

﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ﴾؛ أي: لا يَخضعونَ.

قالَ أبو هُريرةَ: سجدْنا مع رسولِ اللهِ ﷺ في ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ و﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾[٣].

وعن أبي هُريرةَ: أنَّه قرأ ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ فسجدَ، فقيلَ له: ما هذه السَّجدةُ؟ قالَ: سجدْتُها خلفَ رسولِ اللهِ أبي القاسمِ ﷺ، فلا أزالُ أسجدُها حتَّى ألقاه[٤]. وفي هذا حجَّةٌ لـمَن يقولُ بوجوبِ السُّجودِ.

= في قبره حتى صار ترابًا، ثم أنشأه الله عز وجل بعد ذلك يوم القيامة».

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٢٣٨)، والبغوي في «تفسيره» (٨/ ٣٧٦).
ورواه مقتصراً على قوله: «حالاً بعد حال»: سعيد بن منصور في «سننه ـ التفسير» (٢٤٣٠)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٥٢).

(٢) رواه البخاري (٣٤٥٦)، ومسلم (٢٦٦٩)، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٣) رواه مسلم (٥٧٨/ ١٠٩).

(٤) رواه مسلم (٥٧٨/ ١١٠).

﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ﴾ بالبعثِ والقرآنِ، وقالَه هنا كما ذُكِرَ، وفي (البروجِ) بلفظِ: ﴿فِي تَكۡذِيبٍ﴾ رعايةً للفواصلِ فيهما.

﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾: يُسرُّونَ ويكتمونَ في صدورِهم من التَّكذيبِ والحسدِ والبُغضِ للنَّبيِّ ﷺ والمؤمنين، مِن أوعاه: إذا جعلَه في الوعاءِ، قالَ الزَّجَّاجُ: أوعَيتُ المتاعَ، ووَعَيتُ العلمَ[1].

أو: يَجمعونَ في صُحفِهم من الكفرِ والتَّكذيبِ وغيرِ ذلك، أو من السُّوءِ في صدورِهم، وهوَ أنسبُ لحالِ العربِ لأنَّه لـم يكن لهم صُحُفٌ في الأغلبِ.

﴿فَبَشِّرۡهُم﴾؛ أي: أخبرْهم، والبشارةُ بالخيرِ، لكن هوَ من التَّهكُّمِ بهم والاستهزاءِ.

﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: مُؤلمٍ عظيمٍ دائمٍ.

***

(٢٥) ـ ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونِۭ﴾.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ هوَ استثناءٌ منقطعٌ، أو متَّصلٌ، والمرادُ: مَن تابَ وآمَنَ منهم ﴿لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونِۭ﴾: مَقطوعٍ، ولا يُكدَّرُ بأن يُنقصوا شيئاً من حسناتِهم، ويجوزُ أن يُقالَ: لا يَمنُّ عليهم به مِنَّةَ إذايَةٍ، بل مِنَّةَ تكريمٍ من اللهِ تعالى.

قالَ الجُنيدُ: مَنِ استوى عندَه المدحُ والذَّمُّ فهوَ زاهدٌ، ومَن حافَظَ على أداءِ الفرائضِ والأوامرِ فهوَ عابدٌ، ومَن رأى الأشياءَ كلَّها مِن اللهِ تعالى فهوَ مُوحِّدٌ.

***

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٥٠٣).

تفسيرُ سورةِ البُروجِ

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١ ـ ٣) ـ ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۝١ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾.

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ﴾ هـيَ الاثنـا عشـر بُرجـاً، أو هـيَ النُّجـومُ، سُـمِّيَت بروجاً لظهورِهـا، أو هـيَ أبوابُ السَّـماءِ.

﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ﴾ هوَ يومُ القيامةِ ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾؛ أي: ومَن شهدَ في ذلك اليومِ مِن الخلائقِ، وما أُحضِرَ مِن العجائبِ، وتنكيرُهما للإبهامِ في الوصفِ.

رُويَ عن رسول اللهِ ﷺ أنَّه قالَ: «اليومُ الموعودُ: يومُ القيامةِ، والمشهودُ: يومُ عرفةَ، والشَّاهدُ: يومُ الجمعةِ، ما طلعَت شمسٌ ولا غربَت على يومٍ أفضلَ من يومِ الجمعةِ، فيه سـاعةٌ لا يوافقُها عبدٌ مؤمنٌ يدعو الله فيها خيراً إلَّا استجابَ اللهُ له، أو يستعيذُ من شيءٍ إلَّا أعاذَه اللهُ منه»(١)، ....

---

(١) رواه الترمذي (٣٣٣٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وقال: «هذا حديث لا نعرفه إلا من حديث موسى بن عبيدة، وموسى بن عبيدة يضعف في الحديث؛ ضعفه يحيى بن سعيد وغيره من قبل حفظه».

ويشهد لبعضه ما رواه مسلم (٨٥٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة»، وما رواه البخاري (٩٣٥)، ومسلم (٨٥٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أيضاً: «إن في الجمعة لساعة لا يوافقها مسلم قائم يصلي يسأل الله خيرًا إلا أعطاه إياه».

ونقل القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ٢٨٤) هنا عقب حديث الترمذي عن أبي نصر القشيري قوله: «فيوم الجمعة يشهد على كل عامل بما عمل فيه»، ثم تعقبه بقوله: «قلت: وكذلك سائر الأيام =

وهذا قولُ ابنِ عبَّاسٍ[١].

والأكثرون: أنَّ الشَّاهدَ يومُ الجمعةِ، والمشهودَ يومُ عرفةَ.

ورُويَ عن ابنِ عمرَ: أنَّ الشَّاهدَ يومُ الجمعةِ، والمشهودَ يومُ النَّحرِ[٢].

وقالَ سعيدُ بنُ المسيّبِ: الشَّاهدُ يومُ التَّرويةِ، والمشهودُ يومُ عرفةَ[٣].

وقالَ يوسفُ بنُ مهرانَ عن ابنِ عبَّاسٍ قالَ: الشَّاهدُ محمَّدٌ ﷺ، والمشهودُ يومُ القيامةِ، ثمَّ تلا ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾

= والليالي، فكل يوم شاهد، وكذا كل ليلة، ودليله ما رواه أبو نعيم الحافظ عن معاوية بن قرة عن معقل بن يسار عن النبي ﷺ قال: «ليس من يوم يأتي على العبد إلا ينادى فيه: يا ابن آدم، أنا خلق جديد، وأنا فيما تعمل عليك شهيد، فاعمل فيَّ خيراً أشهدْ لك به غداً، فإني لو قد مضيت لم ترني أبدا، ويقول الليل مثل ذلك». حديث غريب من حديث معاوية، تفرد به عنه زيد العمي، ولا أعلمه مرفوعًا عن النبي ﷺ إلا بهذا الإسناد». ثم قال: «وحكى القشيري عن ابن عمر وابن الزبير أن الشاهد يوم الأضحى. وقال سعيد بن المسيب: الشاهد: التروية، والمشهود: يوم عرفة. وروى إسرائيل عن أبي إسحاق عن الحارث عن علي رضي الله عنه: الشاهد يوم عرفة، والمشهود يوم النحر. وقاله النخعي. وعن علي أيضا: المشهود يوم عرفة. وقال ابن عباس والحسين بن علي رضي الله عنهما: المشهود يوم القيامة، لقول تعالى: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴾ [هود: ١٠٣].

قلت (القائل القرطبي): وعلى هذا اختلفت أقوال العلماء في الشاهد...».

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٦٤).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٦٦) ضمن خبر، وتمامه: عن شباك قال: سأل رجل الحسن بن علي، عن ﴿ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴾ قال: سألت أحدًا قبلي؟ قال: نعم سألت ابن عمر وابن الزبير، فقالا: يوم الذبح ويوم الجمعة؛ قال: لا، ولكن الشاهد: محمد، ثم قرأ: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ٤١] والمشهود: يوم القيامة، ثم قرأ: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴾ [هود: ١٠٣]

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٩/ ١٥٠).

[النساء: ٤١]، وقالَ: ﴿ذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّجۡمُوعٞ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّشۡهُودٞ﴾ [هود: ١٠٣][١].

وقيلَ: المشهودُ يومُ القيامةِ، والشَّاهدُ آدمُ، أو الإنسانُ، أو اللهُ تعالى، أو هذه الأُمَّةُ والمشهودُ سائرُ الأممِ.

أو الشَّاهدُ اللهُ تعالى والمشهودُ نحن.

أو الشَّاهدُ أعضاءُ بني آدمَ والمشهودُ هم.

أو الشَّاهدُ الأنبياءُ والمشهودُ محمَّدٌ ﷺ.

أقوالٌ للسَّلفِ، وكأنَّ قائلَها لـم يبلغْه الحديثُ.

وذَكرَهما دونَ بقيَّةِ ما أقسمَ به لاختصاصِهما مِن بينِ الأيَّامِ بفضيلةٍ ليسَت لغيرِهما، فلم يجمع بينهما وبينَ البقيَّةِ بلامِ الجنسِ، وهذا جوابٌ عمَّا عساه يُقالُ: لـمَ خصَّهما بالذِّكرِ من دونِ بقيَّةِ الأيَّامِ؟ وإنَّما لـم يُقرَنا بلامِ العهدِ؛ لأنَّ التَّنكيرَ أدلُّ على التَّفخيمِ والتَّعظيمِ.

وجوابُ القسمِ محذوفٌ؛ أي: «لتُبعثُنَّ» ونحوُه.

وقيلَ: جوابُه ﴿قُتِلَ﴾؛ أي: لقد قُتِلَ، فيكونُ المحذوفُ اللَّامَ و(قد)، والكلُّ صدرُ الجوابِ. فإن جُعِلَ دعاءً فجوابُ القسمِ إمَّا محذوفٌ كما مرَّ، أو قولُه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ﴾ أو ﴿إِنَّ بَطۡشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾.

***

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٩/ ١٤٠)، ورواه النسائي في «السنن الكبرى» (١١٥٩٩)، وابن أبي داود في «البعث» (٢٠)، من رواية عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤ ـ ٩) ـ ﴿قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ ۝٥ إِذۡ هُمۡ عَلَيۡهَا قُعُودٞ ۝٦ وَهُمۡ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ شُهُودٞ ۝٧ وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ۝٨ ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾.

﴿قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ﴾ الأخدود: الشَّقُّ المستطيلُ في الأرضِ، جمعُه: أخاديدُ، وقُرِئَ: (قُتِّلَ) مُشدَّداً مبالغةً[١]، ويُبدَلُ من الأخدودِ بدلَ اشتمالٍ قولُه: ﴿ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ﴾؛ أي: ما يُوقَدُ فيها من حطبٍ وغيرِه، وقُرِئَ بضمِّ الواوِ مصدرٌ[٢].

رُويَ أنَّ اللهَ تعالى نجَّى المؤمنين الَّذينَ أُلقوا في الأخدودِ بقبضِ أرواحِهم قبلَ أن تمسَّهم النّارُ.

﴿إِذۡ هُمۡ عَلَيۡهَا قُعُودٞ﴾؛ أي: حولَها على المرتفعِ من شفيرِ الأخدودِ، و﴿قُعُودٞ﴾؛ أي: قاعدون على الكراسيِّ يُعذِّبون المؤمنين، يُقالُ: مررتُ عليه: إذا مررتَ بمكانٍ مرتفعٍ يدنو منه، والمعنى: لُعِنوا حينَ أحرقَوا المؤمنين بالنّارِ قاعدينَ حولَها.

﴿وَهُمۡ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ﴾؛ أي: الملكُ وأصحابُه من الإحراقِ بالمؤمنينِ ﴿شُهُودٞ﴾: حضورٌ.

أخرجَ عبدُ الرَّزاقِ وابنُ أبي شيبةَ وعبدُ بنُ حميدٍ ومسلمٌ والتِّرمذيُّ والنَّسائيُّ والطَّبرانيُّ عن صُهيبٍ رضيَ اللهُ عنه قالَ: كانَ رسولُ اللهِ ﷺ إذا صلَّى العصرَ همَسَ، فقيلَ له: يا رسولَ اللهِ، إنَّك إذا صلَّيتَ العصرَ همستَ؟ فقالَ: «إنَّ نبيّاً منَ الأنبياءِ كانَ أُعجِبَ بأُمَّتِه فقالَ: مَن يقومُ لهؤلاءِ؟ فأوحَى اللهُ أن خيِّرهم بينَ أن أنتقمَ منهم، وبينَ أن أسلِّطَ عليهم عدوَّهم، فاختاروا النِّقمةَ، فسلَّطَ اللهُ عليهم الموتَ، فماتَ منهم في يومٍ سبعونَ ألفاً» قالَ: وكانَ إذا حدَّثَ بهذا الحديثِ حدَّثَ بهذا الحديثِ الآخرِ قالَ:

---

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٧١) عن الحسن.

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٧١) عن الحسن وعيسى.

«كانَ ملكٌ من الملوكِ، وكانَ لذلك الملكِ كاهنٌ يَكهَنُ له، فقالَ له ذلك الكاهنُ: انظرْ لي غلاماً فَهِماً، أو قالَ: فَطِناً، فأعلِّمَه عِلمي هذا، فإنِّي أخافُ أن أموتَ فيُقطَعَ عنكم هذا العلمُ، ولا يكونَ فيكم مَن يَعْلمُه. فنظروا له غلاماً على ما وَصَفَ، فأمرُوه أن يحضرَ ذلك الكاهنَ ويختلفَ عليه، فجعلَ الغلامُ يختلفُ إليه، وكانَ على طريقِ الغلامِ راهبٌ في صومعةٍ، فجعلَ الغلامُ يسأَلُ ذلك الرَّاهبَ، ويُبطِئُ على الكاهنِ، فأرسلَ الكاهنُ إلى أهلِ الغلامِ: أنَّه لا يكادُ يحضرُني. فأخبرَ الغلامُ الرَّاهبَ بذلك، فقالَ له الرَّاهبُ: إذا قالَ لك أهلُكَ: أين كنتَ؟ فأخبرْهم أنَّك كنتَ عندَ الكاهنِ.

فبينما الغلامُ على ذلك إذ مرَّ بجماعةٍ من النَّاسِ كثيرةٍ قد حبسَتْهم دابَّةٌ، يُقالُ: كانَت أسداً، فأخذَ الغلامُ حجراً، فقالَ: اللَّهمَّ إن كانَ ما يقولُ الرَّاهبُ حقّاً فأسألُكَ أن تقتلَ هذه الدَّابَّةَ، وإن كانَ ما يقولُ الكاهنُ حقّاً فأسألُكَ أن لا تقتلَها. ثمَّ رمى فقتلَ الدَّابَّةَ، فقالَ النَّاسُ: مَن قتلَها؟ فقالُوا: الغلامُ. ففزعَ النَّاس، وقالُوا: قد علمَ هذا الغلامُ علماً لـم يعلمْه أحدٌ. فسمعَ أعمى فجاءَه فقالَ له: إن أنتَ رددتَ بصري فلك كذا وكذا. فقالَ الغلامُ: لا أريدُ هذا. وقالَ: أرأيتَ إن رجعَ إليك بصرُكَ أتؤمنُ بالذي ردَّه عليك؟ قالَ: نعم. فدعا الله فردَّ عليه بصرَه، فآمنَ الأعمى، فبلغَ الملكَ أمرُهم، فبعثَ إليهم، فأُتِيَ بهم، فقالَ: لأقتلَنَّ كلَّ واحدٍ قِتلةً لا أقتلُ بها صاحبَه. فأمرَ بالرَّاهبِ والرَّجلِ الَّذي كانَ أعمى فوضعَ المنشارُ على مفرقِ أحدِهما فقتلَه، وقتلَ الآخرَ بقِتلةٍ أخرى، ثمَّ أمرَ بالغلامِ، فقالَ: انطلقوا به إلى جبلِ كذا وكذا فألقُوه من رأسِه. فانطلقوا به إلى ذلك الجبلِ، فلمَّا انتهَوا إلى ذلك المكانِ الَّذي أرادوا أن يُلْقوه منه جعلوا يتهافتونَ ويتردَّون حتَّى لـم يبقَ منهم إلَّا الغلامُ، ثمَّ رجعَ الغلامُ، فأمرَ الملكُ أن ينطلقوا به إلى البحرِ فيُلقوه به، فانطُلِقَ به إلى البحرِ، فنجَّى اللهُ الغلامَ وغرَّقَ اللهُ الَّذينَ كانُوا معه، فقالَ الغلامُ للملكِ: إنَّك لا تقتلُني حتَّى تصلبَني وترميَني

وتقولَ إذا رميتني: بسمِ اللهِ ربِّ الغلامِ. فوضعَ الغلامُ يدَه على صُدغِه حينَ رُميَ ثمَّ ماتَ، فقالَ النَّاسُ: لقد علمَ هذا الغلامُ عِلماً ما علمَه أحدٌ، فإنَّا نؤمنُ بربِّ هذا الغلامِ. فقيلَ للملكِ: أجزِعْتَ أن خالفَك ثلاثةٌ؟ فهذا النَّاسُ كلُّهم قد خالفوكَ! قالَ: فخدَّ أُخدوداً، ثمَّ ألقى فيه الحطبَ والنّار، ثمَّ جمعَ النَّاسَ، فقالَ: مَن رجعَ عن دينِه تركناه، ومَن لـم يرجع ألقيناه في هذه النّارِ. فجعلَ يُلقيهم في تلكَ الأخدودِ، فقالَ: يقولُ اللهُ: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ...﴾ حتَّى بلغَ ﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾»[1].

فأمَّا الغلامُ فأُخِذَ ودُفِنَ، ثمَّ أُخرِجَ، يذكر أنَّه أُخرِجَ زمنَ عمرَ بنِ الخطَّابِ رضيَ اللهُ عنه وأصبعُه على صُدغِه كما وضعَها حين قُتِلَ[2].

قولُه تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ﴾؛ أي: ما أنكَرَ الكفَّارُ على المؤمنين إلَّا إيمانَهم ﴿بِٱللَّهِ﴾ الَّذي لا يُماثلُه سواه ﴿ٱلْعَزِيزِ﴾ في ملكِه ﴿ٱلْحَمِيدِ﴾: المحمودِ في أفعالِه، استثناءٌ على طريقةِ قولِه:

ولا عيـبَ فيهـم غيـرَ أنَّ سُـيوفَهم ... بهنَّ فُلـولٌ مِـن قِـراعِ الكتائـبِ[3]

ووصفَه بكونِه عزيزاً غالباً يُخشى عقابُه، حميداً مُنعِماً يُرجَى ثوابُه.

﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: مُلكٌ على جهةِ العمومِ والإطلاقِ، فكلُّ مَن كانَ فيهما يحقُّ عليه عبادتُه والخضوعُ له؛ لأنَّ ما نَقَمُوا منهم هوَ الحقُّ

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٥٦٩)، ومسلم (٣٠٠٥)، والترمذي (٣٣٤٠)، والنسائي في «الكبرى» (١١٥٩٧)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٧٣١٩)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٤٦٩) إلى عبد بن حميد وابن مردويه.

(٢) وردت هذه القطعة في رواية عبد الرزاق والترمذي والطبراني.

(٣) البيت للنابغة الذبياني، وهو في «ديوانه» (ص: ١١).

الَّذي لا يَنقَمُه إلَّا مُبطِلٌ مُنهمِكٌ في الغيِّ، وأنَّ الناقمين أهلٌ لانتقامِ الله تعالى منهم بعذابٍ لا يَعدلُه عذابٌ.

﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ لا يغيبُ عنه شيءٌ، وهذا وعيدٌ لهم؛ لأنَّ اللهَ علمَ ما فعلُوا بالمؤمنين، وهوَ مُجازيهم عليه.

ولمَّا ذكرَ قصَّةَ أصحابِ الأخدودِ أتبعَها ما يتفرَّعُ من أحكامِ الثَّوابِ والعقابِ فقال:

(١٠) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ﴾؛ أي: حرَّقوهم بالنَّارِ، يُقالُ: فتنْتُ الشَّيءَ؛ أي: أحرقتُه، والعربُ تقولُ: فتنَ فلانٌ الدِّرهمَ أو الدِّينارَ إذا أدخلَه الكُورَ لينظرَ جودتَه، كقولِه: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ [الذاريات: ١٣].

قال الرَّازي: ويحتملُ أن يكونَ المرادُ كلَّ مَن فعلَ ذلك. قالَ: وهذا أولى؛ لأنَّ اللَّفظَ عامٌّ، والحُكمَ عامٌّ، والتَّخصيصُ تركُ الظَّاهرِ من غيرِ دليلٍ(١).

﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟﴾؛ أي: لـم يَرجعوا عن كفرِهم وعمَّا فعلوا.

﴿فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾؛ أي: بكفرِهم، ﴿وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾؛ أي: عذابُ إحراقِهم المؤمنينَ في الآخرةِ.

وقيلَ: في الدُّنيا بأن خرجَت النَّارُ فأحرقَتهم(٢)، كما تقدَّمَ(٣).

---

(١) انظر: «التفسير الكبير» (٣١/ ١١٣).

(٢) رواه الطبريُّ في «تفسيره» (٢٤/ ٢٧٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤١٤)، عن الربيع. وذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٤٦١) عن الربيع بن أنس والكلبي.

(٣) لم يتقدم شيء من هذا.

ومفهومُ الآيةِ: أنَّهم لو تابوا لخرجوا من هذا الوعيدِ، وذلك يدلُّ على أنَّ اللهَ تعالى يقبلُ التَّوبةَ من القاتلِ المُتعدِّي خلافَ ما يُروى عن ابنِ عبَّاسٍ[1].

ولمَّا ذكرَ سُبحانَه وعيدَ المجرمين ذكرَ ما وَعَدَ به المؤمنين فقالَ:

(١١) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ تحقيقاً لإيمانِهم ﴿لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾؛ أي: بساتينُ تَجري مِن تحتِها وتحتِ غُرفِها ومساكنِها ومِن تحتِ الأسرَّةِ الأنهارُ، يتلذَّذون ببردِها في نظيرِ ذلك الحرِّ الَّذي صبروا عليه في الدُّنيا، ويزولُ عنهم برؤيةِ ذلك مع خُضرةِ الجنانِ جميعُ المصاب والأحزانِ.

﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ﴾؛ أي: ذلك الأمرُ العالي الدَّرجةِ العظيمُ البركةِ هوَ الظَّفرُ بجميعِ المطالبِ، وهوَ رضا الله تعالى، لا دخولُ الجنَّةِ، والإشارةُ للجنَّاتِ وما معها، وفيه الدلالةُ على كونِه راضياً عنهم.

* * *

(١) ورد في ذلك عدة أخبار، منها ما رواه ابن ماجه (٢٦٢١) عن سالم بن أبي الجعد، قال: سئل ابن عباس: من قتل مؤمناً متعمداً ثم تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى؟ قال: ويحه، وأنى له الهدى؟ سمعت نبيكم ـ ﷺ ـ يقول: «يجيء القاتل والمقتول يوم القيامة متعلق برأس صاحبه يقول: رب سل هذا لم قتلني؟» والله لقد أنزلها الله عز وجل على نبيكم، ثم ما نسخها بعدما أنزلها.
وما رواه البخاري (٤٥٩٠)، ومسلم (٣٠٣٢) عن سعيد بن جبير قال: «اختلف فيها أهل الكوفة، فرحلت فيها إلى ابن عباس فسألته عنها، فقال: نزلت هذه الآية: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ﴾ هي آخر ما نزل، وما نسخها شيء».
ورواية الطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٣١٤) أصرح، ولفظه: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾ [النساء: ٩٣] قال: «ليس لقاتل المؤمن توبة ما نسختها آية منذ أنزلت».

(١٢ ـ ١٦) ـ ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾.

قولُه تعالى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾؛ أي: بالكفَّارِ بحسبِ ما يريدُ منهم، والبطشُ: الأخذُ بعنفٍ.

قالَ ابنُ عبَّاسٍ: إنَّ أخذَه بالعذابِ إذا أخذَ الظَّلَمَةَ لشديدٌ، كقولِه: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢][(١)].

وإذا وُصِفَ البطشُ بالشِّدَّةِ فقد تضاعَفَ، ولـمَّا كانَ هذا البطشُ لا يتأتَّى إلَّا لكاملِ القدرةِ، دلَّ على كمالِ قُدرتِه واختصاصِه بذلك مؤكِّداً لِمَا لهم مِن الإنكارِ بقولِه:

﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾؛ أي: يُبدِئُ الخَلقَ ويُعيدُه، ابتدأَ البطشَ بالكَفَرةِ في الدُّنيا ويُعيدُه في الآخرةِ؛ أي: يبطشُ بهم في الدُّنيا والآخرةِ.

أو دلَّ باقتدارِه على الإبداءِ والإعادةِ على شدَّةِ بطشِه.

أو أوعَدَ الكفرةَ بأنَّه يُعيدُهم كما بدأَهم ليبطشَ بهم؛ إذ لـم يَشكروا نعمةَ الإبداءِ، وكذَّبُوا بالإعادةِ.

﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ﴾؛ أي: السَّتورُ لعبادِه المؤمنين، المبالِغُ في الودِّ لهم.

قالَ ابنُ عبَّاسٍ: هوَ المتودِّدُ لعبادِه بالمغفرةِ[(٢)].

وعن المُبرِّد: هوَ الَّذي لا ولدَ له[(٣)].

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٣/ ٣٩٢)، والبغوي في «تفسيره» (٨/ ٣٨٨).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٩/ ١٨٣).

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٢٤٣) عن المبرد عن إسماعيل بن إسحاق القاضي.

وقالَ بعضُهم: يقعُ فَعولٌ بمعنى: مَفعولٍ؛ كرَكوبٍ بمعنى: مَركوبٍ، وحَلوبٍ بمعنى: مَحلوبٍ.

وقيلَ: يغفرُ، ويودُّ أن يغفرَ.

﴿ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ﴾؛ أي: خالقُه ومالكُه؛ أي: ذو المُلكِ والسُّلطانِ، كما يُقالُ: فلانٌ على سريرِ ملكِه، وإن لـم يكنْ على سريرٍ، كما يُقالُ: ثُلَّ عرشُه؛ أي: ذهبَ سلطانُه، والسَّريرُ الدَّالُّ على اختصاصِ المِلكِ بالمُلكِ وانفرادِه بالتَّدبيرِ والسِّيادةِ والسِّياسةِ الَّذي به قوامُ الأمورِ.

و﴿ٱلۡمَجِيدُ﴾: العظيمُ في ذاتِه وصفاتِه، فإنَّه واجبُ الوجودِ تامُّ القدرةِ والحكمةِ، جرَّه حمزةُ والكسائيُّ(١) صفةً للعرشِ، ومجدُه: علوُّه وعظمتُه.

﴿فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ﴾؛ أي: لا يمتنعُ عليه مرادٌ من أفعالِه وأفعالِ خَلقِه.

قالَ القفَّالُ: أي: يفعلُ ما يريدُ على ما يَراه، لا يَعترِضُ عليه [معترِضٌ]، ولا يغلبُه غالبٌ، فيُدخلُ أولياءَه الجنَّةَ لا يمنعُه مانعٌ، ويُدخلُ أعداءَه النَّارَ لا ينصرُهم منه ناصرٌ، ويُمهلُ العصاةَ على ما يشاءُ إلى أن يُجازيَهم، ويُعاجِلُ بعضَهم بالعقوبةِ إذا شاءَ، فهوَ يفعلُ ما يريدُ(٢).

وعن أبي الصَّقرِ: دخلَ ناسٌ منَ الصَّحابةِ على أبي بكرٍ الصِّدِّيقِ رضيَ اللهُ عنه يعودونه، فقالُوا له: ألا نأتيكَ بطبيبٍ؟ قالَ: قد رآني. فقالُوا له: ما قالَ لك؟ قال: قالَ: إنِّي فعَّالٌ لِمَا أُريدُ(٣).

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٦٧٨)، و«التيسير» (ص: ٢٢١).

(٢) ذكره الرازي في «التفسير الكبير» (٣١/ ١١٥)، وما بين معكوفتين منه.

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٤٤٤٠)، وهناد في «الزهد» (٣٨٢)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٣٤)، عن أبي السفر.

(١٧ ـ ١٨) ـ ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ۝١٧ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ﴾

قولُه تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ۝١٧ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ﴾؛ أي: قد أتاك يا محمَّدُ خبرَ الجموعِ الكافرةِ الَّذينَ تجنَّدُوا على الأنبياءِ، ثمَّ بيَّنَ مَن هم بقولِه: ﴿فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ﴾، أبدلَهما مِن ﴿ٱلْجُنُودِ﴾؛ لأنَّ المرادَ بفرعونَ: هوَ وقومُه، والمعنى: قد عرفْتَ تكذيبَهم للرُّسلِ وما حاقَ بهم، فتسلَّ واصبرْ على تكذيبِ قومِك، وحذِّرْهم أن يصيبَهم مثلُ ما أصابَهم.

***

(١٩) ـ ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ﴾.

﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ من قومِك يا محمَّدُ ﴿فِى تَكْذِيبٍ﴾ لكَ وللقرآنِ لا يعرفون غِبَّه، ومعنى الإضرابِ: أنَّ حالَهم أعجبُ من حالِ هؤلاءِ، فإنَّهم سمعُوا قصَّتَهم، ورأوا آثارَهم وآثارَ هلاكِهم، وكذَّبوا أشدَّ من تكذيبِهم.

وإنَّما خَصَّ فرعونَ وثمودَ لأنَّ ثمودَ في بلادِ العربِ، وقصَّتُهم عندهم مشهورةٌ وإن كانُوا من المتقدِّمين، وأمرُ فرعونَ كانَ مشهوراً عند أهلِ الكتابِ وغيرِهم، وكانَ من المتأخِّرين في الهلاكِ، فدلَّ بها على أمثالِهما.

***

(٢٠) ـ ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ﴾.

﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ﴾ قيلَ: المرادُ وصفُ اقتدارِه عليهم، وأنَّهم في قبضتِه وحصرِه كالمحاطِ إذا أُحيطَ به مِن ورائِه، يَنسدُّ عليه مَسلكُه، فلا يجدُ مَهرباً، يقولُ اللهُ تعالى: هم كذا في قبضتي، وأنا قادرٌ عليهم وعلى إهلاكِهم ومُعاجَلتِهم بالعذابِ على تكذيبِهم لك، فلا تجزعْ من تكذيبِهم إيَّاكَ، فليسوا يَفوتونني.

***

(٢١ ـ ٢٢) ـ ﴿بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ٢١ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ﴾.

﴿بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ﴾؛ أي: شريفٌ وحيدٌ في اللَّفظِ والمعنى، وليسَ كما زعمَ المشركون أنَّه شعرٌ أو كهانةٌ.

﴿فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ﴾ من التَّحريفِ والتَّغييرِ والتَّبديلِ.

قالَ مقاتلٌ: اللَّوحُ المحفوظُ عن يمينِ العرشِ[1].

وقالَ البغويُّ: هوَ أمُّ الكتابِ، ومنه نُسِخَ الكُتُبُ، محفوظٌ من الشَّياطينِ، ومِن الزِّيادةِ فيه والنُّقصانِ[2].

***

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ١٧٦)، وهو في «تفسير مقاتل» (٤/ ٢٤٤) عند تفسير قوله تعالى: ﴿فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ﴾.

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٨/ ٣٨٩).

تفسيرُ سورةِ الطَّارقِ

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١ ـ ٣) ـ ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ﴾.

﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ﴾ أقسمَ سُبحانَه وتعالى بالسَّماءِ إذ هيَ محلُّ مطالعِ النُّجومِ، وبكلِّ نجمٍ آتٍ في اللَّيلِ؛ أي: بادٍ ليلاً، وهوَ في الأصلِ لسالِكِ الطَّريقِ، واختُصَّ عُرفاً بالآتي ليلاً، ثمَّ استُعمِلَ للبادي فيه، وكلُّ ما أتاكَ ليلاً فهوَ طارقٌ.

وقد أكثرَ الله تعالى في كتابِه العزيزِ من ذكرِ السَّماءِ والشَّمسِ والقمرِ؛ لأنَّ أحوالَها في أشكالِها ومسيرِها ومطالعِها ومغاربِها عجيبةٌ.

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ﴾؛ أي: ما أعلَمكَ به؟ هو مبتدأٌ وخبرٌ في محلِّ المفعولِ الثَّاني لـ(أدرى)، وما أتى بعد (ما) الأولى خبرُها، وفيه تعظيمٌ لشأنِ الطَّارقِ، وأصلُه: كلُّ آتٍ ليلاً، ومنه النُّجومُ لطلوعِها ليلاً، ثمَّ فسَّرَ الطَّارق بقولِه تعالى:

﴿ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ﴾؛ أي: المضيءُ، سُمِّيَ بذلك لثَقبِه الظَّلامِ بضوئِه فينفذُ فيه، كما قيلَ: دريٌّ؛ لأنَّه يَدرؤُه؛ أي: يدفعُه، والمرادُ: جنسُ النُّجومِ، أو جنسُ الشُّهبِ الَّتي يُرجَمُ بها(١).

وقالَ محمَّدُ بنُ الحسنِ: هوَ زحلُ(٢).

---

(١) نقل القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٢٠٤) عن أبي نصر القشيري قوله: «والمعظم على أن الطارق والثاقب اسم جنس أريد به العموم».

(٢) انظر: «تفسير القرطبي» (٢٢/ ٢٠١)، وفيه: «قيل: هو زحل: الكوكب الذي في السماء السابعة، =

وقالَ ابنُ زيدٍ: هوَ الثُّريا[١].

وقالَ ابنُ عبَّاسٍ: هوَ الجَدْيُ[٢].

وقالَ عليٌّ: هوَ نجمٌ في السَّماءِ السَّابعةِ لا يسكنُها غيرُه من النُّجومِ، فإذا أخذَتِ النُّجومُ أمكنتَها من السَّماءِ هبطَ فكانَ معها، ثمَّ يرجعُ إلى مكانِه من السَّماءِ السَّابعةِ، فهوَ طارقٌ حينَ ينزلُ وحينَ يرجعُ[٣].

وفي «الصِّحاحِ»: «الطَّارِقُ: النَّجمُ الَّذي يُقالُ له: كوكبُ الصُّبحِ»[٤].

قالَ الماورديُّ: وأصلُ الطَّرقِ: الدَّقُّ، ومنه سُمِّيَت المطرقةُ[٥]، وسُمِّيَ النَّجمُ طارقاً لأنَّه يطرقُ الجنِّيَّ؛ أي: يقتلُه.

رُويَ أنَّ أبا طالبٍ أتى النَّبيَّ ﷺ بخبزٍ ولبنٍ، فبينما هوَ جالسٌ يأكلُ إذ انحطَّ نجمٌ،

= ذكره محمد بن الحسن في «تفسيره»، وذكر له أخبارًا، الله أعلم بصحتها». ومحمد بن الحسن هو أبو بكر النقاش، وكلام القرطبي منقول من «التعريف والإعلام» للسهيلي (ص: ١٨٢).

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٩٠).

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٣/ ٣٦) من رواية عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى: ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٦]، وهكذا ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ١٨٣)، والديلمي في «الفردوس» (٢٦٤٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً. قال أبو حيان في «البحر» (١٣/ ٣٢٣) عند تفسير الآية المذكورة: ولو صح هذا لم يعدل أحد عنه.

(٣) ذكره الكرماني في «غرائب التفسير» (٢/ ١٣٢٧)، والقرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٢٠١) عن علي وابن عباس، وعن ابن عباس ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٩/ ٢٠٦)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٤٢٨)، وقال الكرماني: ولعلهما أرادا بالهبوط الظهور فإنه يظهر بالليل، وبالرجوع الاستتار فإنه لا يرى بالنهار، فإن النجومَ لا تفارق أفلاكها.

(٤) انظر: «الصحاح» للجوهري (مادة: طرق).

(٥) انظر: «النكت والعيون» (٦/ ٢٤٥).

فامتلأتِ الأرضُ نوراً، ففزِعَ أبو طالبٍ وقالَ: أيُّ شيءٍ هذا؟ فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «هذا جسمٌ[(١)] رُمِيَ به، وإنَّه آيةٌ من آياتِ اللهِ» فعجبَ أبو طالبٍ، فنزلَت السُّورةُ[(٢)].

وقالَ مجاهدٌ: ﴿الثَّاقِبُ﴾: المتوهِّجُ[(٣)].

***

(٤) ـ ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾.

﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ إن خُفِّفَت (ما) فهي مزيدةٌ، و﴿إِن﴾ مخفَّفةٌ مِن الثَّقيلةِ، واسمُها محذوفٌ؛ أي: إنَّه، واللَّامُ فارقةٌ، و﴿حَافِظٌ﴾ مبتدأٌ، و﴿عَلَيْهَا﴾ الخبرُ، وإن شُدِّدَت[(٤)] فـ﴿إِن﴾ نافيةٌ، و﴿لَّمَّا﴾ بمعنى: إلَّا.

والمرادُ: حافظٌ منَ الملائكةِ يحفظُ ما عملَتْه مِن خيرٍ وشرٍّ، أو: حافظٌ من اللهِ يحفظُها وقولَها وفعلَها حتَّى يرفعَها ويُسْلِمَها للمقاديرِ، ثمَّ يتخلَّى عنها.

***

---

(١) في المصادر: «هذا نجم».

(٢) ذكره بلا نسبة ولا سند: الثعلبي في «تفسيره» (٢٩/ ١٩٨)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٥٣)، وذكره الجرجاني في «درج الدرر» (٤/ ١٧١٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٢٠٢) من طريق أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما، وذكره البغوي في «تفسيره» (٨/ ٣٩١) عن الكلبي. ولعله مما روي من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، ولا يصح.

وذكره البغوي في «تفسيره» (٨/ ٣٩١) عن الكلبي.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٨٩)، والفريابي كما في «فتح الباري» (٨/ ٦٩٩)، وعبد بن حميد كما في «الدر المنثور» (٨/ ٤٧٤).

(٤) قرأ بالتشديد عاصم وحمزة وابن عامر، والباقون بالتخفيف. انظر: «السبعة» (ص: ٦٧٨)، و«التيسير» (ص: ٢٢١).

(٥ ـ ١٠) ـ ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾.

﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ﴾ نظرَ فِكرٍ واعتبارٍ ﴿مِمَّ خُلِقَ﴾ مِن أيِّ شيءٍ خَلقَه ربُّه؟ وجوابُ الاستفهامِ ﴿خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ﴾؛ أي: مدفوقٍ، فاعلٌ بمعنى: مفعولٍ، كقولِه تعالى: ﴿عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [القارعة: ٧]، أو ﴿دَافِقٍ﴾ على النَّسبِ؛ أي: ذي دَفقٍ أو اندفاقٍ.

وقالَ ابنُ عطيَّةَ: يصحُّ أن يكونَ الماءُ دافقاً؛ لأنَّ بعضَه يَدفُقُ بعضاً؛ أي: يدفعُه، فمنه دافقٌ ومنه مدفوقٌ(١).

والدَّفقُ: الصَّبُّ؛ أي: مصبوبٍ في الرَّحمِ، ولم يقلْ سُبحانَه: «من ماءين» ـ فإنَّه من ماءِ الرَّجلِ وماءِ المرأةِ؛ لأنَّ الولدَ مخلوقٌ منهما ـ لامتزاجهما في الرَّحمِ، فصارَ كالماءِ الواحدِ، واتِّحادِهما حينَ ابتدأ في خَلقِه.

﴿يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ﴾؛ أي: للرَّجلِ، وهوَ عظامُ الظَّهرِ ﴿وَالتَّرَائِبِ﴾؛ أي: للمرأةِ، جمعُ التَّرِيْبةِ، وهي عظامُ الصَّدرِ، حيثُ تكونُ القِلادةُ.

وعن عكرمةَ: التَّرائبُ ما بينَ ثدييها(٢).

وقيلَ: التَّرائبُ: التَّراقي.

وقيلَ: أضلاعُ الرَّجلِ الَّتي أسفلَ الصُّلبِ.

وحكى الزَّجَّاجُ: أنَّ التَّرائبَ أربعةُ أضلاعٍ من يمنةِ الصَّدرِ وأربعةُ أضلاعٍ من يسرةِ الصَّدرِ(٣).

---

(١) انظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٤٦٥).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٩٣).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٣١٢).

﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٞ﴾ الضَّميرُ في ﴿إِنَّهُۥ﴾ راجعٌ للخالقِ الدَّالِّ عليه ﴿خُلِقَ﴾؛ لأَنَّه معلومٌ أنْ لا خالقَ سواه، وفي الضَّميرِ في قولِه تعالى: ﴿عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ﴾ وجهان:

أحدُهما: أَنَّه ضميرُ الإنسانِ؛ أي: على بعثِه بعدَ موتِه لقادرٌ، وهذا قولُ ابنِ عبَّاسٍ(١).

والثَّاني: أَنَّه ضميرُ الماءِ؛ أي: يُرجِعَ المنيَّ في الإحليلِ أو الصُّلبِ، وهذا قولُ مجاهدٍ(٢).

وعن الضَّحَّاكِ: أنَّ المعنى: إنَّه على ردِّ الإنسانِ مِن الكِبَرِ إلى الشَّبابِ، ومِن الشَّبابِ إلى الكِبَرِ(٣).

وقالَ ابنُ زيدٍ: إنَّه على حَبسِ ذلك الماءِ حتَّى لا يخرجَ لقادرٌ(٤).

وقالَ الماورديُّ: ويحتملُ أنَّ المعنى: إنَّه قادرٌ أن يُعيدَه إلى الدُّنيا بعدَ بعثِه إلى الآخرةِ؛ لأنَّ الكفَّارَ يسألونَ فيها الرَّجعةَ(٥).

قولُه تعالى: ﴿يَوۡمَ تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾؛ أي: تُختبرُ، أو تُكشَفُ السَّرائرُ وتُتعرَّفُ، أو يُميَّزُ بين ما طابَ من الضَّمائرِ وما خفيَ من الأعمالِ، وما خبثَ منهما.

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٣/ ٤١٤) من رواية عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما. ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٩٩) عن قتادة. وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٢٤٧) عن الحسن وعكرمة وقتادة.

(٢) علقه البخاري قبل حديث (٣٣٢٦)، ووصله الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٩٧)، والفريابي كما في «تغليق التعليق» (٤/ ٤)، وعبد بن حميد وابن المنذر كما في «الدر المنثور» (٨/ ٤٧٦).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٩٩).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٩٨).

(٥) انظر: «النكت والعيون» (٦/ ٢٤٧).

وقالَ عطاءُ بنُ أبي رباحٍ: السَّرائرُ: فرائضُ الأعمالِ كالصَّومِ والصَّلاةِ والوضوءِ والغسلِ من الجنابةِ، فإنَّها سرائرُ بين اللهِ تعالى وبين العبدِ، ولو شاءَ العبدُ لقالَ: «صمتُ» ولم يصم، و«صلَّيتُ» ولم يصلِّ، و«اغتسلْتُ» ولم يغتسل، فيُختبَرُ حتَّى يظهرَ مَن أدَّاها ممَّن ضيَّعَها[1].

وقالَ ابنُ عمرَ: يُبدي اللهُ تعالى كلَّ سرٍّ، فيكونُ زَيناً في وجوهٍ، وشَيناً في وجوهٍ، يعني: فمَن أدَّاها كانَ وجهُه مشرِقاً، ومَن ضيَّعَها كانَ وجهُه أغبرَ[2].

﴿فَمَا لَهُۥ﴾؛ أي: لهذا الإنسانِ المنكرِ للبعثِ الَّذي أُخرِجَت سرائرُه ﴿مِن قُوَّةٖ وَلَا نَاصِرٖ﴾؛ أي: مِن مَنَعةٍ في نفسِه يمتنعُ العذابُ بها، ولا ناصرٍ له ينصرُه من عذابِ اللهِ تعالى فيدفعُه عنه.

ثمَّ ذكَرَ قسماً آخرَ فقال:

(١١ ـ ١٤) ـ ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ۝١١ وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ ۝١٢ إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ ۝١٣ وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ﴾.

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ﴾؛ أي: المطرِ لعودِه كلَّ وقتٍ، أو لِـمَا قيلَ: إنَّ السَّحابَ يحملُ الماءَ مِن البحارِ ثمَّ يرجعُه إلى الأرضِ، وعلى هذا يجوزُ أن يُرادَ بالسَّماءِ: السَّحابُ.

وقيلَ: ذاتِ النَّفعِ.

وقيلَ: ذاتِ الملائكةِ.

﴿وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ﴾؛ أي: تتصدَّعُ عن النَّباتِ والشَّجرِ والثِّمارِ والأنهارِ والعيونِ، ومثلُه قولُه: ﴿ثُمَّ شَقَقۡنَا ٱلۡأَرۡضَ شَقّٗا﴾ [عبس: ٢٦]، والصَّدعُ بمعنى الشَّقِّ؛ لأنَّه يَصدَعُ الأرضَ فتَنصدَعُ به، فكأنَّه قالَ تعالى: والأرضِ ذاتِ النَّباتِ.

---

(١) رواه المروزي في «الصلاة» (٥١٥)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٠٠).

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٣/ ٤١٦)، والبغوي في «تفسيره» (٨/ ٣٩٤).

وقالَ مجاهدٌ: ذاتِ الطُّرقِ الَّتي تصدعُها المشاةُ[(١)].

وقيلَ: ذاتِ الحرثِ؛ لأنَّه يصدعُها.

وقيلَ: ذاتِ الأمواتِ؛ لانصداعِهم عنها للنُّشورِ.

قالَ الرَّازيُّ: واعلم أنَّه تعالى كما جعلَ كيفيَّةَ خَلقِه الحيوانَ دليلاً على معرفةِ المبدأِ والمعادِ، ذكرَ في هذا القَسمِ كيفيَّةَ خَلقِه النَّباتَ، فقولُه: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ﴾ كالأبِ، وقولُه: ﴿وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ﴾ كالأمِّ، وكلاهما من النِّعمِ العظامِ؛ لأنَّ نِعمَ الدُّنيا موقوفةٌ على ما ينزلُ من السَّماءِ مُكرَّراً وعلى ما ينبتُ من الأرضِ كذلكَ، ثمَّ أردفَ هذا القَسمَ بالمقسَمِ عليه، وهوَ قولُه تعالى:

﴿إِنَّهُۥ﴾ جوابُ القسمِ ﴿لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ﴾ يفصلُ بينَ الحقِّ وغيرِه، في الضَّميرِ قولانِ:

أحدُهما: ما قالَه القَفَّالُ، وهو أنَّ المعنى: إنَّ ما أخبرتُكم به من قُدرتي على إحيائِكم يومَ تُبلى السَّرائرِ قولٌ فصلٌ وحقٌّ.

والثَّاني: أنَّه عائدٌ على القرآنِ؛ أي: القرآنُ فاصلٌ بينَ الحقِّ والباطلِ، كما قيلَ له: فُرقان[(٢)].

والفصلُ: الحُكمُ الَّذي ينفصلُ به الحقُّ عن الباطلِ، ومنه: فصلُ الخصوماتِ، وهوَ قطعُها بالحُكمِ الجزمِ، ويُقالُ: هذا قولٌ فَصْلٌ قاطعٌ للشَّرِّ والنِّزاعِ، معناه: جِدٌّ، بدليلِ قولِه: ﴿وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ﴾؛ أي: باللَّعبِ والباطلِ، بل هوَ جِدٌّ كلُّه، لا هوادةَ فيه.

ومن حقِّه ـ وقد وصفَه اللهُ تعالى بذلك ـ أن يكونَ مَهيباً في الصُّدورِ مُعظَّماً في القلوبِ، يترفَّعُ به قارئُه وسامعُه أن يُلمَّ بهزلٍ، أو يتفكَّهَ بمزاحٍ، وأن يلقيَ ذهنَه إلى أنَّ

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ١٤٩)، والقرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ١١).

(٢) انظر: «التفسير الكبير» للرازي (٣١/ ١٢٣).

جبَّارَ السَّماواتِ يخاطبُه فيأمرُه وينهاه، ويَعدُه ويُوعِدُه، حتَّى إنْ لم يستفزَّه الخوفُ، ولم تتبالغْ فيه الخشيةُ، فأدنى أمرِه أن يكونَ جادّاً غيرَ هازلٍ، فقد نعى الله تعالى على المشركين ذلك في قولِه تعالى: ﴿وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ۝٦٠ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ﴾ [النجم: ٦٠ ـ ٦١] ﴿وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ﴾ [فصلت: ٢٦].

هذا على عودِ الضَّميرِ للقرآنِ، وعلى جعلِه للأوَّلِ فيكونُ الشَّخصُ خائفاً وَجِلاً من ذلك اليومِ الَّذي تُبلى فيه السَّرائرُ.

* * *

(١٥ ـ ١٧) ـ ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝١٥ وَأَكِيدُ كَيْدًا ۝١٦ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا﴾.

﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ في إبطالِه وإطفاءِ نورِه؛ أي: يمكرونَ بمحمَّدٍ ﷺ وأصحابِه مكراً، واختُلِفَ في ذلك الكيدِ:

فقيلَ: إلقاءُ الشُّبهاتِ، كقولِهم: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا﴾ [الأنعام: ٢٩]، ﴿مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ﴾ [يس: ٧٨]، ﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ [ص: ٥]، وما أشبَهَ ذلك.

وقيلَ: قصدُهم قتلَه، كقولِه تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الأنفال: ٣٠].

﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾؛ أي: وأقابلُهم بكيدي في استدراجي لهم وانتقامي منهم.

وقيلَ: معناه: أجازيهم جزاءَ كيدِهم.

وقيلَ: هوَ ما أوقعَ اللهُ تعالى بهم يومَ بدرٍ من القتلِ والأسرِ.

وقيلَ: استدراجُهم مِن حيثُ لا يعلمونَ.

وقيلَ: كيدُ اللهِ لهم بنصرِ نبيِّه وإعلاءِ درجتِه تسميةً لأحدِ المتقابِلَينِ باسمِ الآخرِ.

﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ يا محمَّدُ؛ أي: لا تستعجِلْ بالانتقامِ منهم، ولا تستعجِلْ بإهلاكِهم.

﴿أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾: إمهالاً يسيراً، هوَ تأكيدٌ حسَّنَه مخالفةُ اللَّفظِ؛ أي: أنظِرْهم قليلاً.

و﴿رُوَيْدًا﴾ مصدرٌ مؤكِّدٌ لمعنى العاملِ، وهوَ (إمهالاً) المحذوفُ، و(رُوَيدُ) تصغيرُ «رَوَدٍ» بفتحِ الواوِ [أو][1] إرْوَادٍ على التَّرخيمِ، وهوَ حذفُ الزِّيادةِ.

وقد أخذَهم ببدرٍ، ونُسِخَ الإمهالُ بآيةِ السَّيفِ، وهي آيةُ الأمرِ بالجهادِ والقتالِ.

* * *

(١) زيادة يقتضيها السياق. انظر: «البحر المحيط» (٢١/ ٣٠٦). والرَّوَد والرُّوْد: المهلة في الشيء، والإرواد: الإمهال. انظر: «المحكم» (٩/ ٤٢٢). وقد منع بعض العلماء أن يكون تصغير (رود)، منهم ابن سيده في «المحكم» في الموضع المذكور. ومنهم أبو حيان في «ارتشاف الضرب» (٥/ ٢٣٠٠) حيث قال: «وهو تصغير (إرواد) تصغير ترخيم، لا تصغير (رود) بمعنى المهل، خلافًا للفراء في دعواه ذلك». هكذا صرح فيه بالمنع، ولم يصرح بذلك في «البحر» في الموضع المذكور.

تفسيرُ سورةِ الأعلى

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١ ـ ٥) ـ ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ۝٤ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ﴾.

﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾؛ أي: قلْ: سبحانَ ربِّيَ الأعلى، وإلى هذا ذهبَ جماعةٌ منَ الصَّحابةِ والتَّابعين رضيَ اللهُ عنهم.

وقالَ آخرونَ: المعنى: نزِّهْ ربَّك عمَّا لا يليقُ به، ولفظُ ﴿ٱسْمَ﴾ زائدٌ، كقولِ لَبيدٍ:

إلى الحَولِ ثمَّ اسمُ السَّلامِ عليكما[1]

وقيلَ: عظِّمْ ربَّك الأعلى، و﴿ٱسْمَ﴾ زائدٌ، كما مرَّ، قُصِدَ به تعظيمُ المسمَّى.

وقالَ الطبريُّ: المعنى: نزِّه اسمَ ربِّك الأعلى عن أن تُسمِّيَ به أحداً سواه[2].

وقيلَ: نزِّهْ تسميةَ ربِّكَ الأعلى وذِكرَكَ إيَّاه أن تذكرَه إلَّا وأنتَ خاشعٌ معظِّمٌ لذِكرِه.

وقالَ الرَّازيُّ: معنى ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾؛ أي: نزِّهْه عن كلِّ ما لا يليقُ به في ذاتِه وصفاتِه وأفعالِه وأسمائِه وأحكامِه[3].

---

(١) انظر: «ديوان لبيد» (ص: ٥١)، وعجز البيت:

ومَن يَبْكِ حولاً كاملاً فقد اعتذرْ

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (٢٤/ ٣١٠).

(٣) انظر: «التفسير الكبير» للرازي (٣١/ ١٢٦).

ولـمَّا أمرَ سُبحانَه بالتَّسبيحِ كأنَّ سائلاً قالَ: الاشتغالُ بالتَّسبيحِ إنَّما يكونُ بعدَ المعرفةِ، فما الدَّليلُ على وجودِ الرَّبِّ سُبحانَه فقال:

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾؛ أي: أوجَدَ من العَدمِ، فله صفةُ الإيجادِ لكلِّ ما شاءَ وأرادَ، و﴿سَوَّىٰ﴾؛ أي: جَعلَ مخلوقَه متناسِبَ الأجزاءِ بلا تفاوتٍ.

قالَ الرَّازيُّ: يحتملُ أنَّ المرادَ النَّاسُ خاصَّةً، ويحتملُ أنَّ المرادَ الحيوانُ، ويحتملُ أنَّ المرادَ كلُّ شيءٍ خلقَه، فمَن حملَه على الإنسانِ ذكرَ للتَّسويةِ وجوهاً:

أحدُها: اعتدالُ قامتِه وحسنُ خَلقِه، كما قالَ تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤]، وأثنى على نفسِه بسببِ خلقِه إيَّاه بقولِه: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤].

ثانيها: كلُّ حيوانٍ مستعدٌّ لنوعٍ واحدٍ من الأعمالِ فقط، وأمَّا الإنسانُ فإنَّه خُلقَ بحيث يمكنُه أن يأتيَ بجميعِ الأعمالِ بواسطةِ الآلاتِ.

ثالثها: أنَّه تعالى هيَّأه للتَّكليفِ والقيامِ بأداءِ العباداتِ(١).

وقالَ بعضُهم: ﴿خَلَقَ﴾ في أصلابِ الآباءِ، و(سوَّى) في أرحامِ الأمَّهاتِ(٢).

ومَن حملَه على جميعِ الحيواناتِ فمعناه: أنَّه أعطى كلَّ حيوانٍ ما يحتاجُ إليه من آلاتٍ وأعضاءٍ.

ومَن حملَه على جميعِ المخلوقاتِ كانَ المرادُ من التَّسويةِ هوَ: أنَّه تعالى قادرٌ على كلِّ الممكناتِ، عالمٌ بجميعِ المعلوماتِ، يخلقُ ما أرادَ وَفقَ إرادتِه،

---

(١) انظر: «التفسير الكبير» للرازي (٣١/ ١٢٨).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٢٥٢).

موصـوفٌ بالإحـكامِ والإتقانِ، مُبرَّأٌ عـن النَّقـصِ والاضطرابِ[١].

قولُه تعالى: ﴿وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾؛ أي: قدَّرَ أجناسَ الأشياءِ وأنواعَها وأشخاصَها ومقاديرَها وصفاتِها وأفعالَها وآجالَها، ﴿فَهَدَىٰ﴾ إلى ما قدَّرَه.

أو: ﴿قَدَّرَ﴾ الأرزاقَ ﴿فَهَدَىٰ﴾ لاكتسابِها.

أو: خلقَ المباحَ وهدى الإنسانَ لوجهِ استخراجِه.

أو: قدَّرَ مُدَّةَ الجنينِ في الرَّحمِ ثمَّ هداه للخروجِ.

وقرأ الكسائيُّ: ﴿قَدَرَ﴾ بالتَّخفيفِ من القدرةِ، والباقون بالتَّشديدِ من التَّقديرِ[٢].

﴿وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ﴾؛ أي: أنبتَ العشبَ، وهوَ ما ترعاه الدَّوابُّ.

﴿فَجَعَلَهُۥ﴾ بعد خُضرتِه ﴿غُثَآءً أَحْوَىٰ﴾: يابساً أسودَ.

وقيلَ: ﴿أَحْوَىٰ﴾ حالٌ من ﴿ٱلْمَرْعَىٰ﴾؛ أي: أخرجَه أحوى من شدَّةِ خُضرتِه.

* * *

(٦ ـ ٨) ـ ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ۝٧ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ﴾.

قولُـه تعالـى: ﴿سَنُقْرِئُكَ﴾؛ أي: سـنعلِّمكَ القـرآنَ بقـراءةِ جبريـلَ عليك ﴿فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ مـا تقـرأُه ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ الَّـذي لا رادَّ لمشـيئتِه أن تنسـاه، وهـوَ المنسـوخُ تلاوتُـه مـن القـرآنِ وحُكمُه.

وكانَ ﷺ يجهرُ بالقراءةِ مع قراءةِ جبريلَ خوفَ النِّسيانِ، وكأنَّه قيلَ له: لا تعجَلْ؛ فإنَّكَ لا تنسى المقروءَ، فلا تُتعِبْ نفسَكَ بالجهرِ به.

---

(١) انظر: «التفسير الكبير» للرازي (٣١/ ١٢٨).

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٦٨٠)، و«التيسير» (ص: ٢٢١).

﴿إِنَّهُۥ﴾ تعالى ﴿يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ﴾ من القولِ والفعلِ ﴿وَمَا يَخۡفَىٰ﴾ منهما، فيعلمُ السِّرَّ والعَلانيةَ.

﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلۡيُسۡرَىٰ﴾ قالَ مقاتلٌ: نهوِّنُ عليك عملَ الجنَّةِ(١)، وهوَ معنى قولِ ابنِ عبَّاسٍ: ونيسِّرُك لأن تعملَ خيراً(٢)، واليُسرى: عملُ الخيرِ.

وقيلَ: نوفِّقُكَ للشَّريعةِ اليُسرى، وهي الحنيفيةُ السَّمحةُ.

وقيلَ: متَّصلٌ بالكلامِ الأوَّلِ معناه: ﴿إِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ﴾ ممَّا يقرؤه جبريلُ إذا فرغَ مِن التِّلاوةِ، ﴿وَمَا يَخۡفَىٰ﴾: ما تقرؤه في نفسِكَ مخافةَ النِّسيانِ. ثمَّ وعدَه فقال: ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلۡيُسۡرَىٰ﴾؛ أي: نهوِّنُ عليك الوحيَ حتَّى تحفظَه وتعلمَه.

* * *

(٩ ـ ١٣) ـ ﴿فَذَكِّرۡ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكۡرَىٰ (٩) سَيَذَّكَّرُ مَن يَخۡشَىٰ (١٠) وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلۡأَشۡقَى (١١) ٱلَّذِي يَصۡلَى ٱلنَّارَ ٱلۡكُبۡرَىٰ (١٢) ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ﴾.

قولُه تعالى: ﴿فَذَكِّرۡ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكۡرَىٰ﴾؛ أي: عِظْ بالقرآنِ إن نفعَتِ الموعظةُ والتَّذكيرُ أو لم تنفعْ، ولم يذكرْ هذه الحالةَ الثَّانيةَ استغناءً بالأولى واكتفاءً بها، فهوَ كقولِه: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ﴾ [النحل: ٨١]؛ أي: والبردَ.

و﴿إِن﴾ بمعنى: إذ، كما في قولِه: ﴿وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩].

وقيلَ: هيَ شرطيَّةٌ على بابِها، وفيه استبعادٌ لتذكُّرِهم.

---

(١) ذكره عنه الواحدي في «البسيط» (٢٣/ ٤٤١)، والبغوي في «تفسيره» (٨/ ٤٠١).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٢٥٤)، والواحدي في «البسيط» (٢٣/ ٤٤١)، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤١٧) بلفظ: «ونيسرك لليسرى قال: للخير».

وقيلَ: ﴿إِن﴾ بمعنى: ما؛ أي: فذكِّرْ ما نفعَتِ الذِّكرى.

﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ﴾؛ أي: يخافُ اللهَ تعالى، فهيَ كقولِه: ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق: ٤٥]، وإن كانَ ﷺ يجبُ عليه تذكيرُهم نفعَتْهم الذِّكرى أو لـم تنفع.

وقالَ ابنُ عبَّاسٍ: نزلَت في ابنِ أمِّ مكتومٍ[١].

وقيلَ: في عثمانَ بنِ عفَّانَ[٢].

قال الماورديُّ: وقد يذكَّرُ مَن يَرجوه أيضاً، إلَّا أن تذكُّرَ الخاشي أبلغُ، فلذلك علَّقَها بالخشيةِ دونَ الرَّجاء[٣].

وقالَ بعضُهم: المعنى: عمِّمْ أنتَ التَّذكيرَ والوعظَ، وإن كانَ الوعظُ إنَّما ينفعُ مَن يَخشى، ولكن يحصلُ لك ثوابُ الدُّعاءِ[٤].

﴿وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى﴾؛ أي: يتركُ الذِّكرى جانباً لا يلتفتُ إليها، ويتباعَدُ عنها الشَّقيُّ الكافرُ.

وقالَ الرَّازيُّ: الفِرقُ ثلاثٌ: العارفُ والمتوقِّفُ والمعانِدُ، فالسَّعيدُ هوَ العارفُ، والمتوقِّفُ له بعضُ الشَّقاءِ، والمعاندُ هوَ الأشقى[٥]. فيكونُ على بابِه.

وقالَ بعضُهم: ﴿ٱلْأَشْقَى﴾: الكافرُ؛ لأنَّه أشقَى من الفاسقِ.

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٢٢٩) من رواية أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما، وذكره الواحدي في «البسيط» (٢٣/ ٤٤٣) عن الفراء.

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٣/ ٤٤٣) عن عطاء.

(٣) انظر: «النكت والعيون» (٦/ ٢٥٤).

(٤) نقله القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٢٣٠) عن أبي نصر القشيري بلفظه.

(٥) انظر: «التفسير الكبير» للرازي (٣١/ ١٣٥).

وقيلَ: نزلَت في الوليدِ بنِ المغيرةِ وعتبةَ بنِ ربيعةَ[1].

﴿ٱلَّذِى يَصۡلَى ٱلنَّارَ ٱلۡكُبۡرَىٰ﴾؛ أي: العُظمى، وهي نارُ جهنَّمَ؛ لأنَّ النّارَ الصُّغرى نارُ الدُّنيا.

وقيلَ: في الآخرةِ نيرانٌ ودركاتٌ متفاضلةٌ، كما أنَّ في الدُّنيا ذنوباً ومعاصيَ متفاضلةً، وكما أنَّ الكفَّارَ أشقى العُصاةِ، فكذلكَ يَصلى أعظمَ النِّيرانِ.

وقالَ بعضُهم: النّارُ الكُبرى: هيَ النّارُ السُّفلى، فهي نصيبُ الكفّارِ، كما قالَ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥].

﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ﴾؛ أي: لا يموتُ فيها فيستريحَ، ولا يحيا حياةً نافعةً.

وقالَ بعضُهم: لا يحيا حياةً هنيئةً، وإلَّا فالحيوانُ لا يخلو عن الاتِّصافِ بأحدِهما، ونظيرُه قولُه: ﴿لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَا﴾ [فاطر: ٣٦]، ودلَّ على أنَّ المرادَ هوَ ما ذُكِرَ نفيُ الموتِ قبلَها.

وقيلَ: معناه: تصعدُ نفسُه إلى الحلقومِ، ثمَّ لا تفارقُه فيموتَ، ولا ترجعُ إلى موضعِها من الجسمِ فيَحيا.

* * *

(١٤ ـ ١٩) ـ ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلۡ تُؤۡثِرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ﴿١٦﴾ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾.

قولُه تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾؛ أي: تطهَّرَ بالإيمانِ، أو أخرجَ زكاةَ الفِطرِ.

وقيلَ: مَن تطهَّرَ بـ«لا إلهَ إلَّا اللهُ».

---

(١) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٥/ ١٢٨) عن الحسين بن واقد، وزاد: «أمية بن خلف».

وقالَ الحسنُ: مَن كانَ عملُه زاكياً[١].

﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾؛ أي: الصَّلواتِ الخمسَ، وذلك من أمورِ الآخرةِ؛ أي: النَّافعُ فيها، وكفَّارُ مكَّةَ يُعرِضونَ عنها.

أو ﴿فَصَلَّىٰ﴾؛ أي: خرجَ إلى المُصلَّى، فصلَّى صلاةَ العيدِ ودفعَ زكاةَ الفِطرِ[٢].

وقالَ نافعٌ: كانَ ابنُ عمرَ إذا صلَّى الغداةَ ـ يعني: من يومِ العيدِ ـ قالَ: يا نافعُ، أخرجْتَ الصَّدقةَ؟ فإن قالَ: نعم، مضى للمُصلَّى، وإن قالَ: لا، قالَ: فالآنَ فأَخرِجْ، فإنَّما نزلَت هذهِ الآيةُ في هذا، وتلا ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾[٣].

﴿بل يُؤثِرونَ الحياةَ الدُّنيا﴾ بالغيبِ لأبي عمرٍو[٤]، وانفردَ به ابنُ مهرانَ عن روحٍ[٥]، على ردِّ الضَّميرِ لكفَّارِ مكَّةَ، والباقون بالخطابِ لـمَن هوَ كذلكَ، والمعنى: يؤثرون الحياةَ الدُّنيا على الآخرةِ، فالكافرُ يُؤثرُ الدُّنيا إيثارَ كفرٍ؛ لأنَّه يرى أن لا آخرةَ، والمؤمنُ يُؤثرها إيثارَ معصيةٍ وغلبةِ نفسٍ إلَّا مَن وفَّقَه اللهُ.

وعن ابنِ مسعودٍ: أنَّه قرأ هذه الآيةَ فقالَ: أتدرونَ لـمَ آثَرْنا الحياةَ الدُّنيا على

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣١٩).

(٢) قال القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٢٣٣) بعد أن نقل هذا القول عن جمع من السلف: «وقد تقدم أن هذه السورة مكية في قول الجمهور، ولم يكن بمكة عيد ولا زكاة فطر، القشيري: ولا يبعد أن يكون أثنى على من يمتثل أمره في صدقة الفطر وصلاة العيد، فيما يأمر به في المستقبل».

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٩/ ٢٤٨) عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما، وروى البيهقي في «السنن الكبرى» (٧٦٦٧) من طريق عبيد الله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر أنه كان يقول: «نزلت هذه الآية: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾ في زكاة رمضان».

(٤) والباقون بالتاء. انظر: «السبعة» (ص: ٦٨٠)، و«التيسير» (ص: ٢٢١).

(٥) قال في «النشر» (٢/ ٤٠٠): «وانفرد ابن مهران بذلك عن روح في كل كتبه وبالخلاف عن رويس في بعضها».

الآخرةِ؟ قلنا: لا، قال: لأنَّ الدُّنيا أُحضِرَت وعُجِّلَ لنا طعامُها وشرابُها ونساؤُها ولذَّاتُها وبهجتُها، وأنَّ الآخرةَ بقيَت لنا وزُوِيَت عنَّا، فأحببنا العاجلَ وتركنا الآجِلَ[1].

قولُه تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ﴾ الإشارةُ إلى قولِه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ إلى قولِه: ﴿وَأَبْقَىٰٓ﴾؛ أي: هذا الكلامُ واردٌ في تلكَ ﴿ٱلصُّحُفِ﴾؛ أي: الكُتبِ ﴿ٱلْأُولَىٰ﴾ الَّتي أُنزِلَت قبلَ القرآنِ، ذُكِرَ فيها فلاحُ المتزكِّي والمصلِّي، وإيثارُ الخَلقِ الحياةَ الدُّنيا، وأنَّ الآخرةَ خيرٌ وأبقى.

وقيلَ: الإشارةُ إلى ما في السُّورة كلِّها، وهوَ روايةُ عكرمةَ عن ابنِ عبَّاسٍ[2].

وقالَ الضَّحَّاكُ: إنَّ هذا القرآنَ لفي الصُّحفِ الأولى[3].

ولم يَرِدْ أنَّ هذه الألفاظَ بعينِها في تلكَ الصُّحفِ، وإنَّما معناه: أنَّ معنى هذا الكلامِ في تلكَ الصُّحفِ، ثمَّ بيَّنَ تلكَ الصُّحفَ بقولِه:

﴿صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾، وصحفُ إبراهيمَ كانَت عشراً، وصحفُ موسى قبلَ التَّوراةِ عشراً.

رُويَ عن أُبيِّ بنِ كعبٍ: أنَّه سألَ رسولَ اللهِ ﷺ: كم أنزلَ اللهُ من كتابٍ؟ فقالَ: «مئةٌ وأربعةُ كتبٍ، منها على آدمَ عشرُ صحفٍ، وعلى شيثٍ خمسون صحيفةً، وعلى أخنوخَ ـ وهوَ إدريسُ ـ ثلاثونَ صحيفةً، وعلى إبراهيمَ عشرُ صحائفَ، والتَّوراةُ والإنجيلُ والزَّبورُ والفرقانُ»[4].

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٩/ ٢٥٤).

(٢) رواه سعيد بن منصور في «سننه ـ التفسير» (٨/ ٣٢٧)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٢٣).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٩/ ٢٥٦).

(٤) قطعة من حديث طويل رواه ابن حبان في «صحيحه» (٣٦١)، والخطابي في «غريب الحديث» (٢/ ١٥٧)، من حديث أبي ذر رضي الله عنه. وإسناده ضعيف جدًّا فيه إبراهيم بن هشام بن يحيى الغساني.

تفسيرُ سورةِ الغاشيةِ

بسمِ اللّه الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١ ـ ٥) ـ ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ ۝١ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٞ نَّاصِبَةٞ ۝٣ تَصۡلَىٰ نَارًا حَامِيَةٗ ۝٤ تُسۡقَىٰ مِنۡ عَيۡنٍ ءَانِيَةٖ﴾.

﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ﴾؛ أي: القيامةِ، أو: الدَّاهيةِ الَّتي تَغشى النَّاسَ شدائدُها، وهي يومُ القيامةِ، أو: النَّارِ مِن قولِه: ﴿وَتَغۡشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾ [إبراهيم: ٥٠].

و﴿هَلۡ﴾ بمعنى: (قد) نظيرُ ما سبقَ، والمعنى: قد أتاكَ حديثُ الغاشيةِ، أو هيَ استفهامٌ على حالٍ يُسمِّيه أهلُ البيانِ: التَّشويقَ، والمعنى: إن لم يكن أتاكَ حديثُ الغاشيةِ فقد أتاك، وهوَ قولُ الكلبيِّ[١].

﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ﴾؛ أي: يومَ إذ غَشِيَت ﴿خَٰشِعَةٌ﴾؛ أي: ذليلةٌ من الخجلِ والفضيحةِ والخوفِ منَ العذابِ، والمرادُ بالوجوهِ: أصحابُها.

﴿عَامِلَةٞ نَّاصِبَةٞ﴾؛ أي: ذاتُ تعبٍ ونَصَبٍ.

قالَ سعيدُ بنُ جُبَيرٍ عن قتادةَ: تكبَّرَت في الدُّنيا عن طاعةِ اللهِ تعالى، فأعملَها وأنصبَها في النَّارِ[٢]، بجرِّ السَّلاسلِ الثِّقالِ، وحملِ الأغلالِ، والوقوفِ حفاةً عُراةً في العرصاتِ في يومٍ كانَ مقدارُه خمسينَ ألفَ سنةٍ.

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٢٥٧)، وذكر الواحدي في «البسيط» (٢٣/ ٤٥٥) من طريق الكلبي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لم يكن أتاه قبل ذلك».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٢٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤٢٠).

وقالَ ابنُ مسعودٍ: تخوضُ في النَّارِ كما تخوضُ الإبلُ في الوَحلِ(١).

وقالَ الحسنُ: لـم تعمل في الدُّنيا ولـم تنصَبْ له، فأعملَها وأنصبَها في جهنَّمَ(٢).

﴿تُصلَى ناراً حامِيةً﴾ قرأ أبو عمرٍو وشعبةُ بضمِّ التَّاءِ الفوقيَّة على ما لـم يُسمَّ فاعلُه(٣)، والضَّميرُ على كلتا القراءتينِ للوجوهِ، والمعنى: تُدخَلُ ناراً حاميةً؛ أي: شديدةَ الحرِّ قد أُوقِدَت وأُحمِيَت مُدَّةً طويلةً، ومنه: «حَمِيَ النَّهارُ» بالكسرِ؛ أي: اشتدَّ حرُّه، وحكَى الكسائيُّ: اشتدَّ حَمْيُ الشَّمسِ وحَمْوُها بمعنىً(٤).

قالَ عليه السَّلامُ: «أُوقِدَ عليها ألفُ سنةٍ حتَّى احمرَّت، ثمَّ أُوقِدَ عليها ألفُ سنةٍ حتَّى ابيضَّتْ، ثمَّ أُوقِدَ عليها ألفُ سنةٍ حتَّى اسودَّتْ، فهي سوداءُ مظلمةٌ»(٥).

﴿تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ﴾؛ أي: شديدةِ الحرارةِ، كقولِه: ﴿وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾ [الرحمن: ٤٤]؛ أي: مُتناهٍ في الحرارةِ. رُويَ أنَّه لو وقعَت منها قطرةٌ على جبالِ الدُّنيا لأذابَتْها.

ولـمَّا ذكَرَ شرابَهم أتبعَه بذِكرِ طعامِهم:

(٦ ـ ٧) ـ ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝٦ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ﴾.

﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ﴾ قالَ مجاهدٌ: هوَ نبتٌ ذو شوكٍ لاطِئٌ بالأرضِ، تُسمِّيه قريشٌ الشِّبرقَ، فإذا هاجَ سمَّوه الضَّريعَ، وهوَ أخبثُ طعامٍ وأبشعُه(٦).

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٩/ ٢٦٦)، والبغوي في «تفسيره» (٨/ ٤٠٤).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «صفة النار» (١٢٩)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٢٨)، وأبو الشيخ في «طبقات المحدثين بأصبهان» (٢/ ٢٠٣).

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٦٨١)، و«التيسير» (ص: ٢٢١).

(٤) ذكره الجوهري في «الصحاح» (مادة: حمي).

(٥) رواه الترمذي (٢٥٩١) عن أبي هريرة رضي الله عنه موقوفاً ومرفوعاً. وقال: «موقوف أصح».

(٦) علقه بنحوه البخاري بعد حديث (٤٩٤١)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٣١) مقتصراً على =

قالَ الكلبيُّ: لا تقربُه دابَّةٌ إذا يَبِسَ[(١)].

وقالَ ابنُ زيدٍ: أمَّا في الدُّنيا فإنَّ الضَّريعَ: الشُّوكُ اليابسُ الَّذي ليسَ له ورقٌ، وهوَ في الآخرةِ شوكٌ من نارٍ[(٢)].

وفي الحديثِ عن ابنِ عبَّاسٍ يرفعُه: «الضَّريعُ شيءٌ في النَّارِ يُشبِهُ الشَّوكَ أمَرُّ مِن الصَّبرِ، وأنتَنُ مِن الجِيفةِ، وأشدُّ حَرّاً مِن النَّارِ»[(٣)].

﴿لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ﴾ فـلا يحفَظُ الصِّحَّةَ، ولا يمـنعُ الهُزالَ، فنفى السِّمَنَ والشِّبَعَ عنه.

قـالَ بعضُهم: لمَّا نزلَ ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ﴾ قالَ المشركون: إنَّ إبلَنا لتسمَنُ على الضَّريعِ، فقيلَ لهم: إنَّه لا يُسمِنُ ولا يُغني من جوعٍ[(٤)]. مع أنَّهم كذَبوا في ذلك، فإنَّ الإبلَ إنَّما ترعاه ما دامَ رطباً، فإذا يبسَ لا تأكلُه.

= قوله: «الشبرق»، وفي رواية: «الشبرق اليابس».

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٩/ ٢٦٩)، والواحدي في «البسيط» (٢٣/ ٤٦٢).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٣٣).

وذكر القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٢٤٥) هنا عن القتبي في «تأويل مشكل القرآن» (ص: ٤٨) قوله: «ويجوز أن يكون الضريع وشجرة الزقوم نبتين من النار، أو من جوهر لا تأكله النار، وكذلك سلاسل النار وأغلالها وعقاربها وحياتها، ولو كانت على ما نعلم ما بقيت على النار...».

ثم نقل عن أبي نصر القشيري قوله: «وأمثل من قول القتبي أن نقول: إن الذي يبقي الكافرين في النار ليدوم عليهم العذاب، يبقي النبات وشجرة الزقوم في النار ليعذب بها الكفار».

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٩/ ٢٦٩)، وقال ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢٠/ ١٥٧): «حديث غريب جداً»، وقال السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٤٩٢): «وأخرج ابن مردويه بسند واه»، ثم ذكره.

(٤) ذكره الزجاج في «معاني القرآن» (٥/ ٣١٧)، والأزهري في «تهذيب اللغة» (١/ ٢٩٩)، والثعلبي في «تفسيره» (٢٩/ ٢٧١)، والواحدي في «البسيط» (٢٣/ ٤٦٦).

على تقديرِ أن يَصْدُقوا فيكونُ المعنى: إنَّ طعامَكم من ضَريعٍ ليسَ من جِنسِ ضَريعِكم، إنَّما هوَ ضريعٌ غيرُ مُسمِنٍ ولا مُغنٍ من جوعٍ.

وقيلَ: إنَّ المعذَّبين طبقاتٌ، فمنهم مَن طعامُه من ضريعٍ، ومنهم مَن طعامُه من غِسلين، ومنهم مَن طعامُه من زقُّومٍ ﴿لِكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ [الحجر: ٤٤].

* * *

(٨ ـ ١٢) ـ ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾.

قولُه تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾؛ أي: ذاتُ بهجةٍ وحُسنٍ، كقولِه: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ [المطففين: ٢٤]، أو: متنعِّمةٌ، قالَ مقاتلٌ: في نعمة وكرامة[١].

﴿لِّسَعْيِهَا﴾؛ أي: في الدُّنيا بالأعمالِ الصَّالحةِ ﴿رَاضِيَةٌ﴾، أو في الآخرةِ بثوابِ سعيِها حينَ رأت ما أدَّاهم إليه منَ الكرامةِ.

﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾؛ أي: عَليَّةِ المحلِّ والقَدْرِ.

﴿لا تُسمَعُ فيها لاغيةٌ﴾ بالتَّاءِ الفوقيَّةِ ـ نافعٌ ـ مضمومةً ﴿لاغيةٌ﴾ بالرَّفعِ لقيامِها مقامَ الفاعلِ، والباقونَ بالتَّاءِ الفوقيَّةِ مفتوحةً ﴿لَاغِيَةً﴾ بالنَّصبِ[٢]، فيجوزُ أن تكونَ التَّاءُ للخطابِ؛ أي: لا تَسمعُ أنتَ، وأن تكونَ للتَّأنيثِ؛ أي: لا تسمعُ الوجوهُ؛ أي: أصحابُها.

واللَّغوُ قالَ ابنُ عبَّاسٍ: الكذبُ والبهتانُ والكفرُ باللهِ تعالى[٣].

---

(١) ذكره عنه الواحدي في «البسيط» (٢٣/ ٤٦٧)، والبغوي في «تفسيره» (٨/ ٤٠٩).

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٦٨١ ـ ٦٨٢)، و«التيسير» (ص: ٢٢٢). ويستدرك من الباقين ابن كثير وأبو عمرو فقد قرأا: ﴿لا يُسْمَعُ﴾ بياء التَّذكير مضمومةً ﴿لاغيةٌ﴾ بالرَّفع.

(٣) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٣/ ٤٦٨)، وروى الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٣٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما في الآية قال: «لا تسمع أذى ولا باطلًا».

وقالَ قتادةُ: لا باطلاً ولا إثماً[١].

وقالَ الحسنُ: هوَ الشَّتمُ[٢].

وقالَ الفرَّاءُ: الحَلِفُ الكاذِبُ[٣].

وقيلَ: المعنى: لا تسمعُ في كلامِهم كلمةً ذاتَ لغوٍ، وإنَّما يتكلَّمون بالحكمةِ وحمدِ اللهِ تعالى على ما رزقَهم من النَّعيمِ الدَّائمِ، وهذا أحسنُ الأقوالِ كما قالَه القفَّالُ[٤].

وقالَ الكلبيُّ: لا يُسمعُ في الجنَّةِ حالفٌ بيمينٍ برَّةٍ ولا فاجرةٍ[٥].

﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ قيلَ: المرادُ: عيونٌ كثيرةٌ، كقولِه: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ﴾ [التكوير: ١٤][٦].

وقالَ القفَّالُ: فيها عينُ شرابٍ جاريةٌ على وجهِ الأرضِ تجري في غيرِ أخدودٍ كما أرادوا[٧].

* * *

(١٣ ـ ١٦) ـ ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ (١٣) وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ (١٤) وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ (١٥) وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾.

﴿فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ﴾؛ أي: عاليةٌ في الهواءِ.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٥٨٧)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٣٥) بلفظ: «لا تسمع فيها باطلاً ولا شاتماً».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٣٥) عن مجاهد، وكذا ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٢٦٠).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٥٨).

(٤) نقله عنه الرازي في «التفسير الكبير» (٣١/ ١٤٢).

(٥) ذكره عنه الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٢٦٠).

(٦) هذا كلام الزمخشري في «الكشاف».

(٧) نقله عنه الرازي في «التفسير الكبير» (٣١/ ١٤٢).

قالَ ابنُ عبَّاسٍ: ألواحُها من ذهبٍ، مُكلَّلةٌ بالزَّبرجدِ والدُّرِّ والياقوتِ، مرتفعةٌ في السَّماءِ ما لم يجِئْ أهلُها، فإذا أرادوا أن يجلسوا عليها تواضعَت، ثمَّ ترتفعُ إلى مواضعِها[1].

﴿وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ﴾ جمعُ كوبٍ، وهي الكِيزانُ الَّتي لا عُرى لها.

قالَ قتادةُ: فهي دونَ الإبريقِ[2].

وفي قولِه: ﴿مَّوْضُوعَةٌ﴾ وجوهٌ:

أحدُها: أنَّها مُعدَّةٌ لأهلِها كالرَّجلِ يلتمسُ من الرَّجلِ شيئاً فيقول: هوَ هاهنا موضوعٌ، بمعنى: مُعدٌّ.

ثانيها: موضوعةٌ على حافاتِ العينِ الجاريةِ، كلَّما أرادَ الشُّربَ وجدَها مملوءةً من الشَّرابِ.

ثالثُها: موضوعةٌ بينَ أيديهم لاستحسانِهم إيَّاها بسببِ كونِها من ذهبٍ أو فضَّةٍ أو جواهرَ، وتلذُّذِهم بالشَّرابِ فيها.

رابعُها: أن يكونَ المرادُ: موضوعةً عن حدِّ الكِبَرِ؛ أي: هيَ أوساطٌ بينَ الكِبرِ والصِّغرِ، كقولِه: ﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ [الإنسان: ١٦].

﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ﴾ هيَ الوسائدُ، واحدُها: نُمرُقةٌ؛ بضمِّ النُّونِ والرَّاءِ وكسرِهما لغتانِ، وهي وسادةٌ صغيرةٌ مصفوفةٌ واحدةٌ إلى جنبِ أُخرى، قالَ الشَّاعرُ:

كُهُولاً وشُبَّاناً حِساناً وُجُوهُهم ... لهم سررٌ مصفوفةٌ ونمارِقُ[3]

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٣/ ٤٧٠)، والبغوي في «تفسيره» (٨/ ٤٠٩)، وابن الجوزي في «التبصرة» (١/ ٤٣٠).

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣١٢٤)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٢٩٧)، في تفسير قوله: ﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ﴾ [الواقعة: ١٨] ولفظه: «الأكواب: التي دون الأباريق ليس لها عرى».

(٣) البيت بلا نسبة في «تفسير الثعلبي» (٢٩/ ٢٧٥)، و«المفهم» لأبي العباس القرطبي (٥/ ٤٢٨). ونسب لزهير في «المحرر الوجيز» لابن عطية (٥/ ٤٧٤)، و«البحر المحيط» (٢١/ ٣٢٨).

﴿وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾: هوَ جمعُ زَرْبِيَّةٍ بفتحِ الزَّايِ وكسرِها لغتانِ مشهورتان، هيَ بُسُطٌ عِراضٌ فاخرةٌ.

وقالَ ابنُ عبَّاسٍ: هيَ الطَّنافسُ الَّتي لها خَملٌ ـ أي: وَبرٌ ـ رقيقٌ(١).

و﴿مَبْثُوثَةٌ﴾ بمعنى: مبسوطةٍ.

وقالَ عكرمةُ: بعضُها فوقَ بعضٍ(٢).

وقالَ الفرَّاءُ: كثيرةٌ(٣).

وقالَ القتبيُّ: مُفرَّقةٌ في المجالسِ(٤)، ومثلُه قولُه: ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾ [البقرة: ١٦٤].

* * *

(١٧) ـ ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾.

قولُه تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾(٥)؛ أي: خَلقاً عجيباً دالّاً على

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٩/ ٢٧٥).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٢٦١).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٥٨).

(٤) انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ٥٢٥)، وفيه: «كثيرة متفرقة في المجالس».

(٥) قال القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ٣٦): «وقدم الإبل في الذكر، ولو قدم غيرها لجاز. قال القشيري: وليس هذا مما يطلب فيه نوع حكمة. وقد قيل: هو أقرب إلى الناس في حق العرب، لكثرتها عندهم، وهم من أعرف الناس بها. وأيضًا: مرافق الإبل أكثر من مرافق الحيوانات الأخر، فهي مأكولة، ولبنها مشروب، وتصلح للحمل والركوب، وقطع المسافات البعيدة عليها، والصبر على العطش، وقلة العلف، وكثرة الحمل، وهي معظم أموال العرب. وكانوا يسيرون على الإبل منفردين مستوحشين عن الناس، ومن هذا حاله تفكر فيما يحضره، فقد ينظر في مركوبه، ثم يمد بصره إلى السماء ثم إلى الأرض. فأمروا بالنظر في هذه الأشياء، فإنها أدل دليل على الصانع المختار القادر».

كمالِ قدرتِه وحُسنِ تدبيرِه، حيثُ خلقَها للنُّهوضِ بالأثقالِ وجرِّها إلى البلادِ النائيةِ، فجعلَها تبركُ حتَّى تُحمَّلَ عن قربٍ ويسرٍ، ثمَّ تنهضُ بما حمِّلَت، وسخَّرَها منقادةً لكلِّ مَن اقتادَها بأزمَّتِها، لا تعازُّ ضعيفاً، ولا تُمانعُ صغيراً، وبَرَأها طِوالَ الأعناقِ لتنوءَ بالأوقارِ.

وعن بعضِ الحكماءِ أنَّه حُدِّثَ عن البعيرِ وبديعِ خَلقِه وقد نشأ في بلادٍ لا إبلَ بها، فتفكَّرَ ثمَّ قالَ: يُوشكُ أن تكونَ طِوالَ الأعناقِ.

وحين أرادَ بها أن تكونَ سفائنَ البرِّ صبَّرَها على احتمالِ العطشِ حتَّى إنَّ أظمَاءَها لتصيرُ إلى عِشرٍ[1] فصاعداً؛ ليتأتَّى لها قطعُ البراري والمفاوزِ، مع ما لها من منافعَ أُخَرَ، ولذلك خُصَّت بالذِّكرِ لبيانِ الآياتِ المنبثَّةِ في الحيواناتِ الَّتي هيَ أشرفُ المركباتِ، وأكثرُها صُنعاً، ولأنَّها أعجبُ ما عندَ العربِ من هذا النوعِ؛ لأنَّها ترعى كلَّ شيءٍ نابتٍ في البراري والمفاوزِ ما لا ترعاه سائرُ البهائمِ.

وعن سعيدِ بنِ جُبيرٍ قالَ: لقيتُ شُريحاً القاضي فقلتُ له: أين تريدُ؟ قالَ: أريدُ الكُناسةَ. قلت: وما تصنعُ بها؟ [قال: أَنظرُ إلى الإبلِ كيف خُلِقَتْ][2].

---

(١) العِشر بالكسر: ما بين الوِرْدَين، وهو ثمانيةُ أيام، لأنها تَرِدُ اليومَ العاشر. والأظماء: جمع ظِمْءٍ، وهو ما بين الوردين، وهو حبس الإبل عن الماء إلى غاية الورد. انظر: «حاشية الجاربردي» (ج٢/ و٤٥٩أ). وعبارة «الكشاف»: «أظماءَها لترتفعُ إلى عِشرٍ» والمعنى واحد.

(٢) ما بين معكوفتين من «الكشاف». والخبر رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٣٩) من طريق شعبة، عن أبي إسحاق، عمن سمع شريحاً يقول: «اخرجوا بنا ننظر إلى الإبل كيف خُلقت». ورواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٩/ ٢٧٩) عن يونس بن أبي إسحاق، عن أبيه، عن شُريح: أنه كان يقول: «اخرجوا بنا إلى الكُناسة لننظر إلى الإبل كيف خُلقت». ففي رواية الثعلبي انقطاع بين أبي إسحاق وشريح كما بينته رواية الطبري.

وقد وقع هنا في (أ) طمس أربع لوحات هي تتمة هذه السورة وأول التي بعدها حتى الآية (١٣) منها.

[تفسيرُ سورةِ الفجرِ
بسمِ اللَّهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ][1]

... بالقتلِ وغيره[2].

قالَ القفَّالُ: وبالجملةِ فالفسادُ ضدُّ الصَّلاحِ، فكما أنَّ الصَّلاحَ يتناولُ جميعَ أنواعِ البرِّ، فالفسادُ يتناولُ جميعَ أقسامِ الإثمِ.

* * *

(١٣ ـ ١٤) ـ ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝١٣ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾.

﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾؛ أي: نوعَ عذابٍ.

وقالَ قتادةُ: لوناً منَ العذابِ صبَّه عليهم[3].

وقالَ أهلُ المعاني: هذا على الاستعارةِ؛ لأنَّ السَّوطَ عندهم غايةُ العذابِ.

وقالَ الفرَّاءُ: هيَ كلمةٌ تقولُها العربُ لكلِّ نوعٍ من أنواعِ العذابِ، وأصلُ ذلك: أنَّ السَّوطَ هوَ عذابُهم الَّذي يُعذَّبون به، فجرى لكلِّ عذابٍ، إذ كانَ فيه غايةُ العذابِ[4].

---

(١) قال القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ٤٠): «وقيل: إن الشفع والوتر: آدم وحواء، لأن آدم كان فرداً فشفع بزوجته حواء، فصار شفعا بعد وتر. رواه ابن أبي نجيح، وحكاه القشيري عن ابن عباس».

(٢) هنا آخر الطمس، ولم نجد في المصادر ما يصلح بداية لهاتين الكلمتين.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٩/ ٣٤١)، والواحدي في «البسيط» (٢٣/ ٥٠٦).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٦١).

وعن الحسنِ: أنَّه كانَ إذا أتى على هذه الآيةِ قالَ: إنَّ اللهَ تعالى عندَه أسواطٌ كثيرةٌ، فأخذَهم بسَوطٍ منها(١).

وقالَ قتادةُ: كلُّ شيءٍ عذَّبَ اللهُ به فهوَ سَوطُ عذابٍ(٢).

وشُبِّهَ بصبِّ السَّوطِ الَّذي يتواتَرُ على المضروبِ فيهلكُه.

﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ﴾؛ أي: يرصُدُ أعمالَ العبادِ لا يفوتُه منها شيءٌ؛ ليجازيَهم عليها، والمرصادُ: المكانُ الَّذي يترقَّبُ فيه الرَّصَدُ، مِفْعالٌ من رَصَدَه، كالميقاتِ من وَقَتَه، وهذا مثلٌ لإرصادِ العصاةِ بالعقابِ، وأنَّهم لا يفوتونه.

* * *

(١٥ ـ ١٦) ـ ﴿فَأَمَّا ٱلۡإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكۡرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ ١٥ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ﴾.

قولُه تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلۡإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكۡرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ﴾؛ أي: إذا ما امتحنَه ربُّه بالنِّعمةِ، فأكرمَه بالمالِ، ونعَّمَه بما وسَّعَ عليه ﴿فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ﴾؛ أي: فضَّلَني بما أعطاني.

﴿وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ﴾ بالفقرِ ﴿فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ﴾؛ أي: فيهتمُّ لذلك ويضيقُ ذرعاً، ويكونُ أكبرَ همِّه، وهذا في حقِّ الكافرِ لقصورِ نظرِه وسوءِ فكرِه، فيرى الكرامةَ والهوانَ بكثرةِ الحظِّ في الدُّنيا وقلَّتِه.

وقالَ الكلبيُّ ومقاتلٌ: نزلَت في أُميَّةَ بنِ خلفٍ الجُمحيِّ الكافرِ(٣).

---

(١) ذكره الزمخشري في «الكشاف» عن عمرو بن عبيد عن الحسن.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤٢٧)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٢٧٠).

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٦٩٠)، وذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٥٧٩) عن الكلبي، والبغوي في «تفسيره» (٨/ ٤٢١) عن الكلبي ومقاتل.

وقالَ ابنُ عبَّاسٍ: في عُتبةَ بنِ ربيعةَ(١).

وقيلَ: أُبيِّ بنِ خلفٍ(٢).

ويُسمَّى كلا الأمرين من بسطِ الرِّزقِ وتقتيرِه ابتلاءً؛ لأنَّ كلَّ واحدٍ منهما اختبارٌ للعبدِ، فإذا بُسِطَ له فقد اختُبرَ حالُه أيشكرُ أم يكفرُ؟ وإذا قُدِرَ عليه فقد اختُبرَ حالُه أيصبرُ أم يجزعُ؟ فالحكمةُ فيهما واحدةٌ، ونحوُه قولُه: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥].

***

(١٧ ـ ٢٠) ـ ﴿كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾.

﴿كَلَّا﴾ ردعٌ؛ أي: ليسَ الإكرامُ بالغنى والإهانةُ بالفقرِ، وإنَّما هما بالطَّاعةِ والمعصيةِ، وكفَّارُ مكَّةَ لا يتنبهون لذلكَ، والمعنى: لم أبتلِه بالغنى لكرامتِه، ولم أبتلِه بالفقرِ لهوانِه، فأخبرَ أنَّ الإكرامَ والإهانةَ لا يدورانَ على المالِ وعدمِه، ولكنَّ الفقرَ والغنى بتقديرِه وإرادتِه وحكمتِه، فيوسِّعُ على الكافرِ لا لكرامتِه، ويَقدِرُ على المؤمنِ لا لهوانِه، إنَّما يُكرمُ المرءَ بطاعتِه، ويُهينُه بمعصيتِه.

﴿بل لا يكرمونَ اليتيمَ * ولا يَحضُّونَ على طعامِ المسكينِ﴾(٣)؛ أي: لا يُحسنونَ إلى اليتيمِ مع غناهم، أو لا يُعطونه حقَّه من الميراثِ.

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٣/ ٥٠٨) من رواية عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٣/ ٥٠٨) عن الكلبي.

(٣) قرأ أبو عمرو بالياء في (يكرمون) وما بعده، والباقون بالتاء، وقرأ (تحاضون) عاصم وحمزة والكسائي، والباقون دون ألف. انظر: «السبعة» (ص: ٦٨٥)، و«التيسير» (ص: ٢٢٢).

قالَ مقاتلٌ: كانَ قدامةُ بنُ مظعونٍ يتيماً في حجرِ أُميَّةَ بنِ خلفٍ، وكانَ يدفعُه عن حقِّه، فنزلَت[1].

والحضُّ: الحثُّ، فلا يحثُّونَ أنفسَهم ولا غيرَهم على إطعامِ المسكينِ، فيكونُ اسمَ مصدرٍ بمعنى: الإطعامِ.

﴿ويَأكُلُونَ التُّراثَ﴾؛ أي: الميراثَ، والتَّاءُ فيه بدلٌ من واوٍ؛ لأنَّه من الوراثةِ.

﴿أَكْلًا لَمًّا﴾؛ أي: شديداً، للَمِّهم نصيبَ النِّساءِ والصِّبيانِ من الميراثِ مع نصيبِهم منه، أو مع ما لهم، أو يأكلونَ ما جمعَه المورِّثُ من حلالٍ وحرامٍ عالِمين بذلك، فيَلمُّون في الأكلِ بينَ حلالِه وحرامِه، ويجوزُ أن يُذمَّ الوارثُ الَّذي ظفرَ بالمالِ سهلاً من غيرِ أن يعرقَ فيه جبينُه، فيسرفُ في إنفاقِه، ويأكلُه أكلاً واسعاً جامعاً بينَ ألوانِ المُشتَهياتِ من الأطعمةِ والأشربةِ والفواكهِ، كما يفعلُ الوُرَّاثُ البطَّالون.

﴿ويُحِبُّونَ المالَ حبّاً جمّاً﴾؛ أي: كثيراً شديداً مع الحرصِ والشَّرَهِ ومنعِ الحقوقِ.

* * *

(٢١ ـ ٢٤) ـ ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَـٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى﴾.

وقولُه تعالى: ﴿كَلَّآ﴾ ردعٌ لهم عن ذلك وإنكارٌ لفعلِهم.

﴿إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾؛ أي: إذا حصلَ دكُّها دكّاً بعد دكٍّ، ورجُّها وزلزالُها مرَّةً بعد مرَّةٍ، وكُسِرَ كلُّ شيءٍ على ظهرِها، فلم يبقَ على ظهرِها شيءٌ من جبلٍ وبناءٍ وشجرٍ إلَّا وينعدمُ.

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٣/ ٥١١)، والبغوي في «تفسيره» (٨/ ٤٢١).

﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ قالَ الحسنُ: أي: أمرُه وقضاؤُه[(١)].

﴿وَٱلْمَلَكُ﴾؛ أي: الملائكةُ ﴿صَفًّا صَفًّا﴾ حالٌ؛ أي: مُصطفِّين، أو ذوي صفوفٍ كثيرةٍ، فتنزلُ ملائكةُ كلِّ سماءٍ، فيصطفُّونَ صفّاً بعد صفٍّ مُحدِقينَ بالإنسِ والجنِّ.

﴿وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ﴾ تُقادُ بسبعينَ ألفَ زمامٍ، كلُّ زمامٍ بأيدي سبعينَ ألفَ ملكٍ، لها زفيرٌ وتغيُّظٌ.

رُويَ أنَّها لمَّا نزلَت تغيَّرَ وجهُ رسولِ اللهِ ﷺ، فعُرِفَ في وجهِه حتَّى اشتدَّ على أصحابِه، فأخبروا عليّاً، فجاءَ فاحتضنَه مِن خلفِه وقبَّل بينَ عاتقيه، ثمَّ قالَ: يا نبيَّ اللهِ، بأبي أنتَ وأمِّي، ما الَّذي حدَثَ اليومَ؟ وما الَّذي غيَّرَكَ؟ فتلا عليه الآيةَ، فقالَ له عليٌّ: كيفَ يُجاءُ بها؟ قالَ: «يَجيءُ بها سبعونَ ألفَ ملكٍ، يقودونها بسبعينَ ألفَ زمامٍ، فتَشرُدُ شَردةً لو تُركَت لأحرقَتْ أهلَ الجمعِ»[(٢)].

﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَـٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾؛ أي: يومَ يُجاءُ بجهنَّمَ يتذكَّرُ الكافرُ ما فرَّطَ، أو يتَّعظُ ويتوبُ، وأنَّى له بذلك في ذلك الوقتِ؛ أي: لا يُفيدُه ذلك شيئاً.

قالَ الزَّجَّاجُ: يُظهِرُ التَّوبةَ، ومِن أينَ له التَّوبةُ[(٣)]؟

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٩/ ٣٥١).

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٩/ ٣٥٣) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. وعنه الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٤٨٥)، ورواه ابن أبي حاتم كما في «التخويف من النار» لابن رجب (ص: ٢٢٤)، وقال ابن رجب: عبيد الله بن الوليد الوصافي شيخ صالح لا يَحفظ، فكثرت المناكير في حديثه.
وروى مسلم (٢٨٤٢) من حديث عن عبد اللّه بن مسعود رضي اللّه عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها»

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٣٢٤).

﴿يَقُولُ﴾ مـع تذكُّـرِه: ﴿يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي﴾ الخيـرَ والعملَ الصَّالـحَ في الآخرةِ الَّتي لا مـوتَ فيها.

* * *

(٢٥ ـ ٢٦) ـ ﴿فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٞ ٢٥ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٞ﴾.

﴿فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٞ﴾ قرأ الكسائيُّ ويعقوبُ ﴿لَّا يُعَذَّبُ﴾ ﴿ولا يُوثَقُ﴾ بفتحِ الذَّالِ والثَّاءِ[١] على معنى: لا يُعذَّبُ أحدٌ في الدُّنيا كعذابِ الله [الكافر يومئذٍ][٢]، ولا يُوثَقُ كوثاقِه للكافرِ يومَئذٍ، والمعنى: لا يبلغُ أحدٌ من الخَلقِ كبلاغِ اللهِ في العذابِ والوثاقِ، وهوَ الأسرُ في السَّلاسلِ والأغلالِ.

* * *

(٢٧ ـ ٣٠) ـ ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ٢٧ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ٢٨ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ٢٩ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي﴾.

قولُه تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ﴾: الآمنةُ المؤمنةُ.

قالَ الحسنُ: المؤمنةُ الموقِنةُ[٣].

وقالَ مجاهدٌ: الرَّاضيةُ بقضاءِ اللهِ تعالى[٤].

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٦٨٥)، و«التيسير» (ص: ٢٢٢)، و«النشر» (٢/ ٤٠٠).

(٢) من «تفسير القرطبي» (٢٢/ ٢٨٣).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٩/ ٣٥٩)، والواحدي في «البسيط» (٢٣/ ٥٢٧)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٩٣) عن قتادة والحسن بلفظ: «المطمئنة إلى ما قال الله، والمصدقة».

(٤) رواه الدولابي في «الكنى والأسماء» (٥١٥)، وابن بطة في «الإبانة» (١٧٣١)، والثعلبي في «تفسيره» (٢٩/ ٣٦٢).

وقالَ ابنُ عبَّاسٍ: الرَّاضيةُ بثوابِ اللهِ[١].

وقالَ ابنُ كيسانَ: المُخلِصةُ[٢].

وقالَ ابنُ زيدٍ: الَّتي بُشِّرَت بالجنَّةِ عندَ الموتِ وعندَ البعثِ ويومَ الجمعِ[٣].

يُقالُ لها عندَ الموتِ:

﴿ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ قيلَ: المرادُ: ارجعي إلى أمرِ ربِّكِ وإرادتِه.

وقالَ ابنُ عبَّاسٍ: إلى صاحبِك وجسدِك[٤].

وقالَ الحسنُ: إلى ثوابِ ربِّك[٥].

﴿رَاضِيَةً﴾ بما أُوتيتِ ﴿مَّرْضِيَّةً﴾ عندَ اللهِ بعملِك؛ أي: جامعةً بينَ الوصفينِ، وهما حالان؛ لأنَّه لا يلزمُ من أحدِهما الآخرُ.

قالَ القفَّالُ: هذا وإن كانَ أمراً في الظَّاهرِ فهوَ خبرٌ في المعنى، والتَّقديرُ: أنَّ النَّفسَ إذا كانَت مطمئنةً رجعَت إلى اللهِ تعالى[٦]، وقالَ لها في القيامةِ:

﴿فَٱدْخُلِى﴾ في جملةِ ﴿عِبَٰدِى﴾؛ أي: الصَّالحينَ الوافدينَ عليَّ، ﴿وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾؛ أي: معهم، وهي جنَّةُ عدنٍ؛ إذ هيَ أعلى الجنانِ وأفضلُها، وفيها الكثيبُ

---

(١) لم أجده عن ابن عباس، وذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٥٨١) دون عزو، وروى الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٩٣) عن ابن عباس قوله: «المطمئنة: المصدقة».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٩/ ٣٦٢).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٣٤/ ٣٩٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤٣١).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٩٧) بلفظ: «ترد الأرواح المطمئنة يوم القيامة في الأجساد».

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٩/ ٣٧١)، والواحدي في «البسيط» (٢٣/ ٥٢٩).

(٦) ذكره عنه الرازي في «التفسير الكبير» (٣١/ ١٦١).

الَّـذي تقـعُ عليـه رؤيـةُ اللهِ تعالـى، ولأنَّ اللهَ خلقَهـا بيـدِه كمـا وردَ فـي الأحاديـثِ الصَّحيحـةِ[1].

والإضافةُ في ﴿عِبَٰدِي﴾ و﴿جَنَّتِي﴾ للتَّشريفِ.

* * *

(١) ورد في ذلك عدة أحاديث، منها ما رواه الطبراني في «الأوسط» (٥٥١٨) و«الكبير» (١٢٧٢٣) من حديث ابن عباس رضي اللَّه عنهما، وجوَّد إسناده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣٩٧). ورواه الحاكم في «المستدرك» (٣٤٨٠) من حديث أنس رضي الله عنه، وصححه، وتعقبه الذهبي فقال: بل ضعيف.

تفسيرُ سورةِ البلدِ

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١ ـ ٤) ـ ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝٢ وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ ۝٣ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ﴾.

﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾ قالَ الأخفشُ: ﴿لَآ﴾ مزيدةٌ؛ أي: أقسمُ، كما في قولِه: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾[١]، وعُهِدَ في كلامِ العربِ زيادةُ (لا)، كما في قولِ الشَّاعرِ:

تَذَكَّرتُ ليلى فاعترَتنِي صَبابةٌ ... وكادَ صَمِيمُ القَلبِ لا يَتَقطَّعُ[٢]

أي: يتقطَّعُ، وكقولِه: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ﴾ [الأعراف: ١٢][٣].

وأجازَ الأخفشُ أن تكونَ بمعنى: أَلَا[٤].

وقيلَ: هيَ نفيٌ صحيحٌ، والمعنى: لا أقسمُ بهذا البلدِ إذا لم تكن فيه؛ أي: بعدَ خروجِكَ منه، حكاه مكيٌّ[٥].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٥٠٨).

(٢) البيت بلا نسبة في «النكت والعيون» (٦/ ١٥٠)، و«أحكام القرآن» لابن العربي (٤/ ٣٩٤)، و«تفسير القرطبي» (٢٠/ ٥٩)، وفي بعض المصادر: «ضمير القلب» بدل «صميم القلب».

(٣) ونقل القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٢٨٩) عن أبي نصر القشيري قوله: «قوله: ﴿لا﴾ رد لما تَوَهَّم الإنسان المذكور في هذه السورة، المغرور بالدنيا؛ أي: ليس الأمر كما يحسبه من أنه لن يقدر عليه أحد، ثم ابتدأ القسم».

(٤) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٥/ ١٤١)، ومكي بن أبي طالب في «الهداية» (١٢/ ٨٢٧١).

(٥) انظر: «الهداية» لمكي بن أبي طالب (١٢/ ٨٢٧١).

وأجمعُوا على أنَّ المرادَ بالبلدِ في الآيةِ مكَّةُ، وفضلُها معروفٌ غيرُ منكورٍ.

﴿وَأَنتَ حِلٌّ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾؛ أي: حلالٌ؛ أي: بأن تَحِلَّ لكَ فتصنعَ فيها ما تريدُ من القتلِ والأسرِ، ليسَ عليك في ذلك من حرجٍ ولا إثمٍ، وقد نجَّزَ اللهُ له هذا الوعدَ يومَ الفتحِ حتَّى قاتَلَ وقتَلَ وأمَرَ بقتلِ جماعةٍ وإن تعلَّقُوا بأستارِ الكعبةِ، وقالَ ذلك اليومَ: «مَن دخَلَ دارَ أبي سفيانَ فهوَ آمِنٌ»(١).

وقالَ ﷺ: «إنَّ اللهَ حرَّمَ مكَّةَ يومَ خَلقَ السَّماواتِ والأرضَ، لم تحلَّ لأحدٍ قبلي، ولا تحلُّ لأحدٍ بعدي، وإنَّما أُحِلَّت لي ساعةً من نهارٍ، فهي حرامٌ بحُرمةِ اللهِ إلى يومِ القيامةِ»(٢).

والمعنى: أنَّ اللهَ تعالى أقسمَ بمكَّةَ، فدلَّ ذلك على عِظَمِ قَدْرِها مع حُرمتِها، ووَعَدَ نبيَّه أنَّه يُحلُّها له حتَّى يقاتلَ فيها، وأن يفتحَها على يدِه.

﴿وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ﴾ هوَ آدمُ وذُرِّيتُه.

وقالَ بعضُهم: هوَ محمَّدٌ ومَن ولدَه، أقسمَ ببلدِه الَّذي هوَ مسقطُ رأسِه، وحرمِ أبيه إبراهيمَ، ومَنشأِ أبيه إسماعيلَ، وبمَن ولدَه.

وقيلَ: المرادُ: كلُّ والدٍ وولدِه.

وقيلَ: آدمُ والصَّالحون من ذُرِّيتِه، وأمَّا الطَّالحونَ فكأنَّهم بهائمُ.

والمقسَمُ عليه قولُه: ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ﴾؛ أي: شدَّةٍ ونَصَبٍ.

قالَ الحسنُ: يكابِدُ شدائدَ الدُّنيا وشدائدَ الآخرةِ(٣).

---

(١) رواه مسلم (١٧٨٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (٦٨٨٠)، ومسلم (١٣٥٥)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٠٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤٣٣).

وقالَ قتادةُ: في مشقَّةٍ، فلا تلقاه إلَّا يكابدُ أمرَ الدُّنيا والآخرةِ[١].

وقالَ سعيدُ بنُ جُبَيرٍ: في شدَّةٍ[٢].

وقالَ عطاءٌ عن ابنِ عبَّاسٍ: في شدَّةِ خَلقٍ: حملِه وولادتِه ورضاعِه وفطامِه وفصالِه ومعاشِه وحياتِه وموتِه[٣].

***

(٥) ـ ﴿ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴾.

﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾؛ أي: يظنُّ قويُّ قريشٍ، وهوَ أبو الأشدَّينِ[٤] بقوَّتِه أن لن يغلبَه أحدٌ من أهلِ الأرضِ أو السَّماءِ، فيعاندُ خالقَه ولا يطيعُه، واللهُ قادرٌ عليه في كلِّ وقتٍ.

***

(٦ ـ ٧) ـ ﴿ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ۝٦ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ﴾.

﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا﴾؛ أي: أضَعتُ على عداوةِ محمَّدٍ مالاً كثيراً بعضُه على بعضٍ ﴿أَيَحْسَبُ﴾؛ أي: هذا الإنسانُ ﴿أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ﴾؛ أي: أظنَّ أنَّ اللهَ لـم يرَه، ولا يسألُه عن مالِه: من أينَ اكتسبَه؟ وفيمَ أنفقَه؟ ويظنُّ أنَّه لا يعلمُ مقدارَ ما أنفقَه.

***

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٠٩).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤١٠).

(٣) رواه بنحوه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤١٠)، والحاكم في «المستدرك» (٣٩٣٣)، وصححه ووافقه الذهبي.

(٤) ذكره الفراء في «معاني القرآن» (٣/ ٢٦٤)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤١٢)، والثعلبي في «تفسيره» (٢٩/ ٣٨٩).

(٨ ـ ١٠) ـ ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾.

﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ﴾ يبصرُ بهما ﴿وَلِسَانًا﴾ يترجمُ به عمَّا في ضميرِه، ﴿وَشَفَتَيْنِ﴾ ليَستَترَ بهما فُوه، ويستعينَ بهما على النُّطقِ والأكلِ والشُّربِ والنَّفخِ وغيرِ ذلك.

قالَ قتادةُ: نِعمُ اللهِ تعالى متظاهِرةٌ، فيُقرِّرُه بها ليَشكرَه(١).

قالَ البغويُّ: وجاءَ في الحديثِ: «أنَّ اللهَ تعالى يقولُ: ابنَ آدمَ، إن نازعَكَ لسانُكَ فيما حَرَّمتُ عليكَ فقد أَعَنْتُكَ عليه بطَبقتينِ فأطبِقْ(٢)، وإن نازعَكَ بصرُكَ إلى بعضِ ما حَرَّمتُ عليكَ فقد أعنتُكَ عليه بطَبقتينِ فأطبِقْ، وإن نازعَكَ فرجُكَ إلى ما حَرَّمتُ عليك فقد أعنتُكَ عليه بطَبقتينِ فأطبِقْ»(٣).

قولُه تعالى: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ قالَ أكثرُ المفسِّرين: بيَّنَّا له طريقَ الخيرِ والشَّرِّ والحقِّ والباطلِ، والهدى والضَّلالةِ، كقولِه: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ﴾ [الإنسان: ٣].

وقالَ ابنُ عبَّاسٍ: بيَّنَّا له الثَّديين(٤). وهوَ قولُ سعيدِ بنِ المسيبِ والضَّحَّاكِ(٥). وأصلُه: المكانُ المرتفعُ.

***

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤١٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤٣٤).

(٢) جاء في (أ) بعدها: «وإن نازعَ أكثرَ ما يريدُ شققناهما». وليست في مصادر التخريج.

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (٨/ ٤٣١)، والحديث رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٩/ ٣٩٦) عن أبي حازم مرسلاً. وروي مرفوعاً من طريق أبي حازم عن أبي هريرة رضي الله عنه كما في «زهر الفردوس» لابن حجر (٢٩٩٧)، وسنده ضعيف جداً لكن معناه صحيح.

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٦١٩)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤١٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤٣٤).

(٥) ذكره عنهما الثعلبي في «تفسيره» (٢٩/ ٤٠٠)، والواحدي في «البسيط» (٢٤/ ٢٣)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤١٩) عن الضحاك.

(١١ ـ ١٦) ـ ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾.

﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾[1]؛ أي: فهلَّا أنفقَ مالَه فيما يَجوزُ به العقبةَ مِن فكِّ الرِّقابِ وإطعامِ الأيتامِ والمساكينِ، بل غمطَ النِّعمَ وكفرَ بالمنعِمِ، والمعنى: أنَّ الإنفاقَ على هذا الوجهِ هوَ الإنفاقُ المرضيُّ النافعُ عندَ اللهِ.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ﴾؛ أي: وما أعلمَكَ ما العقبةُ الَّتي يقتحمُها؟ وهوَ تعظيمٌ لشأنِها، والجملةُ اعتراضٌ.

قالَ سفيانُ بنُ عُيَينةَ: كلُّ شيءٍ قالَ اللهُ فيه: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ فإنَّه أخبرَ به، وما قالَ فيه: ﴿وما يدريك﴾ فإنَّه لم يُخبِرْ به[2].

﴿فَكَّ رقبةً﴾؛ أي: مِن الرِّقِّ بأن أعتقَها، وهوَ بيانٌ لسببِ جوازِ العقبةِ.

﴿أو أطعَمَ في يومٍ ذي مَسْغبةٍ﴾[3]؛ أي: مجاعةٍ، والسَّغبُ: الجوعُ.

﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾؛ أي: ذا قرابةٍ، يُقالُ: فلانٌ ذو قرابتي وذو مَقْرَبتي.

---

(١) نقل القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٣٠٠) عن أبي نصر القشيري قوله: «وحملُ العقبة على عقبة جهنم بعيد، إذ أحد في الدنيا لم يقتحم عقبة جهنم، إلا أن يحمل على أن المراد: فهلا صير نفسه بحيث يمكنه اقتحام عقبة جهنم غداً».

(٢) علقه البخاري قبل حديث (٢٠١٤). قال ابن حجر في «الفتح» (٤/ ٢٥٥ ـ ٢٥٦): «وصله محمَّد بن يحيى بن أبي عمر في كتاب «الإيمان» له من رواية أبي حاتم الرازي عنه»، ثم قال: «وقد تُعقب هذا الحصر بقوله تعالى: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى﴾ فإنَّها نزلت في ابن أم مكتوم، وقد علم ﷺ بحاله وأنه ممن تزكى ونفعته الذكرى».

(٣) قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي: (فكَّ رقبةً أو أَطْعَمَ) بلفظ الفعل، وقرأ الباقون: ﴿فكُّ رقَبةٍ أو إطعَامٌ﴾. انظر: «السبعة» (ص: ٦٨٦)، و«التيسير» (ص: ٢٢٣).

﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾؛ أي: ذا لُصوقٍ بالتُّرابِ لفقرِه، يُقالُ: «تَرِبَ» إذا افتقَرَ، وأمَّا قولُهم: «أترَبَ فاستغنى»؛ أي: صارَ ذا مالٍ كالتُّرابِ في الكثرةِ.

* * *

(١٧ ـ ٢٠) ـ ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌۢ﴾.

﴿ثُمَّ كَانَ﴾ عطفٌ على ﴿ٱقْتَحَمَ﴾، و﴿ثُمَّ﴾ للتَّرتيبِ الذِّكريِّ، والمعنى: كانَ وقتَ الاقتحامِ ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾.

قالَ بعضُهم: هوَ قائمٌ مقامَ التَّكريرِ، فكأنَّه قالَ: فلا اقتحَمَ العقبةَ ولا آمَنَ.

وعن مجاهدٍ: أنَّ قولَه تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ يدلُّ على أنَّ (لا) بمعنى: لم، ولا يلزمُ التَّكريرُ مع (لم)، فإن كُرِّرَتْ (لا) كقولِه: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ﴾ [القيامة: ٣١]، فهوَ كقولِه تعالى: ﴿لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟﴾ [الفرقان: ٦٧][(١)].

﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾؛ أي: صبرُوا، أو وصَّى بعضُهم بعضاً، والمعنى: صبروا على الطَّاعةِ وعن المعصيةِ، أو على المحنِ الَّتي يُبتلَى بها المؤمنُ.

﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ﴾؛ أي: بالرَّحمةِ على عبادِه بأن يَكونُوا مُتراحِمينَ مُتعاطفينَ، أو: بما يُؤدِّي إلى رحمةِ اللهِ تعالى.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾؛ أي: الموصوفونَ بهذه الصِّفاتِ ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾؛ أي: الجانبِ الَّذي فيه اليُمنُ والبركةُ والنَّجاةُ من كلِّ هَلَكةٍ.

---

(١) انظر: «الحجة» للفارسي (٦/ ٤١٥) وهذا الكلام له، ونقله عنه الواحدي في «البسيط» (٢٤/ ٢٦).

وفي البخاري قبل حديث (٤٩٤٢) عن مجاهد معناه، قال: «﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ﴾ فلم يقتحم العقبة في الدنيا، ثم فسر العقبة فقال: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ﴾».

قالَ محمَّدُ بنُ كعبٍ: أي: الَّذينَ يُؤتَون كتبَهم بأيمانِهم.

وقالَ يحيى بنُ سلامٍ: لأنَّهم ميامينُ على أنفسِهم.

وقالَ ابنُ زيدٍ: لأنَّهم أُخِذوا من شقِّ آدمَ الأيمنِ.

وقالَ ميمونُ بنُ مهرانَ: لأنَّ منزلتَهم على اليمينِ[1].

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ﴾؛ أي: الشِّمالِ.

قالَ محمَّدُ بنُ كعبٍ: أي: الَّذينَ يُؤتَون كتبَهم بشمائلِهم.

وقالَ يحيى بنُ سلامٍ: لأنَّهم مَشائيمُ على أنفسِهم.

وقالَ ابنُ زيدٍ: لأنَّهم أُخِذوا من شقِّ آدمَ الأيسرِ.

وقالَ ميمونٌ: لأنَّ منزلتَهم عن اليسارِ.

وقالَ بعضُهم: المشأمةُ: الشِّمالُ أو الشُّؤمُ.

قالَ بعضُهم: ويَجمَعُ هذه الأقوالَ: أنَّ أصحابَ الميمنةِ هم أصحابُ الجنَّةِ، وأصحابَ المشأمةِ هم أصحابُ النّارِ.

﴿عَلَيۡهِمۡ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ﴾؛ أي: مُطبَقةٌ، قُرِئَ بالهمزِ، وبالواوِ بدلاً منها[2]، وهما لغتانِ، يُقالُ: آصَدْتُ البابَ وأَوْصَدْتُه: إذا غلَّقتَه وأطبقتَه.

وقيلَ: معنى الهمزِ: المُطبَقةُ، وغيرِ الهمزِ: المُغلَقةُ.

* * *

---

(١) ذكر هذه الأقوال الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٢٨٠)، والقرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ٧١-٧٢)، وكذا الأقوال الآتية في أصحاب المشأمة.

(٢) قرأ حمزة وأبو عمرو وحفص بالهمز، والباقون بغير همز. انظر: «السبعة» (ص: ٦٨٦)، و«التيسير» (ص: ٢٢٣).

تفسيرُ سورةِ ﴿والشَّمسِ وضُحاها﴾

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١ ـ ٢) ـ ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا﴾.

﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا﴾ هوَ قسمٌ، وتقدَّمَ أنَّ اللهَ يقسمُ بما شاءَ.

والضُّحى: حينَ تطلعُ الشَّمسُ فيصفو ضوؤُها.

قالَ قتادةُ: هوَ النَّهارُ كلُّه(١).

وقالَ مقاتلٌ: هوَ حرُّها(٢)، كقولِه في (طه): ﴿وَلَا تَضۡحَىٰ﴾ يعني: لا يُؤذيكَ الحرُّ.

وقالَ اليزيديُّ: هوَ انبساطُها(٣).

قال الرَّازي: إنَّما أقسمَ بالشَّمسِ وضُحاها لكثرةِ ما يتعلَّقُ به من المصالحِ، فإنَّ أهلَ العالمِ كانُوا كالأمواتِ في اللَّيلِ، فلمَّا ظهرَ الصُّبح والمشرقُ، صارَ ذلك الضَّوءُ كالرُّوحِ الَّذي يُنفخُ في الوجودِ(٤)، فصارَت الأمواتُ أحياءً، ولا تزالُ تلكَ الحياةُ في القوَّةِ والزِّيادةِ إلى غايةِ كمالِها وقتَ الضَّحوةِ، وذلك يشبهُ استقرارَ أهلِ الجنَّةِ [فيها](٥).

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٩/ ٤١٧)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٣٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤٣٧) بلفظ: «﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا﴾ هذا النهار».

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٧١١).

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٢٨١).

(٤) في «تفسير الرازي»: «كالصور الذي ينفخ قوة الحياة».

(٥) انظر: «التفسير الكبير» للرازي (٣١/ ١٧٤)، وما بين معكوفتين منه.

﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا﴾؛ أي: تبِعَها، وذلك في النِّصفِ الأوَّلِ من الشَّهرِ، إذا غربَت الشَّمسُ تلاها القمرُ في الإضاءةِ، وخلَّفَها في النُّورِ.

***

(٣ ـ ٤) ـ ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا﴾.

﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا﴾؛ أي: الشَّمسَ بارتفاعِه؛ لأنَّ الشَّمسَ تنجلي في ذلك الوقتِ تمامَ الانجلاءِ.

وقيلَ: الضَّميرُ للظُّلمةِ، أو للدُّنيا، أو للأرضِ، وإن لم يَجرِ لها ذِكرٌ.

﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا﴾؛ أي: يُغطِّيها بظُلمتِه فتغيبُ وتُظلمُ الآفاقُ.

و﴿إِذَا﴾ في المحلَّاتِ الثَّلاثِ لـمجرَّدِ الظَّرفيَّةِ.

***

(٥ ـ ٦) ـ ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝٥ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا﴾.

﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا﴾؛ أي: الَّذي خلقَها على هذا البناءِ المحكَمِ، وهوَ الله سُبحانَه ﴿وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا﴾؛ أي: بسطَها وسطحَها على الماءِ كذلكَ.

***

(٧ ـ ٨) ـ ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾.

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا﴾ وهوَ الله سُبحانَه، وإنَّما نكَّرَ النَّفسَ لأنَّه أرادَ بها نفساً خاصَّةً من بينِ النُّفوسِ، وهي نفسُ آدمَ عليه السَّلامُ، كأنَّه قالَ: وواحدةٍ مِن النُّفوسِ، أو أنَّه أرادَ كلَّ واحدةٍ من النُّفوسِ، والتَّنكيرُ للتَّكثيرِ على طريقةِ قولِه: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ﴾ [التكوير: ١٤].

﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ بيَّنَ لها طريقَ الخيرِ والشَّرِّ، أو علَّمَها الطَّاعةَ والمعصيةَ.

وقيلَ: عرَّفَها ما تأتي وما تتَّقي.

وقالَ سعيدُ بنُ جُبَيرٍ: ألزَمَها فُجورَها وتقواها[(١)].

وقالَ ابنُ زيدٍ: جعلَ فيها ذلك بتوفيقِه إيَّاها للتَّقوى، وخذلانِه إيَّاها للفجورِ[(٢)].

واختارَ الزَّجَّاجُ هذا، وحملَ الإلهامَ على التَّوفيقِ والخذلانِ[(٣)].

* * *

(٩ ـ ١٠) ـ ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾.

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ هوَ جوابُ القسمِ، وحُذِفَت منه اللَّامُ لطولِ الكلامِ، و﴿زَكَّىٰهَا﴾ بمعنى: طهَّرَها من الذُّنوبِ والآثامِ، ونمَّاها، وأصلحَها، وصفَّاها تصفيةً عظيمةً بما يسَّرَه اللهُ تعالى له من العلومِ النَّافعةِ والأعمالِ الصَّالحةِ.

﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾؛ أي: خسرَ مَن أغواها، أو أوقعَها في الآثامِ والإجرامِ.

وقيلَ: المرادُ: الأوصافُ الذَّميمةُ الظَّاهرةُ والخفيَّةُ، وأصلُ ﴿دَسَّىٰهَا﴾: دسَّسَها، أُبدِلَت السِّينُ الثَّانيةُ ألفاً تخفيفاً.

* * *

(١١ ـ ١٣) ـ ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ۝١١ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ۝١٢ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا﴾.

قولُه تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ﴾ هم قومُ صالحٍ كذَّبوه لـمَّا دعاهم للإسلامِ، والطُّغيانُ حملَهم على التَّكذيبِ.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤٣٧)، وابن بطة في «الإبانة» (٤/ ١٩٩)، ورواه الحاكم في «المستدرك» (٣٩٣٩) من طريق ابن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما، وصححه.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٩/ ٢٤)، والواحدي في «البسيط» (٤/ ٤٩٥).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٣٣٢).

وقيلَ: الباءُ للاستعانةِ؛ أي: فعلَت التّكذيبَ بطغيانِها، كما تقولُ: ظلمَني بجَراءتِه عليَّ.

وقيلَ: كذَّبَت بما وُعِدَت به منَ العذابِ ذي الطَّغوى، كقولِه: ﴿فَأُهْلِكُواْ بِالطَّاغِيَةِ﴾.

﴿إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا﴾؛ أي: قامَ وأسرعَ، وذلك أنّهم لـمَّا كذَّبُوا بالعذابِ، وكذّبُوا صالحاً، انبعَثَ أشقى القومِ وهوَ قُدارُ بنُ سالفٍ، وكانَ أشقرَ أزرقَ قصيراً، فعقرَ النَّاقةَ.

﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ﴾ صالحٌ عليه السَّلامُ: ﴿نَاقَةَ اللَّهِ﴾ هوَ منصوبٌ على التَّحذيرِ، كقولِك: الأسدَ الأسدَ، على تقديرِ: ذَرُوا أو احذَرُوا ناقةَ اللهَ ﴿وَسُقْيَاهَا﴾؛ أي: شُربَها؛ أي: احذرُوا أن تمنعُوها شُربَها في يومِها المعلومِ لها، ولا تتعرَّضُوا للماءِ يومَ شُربِها؛ لأنَّه كانَ لها يومٌ ولهم يومٌ؛ لأنَّهم لـمَّا اقترحُوا النَّاقةَ فأخرجَها لهم من الصَّخرةِ، جَعلَ لها شِربَ يومٍ معلومٍ.

***

(١٤) ـ ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا﴾.

﴿فَكَذَّبُوهُ﴾؛ أي: صالحاً عليه السَّلامُ في وعيدِهم بالعذابِ ﴿فَعَقَرُوهَا﴾؛ أي: عقرَها الأشقى المتقدِّمِ ذِكرُه، وأُضيفَ الفعلُ إلى الكلِّ لأنَّهم رضُوا بفعلِه، وإن [كان] العاقر واحداً أو جماعةً[١] منهم، كما قيلَ به.

قالَ قتادةُ: بلغنا أنَّه لـم يعقرْها حتَّى تابعَه صغيرُهم وكبيرُهم وذكرُهم وأُنثاهم[٢].

---

(١) في (أ): «وجماعته» مكان «أو جماعة»، ولعل الصواب هو المثبت، وما بين معكوفتين زيادة يقتضيها السياق، وقد جاء في «السراج المنير» للخطيب الشربيني (٤/ ٥٤٤): أي: عقرها الأشقى بسبب ذلك التكذيب، وأضيف إلى الكل لأنهم رضوا بفعله، وإن كان العاقر جماعة فواضح.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٥٠).

وقالَ الفرَّاءُ: عقرَها اثنانِ، والعربُ تقولُ: هذان أفضلُ النَّاسِ، وهذان خيرُ النَّاسِ، وهذه المرأةُ أشقى القومِ، ولهذا لـم يقل: أشقياها[١].

﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم﴾؛ أي: فأطبقَ عليـهم ـ بسببِ تكذيبِهم وطغيانِهم وعقرِ النَّاقةِ ـ عذابَه، يُقالُ: دَمْدَمتُ عليه القبرَ: أطبقتُه عليه[٢].

﴿بِذَنْبِهِمْ﴾؛ أي: بكفرِهم.

قالَ ابنُ عبَّاسٍ: (دمدم عليهم ربهم بذنبهم)؛ أي: بجُرمِهم[٣].

﴿فَسَوَّىٰهَا﴾؛ أي: فسوَّى عليهم الأرضَ؛ أي: جعلَهم تحتَ التُّرابِ.

وقيلَ: سوَّى الدَّمدمةَ عليهم؛ أي: عمَّهم بها، فلم يُفلِت منهم أحد.

* * *

(١٥) ـ ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا﴾.

﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا﴾ قرأ نافعٌ وابنُ عامرٍ بالفاءِ، والباقونَ بالواوِ[٤]، والفاءُ تقتضي التَّعقيبَ، والواوُ يجوزُ أن تكونَ للحالِ، وأن تكونَ للاستئنافِ الإخباريِّ.

والضَّميـرُ فـي ﴿يَخَافُ﴾ راجـعٌ للهِ تعالـى؛ لأنَّـه أقـربُ مذكـورٍ، وهوَ قـولُ ابنِ

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٦٨).

(٢) نقـل القرطبي فـي «تفسيره» (٢٢/ ٣١٨) عـن أبـي نصـر القشـيري قولـه: «وقيـل: دمدمت على الميـت التراب: أي سـوَّيتُ عليه. فقولـه: ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ﴾؛ أي: أهلكهـم فجعلهم تحت التراب ﴿فَسَوَّىٰهَا﴾؛ أي: سوى عليهم الأرض».

(٣) ذكر هذا اللفظ القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٣١٧ـ ٣١٨) تفسيراً لما روى الضحاك عن ابن عباس: ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ﴾ قال: دمر عليهم ربهم بذنبهم.

(٤) انظر: «السبعة» (ص: ٦٨٩)، و«التيسير» (ص: ٢٢٣).

عبَّاسٍ[١]، وتؤيِّدُه قراءةُ الفاءِ المسبَّبَةِ عن الدَّمدمةِ والتَّسويةِ، وكأنَّه قالَ: ولا يخافُ اللهُ عُقباها؛ أي: عُقبى الفِعلةِ؛ أي: تَبِعَتَها، وذلك لأنَّه يفعلُ ذلك بحقٍّ، ومَن فعلَ فعلاً بحقٍّ لا يخشى تبعتَه، ولا يخافُ عاقبتَه.

وقيلَ: المرادُ به: تحقيقُ تلكَ الفِعلةِ، وإيقاعُ ذلك الفعلِ، والله سُبحانَه أجلُّ من أن يُوصَفَ بذلك.

وقيلَ: المعنى: أنَّه بالَغَ في الإنذارِ إليهم مبالغةَ مَن لا يخافُ عاقبةَ عذابِهم.

وقيلَ: الضَّميرُ يرجعُ لصالحٍ عليه السَّلام؛ أي: لا يخافُ عُقبى هذه العقوبةِ لإنذارِه إيَّاهم، ونجَّاه اللهُ وأهلكَهم.

وقالَ السُّدِّيُّ: يرجعُ الضَّميرُ إلى ﴿أَشْقَىٰهَا﴾؛ أي: انبعثَ لعقرِها والحالُ أنَّه غيرُ خائفٍ عاقبةَ هذه الفِعلةِ الشَّنعاءِ[٢].

* * *

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٥١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤٣٨).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٥٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤٣٨).

تفسيرُ سورةِ ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ﴾

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١ ـ ٤) ـ ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ۝٣ إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ﴾.

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ﴾؛ أي: بظُلمتِه كلَّ ما بين السَّماءِ والأرضِ.

وقيلَ: يغشى النَّهارَ. وقيلَ: الأرضَ. وقيلَ: الخلائقَ.

قالَ قتادةُ: أوَّلُ ما خلقَ اللهُ تعالى النُّورُ والظُّلمةُ، ثمَّ ميَّزَ بينهما فجعلَ الظُّلمةَ ليلاً أسودَ مظلماً، وجعلَ النُّورَ نهاراً مُضيئاً مُبصراً[1].

﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾؛ أي: تكشَّفَ وظهرَ.

قالَ الرَّازيُّ: أقسمَ باللَّيلِ الَّذي يأوي فيه كلُّ حيوانٍ إلى مأواه، ويسكنُ الخلقُ عن الاضطرابِ، ويغشاهم النَّومُ الَّذي جعلَه الله تعالى راحةً لأبدانِهم وغذاءً لأرواحِهم، ثمَّ أقسمَ بالنَّهارِ إذا تجلَّى؛ لأنَّ النَّهارَ إذا جاءَ انكشفَ بضوئِه ما كانَ في الدُّنيا من الظُّلمةِ، وجاءَ الوقتُ الَّذي يتحرَّكُ فيه النَّاسُ لـمعايشِهم، وتتحرَّكُ الطَّيرُ من أوكارِها، والهوامُّ من مكامنِها، فلو كانَ الدَّهرُ كلُّه ليلاً لتعذَّرَ المعاشُ، ولو كانَ كلُّه نهاراً لبطلَت الرَّاحةُ، لكنَّ المصلحةَ في تعاقبِهما، كما قالَ تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةً﴾ [الفرقان: ٦٢]، وقالَ: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ [إبراهيم: ٣٣][2].

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٣٢٠) من رواية سعيد عن قتادة. ورواه باللفظ نفسه الطبري في «تفسيره» (١/ ٤٦٠)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٢/ ٤٦٨ ـ ٤٧٥) عن محمد بن إسحاق.

(٢) انظر: «التفسير الكبير» للرازي (٣١/ ١٨١).

﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾ ﴿ما﴾ إمَّا مصدريَّةٌ؛ أي: ومخلوقِ اللهِ، وإمَّا بمعنى: مَن؛ أي: والذي خَلَقَ الذَّكرَ والأنثى، وهوَ اللهُ تعالى، فيكونُ قد أقسمَ بنفسِه كما تقدَّمَ نظيرُه قريباً، وجازَ إضمارُ اسمِ اللهِ تعالى لأنَّه معلومٌ؛ لانفرادِه بالخلقِ؛ إذ لا خالقَ سواه.

والذَّكرُ والأنثى: آدمُ وحواءُ، أو كلُّ ذكرٍ وأنثى من البشرِ، أو من سائرِ الحيواناتِ، والخُنثى داخلٌ لأنَّه وإن أشكَلَ أمرُه عندنا فعندَ اللهِ غيرُ مُشكِلٍ، بل معلومٌ له عن يقينٍ.

﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾ هوَ جوابُ القسمِ، والمعنى: إنَّ أعمالَكم لتختلفُ، فعامِلٌ للجنَّةِ بالطَّاعةِ، وعاملٌ للنَّارِ بالمعصيةِ. ويجوزُ أن يكونَ محذوفاً كما قيلَ في نظائرِه فيما تقدَّمَ.

و﴿شَتَّىٰ﴾ واحدُه: شَتِيتٌ؛ مثل: مَرِيضٍ ومَرضى، وإنَّما قيلَ للمُختلِف: شتَّى؛ لتباعُدِ ما بينَ بعضِه وبعضِه؛ أي: إنَّ عملَكم لـمتباعِدٌ بعضُه من بعضٍ؛ لأنَّ بعضَه ضلالٌ، وبعضَه هدًى؛ أي: فيكم مؤمنٌ وبرٌّ وكافرٌ، وعاصٍ ومطيعٌ.

* * *

(٥ ـ ٧) ـ ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾.

قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾؛ أي: أعطى ما أمرناه بعطيَّتِه، ﴿وَٱتَّقَىٰ﴾ عذابَنا، أو: اتَّقانا وخافَنا، والتَّقوى: إيجادُ الوقاياتِ من الطَّاعاتِ، واجتنابُ المعاصي خوفاً من ربِّه.

﴿وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾ قالَ ابنُ عبَّاسٍ: أي: بلا إلهَ إلَّا اللهُ[1].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٦٣).

وقالَ مجاهدٌ: بالجنَّةِ[(١)]، كقولِه تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [يونس: ٢٦]

وقالَ زيدُ بنُ أسلمَ: بالصَّلاة والزَّكاة والصَّوم[(٢)].

﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾؛ أي: نهيِّئُه لأسبابِ الخيرِ والصَّلاحِ حتَّى يَسهلَ عليه فعلُها.

وقالَ زيدُ بنُ أسلمَ: ﴿لِلْيُسْرَىٰ﴾؛ أي: للجنَّةِ[(٣)].

قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «ما مِن نفسٍ منفوسةٍ إلَّا كَتَبَ اللهُ مَدخلَها»، فقالَ القومُ: يا رسولَ اللهِ، أفلا نتَّكلُ على كتابنا؟ فقالَ ﷺ: «بل اعملُوا، فكلٌّ ميسَّرٌ لِـمَا خُلقَ له، أمَّا مَن كانَ مِن أهلِ السَّعادةِ فهوَ ميسَّرٌ لعملِ أهلِ السَّعادةِ، ومَن كانَ من أهلِ الشَّقاوةِ فإنَّه ميسَّرٌ لعملِ أهلِ الشَّقاءِ»، ثمَّ تلا: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾[(٤)].

* * *

(٨ ـ ١٠) ـ ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾.

قولُه تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾؛ أي: وأمَّا مَن بخلَ بحقوقِ اللهِ الواجبةِ والمندوبةِ ﴿وَٱسْتَغْنَىٰ﴾؛ أي: طلبَ الغِنى عن النَّاسِ، أو استغنى عن الثَّوابِ وعمَّا وُعِدَ به منه، أو فَعَلَ فِعلَ المستغني بما زعمَت له نفسُه الكاذبةُ وظنونُه الخائبةُ، فسنهيِّئُه للخلَّةِ المؤدِّيةِ إلى العُسرةِ والشِّدَّةِ كدخولِ النّارِ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٦٤).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٢٨٨)، والقرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٣٢٤).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤٤١).

(٤) رواه البخاري (٤٩٤٧)، ومسلم (٢٦٤٧)، والترمذي (٣٣٤٤) واللفظ له، من حديث علي رضي الله عنه، وجاء عند مسلم بدل «مدخلها»: «مكانها من الجنة والنار، وإلَّا وقد كُتبتْ شَقيَّةً أو سعيدةً». وفي جميع روايات البخاري ذكر المقعد مكان المدخل.

وعن ابنِ عبَّاسٍ قالَ: نزلَت في أُميَّةَ بنِ خلفٍ(١).

وعنه: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾؛ أي: سوفَ أحولُ بينه وبينَ الإيمانِ باللهِ ورسولِه(٢).

وعنه أيضاً: ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ﴾ بمالِه ﴿وَٱسْتَغْنَىٰ﴾ عن ربِّه ﴿وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾؛ أي: بالخَلَفِ الَّذي وعدَه الله تعالى في قولِه: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾ [سبأ: ٣٩](٣).

وقالَ مجاهدٌ: ﴿وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾؛ أي: بالجنَّةِ(٤)، وعنه: بلا إلهَ إلَّا اللهُ(٥).

***

(١١) ـ ﴿وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ﴾.

﴿وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ﴾ يجوزُ في ﴿ما﴾ أن تكونَ استفهاميَّةً استفهاماً إنكاريّاً، وأن تكونَ نافيةً، فإن كانَت استفهاميَّةً، فالمعنى: أيُّ شيءٍ يُغني مالُه؟ وإن كانَت نافيةً، فالمعنى: لا يُغني عنه مالُه شيئاً.

﴿إِذَا تَرَدَّىٰٓ﴾: إذا سقطَ في جهنَّمَ.

---

(١) ذكره عن ابن عباس القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٣٢٥)، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤٤٠)، والطبراني في «الدعاء» (١٥٩٤)، عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) ذكره السمعاني في «تفسيره» (٦/ ٢٣٨) من رواية أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما، والقرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٣٢٥) من رواية الضحاك عنه. وذكره الواحدي في «البسيط» (٢٤/ ٨١) من قول عطاء.

(٣) رواه سعيد بن منصور في «سننه ـ التفسير» (٨/ ٣٦٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤٤٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٣٣٢)، وعلقه البخاري قبل حديث (٤٩٤٣) مقتصراً على قوله: «﴿بِٱلْحُسْنَىٰ﴾ بالخلف»، وكذا رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٦١).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٦٨)، وذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٣٢٦).

(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٣٢٦) من طريق أخرى عن مجاهد لم يبينها.

وقيلَ: هوَ كنايةٌ عن الموتِ، كما قالَ القائلُ:

نَصيبُـكَ ممَّـا تَجمَـعُ الدَّهـرَ كلَّـه رِداءانِ تُـلْـوَى فيهمـا وحَنـوطُ[١]

ولمَّا عرَّفَهم سُبحانَه بما تقدَّمَ أنَّ للمُحسنينَ اليُسرى، وأنَّ للمُسيئينَ العُسرى، أخبرَهم بأنَّ[٢] عليه بيانَ الهُدى من الضَّلالةِ لقيامِ الحجَّةِ على مَن لا يتَّبعُ الهُدى فقال:

(١٢) ـ ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾.

قولُه تعالى ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾؛ أي: بيانَ طريقِ الهُدى من طريقِ الضَّلالةِ؛ ليمتثلَ أمرَنا بسلوكِ الأوَّلِ، ونهيَنا عن ارتكابِ الثَّاني.

وقالَ الفرَّاءُ: معناه: إنَّ علينا للهُدى والإضلالَ، فحذفَ المعطوفَ، كقولِه: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ [النحل: ٨١]؛ أي: والبردَ[٣]. وهوَ معنى قولِ ابنِ عبَّاسٍ: المعنى: أُرشِدُ أوليائي لطاعتي وأَحولُ بين أعدائي أن يعملُوا بطاعتي[٤]، وهوَ معنى الإضلالِ.

***

(١٣) ـ ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ﴾.

﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ﴾؛ أي: لنا ما في الدُّنيا والآخرةِ، فنُعطي في الدَّارين ما نشاءُ لمَن نشاءُ، فمَن طلبَها من غيرِنا فقد أخطأ الطَّريقَ.

---

(١) البيت بلا نسبة في «المحرر الوجيز» (٥/ ٤٩١).

(٢) في (أ): «بأن الذي»، والتصويب من «السراج المنير» (٤/ ٥٤٦).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٧١).

(٤) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٤/ ٨٥)، والرازي في «التفسير الكبير» (٣١/ ١٨٥).

وعن ابنِ عبَّاسٍ: أي: ثوابَ الدُّنيا والآخرةِ(١)، وهوَ كقولِه: ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ﴾ [النساء: ١٣٤].

* * *

(١٤ ـ ١٦) ـ ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾.

﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ﴾؛ أي: حذَّرتُكم وخوَّفتُكم أيُّها المنحرِفونَ عن طريقِ الهدى ﴿نَارًا تَلَظَّىٰ﴾؛ أي: تتلهَّبُ وتتوقَّدُ وتتوهَّجُ، يُقالُ: تلظَّتِ النَّارُ تَلْظيَةً، ومنه سُمِّيَت جهنَّمُ لظًى، وقرأ البَزِّيُّ في الوصلِ بتشديدِ التَّاءِ، وهوَ عَسِرٌ لالتقاءِ الساكنينِ على غيرِ حدِّهما، وهوَ نظيرُ قولِه: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ﴾، والباقون بغيرِ تشديدٍ(٢).

﴿لَا يَصْلَىٰهَآ﴾؛ أي: لا يُقاسي شدَّتَها على طريقِ اللُّزومِ والانغماسِ ﴿إِلَّا ٱلْأَشْقَى﴾ قيلَ: هوَ بمعنى: الشَّقيِّ، والمرادُ به الكافرُ.

﴿ٱلَّذِى كَذَّبَ﴾ النَّبيَّ عليه السَّلامُ، أو كذَّبَ بالقرآنِ وبما جاءَ به.

﴿وَتَوَلَّىٰ﴾؛ أي: أعرضَ عن الحقِّ، أو عن الطَّاعةِ.

* * *

(١٧ ـ ٢١) ـ ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾.

﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى﴾؛ أي: الَّذي اتَّقى الشِّركَ والمعاصيَ، فإنَّه لا يدخلُها فضلاً أن يَدخلَها ويَصلاها.

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٤/ ٨٥) عن الكلبي، وذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٣٢٨) من رواية أبي صالح عن ابن عباس.

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٦٩٠)، و«التيسير» (ص: ٨٤).

﴿ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ﴾؛ أي: يَصْرفُه في وجوهِ الخيرِ.

قالَ بعضُهم: هيَ في أبي بكرٍ الصِّدِّيقِ رضيَ اللهُ عنه، قالَ ابنُ الزُّبيرِ: كانَ يبتاعُ الضَّعَفةَ، فيُعتقُهم، فقالَ له أبوه: أيْ بنيَّ، لو كنتَ تبتاعُ مَن يمنعُ ظهرَك؟ فقالَ: مَنْعَ ظهري أريدُ، فأنزلَ اللهُ ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى﴾ إلى آخرِ السُّورةِ[١].

وقد أعتقَ أبو بكرٍ ستَّ رقابٍ على الإسلامِ قبلَ أن يُهاجرَ، بلالٌ سابعُهم[٢].

﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ۝١٩ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٢٠ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ الضَّميرُ في ﴿عِندَهُۥ﴾ راجعٌ لأبي بكرٍ؛ لقولِ الكفَّارِ لـمَّا اشترى بلالاً وأعتقَه: إنَّما فَعلَ ذلك ليَدٍ كانَت له عنده[٣]. فكذَّبَهم اللهُ في مقالَتِهم، وأنْ لا يدَ له يكافئُه عليها، وإنَّما فعَلَ ذلك ابتغاءَ وجهِ اللهِ العليِّ الأعلى وطلباً لرضاه ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ بما يُعطاه من الثَّوابِ في الجنَّةِ والقُربِ والمشاهدةِ، وكفى بمدحِ اللهِ له شرفاً[٤].

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٩/ ٤٥٦)، وذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٥٦). ورواه ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢٦٢) دون سبب النزول.

(٢) انظر: «سيرة ابن هشام» (١/ ٢٧٨)، ورواه عبد الله بن الإمام أحمد في «فضائل الصحابة» (٨٩)، وابن أبي الدنيا في «مكارم الأخلاق» (٤١٤)، عن عروة بن الزبير.

(٣) رواه الآجري في «الشريعة» (٤/ ١٨٢٧) عن ابن مسعود رضي الله عنه، وذكر نحوه الثعلبي في «تفسيره» (٢٩/ ٤٥٨) عن سعيد بن المسيب، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٥٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) وذكر القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٣٣٤) هنا عن أبي نصر القشيري وغيره سبباً آخر لنزولها: «وقال عطاء ـ وروي عن ابن عباس ـ: إن السورة نزلت في أبي الدحداح، في النخلة التي اشتراها بحائط له فيما ذكر الثعلبي عن عطاء ـ وقال القشيري عن ابن عباس: بأربعين نخلة، ولم يسم الرجل ـ قال عطاء: كان لرجل من الأنصار نخلة، يسقط من بلحها في دار جار له، فيتناول صبيانه، فشكا ذلك إلى النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: تبيعها بنخلة في الجنة؟ فأبى، فخرج فلقيه أبو الدحداح فقال: هل لك أن =

= تبيعنيها بـ(حسنى): حائط له. فقال: هي لك. فأتى أبو الدحداح إلى النبي ﷺ وقال: يا رسول الله، اشترها مني بنخلة في الجنة. قال: «نعم، والذي نفسي بيده» فقال: هي لك يا رسول الله، فدعا النبي ﷺ جار الأنصاري فقال: «خذها»، فنزلت ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ﴾ إلى آخر السورة في بستان أبي الدحداح وصاحب النخلة».

قلت: رواه من حديث ابن عباس الواحديُّ في «الوسيط» (٤/ ٥٠٢)، وابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» عند هذه الآية، و«الدر المنثور» (٨/ ٥٣٢) وضعفه، وقال ابن كثير: هو حديث غريب جدًّا.

تفسيرُ سورةِ ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾

مكيَّةٌ

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١ ـ ٥) ـ ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ﴾.

﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ هوَ قسمٌ، وقد تقدَّمَ الكلامُ على مثلِه.

قيلَ: وإنَّما أقسمَ اللهُ به لأنَّ السَّاعة الَّتي كلَّمَ اللهُ فيها موسى عليه السَّلامُ وأُلقِيَ السَّحرةُ فيها سُجَّداً هيَ صدرُ النَّهارِ حينَ ترتفعُ الشَّمسُ وتُلقي شعاعَها، لقولِه تعالى: ﴿وَأَن يُحۡشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحٗى﴾ [طه: ٥٩].

وقالَ البغويُّ: أرادَ النَّهارَ كلَّه بدليلِ أنَّه قابلَه باللَّيلِ في قولِه: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ﴾[١]؛ أي: سكَنَ وركَدَ ظلامُه، يُقالُ: ليلةٌ ساجيةٌ؛ أي: ساكنةُ الرِّيحِ.

وقيلَ: معناه: سكونُ النَّاسِ والأصواتِ فيه، وسجَى البحرُ: سكنَت أمواجُه، وطَرْفٌ ساجٍ: ساكنٌ فاترٌ.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٨/ ٤٥٤)، وكون المراد النهار كله قاله جمع من المفسرين قبل البغوي. انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٦٦)، و«تفسير الطبري» (٢٤/ ٤٨١)، و«تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٤/ ٩٣)، و«تفسير السمرقندي» (٣/ ٥٩١)، و«تفسير الثعلبي» (٢٩/ ٤٧٢)، وغيرهم.

وقالَ قتادةُ: أقسمَ بالضُّحى الَّذي كلَّمَ اللهُ فيه موسى، وبليلةِ المعراجِ الَّتي عرَّجَ فيها النَّبيُّ ﷺ[١].

﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾؛ أي: ما تركَكَ يا محمَّدُ ربُّك، أو: ما تركَكَ تركَ مودِّعٍ الَّذي هوَ أحسنُ[٢] تركٍ، ولا أبغَضَكَ بعد حبِّه لك.

وسببُ نزولِ هذه الآيةِ قيلَ: ما روى البخاريُّ عن جُندبِ بنِ سفيانَ قالَ: اشتكى رسولُ اللهِ ﷺ ليلتين أو ثلاثاً، فجاءَت أمُّ جميلٍ امرأةُ أبي لهبٍ فقالَت: يا محمَّدُ، إنِّي أرجو أن يكونَ شيطانُك قد تركَكَ، فإنِّي لـم أرَه قَربَكَ منذُ ليلتين أو ثلاثٍ، فنزلَت[٣].

وقيلَ: أبطأَ جبريلُ عليه السَّلامُ على النَّبيِّ ﷺ حتَّى شقَّ عليه، فجاءَه وهوَ واضعٌ جبهتَه على الكعبةِ يدعو، وأنزلَ عليه الآيةَ[٤].

ولـمَّا نزلَ جبريلُ عليه السَّلامُ سألَه النَّبيُّ ﷺ عن التَّأخيرِ، فقالَ له: إنَّما أنا عبدٌ مأمورٌ، وما نتنزَّلُ إلَّا بأمرِ ربِّكَ. فقالَ له النَّبيُّ: «ما جئتَ حتَّى اشتقتُ إليكَ». فقالَ جبريلُ: إنِّي كنتُ إليكَ أشدَّ شوقاً[٥].

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٣٣٥) عن قتادة ومقاتل وجعفر الصادق، وذكره أبو حفص النسفي في «التيسير» (١٥/ ٣٨٦) عن جعفر الصادق.

(٢) قوله: «أحسن» كذا في (أ)، ولعل الصواب: «أقسى».

(٣) رواه البخاري (٤٩٥٠)، ومسلم (١٧٩٧).

(٤) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٣٣٨) عن أبي عمران الجوني.

(٥) ذكره مقاتل في «تفسيره» (٤/ ٧٣١)، والثعلبي في «تفسيره» (٢٩/ ٤٦٩)، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٤١٤) عن عكرمة في سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمۡرِ رَبِّكَ﴾، وروى نحوه عن السدي.

قيلَ: ولمَّا نزلَت كبَّرَ ﷺ، فسُنَّ التَّكبيرُ آخرَها، ورُويَ الأمرُ به خاتمتَها وخاتمةَ كلِّ سورةٍ بعدَها، وهوَ: اللهُ أكبرُ، أو: لا إلهَ إلَّا اللهُ واللهُ أكبرُ[1].

﴿وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ﴾؛ أي: لَما فيها مِن الكراماتِ خيرٌ لك من الدُّنيا الفانيةِ.

روى البغويُّ بسندِه عن ابنِ مسعودٍ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «إنَّا أهلُ بيتٍ اختارَ اللهُ لنا الآخرةَ على الأُولى»[2].

﴿وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ﴾ بوعدٍ لا خلفَ فيه وإن تأخَّرَ وقتُه ﴿فَتَرۡضَىٰٓ﴾ قيلَ: من الثَّوابِ.

وقيلَ: من النَّصرِ والتَّمكينِ وكثرةِ المؤمنين والأتباعِ.

---

(١) الأحاديث التي وردت في التكبير عند خاتمة كل سورة بعد الضحى متكلم فيها عند أهل الحديث، وأما عند القراء فثبتت عن ابن كثير المكي من رواية البزي عنه. انظر: «التيسير» للداني (ص: ٥٦٠)، قال القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ١٠٢): «يكبر القارئ في رواية البزي عن ابن كثير... ولا يكبر في قراءة الباقين.... فاستحبه ابن كثير، لا أنه أوجبه فخطَّأ من تركه».

وقال ابن كثير في «تفسيره» (٨/ ٤٢٣): «فهذه سنة تفرد بها أبو الحسن أحمد بن محمد بن عبد الله البزي، من ولد القاسم بن أبي بزة، وكان إماما في القراءات، فأما في الحديث فقد ضعفه أبو حاتم الرازي وقال: لا أحدث عنه، وكذلك أبو جعفر العقيلي قال: هو منكر الحديث...».

(٢) رواه البغوي في «تفسيره» (٨/ ٤٥٤)، ورواه أيضاً ابن ماجه (٤٠٨٢). قال ابن قيم الجوزية في «المنار المنيف» (ص: ١٥٠): «في إسناده يزيد بن أبي زياد، وهو سيئ الحفظ، اختلط في آخر عمره، وكان يقبل التلقين».

وله طريق آخر رواه الحاكم في «المستدرك» (٨٤٣٤) وصححه، وتعقبه الذهبي فقال: هذا موضوع.

قالَ عطاءٌ عن ابنِ عبَّاسٍ: هيَ الشَّفاعةُ في أُمَّتِه حينَ يرضى، وهوَ قولُ عليٍّ والحسنِ[١].

ورُويَ عن عبدِ اللهِ بنِ عمرِو بنِ العاصِ: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ: «اللَّهمَّ أمَّتي أمَّتي»، وبكى، فقالَ اللهُ: «يا جبريلُ، اذهَبْ إلى محمَّدٍ فقلْ له: إنَّا سنُرضيكَ في أُمَّتِكَ ولا نسوؤُكَ»[٢].

***

(٦ ـ ٨) ـ ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ﴾.

﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ﴾ الاستفهامُ تقريريٌّ؛ أي: وجدَك يتيماً بفقدِ أبيكَ قبلَ ولادتِك، أو بعدها بستَّةِ أشهرٍ، وماتَت أُمُّه بعدَ ثمانِ سنين، فآواكَ وضمَّكَ إلى عمِّكَ أبي طالبٍ.

وقيلَ: معنى ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا﴾: فقيراً حين ماتَ أبواك، ولم يُخلِّفا لك مالاً ولا مأوًى، فجعلَ لك مَأْوًى تأوي إليه، وضمَّكَ إلى عمِّكَ أبي طالبٍ حتَّى أحسنَ تربيتَكَ وكفاكَ المؤنةَ.

﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا﴾ عمَّا أنتَ عليه اليومَ، فهداكَ لتوحيدِه والنُّبوَّةِ.

قالَ الحسنُ والضَّحَّاكُ: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا﴾ عن معالمِ النُّبُوَّةِ وأحكامِ الشَّريعةِ غافلاً عنها، فهداكَ إليها[٣]، كما في قولِه: ﴿وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ [يوسف: ٣]، وقالَ: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ [الشورى: ٥٢].

---

(١) ذكره عنهم الواحدي في «البسيط» (٢٤/ ١٠٧).

(٢) رواه مسلم (٢٠٢).

(٣) ذكره عنهما الثعلبي في «تفسيره» (٢٩/ ٤٨٩ ـ ٤٩٠)، والواحدي في «البسيط» (٢٤/ ١٠٩).

وقيلَ: ﴿ضَآلًّا﴾؛ أي: مُنفرِداً ﴿فَهَدَىٰ﴾؛ أي: هدى لك المؤمنين حتَّى اتَّبعوكَ وصرتَ غيرَ مُنفردٍ.

﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ﴾؛ أي: وجدكَ فقيراً فأغناكَ بما أعطاكَ، أو بما قنَّعَكَ به مِن القسمةِ وغيرِها، وفي الحديثِ: «ليسَ الغِنى عن كثرةِ العَرَضِ، إنَّما الغِنى غِنى النَّفسِ»(١).

قالَ مقاتلٌ: فرضَّاكَ بما أعطاكَ من الرِّزقِ(٢)، واختارَه الفرَّاءُ، وقالَ: لم يكن غنًى عن كثرةِ المالِ، ولكنَّ اللهَ أرضاه بما أعطاه(٣)، وذلك حقيقةُ الغِنى(٤).

وروى البغويُّ عن ابنِ عبَّاس قال: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «سألتُ ربِّي مسألةً وَددتُ أنِّي لم أكنْ سألتُه، قلتُ: يا ربُّ، إنَّكَ آتيتَ سليمانَ مُلكاً عظيماً، وآتيتَ فلاناً كذا وفلاناً كذا. قالَ: يا محمَّدُ، ألم أجدْكَ يتيماً فآويتُكَ؟ قلتُ: بلى يا ربِّ. قالَ: ألم أجدكَ ضالّاً فهديتُكَ؟ قلتُ: بلى يا ربِّ. قالَ: ألم أجدكَ عائِلاً فأغنيتُكَ؟ قلتُ: بلى يا ربِّ»(٥).

---

(١) رواه البخاري (٦٤٤٦)، ومسلم (١٠٥١)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (٢٩/ ٥٠١)، وفي «تفسير مقاتل» (٤/ ٧٢٢): «فضمك إلى عمك أبي طالب، فكفاك المؤنة فقال النبي ﷺ: من علي ربي وهو أهل المن». وذكره الواحدي في «البسيط» (٢٤/ ١١٣) عن الكلبي.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٧٤).

(٤) قال القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٣٤٧): «وقيل: أغناك بما فتح لك من الفتوح، وأفاءه عليك من أموال الكفار. القشيري: وفي هذا نظر، لأن السورة مكية، وإنما فُرض الجهاد بالمدينة».

(٥) رواه البغوي في «تفسيره» (٨/ ٤٥٥)، ورواه أيضاً الطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (١٠/ ١٢٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤٤٥)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٢٨٩)، و«المعجم الأوسط» (٣٦٥١)، والحاكم في «المستدرك» (٣٩٤٤)، وصححه. =

(٩ ـ ١١) ـ ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾.

﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ بأخذِ مالِه وتَعييرِه.

قالَ مجاهدٌ: لا تحقِرِ اليتيمَ، فقد كنتَ يتيماً[١].

وقالَ الفرَّاءُ: لا تَقْهَرْه على مالِه فتذهبَ بحقِّه لضعفِه[٢]، كذا كانَت العربُ تفعلُ في أموالِ اليتامى، تأخذُ أموالَهم، وتظلمُهم حقوقَهم.

﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾؛ أي: فلا تزجُرْ، يُقالُ: نهرَه وأنهرَه إذا زجرَه وغلَّظَ عليه القولَ، ولكن رُدَّه ردّاً جميلاً.

قالَ ابنُ أدهمَ: نِعمَ القومُ السُّؤَّالُ يحملونَ زادَنا إلى الآخرةِ[٣].

﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ بها، فإنَّ التَّحدُّثَ بها شُكرُها، وإنَّما يجوزُ مثلُ هذا لغيرِه إذا قصدَ به اللُّطف، وأن يقتديَ به غيرُه، وأمِنَ على نفسِه الفتنةَ، وهي لغيرِه ﷺ سُنةٌ حسنةٌ لمَن وثِقَ بنفسِه أن لا يُداخلُه شيءٌ كالكُمَّلِ من العلماءِ والأولياءِ[٤].

***

= قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٢٥٤): «فيه عطاء بن السائب وقد اختلط».

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٤/ ١١٤) عن مجاهد ومقاتل، وهو في «تفسير مقاتل» (٤/ ٧٣٣). ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٩٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤٤٤)، عن مجاهد دون قوله: «فقد كنت يتيماً».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٧٤).

(٣) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٩/ ٥١١)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٣٢).

(٤) وليس التحدث بنعمة الله مقصوراً على الكمل من العلماء والأولياء، فقد ذكر العلماء معان أخر للتحدث بنعم الله.

تفسيرُ سورةِ ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾

بسمِ اللَّه الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١ ـ ٤) ـ ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾.

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾؛ أي: ألم نفتحْ ونُوسِّعْ ونُلَيِّنْ لكَ قلبَكَ بالإيمانِ والنُّبوَّةِ والعِلمِ والحكمةِ حتى وَسِعَ مناجاتَنا ودعوةَ الخلقِ، أو فسحناه[1] بما أودعْنا فيه منَ العلومِ الَّتي أُمِرتَ ببثِّها، والعلومِ الَّتي لم تُؤمَر ببثِّها، أو أُمِرتَ بكتمِها[2].

وقيلَ: إنَّه إشارةٌ لما رُويَ أنَّ جبريلَ أتى النَّبيَّ في يومِ الميثاقِ، فاستخرجَ قلبَه فغسلَه، ثمَّ ملأه إيماناً وعلوماً[3]، أو إشارةٌ لِمَا وقعَ له مِن مِثلِ ذلك في صِباه[4].

وإنَّما عبَّرَ بالصَّدرِ دونَ القلبِ لِمَا قيلَ مِن أنَّه محلُّ الوسوسةِ، وأنَّه أُزيلَ

---

(١) في (أ): «ووَسِعَ مناجاتَنا ودعوةَ الخلقِ أوضحناه» بدل: «حتى وسع...»، والتصويب من «السراج المنير» للخطيب الشربيني (٤/ ٥٥٤).

(٢) في المصدر السابق: «بما أودعنا فيه من الحكم والعلوم، وأزلنا عنه الضيق والحرج الذي كان يكون معه العمى والجهل».

(٣) ذكر نحوه السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٥٩٣) عن الكلبي دون ذكر أن ذلك حدث في يوم الميثاق.

(٤) حادثة شق صدره وهو صغير في ربع حليمة رواها مسلم (١٦٢/ ٢٦١) من حديث أنسٍ، وهي مشهورة في كتب السيرة. وروي حدوث ذلك أيضاً ليلة المعراج من حديث أنس عند البخاري (٧٥١٧)، ومسلم (١٦٢/ ٢٦٢). ومن حديث أنسٍ عن مالك بن صعصعة عند البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (١٦٤). ومن حديث أنس عن أبي ذر عند البخاري (٣٤٩)، ومسلم (١٦٣).

عنه ذلك بالغَسلِ، قالَ تعالى: ﴿يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾، فعبَّرَ بالصَّدرِ دونَ القلبِ لذلك.

﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾؛ أي: حطَطْنا عنكَ ما تَعُدُّه وِزراً مع عصمتِنا لك ابتداءً وانتهاءً، وهوَ كقولِه: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢].

وقالَ الحسينُ بنُ الفضلِ: أي: الخطأَ والسَّهوَ[١].

وقيلَ: ذنوبَ أُمَّتِك، وأضافَها إليه لاشتغالِ قلبِه بها.

﴿الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾؛ أي: أثقلَه.

قالَ أبو عُبيدةَ: خفَّفْنا عنكَ أعباءَ النُّبوَّةِ والقيامَ بها حتَّى لا تَثقُلَ عليك[٢].

وقيلَ: كانَ في الابتداءِ يَثقُلُ عليه الوحيُ حتَّى يكادُ يرمي نفسَه من شاهقٍ، إلى أن جاءه جبريلُ عليه السَّلامُ [وأراه نفسَه]، وأزالَ عنه ما كانَ يخافُ من تغيُّرِ العقلِ.

وقيلَ: عصمناكَ من احتمالِ الوِزرِ، وحفظناكَ قبلَ النُّبوَّةِ في الأربعين من الأدناسِ، حتَّى نزلَ عليكَ الوحيُ وأنتَ مُطهَّرٌ[٣].

﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾؛ أي: بأن تُذكَرَ مع ذِكري في الأذانِ والإقامةِ والتَّشهُّدِ وعلى المنابرِ وغيرِها.

عن أبي سعيدٍ الخُدريِّ عن النَّبيِّ ﷺ: أنَّه سألَ جبريلَ عليه السَّلامُ عن هذهِ الآيةِ، وهي ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾، فقالَ اللهُ عزَّ وجلَّ: «إذا ذُكِرتُ ذُكِرتَ معي»[٤].

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٩/ ٥٢٥)، والبغوي في «تفسيره» (٨/ ٤٦٣).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٩/ ٥٢٦) عن عبد العزيز بن يحيى وأبي عبيدة.

(٣) انظر: «تفسير القرطبي» (٢٢/ ٣٥٧)، وما بين معكوفتين منه.

(٤) رواه أبو يعلى في «مسنده» (١٣٨٠)، وابن حبان في «صحيحه» (٣٣٨٢)، وفي سنديهما من تكلّم فيه.

عن عطاءٍ عن ابنِ عبَّاسٍ: يريدُ: الأذانَ والإقامةَ والتَّشهُّدَ والخُطبةَ على المنابرِ[١].

وقيلَ: رفعَ ذِكرَه بأخذِ ميثاقِه على النَّبيِّينَ، وألزمَهم الإيمانَ به والإقرارَ بفضلِه.

* * *

(٥ ـ ٦) ـ ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾.

ثمَّ وعدَه اليُسرَ بعدَ العُسرِ، والرَّخاءَ بعدَ الشِّدَّةِ، وذلك أنَّه كانَ بمكَّةَ في شدَّةٍ فقالَ: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ كانَ ﷺ قاسَى من الكفَّارِ شدَّةً، ثمَّ حصلَ اليُسرُ بنصرِه عليهم، أو برجوعِ غالبِهم للاهتداءِ والطَّاعةِ.

والمعنى: لا تيأسْ من رَوحِ اللهِ إذا عَراكَ ما يُهمُّكَ؛ فإنَّ مع العُسرِ الَّذي أنتم فيه يُسراً، وعبَّرَ بالمعيَّةِ لشدَّةِ قُربِ اليُسرِ من العُسرِ حتَّى كأنَّه كالمقارنِ له؛ زيادةً للتَّسليةِ وتقويةً للقلوبِ؛ إذ وعدُه الصِّدقُ.

وقولُه: ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ بعدَ الأولى استئنافٌ، وعدَه اللهُ تعالى بأنَّ العُسرَ متبوعٌ بيُسرٍ آخرَ كثوابِ الآخرةِ، ويجوزُ أن تكونَ الثَّانيةُ مؤكِّدةً للأُولى كما تقدَّمَ نظائرُه، والأوَّلُ أولى.

وإنَّما كانَ العُسرُ واحداً لأنَّه لا يخلو: إمَّا أن يكونَ تعريفُه للعهدِ، وهوَ العُسرُ الَّذي كانُوا فيه، فهوَ هو؛ لأنَّ حُكمَه حُكمُ «زيدٍ» في قولِك: «إنَّ معَ زيدٍ مالاً، إنَّ مع زيدٍ مالاً»، وإمَّا أن يكونَ للجنسِ الَّذي يعلَمُه كلُّ أحدٍ، فهوَ هوَ أيضاً.

وأمَّا اليُسرُ فمُنكَّرٌ مُتناوِلٌ لبعضِ الجنسِ، فإذا كانَ الكلامُ الثَّاني مستأنَفاً غيرَ مكرَّرٍ فقد تناولَ بعضاً غيرَ البعضِ الأوَّلِ بغيرِ إشكالٍ، والتَّنوينُ فيه للتَّعظيمِ والتَّفخيمِ.

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٤/ ١٢٨).

(٧) ـ ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ﴾.

ولمَّا وعدَ الله تعالى نبيَّه بنعمِه السَّالفةِ ووعدَه الآنفةَ، بعثَه على الشُّكرِ والاجتهادِ في العبادةِ بقولِه: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ﴾؛ أي: إذا فَرَغتَ مِن صلاتِك فاتعَبْ في الدُّعاءِ.

وقالَ ابنُ مسعودٍ: إذا فَرَغتَ مِن الفرائضِ فانصَب في قيامِ اللَّيلِ(١).

وقالَ الشعبي إذا فَرَغتَ مِن التَّشهُّدِ فادعُ لدنياكَ وآخرتِكَ(٢).

وقالَ الحسنُ: إذا فَرَغتَ مِن جهادِ عدوِّكَ فانصَب في عبادةِ ربِّكَ(٣).

وقالَ الكلبيُّ: إذا فَرَغتَ مِن تبليغِ الرِّسالةِ ﴿فَٱنصَبْ﴾؛ أي: استغفِرْ لذنبِك وللمؤمنين(٤).

قالَ عمرُ بنُ الخطَّابِ: إنِّي أكرهُ أن أرى أحدَكم فارغاً؛ لا في عملِ الدُّنيا، ولا في عملِ الآخرةِ(٥).

* * *

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤٤٦).

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٤/ ١٣٧).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٩٨) عن الحسن، وكذا عن ابن زيد.

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٩/ ٥٥٠)، والبغوي في «تفسيره» (٨/ ٤٦٦).

(٥) لم أقف عليه مسنداً عن عمر رضي الله عنه، وذكره عنه الأزهري في «تهذيب اللغة» (٨/ ١٩٧)، والجوهري في «الصحاح» (مادة: سبهل)، والزمخشري في «الكشاف»، بلفظ: «إني لأكره أن أرى أحدكم سبهللاً...»، وقال الزيلعي: «غريب»، ورواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٤٥٦٢)، والإمام أحمد في «الزهد» (٨٧٤)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٨٥٣٨) و(٨٥٣٩) من قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٨) ـ ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب﴾.

﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب﴾؛ أي: اجعلْ رغبتَك إليه خصوصاً، ولا تسألْ إلَّا فضلَه متوكِّلاً عليه.

وقيلَ: تضرَّعْ إليه راغباً في الجنَّةِ راهِباً من النّارِ.

* * *

تفسيرُ سورةِ ﴿وَٱلتِّينِ﴾

بسمِ الله الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) ـ ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ﴾.

﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ﴾ هوَ قسمٌ، وتقدَّمَ نظائرُه، أقسمَ بهما لأنَّهما عجيبتانِ مِن بينِ أصنافِ الأشجارِ المثمرةِ.

رُويَ أنَّه أُهدِيَ للنَّبيِّ ﷺ طبقٌ من تينٍ فأكلَ منه، وقالَ لأصحابِه: «كُلُوا، فلو قلتُ: إنَّ فاكهةً نزلَت مِن الجنَّةِ لقلتُ: هذه؛ لأنَّ فاكهةَ الجنَّةِ بلا عَجَمٍ، فكُلوها فإنَّها تقطعُ البواسيرَ، وتنفعُ مِن النِّقرسِ»(١).

ومرَّ معاذُ بنُ جبلٍ بشجرةِ الزَّيتونِ، فأخذَ منها قضيباً واستاكَ به، وقالَ: سمعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «نِعمَ السِّواكُ الزَّيتونُ من الشَّجرةِ المباركةِ»(٢).

وعن ابنِ عبَّاسٍ: هوَ تينُكم هذا الَّذي تأكلونَ وزيتونُكم هذا الَّذي تَعصِرونَ منه الزَّيتَ(٣).

---

(١) رواه أبو نعيم في «الطب» (ص: ٨٢)، والثعلبي في «تفسيره» (٣٠/ ١٠) من حديث أبي ذر رضي الله عنه، قال الحافظ في «الكافي الشاف» (ص: ١٨٦): وفي إسناده من لا يعرف.

(٢) رواه الطبرانيّ في «الأوسط» (٦٧٨)، والثعلبي في «تفسيره» (٣٠/ ١٢)، قال الحافظ في «الكافي الشاف» (ص: ١٨٦): إسناده واه.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣٠/ ٩) عن الكلبي، ورواه بنحوه عن ابن عباس رضي الله عنهما: ابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٨/ ٥٥٥)، والحاكم في «المستدرك» (٣٩٥١) وصححه، ولفظهما: «﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ﴾: الفاكهة التي يأكلها الناس».

وقالَ عكرمةُ: هما جبلانِ مِن الأرضِ المقدَّسةِ، يُقالُ لهما بالسُّريانيّةِ: طورُ تِينا، وطُورُ زيتا؛ لأنَّهما مَنْبِتا التِّينِ والزَّيتونِ(١).

وقالَ محمَّدُ بنُ كعبٍ: التِّينُ مسجدُ أصحابِ الكهفِ، والزَّيتونُ مسجدُ إيليا(٢).

وقالَ الضَّحَّاكُ: مسجدانِ بالشَّامِ(٣).

وقالَ ابنُ زيدٍ: التِّينُ مسجدُ دمشقَ، والزَّيتونُ مسجدُ بيتِ المقدسِ(٤). وحَسُنَ القسمُ بهما لأنَّهما موضعُ الطَّاعةِ.

وقيلَ: التِّينُ مسجدُ نوحٍ عليه السَّلامُ الَّذي بناه على الجوديِّ، والزَّيتونُ مسجدُ بيتِ المقدسِ.

***

(٢) ـ ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾.

﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾؛ أي: الجبلِ الَّذي ناجَى عليه موسى ربَّه عزَّ وجلَّ، وسِينينُ وسِيناءُ اسمانِ للموضعِ الَّذي هوَ فيه، فأُضيفَ الجبلُ إلى المكانِ الَّذي هوَ فيه.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥٠٤) مقتصراً على قوله: «هم جبلان». وهو قول ابن قتيبة في «غريب القرآن» (ص: ٥٣٢) قال: جبلان بالشام؛ يقال لهما: طُورُ تِينَا وطُورُ زَيْتَا بالسُّرْيانيَّة. سمِّيا بالتين والزيتون لأنهما يُنبتانهما.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤٤٧).

(٣) رواه عبد بن حميد كما في «الدر المنثور» (٨/ ٥٥٥)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣٠/ ١٢)، والبكري في «المسالك والممالك» (١/ ٤٦٣).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥٠٣)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣٠/ ١٢) عن كعب الأحبار وقتادة وابن زيد وعبد الرحمن بن غنم.

وقالَ مقاتلٌ والكلبيُّ: سينينَ كلُّ جبلٍ فيه شجرٌ مثمرٌ فهوَ سينينُ[١]، وسيناءُ بلغةِ النَّبطِ.

وقيلَ: معنى سينينَ: المباركُ، أو الحَسنُ بالأشجارِ المثمرةِ.

***

(٣) ـ ﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾.

﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾؛ أي: الآمِنِ، وهي مكَّةُ؛ لأنَّها الحرمُ الَّذي تأمَنُ النَّاسُ فيها جاهليَّةً وإسلاماً، لا يُنفَّرُ صيدُه، ولا يُعضَدُ ورقُه؛ أي: شجرُه[٢]، ولا تُلتقَطُ لُقطتُه إلَّا لمُنشِدٍ.

أو: المأمونِ فيه، يأمَنُ فيه مَن دخلَه.

ومعنى القسمِ بهذهِ الأشياءِ: الإبانةُ عن شرفِ البقاعِ المباركةِ، وما ظهرَ فيها من الخيرِ والبركةِ بسُكنى الأنبياءِ والصَّالحين، فمَنبتُ التِّينِ والزَّيتونِ مُهاجَرُ إبراهيمَ عليه السَّلامُ، ومَولدُ عيسى ومَنشؤُه، والطُّورُ: المكان الَّذي نُودِي منه موسى عليه السَّلامُ، ومكَّةُ: البيتُ الَّذي هوَ هدًى للعالمين، ومَولدُ رسولِ اللهِ ﷺ ومَبعثُه.

***

(٤ ـ ٥) ـ ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾.

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ جوابُ القسمِ، والمرادُ بالإنسانِ: الجنسُ الشَّاملُ لآدمَ عليه السَّلامُ وذرِّيته.

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٧٥١) بنحوه، ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٦٤٧)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥٠٧)، عن الكلبي بلفظ: «الجبل ذو الشجر».

(٢) وهذا هو المذكور في الصحيحين وغيرهما، ولم أجد ذكر الورق في هذا الحديث.

﴿فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ﴾: أعدلِ قامةٍ، وأحسنِ صورةٍ، وذلك لأنَّه خلقَ كلَّ حيوانٍ مُكِبّاً على وجهِه إلَّا الإنسانَ، فإنَّه خُلِقَ مَديدَ القامةِ، يتناولُ مأكولَه بيدِه مُزيَّناً بالعقلِ والتَّمييزِ.

﴿ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ﴾؛ أي: الهرمُ والضَّعفُ والرَّدُّ إلى أرذلِ العمرِ، فيَضعفُ بدنُه، وينقصُ عقلُه.

والسَّافلونَ: هم الضُّعفاءُ والزَّمنى والأطفالُ، والشَّيخُ الكبيرُ أسفلُ من هؤلاءِ جميعاً؛ لأنَّه لا يستطيعُ حِيلةً، ولا يهتدي سبيلاً.

* * *

(٦) ـ ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ﴾.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ﴾؛ أي: يُكتَبُ لهم بعدَ الهرمِ والحزنِ مثلُ الَّذي كانُوا يعملونَه من الأعمالِ الصَّالحةِ في حالِ الشَّبابِ والصِّحَّةِ، وفي الحديثِ: إذا بلغَ المؤمنُ مِن الكِبَرِ ما يعجزُ عن العملِ كُتِبَ له ما كانَ يعملُ[1].

رُويَ عن ابنِ عبَّاسٍ أنَّه قالَ: إلَّا الَّذينَ قَرؤوا القرآنَ، وقالَ: مَن قرأَ القرآنَ لا يُردُّ لأرذلِ العُمرِ[2].

* * *

(٧) ـ ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعۡدُ بِٱلدِّينِ﴾.

﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ﴾ أيُّها الإنسانُ الكافرُ بعدَ ما ذُكِرَ من خلقِ الإنسانِ من نُطفةٍ وتقويمِه بشراً سويّاً، وتدريجِه في مراتبِ الزِّيادةِ إلى أن يكمُلَ ويستويَ ويصيرَ في

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥١٩) من قول إبراهيم النخعي.

(٢) رواه الحاكم في «المستدرك» (٣٩٥٢) وصححه، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٧٠٦).

أحسنِ تقويمٍ ثمَّ يردُّه إلى أرذلِ العمرِ = الدَّالِّ على القدرةِ على البعثِ، فتقولُ: إنَّ الَّذي فعلَ ذلك قادرٌ على أن يبعثَني ويحاسبَني، فما يُكذِّبُك أيُّها الإنسانُ ﴿بِٱلدِّينِ﴾؛ أي: بالجزاءِ وبيومِ البعثِ بعد هذا الدَّليلِ القاطعِ.

***

(٨) ـ ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾.

﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾؛ أي: بأقضى القاضِين. هوَ وعيدٌ للكافرينَ، وأنَّه يحكُمُ عليهم بما هم أهلُه.

قالَ مقاتلٌ: يحكُمُ بينَكَ وبينَ أهلِ التَّكذيبِ بكَ يا محمَّدُ[1].

وفي الحديثِ: «مَن قرأَ ﴿وَٱلتِّينِ﴾ إلى آخرِها فليقلْ: بلى، وأنا على ذلكَ من الشَّاهدين»[2].

***

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٧٤٧).

(٢) رواه أبو داود (٨٨٧)، والترمذي (٣٣٤٧)، من طريق إسماعيل بن أميةَ، قال: سمعت أعرابيًا يقول: سمعتُ أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «مَن قرأ منكم بـ ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ﴾ فانتهى إلى آخرها ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ فليقل: بلى، وأنا على ذلك من الشاهدين». وإسناده ضعيف لإبهام الراوي عن أبي هريرة، وقال الترمذي: هذا حديث إنما يروى بهذا الإسناد عن هذا الأعرابي عن أبي هريرة، ولا يسمى.

تفسيرُ سورةِ العلقِ

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١ ـ ٥) ـ ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾.

﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ هيَ أوَّلُ سورةٍ نزلَت، كما هوَ الصَّحيحُ من جملةِ أقوالٍ[1].

قالَ أبو عُبيدةَ: مَجازُه: اقرأ اسمَ ربِّك[2]؛ يعني: أنَّ الباءَ زائدةٌ، والمعنى: اذكرِ اسمَه.

وقالَ بعضُهم: إنَّها ليسَت زائدةً، وإنَّها في ﴿بِٱسْمِ﴾ تدلُّ على الملازمةِ والتَّكريرِ، كقولِك: «أخذتُ بالخِطامِ»، فإذا قلتَ: «أخذتُ الخِطامَ» لم يكن في الكلامِ ما يدلُّ على الملازمةِ والتَّكريرِ[3].

---

(١) قال النووي في «شرح مسلم» (٢/ ٢٠٨): فالصواب أن أول ما نزل ﴿ٱقْرَأْ﴾، وأن أول ما نزل بعد فترة الوحي ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾، وأما قول مَن قال من المفسرين: أول ما نزل (الفاتحة)؛ فبطلانُه أظهر من أن يُذكَر، والله أعلم.

وقال الآلوسي في «روح المعاني» (٢٩/ ١٦٤): الصحيح ـ كما قال البعض وهو الذي أختاره ـ أن صدر هذه السورة الكريمة [يعني: سورة العلق] هو أول ما نزل من القرآن على الإطلاق، كيف وقد ورد حديث بدء الوحي المروي عن عائشة من أصح الأحاديث؟

(٢) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ٣٠٤).

(٣) انظر: «مشكل إعراب القرآن» لمكي بن أبي طالب (٢/ ٨٢٧).

قيلَ: إنَّه نصبٌ على الحالِ؛ أي: اقرأ مُفتتِحاً باسمِ ربِّك، كأنَّه قالَ: قل: بسمِ اللهِ، ثمَّ اقرأْ.

أُمِرَ أن يبتدئَ بالقراءةِ باسمِ اللهِ ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ﴾؛ أي: الَّذي حصلَ منه الخلقُ، واستأثَرَ به، فلا خالقَ سواه.

قالَ بعضُهم: أهلُ الإرادةِ في الطَّلبِ مُرادون مَطلوبون، ألا ترى أنَّ إبراهيمَ كانَ طالباً يقولُ: ﴿هَٰذَا رَبِّى﴾ [الأنعام: ٧٦]، و﴿لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى﴾ [الأنعام: ٧٧]، و﴿إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى﴾ [الصافات: ٩٩]، والمرادُ مطلوبٌ، وهي صفةُ الحبيبِ، ألا ترى أنَّه لـمَّا قيلَ له: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ [العلق: ١] استقبلَ الأمرَ من غيرِ طلبٍ.

قالَ بعضُهم: وقالَ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ﴾؛ لأنَّ الكفَّارَ كانُوا يعلمونَ أنَّه الخالقُ دونَ أصنامِهم.

ثمَّ خصَّصَ الآدميَّ لشرفِه بالذِّكرِ وتنبيهاً على قدرةِ اللهِ تعالى فقالَ: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ﴾؛ أي: ولدَ آدمَ ﴿مِنْ عَلَقٍ﴾: جمع علقةٍ، وهي قطعةُ دمٍ، وجمَعَها لأنَّ المرادَ بالإنسانِ الجنسُ، فكلُّ واحدٍ خُلقَ من علقةٍ.

ثمَّ كرَّرَ الأمرَ بالقراءةِ تأكيداً فقالَ: ﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ﴾ مبتدأٌ وخبرٌ موضعُه نصبٌ حالٌ من الضَّميرِ في ﴿ٱقْرَأْ﴾.

قالَ الخطابيُّ: ﴿ٱلْأَكْرَمُ﴾: الَّذي لا يُوازيه كريمٌ، ولا يُعادلُه في الكرمِ نظيرٌ[1]؛ لأنَّه لا يُعاجِلُ عبادَه بالعذابِ مِن كفرِهم، ويرزقُهم مع ذلك، ويقبلُ توبتَهم بعدَ المعصيةِ والكفرِ، فكأنَّ كرمَه قد بلغَ غايةَ الحدِّ، أو ﴿ٱلْأَكْرَمُ﴾ بمعنى: الكريمِ.

---

(١) انظر: «شأن الدعاء» للخطابي (١/ ١٠٣ ـ ١٠٤).

﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ﴾؛ أي: الخطَّ والكتابةَ، وقُرِئَ: (علَّمَ الخطَّ بالقَلمِ)[(١)]، ويدخُلُ في هذا كلُّ كتابةٍ وكلُّ قلمٍ.

قالَ قتادةُ: لولا القلمُ ما قامَ دينٌ ولا صَلحَ عيشٌ[(٢)].

قالَ ابنُ عبَّاسٍ: أوَّلُ مَن كتبَ بالقلمِ إدريسُ[(٣)].

﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾؛ أي: علَّمَ جميعَ النَّاسِ ما لـم يكونوا يعلمونَه من أنواعِ الهُدى والبيانِ والصَّنائعِ، أو علَّمَ آدمَ الأسماءَ كلَّها، أو الإنسانُ محمَّدٌ ﷺ فعلَّمَه من القرآنِ والحِكَمِ والعلومِ، ونبَّهَ بقولِه: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ [النساء: ١١٣].

* * *

(٦ ـ ٧) ـ ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾.

﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ﴾ هيَ بمعنى: ألَا، أو حقّاً، وردعاً إن جعلتَها للكافرِ وإن لـم يُذكَر؛ لدلالةِ المعنى عليه.

قالَ مقاتلٌ: كلَّا، لا يعلمُ أنَّ اللهَ علَّمَه[(٤)]؛ أي: الكافرُ.

والمرادُ بـ﴿ٱلْإِنسَٰنَ﴾: النَّوعُ؛ لأنَّه مِن شأنِه ذلك إلَّا مَن عصمَه الله، أو المرادُ: أبو جهلٍ.

---

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٧٦).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤٥٠)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٢٤٢) إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

(٣) رواه ابن قتيبة في «عيون الأخبار» (١/ ١٠٢) عن وهب، وذكره الطبري في «تاريخه» (١/ ١٧٠) عن ابن إسحاق، ورواه ابن أبي عروبة في «الأوائل» (١٩)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (١٤/ ٣٨٥) عن ابن إسحاق.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٧٦٢).

﴿أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ﴾؛ أي: إذا رأى نفسَه استغنى بالمالِ.

قال ابنُ عطاءٍ: رُؤيةُ الغِنى تُورثُ الطُّغيانَ والبطرَ؛ لأنَّها تُورثُ الفخرَ، والفخرُ يورثُ الطُّغيانَ(١).

وقالَ يحيى بنُ معاذٍ: في الدُّنيا طُغيانانِ: طُغيانُ العلمِ، وطُغيانُ المالِ، فالذي يُعيذكَ من طغيانِ العلمِ العبادةُ، والذي يُعيذُكَ من طُغيانِ المالِ الزُّهدُ في الدُّنيا، والذي يُورثُكَ الزُّهدَ الجوعُ الدَّائمُ، يقطعُ شهوةَ الدُّنيا عنك(٢).

* * *

(٨) ـ ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجۡعَىٰٓ﴾.

﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجۡعَىٰٓ﴾ هوَ تهديدٌ وتحذيرٌ للإنسانِ من عاقبةِ الطُّغيانِ، و﴿ٱلرُّجۡعَىٰٓ﴾ مصدرٌ بمعنى: الرُّجوعِ؛ لأنَّ الرُّجعى والرُّجوعَ والمرجِعَ واحدٌ.

* * *

(٩ ـ ١٤) ـ ﴿أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يَنۡهَىٰ ٩ عَبۡدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ١٠ أَرَءَيۡتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلۡهُدَىٰٓ ١١ أَوۡ أَمَرَ بِٱلتَّقۡوَىٰٓ ١٢ أَرَءَيۡتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ١٣ أَلَمۡ يَعۡلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾.

قالَ أبو جهلٍ: هل يُعفِّرُ محمَّدٌ وجهَه بينَ أظهرِكم بالتُّرابِ؟ فقيلَ: نعم، فقالَ: واللَّاتِ والعُزَّى لَئن رأيتُه يفعلُ ذلك لأطأنَّ على رقبتِه، ولأُعفِرَنَّ وجهَه في التُّرابِ. فأتى رسولَ اللهِ ﷺ وهوَ يُصلِّي، عزمَ ليَطأَ على رقبتِه، فنكَصَ على عقبَيهِ، وجعلَ

---

(١) وقال نحوه سهل التستري في «تفسيره» (ص: ٢٠٠).

(٢) لم أقف عليه عن يحيى بن معاذ، ورواه السلمي في «طبقات الصوفية» (ص: ١٥٦)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ٢٣٩)، والخطيب البغدادي في «اقتضاء العلم العمل» (٢٦) عن يوسف بن الحسين بلفظ: «في الدنيا طغيانان: طغيان العلم وطغيان المال، والذي ينجيك من طغيان العلم العبادة، والذي ينجيك من طغيان المال الزهد فيه».

يتَّقي بيديه، فقالُوا: ما لك يا أبا الحكمِ؟ فقالَ: إنَّ بيني وبينَه لخندقاً من نارٍ وهَولاً وأجنحةً. فقالَ ﷺ: «لو دنا منِّي لاختطفَتْهُ الملائكةُ عُضواً عُضواً»، فنزلَ في شأنِه وتهويلاً لفعلِه: ﴿أَرَءَيْتَ الَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ﴾ إلى آخرِ السُّورةِ[1].

المعنى: أخبرني عمَّن يَنهى بعضَ عبادِ اللهِ عن صلاتِه، ورُويَ أنَّها كانَت صلاةَ الظُّهرِ[2].

ثمَّ كرَّرَ التَّعجُّبَ منه فقالَ: ﴿أَرَءَيْتَ إِن كَانَ﴾؛ أي: المنهيُّ، وهوَ النَّبيُّ ﷺ ﴿عَلَى الْهُدَىٰٓ ۝١١ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰٓ﴾: بالتَّوحيدِ والإخلاصِ.

﴿أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ﴾؛ أي: النَّاهي عن الصَّلاةِ، وهوَ أبو جهلٍ، ﴿وَتَوَلَّىٰٓ﴾ عن الإيمانِ.

وقالَ الحسنُ: هوَ أُميَّةُ بنُ خلفٍ، كانَ يَنهى سلمانَ عن الصَّلاةِ[3].

أو نظمُ الآيةِ: أرأيت الَّذي يَنهى عبداً إذا صلَّى وهوَ على الهدى آمِرٌ بالتَّقوى، والنَّاهي مُكذِّبٌ متولٍّ عن الإيمانِ، فما أعجبُ مِن هذا؟!

﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ﴾ أحوالَه، ويطَّلعُ عليها فيجازيَه.

* * *

(١٥ ـ ١٨) ـ ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ۝١٥ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۝١٦ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ۝١٧ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾.

﴿كَلَّا﴾ بمعنى: ألَا، ويجوزُ أن تكونَ ردعاً لأبي جهلٍ [عن نهيِه] عن عبادةِ محمَّدٍ ربَّه، وأمرِه بعبادةِ الأصنامِ.

---

(١) رواه مسلم (٢٧٩٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٤٦٧) بلا نسبة ولا راو، بل قال: «وقيل» فذكره.

(٣) ولا يصح هذا عن الحسن؛ لأنه لا خلاف في أن إسلام سلمان رضي الله تعالى عنه كان بالمدينة بعد الهجرة، كما أنه لا خلاف في أن السورة مكية. انظر: «روح المعاني» (٢٩/ ١٧٦).

﴿لَئِن لَّمْ يَنتَهِ﴾ عمَّا هوَ فيه مِن تكذيبِ محمَّدٍ ﷺ ﴿لَنَسْفَعًا﴾؛ أي: لنأخُذَنَّه ﴿بِالنَّاصِيَةِ﴾؛ أي: بناصيتِه، فلَنجُرَّنَّه إلى النّارِ، كقولِه: ﴿فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ [الرحمن: ٤١]، والنَّاصيةُ: شعرُ مُقدَّمِ الرَّأسِ، والسَّفعُ: القبضُ على الشَّيءِ وجذبُه بشدَّةٍ، قالَ عمرُو بنِ مَعدي كَرِبَ:

قومٌ إذا نقعَ الصَّريخُ رأيتَهم ... ما بينَ مُلجِمِ مُهرِه أو سافِعِ[(١)]

والنَّقعُ: الصَّوتُ.

ولمَّا عُلِمَ أنَّها ناصيةُ المذكورِ اكتُفيَ بلامِ العهدِ عن الإضافةِ.

والآيةُ وإن كانَت في أبي جهلٍ فهي عظةٌ للنَّاسِ، وتهديدٌ لـمَن يمنعُ غيرَه عن طاعةِ اللهِ.

﴿نَاصِيَةٍ﴾ بدلٌ من ﴿الناصية﴾، وجَوَّزَ ذلك وصفُها بقولِه: ﴿كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾، والمعنى: لنأخذنَّ بناصيةِ أبي جهلٍ الكاذبةِ في قولِها الخاطئةِ في فعلِها، والخاطِئُ معاقَبٌ مأخوذٌ، والمخطِئُ غيرُ مأخوذٍ.

---

(١) نسبه العيني في «المقاصد النحوية» (٤/ ١٦٣٢)، والسيوطي في «شرح شواهد المغني» (١/ ٢٠٠ ـ ٢٠١)، لحميد بن ثور الهلالي، وهو في «ديوانه» (ص: ١١ ـ الزيادات).

وورد دون نسبة في «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٣١١)، و«إيضاح الوقف والابتداء» لابن الأنباري (١/ ٣٦٢)، و«تهذيب اللغة» (٢/ ٦٥)، و«الصحاح» (مادة: سفع)، و«مجمل اللغة» (١/ ٤٦٥)، و«شرح ديوان الحماسة» للمرزوقي (ص: ٢٥).

النقيع: الصراخ، ونَقَع الصوت: ارتفع إذا صوَّت المصوت. ويروى كما في أكثر المصادر السابقة: «إذا فَزِعُوا الصريخَ»، والفزع: الرُّعب، والنُّصرة أيضاً، والصريخ والصارخ: المستغيث، والمهر: الفتي من الخيل، «أو سافع»؛ أي: آخذ بناصية فرسه بالسرعة من غير لجام. انظر: «فتوح الغيب» للطيبي (١٦/ ٥١٨).

ونسبةُ الكذبِ والخطأِ للنَّاصيةِ مجازٌ، وإنَّما المرادُ: صاحبُها كاذبٌ خاطئٌ، كقولِهم: فلانٌ نهارُه صائمٌ وليلُه قائمٌ، ومعناه: أنَّه صائمٌ وقائمٌ في نهارِه وليلِه.

وقُرِئَ: (ناصيةٌ) رفعاً و(ناصيةً) نصباً[١]، وكلاهما ذمٌّ.

قالَ ابنُ عبَّاسٍ: لمَّا نهى[٢] أبو جهلٍ رسولَ اللهِ عن الصَّلاةِ، انتهرَه رسولُ اللهِ ﷺ، فقالَ أبو جهلٍ: أتنهرُني؟! فواللهِ لأملأنَّ عليك هذا الواديَ إن شئتُ خيلاً جُرداً ورجالاً مُرداً ـ ورُويَ أنَّه قالَ: واللهِ إنَّك لتعلمُ ما بها نادٍ أكثرَ منِّي ـ فنزلَ: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾[٣]؛ أي: ليَدعُ أهلَ ناديهِ، وهم رهطُه، والنَّادي: المجلسُ يَنتدِي فيه القومُ؛ أي: يجتمعون.

وقُرِئَ: (ستُدعى الزَّبانيةُ) رفعاً مفعولاً لم يُسمَّ فاعلُه[٤]، وواحدُ الزَّبانيةِ: زِبْنيٌّ، مِن الزَّبْنِ: الدَّفعُ، وأصلُه: زَبانِيٌّ، فقيلَ: زَبانِيةٌ على التَّعويضِ.

***

(١٩) ـ ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾.

﴿كَلَّا﴾ بمعنى: ألا، وإن جعلتَها ردعاً لأبي جهلٍ على مقالَته جازَ، وكانَ

---

(١) نسبت بالضم للكسائي في غير المشهور عنه، وبالنصب لآخرين. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٧٦).

(٢) في (أ): «لـمَّا نزلَت نهى»، والصواب المثبت.

(٣) رواه بنحوه الترمذي (٣٣٤٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وقال: حسن صحيح غريب. ولفظه: «كان النبي ﷺ يصلي، فجاء أبو جهل فقال: ألم أنهك عن هذا؟ ألم أنهك عن هذا؟ ألم أنهك عن هذا؟ فانصرف النبي ـ ﷺ ـ فزبره، فقال أبو جهل: إنك لتعلم ما بها ناد أكثر مني، فأنزل الله: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾ فقال ابن عباس: والله لو دعا ناديه لأخذته زبانية الله».

(٤) نسبت لابن أبي عبلة. انظر: «الكشاف»، و«تفسير الرازي» (٣٢/ ٢٦٦).

الوقـفُ عليهـا، ثـمَّ تَبتـدِئُ خطاباً للنَّبـيِّ ﷺ: ﴿لَا تُطِعۡهُ﴾ في تـركِ الصَّـلاةِ ـ ولم يطع ﷺ أبـا جهـلٍ ـ بـل اثبُتْ على مـا أنتَ عليـه، كقولِـه: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾ [القلـم: ٨].

﴿وَٱسۡجُدۡ﴾؛ أي: صـلِّ للهِ ودُمْ علـى ذلـك ﴿وَٱقۡتَرِب﴾: وتقـرَّبْ إلـى اللهِ تعالـى بالعبوديَّةِ.

رُويَ عن رسول اللهِ ﷺ أنَّه قالَ: «أقربُ ما يكونُ العبدُ مِن ربِّه وهوَ ساجِدٌ»[1].

* * *

(١) رواه مسلم (٤٨٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وزاد: «فأكثروا الدعاء».

تفسيرُ سورةِ القَدرِ

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١ ـ ٣) ـ ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ۝٢ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ﴾.

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ﴾؛ أي: القرآنَ وإن لـم يَجرِ له ذكرٌ، وجاءَ بضميرِه دونَ اسمِه تنبيهاً وإيماءً إلى عظمتِه وقَدْرِه، فإنَّه غنيٌّ لشهرتِه عن ذِكرِ اسمِه، وممَّا يؤكِّدُ ذلك أنْ نسَبَ إنزالَه إليه وإن كانَ النَّازلُ به جبريلَ من اللَّوحِ المحفوظِ إلى السَّماءِ الدُّنيا، فوضعَه في بيتِ العِزَّةِ، ثمَّ نزلَ به نجوماً في عشرين سنةً.

وليلةُ القدرِ سُمِّيَت بذلك لقَدْرِ الله تعالى فيها ما هوَ كائنٌ في تلكَ السَّنةِ المقبلةِ، كقولِه: ﴿فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: ٤]، يُقالُ: قَدَرَ الله الشَّيءَ قَدْراً وقَدَراً كالشَّعْرِ والشَّعَرِ، وقدَّرَه ـ مُشدَّداً ـ تقديراً، ومعناهما واحدٌ.

أو لعظمِها وشرفِها على سائرِ اللَّيالي، من قَدَرتُ فلاناً: عظَّمتُه، ومنه: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ﴾ [الأنعام: ٩١].

واختُلِفَ في وقتِها؛ فبعضُهم قالَ: كانَت على عهدِ رسولِ اللهِ ورُفِعَت، وعامَّةُ الصَّحابةِ والعلماءِ أنَّها باقيةٌ:

قيلَ لأبي هُريرةَ: زعمُوا أنَّ ليلةَ القدرِ قد رُفِعَت، فقالَ: كذَبَ مَن قالَ ذلك، فقيلَ: هيَ في كلِّ شهرِ رمضانَ يُستقبَلُ؟ قالَ: نعم(١).

---

(١) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (٧٧٠٧)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٥٧٠) لعبد بن حميد.

وعن ابنِ مسعودٍ: أَنَّها ليلةٌ مِن ليالي السَّنةِ، حتَّى لو علَّقَ طلاقاً أو عتاقاً لم يقعا ما لم تمضِ سنةٌ[١].

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ﴾ هوَ تعجيبٌ مِن شأنِها، وتفخيمٌ لقدرِها وتعظيمٌ، والمعنى: لا يحيطُ أحدٌ بفضلِها ولا كُنهِ معرفتِها بغيرِ بيانٍ، ثمَّ بيَّنَ فضلَها فقالَ:

﴿لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ﴾؛ أي: قيامُها والعملُ فيها خيرٌ من قيامِ ألفِ شهرٍ وصيامِها ليسَ فيها ليلةُ القدرِ.

وعن ابنِ عبَّاسٍ: أنَّه ذُكِرَ لرسولِ اللهِ ﷺ رجلٌ من بني إسرائيلَ يحملُ السِّلاحَ على عاتقِه ألفَ شهرٍ في سبيلِ اللهِ، فعجبَ ﷺ من ذلك، وتمنَّى ذلك لأُمَّتِه فقالَ: «يا ربِّ، جعلتَ أُمَّتي أقربَ[٢] الأممِ أعماراً، وأقلَّها أعمالاً؟» فأعطاه ليلةَ القدرِ[٣]، وجعلَها خيراً مِن ألفِ شهرٍ، فجعلَ اللهُ عبادةَ ليلةِ القدرِ خيراً من ألفِ شهرٍ كانُوا يعبدونَ فيها، قالَ ﷺ: «مَن قامَ ليلةَ القدرِ إيماناً واحتساباً، غُفِرَ له ما تقدَّمَ مِن ذنبِه»[٤].

---

(١) ذكره البغوي في «تفسيره» (٨/ ٤٨٦) فقال: «وقال بعضهم: هي ليلة من ليالي السنة حتى لو علق رجل طلاق امرأته وعتق عبده بليلة القدر لا يقع ما لم تمض سنة من حين حلف. يروى ذلك عن ابن مسعود، قال: من يقم الحول يصبها». ورواه مسلم (٧٦٢) بلفظ: «عن زر قال: سمعت أبي بن كعب يقول ـ وقيل له: إن عبد الله بن مسعود يقول: من قام السنة أصاب ليلة القدر ـ فقال أبيٌّ: والله الذي لا إله إلا هو إنها لفي رمضان...».

(٢) في المصادر: «أقصر».

(٣) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٤/ ١٩٣)، والبغوي في «تفسيره» (٨/ ٤٩٠)، من طريق عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما، وإسناده ضعيف جدًّا. وروى نحوه البيهقي في «سننه» (٤/ ٣٠٦) عن مجاهد وقال: هذا مرسل.

(٤) رواه البخاري (٢٠١٤)، ومسلم (٧٦٠)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

قالَ سعيدُ بنُ المسيّبِ: مَن شهدَ المغربَ والعشاءَ في جماعةٍ فقد أخذَ بحظِّه مِن ليلةِ القدرِ(١).

قالَت عائشةُ لرسولِ اللهِ ﷺ: لو أنِّي وافيتُ ليلةَ القدرِ، فما أقولُ؟ فقالَ: «قولي: اللَّهمَّ إنَّكَ عفوٌّ تحبُّ العفوَ فاعفُ عنِّي»(٢).

***

(٤ ـ ٥) ـ ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴾.

﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم ﴾ الرُّوحُ هوَ جبريلُ؛ أي: تنزَّلُ الملائكةُ فيها إلى الأرضِ ومعهم جبريلُ.

في الحديثِ الشَّريفِ: «إذا كانَت ليلةُ القدرِ نزلَ جبريلُ في كبكبةٍ منَ الملائكةِ يُصلُّونَ ويُسلِّمونَ على كلِّ عبدٍ قائمٍ أو قاعدٍ يذكُرُ اللهَ تعالى»(٣).

أو الرُّوحُ خلقٌ منَ الملائكةِ لا تراهم الملائكةُ إلَّا في تلكَ اللَّيلةِ، ينزلونَ مِن لدن غروبِ الشَّمسِ إلى الفجرِ(٤).

---

(١) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (٢٠١٧)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٨٦٩٤).

(٢) رواه الترمذي (٣٥١٣)، وابن ماجه (٣٨٥٠)، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح».

(٣) رواه ابن حبان في «المجروحين» (١/ ٢٠٦) ضمن حديث طويل عن أنس رضي الله عنه، وأعله بأصرم بن حوشب الهمذاني الخراساني، وقال: كان يضع الحديث على الثقات.

(٤) قال القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٣٩٥): «وحكى القشيري: أن الروح صنف من الملائكة جعلوا حفظة على سائرهم، وأن الملائكة لا يرونهم كما لا نرى نحن الملائكة».

ثم قال: «وحكى القشيري: قيل: هم صنف من خلق الله يأكلون الطعام، ولهم أيد وأرجل، وليسوا ملائكة».

قالَ أبو هُريرةَ: الملائكةُ ليلةَ القدرِ في الأرضِ أكثرُ من عددِ الحصى[(١)].

قالَ بعضُهم: نزولُ الملائكةِ في تلكَ اللَّيلةِ لاسترواحِ قلوبِ العارفين.

﴿بِإِذْنِ رَبِّهِم﴾؛ أي: بأمرِه وقضائِه ﴿مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾؛ أي: بكلِّ أمرٍ، كقولِه: ﴿يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد: ١١]؛ أي: بأمرِ اللهِ، المعنى: ينزلونَ بكلِّ أمرٍ قضاه الله تعالى في تلكَ السَّنةِ.

﴿سَلَٰمٌ هِىَ﴾ سُمِّيَت بذلك لكثرةِ السَّلامِ فيها، قالوا: لأنَّ الملائكةَ لا يَلقونَ مؤمناً ولا مؤمنةً إلَّا سلَّمُوا عليهما، أو لا يلقونَ فيها إلَّا البركةَ والسَّلامةَ والخيرَ.

قالَ الضَّحَّاكُ: لا يَقدِرُ اللهُ في تلكَ اللَّيلةِ ولا يقضي إلَّا السَّلامةَ[(٢)].

[وقال مجاهد:][(٣)] ولا يستطيعُ الشَّيطانُ أن يعمَلَ فيها سُوءاً ولا يُحدثَ فيها أذًى[(٤)].

﴿حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾؛ أي: إلى مَطلعِ الفجرِ، والمعنى: ألطافُ اللهِ ورحمتُه بالمؤمنين متَّصلةٌ ليلةَ القدرِ مِن أوَّلِها إلى آخرِها.

* * *

---

(١) رواه أبو داود الطيالسي في «مسنده» (٢٦٦٨)، والإمام أحمد في «مسنده» (١٠٧٣٤)، والبزار في «مسنده» (٩٤٤٧)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٤٩٣٧)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ١٧٦): «رواه أحمد والبزار والطبراني في الأوسط ورجاله ثقات».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣٠/ ١١٦)، والماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٣١٣).

(٣) ما بين معكوفتين زيادة يقتضيها السياق.

(٤) رواه سعيد بن منصور في «سننه ـ التفسير» (٢٤٩٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤٥٣).

تفسيرُ سورةِ البيِّنةِ

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) ـ ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾.

﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾ قيلَ: كانَ طائفةٌ مِن أهلِ الكتابِ ـ وهم اليهودُ والنَّصارى ـ وطائفةٌ من عَبَدةِ الأوثانِ قالُوا: إنَّا لا ننفكُّ عمَّا نحنُ عليه حتَّى يأتينا النَّبيُّ المبعوثُ المذكورُ في التَّوراةِ والإنجيلِ، وهوَ محمَّدٌ ﷺ، فحكى اللهُ تعالى قولَهم بهذه الآيةِ.

قالَ أهلُ اللُّغةِ: معنى ﴿مُنفَكِّينَ﴾: زائلين مُنفصلين، يُقالُ: فكَكْتُ الشَّيءَ، وانفكَّ: إذا انفصَلَ[١].

﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾ إن كانَ مَحكيّاً كما تقدَّمَ فلا إشكالَ، وإن لم يكن مَحكيّاً فلفظُه مستقبَلٌ ومعناه الماضي؛ أي: حتَّى أَتَتْهم ﴿ٱلْبَيِّنَةُ﴾: الحجَّةُ الواضحةُ، وهوَ محمَّدٌ ﷺ، أتاهم بالقرآنِ، فبيَّنَ لهم ضلالتَهم وجهالتَهم، ودعاهم إلى الإيمانِ، فهذهِ الآيةُ فيمَن آمَنَ مِن الفريقين: أهلِ الكتابِ وغيرِهم، أخبرَ أنَّهم لم ينتهوا عن الكفرِ حتَّى أتاهم الرَّسولُ فدعاهم إلى الإيمانِ، فآمنُوا فأنقذَهم من الجهلِ والضَّلالةِ[٢].

---

(١) انظر: «تهذيب اللغة» (٩/ ٣٣٨).

(٢) قال القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٤٠٨): «وقيل: إن الكفر هنا هو الكفر بالنبي ﷺ، أي: لم يكن الذين كفروا بمحمد من اليهود والنصارى، الذين هم أهل الكتاب، ولم يكن المشركون الذين هم عبدة الأوثان من العرب وغيرهم ـ وهم الذين ليس لهم كتاب ـ منفكين. قال القشيري: وفيه بعد، =

(٢ ـ ٣) ـ ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُواْ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۝٢ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾.

ثمَّ فسَّرَ البيِّنَةَ بأنَّه ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُواْ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾ من الباطلِ والكذبِ والزُّورِ، والمرادُ: يتلو ما تضمَّنَه المصحفُ من المكتوبِ فيه، وهوَ القرآنُ؛ لأنَّه كانَ يتلوه عن ظهرِ قلبِه، لا عن كتابٍ.

﴿فِيهَا﴾؛ أي: في تلكَ الصُّحفِ ﴿كُتُبٌ﴾؛ أي: أحكامٌ مكتوبةٌ ﴿قَيِّمَةٌ﴾: مستقيمةٌ؛ أي: يتلو مضمونَ ذلك، وهوَ القرآنُ، فمنهم مَن آمنَ به، ومنهم مَن كفرَ.

* * *

(٤) ـ ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾.

﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾ في أمرِ محمَّدٍ ﷺ ﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾؛ أي: هوَ ﷺ، أو القرآنُ الجائي به معجزةً له، وقبلَ مجيئِه ﷺ كانُوا مجتمعينَ على الإيمانِ به إذا جاءَ، فحسدَه مَن كفرَ به منهم.

وقيلَ: ما كفروا إلَّا مِن بعدِ ما أقامَ الحجَّةَ عليهم بإرسالِ الرَّسولِ وإنزالِ الكتابِ.

* * *

(٥) ـ ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾.

﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ﴾؛ أي: في كتابِهم التَّوراةِ والإنجيلِ ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾؛ أي: إلَّا أن يعبدُوا اللهَ، فحُذِفَت (أن)، وزِيدَت اللَّامُ.

= لأن الظاهر من قوله: ﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ۝١ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أن هذا الرسول هو محمد ﷺ. فيبعد أن يقال: لم يكن الذين كفروا بمحمد ﷺ منفكين حتى يأتيهم محمد، إلا أن يقال: أراد: لم يكن الذين كفروا الآن بمحمد ـ وإن كانوا من قبل معظمين له، بمنتهين عن هذا الكفر، إلى أن يبعث الله محمدًا إليهم ويبين لهم الآيات، فحينئذ يؤمن قوم».

﴿مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ قالَ ابنُ عبَّاسٍ: وما أُمِروا في التَّوراةِ والإنجيلِ إلَّا بإخلاصِ العبادةِ للهِ موحِّدينَ ﴿حُنَفَآءَ﴾: مُستقيمين على دينِ إبراهيمَ ودينِ محمَّدٍ إذا جاءَ، فكيفَ كفروا به[1]؟!

أو: مائلينَ عن الأديانِ كلِّها إلى دينِ الإسلامِ.

﴿وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ المكتوبةَ في أوقاتِها، ويعطُوا الزَّكاةَ عندَ محلِّها.

﴿وَذَٰلِكَ دِينُ﴾ المِلَّةِ ﴿ٱلۡقَيِّمَةِ﴾، والشَّريعةِ المستقيمةِ، أضافَ (الدِّينِ) إلى ﴿ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ ـ وهي نعتُه ـ لاختلافِ اللَّفظين، وأنَّثَ ﴿ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ ردّاً إلى الملَّةِ.

وقيلَ: الهاءُ للمُبالغةِ.

وقيلَ: ﴿ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ هيَ الكتبُ الَّتي جرى ذِكرُها؛ أي: وذلك دِينُ الكُتبِ القيِّمةِ فيما تدعو إليه وتأمرُ به، كما قالَ: ﴿وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٣].

وقالَ النَّضرُ بنُ شُميلٍ: سألتُ الخليلَ بنَ أحمدَ عن قولِه: ﴿وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾، فقالَ: القيِّمةُ: جمعُ القَيِّمِ، والقَيِّمُ والقائمُ واحدٌ، ومعنى الآيةِ: وذلك دِينُ القائمينَ للهِ بالتَّوحيدِ[2].

ثمَّ ذكَرَ ما للفريقينِ فقال:

(٦) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ

(١) ذكره بنحوه الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٥٤٠).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣٠/ ١٣١).

﴿ٱلْبَرِيَّةِ﴾ نافعٌ وابنُ عامرٍ: ﴿البَرِيئَةِ﴾ بالهمزِ في الحرفين[١]؛ لأنَّه مِن قولِهم: بَرَأَ اللهُ الخلقَ، وقرأ الآخرون مُشدَّداً بغيرِ همزٍ كالذُّرِّيَّةِ[٢]، تُرِكَ همزُه في الاستعمالِ[٣].

* * *

(٧ ـ ٨) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ﴾؛ أي: الخَليقةِ.

﴿جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾؛ أي: إقامةٍ ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ رضي عنهم بطاعتِهم له، ورضُوا عنه بثوابِه لهم.

قيلَ: الرِّضا ينقسمُ إلى قسمين: رضا به، ورضا عنه، فالرِّضا به: أن يَرضَى به ربّاً ومُدبِّراً، والرِّضا عنه: أن يرضى بما يقضيه ويُقدِّرُه عليه.

قالَ السُّدِّيُّ: إذا كنتَ لا ترضى عنِ اللهِ، فكيفَ تسألُه الرِّضا عنك[٤]؟!

عن أنسِ بنِ مالكٍ: قالَ النَّبيُّ ﷺ لأُبيٍّ: «إنَّ اللهَ أمرَني أن أقرأَ عليكَ ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾» قالَ: وسمَّاني؟ قالَ: «نعم»، فبكى[٥].

---

(١) وهي رواية ابن ذكوان عن ابن عامر.

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٦٩٣)، و«التيسير» (ص: ٢٢٤).

(٣) نقل القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٤١٣) عن أبي نصر القشيري قوله: «ومن قال: البرية من البرى، وهو التراب، قال: لا تدخل الملائكة تحت هذه اللفظة. وقيل: البرية: من بريت القلم؛ أي: قدَّرته، فتدخل فيه الملائكة. ولكنه قول ضعيف، لأنه يجب منه تخطئةُ مَن همز».

(٤) ذكره البغوي في «تفسيره» (٨/ ٤٩٧).

(٥) رواه البخاري (٣٨٠٩)، ومسلم (٧٩٩).

قـالَ همـامٌ عن قتـادةَ: «أمرَنـي أن أقرأَ عليـك القرآنَ» فيـه: قـراءةُ العالمِ على المتعلِّمِ[(١)].

قالَ بعضُهم: إنَّما قرأ النَّبيُّ ﷺ على أُبيٍّ ليُعلِّمَ النَّاسَ التَّواضعَ؛ لئلَّا يأنفَ أحدٌ من التَّعلُّمِ والقراءةِ على مَن دونَه في المنزلةِ[(٢)].

و﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾؛ أي: خافَ عقابَه، وانتهى عن معصيتِه؛ أي: له رضا اللهِ، والقُربُ منه في الجنَّةِ.

* * *

(١) لـم أقـف عليـه عـن قتـادة، وذكـر هـذا المعنـى جماعة مـن أهـل العلـم، منهم النـووي فقـد ترجم للحديـث فقـال: «باب اسـتحباب قـراءة القـرآن على أهـل الفضـل والحـذاق فيـه، وإن كان القارئ أفضـل مـن المقـروء عليه»، وقـال القرطبي فـي «تفسـيره» (٢٢/ ٤٠٥) عقبـه: «وفيه من الفقـه قراءة العالـم علـى المتعلم».

(٢) انظر: «تفسير القرطبي» (٢٢/ ٤٠٥).

تفسيرُ سورةِ الزَّلزلةِ

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١ ـ ٣) ـ ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا﴾.

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾؛ أي: حُرِّكَت حركةً شديدةً لقيامِ السَّاعةِ، و﴿زِلْزَالَهَا﴾ بمعنى: تحريكِها الشَّديدِ المناسبِ لعِظَمِها.

﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾؛ أي: ما هوَ مدفونٌ فيها من الأمواتِ والكنوزِ.

قالَ أبو عُبيدةَ والأخفشُ: إذا كانَ الميتُ في بطنِ الأرضِ فهوَ ثقلٌ لها، وإذا كانَ فوقَها فهوَ ثقلٌ عليها[1].

وقالَ ابنُ عبَّاسٍ ومجاهد: أثقالُها أمواتُها[2]، تخرجُهم النَّفخةُ الثَّانيةُ، ومنه قيلَ للإنسِ والجنِّ: الثَّقلانِ.

وقيلَ: أثقالُها: كنوزُها.

﴿وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ﴾؛ أي: هذا النَّوعُ الصَّادقُ بالقليلِ والكثيرِ لِمَا تأكَّدَ عنده من أمرِ البعثِ، أو الكافرُ كما يقولُ: ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَاۜ هَٰذَا﴾ [يس: ٥٢]؟ فيقولُ المؤمنُ:

---

(١) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ٣٠٦)، وكذا قال الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥٥٨)، وذكره عن أبي عبيدة والأخفش: الرازي في «التفسير الكبير» (٣٢/ ٢٥٤)، والقرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ١٤٧).

(٢) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥٥٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤٥٥).

﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [يس: ٥٢]، ويقولُ الإنسانُ أو الكافرُ: ﴿مَا لَهَا﴾؟ إنكاراً لتلك الحالةِ الَّتي لـم يَعهَد مثلَها.

***

(٤ ـ ٥) ـ ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾.

﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾؛ أي: إذا كانَ ما ذُكِرَ من الزِّلزالِ وما لزمَ عنه، وقولُه: ﴿تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ هوَ جوابُ ﴿إِذَا﴾، وهوَ النَّاصبُ لها عندَ الجمهورِ؛ أي: تخبرُ الأرضُ بما عُمِلَ عليها من خيرٍ وشرٍّ.

رُويَ عن أبي هُريرةَ قالَ: قرأ رسولُ اللهِ ﷺ هذه الآيةَ ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ قال: «أتدرونَ ما أخبارُها؟» قالُوا: اللهُ ورسولُه أعلمُ. قالَ: «فإنَّ أخبارَها أن تشهدَ على كلِّ عبدٍ أو أمَةٍ بما عَمِلَ على ظهرِها»(١).

﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ هوَ متعلِّقٌ بـ﴿تُحَدِّثُ﴾، ويجوزُ أن يتعلَّقَ بنفسِ ﴿أَخْبَارَهَا﴾، والباءُ سببيَّةٌ؛ أي: تحدِّثُ بسببِ أنَّ ربَّك المحسنَ إليك بأنواعِ النِّعمِ أوحى لها؛ أي: أذِنَ لها أن تتكلَّمَ بذلك المذكورِ بالمقالِ أو بالحالِ؛ على خلافٍ فيه.

قالَ بعضُهم: أوحَى له وأوحَى إليه، ووحَى له ووحَى إليه= واحدٌ.

***

(٦ ـ ٧) ـ ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ۝ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾.

﴿يَوْمَئِذٍ﴾ هوَ بدلٌ من ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ قبلَه.

﴿يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا﴾؛ أي: ينصرفونَ من موقفِ الحسابِ، أو يَصدُرونَ

---

(١) رواه الترمذي (٢٤٢٩)، وقال: حسن غريب صحيح.

بمعنـى: يَرجعُـون؛ أي: يَرجعُـون من قبورِهم إلـى ربِّهم الَّذي كانَ لهـم بالمرصادِ؛ ليفصـلَ بينهم.

﴿أَشْتَاتًا﴾؛ أي: متفرِّقينَ بحسبِ مراتبِهم في الذَّواتِ والأحوالِ من مؤمنٍ وكافرٍ، وآمِنٍ وخائفٍ، ومُطيعٍ وعاصٍ.

أو ﴿أَشْتَاتًا﴾: مُتفرِّقيـن، فآخِـذٌ ذاتَ اليميـنِ إلـى الجنَّـةِ، وآخِـذٌ ذاتَ الشِّـمالِ إلـى النّار.

﴿لِّيُرَوْاْ أَعْمَٰلَهُمْ﴾؛ أي: يُرِي اللهُ تعالى المحسِنَ منهم والمسيءَ بواسطةِ مَن يشاءُ مِن جنودِهِ، أو بغيرِ واسطةٍ حينَ يُكلِّمُ سُبحانَه كلَّ أحدٍ من غيرِ ترجمانٍ ولا واسطةٍ، كما أخبرَ بذلك رسولُ اللهِ ﷺ[1].

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾؛ أي: يرى ثوابَه وجزاءَه حاضراً لا يغيبُ عنه شيءٌ منه؛ لأنَّ المحاسِبَ له له الإحاطةُ علماً وقدرةً، فالمؤمنُ يراه ليَشتدَّ سرورُه به، والكافرُ يُوقِفُه على عملِه أنَّه أُحبِطَ لبنائِه على غيرِ أساسِ الإيمانِ، أو على أنَّه جُوزِي به في الدُّنيا، فهوَ صورةٌ بلا معنى؛ ليشتدَّ ندمُه، وتَقوَى حسرتُه.

وعن ابنِ عبَّاسٍ: مَن يعملْ من الكفَّارِ خيراً يرَه في الدُّنيا ولا يُثابُ عليه في الآخرةِ، ومَن يعملْ مثقالَ ذرَّةٍ من شرٍّ من المؤمنين يرَه في الدُّنيا ولا يُعاقَبُ عليه في الآخرةِ إذا تابَ، ويُتجاوَزُ عنه، وإن عملَ مثقالَ ذرَّةٍ من خيرٍ يُقبَلُ منه، ويُضاعَفُ في الآخرةِ[2].

---

(١) روى ذلك البخاري (٧٤٤٣)، ومسلم (١٠١٦/ ٦٧)، عن عدي بن حاتم رضي الله عنه، قال: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه، ليس بينه وبينه ترجمان...».

(٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٤٢١)، وبنحوه ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ٥١١)، =

وفي بعضِ الحديثِ: «أنَّ الذَّرَّةَ لا زِنةَ لها»(١)، وهذا مثلٌ ضربه الله تعالى ليُبيِّنَ أنَّه لا يغفلَ عن عملِ ابنِ آدمَ صغيراً ولا كبيراً، وهوَ كقولِه تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء: ٤٠]، وقالَ: ﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا﴾ [الأنبياء: ٤٧].

وفسَّرَ بعضُهم الذَّرَّةَ بالنَّملةِ، وبعضُهم بالهباءةِ الَّتي تُرى طائرةً في شعاعِ الشَّمسِ النَّازلِ من الكُوَّةِ.

* * *

(٨) ـ ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾.

﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾، وهوَ كقولِه تعالى: ﴿وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾.

روى مالكٌ في «الموطأ»: أنَّ مسكيناً استطعمَ عائشةَ وبينَ يديها عنبٌ، فقالَت لإنسانٍ: خُذْ حبَّةً فأعطِها له، فجعلَ ينظرُ إليها ويعجَبُ، فقالَت: أتعجَبُ؟! كم تَرى في هذه الحبَّةِ من مثقالِ ذرَّةٍ(٢)؟

وكذا تصدَّقَ عمرُ(٣)، وإنَّما فعلا ذلك لتعليمِ الغيرِ، وإلا فهما من كرماءِ الصَّحابةِ.

= وروى عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٦٧٢)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥٦٣) نحو هذا القول عن محمد بن كعب القرظي.

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٤٢١) دون نسبة ولا راو، وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥٦٩) عن يزيد بن هارون قوله.

(٢) رواه مالك في «الموطأ» (٢/ ٩٩٧) بلاغاً.

(٣) رواه عبد بن حميد عن جعفر بن برقان كما في «الدر المنثور» (٨/ ٥٩٧) قال: «بلغنا أن عمر بن الخطاب أتاه مسكين وفي يده عنقود من عنب فناوله منه حبة وقال: فيه مثاقيل ذر كثيرة». =

قالَ الرَّبيعُ بنُ خثيمٍ: مرَّ رجلٌ بالحسنِ وهوَ يقرأُ هذه الآيَةَ، فلمَّا بلغَ آخرَها قالَ: حسبي، قد انتهَتِ الموعظةُ(١).

* * *

= قال ابن عبد البر في «الاستذكار» (٨/ ٦٠٢ ـ ٦٠٣) بعد أن ذكر خبر عائشة رضي الله عنها السابق، قال: «قد جاء مثل هذا عن عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص». ثم روى عنهما نحو قصة عائشة.

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣٠/ ١٦٢) عن الربيع بن صبيح عن الحسن، وتتمة الخبر: «فقال الحسن: لقد فقه الرجل».

تفسيرُ سورةِ ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ﴾

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١ ـ ٥) ـ ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ۝١ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ۝٢ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝٣ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝٤ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا﴾.

﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا﴾ أقسمَ سُبحانَه بخيلِ الغُزاةِ تعدو فتَضْبَحُ ضَبْحاً، والضَّبْحُ: صوتُ أنفاسِها إذا عَدَوْنَ.

عن ابنِ عبَّاسٍ: أنَّه حكاه[1] أَح أَح[2].

قالَ عنترةُ:

والخَيلُ تَكدَحُ حِينَ تَضْـ ـبَحُ فِي حِياضِ الموتِ ضَبْحا[3]

﴿فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا﴾ قالَ عكرمةُ والضَّحَّاكُ: هيَ الخيلُ تُوري النّارَ بحوافرِها إذا سارَت في الأرضِ ذاتِ الحجارةِ[4].

وعن ابنِ عبَّاسٍ: أورَت بحوافرِها غباراً[5]. وهذا يناسبُ مَن فسَّرَ العادياتِ بالإبلِ.

---

(١) في (أ): «حكاية»، والصواب المثبت. انظر: «السراج المنير» للشربيني (٤/ ٥٧٦). وانظر التعليق الآتي.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥٧٥) عن عطاء قال: سمعت ابن عباس يصف الضبح: أح أح.

(٣) انظر: «الصحاح» (مادة: ضبح) برواية: «والخيل تعلم...». ولم أجده في «ديوان عنترة».

(٤) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥٧٥ ـ ٥٧٦)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣٠/ ١٧٧).

(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٤٣١).

وقالَ ابنُ مسعودٍ: هيَ الإبلُ تطأُ الحصى فتَخرجُ منه النّارُ(١).

﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا﴾ هيَ الخيلُ تُغيرُ على العدوِّ صُبحاً بإغارةِ أهلِها عليها وقتَ الصُّبحِ، يُقالُ: أغارَ يُغيرُ إغارةً: إذا باغَتَ عدوَّه لنهبٍ أو قتلٍ أو أسرٍ، وغارَ لغةٌ رديَّةٌ.

﴿فَأَثَرْنَ بِهِۦ﴾؛ أي: أثرْنَ بفعلِ الإغارةِ ومكانِها وزمانِها من شدَّةِ العدوِ ﴿نَقْعًا﴾؛ أي: غُباراً لشدَّةِ حركتِهنَّ.

﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ﴾؛ أي: بذلك النَّقعِ أو العدوِ أو الوقتِ ﴿جَمْعًا﴾ من العدوِّ؛ أي: صِرنَ وسطَ العدوِّ، وهوَ الكتيبةُ، يُقالُ: «وَسَطْتُ القومَ» بالتَّخفيفِ «ووَسَّطْتُهم» بالتَّشديدِ و«تَوَسَّطْتهم»، كلُّها بمعنًى واحدٍ.

وجوابُ القسمِ قولُه:

(٦ ـ ٨) ـ ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾.

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ﴾.

قالَ ابنُ عبَّاسٍ: لكَفورٌ جَحودٌ لنِعمِ اللهِ تعالى(٢).

وقالَ الكلبيُّ: هوَ بلسانِ ربيعةَ ومضرَ: الكَفورُ، وبلسانِ كندةَ وحضرموتَ: العاصي(٣).

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥٧٧) بلفظ: «إذا نسفت الحصى بمناسمها، فضرب الحصى بعضه بعضًا، فيخرج منه النار».

(٢) رواه سعيد بن منصور في «سننه ـ التفسير» (٨/ ٤٠٩)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥٨٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤٥٨).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٠/ ١٨١)، والماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٣٢٥).

وقالَ الحسنُ: هوَ الَّذي يَعُدُّ المصائبَ وينسى النِّعم[١].

وقالَ أبو عُبيدةَ: هوَ قليلُ الخيرِ، والأرضُ الكَنودُ: الَّتي لا تُنبتُ شيئاً[٢].

وفي الحديثِ عن أبي إمامةَ: «هوَ الَّذي يأكُلُ وحدَه، ويمنَعُ رِفدَه، ويضرِبُ عبدَه»[٣].

وقالَ الفُضيلُ بنُ عياضٍ: الكَنودُ: الَّذي أنسَتْه الخَصلةُ الواحدةُ من الإساءةِ الخِصالَ الكثيرةَ مِن الإحسانِ، والشَّكور: الَّذي أنسَتْه الخَصلةُ الواحدةُ مِن الإحسانِ الخصالَ الكثيرةَ من الإساءةِ[٤].

﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾؛ أي: الإنسانُ على ذلك الكُنودِ لشهيدٌ؛ أي: يشهدُ على نفسِه، ولا يقدرُ أن يجحدَه؛ لظهورِ أثرِه عليه.

أو: إنَّ اللهَ على كُنودِه لشاهدٌ، على سبيلِ الوعيدِ.

﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ﴾؛ أي: وإنَّ الإنسانَ لأجلِ حبِّ المالِ الَّذي لا يَعُدُّ غيرَه خيراً ﴿لَشَدِيدٌ﴾؛ أي: بخيلٌ بالمالِ ضابطٌ له ممسكٌ عليه، أو مبالِغٌ في حبِّه؛ لأنَّ منفعتَه في الدُّنيا، وهوَ مُتقيِّدٌ بالعاجلِ الحاضرِ المحسوسِ مع علمِه بأنَّ أقلَّ ما فيه أنَّه يَشغلُه عن حُسنِ الخدمةِ.

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (٦٢)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥٨٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤٥٨).

(٢) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ٣٠٧)، وفيه: «لكفور» بدل «هو قليل الخير».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥٨٦)، والثعلبي في «تفسيره» (٣٠/ ١٨٣)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٧٩٥٨)، وقال ابن حبان في «المجروحين» (١/ ٢١٢) ترجمة جعفر بن الزبير: «وروى جعفر بن الزبير عن القاسم عن أبي أمامة نسخة موضوعة أكثر من مئة حديث» وذكر منها هذا الحديث.

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣٠/ ١٨٥).

(٩ ـ ١١) ـ ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ۝١٠ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾.

﴿أَفَلَا يَعْلَمُ﴾؛ أي: هذا الإنسانُ ﴿إِذَا بُعْثِرَ﴾؛ أي: أُثِيرَ وأُخرِجَ ﴿مَا فِي الْقُبُورِ﴾؛ أي: مِن الموتى.

قالَ أبو عُبيدةَ: بعثَرْتُ المتاعَ: جعلْتُ أسفلَه أعلاه[1].

وقالَ محمَّدُ بنُ كعبٍ: ذلك حينَ يُبعَثون[2].

وإنَّما عبَّرَ بـ﴿مَا﴾ دونَ (مَن)؛ لأنَّ الَّذينَ في الأرضِ مِن غيرِ المكلَّفينَ أكثرُ، فأُخرِجَ الكلامُ على الأغلبِ.

﴿وَحُصِّلَ﴾؛ أي: أُخرِجَ وجُمِعَ ﴿مَا فِي الصُّدُورِ﴾ من خيرٍ أو شرٍّ ممَّا يَظنُّ مُضمِرُه أنَّه لا يعلمُه أحدٌ أصلاً، وظهرَ مكتوباً في صحائفِ الأعمالِ، وهذا يدلُّ على أنَّ النيَّاتِ يُحاسَبُ بها كما يُحاسَبُ على ما يظهرُ من آثارِها، وتخصيصُ الصَّدرِ بذلك لأنَّه محلُّ القلبِ.

﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾؛ أي: لعالمٌ، فيُجازيهم على كُفرِهم، أُعيدَ الضَّميرُ نظراً لمعنى الإنسانِ، وهذه الجملةُ دلَّت على مفعولِ ﴿يَعْلَمُ﴾؛ أي: إنَّا نُجازيه وقتَ ما ذُكرَ، وتَعلَّقَ (خبيرٌ) بـ﴿يَوْمَئِذٍ﴾[3]، وهوَ تعالى خبيرٌ دائماً لا يعزُبُ عنه شيءٌ.

* * *

(١) ذكره عنه القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ١٦٣)، وورد معناه في «مجاز القرآن» (٢/ ٢٨٨) في تفسير قوله: ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ [الانفطار: ٤] قال: «أثيرت، يقول الرجل للرجل: بعثرت حوضى، جعلت أسفله أعلاه»، وفيه (٢/ ٣٠٨) عند هذه الآية: «أثير فأخرج».

(٢) رواه أبو داود في «الزهد» (٤٥٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤٥٨).

(٣) كذا في (أ)، والصواب: وتعلق ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ بـ(خبير)، أو: وعمل (خبير) بـ﴿يَوْمَئِذٍ﴾.

تفسيرُ سورةِ القارعةِ

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١ ـ ٥) ـ ﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾.

﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾ القارعةُ: الصَّيحةُ، أو القيامةُ الَّتي تقرَعُ القلوبَ بأهوالِها، والأجرامَ الكثيفةَ بالتَّشقُّقِ والانفطارِ، وقولُه: ﴿مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾ تهويلٌ لشأنِها، وهما مبتدأٌ وخبرٌ، وأكَّدَ تعظيمَها وتهويلَ شأنِها بقولِه:

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾؛ أي: وما أعلمَكَ بها وبعِظَمِها، والمعنى: أنَّها مهما خطرَ في بالِكَ من عِظَمِها فهي أعظمُ منه.

﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ﴾؛ أي: يُؤخَذون ويُحشَرون شبهَ الجرادِ المنتشِرِ، شبَّهَهم في الكثرةِ والانتشارِ والضَّعفِ والذِّلَّةِ والتَّطيُّرِ إلى الدَّاعي من كلِّ جانبٍ كما يتطايرُ الفراشُ إلى النّارِ، والفَراشُ طائرٌ معروفٌ.

قالَ قتادةُ: الفَراشُ: الَّذي يتساقطُ في النَّارِ والسِّراجِ[1]، الواحدةُ: فراشةٌ.

وقالَ الفرَّاءُ: هوَ الهَمَجُ منَ البعوضِ[2].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥٩٣).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٦٨)، وفيه: «يريد: كغوغاء الجراد يركب بعضه بعضًا، كذلك النَّاس يومئذ يجول بعضهم في بعض».

وفـي التَّشـبيهِ بالفـراشِ مبالغاتٌ شـتَّى، منهـا: الطَّيـشُ الَّـذي يلحقُهـم، يُقالُ: «أطيـشُ مـن فراشَـةٍ»، وانتشـارُهم فـي الأرضِ، وركـوبُ بعضِهـم بعضـاً، والكثرةُ، والضَّعـفُ، والذِّلَّـةُ، والمجـيءُ من غيرِ ذهـابٍ، والقصدُ إلـى الدَّاعي مـن كلِّ جهةٍ، والتَّطايـرُ إلـى النّار.

﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾؛ أي: تكـونُ الجبـالُ علـى مـا هـيَ عليـه مِـن الشِّـدَّةِ والصَّلابـةِ كالصُّـوفِ المنـدوفِ المفـرَّقِ الأجـزاءِ، فتراهـا كذلكَ مُتطايـرةً للجـوِّ كالهبـاءِ المنثورِ، كما قالَ فـي موضعِ آخـرَ: ﴿هَبَآءً مُّنۢبَثًّا﴾، حتَّى تعودَ الأرضُ كلُّهـا لا عـوجَ فيهـا، ولا أمْتاً.

ثمَّ سبَّبَ عن ذلك قولَه مفصِّلاً:

(٦ ـ ٧) ـ ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾.

﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾؛ أي: برجحانِ الحسناتِ.

قـالَ الفـرَّاءُ: الموازيـنُ: جمـعُ مـوزونٍ[1]، وهـوَ العمـلُ الَّذي لـه وزنٌ وخطرٌ عنـد الله تعالى.

وقـالَ ابنُ عبَّـاسٍ: إنَّه جمعُ مِيزانٍ، له لسـانٌ وكفَّتان، لا تُوزنُ فيـه إلَّا الأعمالُ أنفسُـها، فيُؤتـى بحسـناتِ المؤمـنِ فـي أحسـنِ صـورةٍ فتُوضَـعُ فـي كفَّـةِ الميزانِ،

---

(١) انظر: «معانـي القرآن» للفراء (٣/ ٢٨٧)، وفيه: «وقوله عز وجل: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ ووزنه، والعرب تقول: هل لك في درهم بميزان درهمك ووزن درهمك، ويقولون: داري بميزان دارك ووزن دارك، وقال الشاعر:

قـد كنـت قبـل لقائكـم ذا مرة ... عنـدي لـكل مخاصـم ميزانـه

يريد: عندي وزن كلامه ونقضه».

فـإذا رجحَـت فالجنَّةُ لـه، ويُؤتى بسـيِّئاتِ الكافـرِ في أقبحِ صـورةٍ، فيخـفُّ ميزانُه، فيدخـلُ النّارَ[1].

وقيلَ: إنَّما تُوزَنُ أعمالُ المؤمنين، فمَن ثَقُلَت حسناتُه على سيِّئاتِه دخلَ الجنَّةَ، ومَن ثَقُلَت سيِّئاتُه على حسناتِه دخلَ النّارَ، فيُقتَصُّ منه على قَدْرِها، ثمَّ يُخرجُ منها فيَدخلُ الجنَّةَ، أو يعفو اللهُ عنه فيدخلُ الجنَّةَ بفضلِه ورحمتِه، وأمَّا الكافرُ فقد قالَ اللهُ في حقِّه: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٥].

ثمَّ قيلَ: إنَّه ميزانٌ واحدٌ بيدِ جبريلَ عليه السَّلامُ يزنُ به أعمالَ بني آدمَ، فعبَّرَ عنه بلفظِ الجمعِ.

وقيلَ: موازينُ، لكلِّ حادثةٍ ميزانٌ.

﴿فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾؛ أي: حياةٍ يتقلَّبُ فيها ذاتِ رضاً، أو مَرضيَّةٍ؛ لأنَّ أُمَّه جنَّةٌ عاليةٌ.

* * *

(٨ ـ ٩) ـ ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾.

﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾؛ أي: طاشَـت بـأن غلبَـت سيِّئاتُه علـى حسـناتِه ﴿فَأُمُّهُۥ﴾؛ أي: الَّتـي تُؤويـه وتضمُّـه إليها كما تضـمُّ الأمُّ ولدَها، ويُقـالُ للأرضِ: أمٌّ، وكـذا المسـكنُ ﴿هَاوِيَةٌ﴾: نارٌ نازلةٌ سـافلةٌ جـداً، فهوَ بحيـث لا يزالُ يهوي فيهـا نازلاً، فهوَ في عِيشـةٍ سـاخطةٍ، ففـي الآيةِ الاحتبـاكُ[2]: ذكرَ العيشـةَ أوَّلاً دليلاً

---

(١) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (١/ ٥٠٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١/ ٢٦٣)، من رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) الاحتباك من المحسنات البديعية، وهو الحذف من كل متقابلين ما يدل عليه الآخر.

علـى حذفِها ثانيـاً، وذَكرَ الأمَّ ثانيـاً دليلاً على حذفِهـا [أوَّلاً][(١)].

* * *

(١٠ ـ ١١) ـ ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةُۢ﴾.

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ﴾؛ أي: وأيُّ شيءٍ أعلمَك وإن اشتدَّ تكلُّفُكَ ﴿مَا هِيَهۡ﴾؛ أي: الهاويةُ، والأصلُ: ما هيَ؟ فدخلَت الهاءُ للسَّكتِ.

﴿نَارٌ حَامِيَةُۢ﴾؛ أي: شديدةُ الحرارةِ، خبرُ مبتدأٍ مُضمرٍ.

* * *

(١) ما بين معكوفتين من «السراج المنير» للشربيني (٤/ ٥٨٠).

تفسيرُ سورةِ التَّكاثرِ

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١ ـ ٢) ـ ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾.

﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾؛ أي: شغلَكم التَّفاخُرُ بالأموالِ والأولادِ والرِّجالِ والعددِ عن طاعةِ الله[1] وما يُنجيكم مِن سخطِه.

﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾؛ أي: إلى أن متُّم وقُبِرتم مُنفِقينَ أعمارَكم في طلبِ الدُّنيا والاستباقِ إليها والتَّهالكِ عليها إلى أن أتاكم الموتُ لا همَّ لكم غيرُها= عمَّا هوَ أولى بكم من السَّعيِ لعاقبتِكم والعملِ لآخرتِكم، وزيارةُ القبرِ عبارةٌ عن الموتِ.

قالَ قتادةُ: نزلَت في اليهودِ قالُوا: نحن أكثرُ من بني فلانٍ، وبنو فلانٍ أكثرُ مِن بني فلانٍ، شغلَهم ذلك حتَّى ماتوا ضُلَّالاً[2].

وقالَ مقاتلٌ والكلبيُّ: نزلَت في حيَّينِ من قريشٍ من بني عبدِ منافِ بنِ قصيٍّ وبني سهمِ بنِ عمرٍو، وكانَ بينهم تفاخرٌ، أيُّهم أكثرُ عدداً، فكَثَرَهم بنو عبدِ منافٍ،

---

(١) قوله: «عن طاعة الله» وقع في (أ) إثر كلمة: «شغلكم»، وحقها أن تكون هنا لارتباطها بما بعدها. انظر: «السراج المنير» للشربيني (٤/ ٥٨١).

(٢) كذا ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣٠/ ٢٠٣)، ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٦٨٧)، والإمام أحمد في «الورع» (٦٢٩)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥٩٨)، دون ذكر اليهود، ولفظه: «قالوا نحن أكثر من بني فلان، وبنو فلان أكثر من بني فلان، فألهاهم ذلك حتى ماتوا ضلالاً»، وروى ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤٦٠) عن قتادة قال: «نزلت في اليهود».

فقالَت بنو سهمٍ: إنَّ البغيَ أهلكَنا في الجاهليَّةِ، فعادُّونا بالأحياءِ والأمواتِ، فكَثَرَهم بنو سهمٍ بثلاثةِ أبياتٍ؛ لأنَّهم كانُوا في الجاهليَّةِ أكثرَ عدداً(١).

* * *

(٣ ـ ٤) ـ ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾.

﴿ كَلَّا ﴾ ردعٌ وزجرٌ وتنبيهٌ على أنَّه لا ينبغي للإنسانِ أن تكونَ الدُّنيا جميعَ همِّه، ولا يهتمَّ بدينِه.

﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ إنذارٌ وتخويفٌ؛ ليخافوا وينتبهوا من غفلتِهم.

وقولُه: ﴿ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ تكريرٌ للتَّأكيدِ، وللدلالةِ على أنَّ الثَّاني أبلغُ من الأوَّلِ وأشدُّ.

وعن عليٍّ رضيَ اللهُ عنه: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ في الدُّنيا ﴿ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ في الآخرةِ(٢). فعلى هذا يكونُ غيرَ مكرَّرٍ؛ لحصولِ التَّغايرِ بينهما لأجلِ تغايُرِ المتعلِّقَين، و﴿ ثُمَّ ﴾ على بابِها من المهلةِ.

وعن ابنِ عبَّاسٍ: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ ما ينزلُ بكم منَ العذابِ في القبورِ ﴿ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ في الآخرةِ إذا حلَّ بكم العذابُ.

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٨١٩). وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣٠/ ٢٠٤)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٦٤)، عن مقاتل والكلبي. وذكره دون عزو الفراء في «معاني القرآن» (٣/ ٢٨٧).

(٢) كذا ذكر في «الدر المصون» للسمين الحلبي (١١/ ٩٧)، ولم أقف عليه هكذا، ولكنه مأخوذ من كلامه كما ذكر ذلك الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (١٠/ ٦٠٩) قال: «وقال بعضهم: (كلا سوف تعلمون) حين نزل بكم الموت، (ثم كلا سوف تعلمون) في القبر، وكذلك روي عن علي ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: كنا نشك في عذاب القبر حتى نزلت هذه السورة»، وخبر عليٍّ هذا رواه الترمذي (٣٣٥٥)، وقال: حديث غريب.

(٥ ـ ٨) ـ ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ۝٧ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾.

﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ ﴾؛ أي: لِيشتدَّ ارتداعُكم عن التَّكاثرِ؛ فإنَّه أساسُ كلِّ بلاءٍ، فإنَّكم لو تعلمونَ أيُّها المتكاثِرونَ ﴿عِلْمَ الْيَقِينِ ﴾؛ أي: لو يقعُ لكم علمٌ على وجهِ اليقينِ مرَّةً من الدَّهرِ، لعلمتُم ما بين أيديكم، فلم يُلهِكم التَّكاثرُ، ولضحكتم قليلاً وبكيتم كثيراً. فحُذفَ الجوابُ ليَذهبَ الوهمُ معه كلَّ مَذهبٍ، وليسَ الجوابُ ﴿ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴾؛ لأنَّ هذا مثبَتٌ، وجوابُ (لو) يكونُ منفيّاً[1]، ولأنَّه عطفَ عليه ﴿ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ ﴾ ـ قال الأخفشُ: التَّقديرُ: لو تعلمونَ علمَ اليقينِ ما ألهاكم[2] ـ بل هوَ جوابُ قسمٍ محذوفٍ أكَّدَ به الوعيدَ، وأوضحَ به ما أنذرَهم منه بعدَ إبهامِه تفخيماً.

﴿ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴾ تكريرٌ للتَّأكيدِ، والأُولى إذا رأتهم من مكانٍ بعيدٍ، والثَّانيةُ إذا وردُوها، والمرادُ بالأولى: المعرفةُ، وبالثَّانيةِ: الإبصارُ، والمرادُ بعينِ اليقينِ: الرُّؤيةُ الَّتي هيَ نفسُ اليقينِ، فإنَّ علمَ المشاهَدِ أعلى مراتبِ اليقينِ.

قالَ بعضُهم: واليقينُ مَركبُ الإخلاصِ في هذا الطَّريقِ، وهوَ غايةُ درجاتِ العامَّةِ، وأوَّلُ درجاتِ الخاصَّةِ.

---

(١) أي: إذا كان مضارعاً، نحو: لَو لم يخف الله لم يَعْصِهِ، أما إذا كان ماضياً فيجوز أن يكون مُثبتاً ويجوز أن يكون منفيًّا بما، والغالب على المُثبت دخول اللّام عليه نحو ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا﴾ [الواقعة: ٦٥] ومن تجرده منها: ﴿لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا﴾ [الواقعة: ٧٠] والغالب على المَنْفِيّ تجرده منها نحو ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ [الأنعام: ١١٢]. انظر: «مغني اللبيب» (ص: ٣٥٨).

(٢) في (أ): «لألهاكم»، والمثبت هو الصواب. انظر: «إعراب القرآن» للباقولي (١/ ٢٢) عن الأخفش، وكذا قاله الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٦٠١)، والكسائي كما في «إعراب القرآن» للنحاس (٥/ ١٧٧).

وقالَ قتادةُ: اليقينُ هنا: الموتُ[(١)]، وقالَ غيرُه: البعثُ؛ أي: لو تعلمون علمَ الموتِ أو البعثِ، فعبَّرَ عنه باليقينِ، والعلمُ من أشدِّ البواعثِ على العملِ.

﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾؛ أي: يومَ رؤيتِها عن كلِّ ما يُلتذُّ به في الدُّنيا؛ من الصِّحَّةِ والفراغِ والأمنِ والمطعمِ والمشربِ وغيرِ ذلك، والمرادُ بذلك: ما يشغلُه عن الطَّاعةِ؛ للقرينةِ والنُّصوصِ الكثيرةِ، كقولِه تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ﴾ [الأعراف: ٣٢]، وقولِه: ﴿كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ﴾ [المؤمنون: ٥١][(٢)].

وقالَ الحسنُ: لا يُسألُ عن النَّعيمِ إلَّا أهلُ النّارِ[(٣)]؛ لأنَّ أبا بكرٍ لـمَّا نزلَت هذهِ الآيةُ قالَ: يا رسولَ اللهِ، أرأيتَ أكلةً أكلتُها معكَ في بيتِ أبي الهيثمِ من خبزِ شعيرٍ ولحمٍ وبُسرٍ وماءٍ عذبٍ، أيكونُ من النَّعيمِ الَّذي نُسألُ عنه؟ فقالَ ﷺ: «إنَّما ذلك للكفَّارِ»، ثمَّ قرأ ﷺ: ﴿وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴾ [سبأ: ١٧][(٤)].

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٦٨٨)، والإمام أحمد في «الورع» (٦٣٠)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٦٠٢).

(٢) نقل القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٤٦٢) عن أبي نصر القشيري قوله: «إن مما لا يسأل عنه العبد لباسًا يواري سوأته، وطعامًا يقيم صلبه، ومكانًا يكنه من الحر والبرد»، ثم قال: «قلت: وهذا منتزع من قوله عليه السلام: «ليس لابن آدم حق في سوى هذه الخصال: بيت يسكنه، وثوب يواري عورته، وجلف الخبز والماء» خرجه الترمذي».

قلت: رواه الترمذي (٢٣٤١) من حديث عثمان رضي الله عنه، وهو حديث لا يصح.

(٣) ذكره ابن فورك في «تفسيره» (٣/ ٢٦٨)، والواحدي في «البسيط» (٢٤/ ٢٨٦).

(٤) ذكره بنحوه محمد بن الحسن في «الكسب» (ص: ١٠٠) دون سند ولا راو، وذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٦١٤) من رواية صالح بن محمد عن محمد بن مروان عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، وذكره الواحدي في «البسيط» (٢٤/ ٢٨٤) عن الكلبي. وأيد الواحدي هذا القول فقال: «الظاهر يشهد لهذا القول وهو: أن الكفار لم يؤدوا حق النعمة حيث أشركوا به وعبدوا =

= غيره، واستحقوا أن يسألوا عما أنعم عليهم توبيخًا لهم؛ هل قاموا بالواجب فيه، أم ضيعوا حق النعمة؟...».

وتعقبه ابن قيم الجوزية في «عدة الصابرين» (ص: ٣٦٤ ـ ٣٦٦) بقوله: «ليس في اللفظ ولا في السنة الصحيحة ولا في أدلة العقل ما يقتضي اختصاص الخطاب بالكفار، بل ظاهر القرآن وصريح السنة والاعتبار يدل على عموم الخطاب لكل من اتصف بإلهاء التكاثر له، فلا وجه لتخصيص الخطاب ببعض المتصفين بذلك.

ويدل على ذلك قول النبي ﷺ عند قراءة هذه السورة: «يقول ابن آدم: مالي مالي، وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت...» الحديث وهو في صحيح مسلم. وقائل ذلك قد يكون مسلمًا وقد يكون كافرًا... وأما حديث أبي بكر الذي احتج به أرباب هذا القول فحديث لا يصح، والحديث الصحيح في تلك القصة يشهد ببطلانه». وهو ما رواه مسلم (٢٠٣٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خرج رسول الله ﷺ ذات يوم أو ليلة. فإذا هو بأبي بكر وعمر. فقال: «ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة؟» قالا: الجوع. يا رسول الله! قال: «وأنا والذي نفسي بيده! لأخرجني الذي أخرجكما، قوموا» فقاموا معه فأتى رجلًا من الأنصار فإذا هو ليس في بيته، فلما رأته المرأة قالت: مرحباً وأهلاً، فقال لها رسول الله ﷺ: «أين فلان؟» قالت: ذهب يستعذب لنا من الماء، إذ جاء الأنصاري فنظر إلى رسول الله ﷺ وصاحبيه ثم قال: الحمد لله، ما أحد اليوم أكرم أضيافًا مني، قال: فانطلق فجاءهم بعذق فيه بسر وتمر ورطب، فقال: كلوا من هذه، وأخذ المدية، فقال له رسول الله ﷺ: «إياك والحلوب» فذبح لهم. فأكلوا من الشاة، ومن ذلك العذق، وشربوا. فلما أن شبعوا ورووا، قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر: «والذي نفسي بيده! لتسألن عن هذا النعيم يوم القيامة، أخرجكم من بيوتكم الجوع، ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم».

وقد نقل القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٤٦٠) عن أبي نصر القشيري قوله: «والجمع بين الأخبار: أن الكل يسألون، ولكن سؤال الكافر توبيخ لأنه قد ترك الشكر، وسؤال المؤمن سؤال تشريف لأنه شكر، وهذا النعيم في كل نعمة»، ثم استحسنه القرطبي حيث قال: «قلت: هذا القول حسن لأن اللفظ يعم» ثم استشهد لعمومه بأحاديث وأخبار.

تفسيرُ سورةِ ﴿وَٱلۡعَصۡرِ﴾

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١ ـ ٣) ـ ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾.

﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ﴾ هوَ قسمٌ، والمرادُ به اللَّيلُ والنَّهارُ، أو العصرُ ما بعد الزَّوالِ إلى غروبِ الشَّمسِ.

قالَ الحسنُ: هيَ صلاةُ العصرِ(١)، وهي الصَّلاةُ الوسطى في قولٍ، أقسمَ اللهُ تعالى بها.

أو المرادُ به: الدَّهرُ؛ لِـمَا في مرورِه من العجائبِ والدلالةِ على القدرةِ العظيمةِ.

أو أنَّه أقسمَ بالعصرِ والمرادُ ربُّه.

وجوابُه: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ﴾؛ أي: جنسُ الإنسانِ في نَقصٍ بحسبِ مساعيهم في أهوائِهم، وصرفِ أعمارِهم في أغراضِهم؛ لـمَا لهم بالطَّبعِ منَ الميلِ إلى الحاضرِ والإعراضِ عن الغائبِ.

أو الخُسرُ: ذهابُ رأسِ المالِ بالكُلِّيَّةِ، قالَ بعضُهم: مَن لم يَرْعَ حقوقَ اللهِ عليه، واتَّبعَ الشَّهواتِ، ولم يخشَ ربَّه، فهوَ في غايةِ الخَسارِ.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣١/ ٢٤٠) عن الحسن بلفظ: «بعد زوال الشمس إلى غروبها»، وممن قال: «هي صلاة العصر» مقاتل في «تفسيره» (٤/ ٨٢٩).

أو المرادُ بالإنسانِ: الكافرُ، بدليلِ الاستثناءِ بقولِه: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾، وعليه يكونُ الاستثناءُ منقطعاً.

قالَ الضَّحَّاكُ: نزلَت في أبي جهلٍ(١).

وقيلَ: المرادُ جماعةٌ من المشركين: الوليدُ بنُ المغيرةِ والعاصُ بنُ وائلٍ والأسودُ بنُ عبدِ المطَّلبِ(٢).

وقولُه: ﴿لَفِى خُسْرٍ﴾: لفي غُبنٍ، أو هَلَكةٍ، والذين آمنُوا وعملوا الصَّالحاتِ ليسُوا في خسرانٍ، بل هم في ربحِ الإيمانِ وكرامةِ الإحسانِ.

﴿وَتَوَاصَوْاْ﴾؛ أي: أوصى بعضُهم بعضاً إمَّا بلسانِ الحالِ أو بلسانِ المقالِ ﴿بِٱلْحَقِّ﴾؛ أي: بالتَّوحيدِ، أو بالقرآنِ والعملِ به، أو بالزُّهدِ في الدُّنيا والتَّقليلِ منها والرَّغبةِ في الآخرةِ والإكثارِ من العملِ لها.

﴿وَتَوَاصَوْاْ﴾ أيضاً ﴿بِٱلصَّبْرِ﴾؛ أي: بأداءِ الفرائضِ والصَّبرِ عليها، وتركِ المعاصي والصَّبرِ عنها، أو على ما يُبتلى به مِن الأمراضِ وغيرِها.

ويُروى عن أُبيِّ بنِ كعبٍ: أنَّه قالَ: قرأتُ على النَّبيِّ ﷺ ﴿وَٱلْعَصْرِ﴾ ثمَّ قلتُ: ما تفسيرُها يا رسولَ اللهِ؟ فقالَ: «﴿وَٱلْعَصْرِ﴾ قسمٌ من اللهِ، أقسمَ ربُّكم بآخرِ النَّهارِ، ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾ أبو جهلٍ، ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أبو بكرٍ، ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ عمرُ، ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ﴾ عثمانُ، ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾ عليٌّ»(٣)، وهكذا خطَبَ ابنُ عبَّاسٍ على المنبرِ موقوفاً عليه(٤).

---

(١) ذكره أبو حفص النسفي في «التيسير» (١٥/ ٤٧١).

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٤/ ٢٩٦) من رواية عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٣٠/ ٢٤٤)، وذكره ابن تيمية في «منهاج السنة النبوية» (٧/ ٢٤٦) كمثال لتفسير جهال المنتسبين للسنة في فضائل الخلفاء الأربعة.

(٤) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٣٠/ ٢٤٥).

تفسيرُ سورةِ الهُمزةِ

بسمِ اللّه الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) ـ ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾.

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ﴾ الَّذي يعيبُ النَّاسَ في الغيبِ ﴿لُّمَزَةٍ﴾ الَّذي يعيبُهم في الوجهِ، أو بعكسِ ذلكَ.

أوِ الهُمَـزةُ: الَّـذي يَهمزُ النَّـاسَ ـ أي: يعصِرُهـم[1] ـ بيدِه ويضربُهـم، واللُّمزةُ: الَّـذي يلمزُ النَّـاسَ بلسـانِه؛ أي: يعيبُهم.

أو الهمزةُ: الطَّعانُ في النَّاسِ، واللُّمزةُ: الَّذي يطعنُ في أنسابِهم.

قيلَ: نزلَتْ في الأخنسِ بنِ شَريقٍ[2]، أو في العاصي بنِ وائلِ السَّهميِّ، أو

---

(١) من معاني الهمز: العصر، قال الليث كما في «تهذيب اللغة» (٦/ ٩٧): الهَمْز: العَصْر. تقول: همزتُ رأسَه، وهمزتُ الجَوزَ بكفِّي، وأنشد:

ومَـــن هَمَزْنـــا رَأسَـــه تَهَشَّـــما

(٢) ذكره السمعاني في «تفسيره» (٦/ ٢٨٠)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٤٨٨)، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وصرح ابن الجوزي أنه من رواية أبي صالح عن ابن عباس، وذكره البغوي في «تفسيره» (٨/ ٥٣٠) عن الكلبي، فتكون رواية ابن عباس من طريق الكلبي عن أبي صالح عنه، والكلبي متروك وأبو صالح لم يسمع من ابن عباس.

ووردت أيضاً من رواية الضحاك عن ابن عباس كما في «تفسير القرطبي» (٢٢/ ٤٧٠)، وإسناده منقطع أيضاً.

ورواه ابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٨/ ٦٢٣) من قول السدي. =

في جميلِ بنِ عامرٍ[١]، أو في الوليدِ بنِ المغيرةِ[٢]، أو في أُميَّةَ بنِ خلفٍ[٣]، أو في أُبيِّ بنِ خلفٍ[٤]؛ لأنَّه كانَ يغتابُ النَّبيَّ عليه السَّلامُ، ويقعُ في أعراضِ المؤمنينَ مُقبِلينَ ومُدبِرينَ، وربَّما أتى بالأضاحيكِ حتَّى يضحكَ منه، وإن كانَت نزلَتْ في مخصوصٍ، فهي عامَّةٌ في كلِّ مَن اتَّصفَ بهذا الوصفِ.

***

(٢) ـ ﴿ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ﴾.

﴿ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ﴾ هوَ بدلٌ من ﴿كلّ﴾، أو منصوبٌ على الذَّمِ، أو مرفوعٌ.

قرأَ ابنُ عامرٍ وحمزةُ والكسائيُّ بتشديدِ الميمِ على المبالغةِ ولموافقةِ ﴿وَعَدَّدَهُۥ﴾، والباقونَ بتخفيفِها[٥].

ومعنى ﴿عدده﴾: أحصاه وجعلَه عدَّةً لحوادثِ الدَّهرِ. وقالَ الضَّحَّاكُ: أعدَّ مالَه لـمَن يرثُه مِن أولادِه.

والمرادُ الذَّمُّ على إمساكِ المالِ عن سُبلِ الطَّاعة، كقولِه: ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾.

***

= وقد روى الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٦١٩) من طريق عطية العوفي عن ابن عباس أنها نزلت في مشرك معيَّن لكنه لم يسمه. وعطية ضعيف.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٦١٩) من طريق ابن أبي نجيح عن رجل من أهل الرقة.

(٢) هو قول ابن إسحاق كما في «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٣٥٦).

(٣) هو قول مقاتل في «تفسيره» (٤/ ٨٣٨).

(٤) عزاه السيوطي في «لباب النقول» (٢١٦) إلى ابن أبي حاتم عن عثمان وابن عمر.

(٥) انظر: «السبعة» (ص: ٢٩٧)، و«التيسير» (ص: ٢٢٥).

(٣) ـ ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ﴾.

﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ﴾؛ أي: يظنُّ بجهلِه أن مالَه يُخلِّدُه في الدُّنيا، فيصيرُ فيها خالداً لا يموتُ، أو يعملُ عملَ الخالدِ من تشييدِ البنيانِ الموثَّقِ بالصَّخرِ والآجرِّ وغرسِ الأشجارِ وعمارةِ الأرضِ.

* * *

(٤ ـ ٩) ـ ﴿كَلَّا لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ۝٤ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ۝٧ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ﴾.

﴿كَلَّا﴾ ردعٌ له عن حُسبانِه ﴿لَيُنۢبَذَنَّ﴾؛ أي: ليُطرَحَنَّ بعدَ موتِه ﴿فِى ٱلْحُطَمَةِ﴾؛ أي: الطَّبقةِ من جهنَّمَ الَّتي من شأنِها أن تحطِمَ؛ أي: تكسِرَ وتهشِمَ بشدَّةٍ وعنفٍ كلَّ ما طُرِحَ فيها، فيكونُ أخسرَ الخاسرين، ويُقالُ للرَّجلِ الأكولِ: إنَّه لحُطمةٌ[1].

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ﴾؛ أي: أيُّ شيءٍ أعلمَك ولو بمُحاولةٍ منك للعلمِ واجتهادٍ مع كونِك أعلمَ الخَلقِ ﴿مَا ٱلْحُطَمَةُ﴾؛ أي: الدَّركةُ النّاريةُ الَّتي سُمِّيَت هذا الاسمَ بهذه الخاصَّةِ[2]، فإنَّه ليسَ في الوجودِ الَّذي يُشاهَدُ ما يقاربُها ليكونَ مثالاً لها.

﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ﴾: المُسعَّرةُ.

---

(١) نقل القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٤٧٣) عن أبي نصر القشيري أنه حكى عن الكلبي: «الحطمة: الدركة الثانية من درك النار».

(٢) قوله: «بهذه الخاصة» كذا في (أ)، ومثله في «السراج المنير» للشربيني (٤/ ٥٨٦)، وفي «نظم الدرر» للبقاعي (٢٢/ ٢٤٧): «لهذه الخاصية» ولعلها أصح، والمراد بالخاصية كونها تحطم؛ أي: تكسر وتهشم بشدة وعنف.

روى أبـو هُريـرةَ أنَّـه ﷺ قـال: «أَوقَـدَ علـى النّارِ ألـفَ سـنةٍ حتَّى احمَـرَّتْ، ثمَّ أَوقَـدَ عليهـا ألفَ سـنةٍ حتَّى ابيضَّـت، ثمَّ أَوقَـدَ عليها ألفَ سـنةٍ حتَّى اسـودَّتْ، فهي سـوداءُ مظلمةٌ»[1].

﴿ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ﴾: جمع فؤادٍ، وهوَ القلبُ الَّذي يكادُ يحترِقُ من شدَّةِ ذكائِه، فكانَ ينبغي أن يَجعلَ ذكاءَه من أسبابِ الخلاصِ، واطِّلاعُها عليه: بأن تعلوَ وسطَه وتشتملَ عليه، وخُصَّ بالذِّكرِ لأنَّه ألطفُ ما في البدنِ وأشدُّه تألُّماً بأدنى شيءٍ من الأذى، أو لأنَّه مَنشأُ العقائدِ الفاسدةِ، ومعدنُ [حبِّ][2] المالِ الَّذي هوَ منشأُ الإفسادِ والإضلالِ.

﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ﴾؛ أي: مُطبقةٌ مغلقةٌ، من آصدْتُ البابَ وأوصَدتُه: أغلقتُه.

﴿فِي عَمَدٍ﴾[3] ـ بضمَّتينِ وفتحتينِ[4] ـ: جمع عمودٍ كأديمٍ وأُدُمٍ وأَدَمٍ.

وقالَ أبو عُبيدةَ: جمعُ عِمادٍ[5]، كإهابٍ وأُهُبٍ وأَهَبٍ.

---

(١) رواه الترمذي (٢٥٩١) عن أبي هريرة رضي الله عنه موقوفاً ومرفوعاً. وقال: «موقوف أصح».

(٢) من «نظم الدرر» للبقاعي (٢٢/ ٢٤٧).

(٣) نقل القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ١٨٦) عن أبي نصر القشيري قوله: «والمعظم على أن العمد أوتاد الأطباق التي تطبق على أهل النار. وتشد تلك الأطباق بالأوتاد حتى يرجع عليهم غمها وحرها، فلا يدخل عليهم روح.

وقيل: أبواب النار مطبقة عليهم وهم في عمد، أي: في سلاسل وأغلال مطولة، وهي أحكم وأرسخ من القصيرة. وقيل: هم في عمد ممددة، أي: في عذابها وآلامها يضربون بها.

وقيل: المعنى: في دهر ممدود، أي: لا انقطاع له».

(٤) بضمتين حمزة والكسائي وشعبة، والباقون بفتحتين. انظر: «السبعة» (ص: ٢٩٧)، و«التيسير» (ص: ٢٢٥).

(٥) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ٣١١).

﴿مُّمَدَّدَةِۭ﴾؛ أي: ممدودةٍ مطوَّلةٍ.

قالَ ابنُ عبَّاسٍ: أدخلَهم في عمادٍ فمُدَّتْ عليهم، وفي أعناقهمُ السَّلاسلُ، وسُدَّتْ عليهم بها الأبوابُ[1].

وقالَ قتادةُ: عَمَدٍ يُعذَّبونَ بها في النّارِ[2].

* * *

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٦٢٥).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٦٢٥).

تفسيرُ سورةِ الفيل

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١ ـ ٥) ـ ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ الاستفهامُ للتَّعجيبِ؛ أي: اعجبْ يا محمَّدُ؛ إذ الخطابُ له ﷺ وإنْ لمْ يَشهدْ تلكَ الواقعةَ، فقدْ شَهِدَ آثارَها، وسمعَ بالتَّواترِ أخبارَها، فكأنَّهُ رآها.

والفيلُ: هوَ المسمَّى بمحمودٍ، وصاحبُه أبرهةُ ملكُ اليمنِ وجيشُه، بنى بصنعاءَ كنيسةً ليصرفَ إليها الحجَّاجَ من مكَّةَ، فأحدثَ رجلٌ من كنانةَ فيها، ولطَّخَ قِبلتَها بالعَذِرةِ احتقاراً بها، فحلفَ أبرهةُ ليهدمَنَّ الكعبةَ، فجاءَ مكَّةَ بجيشِه على أفيالٍ مُقدَّمُها محمودٌ ـ قيلَ: كانَت ثمانيةً، وقيلَ: اثني عشرَ، وقيلَ: ألفاً، وقيلَ: لمْ يكنْ معه سوى محمود ـ ولمَّا عَلِم عبد المطَّلب بقدومِه قالَ: ما له عندنا قتالٌ، ولا لنا به يدانِ، سنُخلِّي بينه وبينَ ما جاءَ إليه، فإنَّ هذا بيتُ اللهِ الحرامُ، وبيتُ خليلِه إبراهيمَ عليه السَّلامُ. ثمَّ جاءَه رسولُ الملكِ فكلَّمهُ وأعلمَهُ بما جاءَ له الملكُ، وأنَّه لا مرادَ له في قتالِكم إلَّا إنْ منعتموهُ عمَّا جاءَ له، فقالَ له: ما لنا به قوَّةٌ، فقالَ له: انطلقْ معي للملكِ.

قالَ بعضُ العلماءِ: إنَّ الرَّسولَ أردفَهُ على بغلتِه، وركبَ معه بعضُ بَنيه حتَّى قدمَ، فدخلَ على أبرهةَ رجلٌ يُقالُ له: أنيسٌ، وقالَ له: هذا سيِّدُ قريشٍ، وصاحبُ

عيرِ مكَّةَ، يطعمُ النَّاسَ في السَّهلِ والوحوشَ في الجبالِ، يستأذنُ عليكَ، وأنا أحبُّ أنْ تأذنَ له فيكلِّمَك، وقد جاءَ غيرَ ناصبٍ لك، ولا مخالفٍ عليكَ. فأذِنَ له، وكانَ عبدُ المطَّلبِ رجلاً جسيماً وسيماً، فلمَّا رآهُ أبرهةُ أعظمَهُ وأكرمَه، وكرهَ أن يجلسَ معه على السَّريرِ، وأن يجلسَ تحته، فهبطَ إلى البساطِ فجلسَ عليه، ثمَّ دعاهُ فأجلسَه معه، ثمَّ قالَ لترجمانِه: قل له: ما حاجتُك إلى الملِكِ؟ فقالَ الترجمانُ، فقالَ له عبدُ المطَّلبِ: حاجتي إلى الملكِ أن يردَّ إليَّ مئتي بعيرٍ أصابَها لي، فقالَ أبرهةُ لترجمانِه: قل له: قد كنتَ أعجبتَ الملكَ حينَ رآكَ، ولقد زهدَ فيك، فقالَ له: لـمَ؟ فقالَ الملكُ: جئتُ إلى بيتٍ هوَ دينُك ودينُ آبائِكَ، وهوَ شرفُكم وعصمتُكم؛ لأهدمَهُ فلمْ تكلِّمْني فيه، وكلَّمتَني في مئتي بعيرٍ؟! فقالَ عبدُ المطَّلبِ: أنا ربُّ هذه الإبلِ، وللبيتِ ربٌّ سيمنعُه، قالَ: ما كانَ ليمنعَه منِّي، فقالَ له: أنتَ وذاكَ، فأمرَ بإبلِه، فرُدَّتْ عليه.

وقيلَ: عرضَ عليه عبدُ المطَّلبِ ثُلثَ أموالِ تهامةَ ليرجعَ فأبى، فخرجَ من عندِه، وأخبرَ قريشاً الخبرَ، وأمرَهم أن يتفرَّقوا في الشِّعابِ، ويتحرَّزُوا في رؤوسِ الجبالِ خوفاً عليهم من معرةِ الجيشِ، ففعلوا، وأتى عبدُ المطَّلبِ الكعبةَ، وأخذَ بحلقةِ البابِ، وجعلَ يقولُ:

يا ربُّ لا أرجُو لهم سِـــواكَا ... يـــا ربُّ فامنَعْ منهـــمُ حِماكَا
إنَّ عدوَّ البَيـــتِ مَن عَاداكا ... امنَعهـــمُ أن يَخرِبـــوا قِراكا

وقالَ أيضاً:

لاهُـــمَّ إنَّ العبـــدَ يمـــ ... ـــنعُ فامنـــعْ حِلالَـــكْ
لا يَغلِبـــنَّ صليبُهـــم ... ومِحالُهـــم غَـــدْواً مِحالَـــكْ
أجـــرَوا جمـــوعَ بلادِهـــم ... والفيلَ كي يَســـبُوا عِيالَكْ

عمَـــدُوا حِمـــاكَ بكيدِهم جَهلاً وما رَقبُـــوا جَلالَكْ
إن كنــتَ تاركَهـــم وكعْـ ـــبتنا فأمـــرٌ ما بَـــدا لَكْ

وتوجَّهَ عبدُ المطَّلبِ لقومِه في تلكَ الشِّعابِ[1]، فحينَ توجَّهوا لهدمِ الكعبةِ أرسلَ اللهُ عليهم ما قصَّهُ في قولِه:

﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ﴾؛ أي: ما أرادوهُ من هدمِ الكعبةِ ﴿فِي تَضْلِيلٍ﴾؛ أي: خسارةٍ وهلاكٍ ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ جماعاتٍ جماعاتٍ، قيلَ: لا واحدَ له كأساطيرَ.

وقيلَ: واحدُه: إبَّولٌ أو إبَّالٌ أو إبِّيلٌ؛ كعِجَّولٍ ومفتاحٍ وسِكِّينٍ.

﴿تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ﴾؛ أي: طينٍ متحجِّرٍ مصنوعٍ للعذابِ. وقيلَ: مطبوخٍ.

﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾؛ أي: كتبنٍ وورقِ شجرٍ قد أكلتْهُ الدَّوابُّ فراثَتْه، فيبسَ فتفرَّقَ، فشبَّهَ قطعَ أوصالِهم بتفرُّقِ أجزاءِ الرَّوثِ اليابسِ، ولمْ يصرِّحْ بالرَّوثِ على آدابِ القرآن، كقولِه: ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾ [المائدة: ٧٥]؛ أي: يتغوَّطانِ.

أو في الكلامِ حذفٌ تقديرُه: كعصفٍ مأكولٍ حبُّهُ، فعلى هذا فقدْ شبَّهَ قِطَعَ أوصالِهم بالتِّبنِ وإنْ لـم يتغيَّرْ.

أو ﴿مَّأْكُولٍ﴾: أصابَه الأُكالُ، وهوَ السُّوسُ، شبَّهَ تقطيعَ أوصالِهم بتبنٍ أو ورقِ زرعٍ أكلَهُ الدُّودُ وفرَّقَ أجزاءَهُ.

---

(١) تنظر القصة في «السير والمغازي» لابن إسحاق (ص: ٦١ ـ ٦٤)، و«السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٤٣ ـ ٥٣)، و«تفسير الطبري» (٢٤/ ٦٣٥ ـ ٦٤٢). ورواها الثعلبي في «تفسيره» (٣٠/ ٢٦٦) فقال: «قال محمد بن إسحاق: كان من قصة أصحاب الفيل فيما ذكر بعض أهل العلم عن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس، وعمَّن لقي من علماء أهل اليمن وغيرهم...» وذكر القصة.

تفسيرُ سورةِ قُريشٍ

بسمِ اللّه الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١ ـ ٤) ـ ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ۝٢ فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ۝٣ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ﴾.

﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ﴾ يُقالُ: أَلِفْتُ الشَّيءَ إلفاً وإلافاً، وآلَفْتُه إيلافاً: إذا أحببتَه وسكنتَ إليه، وأصلُه: السُّكونُ والإيناسُ، وهوَ نقيضُ الإيحاشِ، قالَ الأزهريُّ: الإيلافُ: الإجَارةُ بالخِفَارةِ(١).

وقُريشٌ: ولدُ النَّضرِ بنِ كنانةَ، فكلُّ مَن ولدَه النَّضرُ فهوَ قريشٌ، ومَن لم يلدْه النَّضرُ فليسَ بقرشيٍّ.

قالَ ﷺ: «إنَّ اللهَ اصطفَى كنانةَ مِن بني إسماعيلَ، واصطفَى من بني كنانةَ قُريشاً، واصطفَى من قريشٍ بني هاشمَ، واصطفاني مِن بني هاشمٍ»(٢).

قالُوا: وسُمِّيَتْ قريشاً لقَرْشِها؛ أي: كسبِها وجمعِها، كانُوا يجتمعونَ ويُتاجرونَ

---

(١) انظر: «تهذيب اللغة» (١٥/ ٢٧٢)، وفيه: عن ابن الأعرابي: أن أصحاب الإيلاف أربعة إخوة: هاشم، وعبد شمس، والمطلب، ونوفل: بنو عبد مناف؛ وكانوا يسمون: المجيرين، فأما هاشم فإنه أخذ حبلاً من ملك الروم، وأخذ نوفل حبلاً من كسرى، وأخذ عبد شمس حبلاً من النجاشي، وأخذ المطلب حبلاً من ملوك حمير، فكان تجار قريش يختلفون إلى هذه الأمصار بحبال هؤلاء الإخوة، فلا يتعرض لهم.

(٢) رواه مسلم (٢٢٧٦) عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه.

ويكسبونَ الأموالَ، يُقالُ: ذهبَ فلانٌ يقرِشُ ويقترِشُ لعيالِه: يكتسبُ لهم، أو سُمُّوا بذلك لـمنعتِهم وشِدَّتِهم [تشبيهاً] بدابَّةٍ تسكنُ البحرَ يُقالُ لها: القِرشُ، تأكلُ كلَّ شيءٍ، وتعلو ولا تُعلى، وتعبثُ بالسُّفنِ، ولا تُدفعُ إلَّا بالنّارِ، زعموا أنَّها صُغِّرَتْ للتَّعظيمِ، وأنشدوا للجُمحيِّ:

وقريشٌ هيَ الَّتي تَسكُنُ البـ ... ـحرَ بها سُمِّيَتْ قُرَيشٌ قُرَيشاً[1]

﴿إِۦلَٰفِهِمۡ﴾ بدلٌ من الإيلافِ الأوَّلِ ﴿رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ﴾ أصلُ الرِّحلةِ: حالُ السَّيرِ على الرَّاحلةِ، وهي النَّاقةُ القويَّةُ، ومنه الحديثُ: «النَّاسُ كإبلٍ مئةٍ لا تجدُ فيها راحلةً»[2].

قيلَ: كانَ لقريشٍ رحلتانِ للتِّجارةِ في كلِّ عامٍ:

إحداهُما: في الشِّتاءِ إلى اليمنِ لأنَّه أدفأُ.

والأخرى: في الصَّيفِ إلى الشَّامِ.

فكانَ معاشُهم ومقامُهم بمكَّةَ بسببِ هاتينِ الرِّحلتينِ، أو كانُوا يَشْتُونَ بمكَّةَ، ويَصِيفونَ بالطَّائفِ.

﴿فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ﴾ أمرَهم أنْ يعبدُوه لأجلِ إيلافهمُ الرِّحلتينِ؛ لأنَّها أظهرُ نِعمِه عليهم، وفي هذا إشارةٌ إلى تمامِ قدرتِه، وأنَّه إذا أرادَ شيئاً يسَّرَ سببَه؛ لأنَّ التَّدبيرَ كلَّهُ له، يخفضُ من يشاءُ وإن عزَّ، ويرفعُ مَن يشاءُ وإن ذلَّ.

﴿ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ﴾؛ أي: شديدٍ كانُوا فيه قبلَ الرِّحلتينِ، وقبلَ حملِ

---

(١) البيت من قصيدة نسبها المرزباني في «معجم الشعراء» (ص: ٤٦٩) للمشمرج بن عمرو الحميري جاهلي قديم، قال: وقد روي لغيره. وتعقب الحموي هذا الخبر والشعر في «معجم البلدان» (٤/ ٣٦٦ ـ ٣٦٧) بقوله: وهذا الوجه عندي بارد، والشعر مصنوع جامد».

(٢) رواه البخاري (٦٤٩٨)، ومسلم (٢٥٤٧)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

الميرةِ إليهم، و﴿مِّن جُوعٍ﴾؛ أي: بعدَ جوعٍ، كقولِهم: كساهُ من العُريِّ؛ أي: بعدَ العُريِّ.

رُويَ أنَّ الرَّجلَ من قريشٍ إذا أسافَ؛ أي: أصابَ مالَه السُّوافُ؛ أي: مرضَ فهلكَ، فألفحَ؛ أي: افتقرَ، فهوَ مُلفَحٌ بفتحِ الفاء، ونادرٌ أفْعَلُ فهوَ مُفعَلٌ، خرجَ بأهلِه إلى الصَّحراءِ، وضَربَ لهم خيمةً، وتناوموا فيها حتَّى يموتوا عن آخرِهم، ولا يُعلَمُ حالُهم، حتَّى نشأ عمرُو العُلا، وهوَ هاشمُ بنُ عبدِ منافٍ، فجمعَهم على الرِّحلتينِ، فكانوا يقسمونَ ربحَهم بين الفقيرِ والغني على سواءٍ حتَّى استغنَوا، وفيه قالَ شاعرُهم:

عمـرُو العُـلا هَشَـمَ الثَّريـدَ لقَومِه ... ورجـالُ مكَّـةَ مُسـنِتونَ عِجـافْ

سَـفَرينِ سـنَّهُما لَـهُ ولِقـومِـهِ ... سَفَرَ الشِّـتاءِ ورحلـةَ الإيـلافْ[1]

﴿وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾؛ أي: من خوفِ العدوِّ؛ لأنَّهم كانُوا ببلدِهم آمنينَ، وإنْ سافروا كذلكَ.

قالَ الضَّحَّاكُ: آمنينَ من الجُذامِ لا يُصيبُهم ببلدِهم[2].

وجوَّزَ بعضُهم أن يكونَ من خوفِ أصحابِ الفيلِ، وتنكيرُ الخوفِ والجوعِ يُؤذِنُ بشدَّتِهما.

---

(١) البيتان في مدح هاشم أبي عبد المطلب واسمه عمرو، ونسب البيت الأول لابنته في «العين» (٣/ ٤٠٥)، و«كتاب الأفعال» (١/ ١٣٤) مادة: (هشم).
ونسب لعبد الله بن الزبعرى في «الزاهر» لابن الأنباري (٢/ ١٢٣)، و«معجم ديوان الأدب» (٢/ ٢٨٥)، و«أمالي المرتضى» (٢/ ٢٦٩).
ولمطرود الخزاعي في «تهذيب اللغة» (٦/ ٦٠) (مادة: هشم)، و«الصحاح» (مادة: هشم).
والبيت الثاني ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣٠/ ٣٢٠) مع الأول ضمن خبر.
وفي أكثر المصادر: (ورحلةَ الأصياف).

(٢) رواه بنحوه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٦٥٥)، ولفظه: «من خوفهم من الجذام».

تفسيرُ سورةِ الماعونِ

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١ ـ ٧) ـ ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾.

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ﴾؛ أي: بالجزاءِ والحسابِ؛ أي: هل عرفتَهُ؟ إن لـم تعرفْهُ ﴿فَذَٰلِكَ﴾؛ أي: فهوَ ذلكَ ﴿ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ﴾؛ أي: يدفعُه دفعاً شديداً عن حقِّهِ بعنفٍ وجَفوةٍ، ويقهرُه؛ لأَنَّهم كانُوا لا يُورِّثونَ الصَّغيرَ، أو يدفعُه إبعاداً عنه ولا يُحسِنُ إليهِ.

﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ المعنى: لا يحثُّ نفسَه ولا غيرَه على بذلِ الطَّعامِ للمسكينِ؛ لأنَّه مُكذِّبٌ بالجزاءِ.

فيه تحذيرٌ عن تركِ الإحسانِ والأمرِ بالمعروفِ والنَّهيِ عن المنكرِ.

﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ﴾ الويلُ: دعاءٌ، أو وادٍ في جهنَّمَ.

﴿ٱلَّذِينَ هُمْ﴾ بضمائرِهم وخالصِ سرائرِهم ﴿عَن صَلَاتِهِمْ﴾ أُضيفَت إليهم لوجوبِها عليهم، وإيجابُها لأجلِ مصالحِهم ومنافعِهم بالتَّزكيةِ وغيرِها.

﴿سَاهُونَ﴾؛ أي: غَرِيقونَ في الغفلةِ عنها، وفي تضييعِها، وعدمِ المبالاةِ بها، وقلَّةِ الالتفاتِ إليها.

عن ابنِ عبَّاس أنَّه قالَ: همُ المنافقونَ، يتركونَ الصَّلاةَ إذا غابوا عنِ النَّاسِ، ويُصلُّونها في العلانيةِ إذا حضرُوا مع النَّاسِ(١).

﴿ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ﴾؛ أي: بصلاتِهم وغيرِها؛ لأنَّهم يفعلونَ الخيرَ ليراهمُ النَّاسُ لا لرجاءِ الثَّوابِ ولا لخوفِ العقابِ من الله، ولذلكَ يتركونَ الصَّلاةَ إذا غابوا عن النَّاسِ.

﴿وَيَمْنَعُونَ﴾ على تجدُّدِ الأوقاتِ ﴿ٱلْمَاعُونَ﴾: حقوقَ الأموالِ، أو الشَّيءَ اليسيرَ من المنافعِ كالإبرةِ والفأسِ والقِدرِ والقَصعةِ.

وقيلَ: الماعونُ: ما لا يحلُّ منعُه مثلُ الماءِ والملحِ والنّارِ.

وقيلَ: المرادُ: ويمنعونَ من إعارةِ ذلكَ إذا وجدوا فاعلاً له.

* * *

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٦٦١).

تفسيرُ سورةِ الكوثرِ

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١ ـ ٣) ـ ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾.

﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ الخطابُ له ﷺ، وهوَ نهرٌ في الجنَّةِ، أو هوَ حوضُهُ تَرِدُ عليه أُمَّتُه، أو المرادُ به: الخيرُ الكثيرُ الَّذي كُوثِرَ له منه كالنُّبوَّةِ والقرآنِ والشَّفاعةِ ونحوِ ذلك.

روى أنسُ بنُ مالكٍ: بينا رسولُ اللهِ ﷺ ذاتَ يومٍ بينَ أظهُرِنا إذ أغفى إغفاءةً، ثمَّ رفعَ رأسَه متبسماً، فقلنا: ما أضحكَك يا رسولَ اللهِ؟ فقالَ: «أُنزِلَ عليَّ آنفاً سورةٌ» وقرأَ: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ السُّورةَ، ثمَّ قالَ: «تدرونَ ما الكوثرُ؟» قلنا: اللهُ ورسولُه أعلمُ، قالَ: «إنَّهُ نهرٌ وَعَدَنيه ربِّي، عليه خيرٌ كثيرٌ، يُنصَبُ حتَّى تَرِدَ عليه أمَّتي يومَ القيامةِ، آنيتُه عددُ نجومِ السَّماءِ، فيُختلَجُ العبدُ منهم، فأقولُ: أمَا هذا من أمَّتي؟ فيقولونَ: ما تدري ما أحدثَ بعدَك»[1].

وفي صفتِه: أنَّه أحلى مـن العسلِ، وأشدُّ بياضاً من اللَّبنِ، وأبردُ من الثَّلجِ، وألْينُ من الزُّبدِ[2]، ولا يظمأُ مَن شربَ منه شربةً أبداً، أكثرُ وارديه فقراءُ المهاجرينَ

---

(١) رواه مسلم (٤٠٠).

(٢) روى الترمذي (٣٣٦١) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: ال رسول الله ﷺ: «الكوثر نهر في الجنة، حافتاه من ذهب، ومجراه على الدر والياقوت، تربته أطيب من المسك، وماؤه أحلى من =

الدَّنِسو الثِّيابِ الشَّعِثو الرُّؤوسِ، الَّذينَ لا يُزوَّجُونَ الـمُنعَّماتِ، ولا تُفتَحُ لهم أبوابُ السُّددِ[(١)]، يموتُ أحدُهم وحاجتُه تتلجلَجُ في صدرِهِ، لو أقسمَ على اللهِ لأبرَّهُ[(٢)].

﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾ الصَّلواتِ الخمسَ، أو صلاةَ عيدِ الأضحى، أو صلاةَ الصُّبحِ بجَمعٍ.

﴿وَٱنْحَرْ﴾: اذبحِ البُدنَ بمنىً.

قالَ محمَّدُ بنُ كعبٍ: كانَ النَّاسُ يُصلُّونَ وينحرونَ لغيرِ اللهِ، فأُمرَ ﷺ بالصَّلاةِ والنَّحرِ للهِ[(٣)].

﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ المنقطِعُ عن كلِّ خيرٍ، ومَنْ عادى رسولَ اللهِ ﷺ صارَ قليلاً منقطِعاً، وأصلُ البترِ: القطعُ، وكلُّ شيءٍ قُطِعَ منه شيءٌ فهوَ أبترُ، والأبترُ: الَّذي لا عقبَ له.

قيلَ: نزلَتْ هذهِ الآيةُ في العاصِ بن وائلٍ السَّهميِّ حينَ لقيَ رسولَ اللهِ ﷺ وكلَّمَهُ على بابِ المسجدِ، ووقفَ معه أناسٌ من صناديدِ قريشٍ يرونه، ثمَّ دخلَ

= العسل، وأبيض من الثلج». وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(١) روى الترمذي (٢٤٤٤)، وابن ماجه (٤٣٠٣)، عن ثوبان، عن النبي ﷺ، قال: «حوضي من عدن إلى عمان البلقاء، ماؤه أشد بياضًا من اللبن وأحلى من العسل، وأكوابه عدد نجوم السماء، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدًا، أول الناس ورودًا عليه فقراء المهاجرين، الشعث رؤوسًا، الدنس ثيابًا، الذين لا ينكحون المتنعمات ولا تفتح لهم أبواب السدد». قال الترمذي: حديث غريب من هذا الوجه.

(٢) هذه الحديث بتمامه ذكره أبو حفص النسفي في «التيسير» (١٥/ ٥٠٧)، والزمخشري في «الكشاف» عند تفسير هذه السورة.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٦٩٥).

العاصُ المسجدَ، فقالُوا له: مَنْ كنتَ تُحدِّثُ؟ فقالَ: ذاكَ الأبترَ[١]؛ يعني: النَّبيَّ ﷺ، وكانَ تُوفِّيَ له ابنٌ من خديجةَ، وكانوا يسمُّونَ من ليسَ له ابنٌ: أبترَ، أو كانَ الَّذي لقيَ النَّبيَّ وكلَّمَهُ أبو جهلٍ[٢]، أو أبو لهبٍ[٣]، أو عقبةُ بنُ أبي مُعيطٍ[٤]، أقوالٌ ذكرها العلماءُ[٥].

* * *

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٣٠٧)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٦٦)، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وكون الآية نزلت في العاص رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٧٢٠) عن الكلبي، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٦٩٧ ـ ٦٩٩) عن ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤٧١) عن عطاء.

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٣٥٦) عن عطاء.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٦٩٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤٧١)، عن شمر بن عطية.

(٥) وذكر الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٦٩٩) قولًا آخر وهو أن المعني بذلك جماعة من قريش، وروى فيه خبرين عن عكرمة وآخر عن ابن عباس رضي الله عنهما.

تفسيرُ سورةِ الكافرونَ

بسمِ اللّه الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١ ـ ٦) ـ ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾.

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ نزلَتْ في رهطٍ من قريشٍ منهمُ الحارثُ بنُ قيسٍ السَّهميُّ والعاصُ بنُ وائلٍ والوليدُ بنُ المغيرةِ والأسودُ بنُ يغوثٍ والأسودُ بنُ المطَّلبِ بنِ أسدٍ وأُميَّةُ بنُ خلفٍ، قالُوا: يا محمَّدُ، هلمَّ فاتَّبعْ دينَنا، ونتَّبعُ دينَك، ونُشرِكُكَ في أمرِنا كلِّه، تعبدُ آلهتَنا سنةً ونعبدُ إلهكَ سنةً، فإنْ كانَ الَّذي جئتَ به خيراً كنَّا قد شَرِكناكَ فيه وأَخَذْنا حظَّنا منه، وإنْ كانَ الَّذي بأيدينا خيراً كنتَ قد شَرِكتنا في أمرِنا وأخذتَ بحظِّك منه، فقالَ: «معاذَ اللهِ أنْ يُشرَكَ معه غَيرُه»، قالُوا: فاستلمْ بعضَ آلهتنا نصدِّقْكُ ونعبدْ إلهكَ، قالَ: «حتَّى أنظرَ ما يأتي من ربِّي»، فأنزلَ اللهُ هذه السُّورةَ، فغدا رسولُ اللهِ ﷺ إلى المسجدِ الحرامِ وفيه الملأُ من قريشٍ، فقامَ على رؤوسِهم ثمَّ قرأَ عليهم حتَّى فَرِغَ من السُّورةِ، فأيِسوا منه عندَ ذلك، وآذَوه وأصحابَه[1].

وفي مناداتِه لهم بهذا الوصفِ الَّذي يَسترذلونَه في بلدِهم ومحلِّ عزِّهم وحميَّتِهم إيذانٌ بأنَّه محروسٌ منهم، وفيه عَلَمٌ من أعلامِ النُّبوَّةِ.

---

(١) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٧٠٣) عن ابن عباس وسعيد بن مينا مولى البختري، وذكره دون عزو الثعلبي في «تفسيره» (٣٠/ ٣٩٨)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٦٧). وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٣٥٧) عن ابن إسحاق.

﴿لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ﴾؛ أي: لا أعبدُ الآنَ ما تعبدونَ من دونِ اللهِ من المعبوداتِ الظَّاهرةِ والباطنةِ بوجهٍ من وجوهِ العبادةِ.

﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ﴾؛ أي: الآنَ ﴿مَآ أَعۡبُدُ﴾ وهوَ اللهُ تعالى وحدَهُ.

﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ﴾؛ أي: في الاستقبالِ ﴿مَّا عَبَدتُّمۡ﴾ من دونِ الله تعالى.

﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ﴾ في الاستقبالِ ﴿مَآ أَعۡبُدُ﴾ وهوَ اللهُ وحدَه.

وهذا خطابٌ لِـمَنْ عَلِمَ اللهُ منهم أنَّهم لا يؤمنونَ، وإطلاقُ ﴿مَآ﴾ على اللهِ تعالى على جهةِ المقابلةِ والمزاوجةِ، وعلى هذا التَّقديرِ لا يكونُ في الكلامِ تكريرٌ، ومنهم مَن جعلَ في الكلامِ تكريراً حَسماً لأطماعِهم عمَّا أرادُوه منه وراودُوه فيه، قالَ بعضُهم: تكرارُ الكلامِ لتكرارِ الوقتِ؛ لأنَّهم قالُوا: إنْ سرَّكَ أنْ ندخلَ في دينِك عاماً، فادخلْ في دينِنا عاماً.

وقالَ بعضُهم: جاءَ بـ﴿مَآ﴾ دونَ (مَن)؛ لأنَّ المرادَ الصِّفةُ، كأنَّه قالَ: لا أعبدُ الباطلَ ولا تعبدونَ الحقَّ.

أو ﴿مَآ﴾ مصدريَّةٌ؛ أي: لا أعبدُ عبادتَكم ولا تعبدونَ عبادتي.

﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ﴾؛ أي: الشِّركُ، قرأَ نافعٌ والبَزِّيُّ وهشامٌ بفتح ياء ﴿وَلِيَ دِينِ﴾؛ أي: الإسلام، ومَن بقيَ مِن القرَّاءِ بإسكانِها[1].

* * *

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٦٩٩ ـ ٧٠٠)، و«التيسير» (ص: ٢٢٥).

تفسيرُ سورةِ النَّصرِ

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١ ـ ٣) ـ ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾.

﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ النَّصرُ: معونةُ اللهِ نبيَّه على أعدائِه، والفتحُ: هوَ فتحُ مكَّةَ، أو المرادُ: نصرُ الله المؤمنينَ وفتحُ بلادِ الشِّركِ.

﴿وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا﴾ جماعاتٍ كثيرةً من أقطارِ الأرضِ من بعدِ ما كانُوا يدخلونَ فيه واحداً واحداً واثنينِ اثنينِ.

قالَ ﷺ: «أتاكم أهلُ اليمنِ، هم أضعفُ قلوباً وأرقُّ أفئدةً، الإيمانُ يمانٌ، والحكمةُ يمانيةٌ»(١)، ورُويَ أنَّ المرادَ بالنَّاسِ في الآيةِ أهلُ اليمنِ(٢).

وعنه ﷺ أنَّه قالَ: «يدخلونَ في دينِ اللهِ أفواجاً، وسيَخرجونَ منه أفواجاً»(٣).

ولمَّا فتحَ رسولُ اللهِ ﷺ مكَّةَ أقبلتِ العربُ بعضُها على إثرِ بعضٍ، وقالُوا: أمَا

---

(١) رواه البخاري (٤٣٩٠)، ومسلم (٥٢)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه ابن مردويه عن أبي هريرة رضي الله عنه، كما في «الكافي الشاف» (ص: ١٨٩)، وله شاهد من حديث ابن عباس رضي الله عنهما رواه ابن حبان في «صحيحه» (٧٢٩٩).

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٤٦٩٦) عن جابر رضي الله عنهما، وإسناده ضعيف لجهالة الراوي عن جابر.

إذا ظفرَ بأهلِ الحرمِ فليسَ به يدانِ، وقد كانَ اللهُ أجارَهم من أصحابِ الفيلِ[١].

وقُرِئَ: (يُدخَلونَ) مجهولاً[٢].

ومحلُّ ﴿يَدۡخُلُونَ﴾ نصبٌ بـ﴿رأيت﴾ إن جعلتَهُ من رؤيةِ القلبِ، وحالٌ إن جُعِلَ من رؤيةِ العينِ، والعاملُ في ﴿إِذَا﴾ ﴿فَسَبِّحۡ﴾.

كانَ جماعةٌ من أشياخِ بدرٍ يَدخلونَ على عمرَ ومعهم ابنُ عبَّاسٍ، فقالَ بعضُهم: لِـمَ يدخلُ معنا هذا الفتى، فلنا أبناءٌ مثلُه؟ فقالَ: إنَّه ممَّن قد عَلِمتُم، ثمَّ قالَ لهم: ما تقولون في ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ إلى آخرِها؟ فقالَ بعضُهم: أُمِرْنا أنْ نحمدَ الله ونستغفرَه إذا جاءَ نصرُنا وفُتِحَ علينا. وقالَ بعضُهم: لا ندري. وبعضُهم سكتَ، فقالَ عمرُ: ما تقولُ يا ابنَ عبَّاسٍ؟ فقالَ: هوَ أجَلُ رسولِ اللهِ ﷺ، أعلمَه أنَّه إذا جاءَ نصرُ الله والفتحُ فتحُ مكَّةَ فذلك علامةُ أجلِكَ، فسبحْ بحمدِ ربِّكَ واستغفرْه إنَّه كانَ توَّاباً، فقالَ له عمرُ: لا أعلمُ منها إلَّا ما تعلمُ، ثمَّ قالَ: كيفَ تلومون عليه بعدَ ما ترون[٣]؟!

قالَ ابنُ عبَّاسٍ: لمَّا نزلَتْ هذه السُّورةُ علمَ النَّبيُّ ﷺ أنَّه قد نُعِيتْ إليه نفسُه[٤].

وقالَ الحسنُ: أُعلِمَ أنَّه قد اقتربَ أجلُه، فأُمِرَ بالتَّسبيحِ والتَّوبةِ[٥]؛ ليُختَمَ له بالزِّيادةِ في العملِ الصَّالحِ.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣٠/ ٤٣٨)، والواحدي في «البسيط» (٢٤/ ٤٠٠)، والبغوي في «تفسيره» (٨/ ٥٧٦)، عن الحسن.

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٨٢) عن ابن كثير.

(٣) رواه بنحوه البخاري (٤٤٣٠) و(٤٢٩٤).

(٤) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣٢٠١).

(٥) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٢/ ١٧٢).

قالَت عائشةُ: كانَ رسولُ اللهِ ﷺ يُكثِرُ من قولِ: «سبحانَ اللهِ وبحمدِه، أستغفرُ اللهَ وأتوبُ إليه»[(١)].

قيلَ: لـمَّا نزلتِ السُّورةُ وقرأها على أصحابِه استبشَرُوا، وبكى العبَّاسُ، فقالَ له: «ما يُبكيكَ يا عمُّ»؟ قالَ: نُعِيَتْ إليك نفسُكَ، قالَ: «إنَّه كما قالَ العبَّاسُ»[(٢)].

ورُويَ أنَّه ﷺ خطبَ النَّاسَ بعدَ نزولِها فقالَ: «إنَّ عبداً خيَّرهُ اللهُ بين الدُّنيا وبينَ لقائِه فاختارَ لقاءَ اللهِ»، فعلمَ أبو بكرٍ فقالَ: فديناكَ بأنفسِنا وآبائِنا وأولادِنا[(٣)].

* * *

---

(١) رواه مسلم (٤٨٤).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣٠/ ٤٤٧ ـ ٤٤٨) عن مقاتل بلفظ: لما نزلت هذه الآية قرأها رسول الله ﷺ على أصحابه وفيهم أبو بكر وعمر وسعيد بن أبي العاص ففرحوا واستبشروا، وسمعها العباس فبكى... إلى آخر الخبر كما ذكره هنا، ولفظه في «تفسير مقاتل» (٤/ ٩٠٥): «... فقرأها على أبي بكر وعمر ففرحا، وسمعها عبد الله بن عباس فبكى، فقال له النبي ﷺ: «صدقت» فعاش النبي ﷺ بعدها ثمانين يومًا... ».

وعلى كل ففيه نظر، فقد صح ـ كما سيأتي ـ أن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما فَهِمَا منها ما فهمه ابن عباس.

(٣) رواه البخاري (٣٩٠٤)، ومسلم (٢٣٨٢)، من حديث أبي سعيد رضي الله عنه. وليس فيه ذكر نزول السورة.

تفسيرُ سورةِ أبي لهبٍ

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١ - ٥) - ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ﴾.

﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾؛ أي: خابَتْ وخَسِرَتْ.

وقالَ عطاءٌ: ضلَّتْ.

وقالَ سعيدٌ: هلكَتْ[١].

والتَّبابُ: الهلاكُ، ومنه قولُهم: أشابَّةٌ أم تابَّةٌ؛ أي: هالكةٌ من الهرمِ والتَّعجيزِ، والمعنى: هلكَتْ يداهُ، وإنَّما خصَّ اليدين لأنَّه فيما يُروى: أنَّه أخذَ حجراً ليرميَ به النَّبيَّ ﷺ لمَّا صعدَ الصَّفا وقالَ: «يا صباحاهُ»، فاجتمعَتْ إليه قريشٌ فقالُوا: ما لكَ يا محمَّدُ؟ قالَ: «أَرأيتم إنْ أخبرتُكم أنَّ العدوَّ مُصبِّحُكم أو مُمسِّيكم أمَا كنتم تُصدِّقوني؟» قالُوا: بلى، قالَ: «فإنِّي نذيرٌ لكم بينَ يدَي عذابٍ شديدٍ»، فقالَ أبو لهبٍ: تباً لك، ألهذا دعوتَنا[٢]؟

ورُويَ: أنَّه أخذَ حجراً ليرميَه بها.

---

(١) ذكر القولين الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٣٦٤)، والقرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٥٤٥).

(٢) رواه البخاري (٤٩٧١)، ومسلم (٢٠٨)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وليس فيه أنه أخذ حجراً ليرمي به النبي ﷺ.

وقيلَ: رماه فأدمى عَقِبَه[1]، فلهذا ذُكرتِ اليدُ.

ويجوزُ أنْ يكونَ المرادُ: جملةَ البدنِ، كقولِهم: «خسرَت يدُه» و«كسبَت يدُه»، فأُضيفَ الفعلُ إلى اليدِ وإنْ كانَ المرادُ جُملتَه، على عادةِ العربِ في التَّعبيرِ ببعضِ الشَّيءِ عن كلِّه، ويجوزُ أن يكونَ المرادُ اليدين حقيقةً لِـمَا سبقَ، وكلَّه وجملتَه في قولِه: ﴿وَتَبَّ﴾؛ أي: هوَ نفسُه؛ أي: هلَكَ وخَسِرَ وخابَ.

وكُنِي وإن كانَ في الكُنيةِ تكرمةٌ لأنَّه كانَ مُشتهِراً بالكنيةِ دونَ الاسمِ، وقد يكونُ معروفاً بأحدِهما، فيُذكرُ بالمعروفِ، فذُكِرَ بكنيتِه ليكونَ أشهرَ وأبلغَ في ذمِّه، ويؤيِّدُ هذا ما قُرِئَ: (أبو لهبٍ)[2]، كما يُقالُ: «عليُّ بنُ أبو طالبٍ»، و«معاويةُ بنُ أبو سفيان»؛ لئلَّا يُغيَّرَ الاسمُ فيُشكِلَ.

﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾ قالَ ابنُ مسعودٍ: لمَّا دعا رسولُ اللهِ ﷺ أقرباءَه إلى اللهِ، قالَ أبو لهبٍ: إن كانَ ما يقولُ ابن أخي حقّاً فأنا أفتدي نفسي بمالي وولدي، فأنزلَ اللهُ ﴿مَآ أَغۡنَىٰ﴾ الآية[3]؛ أي: ما يغني، والمعنى: أيُّ شيءٍ يغني عنه مالُه؛ أي: يدفع عنه عذاب الله؟ فهوَ استفهامٌ بمعنى الإنكار؛ أي: لا يغني عنه ولا يدفعُ من عذابِ اللهِ شيئاً.

---

(١) رواه ابن سعد في «الطبقات» (٦/ ٤٢)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٥٦٢)، والحاكم في «المستدرك» (٤٢١٩)، من حديث طارق بن عبد الله المحاربي، وفيه قصة.

(٢) حكاها أبو معاذ. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٨٢).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣٠/ ٤٦٧) عن ابن مسعود رضي الله عنه. وهكذا ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٥٤٩) لكن عن ابن عباس.

﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾؛ أي: ذاتَ تلهُّبٍ وتوقُّدٍ عليه، وقُرِئَ بضمِّ الياءِ مُشدَّداً ومُخفَّفاً[1].

﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ﴾ رفعٌ عطفٌ على الضَّميرِ في ﴿سَيَصْلَىٰ﴾؛ أي: سيَصلى هوَ وامرأتُه، والسِّين للوعيدِ؛ أي: ذلك كائنٌ لا مَحالةَ.

واسمُها: أمُّ جميلٍ بنتُ حَربِ بنِ أُميَّةَ أختُ أبي سفيانَ، وكانَت تحملُ حزمةً من الحطبِ ـ الشَّوكِ والحَسكِ والسَّعْدانِ ـ وتطرحُه في طريقِ النَّبيِّ ﷺ[2]، فذلك قولُه: ﴿حمَّالةُ الحَطَبِ﴾.

أو كانَت تمشي بالنَّميمةِ بينَ النَّاسِ وتُوقِدُ بينهم نائرةَ الحربِ[3]، يُقالُ: فلانٌ يحطبُ على فلانٍ: إذا كانَ يُغري به.

أو ﴿امرأتُه﴾ مبتدأٌ، و﴿حمَّالةُ﴾ خبرُه، ويجوزُ أن يكونَ الوقفُ على ﴿امرأتُه﴾، و﴿حمَّالةُ﴾ خبرُ مبتدأٍ محذوفٍ تقديرُه: هيَ حمَّالةُ الحطبِ.

وقرأ عاصمٌ: ﴿حَمَّالَةَ﴾ بالنَّصبِ[4] على الذَّمِّ، كقولِه: ﴿مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓاْ﴾ [الأحزاب: ٦١]، ويجوزُ أن يكونَ ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ﴾ مبتدأً، وخبرُه: في النَّارِ أيضاً.

---

(١) بفتح الياء قراءة الجمهور، وبضمها مخففاً ابن أبي عبلة والحسن وابن أبي إسحاق، وبضمها مشدداً عبد الله. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٨٢).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٧١٩ ـ ٧٢٠) عن ابن عباس والضحاك وعطية الجدلي ويزيد بن زيد وابن زيد.

والسعدان: نبت، وهو من أفضل مراعي الإبل، وفي المثل: «مَرْعًى ولا كالسَعْدانِ»، ولهذا النبت شوك يقال له: حسك السعدان، وتُشبَّه به حلمة الثدي. انظر: «الصحاح» (مادة: سعد).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٧٢٠ ـ ٧٢١) عن عكرمة ومجاهد وقتادة.

(٤) انظر: «السبعة» (ص: ٧٠٠) و«التيسير» (ص: ٢٢٥).

﴿فِي جِيدِهَا حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۭ﴾؛ أي: عُنقِها، وجمعُه: أجيادٌ، والمسدُ: ليفُ المُقلِ.

وقيلَ: اللِّيفُ مطلقاً.

وقالَ أبو عُبيدةَ: هوَ حبلٌ يكونُ من صوفٍ(١).

وقالَ الحسنُ: هيَ حبالٌ من شجرٍ ينبتُ باليمنِ يُسمَّى: المَسَدَ، وكانَت تُفتلُ(٢).

قالَ الضَّحَّاكُ وغيرُه: هذا في الدُّنيا، وكانَت تُعيِّرُ النَّبيَّ ﷺ بالفقرِ وهي تحتطبُ في حبلٍ تجعلُه في جِيدِها من ليفٍ، فخنقَها الله عزَّ وجلَّ به فأهلكَها، وهوَ في الآخرةِ حبلٌ من نارٍ(٣).

وعن ابنِ عبَّاسٍ قالَ: هوَ سلسلةٌ ذَرعُها سبعونَ ذراعاً، تدخلُ في فيها، وتخرجُ من دبرها، ويكونُ سائرُها في عنقِها(٤).

ورُويَ أنَّها لمَّا سمعَتْ ما نزلَ فيها وفي زوجِها من القرآنِ أتتْ رسولَ اللهِ وهوَ جالسٌ في المسجدِ عندَ الكعبةِ ومعه أبو بكرٍ وفي يدِها فِهرٌ من حجارةٍ تريدُ أن ترميَه بها، فلمَّا وقفَتْ عليه أخذَ الله تعالى بصرَها عن رسولِ اللهِ ﷺ فما رأتْ إلَّا أبا بكرٍ، فقالَت: يا أبا بكرٍ، أينَ صاحبُك؟ قد بلغني أنَّه يهجوني، والله لو وجدتُه لضربتُ بهذا الفهرِ فاهُ(٥).

---

(١) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ٣١٥)، وذكره عن أبي عبيدة القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٥٥٤)، وفيهما: «.. يكون من ضروب».

(٢) ذكره عنه القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٥٥٤)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٧٢٣) عن ابن زيد.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣٠/ ٤٧٩).

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣٠/ ٤٧٨) عن ابن عباس وعروة بن الزبير. ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٣) عن عروة مقتصرا على قوله: «سلسلة من حديد، ذرعها سبعون ذراعاً».

(٥) انظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٦) عن ابن إسحاق.

وقد تضمَّنَتْ هذه السُّورةُ الإخبارَ عن الغيبِ بثلاثةٍ:

أحدُها: الإخبارُ عنه بالتَّبابِ والخسارةِ، وقد كانَ ذلك.

ثانيها: الإخبارُ عنه بعدمِ الانتفاعِ بمالِه وولدِه، وقد كانَ ذلك.

ثالثُها: الإخبارُ بأنَّه من أهلِ النّارِ، وقد كانَ ذلك؛ لأنَّه ماتَ على الكفرِ، وامرأتُه كذلكَ، وماتَ أبو لهبٍ بالعَدَسةِ بعدَ بدرٍ بسبعِ ليالٍ، وأقامَ ثلاثةَ أيّامٍ لـم يُدفَنْ حتَّى أنتنَ، ثمَّ غسلَه ولدُه بالماءِ قذفاً من بُعدٍ مخافةَ العَدوى، ثمَّ احتملوه لأعلى مكَّة، فأسندوه إلى جدارٍ، ثمَّ رَضَمُوا عليه الحجارةَ.

***

تفسيرُ سورةِ الإخلاصِ

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) ـ ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾.

﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ قيلَ: سببُ نزولِها: أنَّ المشركينَ قالُوا له ﷺ: انسبْ لنا ربَّكَ، فنزلَتْ هذه السُّورةُ(١).

وقيلَ: نزلَتْ لمَّا قالَ أربدُ بنُ ربيعةَ وعامرُ بنُ الطُّفيلِ: إلامَ تدعونا يا محمَّدُ؟ قالَ: «إلى اللهِ»، قالا: صفْهُ لنا، أَمِنْ ذهبٍ أم من فضةٍ أم من حديدٍ أم من خشبٍ؟ فأهلكَ اللهُ أربدَ بالصَّاعقةِ، وعامراً بالغُدَّةِ، فأنزلَ اللهُ على نبيِّه أنْ يصفَ ربَّه بما يليقُ بعظمَتِهِ وجلالِهِ(٢).

---

(١) رواه الترمذي (٣٣٦٤) من طريق أبي جعفرٍ الرازيِّ، عن الربيع بن أنس، عن أبي العاليَة، عن أبيِّ بن كعب به.

ثـم رواه مـن طريـق أبي جعفرٍ الـرازيِّ، عـن الربيع، عن أبـي العالية به ولـم يذكر أبيًّا. قـال الترمذي: هـذا أصح.

وفي الباب عن جابر، رواه الطبري (٢٤/ ٧٢٨)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٥٦٨٧)، وإسناده ضعيف لضعف مجالد بن سعيد.

وروى نحوه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٦٠٨) عن جابر، وفيه أن السائل أعرابي. وفي إسناده مجالد بن سعيد أيضاً وهو ضعيف كما تقدم.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣٠/ ٥٠٢)، والواحدي في «البسيط» (٢٤/ ٤٢٧)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٥٠٥)، عن ابن عباس رضي الله عنهما دون سند.

فـ ﴿هُوَ﴾ ضميرُ الشَّأنِ ﴿ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ مبتدأٌ وخبرٌ، والجملةُ خبرُ ﴿هُوَ﴾، وهي الشَّأنُ، كأنَّه قيلَ: الشَّأنُ أو الحقُّ هذا، وهوَ أنَّ اللهَ تعالى واحدٌ لا ثانيَ له، ومحلُّ ﴿هُوَ﴾ رفعٌ بالابتداءِ، ولم تحتجِ الجملةُ لرابطٍ بينَ المبتدأِ وخبرِه لأنَّها والمبتدأَ يدلَّانِ على معنىً واحدٍ.

***

(٢) ـ ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾.

﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ أصلُ الصَّمْدِ: القصدُ والدَّوامُ، يُقالُ: صَمَدتُ الرَّجلَ صَمْداً ـ بسكونِ الميمِ ـ: قَصَدتُه، و﴿ٱلصَّمَدُ﴾ بفتحِ الميمِ فَعَلٌ بمعنى مفعولٍ، والمعنى: أنَّه المقصودُ في المهمَّاتِ، المستغنِي عن جميعِ الأشياءِ، ولا يستغني عنه شيءٌ من الأشياءِ، وليسَ كذلكَ إلَّا اللهُ تعالى.

وقالَ ابنُ عبَّاسٍ: ﴿ٱلصَّمَدُ﴾ الَّذي لا جَوفَ له[1].

وقيلَ: هوَ السَّيِّدُ الَّذي كمُلَ في جميعِ أنواعِ السُّؤددِ.

وقيلَ: الكاملُ في جميعِ صفاتِه.

وقيلَ: الباقي بعدَ فَناءِ الخلقِ.

وقيلَ: الَّذي ليسَ فوقَه أحدٌ.

وقيلَ: الَّذي لا يُدرِكُ حقوقَ صفاتِه ونعوتِه إلَّا هو.

---

(١) رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (٦٦٥)، والخطيب في «موضح أوهام الجمع والتفريق» (٢/ ٢١٥)، من طريق مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما.

ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٧٣١)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (١٠٠)، من طريق عطية عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وقالَ ابنُ عطاءٍ: هوَ المتعالي عن الكونِ والفسادِ[1].

***

(٣ ـ ٤) ـ ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾.

﴿لَمْ يَلِدْ﴾ لانتفاءِ مجانستِه، فلا يكونُ له من جنسِه صاحبةٌ فيَتَوالدا، كقولِه: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ﴾ [الأنعام: ١٠١]، أو ﴿لَمْ يَلِدْ﴾: لـم يتزوَّجْ، والعربُ تقولُ للرَّجلِ إذا تزوَّجَ: قد وَلَدَ.

﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ فيُشارَكَ، وإنَّما لـم يُولَد لأنَّ كلَّ مولودٍ مُحدَثٌ وجسمٌ، واللهُ تعالى ليسَ بجسمٍ ولا مُحدَثٍ، وأنَّه منزَّهٌ عن ذلك لا إلهَ إلَّا هوَ.

قالَ ابنُ عطاءٍ: ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ دليلُ الفَرْدانيَّةِ ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ دليلُ الرُّبوبيَّةِ.

وقالَ جعفرٌ: جلَّ ربُّنا أن تدركَهُ الأوهامُ والعقولُ والعلومُ، بل هوَ كما وصفَ نفسَه، والمعنى: أنَّه لـم يتَّصلْ بالأكوانِ ولم تتَّصلْ هيَ به.

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ المعنى: لا أحدَ يُكافئُه في شيءٍ ما، ولا يُماثلُه، ولا يُشاكلُه، وجوَّزَ بعضُهم أن يكونَ مأخوذاً من الكفاءةِ في النِّكاحِ نفياً للصَّاحبةِ.

قالَ بعضُهم: هذه السُّورةُ تحتوي على صفاتِ اللهِ تعالى؛ لأنَّ قولَه: ﴿هُوَ ٱللَّهُ﴾ إشارةٌ إلى مَن هوَ خالقٌ، ومِن الضَّرورةِ أن يكونَ عالماً قادراً ليتمكَّنَ من خلقِه، وكونُه عالماً قادراً يدلُّ على أنَّه حيٌّ سميعٌ بصيرٌ، وقولُه: ﴿أَحَدٌ﴾ ينفي المشاركةَ والشُّركاءَ، وقولُه: ﴿ٱلصَّمَدُ﴾ يدلُّ على أنَّ كلَّ مَن عداه محتاجٌ إليه، وهوَ غنيٌّ عنهم، وإذا كانَ غنيّاً عنهم عالماً بهم وجبَ أن يكونَ عادلاً، وقولُه: ﴿لَمْ يَلِدْ﴾

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣٠/ ٥١٦).

نفيٌ للشَّبَهِ، وقولُه: ﴿لَمۡ يَلِدۡ﴾ نفيٌ للحدوثِ وإثباتٌ للقِدَمِ، وقولُه: ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ﴾ نفيٌ أنْ يُماثلَه أحدٌ في شيءٍ منها، ولمعرفةِ اللهِ وصفاتِه ـ إذ المطلوبُ من العلومِ في الحقيقةِ ذلك ـ فُضِّلتْ هذه السُّورةُ على غيرِها.

في أفرادِ مسلمٍ عن أبي سعيدٍ الخُدريِّ: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ: «والذي نفسي بيدِه، إنَّها لَتَعدِلُ ثُلُثَ القرآنِ»[1].

وقالَ ﷺ: «أيعجزُ أحدُكم أن يقرأَ ثُلُثَ القرآنِ في ليلةٍ؟» قيلَ: ومَن يُطيقُ ذلك؟ قالَ: «اقرؤوا ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾»[2].

* * *

(١) بل هي من أفراد البخاري (٥٠١٣) و(٦٦٤٣)، و(٧٣٧٤).

(٢) هي إحدى روايات الحديث السابق، رواه البخاري (٥٠١٥).

تفسيرُ سورةِ الفلقِ

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١ ـ ٥) ـ ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾.

﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ﴾ رُويَ أنَّ سببَ نزولِ هذه السُّورةِ والتي بعدَها: أنَّ غلاماً من اليهودِ كانَ يخدمُ النَّبيَّ ﷺ، فلم تَزَلْ به اليهودُ حتَّى أخذَ مُشاطةَ رأسِ رسولِ اللهِ وعِدَّةً من أسنانِ مُشطِه فأعطاه اليهودَ، فسحرُوا به رسولَ اللهِ ﷺ، والذي تولَّى ذلك لبيدُ بنُ أعصمَ اليهوديُّ، ثمَّ دسَّها في بئرِ بني زُريقٍ، يُقالُ لها: ذروانُ، فمرضَ رسولُ اللهِ ﷺ، فكانَ يُخيَّلُ له أنَّه يفعلُ الشَّيءَ وما يفعلُه، فبينما هوَ نائمٌ ذاتَ يومٍ أتاهُ مَلَكانِ، فقعدَ أحدُهما عندَ رأسِهِ والآخرُ عندَ رجليهِ، فقالَ أحدُهما لصاحبِهِ: ما بالُ الرَّجلِ؟ قالَ: طُبَّ، قالَ: وما طُبَّ؟ قالَ: سُحِرَ ـ ورُويَ: ما وجعُ الرَّجلِ؟ فقالَ: مطبوبٌ ـ فقالَ: مَن سحرَهُ؟ قالَ: لبيدُ بنُ أعصمَ، قالَ: في ماذا؟ قالَ: في مُشطٍ ومُشاطةٍ وجُفِّ طلعةِ ذكرٍ ـ جُفُّ الطَّلعةِ: وِعاؤُها ـ قالَ: وأين هوَ؟ قالَ: في ذروانَ[1] تحتَ راعوفةِ البئرِ ـ والرَّاعوفةُ: صخرةٌ تُتركُ في أسفلِ البئرِ إذا احتُفِرَتْ، ويُقالُ لها: أُرعُوفةٌ ـ فانتبهَ ﷺ، وقالَ: «يا عائشةُ، أما شعَرتِ أنَّ اللهَ أخبرَني بدائي» ثمَّ بعثَ عليّاً والزُّبيرَ وعمَّارَ بنَ ياسرٍ، فنزلوا البئرَ، وأخرجوا الجُفَّ، وإذا فيه مُشاطةُ رأسِه ﷺ وأسنانُ مُشطِه، وإذا وَترٌ معقودٌ فيه إحدى عشْرةَ عقدةً ـ ورُويَ أنَّها كانَت

---

(١) وفي رواية في الصحيح: «أروان».

مغروزةً بالإبرِ ـ فنزلَ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ السُّورتانِ، فجعلَ كلَّما يقرأُ آيةً انحلَّتْ عُقدةٌ، ووجدَ رسولُ اللهِ ﷺ خفَّةً حتَّى انحلَّتِ العقدُ جميعُها، فقامَ ﷺ كأنَّما أُنشِطَ من عِقالٍ(١).

وعن أبي سعيدٍ: أنَّ جبريلَ عليه السَّلامُ أتى النَّبيَّ ﷺ فقالَ: يا محمَّدُ، أشتكيتَ؟ فقالَ: نعم، قالَ: بسمِ اللهِ أَرقيكَ من كلِّ شيءٍ يُؤذيكَ من شرِّ كلِّ نفسٍ أو عينِ حاسدٍ اللهُ يشفيكَ، بسمِ اللهِ أَرقيكَ(٢).

والمرادُ بـ﴿ٱلْفَلَقِ﴾: الصُّبحُ؛ لأنَّ اللَّيلَ ينفلقُ عنه، ويُقالُ له: «الفَرَقُ» أيضاً، ومنه: «هوَ أبينُ من فَلَقِ الصُّبحِ» و«فَرَقِ الصُّبحِ»، أو المرادُ: كلُّ ما فلقَه اللهُ كالسَّحابِ والعيونِ عن الماءِ والأرحامِ والأولادِ والحبِّ، أو سجنٌ، أو وادٍ، أو شجرٌ في النَّارِ، أو هو جُبٌّ في جهنَّمَ، أو هوَ الخلقُ.

والمعنى: أنَّه أُمِرَ أنْ يستعيذَ ويمتنعَ بربِّ هذهِ الأشياءِ.

﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ ﴿مَا﴾ موصولةٌ أو موصوفةٌ أو مصدريَّةٌ، والمعنى: أنَّه استعاذَ باللهِ من شرِّ جميعِ خَلقِه؛ كظُلمِ ظالمٍ، ولسعِ حشراتٍ وأذاها، وما يَعرِضُ في الدُّنيا مِن الأذى، ومِن شرِّ إبليسَ وذرِّيَّتِه؛ لأنَّه لـم يَخلقِ اللهُ خَلقاً شرّاً منه، ولأنَّ السِّحرَ [لا يتمُّ إلَّا](٣) به وأعوانِه وجنودِه.

﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ الغاسقُ: القمرُ، ووُقوبُه: خسوفُه، أو القمرُ إذا

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣٠/ ٥٣٠ ـ ٥٣٢) عن عائشة وابن عباس رضي الله عنهم، ورواه بمعناه البخاري (٦٣٩١)، ومسلم (٢١٨٩)، عن عائشة رضي الله عنها. واللفظ الذي سيق هنا فيه زيادات عما في الصحيحين.

(٢) رواه مسلم (٢١٨٦).

(٣) من «السراج المنير» (٤/ ٦١٣).

غابَ، أو هـوَ القمرُ إذا دخلَ فـي المحاقِ آخرَ الشَّهرِ. قيلَ: وفي ذلكَ الوقتِ يتمُّ السِّحرُ المؤثِّرُ.

أو الغاسقُ الثُّريا، ووقوبُها: سقوطُها، قالوا: وكـانَـتِ الأسقامُ والأمراضُ تكثرُ عندَ سقوطِ الثُّريا، وترتفعُ عندَ طلوعِها، رُويَ عنه ﷺ: أنَّه قالَ: «إذا طلعَ النَّجمُ ارتفعَ الوباءُ»[١].

﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ﴾؛ أي: السَّـاحراتِ النَّافثـاتِ فـي عُقَـدِ الخيـوطِ؛ لأنَّهـنَّ كـنَّ يتفلـنَ عليهـا حيـن يَرقِيـنَ، قيلَ: مـن بنـاتِ لبيدِ بـنِ أعصمَ، وقيـلَ: غيرهنَّ.

والنَّفثُ: نفثَ الرَّاقي ريقَه، وهوَ أقلُّ من التَّفلِ، أو النَّفثُ: نفخٌ بلا رِيقٍ، والتَّفلُ: ببعضِ الرِّيقِ. وقُرِئَ: (النَّافِثَاتِ)[٢].

﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ المرادُ: اليهودُ حينَ حسدُوا رسولَ اللهِ ﷺ، والحسدُ أخسُّ الطِّباعِ، وأوَّلُ معصيةٍ عُصيَ اللهُ بها في السَّماءِ حَسَدُ إبليسَ لآدمَ، وفي الأرضِ حسدُ قابيلَ لهابيلَ.

أو المرادُ بالحاسدِ إذا ظهرَ حسدُه وعَمِلَ بمقتضاه، فإنَّه يبغي الغوائلَ لمحسودِه، وإذا لـم يُظهرْه فإنَّما يرجعُ ضررُه عليه.

وفـي استعاذتِه مـن الغاسقِ والنَّفَّاثاتِ والحاسدِ بعدَ استعاذتِه من شرِّ خلقِه

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٨٤٩٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: «إذا طلع النجم ذا صباح رفعت العاهة»، وروى نحوه أيضاً في «المسند» (٥٠١٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: «نهى رسول الله ﷺ عن بيع الثمار حتى تذهب العاهة»، ثم فسر ابن عمر ذهاب العاهة بطلوع الثريا».

(٢) نسبت لعبد الله بن عمرو وعبد الرحمن بن سابط. انظر: «تفسير الثعلبي» (٣٠/ ٥٤٢).

ـ وهي تقتضي العمومَ ـ إيذانٌ أنَّ شرَّ هؤلاءِ أشدُّ وأخفى من شرِّ كلِّ ذي شرٍّ، وقد يضرُّ بالإنسانِ من حيثُ لا يدري، وفي تعريفِه ﴿ٱلنَّفَّٰثَٰتِ﴾ وتنكيرِه ﴿غَاسِقٍ﴾ و﴿حَاسِدٍ﴾ إيذانٌ أنَّ كلَّ نفَّاثةٍ شرِّيرةٌ، وليسَ كلُّ غاسقٍ وحاسدٍ شرِّيراً، أو ربَّما كانَ الحسدُ محموداً إذا كانَ في الخيرِ، ومنه الحديثُ: «لا حسدَ إلَّا في اثنتينِ»[1]، وفي الحديثِ: «المؤمنُ يَغبِطُ ولا يَحسدُ»[2]، فكأنَّ الحسدَ قد يُستعارُ بمعنى الغِبطةِ؛ لأنَّ الغِبطةَ تمنِّي مثلِ حالِ المغبوطِ من غيرِ إرادةِ زوالِها عنه، والحسدُ هوَ تمنِّي زوالِ نعمةِ المحسودِ إلى الحاسدِ.

* * *

---

(١) رواه البخاري (٧٣)، ومسلم (٨١٦)، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

ورواه البخاري (٧٥٢٩)، ومسلم (٨١٥)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٩٥) من قول الفضيل بن عياض.

تفسيرُ سورةِ النَّاسِ

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١ ـ ٦) ـ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾.

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾؛ أي: خالِقِهم ومالكِهم، وخصَّ النَّاسَ بالذِّكرِ وإن كانَ ربَّ كلِّ شيءٍ تشريفاً لهم كقولِه: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠]، ولـمَّا أمرَ بالاستعاذةِ مِن شرِّهم أعلمَ أنَّه ربُّهم، وأنَّه هوَ الَّذي يُعيذُ مِن شرِّهم.

ويجوزُ أن يكونَ تخصيصُهم بالذِّكرِ إعلاماً لهم أنْ لا معاذَ لهم سواه، وتخويفاً، فلا يعتمدون على غيرِه، ولا يُراقبون إلَّا إيَّاهُ.

﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾ إشارةٌ إلى أنَّ كمالَ التَّصرُّفِ ونفوذَ القدرةِ وتمامَ السُّلطانِ له، وأنَّ إليه المفزَعَ، وهوَ المُستغاثُ والملجأُ والمعاذُ.

﴿إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾ فيه إشارةٌ إلى أنَّه تعالى كما انفردَ بربوبيَّتِهم وملكِهم ولم يَشرَكْه في ذلك أحدٌ، فكذلكَ هوَ إلهُهم وحدَه لا يَشرَكُه في الإلهيَّةِ أحدٌ.

وقد اشتملَت هذه الإضافاتُ الثَّلاثُ على جميعِ قواعدِ الإيمانِ، وتضمَّنَت معانيَ أسمائِه الحُسنى؛ فإنَّ الرَّبَّ هـوَ القادرُ الخالقُ إلى غيرِ ذلك ممَّا يتوقَّفُ الإصلاحُ والرَّحمةُ والقدرةُ الَّتي هيَ بمعنى الرُّبوبيَّةِ عليه من أوصافِ الجمالِ،

والملِكُ هوَ الآمرُ النَّاهي المعِزُّ المذِلُّ إلى غيرِ ذلك من الأسماءِ العائدةِ إلى العظمةِ والجلالِ، وأمَّا الإلهُ فهوَ الجامعُ لجميعِ صفاتِ الكمالِ ونُعوتِ الجلالِ، فيدخلُ فيه جميعُ الأسماءِ الحُسنى، فلِتضمُّنِها جميعَ معاني الأسماءِ الحُسنى كانَ المستعيذُ جديراً أن يُعاذَ، وقد وقعَ ترتيبُها على الوجهِ الأكملِ الدَّالِّ على الوحدانيَّةِ.

﴿ مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ﴾ بمعنى: الوسوسةِ؛ كالزَّلزالِ بمعنى: الزَّلزلةِ، وأمَّا المصدرُ فوِسواسٌ بالكسرِ كزِلزالٍ، والمرادُ به الشَّيطانُ، سُمِّيَ بالمصدرِ كأنَّه وسوسةٌ في نفسِه لأنَّها صنعَتُه [وشغلُه][1] الَّذي هوَ عاكفٌ عليه، أو أُريدَ: ذو الوسواسِ.

والوسوسةُ في الأصلِ: الصَّوتُ الخفيُّ.

﴿ٱلۡخَنَّاسِ﴾؛ أي: الَّذي عادتُه أنْ يخنسَ بأنْ يتوارى ويتأخَّرَ ويختفيَ بعدَ ظهورِه مرَّةً بعد أخرى، كلَّما كانَ الذِّكرُ خنسَ، وكلَّما بطلَ عادَ إلى وسواسِه؛ فالذِّكرُ له كالمقامعِ الَّتي تقمعُ المفسدَ، فهوَ شديدُ النُّفورِ منه، ولهذا كانَ شيطانُ المؤمنِ هزيلاً، كما حُكيَ عن بعضِ السَّلفِ: أنَّ المؤمنَ يُضني شيطانَه كما يُضني الرَّجلُ بعيرَه في السَّفرِ.

﴿ٱلَّذِي يُوَسۡوِسُ﴾؛ أي: يُلقي المعانيَ الضَّارَّةَ على الخفاءِ والتَّكريرِ ﴿فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴾؛ أي: في قلوبِهم، جرّاً صفةٌ لمَا قبلُ، يفعلُ ذلك إذا غفلُوا عن ذكرِ ربِّهم كما تقدَّمَ.

قالَ مقاتلٌ: إنَّ الشَّيطانَ في صفةِ خنزيرٍ يجري من ابنِ آدمَ مجرى الدَّمِ في عُروقِه، سلَّطَهُ اللهُ تعالى عليهِ[2].

---

(١) من «السراج المنير» (٤/ ٦١٦).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣٠/ ٥٤٩).

وقالَ القرطبيُّ: وسوستُه هيَ الدُّعاءُ إلى طاعتِه بكلامٍ خفيٍّ يصلُ مفهومُه إلى القلبِ من غيرِ سماعِ صوتٍ[١].

﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ﴾؛ أي: الجِنِّ الَّذينَ هم غايةُ الشَّرِّ والتَّمرُّدِ والخفاءِ ﴿وَٱلنَّاسِ﴾؛ أي: أهلِ السَّوءِ والذَّبذبةِ، بيانٌ لـ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ﴾، على أنَّ الشَّيطانَ ضربان: جنيٌّ وإنسيٌّ، كما قالَ تعالى: ﴿شَيَـٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾ [الأنعام: ١١٢].

قالَ الحسنُ: هما شيطانانِ لنا، أمَّا شيطانُ الجِنِّ فيوسوسُ في الصُّدورِ ويأتي خفيةً، وأمَّا شيطانُ الإنسِ فيأتي علانيةً[٢].

وقالَ قتادةُ: إنَّ من الجِنِّ شياطينَ، وإنَّ من الإنسِ شياطينَ، فنعوذُ باللهِ منهما[٣].

وعن أبي ذرٍّ: قالَ لرجلٍ: هل تعوَّذتَ باللهِ من شيطانِ الإنسِ؟ فقالَ: أوَمِنَ الإنسِ شياطينُ؟! قالَ: نعم[٤]؛ لقولِه تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَـٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾ [الأنعام: ١١٢].

---

(١) انظر: «تفسير القرطبي» (٢٢/ ٥٨٣).

(٢) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٦٣٩)، والواحدي في «البسيط» (٢٤/ ٤٧٢).

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٨٤٦)، والطبري في «تفسيره» (٩/ ٥٠٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ٧٧٨٥).

(٤) ذكره هكذا موقوفاً أبو حفص النسفي في «التيسير في التفسير» (١٥/ ٥٥٧)، والزمخشري في «الكشاف» عند هذه الآية. وروي مرفوعاً:

رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٤٩٩) عن أبي ذَرٍّ: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «يا أبا ذَرٍّ، هل تَعَوَّذْتَ...» الحديث. وفي إسناده مبهم.

ورواه الإمام أحمد في «المسند» (٢١٥٤٦)، والنسائي (٥٥٠٧)، وفي إسناده مجهول ومتروك.

ورواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٥٠٠ ـ ٥٠١) عن قتادة بلغه عن أبي ذَرٍّ...، فذكره مرفوعاً مرسلاً.

وذكر ابن كثير عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَـٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ =

قال أبو بكرٍ الورَّاقُ: الوسواسُ من شرِّ العوارضِ وأخبثِها وأبعدِها من الصَّوابِ، وأشدِّها غروراً، وأشهاها إلى النَّفسِ، وأحلاها في القلبِ، وأضرُّ ما يكونُ الوسواسُ في أصولِ الدِّينِ من المقاييسِ الفاسدةِ والشُّكوكِ غيرِ الواردةِ، نسألُ الله تعالى أنْ يُعيذَنا والمؤمنينَ من ذلكَ.

وقالَ يحيى بنُ معاذٍ: الوسوسةُ بذرُ الشَّيطانِ، فإنْ لـم تعطِه أرضاً وماءً ضاعَ بذرُه، وإن أعطيتَه أرضاً وماءً زرعَ، قيلَ: ما الأرضُ؟ قالَ: الشِّبَعُ، قيلَ: وما الماءُ؟ فقالَ: النَّومُ.

وقالَ بعضُهم: أصلُ الوسوسةِ ونتيجتُها من عشْرةِ أشياءٍ:

أوَّلُها: الحرصُ، فقابلْه بالتَّوكلِ والقناعةِ.

وثانيها: الأملُ، فاكسِرهُ بمفاجأةِ الأجَلِ.

وثالثُها: التَّمتُّعُ بشهواتِ الدُّنيا، فقابلْه بزوالِ النِّعمِ وطولِ الحسابِ.

ورابعُها: الحسدُ، فاكسرْه برؤيةِ العدلِ.

وخامسُها: البلاءُ، فاكسرْه برؤيةِ المنَّةِ والعوافي.

وسادسُها: الكِبْرُ، فاكسرْه بالتَّواضعِ.

وسابعُها: الاستخفافُ بخدمةِ المؤمنينَ، فاكسرْه بتعظيمِ حُرمتِهم.

وثامنُها: حبُّ الدُّنيا والمحمدةِ من النَّاسِ، فاكسرْه بالإخلاصِ.

وتاسعُها: طلبُ العلوِّ والرِّفعةِ، فاكسرْه بالخشوعِ.

وعاشرُها: المنعُ والبخلُ، فاكسرْه بالجودِ والسَّخاءِ[1].

= ﴿إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢] طرقاً للحديث وقال: ومجموعها يفيد قوته وصحته.

(١) انظر: «تفسير السلمي» (٢/ ٤٣٤).

روى مسلمُ بنُ الحجَّاجِ عن عقبةَ بنِ عامرٍ: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ: «ألم ترَ آياتٍ أُنزلَت عليَّ اللَّيلةَ لم يُرَ مثلُهنَّ: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ﴾، و﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾»(١).

وروى مسلمٌ أيضاً عن عقبةَ بنِ عامرٍ: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ: «ألا أخبرُكَ بأفضلِ ما تعوَّذَ به المتعوِّذُ؟»، قلت: بلى يا رسولَ اللهِ، قالَ: «﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ﴾، و﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾»(٢).

وعنه ﷺ أنَّه قالَ لعثمانَ: «ألَا عليكَ بالمعوِّذَتينِ، فما تُعُوِّذَ بأفضلَ منهما»(٣).

وقالَ عقبةُ بنُ عامرٍ لابنِ المسيّبِ: اقرأ المعوِّذتينِ كلَّما نمتَ وكلَّما قمتَ(٤).

وكانَ ﷺ يُعوِّذُ الحسنَ والحسينَ بالمعوِّذتينِ(٥).

وكانَ ﷺ إذا أوى إلى فراشِه كلَّ ليلةٍ جَمعَ(٦) كفَّيه فنفثَ فيهما، وقرأَ: ﴿قُلۡ هُوَ

---

(١) رواه مسلم (٨١٤).

(٢) بهذا اللفظ رواه النسائي (٥٤٣٢).

(٣) لم أقف عليه مسنداً، وذكره أبو حفص النسفي في «التيسير» (١٥/ ٥٥٣) عن أنس رضي الله عنه دون سند ولا عزو.

(٤) رواه النسائي (٥٤٣٧) عن عقبة بن عامر رضي الله عنه مرفوعاً.

(٥) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢١١٨٩) عن سفيان ضمن حديث، ولفظه: «كان يرى رسول الله ﷺ يعوذ بهما الحسن والحسين، ولم يسمعه يقرؤهما في شيء من صلاته، فظن ـ أي: ابن مسعود ـ أنهما عوذتان، وأصر على ظنه، وتحقق الباقون كونهما من القرآن، فأودعوهما إياه». قال ابن حجر في «فتح الباري» (٨/ ٧٤٢): «قال البزار: ولم يتابع ابن مسعود على ذلك أحد من الصحابة وقد صح عن النبي ﷺ أنه قرأهما في الصلاة، قلت: هو في صحيح مسلم عن عقبة بن عامر، وزاد فيه ابن حبان من وجه آخر عن عقبة بن عامر: فإن استطعت أن لا تفوتك قراءتهما في صلاة فافعل».

(٦) في (أ): «يرفع»، والمثبت من الصحيح.

ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾، و﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ﴾، و﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾، ثمَّ مسحَ بهما ما استطاعَ مِن جسدِهِ، يبدأُ بهما رأسَه ووجهَه وما أقبلَ من جسدِه، يصنعُ ذلك ثلاثَ مرَّاتٍ(١).

وهذا آخرُ ما يسَّرهُ الكريمُ من تفسيرِ كلامِه القديمِ، جعلَهُ اللهُ خالصاً لوجهِه، وغفرَ لنا الزَّلَلَ، وضاعفَ لنا الطَّيِّبَ من العملِ، بجاهِ سيِّدِنا محمَّدٍ وصحبِه وآلِه، والحمدُ للهِ على أفضالِه(٢).

* * *

---

(١) رواه البخاري (٥٠١٧)، ومسلم (٢١٩٢)، عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) جاء في خاتمة النسخة الخطية لمكتبة أحمد الثالث المرموز لها بـ «أ»: «تمَّ التَّفسيرُ المباركُ تفسيرُ الإمامِ الجليلِ أبو القاسمِ القُشيريِّ ـ نفعَ الله به، وأعادَ علينا من بركاتِه، وأحيا قلوبَنا بكلماتِه ـ في ثالثِ محرَّمِ الحرامِ افتتاحَ سنةَ (١٠٤٤)».

قلت: كذا وقع نسبة الكتاب عند الناسخ خطأً إلى أبي القاسم القشيري، وصاحبُ «التيسير» هو ابنه أبو نصر القشيري، وقد تقدم التنبيه إلى أن القسم الأخير بدءاً من «سورة القيامة» حتى هنا هو لمفسِّرٍ متأخر، وتنظر مقدمة التحقيق؛ ففيها بيانٌ شافٍ، وتوضيحٌ كافٍ، وبالله التوفيق، والحمد لله رب العالمين.

الفهارس العامّة

فهرس الآيات القرآنية الكريمة

(التي استشهد بها المصنف)

سورة آل عمران

١٤٦	١/ ٥٥٩
١٤٧	١/ ١٥٨، ٥٥٩، ٣/ ٣٨١
١٥٥	٣/ ٣٥٣
١٥٦	٢/ ٢٠٢
١٥٩	١/ ٩٣، ٢/ ١٩٨، ٥٢٠، ٥/ ٢٠٩، ٦/ ٧٣٠
١٦١	٤/ ٥٨٩، ٥/ ٤٧٩
١٦٣	١/ ٣٨٠، ٢/ ٤٥٦
١٦٥	٢/ ١٩٢
١٦٧	٥/ ١٥٨، ٢٦٤
١٧٠	١/ ٣٤٧، ٣/ ٦٠٣
١٧٣	١/ ٤٣٦، ٣/ ٤٩٣، ٥/ ٣٤، ٢١٥، ٥٧٩
١٧٥	٤/ ٥٣، ٦/ ٤٧٩
١٨٠	١/ ٣٨١
١٨١	٢/ ٢٦٢، ٥/ ٦١٨
١٨٢	٥/ ٣٦٦
١٨٣	٢/ ٢٥٣
١٨٥	١/ ١٣٥
١٨٧	٤/ ٥٦٩
١٩٣	١/ ٢٨٩
١٩٤	١/ ٦٤٦، ٥/ ٩٠، ٣٥١، ٦/ ٣٦١
١٩٥	٢/ ٢٦٦، ٥/ ٧٢، ٧/ ٦٣
١٩٦	١/ ٥٢٥
١٩٧	٧/ ٣٢١
١٩٩	١/ ٢٨٤

سورة النساء

١	١/ ٤٧٢، ٥/ ٣٨٩، ٦١٠
٢	١/ ٣٨١، ٢/ ٢٨٠، ٤٩٦
٣	١/ ٤٨٤، ٢/ ٤٩٥، ٤٩٦، ٣/ ١٨٥، ٤/ ٦٢، ٦/ ٢٨٠، ٣١٩
٤	١/ ٣٨٧، ٥/ ١٠٥
٥	٢/ ٦٧٩
٦	٢/ ٤٩٥
٧	٢/ ٢٩٣
١٠	١/ ٤٨٤، ٦١٨، ٢/ ٥٥٤
١١	١/ ٢٣٠، ٢٣٠، ٣١٦، ٣/ ٦٩٧، ٥/ ٢٧٠، ٢٩٠، ٦/ ٤٧٣
١٧	٣/ ٦٧٥
١٨	٣/ ٢٧٩، ٣/ ٥٨٥
[illegible]	٢/ ١٨٦، ٦/ ٥٣٢
[illegible]	٥/ ٣٨٦، ٣٨٦
[illegible]	١/ ٥٣٢، ٥٦٢، ٢/ ١٢٦، ٣٢١
٢٥	٢/ ٣٢٣، ٣٢١، ٦/ ٣٣٢

٦٧	٣/ ٢٧٠، ٦٤٨، ٧/ ٣١١
٦٨	١/ ٢٨٠
٦٩	٢/ ٥٢٧
٧١	٣/ ٢٣٠، ٤/ ٣٦٥
٧٢	٥/ ٣٥٩
٧٣	٢/ ١٤
٧٧	١/ ٣٠
٨٢	١/ ١٦٦
٨٩	١/ ٤٩٨
٩٠	١/ ٤٧٦
٩١	١/ ٤٧٦، ٢/ ٣٧، ٣٦٣، ٥/ ٣٥٨
٩٥	١/ ٦٣٣، ٣/ ١١٤، ٥/ ٢٧، ٦/ ٥١٥، ٧/ ٩٩
٩٧	١/ ٦١٩
١٠٠	١/ ٣٦٩
١٠١	١/ ٢٧٣، ٥/ ١٩٥، ٧/ ٩٤
١٠٣	١/ ٣٢٩
١٠٥	٣/ ١٤٥
١١٠	٦/ ٢٩٥
١١١	٦/ ٣٨٢
١١٢	١/ ٢٩٠
١١٤	١/ ١٢٥
١١٥	٢/ ٦٨٤
١١٦	١/ ٣٦٧، ٤٥٤، ٣/ ٦١٩، ٥/ ١٢١، ٧٢٨، ٦/ ٤٥، ٧٣

سورة الأنعام

١	٢/ ٦٨٩
٣	٥/ ٣٠٨
٦	٤/ ٦٤
٨	٤/ ١٠٣، ٦/ ١٩٨
١١	٤/ ١٠٤
١٤	٢/ ٣٣٢، ٣٥٥، ٦/ ١٢٥
١٨	١/ ١٠١
٢٠	٣/ ٣١
٢٣	٢/ ٣٦٠، ٥/ ٥٧٤، ٧/ ٣١
٢٥	١/ ٩٥، ٥١٩، ٣/ ٢٨، ٦/ ١٤٨
٢٧	١/ ٣٦٥
٢٨	٢/ ١٢٢، ٣/ ١٠٤، ٥/ ٢٢٧، ٢٣٧، ٦/ ٨٨، ٧/ ٥٥
٢٩	١/ ٤٥٦، ٦/ ٦٩٨
[illegible]	٣/ ٣٥، ٤/ ٦٢٧
٣٥	١/ ٥٦٧، ٢/ ٢١٠، ٤/ ٤٨٧، ٦/ ٢٢٠

١٥١	٢/ ١٥، ٢٩٧، ٣/ ٧، ١٨٧
١٥٢	١/ ٤٨٤
١٦٠	٥/ ٦٨٢، ٦/ ٤٣
١٦١	٢/ ٦٧٩

سورة الأعراف

٣	٦/ ٤٧٩
٤	١/ ٧٦، ٤/ ٣٢٧
٥	٢/ ١٦٠
١٢	١/ ١٠٩، ١١٥، ٤/ ٤٩٧، ٧١٠، ٥/ ٧٣، ٤٨٤
١٦	٦/ ٣٠
١٨	٢/ ١٢٠، ٤/ ٧١٣
٢٠	١/ ١١٨، ٤/ ٧٠٩
٢١	١/ ٦١
٢٦	٦/ ٢٧٧
٢٨	٣/ ١٤٣، ٥/ ٦٣٠
٣١	٥/ ٢٧٨
٣٢	٢/ ٦٧٢
٣٣	١/ ١٠١، ١٢٣، ٤٨١
٣٤	٦/ ٤٠، ٩٣، ٨٦٤، ٧/ ٢٧٣
٣٧	٤/ ١٢٩
٣٨	٢/ ١٢٧، ٦/ ٧٠٩
٤٠	٢/ ١١٠
٤١	٦/ ٢٨٥
٤٣	١/ ٢٦، ٢/ ٢٦٥، ٥/ ١٢٥، ٦/ ٧، ٧/ ١٥
٤٤	١/ ٢٠٦، ٤/ ٢٥٣، ٥/ ٥١١
٥٠	١/ ٢٦٩، ٥/ ٧٣، ٣٥٩
٥٣	١/ ٤، ٣٩٠
٥٤	٦/ ٧٢، ٦/ ٣٨١
٥٥	٤/ ٥٥٩
٥٦	٥/ ٧٩٣
٥٧	٤/ ٢١٧
٥٨	٢/ ٣٦٨
٥٩	٣/ ٦٠٧
٧٣	١/ ٢١٠
٧٨	٥/ ٧٩١
٨٣	٥/ ٥٠٥
٨٤	٣/ ٧٠٢
٨٦	٢/ ١٥٣
٨٩	١/ ٢٢٦
٩٤	٢/ ٤١٧
٩٥	١/ ٤٨٢

سورة الأنفال

سورة التوبة

سورة يونس

سورة يوسف

سورة إبراهيم

٤	٥/ ٤٣٣
٦	١/ ١٤٠
٩	٣/ ٦٨٤، ٦٨٤
١٥	٤/ ١٧٦
١٦	٦/ ٥٤٢
١٧	٤/ ٤٢١، ٥٢٣، ٥/ ٢٣٦، ٣٠٣، ٦/ ٧١، ٥٢٤
١٨	٥/ ٣٦١
٢١	١/ ٥٢، ٦/ ٧٥٣
٢٢	١/ ٤٥٤، ٦٢٠، ٥/ ١٦٧
٢٥	١/ ٦٠٠
٣٤	٤/ ٦٦٤، ٥/ ٦٨٥
٣٥	٢/ ٣٥١
[illegible]	١/ ٩٦، ٣/ ٣٩٩، ٥/ ٦٦١
[illegible]	٣/ ٦٢٩، ٧/ ٦١
[illegible]	٣/ ٦٦٠
[illegible]	٣/ ٧١٩، ٥/ ٨٤، ٦/ ٣١٩
[illegible]	٢/ ٣٨٦، ٣٨٧
[illegible]	٦/ ٥٩١

سورة الحجر

١	٥/ ٤٦٣
٣	٣/ ٦٥، ٣/ ٣١٤
٤	٤/ ٤٦٥
٦	٧/ ٢٠١، ٣٤٠
٩	٧/ ١٧٥
١٢	٦/ ٢٨٩
١٥	٢/ ٣٦٢
١٧	٥/ ٢٤
٢٥	٤/ ٢١٩
٢٦	١/ ٥٨٦
٢٧	١/ ١٠٩، ٥/ ٤١٦
٣٠	١/ ١١٣، ٤٢٨، ٥/ ٦٦٢
٣٢	١/ ٥٤٩
[illegible]	٧/ ٢٩٩
[illegible]	٣/ ١٦٩
[illegible]	٤/ ٦٦٩
[illegible]	٤/ ٤٦٥، ٦/ ٣٦٨
[illegible]	٢/ ١٠٥
[illegible]	١/ ١٧٩



١١٣	٢/١٢١
١١٦	٧/٢٠٠
١٢٠	٢/٣٨٣، ٦١٥، ٥/٢١٦
١٢٢	١/٣١٤
١٢٦	١/٦٩

سورة الإسراء

١	٣/٤٣٩، ٥/١٢٦
٣	٦/١٧٠
٤	٥/٣٥٥
٧	٢/٥٥٧، ٥/٨٣، ٧/١٦٣، ٢٥٢
١١	٦/٤٣٣
١٣	٢/٢٥١
١٤	٤/٣٥٨
١٨	٢/٢٠٣، ٦/٤٢٩
١٩	٦/١١٠
٢٧	٢/٣٥٤
٢٩	٦/١٠١
٣٢	٤/٣٥
٣٤	٦/٤٧٩
٣٧	٥/٤٤٠



٤٠	٦/٤٦٥
٤٤	١/١٩٣، ٢/١٢٥، ٤/١٣٠، ٥/٣٠٧، ٦/٩٢١
٤٥	٤/٤٢٨
٤٧	٢/٢٢٥، ٤٧٩، ٧/١٨
٥٣	١/١٦٢
٥٨	٤/٣٩١
٥٩	٣/٣٨، ٤/١٤٥، ٥/٤٧٠، ٦/٣٨٧
٦١	١/١١٥
٦٥	٤/٣٩٦
٧٢	٥/١٥٨
٧٤	٦/٤٥٢، ٧/٢٠٣
٧٧	٦/٩٣
٧٨	٣/٧٢٦، ٧/٣٢٩، ٣٣١
٧٩	١/١٧، ٧/٣١٤، ٣٣٠، ٣٣١
٨٠	٣/٦٦٩
٨١	١/٢٩١
٨٢	٤/٤٢١
٨[illegible]	٥/١٠٩، ٦/٧٣٦
٨[illegible]	١/٣٣٨
٨[illegible]	٤/١٢١، ٥٥١، ٦/٤٥٣

سورة النور

سورة الفرقان

سورة الشعراء

سورة العنكبوت

سورة ص

سورة فصلت

سورة الشورى

سورة الزخرف

سورة الفتح

سورة الحجرات

سورة ق

٢٤	٢/ ٦٤٠
٣٠	٦/ ٩٣١
٣٦	٣/ ٢٠٤
٣٧	٥/ ٤٥٨، ٧/ ٢٣٤
٤٠	٢/ ٧٣
٣٨-٣٩	٣/ ٢٠٣
٤٣	٥/ ٢٣٦
٤٥	٤/ ٦٤٠

سورة الذاريات

٥-٦	٤/ ٦١٦
١٠	٧/ ٣٤٣
١٣	٧/ ٣٤٨
١٤	٦/ ١٦٦
٢٩	٦/ ٣٨٧
٤٨	٦/ ٢٥٦
٥٦	١/ ٨٣، ٤/ ٧١٩

سورة الطور

١	٢/ ٢٧٨
٢٠	٦/ ٨٨٣
٢٤	٦/ ١٦١
٣٠	٧/ ١٩٤
٣٤	١/ ٨٧
٤١	٥/ ٤٧٩
٤٤	٥/ ٣٠٩، ٤٤٩

سورة النجم

١	٢/ ٢٧٨
٦	٦/ ٨١٢
١٩	٥/ ١٦٤، ٦/ ١٩٧، ٣٠١
٢١	٦/ ٧٩٧
٢٢	٦/ ٤٦٥
٣١	٤/ ٢٤٠
٣٢	٤/ ٦٢
٣٧	١/ ٢٩٨
٣٩	٧/ ١١١
٥٣	٦/ ٧٨٤، ٨٠١
٥٩	٦/ ٢٩٢

سورة القمر

١	٦/ ٨٧٧
٢	٥/ ٤٩
٢٠	١/ ١٨٤، ٤/ ١٢٣، ٧/ ٢٣٠

سورة الرحمن

سورة الواقعة

٨٣	٦/ ٢٤٢
٩١	٢/ ٥٥٧، ٤/ ٥٦٣٨
٩٥	٤/ ٢١٠، ٥٣٤، ٦/ ٤٣، ٥٧٥

سورة الحديد

١٢	٣/ ١١٤
١٣	١/ ٧٠، ٧٢، ٢/ ٥١١، ٣/ ١١٤، ١٩٦
١٥	٢/ ١٢٢
١٦	٦/ ٢٩٢
٢٥	٤/ ٢١٦، ٦/ ٤٢٧
٢٨	٥/ ٣٠٧
٢٩	٢/ ٢١٤، ١٦٧، ٦/ ٣٩٩
٥٧	٦/ ٢٧٧

سورة المجادلة

٣	١/ ٤٦٠، ٢/ ٣٠٨
٧	٣/ ٦٠٦
٨	٢/ ٢٦٥
٢١	١/ ٣٨٥، ٢/ ٢٥٣، ٦/ ٢٠١
٢٢	٢/ ٥٣٨

سورة الحشر

٢	١/ ٤٥٢، ٧/ ١٣٨
٣	١/ ٣٨٥
٧	٢/ ١٩٢، ٣/ ١٥٩
١٤	٢/ ٦٤١، ٥/ ٤٢٢
٢٠	٦/ ٨٤
٢١	١/ ١٩١، ٥/ ٧٩٨، ٦/ ٢٩٣
٢٣	٤/ ٤٦٦

سورة الممتحنة

٤	٤/ ٥٩٦
٨	١/ ٦١١، ٤/ ٥٩٦
١٢	٤/ ٥٨٢

سورة الصف

٤	٧/ ٩٣
٥	٣/ ٢٧٠، ٥٥١
٨	٢/ ٣٣٢
[illegible]	٧/ ٩٣
[illegible]	٦/ ٩٢٢

سورة الجمعة

٢	٢/ ٢٣٢
٥	٢/ ٩٤
٩	١/ ٤٩٣، ٤/ ٦٤٧، ٦/ ٤٥، ١١٠
١٠	١/ ٤٣٣، ٤٣٩، ٢/ ٣٥٣
١١	١/ ١٢٤، ١٣٣، ٣/ ١٣٣، ٤٥٢

سورة المنافقون

١	٣/ ١٤٢، ٦/ ١٢٥
٤	١/ ٧٩
٥	٥/ ١٠٩
٦	١/ ٥٢، ٣/ ٥٠٩
٨	٣/ ٥١٣، ٦١١، ٥/ ٤٠
١٠	٥/ ٢٣٦

سورة التغابن

١٦	٢/ ١٤٧، ٥/ ١٨٤

سورة الطلاق

١	١/ ٥٠٣، ٤/ ٣١٦، ٥/ ٦٥١
٤	١/ ٥٠٣، ٥٢٥، ٢/ ٦٨٧
٧	١/ ٢٨٧، ٤/ ١٤١، ٣٧٢، ٥/ ٣٢٨، ٦٥٤
[illegible]	٤/ ٣٢٧
١٢	٦/ ١٣٧، ٩٩

سورة التحريم

٢	٢/ ٦٦٢
٤	٢/ ٦٠٨، ٤/ ١٢٨، ٤/ ٧١٦، ٥/ ١٠٥، ٦/ ٢٢٩، ٧٠٤
٥	٤/ ٤٦٥
٦	١/ ٢٥٨، ٦/ ٦٤٠
٨	٢/ ٢٦٣، ٦/ ٩٢٨
١٠	٣/ ٦٧٣
١٢	١/ ٢٩٨، ٤/ ٣٩

سورة الملك

٤	٥/ ١٧
٨	١/ ٢٠٦، ٥/ ٣٤٨
١١	٢/ ٣٦٠
١٩	٢/ ٧٠٧
٣٠	١/ ٣٨٠، ٤/ ٢٢، ٥/ ١٩٧

سورة القلم

[illegible]	١/ ٥٩٦
[illegible]	٤/ ٢٣

٩	١/ ٦٠١، ٢/ ٤٣٦، ٧/ ٢٦١
١٠	١/ ٤٩٨، ٥/ ١١٠
١٣	٧/ ٣٤٠
١٦	٣/ ٢٥٣، ٤/ ٤٨٩
٢٨	١/ ٣٢٨
٣٥	٦/ ٥٥٥
٤٣	٢/ ١٥٠، ٦/ ٨١٦
٤٤	٦/ ٢٩٢
٤٨	٤/ ٨٤، ٥/ ٦١

سورة الحاقة

١ـ٢	٦/ ٧٨٤، ٨٨٠
٥	١/ ٧٠
٦	٦/ ٣٨٧
٧	١/ ١٨٤، ٤/ ١٢٣، ٦/ ٨٢٣
٨	٦/ ٥١
١١	١/ ١٣٩، ٦/ ٨٥٣، ٧/ ٢٢٨
١٧	١/ ١٠٥
٢٠	١/ ١٣٤
٢١	١/ ٥٥١، ٢/ ٧٠٩، ٤/ ٢١٨، ٥/ ٤٧٠، ٥٦٨، ٦/ ٧٢٢، ٨٥٠
٢٦	٢/ ٣٥٦
٣٦	٤/ ٤٤٥
٤٤ـ٤٦	٤/ ٤٠٩
٤٧	١/ ٦٤٤، ٢/ ٥١٧، ٥/ ١٠، ٢٧٧، ٣٥٢

سورة المعارج

١	٥/ ٣٨٩
٤	٥/ ٧٠١، ٥/ ٧٠٢، ٧/ ٢٥٤
٨	٤/ ٤٧٨
١٠	٣/ ٥٩٦، ٥/ ٣٨١، ٧/ ٧١، ١٦٨
١١	٢/ ٣٥٩، ٥/ ٣٨١، ٦/ ٧٢٩
١٥	٦/ ٨٣٣
١٧	٢/ ٢٦٥
٢٣	٧/ ٢٦٣
٢٩ـ٣٠	٥/ ٧٧

سورة نوح

١	١/ ١٧٩، ٦/ ٦٨١
٤	٥/ ٥٩٦، ٦/ ٤٠، ٨٦٤
٦	١/ ٦٤
١٠ـ١٢	٣/ ٢٣٢
١٣	١/ ٥٤٩، ٢/ ٤٦٩، ٦/ ٥٤٤

سورة الجن

سورة المزمل

سورة المدثر

سورة القيامة

سورة الإنسان

سورة المرسلات

سورة النبأ

سورة النازعات

سورة عبس

سورة الزلزلة

١ ٥/ ٩٥، ٧/ ٢٣٦

٢ ٦/ ٨٥٧

٥ ٢/ ٢٦٥، ٤/ ٣٥٠، ٦/ ٣٨١، ٧/ ١٥

٧ ٢/ ٣٥٥، ٣/ ٥٠٦

سورة العاديات

١ ٧/ ١٩٨

٨ ١/ ٢٨٩، ٣٩٠، ٦/ ٢٤٢، ٢/ ٩٩

١١ ١/ ٢٣، ٢/ ٩٩

سورة القارعة

١-٢ ٦/ ٨٨٠

٤ ١/ ٣٦١

سورة العصر

٢ ٣/ ٢٠٩، ٦/ ٤٤٩، ٧/ ١٦٧

٣ ٦/ ٤٤٩

سورة الهمزة

١ ٥/ ٢٣٤

سورة قريش

٥/ ٢١٦

سورة الماعون

٢ ٦/ ٧٥٢

سورة الكافرون

٣ ٦/ ٢٨٠

٦ ٦/ ٣٦

سورة النصر

٣ ٦/ ٦٣٣

سورة المسد

١ ٦/ ٣٥٤

سورة الإخلاص

١ ٤/ ٤٨٦

٢/ ١٤

سورة الناس

٣/ ١٨١

٥/ ٢٠٣

* * *

فهرس الآيات
التي ذُكرت فيها وجوه القراءات المتواترات

الآية	القراءة المتواترة	ج/ص
٩٣	﴿يَأۡمُرُكُم﴾	١/ ٣١٠
٩٦	﴿يَعۡمَلُونَ﴾	١/ ٢٤١
٩٧	﴿لِّجِبۡرِيلَ﴾	١/ ٢٤٣
٩٧	﴿وَمِيكَىٰلَ﴾	١/ ٢٤٣
١٠٢	﴿وَلَٰكِنَّ﴾	١/ ٢٥١
١٠٢	﴿ٱلۡمَلَكَيۡنِ﴾	١/ ٢٥٥
١٠٢	﴿بِبَابِلَ﴾	١/ ٢٥٩
١٠٦	﴿نُنسِهَا﴾	١/ ٢٦٨
١٠٦	﴿مَا نَنسَخۡ﴾	١/ ٢٦٧
١٢٥	﴿وَٱتَّخِذُواْ﴾	١/ ٣٠١
١٢٦	﴿فَأُمَتِّعُهُۥ﴾	١/ ٣٠٧
١٢٨	﴿وَأَرِنَا﴾	١/ ٣١٠
١٣٢	﴿وَوَصَّىٰ﴾	١/ ٣١٥
١٤٠	﴿تَقُولُونَ﴾	١/ ٣٢٤
١٤٣	﴿لَرَءُوفٌ﴾	١/ ٣٣٢
١٤٨	﴿هُوَ مُوَلِّيهَا﴾	١/ ٣٣٩
١٥٨	﴿وَمَن تَطَوَّعَ﴾	١/ ٣٥٤
[illegible]	﴿وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾	١/ ٣٦٣
١٦٥	﴿وَلَوۡ يَرَى﴾	١/ ٣٦٦
١٦٥	﴿أَنَّ ٱلۡقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا وَأَنَّ ٱللَّهَ﴾	١/ ٣٦٦

الآية	القراءة المتواترة	ج/ص
١٦٥	﴿إِذۡ يَرَوۡنَ﴾	١/ ٣٦٦
١٦٨	﴿خُطُوَٰتِ﴾	١/ ٣٧٠
١٧٣	﴿حَرَّمَ﴾	١/ ٣٧٥
١٧٧	﴿لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ﴾	١/ ٣٨٠
١٧٧	﴿وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ﴾	١/ ٣٨٤
١٨٢	﴿مُّوصٖ﴾	١/ ٣٩٢
١٨٤	﴿فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖ﴾	١/ ٣٩٧
١٨٥	﴿وَلِتُكۡمِلُواْ﴾	١/ ٤٠٥
١٨٩	﴿ٱلۡبُيُوتَ﴾	١/ ٤١٧
١٩١	﴿وَلَا تُقَٰتِلُوهُمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِيهِۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمۡ﴾	١/ ٤١٩
١٩٧	﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ﴾	١/ ٤٣١
٢١٠	﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾	١/ ٤٥٣
٢١٠	﴿تُرۡجَعُ﴾	١/ ٤٥٤
٢١٤	﴿يَقُولَ﴾	١/ ٤٦٢
[illegible]	﴿إِثۡمٞ كَبِيرٞ﴾	١/ ٤٨٢
[illegible]	﴿ٱلۡعَفۡوَ﴾	١/ ٤٨٣
[illegible]	﴿يَطۡهُرۡنَ﴾	١/ ٤٩٢

سورة آل عمران

الآية	القراءة المتواترة	ج/ص
١٥	﴿وَرِضْوَانٌ﴾	٢/٣١
١٩	﴿إِنَّ﴾	٢/٣٥
٢٠	﴿وَجْهِيَ﴾	٢/٣٧
٢٠	﴿وَمَنِ اتَّبَعَنِ﴾	٢/٣٧
٢١	﴿وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ﴾	٢/٣٩
٢٣	﴿الْمَيِّتِ﴾	٢/٤٧
٣٦	﴿وَضَعَتْ﴾	٢/٥٨
٣٧	﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾	٢/٦٠
٣٩	﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ﴾	٢/٦٣
٣٩	﴿إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ﴾	٢/٦٤
٤٠	﴿وَنَبِيًّا﴾	٢/٦٧
٤٨	﴿وَيُعَلِّمُهُ﴾	٢/٧٩
٤٩	﴿أَنِّي﴾	٢/٨٠
٤٩	﴿طَيْرًا﴾	٢/٨٠
٥٧	﴿فَيُوَفِّيهِمْ﴾	٢/٩٢
٦٥	﴿هَا أَنْتُمْ﴾	٢/١٠١
٧٣	﴿أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ﴾	٢/١٠٨
٧٥	﴿يُؤَدِّهِ﴾	٢/١١١
٧٩	﴿تُعَلِّمُونَ﴾	٢/١١٨
٨٠	﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ﴾	٢/١١٩
٨١	﴿لَمَا آتَيْتُكُمْ﴾	٢/١٢٠
٨٣	﴿يَبْغُونَ﴾	٢/١٢٣
٨٣	﴿يُرْجَعُونَ﴾	٢/١٢٣
٩٧	﴿حِجُّ الْبَيْتِ﴾	٢/١٤١
١١٥	﴿يَفْعَلُوا﴾	٢/١٦٣
١١٥	﴿يُكْفَرُوهُ﴾	٢/١٦٣
١٢٠	﴿لَا يَضُرُّكُمْ﴾	٢/١٧٠
١٢٥	﴿مُسَوِّمِينَ﴾	٢/١٧٦
١٣٣	﴿وَسَارِعُوا﴾	٢/١٨٢
١٤٠	﴿قَرْحٌ﴾	٢/١٩١
١٤٦	﴿وَكَأَيِّن﴾	٢/٢٠٤
١٤٦	﴿قَتَلَ﴾	٢/٢٠٥
١٥١	﴿الرُّعُبَ﴾	٢/٢٠٨
١٥٤	﴿كُلَّهُ﴾	٢/٢١٧
١٥٤	﴿يَغْشَى﴾	٢/٢١٧
١٥٦	﴿تَعْمَلُونَ﴾	٢/٢٢٣
١٥٨	﴿يَجْمَعُونَ﴾	٢/٢٢٤
١٥٨	﴿مُتُّمْ﴾	٢/٢٢٤
١٦١	﴿يَغُلَّ﴾	٢/٢٢٨
١٦٢	﴿رِضْوَانَ اللَّهِ﴾	٢/٢٣١

الآية	القراءة المتواترة	ج/ص
٦٦	﴿إِلَّا قَلِيلٌ﴾	٢/ ٤٠٣
٦٦	﴿أَنِ اقْتُلُوا﴾	٢/ ٤٠٤
٧٣	﴿تَكُنْ﴾	٢/ ٤١٠
٧٧	﴿تُظْلَمُونَ﴾	٢/ ٤١٦
٨١	﴿بَيَّتَ طَآئِفَةٌ﴾	٢/ ٤٢١
٩٤	﴿فَتَبَيَّنُوا﴾	٢/ ٤٥٢
٩٤	﴿السَّلَمَ﴾	٢/ ٤٥٢
٩٥	﴿غَيْرُ﴾	٢/ ٤٥٤
١٢٤	﴿يَدْخُلُونَ﴾	٢/ ٤٨٩
١٢٨	﴿يُصْلِحَا﴾	٢/ ٤٩٩
١٣٥	﴿وَإِن تَلْوُا أَوْ تُعْرِضُوا﴾	٢/ ٥٠٥
١٣٦	﴿نَزَّلَ﴾	٢/ ٥٠٦
١٣٦	﴿أَنزَلَ﴾	٢/ ٥٠٦
١٤٥	﴿الدَّرْكِ﴾	٢/ ٥١٣
١٥٢	﴿يُؤْتِيهِمْ﴾	٢/ ٥١٨
١٥٣	﴿تُنَزِّلَ﴾	٢/ ٥١٨
١٦٢	﴿سَنُؤْتِيهِمْ﴾	٢/ ٥٣٠
١٦٣	﴿زَبُورًا﴾	٢/ ٥٣١

الآية	القراءة المتواترة	ج/ص
	سورة المائدة	
٢	﴿أَن صَدُّوكُمْ﴾	٢/ ٥٥٣
٦	﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾	٢/ ٥٧١
١٣	﴿قَسِيَّةً﴾	٢/ ٥٧٩
٤٥	﴿النَّفْسَ بِالنَّفْسِ ....﴾	٢/ ٦١٨
٤٧	﴿وَلْيَحْكُمْ﴾	٢/ ٦٢٠
٥٠	﴿يَبْغُونَ﴾	٢/ ٦٢٤
٥٣	﴿وَيَقُولُ﴾	٢/ ٦٢٦
٥٤	﴿يَرْتَدَّ﴾	٢/ ٦٢٨
٥٧	﴿وَالْكُفَّارَ﴾	٢/ ٦٣٣
٦٧	﴿رِسَالَتَهُ﴾	٢/ ٦٤٥
٧١	﴿أَلَّا تَكُونَ﴾	٢/ ٦٥٠
٨٩	﴿عَقَّدتُّمُ﴾	٢/ ٦٦٥
٩٥	﴿فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ﴾	٢/ ٦٧٥
٩٥	﴿أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ﴾	٢/ ٦٧٥
٩٧	﴿قِيَمًا﴾	٢/ ٦٧٩
١٠٧	﴿اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيَانِ﴾	٢/ ٧٠٣
١١٠	﴿طَيْرًا﴾	٢/ ٧٠٦
١١٠	﴿سِحْرٌ﴾	٢/ ٧٠٧

الآية	القراءة المتواترة	ج/ ص
١١٢	﴿هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ﴾	٢/ ٧٠٩
١١٥	﴿مُنَزِّلُهَا﴾	٢/ ٧١٠
١١٩	﴿يَوۡمُ﴾	٢/ ٧١٥

سورة الأنعام

الآية	القراءة المتواترة	ج/ ص
١٦	﴿مَّن يُصۡرَفۡ عَنۡهُ﴾	٣/ ٢١
٢٣	﴿تَكُن﴾	٣/ ٢٥
٢٣	﴿رَبِّنَا﴾	٣/ ٢٥
٢٧	﴿وَلَا نُكَذِّبَ ... وَنَكُونَ﴾	٣/ ٣٠
٣٢	﴿وَلَلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ﴾	٣/ ٣٥
٣٢	﴿تَعۡقِلُونَ﴾	٣/ ٣٦
٣٣	﴿لَيَحۡزُنُكَ﴾	٣/ ٣٧
٣٣	﴿لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾	٣/ ٣٧
٥٢	﴿بِٱلۡغَدَوٰةِ﴾	٣/ ٥٠
٥٤	﴿أَنَّهُۥ ... فَأَنَّهُۥ﴾	٣/ ٥٣
٥٥	﴿وَلِتَسۡتَبِينَ سَبِيلُ﴾	٣/ ٥٤
٥٧	﴿يَقُصُّ ٱلۡحَقَّ﴾	٣/ ٥٥
٦٣	﴿يُنَجِّيكُم﴾	٣/ ٥٨
٦٣	﴿وَخُفۡيَةً﴾	٣/ ٥٨
٦٣	﴿أَنجَىٰنَا﴾	٣/ ٥٩

الآية	القراءة المتواترة	ج/ ص
٦٨	﴿يُنسِيَنَّكَ﴾	٣/ ٦٢
٧٣	﴿كَٱلَّذِي ٱسۡتَهۡوَتۡهُ﴾	٣/ ٦٦
٧٤	﴿ءَازَرَ﴾	٣/ ٦٩
٨٠	﴿أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي﴾	٣/ ٧٤
٨٣	﴿دَرَجَٰتٍ﴾	٣/ ٧٦
٨٦	﴿وَٱلۡيَسَعَ﴾	٣/ ٧٨
٩٠	﴿ٱقۡتَدِهۡ﴾	٣/ ٨٠
٩١	﴿تَجۡعَلُونَهُۥ﴾	٣/ ٨١
٩٢	﴿وَلِتُنذِرَ﴾	٣/ ٨٣
٩٤	﴿بَيۡنَكُمۡ﴾	٣/ ٨٧
٩٤	﴿وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنًا﴾	٣/ ٨٨
٩٨	﴿فَمُسۡتَقَرٌّ﴾	٣/ ٩٠
٩٩	﴿ثَمَرِهِۦٓ﴾	٣/ ٩٣
١٠٠	﴿وَخَرَقُواْ﴾	٣/ ٩٤
١٠٥	﴿دَرَسۡتَ﴾	٣/ ٩٩
١٠٨	﴿أَنَّهَآ﴾	٣/ ١٠٢
١٠٩	﴿يُؤۡمِنُونَ﴾	٣/ ١٠٣
١١١	﴿قُبُلًا﴾	٣/ ١٠٥
١١٥	﴿كَلِمَٰتُ رَبِّكَ﴾	٣/ ١٠٩
١١٩	﴿فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيۡكُمۡ﴾	٣/ ١١٠

الآية	القراءة المتواترة	ج/ص
١١٩	﴿لَيُضِلُّونَ﴾	٣/١١١
١٢٢	﴿مَيْتًا﴾	٣/١١٤
١٢٥	﴿ضَيِّقًا﴾	٣/١١٧
١٢٥	﴿حَرَجًا﴾	٣/١١٧
١٢٥	﴿يَصَّعَّدُ﴾	٣/١١٨
١٣٢	﴿يَعْمَلُونَ﴾	٣/١٢٤
١٣٥	﴿مَكَانَتِكُمْ﴾	٣/١٢٥
١٣٥	﴿تَكُونُ﴾	٣/١٢٥
١٣٧	﴿زَيَّنَ﴾	٣/١٢٧
١٣٧	﴿قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ﴾	٣/١٢٧
١٣٩	﴿وَإِن يَكُن مَّيْتَةً﴾	٣/١٣١
١٤٠	﴿قَتَلُوا﴾	٣/١٣٢
١٤٣	﴿الْمَعْزِ﴾	٣/١٣٥
١٤٥	﴿يَكُونَ مَيْتَةً﴾	٣/١٣٧
١٥٢	﴿تَذَكَّرُونَ﴾	٣/١٤٧
١٥٣	﴿وَأَنَّ هَٰذَا﴾	٣/١٤٨
١٥٩	﴿فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾	٣/١٥١
١٦١	﴿قِيَمًا﴾	٣/١٥٣

سورة الأعراف

الآية	القراءة المتواترة	ج/ص
٣	﴿تَذَكَّرُونَ﴾	٣/١٥٩
٢٥	﴿تُخْرَجُونَ﴾	٣/١٧٨
٢٦	﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ﴾	٣/١٧٩
٣٢	﴿خَالِصَةً﴾	٣/١٨٥
٤٠	﴿تُفَتَّحُ﴾	٣/١٩١
٤٣	﴿أُورِثْتُمُوهَا﴾	٣/١٩٥
٤٤	﴿أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ﴾	٣/١٩٥
٥٤	﴿يُغْشِي﴾	٣/٢٠٥
٥٤	﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾	٣/٢٠٦
٥٧	﴿الرِّيحَ بُشْرًا﴾	٣/٢٠٩
٥٨	﴿نَكِدًا﴾	٣/٢١١
٥٩	﴿غَيْرُهُ﴾	٣/٢١٢، ٦٠٧
٦٢	﴿أُبَلِّغُكُمْ﴾	٣/٢١٣
٨١	﴿إِنَّكُمْ﴾	٣/٢٢٤
٩٨	﴿أَوَأَمِنَ﴾	٣/٢٣٣
١٠٥	﴿حَقِيقٌ عَلَىٰ أَن لَّا أَقُولَ﴾	٣/٢٣٧
١١١	﴿أَرْجِهْ﴾	٣/٢٣٨
١١٢	﴿سَاحِرٍ﴾	٣/٢٤٠

سورة الأنفال

سورة التوبة

الآية	القراءة المتواترة	ج/ص
١٢	﴿أَيْمَنَ﴾	٣/٤٢٤
١٧	﴿مَسَٰجِدَ﴾	٣/٤٢٩
٢٤	﴿وَعَشِيرَتُكُمْ﴾	٣/٤٣٣
٣٠	﴿عُزَيْرٌ﴾	٣/٤٤٥
٣١	﴿يُضَٰهِـُٔونَ﴾	٣/٤٤٧
٣٦	﴿عَشَرَ﴾	٣/٤٥٤
٣٧	﴿يُضَلُّ﴾	٣/٤٥٩
٣٧	﴿ٱلنَّسِىٓءُ﴾	٣/٤٥٧
٤٠	﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ﴾	٣/٤٦٥
٥٤	﴿تُقْبَلَ﴾	٣/٤٧٧
٦١	﴿أُذُنٌ﴾	٣/٤٨٧
٦١	﴿وَرَحْمَةٌ﴾	٣/٤٨٧
٦٦	﴿إِن نَّعْفُ﴾	٣/٤٩٤
٦٦	﴿نُعَذِّبْ طَآئِفَةً﴾	٣/٤٩٤
٩٠	﴿ٱلْمُعَذِّرُونَ﴾	٣/٥١٥
٩٨	﴿ٱلسَّوْءِ﴾	٣/٥٢٢
٩٩	﴿قُرُبَٰتٍ﴾	٣/٥٢٢
١٠٠	﴿وَٱلْأَنصَارِ﴾	٣/٥٢٤
١٠٣	﴿إِنَّ صَلَوٰتَكَ﴾	٣/٥٢٩
١٠٩	﴿أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ﴾	٣/٥٣٦
١٠٩	﴿جُرُفٍ﴾	٣/٥٣٧
١١٠	﴿تَقَطَّعَ﴾	٣/٥٣٨
١١١	﴿فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾	٣/٥٤٠
١٢٦	﴿يَرَوْنَ﴾	٣/٥٥٦
١٢٩	﴿ٱلْعَظِيمِ﴾	٣/٥٥٨

سورة يونس

الآية	القراءة المتواترة	ج/ص
١	﴿الٓر﴾	٣/٥٦١
٢	﴿لَسَٰحِرٌ﴾	٣/٥٦٤
٤	﴿إِنَّهُۥ﴾	٣/٥٦٦
٥	﴿يُفَصِّلُ﴾	٣/٥٦٧
١٦	﴿وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ﴾	٣/٥٧٥
١٨	﴿تُشْرِكُونَ﴾	٣/٥٧٧
٢٣	﴿مَّتَٰعَ﴾	٣/٥٨١
٢٧	﴿قِطَعًا﴾	٣/٥٨٦
[illegible]	﴿تَبْلُوا۟﴾	٣/٥٨٨
[illegible]	﴿فَلْيَفْرَحُوا۟﴾	٣/٦٠٣
[illegible]	﴿وَمَا يَعْزُبُ﴾	٣/٦٠٦

الآية	القراءة المتواترة	ج/ص
٦١	﴿وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ﴾	٣/ ٦٠٧
٧١	﴿وَشُرَكَآءَكُمۡ﴾	٣/ ٦١٤
٧١	﴿فَأَجۡمِعُوٓاْ﴾	٣/ ٦١٤
٨١	﴿ٱلسِّحۡرُ﴾	٣/ ٦١٩
٨٨	﴿لِيُضِلُّواْ﴾	٣/ ٦٢٣
٨٩	﴿تَتَّبِعَآنِّ﴾	٣/ ٦٢٥
٩٠	﴿أَنَّهُۥ﴾	٣/ ٦٢٦

سورة هود

الآية	القراءة المتواترة	ج/ص
٢٥	﴿إِنِّي لَكُمۡ﴾	٣/ ٦٥٧
٢٧	﴿بَادِيَ ٱلرَّأۡيِ﴾	٣/ ٦٥٩
٢٨	﴿فَعُمِّيَتۡ﴾	٣/ ٦٦٠
٤٠	﴿مِن كُلٍّ﴾	٣/ ٦٦٨
٤١	﴿مَجۡرٜىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآ﴾	٣/ ٦٦٩
٤٢	﴿يَٰبُنَيَّ﴾	٣/ ٦٦٩
٤٦	﴿عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖ﴾	٣/ ٦٧٥
٤٦	﴿فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ﴾	٣/ ٦٧٦
٦٨	﴿أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ﴾	٣/ ٦٨٧
٧١	﴿يَعۡقُوبَ﴾	٣/ ٦٩٢
٨١	﴿فَأَسۡرِ﴾	٣/ ٧٠٠
٨١	﴿إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَ﴾	٣/ ٧٠٠
٨٧	﴿أَصَلَوٰتُكَ﴾	٣/ ٧٠٧
١٠٥	﴿يَوۡمَ يَأۡتِ﴾	٣/ ٧١٦
١٠٨	﴿سُعِدُواْ﴾	٣/ ٧٢٠
١١١	﴿لَيُوَفِّيَنَّهُمۡ﴾	٣/ ٧٢٣
١١١	﴿وَإِنَّ كُلّٗا﴾	٣/ ٧٢٣
١٢٣	﴿يُرۡجَعُ﴾	٣/ ٧٣٣
١٢٣	﴿تَعۡمَلُونَ﴾	٣/ ٧٣٣

سورة يوسف

الآية	القراءة المتواترة	ج/ص
٤	﴿يَٰٓأَبَتِ﴾	٤/ ١٠
٥	﴿رُءۡيَاكَ﴾	٤/ ١٢
٧	﴿ءَايَٰتٞ﴾	٤/ ١٤
١٠	﴿غَيَٰبَتِ﴾	٤/ ١٦
١٢	﴿يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ﴾	٤/ ١٧
١٣	﴿ٱلذِّئۡبُ﴾	٤/ ٢٠
١٩	﴿يَٰبُشۡرَىٰ﴾	٤/ ٢٤
٢٣	﴿هَيۡتَ﴾	٤/ ٣١
٢٤	﴿ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾	٤/ ٣٦
٣٣	﴿ٱلسِّجۡنُ﴾	٤/ ٤٦

الآية	القراءة المتواترة	ج/ص
٤٩	﴿يَعۡصِرُونَ﴾	٤/٥٩
٦٢	﴿لِفِتۡيَـٰنِهِ﴾	٤/٦٧
٦٣	﴿نَكۡتَلۡ﴾	٤/٦٨
٨٠	﴿ٱسۡتَيۡـَٔسُواْ﴾	٤/٨٠
٩٠	﴿أَءِنَّكَ﴾	٤/٩٠
٩٠	﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ﴾	٤/٩١
١١٠	﴿كُذِبُواْ﴾	٤/١٠٤
١١٠	﴿فَنُجِّيَ﴾	٤/١٠٦

سورة الرعد

الآية	القراءة المتواترة	ج/ص
٤	﴿وَزَرۡعٌ﴾	٤/١١٤
٤	﴿يُسۡقَىٰ﴾	٤/١١٥
٤	﴿وَنُفَضِّلُ﴾	٤/١١٥
٥	﴿أَءِنَّا﴾	٤/١١٦
٩	﴿ٱلۡمُتَعَالِ﴾	٤/١١٩
١٦	﴿تَسۡتَوِي﴾	٤/١٣٢
١٧	﴿يُوقِدُونَ﴾	٤/١٣٥
٣٣	﴿وَصُدُّواْ﴾	٤/١٥١
٣٣	﴿هَادٍ﴾	٤/١٥١
٣٩	﴿وَيُثۡبِتُ﴾	٤/١٥٦
٤٢	﴿ٱلۡكُفَّـٰرُ﴾	٤/١٥٨

سورة إبراهيم

الآية	القراءة المتواترة	ج/ص
٢	﴿ٱللَّهِ﴾	٤/١٦٤
١٩	﴿خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾	٤/١٧٧
٢٢	﴿بِمُصۡرِخِيَّ﴾	٤/١٨٠
٣٠	﴿لِيُضِلُّواْ﴾	٤/١٨٧
٤٦	﴿لِتَزُولَ﴾	٤/١٩٧

سورة الحجر

الآية	القراءة المتواترة	ج/ص
٢	﴿رُّبَمَا﴾	٤/٢٠٦
٨	﴿نُنَزِّلُ ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةَ﴾	٤/٢٠٩
١٥	﴿سُكِّرَتۡ﴾	٤/٢١١
٤٠	﴿ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾	٤/٢٢٦
٥٤	﴿تُبَشِّرُونَ﴾	٤/٢٣١
٥٦	﴿وَمَن يَقۡنَطُ﴾	٤/٢٣٢
٦٠	﴿قَدَّرۡنَآ﴾	٤/٢٣٣

سورة النحل

الآية	القراءة المتواترة	ج/ص
٢	﴿يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةَ﴾	٤/٢٥٤
٧	﴿بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِ﴾	٤/٢٥٧
١١	﴿يُنۢبِتُ﴾	٤/٢٦٠

الآية	القراءة المتواترة	ج/ص
١٢	﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ﴾	٤/ ٢٦١
٢٠	﴿يَدْعُونَ﴾	٤/ ٢٦٥
٢٧	﴿تُشَاقُّونِ﴾	٤/ ٢٧٠
٣٧	﴿يَهْدِي﴾	٤/ ٢٧٥
٤٠	﴿فَيَكُونُ﴾	٤/ ٢٧٧
٤٣	﴿نُوحِي﴾	٤/ ٢٧٩
٤٨	﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾	٤/ ٢٨١
٦٢	﴿مُفْرَطُونَ﴾	٤/ ٢٨٩
٦٦	﴿نُسْقِيكُمْ﴾	٤/ ٢٩١
٦٨	﴿يَعْرِشُونَ﴾	٤/ ٢٩٣
٧١	﴿يَجْحَدُونَ﴾	٤/ ٢٩٦
٨٠	﴿ظَعَنِكُمْ﴾	٤/ ٣٠٣
٩٦	﴿بَاقٍ﴾	٤/ ٣١٤
١٠٣	﴿يُلْحِدُونَ﴾	٤/ ٣١٩
١١٠	﴿فُتِنُوا﴾	٤/ ٣٢٤
١٢٧	﴿ضَيْقٍ﴾	٤/ ٣٣٧
	سورة الإسراء	
٢	﴿أَلَّا تَتَّخِذُوا﴾	٤/ ٣٤٧
٧	﴿لِيَسُوءُوا﴾	٤/ ٣٥١

الآية	القراءة المتواترة	ج/ص
١٣	﴿وَنُخْرِجُ﴾	٤/ ٣٥٩
١٣	﴿يَلْقَاهُ﴾	٤/ ٣٥٩
١٦	﴿أَمَرْنَا﴾	٤/ ٣٦١
٢٣	﴿يَبْلُغَنَّ﴾	٤/ ٣٦٥
٣١	﴿خِطْئًا﴾	٤/ ٣٧٣
٣٣	﴿فَلَا يُسْرِفْ﴾	٤/ ٣٧٤
٣٨	﴿سَيِّئُهُ﴾	٤/ ٣٧٨
٤١	﴿لِيَذَّكَّرُوا﴾	٤/ ٣٧٩
٤٢	﴿كَمَا يَقُولُونَ﴾	٤/ ٣٨٠
٦٤	﴿وَرَجِلِكَ﴾	٤/ ٣٩٨
٦٩	﴿فَيُغْرِقَكُم﴾	٤/ ٤٠١
٦٩	﴿يَخْسِفَ﴾	٤/ ٤٠١
٦٩	﴿يُرْسِلَ﴾	٤/ ٤٠١
٦٩	﴿يُعِيدَكُمْ﴾	٤/ ٤٠١
٧٦	﴿خِلَافَكَ﴾	٤/ ٤١٠
٨٣	﴿وَنَآءَ بِجَانِبِهِ﴾	٤/ ٤١٧
٩٠	﴿تَفْجُرَ﴾	٤/ ٤٢٤
٩٢	﴿كِسْفًا﴾	٤/ ٤٢٥
٩٣	﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي﴾	٤/ ٤٢٦
١٠٢	﴿عَلِمْتَ﴾	٤/ ٤٣٢

الآية	القراءة المتواترة	ج/ص
٨٧	﴿حُمِلْنَآ﴾	٤/ ٦٩٢
٩٤	﴿يَبْنَؤُمَّ﴾	٤/ ٦٩٥
٩٦	﴿يَبْصُرُواْ﴾	٤/ ٦٩٧
٩٧	﴿لَّن تُخْلَفَهُۥ﴾	٤/ ٦٩٩
٩٧	﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ﴾	٤/ ٧٠٠
١٠٢	﴿يُنفَخُ﴾	٤/ ٧٠٢
١١٢	﴿فَلَا يَخَافُ﴾	٤/ ٧٠٦
١١٤	﴿وَحْيُهُۥ﴾	٤/ ٧٠٨
١١٩	﴿وَأَنَّكَ﴾	٤/ ٧١١
١٣٠	﴿تَرْضَىٰ﴾	٤/ ٧١٦
١٣١	﴿زَهْرَةَ﴾	٤/ ٧١٨
١٣٣	﴿تَأْتِهِم﴾	٤/ ٧١٩

سورة الأنبياء

الآية	القراءة المتواترة	ج/ص
٤	﴿ قَالَ رَبِّي﴾	٥/ ٩
٧	﴿نُّوحِيٓ﴾	٢/ ٣٩، ٥/ ١١
٣٠	﴿أَوَلَمْ يَرَ﴾	٥/ ٢٣
٣٤	﴿مِّتَّ﴾	٥/ ٢٦
٣٥	﴿تُرْجَعُونَ﴾	٥/ ٢٧
٤٥	﴿وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ﴾	٥/ ٣٢
٤٧	﴿مِثْقَالَ حَبَّةٍ﴾	٥/ ٣٤
٥٨	﴿جُذَٰذًا﴾	٥/ ٣٩
٨٠	﴿لِنُحْصِنَكُم﴾	٥/ ٥٤
٨١	﴿ٱلرِّيحَ﴾	٥/ ٥٤
٨٨	﴿نُۨجِي﴾	٥/ ٦٧
٩٥	﴿فُتِحَتْ﴾	٥/ ٧٥
١٠٤	﴿لِلْكُتُبِ﴾	٥/ ٨٣
١٠٥	﴿ٱلزَّبُورِ﴾	٥/ ٨٤
١٠٥	﴿عِبَادِيَ﴾	٥/ ٨٦
١١٢	﴿قَٰلَ﴾	٥/ ٩٠
١١٢	﴿تَصِفُونَ﴾	٥/ ٩١

سورة الحج

الآية	القراءة المتواترة	ج/ص
٢	﴿سُكَٰرَىٰ﴾	٥/ ٩٩
٩	﴿لِيُضِلَّ﴾	٥/ ١٠٩
١٥	﴿لْيَقْطَعْ﴾	٥/ ١١٧
٢٣	﴿وَلُؤْلُؤًا﴾	٥/ ١٢٤
٢٥	﴿سَوَآءً﴾	٥/ ١٢٧
٢٥	﴿وَٱلْبَادِ﴾	٥/ ١٢٧
٣١	﴿فَتَخْطَفُهُ﴾	٥/ ١٤٠

سورة الفرقان

الآية	القراءة المتواترة	ج/ص
٢٣	﴿يَصْدِرَ﴾	٥/٥٤٤
٢٩	﴿جَذْوَةٍ﴾	٥/٥٥٠
٣٢	﴿الرَّهْبِ﴾	٥/٥٥٢
٣٢	﴿فَذَانِكَ﴾	٥/٥٥٣
٣٤	﴿رِدْءًا﴾	٥/٥٥٤
٣٤	﴿يُصَدِّقُنِيَ﴾	٥/٥٥٤
٣٩	﴿يُرْجَعُونَ﴾	٥/٥٥٦
٤٨	﴿سِحْرَانِ﴾	٥/٥٦٢
٥٧	﴿يُجْبَىٰ﴾	٥/٥٦٩
٦٠	﴿تَعْقِلُونَ﴾	٥/٥٧١
٨٢	﴿لَخَسَفَ﴾	٥/٥٨٦

سورة العنكبوت

الآية	القراءة المتواترة	ج/ص
١٩	﴿يَرَوْا﴾	٥/٦٠٣
٢٥	﴿مَوَدَّةَ﴾	٥/٦٠٥
٣٣	﴿مُنَجُّوكَ﴾	٥/٦١١
٣٤	﴿مُنزِلُونَ﴾	٥/٦١١
٤٢	﴿يَدْعُونَ﴾	٥/٦١٤
٥٠	﴿ءَايَٰتٌ﴾	٥/٦٢١
٥٥	﴿وَيَقُولُ﴾	٥/٦٢٣
٥٨	﴿لَنُبَوِّئَنَّهُم﴾	٥/٦٢٥
٦٦	﴿وَلِيَتَمَتَّعُوا﴾	٥/٦٢٩

سورة الروم

الآية	القراءة المتواترة	ج/ص
١٠	﴿عَٰقِبَةَ﴾	٥/٦٣٩
١١	﴿تُرْجَعُونَ﴾	٥/٦٤٠
١٩	﴿تُخْرَجُونَ﴾	٥/٦٤٤
٢٢	﴿لِلْعَٰلِمِينَ﴾	٥/٦٤٥
٣٢	﴿فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾	٥/٦٥٢
٣٩	﴿وَمَا ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا﴾	٥/٦٥٦
٣٩	﴿لِيَرْبُوَا﴾	٥/٦٥٦
٤١	﴿لِيُذِيقَهُم﴾	٥/٦٥٨
٤٨	﴿كِسَفًا﴾	٥/٦٦١
٥٠	﴿ءَاثَٰرِ﴾	٥/٦٦٢
٥٤	﴿ضَعْفٍ﴾	٥/٦٦٤
٥٧	﴿يَنفَعُ﴾	٥/٦٦٥

سورة لقمان

الآية	القراءة المتواترة	ج/ص
٣	﴿وَرَحْمَةً﴾	٥/٦٧١
٦	﴿لِيُضِلَّ﴾	٥/٦٧٤
٦	﴿وَيَتَّخِذَهَا﴾	٥/٦٧٥

الآية	القراءة المتواترة	ج/ ص
٧	﴿أُذُنَيْهِ﴾	٥/ ٦٧٥
١٦	﴿مِثْقَالَ﴾	٥/ ٦٨٢
١٨	﴿تُصَعِّرْ﴾	٥/ ٦٨٤
٢٠	﴿نِعَمَهُ﴾	٥/ ٦٨٥
٢٧	﴿وَالْبَحْرُ﴾	٥/ ٦٨٩

سورة السجدة

الآية	القراءة المتواترة	ج/ ص
٧	﴿خَلَقَهُ﴾	٢/ ٦٥٠، ٥/ ٧٠٢
١٧	﴿مَا أُخْفِيَ لَهُم﴾	٥/ ٧٠٧
٢٤	﴿لَمَّا﴾	٥/ ٧١٢
٢٦	﴿يَهْدِ﴾	٥/ ٧١٢

سورة الأحزاب

الآية	القراءة المتواترة	ج/ ص
٢	﴿تَعْمَلُونَ﴾	٥/ ٧١٨
٤	﴿تَظَاهِرُونَ﴾	٥/ ٧٢٠
٩	﴿تَعْمَلُونَ﴾	٥/ ٧٢٩
١٠	﴿الظُّنُونَا﴾	٥/ ٧٣٠، ٧٩٥
١٣	﴿مُقَامَ﴾	٥/ ٧٣٤
١٤	﴿لَآتَوْهَا﴾	٥/ ٧٣٥
٣٠	﴿مُبَيِّنَةٍ﴾	٥/ ٧٥٠
٣٠	﴿يُضَاعَفْ﴾	٥/ ٧٥١
٣١	﴿يَقْنُتْ﴾	٥/ ٧٥٢
٣١	﴿وَتَعْمَلْ﴾	٥/ ٧٥٢
٣١	﴿نُؤْتِهَا﴾	٥/ ٧٥٢
٣٣	﴿وَقَرْنَ﴾	٥/ ٧٥٣
٣٦	﴿يَكُونَ﴾	٥/ ٧٦١
٤٠	﴿وَخَاتَمَ﴾	٥/ ٧٦٨
٤٩	﴿تَمَسُّوهُنَّ﴾	٥/ ٧٧٢
٥٢	﴿يَحِلُّ﴾	٥/ ٧٨١
٦٦	﴿الرَّسُولَا﴾	٥/ ٧٣٠، ٧٩٥
٦٧	﴿سَادَتَنَا﴾	٥/ ٧٩٤
٦٧	﴿السَّبِيلَا﴾	٥/ ٧٣٠، ٧٩٥
٦٨	﴿كَبِيرًا﴾	٥/ ٧٩٥

سورة سبأ

الآية	القراءة المتواترة	ج/ ص
٣	﴿عَالِمِ الْغَيْبِ﴾	٦/ ٩
٥	﴿مُعَاجِزِينَ﴾	٦/ ١٠
٥	﴿أَلِيمٌ﴾	٦/ ٩
٩	﴿نَشَأْ نَخْسِفْ﴾	٦/ ١٢

الآية	القراءة المتواترة	ج/ص
١٢	﴿ٱلرِّيحَ﴾	١٥/٦
١٣	﴿كَٱلْجَوَابِ﴾	١٨/٦
١٤	﴿مِنسَأَتَهُۥ﴾	١٩/٦
١٤	﴿تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ﴾	٢٠/٦
١٥	﴿مَسْكَنِهِمْ﴾	٢٢/٦
١٦	﴿أُكُلٍ خَمْطٍ﴾	٢٦/٦
١٧	﴿وَهَلْ نُجَٰزِىٓ﴾	٢٧/٦
١٩	﴿بَٰعِدْ﴾	٢٩/٦
٢٠	﴿صَدَّقَ﴾	٣٠/٦
٢٣	﴿أَذِنَ لَهُۥ﴾	٣٣/٦
٢٣	﴿فُزِّعَ﴾	٣٣/٦
٣٨	﴿فِى ٱلْغُرُفَٰتِ﴾	٤٣/٦
٤٠	﴿يَحْشُرُهُمْ﴾	٤٥/٦
٥٢	﴿ٱلتَّنَاوُشُ﴾	٥٤/٦

سورة فاطر

الآية	القراءة المتواترة	ج/ص
٣	﴿غَيْرُ﴾	٦١/٦
٤	﴿تُرْجَعُ﴾	٦٢/٦
٨	﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ﴾	٦٤/٦
١١	﴿وَلَا يُنقَصُ﴾	٧٠/٦
٣٣	﴿وَلُؤْلُؤًا﴾	٨٥/٦
٣٦	﴿نَجْزِى﴾	٨٧/٦
٤٠	﴿بَيِّنَتٍ﴾	٩٠/٦
٤٣	﴿وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ﴾	٩٢/٦

سورة يس

الآية	القراءة المتواترة	ج/ص
١	﴿يسٓ﴾	٩٧/٦
٥	﴿تَنزِيلَ﴾	٩٨/٦
٩	﴿سَدًّا﴾	١٠٤/٦
١٤	﴿فَعَزَّزْنَا﴾	١٠٧/٦
١٩	﴿أَإِن ذُكِّرْتُم﴾	١٠٩/٦
٢٩	﴿صَيْحَةً﴾	١١٣/٦
٣٢	﴿لَّمَّا﴾	١١٥/٦
٣٥	﴿وَمَا عَمِلَتْهُ﴾	١١٧/٦
٣٩	﴿وَٱلْقَمَرَ﴾	١٢٠/٦
٤١	﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾	١٢٢/٦
٤٩	﴿يَخِصِّمُونَ﴾	١٢٦/٦
٥٥	﴿شُغُلٍ﴾	١٣٠/٦
٥٥	﴿فَٰكِهُونَ﴾	١٣٠/٦
٥٦	﴿فِى ظِلَٰلٍ﴾	١٣١/٦

الآية	القراءة المتواترة	ج/ ص
٣٨	﴿مُمۡسِكَٰتُ رَحۡمَتِهِۦ﴾	٦/ ٣٠١
٤٢	﴿قَضَىٰ عَلَيۡهَا ٱلۡمَوۡتَ﴾	٦/ ٣٠٥
٥٣	﴿تَقۡنَطُواْ﴾	٦/ ٣١٠
٦١	﴿بِمَفَازَتِهِمۡ﴾	٦/ ٣١٥
٦٤	﴿تَأۡمُرُوٓنِّيٓ﴾	٦/ ٣١٦
٧٣	﴿وَفُتِحَتۡ﴾	٦/ ٣٢٦

سورة غافر

الآية	القراءة المتواترة	ج/ ص
٢٠	﴿يَدۡعُونَ﴾	٦/ ٣٤٣
٢١	﴿مِنۡهُمۡ﴾	٦/ ٣٤٣
٢٦	﴿أَن يُظۡهِرَ﴾	٦/ ٣٤٥
٢٦	﴿ٱلۡفَسَادَ﴾	٦/ ٣٤٦
٣٥	﴿قَلۡبِ﴾	٦/ ٣٥٢
٣٧	﴿فَأَطَّلِعَ﴾	٦/ ٣٥٣
٣٧	﴿وَصُدَّ﴾	٦/ ٣٥٤
٤٦	﴿أَدۡخِلُوٓاْ﴾	٦/ ٣٥٧
٥٩	﴿تَتَذَكَّرُونَ﴾	٦/ ٣٦٣
٦٠	﴿سَيَدۡخُلُونَ﴾	٦/ ٣٦٤

سورة فصلت

الآية	القراءة المتواترة	ج/ ص
١٠	﴿سَوَآءٗ﴾	٦/ ٣٨٠
١٦	﴿نَّحِسَاتٖ﴾	٦/ ٣٨٧
١٩	﴿يُحۡشَرُ أَعۡدَآءُ ٱللَّهِ﴾	٦/ ٣٨٩
٤٧	﴿ثَمَرَٰتٖ﴾	٦/ ٤٠٨

سورة الشورى

الآية	القراءة المتواترة	ج/ ص
٣	﴿يُوحِيٓ إِلَيۡكَ﴾	٦/ ٤١٦
٢٥	﴿تَفۡعَلُونَ﴾	٦/ ٤٣٤
٣٤	﴿وَيَعۡلَمَ﴾	٦/ ٤٤٠
٣٧	﴿كَبِيرَ ٱلۡإِثۡمِ﴾	٦/ ٤٤٢

سورة الزخرف

الآية	القراءة المتواترة	ج/ ص
٥	﴿أَن كُنتُمۡ﴾	٦/ ٤٦١
١٠	﴿مَهۡدٗا﴾	٦/ ٤٦٣
١٨	﴿يُنَشَّؤُاْ﴾	٦/ ٤٦٦
١٩	﴿عِبَٰدُ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾	٦/ ٤٦٧
٢٤	﴿قَٰلَ﴾	٦/ ٤٦٩
٣٣	﴿سُقُفٗا﴾	٦/ ٤٧٣
٣٥	﴿لَمَّا﴾	٦/ ٤٧٤
٣٦	﴿نُقَيِّضۡ﴾	٦/ ٤٧٥
٣٨	﴿جَآءَنَا﴾	٦/ ٤٧٦
٣٩	﴿أَنَّكُمۡ﴾	٦/ ٤٧٦
٥٣	﴿أَسۡوِرَةٞ﴾	٦/ ٤٨٤

الآية	القراءة المتواترة	ج/ص
	سورة الفتح	
٦	﴿دَآبِرَةُ السَّوْءِ﴾	٦/٦٣٦
٩	﴿لِتُؤْمِنُوا﴾	٦/٦٣٨
١١	﴿ضَرًّا﴾	٦/٦٤١
١٥	﴿كَلَمَ اللَّهِ﴾	٦/٦٤٣
١٧	﴿يُدْخِلْهُ﴾	٦/٦٤٧
٢٩	﴿شَطْءَهُ﴾	٦/٦٦٣
٢٩	﴿فَآزَرَهُ﴾	٦/٦٦٣
	سورة الحجرات	
٦	﴿فَتَبَيَّنُوا﴾	٦/٦٧٦
١٢	﴿مَيْتًا﴾	٦/٦٨٥
١٤	﴿لَا يَلِتْكُم﴾	٦/٦٩٠
	سورة ق	
٣٠	﴿نَقُولُ﴾	٦/٧١٠
٤٠	﴿وَأَدْبَرَ﴾	٦/٧١٦
	سورة الذاريات	
٢٣	﴿مِثْلَ﴾	٦/٧٢٩
٤٤	﴿الصَّعِقَةُ﴾	٦/٧٣٩
٤٦	﴿وَقَوْمَ﴾	٦/٧٤٠

الآية	القراءة المتواترة	ج/ص
	سورة الطور	
٢١	﴿وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم﴾	٦/٧٥٧
٢١	﴿أَلَتْنَهُم﴾	٦/٧٥٧
٢٨	﴿إِنَّهُ﴾	٦/٧٦٠
٣٧	﴿الْمُصَيْطِرُونَ﴾	٦/٧٦٤
٤٥	﴿يُصْعَقُونَ﴾	٦/٧٦٧
	سورة النجم	
١١	﴿كَذَبَ﴾	٦/٧٧٩
١٢	﴿أَفَتُمَٰرُونَهُ﴾	٦/٧٨٠
١٩	﴿اللَّٰتَ﴾	٦/٧٨٧
٢٠	﴿وَمَنَوٰةَ﴾	٦/٧٨٩
٢٢	﴿ضِيزَىٰ﴾	٦/٧٩٠
٣٢	﴿كَبَٰٓئِرَ الْإِثْمِ﴾	٦/٧٩٣
٥١	﴿وَثَمُودَا﴾	٦/٨٠٢
	سورة القمر	
٦	﴿نُّكُرٍ﴾	٦/٨١٥
٧	﴿خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ﴾	٦/٨١٦

الآية	القراءة المتواترة	ج/ص

سورة الممتحنة

الآية	القراءة المتواترة	ج/ص
٣	﴿يَفْصِلُ﴾	٧/ ٧١
٤	﴿أُسْوَةٌ﴾	٧/ ٧٢
١٠	﴿وَلَا تُمْسِكُوا۟﴾	٧/ ٨٣

سورة الصف

الآية	القراءة المتواترة	ج/ص
٦	﴿بَعْدِى﴾	٧/ ٩٧
٨	﴿مُتِمُّ نُورِهِۦ﴾	٧/ ٩٩
١٢	﴿يَغْفِرْ لَكُمْ﴾	٧/ ١٠١
١٤	﴿أَنصَارَ ٱللَّهِ﴾	٧/ ١٠٣

سورة المنافقين

الآية	القراءة المتواترة	ج/ص
٤	﴿خُشُبٌ﴾	٧/ ١٢٣
٥	﴿لَوَّوْا۟﴾	٧/ ١٢٥
١٠	﴿وَأَكُن﴾	٧/ ١٢٩
١١	﴿تَعْمَلُونَ﴾	٧/ ١٢٩

سورة التغابن

الآية	القراءة المتواترة	ج/ص
٩	﴿يُكَفِّرْ﴾	٧/ ١٣٤
٩	﴿وَيُدْخِلْهُ﴾	٧/ ١٣٤
١٧	﴿يُضَٰعِفْهُ﴾	٧/ ١٣٩

سورة الطلاق

الآية	القراءة المتواترة	ج/ص
٣	﴿بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ﴾	٧/ ١٤٨
١١	﴿يُدْخِلْهُ﴾	٧/ ١٥٥

سورة التحريم

الآية	القراءة المتواترة	ج/ص
٣	﴿عَرَّفَ بَعْضَهُۥ﴾	٧/ ١٦٦
٥	﴿يُبْدِلَهُۥ﴾	٧/ ١٦٩
٨	﴿نَّصُوحًا﴾	٧/ ١٧٢
١٢	﴿وَكُتُبِهِۦ﴾	٧/ ١٧٦

سورة الملك

الآية	القراءة المتواترة	ج/ص
٣	﴿تَفَٰوُتٍ﴾	٧/ ١٨٢
٢٧	﴿فَسَتَعْلَمُونَ﴾	٧/ ١٩٤

سورة القلم

الآية	القراءة المتواترة	ج/ص
١٤	﴿أَن كَانَ﴾	٧/ ٢٠٨
٥١	﴿لَيُزْلِقُونَكَ﴾	٧/ ٢٢٦

سورة الحاقة

الآية	القراءة المتواترة	ج/ص
٩	﴿وَمَن قَبْلَهُۥ﴾	٧/ ٢٣٢
١٨	﴿تَخْفَىٰ﴾	٧/ ٢٣٩

* * *

فهرس القراءات الشواذ

رقم الآية	القراءة الشاذة	الجزء والصفحة
١٠٢	الملكين [بكسر اللام]	١/ ٢٥٥
١٠٢	ببابلِ هاروتَ [بالكسرِ على الإضافةِ]	١/ ٢٥٩
١٠٤	لا تقولوا رَاعُونا	١/ ٢٦٤
١٢٤	لا ينالُ عهدي الظالمونَ	١/ ٣٠٠
١٣٢	ويعقوب [بالنصب]	١/ ٣١٦
١٣٣	وإله أبيك	١/ ٣١٨
١٥٠	إلى الذين ظلموا منهم	١/ ٣٤٤
١٧٣	إنَّما حُرِّمَ	١/ ٣٧٥
١٨٤	يُطَوَّقُونَه	١/ ٣٩٨
١٨٤	يطَّوَّقُونَه	١/ ٣٩٨
١٩٦	الهديَّ [بالتشديد]	١/ ٤٢٥
١٩٦	من عرفاتَ (بفتحِ التّاءِ بلا تنوينٍ)	١/ ٤٣٣
١٩٩	الناسِ [بالكسر]	١/ ٤٣٦
١٩٩	الناسي [بالياء]	١/ ٤٣٦
٢٠٥	ويَهلَكُ الحرثُ والنسلُ	١/ ٤٤٧
٢٠٥	يهلَكُ [فتح اللام]	١/ ٤٤٧
٢١٠	في ظِلال	١/ ٤٥٣
٢١٣	كان الناسُ أمةً واحدةً فاختَلَفوا فبعث الله النبيين	١/ ٤٥٨
٢١٧	يسألُونكَ عن الشَّهرِ الحرامِ وعن قتالٍ فيه	١/ ٤٧٠
٢٢٠	فإخوانكم [بالنصب]	١/ ٤٨٦

رقم الآية	القراءة الشاذة	الجزء والصفحة
	سورة النساء	
١٢	وله أخٌ أو أختٌ من أمٍّ	٢/ ٣٠٣
١٣٥	إنْ يكُنْ غنياً أو فقيرًا فالله أولى بهم	٢/ ٣٠٤
٢٤	فما استَمْتعتُم به منهُنَّ إلى أجلٍ مُسمًّى	٢/ ٣٢٦
٣٦	والجارِ الجَنْبِ [بفتحِ الجيمِ وسكونِ النُّونِ]	٢/ ٣٥١
٤٤	يضَلُّوا [بفتح الضاد]	٢/ ٣٦٩
٧٨	ولو كنتُم في بروجٍ مَشيْدةٍ	٢/ ٤١٦
٧٩	أما أصابَكَ	٢/ ٤١٩
١٤٨	إلَّا مَن ظلَمَ	٢/ ٥١٥
١٦٢	والمقيمون [بالواو]	٢/ ٥٢٧
١٦٣	يونِس [بكسر النون]	٢/ ٥٣١
	سورة المائدة	
٣٧	أن يُخرَجوا [بضم الياء]	٢/ ٦٠٨
٦٩	والصّابِيُونَ [بالياء]	٢/ ٦٤٨
١١٤	تكُنْ لنا [جوابًا للأمرِ]	٢/ ٧١٠
	[illegible]	
١٤	ولا يَطْعَم [بفتح الياء]	٣/ ٢٠
١٤	ولا يُطْعِمُ [بكسر العين]	٣/ ٢٠

رقم الآية	القراءة الشاذة	الجزء والصفحة
٥٦	ضلِلتُ [بكسر اللام]	٣/ ٥٥
١١٧	يُضِلُّ [بضم الياء]	٣/ ١١٠
١٣٧	شُرَكايِهم [بالياء]	٣/ ١٢٨

سورة الأعراف

رقم الآية	القراءة الشاذة	الجزء والصفحة
٢٦	ورياشاً	٣/ ١٧٩
١٢٤	لأَقْطَعنَّ [بالتخفيف]	٣/ ٢٤٦
١٢٤	ثم لأَصْلبنكَم [بالتخفيف]	٣/ ٢٤٦
١٢٧	وإلاهَتَكَ	٣/ ٢٤٨
١٣٤	الرُّجزُ	٣/ ٢٥٦
١٦٥	بَيْئِسٍ	٣/ ٢٩٦

سورة الأنفال

رقم الآية	القراءة الشاذة	الجزء والصفحة
١	يسألُونَكَ الأنفالَ	٣/ ٣٣٨
٢٥	واتَّقُوا فتنةً أن تُصيبَ الذين ظلَمُوا	٣/ ٣٦١
٤٢	العُدْوةُ	٣/ ٣٧٧
٤٢	العِدْوةُ	٣/ ٣٧٧

سورة التوبة

رقم الآية	القراءة الشاذة	الجزء والصفحة
[illegible]	إن الله [بالكسر]	٣/ ٤١٤
[illegible]	ورسولَه [بالفتحِ]	٣/ ٤١٤

رقم الآية	القراءة الشاذة	الجزء والصفحة
	سورة النحل	
١١٢	والخوفَ [بالنصب]	٤/ ٣٢٧
	سورة الإسراء	
١٦	أمَّرنا	٤/ ٣٦١
٢٣	ووَصَّى ربُّك	٤/ ٣٦٤
٢٤	الذِّلِّ [بكسرِ الذّالِ]	٤/ ٣٦٧
١٠٦	فرَّقناه [بالتشديد]	٤/ ٤٣٤
	سورة الكهف	
٥	كلمةٌ [بالرفع]	٤/ ٤٤٢
١٧	وما تَعبُدون	٤/ ٤٥٢
٢٥	قالوا ولَبِثُوا في كهفِهم	٤/ ٤٦٩
٣٨	لكنَّ هو الله ربٌّ	٤/ ٤٨٥
٣٩	أنا أقلُّ [بالرفع]	٤/ ٤٨٧
٦٦	رُشُدًا [بضم الراء والشين]	٤/ ٥١٢
	سورة مريم	
١	ها يا [بالتَّفخيمِ]	٤/ ٥٥٨
١	عَيْنْ صاد [بتبيينِ النُّونِ]	٤/ ٥٥٨

رقم الآية	القراءة الشاذة	الجزء والصفحة
٦٩	أَيهم [بالنصب]	٤/ ٦١٢
٧١	وإنَّ منهم إلّ وارِدُها	٤/ ٦١٦
٧٤	وريئا	٤/ ٦١٨
٧٤	رِياً [على حَذفِ الهمزة رَأساً]	٤/ ٦١٨
٧٤	هم أحسَنُ أثاثًا وزِيًّا	٤/ ٦١٨
٩٠	تنفَطِرْنَ	٤/ ٦٢٩

سورة طه

رقم الآية	القراءة الشاذة	الجزء والصفحة
١	طَهْ	٤/ ٦٣٨
١٥	أَخفيها [بالفتح]	٤/ ٦٤٨
٤٥	قال ربَّنا إنَّنا نخافُ	٤/ ٦٦٢
٥٩	يومَ [بالنَّصب]	٤/ ٦٧٠
٦٦	تُخَيِّلُ [بضم التاء]	٤/ ٦٧٨
٦٦	تَخَيَّلُ [بفتح التاء]	٤/ ٦٧٨
٦٩	كيدَ [بفتح الدال]	٤/ ٦٧٩
٧٨	فاتَّبَعَهم [بالتَّشديد]	٤/ ٦٨٦

سورة الأنبياء

رقم الآية	القراءة الشاذة	الجزء والصفحة
٢١	يَنْشُرون [بفتح الياء]	٥/ ١٨
٩٠	رَغْبًا ورَهْبًا [بتخفيفِ الغينِ والهاءِ]	٥/ ٦٩

رقم الآية	القراءة الشاذة	الجزء والصفحة
٢٧	حتَّى تستأذِنُوا	٥/ ٢٧٢
٣١	عَوَرات	٥/ ٢٨٣
٣٤	فإنَّ الله من بعدِ إكراهِهِنَّ لهُنَّ غفورٌ رحيمٌ	٥/ ٢٩١
٣٥	مثَلُ نورِ المُؤمنِ كمشكاةٍ	٥/ ٢٩٣
٣٥	تَوَقَّدُ [بفتح التّاءِ وتشديدِ القافِ وضمِّ الدّالِ]	٥/ ٢٩٥
٤٣	من خَلَلِه	٥/ ٣١٠
٥١	إنما كان قولُ [بالرَّفع]	٥/ ٣١٤
٦٠	من ثيابِهنَّ	٥/ ٣٢٥

سورة الفرقان

٤٨	بُشُراً [بضمِّ الباء والشين]	٥/ ٣٨٠

سورة الشعراء

٢٠	منَ الجاهلينَ	٥/ ٤١٢

سورة النمل

١١	ثمَّ بدَّلَ حَسَنًا	٥/ ٤٧٠
٣٦	أتُمدونيْ [بنونٍ واحدةٍ مُخفَّفةٍ]	٥/ ٤٩١
٦٦	بلى أدّارَكَ علمُهم [بالاستفهام]	٥/ ٥١٢
٦٦	بل ءآدْرَكَ [بالاستفهامِ]	٥/ ٥١٢
٨٢	تنبِّئُهم	٥/ ٥١٨

رقم الآية	القراءة الشاذة	الجزء والصفحة
٨٢	تكْلِمُهم [مخففة]	٥/ ٥١٩
	سورة القصص	
١٧	فلا تجعلني ظهيراً	٥/ ٥٤٠
	سورة العنكبوت	
٢٥	مودَّةٌ بينكم	٥/ ٦٠٦
	سورة الروم	
٢٨	يُفصِّلُ [بالياء]	٥/ ٦٤٩
٤٨	من خَلَلِه	٥/ ٦٦١
	سورة السجدة	
١٠	أإذا صَلَلْنا في الأرضِ	٥/ ٧٠٤
١٧	ما نُخْفِي	٥/ ٧٠٧
	سورة الأحزاب	
٦	وهو أبٌ لهم	٥/ ٧٢٣
٩	وجنوداً لم يرَوها	٥/ ٧٢٩
٣٠	نضاعِفْ [بالنون والألف]	٥/ ٧٥١
٥٠	أن [بالفتح]	٥/ ٧٧٥
٧٣	ويتوبُ [بالرفع]	٥/ ٨٠٠

رقم الآية	القراءة الشاذة	الجزء والصفحة
	سورة سبأ	
٣	علّام الغيوبِ	٦/ ٩
١٠	أُوبِي معه	٦/ ١٣
١٠	والطيرُ [بالرفع]	٦/ ١٣
	سورة فاطر	
٥	الغُرور [بضم الغين]	٦/ ٦٣
١١	من عُمْرِه [بضمِّ الميمِ وتخفيفِها]	٦/ ٧٠
	سورة يس	
٨	إنَّا جَعلْنا في أيمانِهم أغلالاً	٦/ ١٠٢
٣١	أنَّهم [بالفتحِ]	٦/ ١١٤
	سورة الصافات	
٩	دَحُوراً [بفتح الدال]	٦/ ١٤٨
٥٢	المصَّدِّقين [بتشديد الصَّاد]	٦/ ١٦٢
٧٩	سلاماً على نوح	٦/ ١٧٠
١٢٣	وإنَّ إدريسَ	٦/ ١٨٦
	صاد [بفتح الدال]	٦/ ٢٠٨

رقم الآية	القراءة الشاذة	الجزء والصفحة
١	صاد [بكسر الدال]	٦/ ٢٠٩
٥	عجّاب [بالتشديد]	٦/ ٢١٧
٢٣	له تسعٌ وتسعونَ نعجةً أُنثى	٦/ ٢٣١
٢٤	فَتَناه [بالتَّخفيفِ]	٦/ ٢٣٤
٧٥	بيدي اسْتكبرْتَ [موصولاً]	٦/ ٢٦٧
	سورة الزمر	
٢٩	سِلْماً [بكسر السين وسكون اللام]	٦/ ٢٩٧
٣٣	جاءَ بالصِّدقِ وصدَّقُوا به	٦/ ٢٩٨
٣٣	والذي جاؤُوا بالصِّدقِ وصدَّقُوا به	٦/ ٢٩٩
	سورة غافر	
١٥	لتُنذِرَ [على الخطاب]	٦/ ٣٤٠
٣٢	التَّنادِّ [بالتَّشديدِ]	٦/ ٣٥٠
	سورة الشورى	
٣٤	ويَعفو [بالواو]	٦/ ٤٤٠
٣٥	وليعلمَ	٦/ ٤٤١
٥٢	وكذلك أنزلنا إليك روحاً من أمرنا	٦/ ٤٥٣
	[illegible]	
٦١	وإنَّه لَعَلَمٌ [بفتحِ اللامِ والعينِ]	٦/ ٤٨٩

رقم الآية	القراءة الشاذة	الجزء والصفحة
	سورة الذاريات	
٥٨	وما خلَقْتُ الجنَّ والإنسَ من المؤمِنِينَ إلا ليَعْبُدون	٦/ ٧٤٣
	سورة الطور	
٢١	وأَتْبَعْتُهم	٦/ ٧٥٧
	سورة القمر	
١٢	فالتقى الماءان	٦/ ٨١٨
	سورة الواقعة	
٥٦	نزلهم [بالتخفيف]	٦/ ٩٠٢
٧٩	إلا المطَّهِّرون [بتشديدِ الطَّاءِ وكسرِ الهاءِ]	٦/ ٩٠٩
٨٠	وتجعلونَ شكرَكُم أنَّكم تكذبون	٦/ ٩١١
٩٤	وتَصليةٍ [بكسرِ التَّاء]	٦/ ٩١٧
	سورة الحديد	
١٤	الغُرور [بضمِّ الغين]	٦/ ٩٣٠
١٦	وما نُزِّلَ [بضمِّ النُّون والتَّشديدِ]	٦/ ٩٣٢
١٦	الأَمَدُّ [بالتَّشديدِ]	٦/ ٩٣٣
٢٩	ليعلمَ أهلُ الكتابِ	٦/ ٩٤٤

رقم الآية	القراءة الشاذة	الجزء والصفحة
	سورة التحريم	
١٢	بكلمةِ ربِّها	٧/ ١٧٦
	سورة المعارج	
١	ذي المَعاريجِ [بالياء]	٧/ ٢٥٤
١٩	لُبُداً [بضمِّ اللّمِ والباءِ]	٧/ ٣٠٧
١٩	لُبَّداً [بالتَّشديدِ]	٧/ ٣٠٧
	سورة المدثر	
٦	لا تمنُنْ أن تستكثرَ	٧/ ٣٣٨

* * *

فهرس أسباب النزول

الآية	سبب النزول	ج/ص
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ﴾	نزلت حين دخلَ النبي عليه السلام بيتَ المِدْراسِ على جماعةٍ منَ اليهودِ، فدعاهُم إلى الله فأعرضوا عنه	٢/ ٤٠
﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَـٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ﴾	نزلت حين وعدَ رسولُ الله أمَّتَه ملكَ فارسَ والرُّومِ بعد فتح مكة فقال المُنافقون واليهودُ: هيهاتَ	٢/ ٤٣
﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾	نزلَت في حاطبِ بنِ أبي بلتعةَ وغيرِه ممَّن كانوا يُوالونَ كفَّارَ مكَّةَ	٢/ ٤٨
﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾	نزلَت لمَّا قالتِ اليهودُ: نحنُ أبناءُ الله وأحبّاؤُه	٢/ ٥٢
﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾	نزلت في ابن أُبيٍّ حين قال: إنَّ محمَّدًا يجعلُ طاعتَه كطاعةِ الله	٢/ ٥٣
﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ﴾	نزلَتْ في وفدِ نجرانَ، قالوا: أنتَ تشتمُ عيسى وتقولُ: إنَّه عبدٌ	٢/ ٩٣
﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾	نزلَتْ في راهبين من نصارى نجرانَ ادعيا الإسلام، فكذبهما النبي عليه السلام ودعاهُما إلى المُلاعنةِ فأبَيا	٢/ ٩٦
﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾	نزلَت في اليهودِ والنَّصارَى، تنازَعُوا عندَ النَّبيِّ عليه السلامُ في إبراهيمَ	٢/ ١٠٠
﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾	نزلَت في اليهودِ، قالوا: نحنُ أولى بإبراهيمَ	٢/ ١٠٣
﴿وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ﴾	نزلَت في نفرٍ من اليهود أرادوا أن يردُّوا المسلمينَ إلى الكفر بالخداعِ وإيرادِ الشُّبَه	٢/ ١٠٤
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾	نزلَت في أقوامٍ منَ اليهودِ غيَّروا نعتَ محمَّدٍ عليه السلامُ وحلَفُوا أنَّه من عندِ الله طمَعًا في المآكلِ	٢/ ١١٤
﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ﴾	نزلت في قوم قالوا: إن محمدًا يريد أن نعبدَه	٢/ ١١٧
﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ﴾	نزلت في اليهود والنَّصارَى اختصموا إلى النَّبيِّ عليه السلام، فقالَتْ كلُّ فرقةٍ: نحنُ أولى النَّاسِ بدينِ إبراهيمَ	٢/ ١٢٣

الآية	سبب النزول	ج/ص
﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾	نزلَت في قومٍ أسلَمُوا ثمَّ ارتَدُّوا ولحِقُوا بمكّةَ	٢/ ١٢٥
﴿ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ﴾	نزلت في رجل منَ الأنصارِ ارتد فلحِقَ بالمُشركين فلمَّا قُرِئَتْ عليه الآيات رجعَ تائبًا	٢/ ١٢٦
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ﴾	نزلَت في أهلِ الكتابِ، كفَرُوا بعد إيمانِهم بمحمَّدٍ عليه السلام	٢/ ١٢٨
﴿ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾	نزلَتْ لمَّا قال النَّبيُّ عليه السلامُ: أنا على ملَّةِ إبراهيمَ، وكانت اليهودُ تدَّعي أنَّ كلَّ ما تُحرِّمُه كان مُحرَّمًا على نوحٍ وإبراهيمَ	٢/ ١٣١
﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ ﴾	نزلَتِ الآيةُ لمَّا قالتِ اليهودُ: بيتُ المقدسِ أفضلُ	٢/ ١٣٤
﴿ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾	نزلَت في أهلِ الأديانِ الذين كتبَ عليهم الحجّ فلم يستجيبوا	٢/ ١٤١
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ﴾	نزلَت في شاسِ بنِ قيسٍ اليهوديِّ مرَّ على نفرٍ منَ الأوسِ والخزرجِ فأوقع بينهم العَداوة	٢/ ١٤٤
﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ ﴾	نزلَتْ في مُشرِكي العربِ	٢/ ١٤٥
﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾	نزلَتْ في نفر من الصحابة قال لهم اليهود: دينُنا خيرٌ، ونحنُ خيرٌ وأفضلُ منكم	٢/ ١٥٣
﴿ لَيْسُوا۟ سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ ﴾	نزلت في نفر من اليهود أسلموا فقال الأحبارُ عنهم: ما آمنَ بمُحمَّدٍ إلا شرارُنا	٢/ ١٥٩
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم ﴾	نزلَتْ في قُريظةَ والنَّضيرِ، وكانوا يغترُّونَ بأموالِهم وأولادِهم	٢/ ١٦٣
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ ﴾	نزلَتْ في قومٍ كانوا يُوالونَ المُنافقينَ ورجالاً منَ اليهودِ	٢/ ١٦٦
﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ﴾	نزلت في غزوةِ أُحُدٍ، إذ غدا النبي عليه السلام من منزلِ عائشةَ فجعلَ يصُفُّ أصحابَه للقتالِ	٢/ ١٧٠
﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴾	نزلت حين كُسِرَتْ رَبَاعيَةُ النَّبيِّ عليه السلاَمُ يومَ أُحدٍ ودَمِيَ وجهُه	٢/ ١٧٩

الآية	سبب النزول	ج/ص
﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ ﴾	نزلَتْ في نبهانَ التَّمَّارِ، ابتاعَتِ امرأةٌ حسناءُ منه تمرًا فضمَّها إلى نفسِه فقبَّلَها، ثمَّ ندمَ	٢/ ١٨٤
﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ ﴾	نزلت حين انهزمَ الصحابة يومَ أُحدٍ	٢/ ١٨٩
﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ﴾	نزلت حين انصرفَ النبي عليه السلام يومَ أُحدٍ كئيبًا، وجعلتِ المرأةُ تُجاءُ بزوجِها وابنِها وأبيها مقتولِين	٢/ ١٩٠
﴿ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ﴾	نزلَتْ في قومٍ لم يشهَدُوا بدرًا، فتمَنَّوا الشَّهادةَ، ثمَّ انهزَمُوا يومَ أُحدٍ	٢/ ١٩٩
﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾	نزلت في قوم منَ المُنافقين قالوا يوم أحد: إنْ كانَ محمَّدٌ قُتِلَ فالحقُوا بدينِكم الأوَّلِ	٢/ ٢٠١
﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ ﴾	نزلت في أبي سُفيانَ لمَّا انصرَفَ من أُحدٍ ندِمَ هو وحِزبُه أنهم لم يقضوا على من بقي من المسلمين	٢/ ٢٠٧
﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ ﴾	نزلت حين رجعَ الصحابة بعد أُحدٍ وقد أُصيبُوا فقال بعضُهم لبعضٍ: من أينَ أصابَنا هذا وقد وعدَنا الله النَّصرَ؟	٢/ ٢٠٩
﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾	نزلت في المُنافقين إذ قالوا يوم أحد: لو كان لنا عقلٌ لَمَا خرَجْنا إلى قتالِ أهلِ مكَّةَ	٢/ ٢١٨
﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ ﴾	نزلت في رجال من الأنصارِ انهزَمُوا يومَ أحدٍ حتَّى بلَغُوا موضِعًا بعيدًا	٢/ ٢١٩
﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ﴾	نزلت في الرُّماة الذين أخلوا بمراكزِهم لأجل الغنائم	٢/ ٢٢٦
﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا ﴾	نزلت في نفر من الصحابة عاتَبهم الله تعالى على استنكارِ بعضِهم ما جرَى يومَ أُحدٍ إذ قالوا: لِمَ وقعَ هذا؟	٢/ ٢٣٣
﴿ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا ﴾	نزلت في ابنِ أُبيٍّ حينَ انصرَفَ بثُلثِ النّاسِ يوم أحد	٢/ ٢٣٥
﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ﴾	نزلَتْ في شهداءِ أُحدٍ	٢/ ٢٣٦

الآية	سبب النزول	ج/ص
﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾	نزلت في الصحابة الذين انتدَبُوا وبهم أثرُ الجرحِ من أحد حتّى بلغُوا حمراءَ الأسدِ	٢/ ٢٣٩
﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ﴾	نزلت في الصحابة الذين خرجوا إلى حمراء الأسد فثبطهم نُعَيمُ بنُ مسعودٍ فقالُوا: حسبُنا الله	٢/ ٢٤١
﴿إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا﴾	نزلَتْ في قومٍ علِمَ الله أنّهم لا يُؤمنون، فبقاؤُهم يزيدُهم إثمًا	٢/ ٢٤٧
﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾	نزلت في المُنافقين حين قالوا: إذا كان النبي عليه السلام يعلم من يؤمن به ومن كفر، فلِمَ لا يعرِفُنا ونحنُ معَه؟	٢/ ٢٤٧
﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾	نزلَت في مانعي الزّكاةِ	٢/ ٢٤٩
﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾	نزلت تصديقا لأبي بكر رضي الله عنه وتكذيباً لفنحاص بن عازوراء	٢/ ٢٥٢
﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ﴾	نزلت في جماعة من اليهود أتَوا النَّبيَّ عليه السلام فقالوا: إنَّ الله عهد إلينا في التَّوراةِ أنْ لا نُؤمِنَ لرسولٍ حتى يأتيَنا بقُربانٍ تأكلُه النّارُ	٢/ ٢٥٤
﴿لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾	نزلَت في كعبِ بنِ الأشرفِ، وكان شاعرًا يهجو النَّبيَّ عليه السلام ويُؤلِّبُ عليه كفّارَ قُريشٍ	٢/ ٢٥٧
﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟﴾	نزلت في قوم منَ المُنافقين تخلفوا عن النَّبيِّ عليه السلاَمُ في غزوٍ، فلمَّا قدِمَ اعتذَرُوا إليه وحلَفُوا له	٢/ ٢٦٠
﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم﴾	نزلت حين قالت أمُّ سلمةَ: يا رسولَ الله، لا أسمعُ اللهَ ذَكَرَ النِّساءَ في الهجرةِ بشيءٍ	٢/ ٢٦٦
﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ﴾	نزلت في المسلمينَ حين قالوا: هؤلاءِ الكفَّارُ لهم تَجائرُ وأموالٌ، وقد هلَكْنا منَ الجوعِ	٢/ ٢٦٧
﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾	نزلَتْ في النَّجاشيِّ؛ فإنَّه لمَّا ماتَ صلى عليه النبي عليه السلام، فاستنكر المنافقون ذلك	٢/ ٢٦٨

سورة النساء

الآية	سبب النزول	ج/ص
﴿وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ﴾	نزلَتْ في رجلٍ من غَطَفانَ كانَ معَه مالٌ كثيرٌ لابنِ أخٍ له يتيمٍ، فلمَّا بلغَ اليتيمُ طلبَ المالَ، فمنعه	٢/ ٢٧٩

الآية	سبب النزول	ج/ ص
﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ﴾	نزلَتْ في يتامى النِّساءِ إذ كان الرجل يرغبُ في اليتيمة لِمالِها، ويُسيءُ صُحبتَها	٢/ ٢٨٠
﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ﴾	نزلَتْ في ثابتِ بنِ رِفاعةَ حين توفي والده وهو صغير، فأتى عمّه مالك النبي عليه السلام يريد ماله	٢/ ٢٨٦
﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ﴾	نزلَت في أوسِ بنِ ثابتٍ، تُوفِّيَ وتركَ امرأةً وثلاثَ بناتٍ، فأخذَ ابنا عمٍّ له مالَه	٢/ ٢٨٩
﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾	نزلت في امرأة ثابتِ بنِ قيسٍ وابنتيه، إذ أخذَ عمُّهما مالَهما بعد استشهاده يوم أحد	٢/ ٢٩٦
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا﴾	نزلت في أهل الجاهلية، كانوا إذا ماتَ الرَّجلُ كان وليُّه أحقَّ بامرأتِه	٢/ ٣١١
﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾	نزلت في أمّ سلمةَ قالَتْ: يا رسولَ الله، تغزُو الرِّجالُ ولا نغزُو، وإنَّما لنا نصفُ الميراثِ	٢/ ٣٣٩
﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾	نزلَتْ في سعدِ بنِ الربيع، نشزَتْ عليه امرأتُه فلَطَمَها، فشكاه أبوها إلى النبي عليه السلام	٢/ ٣٤٣
﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾	نزلَتْ في اليهودِ، جمَعوا بينَ الاختيالِ والفخرِ، والبُخلِ وكتمانِ ما أنزلَ الله	٢/ ٣٥٢
﴿وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ﴾	نزلت في مُشركي مكّةَ إذ أنفقُوا في عداوةِ النَّبيِّ عليه السلاَمُ	٢/ ٣٥٤
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ﴾	نزلت في عبد الرَّحمنِ بن عوفٍ وأُناس من الصحابة طعِمُوا وشرِبُوا، ثم أساء إمامهم في صلاته	٢/ ٣٦١
﴿وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ﴾	نزلَتْ في قوم مِنَ الأنصارِ كانت أبوابُهم في المسجدِ، وكان يُصيبُهم الجنابةُ وممرُّهم على المسجدِ	٢/ ٣٦٥
﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾	نزلَتْ في عبدِ الرَّحمنِ بنِ عوفٍ، وكان به جِراحٌ تمنعُه من استعمالِ الماءِ	٢/ ٣٦٥
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ﴾	نزلَتْ في قوم منَ اليهودِ طلَبُوا منَ المسلمينَ تركَ دينِهم، فحذَّرَ اللهُ نبيَّه جانبَهم	٢/ ٣٦٩

الآية	سبب النزول	ج/ص
﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾	نزلَتْ في وحشيٍّ وقتلِه حمزةَ، لمَّا أسلَم بعدَ أُحدٍ	٢/ ٣٧٦
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم﴾	نزلَتْ في الذينَ قالوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾	٢/ ٣٧٧
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾	نزلَتْ في أشراف اليهود، قال لهم أهلُ مكّةَ: أنتم أهلُ الكتابِ وأهلُ العلمِ القديمِ، فأخبِرُونا عنّا وعن محمَّدٍ	٢/ ٣٧٩
﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾	نزلَت في عثمانَ بنِ طلحةَ سادِنِ الكعبةِ، طلَبَ منه النبي عليه السلام المفتاحَ فأبَى، فلوَى عليٌّ يدَه وأخذَه منه	٢/ ٣٨٩
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾	نزلَتْ في عبدِ الله بنِ حُذافةَ حين بعثَه رسولُ الله ﷺ في سريّةٍ	٢/ ٣٩١
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾	نزلَتْ في مُنافقٍ كانَ بينَه وبينَ يهوديٍّ خُصومةٌ فقال اليهوديُّ: ننطلقُ إلى محمَّدٍ، وقال المُنافقُ: إلى كعبِ بنِ الأشرفِ	٢/ ٣٩٥
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ﴾	نزلَتْ في الزُّبيرِ بنِ العوَّام، وحاطبِ بنِ أبي بلتعةَ في خُصومةٍ بينَهما، فقضَى النبي عليه السلام للزُّبيرِ فقال حاطبٌ: قضى لابنِ عمَّتِه	٢/ ٣٩٧
﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ﴾	نزلت في قصَّةِ اليهوديِّ والمُنافقِ، وقولِ المُنافقِ: نتحاكَمُ إلى الكاهنِ	٢/ ٤٠٠
﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾	نزلَتْ في ثابتِ بنِ قيسٍ؛ فإنَّه قال: إنَّ الله يعلَمُ لو أمرَني محمَّدٌ أن أقتُلَ نفسي لفعَلْتُ	٢/ ٤٠٣
﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾	نزلت في الصَّحابةِ حين قالوا: يا رسولَ الله، ما ينبَغي أن نُفارِقَكَ في الدُّنيا، فإنَّك إذا فارقتَنا رُفِعتَ فوقَنا	٢/ ٤٠٥
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ﴾	نزلَتْ في المُنافقين فإنَّهم كانوا يُظهِرونَ رغبةً في القتالِ، فلمَّا حقَّ الأمرُ كاعُوا	٢/ ٤١٤
﴿أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ﴾	نزلَت في عبدِ الله بنِ أُبيٍّ وأصحابِه لمَّا قالوا في شُهداءِ أُحدٍ: ﴿لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ﴾	٢/ ٤١٦
﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾	نزلتِ لمَّا قال عليه السلامُ: مَن أطاعَني فقد أطاعَ الله، فقال المُنافقون: لقد قارَفَ الشِّركَ	٢/ ٤١٩

الآية	سبب النزول	ج/ص
﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ﴾	نزلَتْ في المنافقينَ؛ كانوا يُرجِفُونَ بسرايا المسلمين، ويُذيعونَ خبرَ السُّوءِ	٢/ ٤٢٢
﴿فَقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ﴾	نزلَتْ في بدرِ الصُّغرَى، فإنَّ أبا سُفيانَ لمَّا انصرَفَ من أُحدٍ واعدَ النبي عليه السلام، ثم لم يحضُرْ	٢/ ٤٢٦
﴿وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا﴾	نزلَتْ في أبي جهلٍ؛ فإنَّه لم يزَلْ يُعينُ المُشركين على المسلمين	٢/ ٤٢٨
﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ﴾	نزلَت في المُنافقينَ؛ أي: رُدُّوا عليهم جوابَ السلامِ؛ فإنَّ أحكامَ المسلمين تجري عليهم	٢/ ٤٣٠
﴿فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ ﴾	نزلَتْ في الذين انصرفُوا عن النبي عليه السلام يومَ أُحدٍ، فقال قومٌ: نقتُلُهم، وقال قومٌ: لا نقتُلُهم	٢/ ٤٣٣
﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا﴾	نزلَتْ في أبي الدَّرداءِ، قتلَ راعيًا خطأً	٢/ ٤٤٢
﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا ﴾	نزلَتْ في مقيسِ بنِ صُبابةَ حين أخذ دية أخيه من بني النجار، ثم قتل مسلماً ورجع إلى مكة مرتداً	٢/ ٤٤٦
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُوا۟﴾	نزلَتِ في قوم منَ المسلمين رأَوا رجلًا في سفرٍ، فأرادَ بعضُهم قتلَه، فقال: إنِّي مسلمٌ، فكذَّبوه وقتلُوه	٢/ ٤٤٨
﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ﴾	نزلت في ابن أمِّ مكتومٍ حين سأل النبي عليه السلام عن حكم قعوده عن الجهاد	٢/ ٤٥٤
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾	نزلَتْ في قوم أسلَمُوا بمكَّةَ ولم يُهاجِرُوا، ثمَّ خرَجُوا مع المُشركينَ إلى بدرٍ، فقتِلُوا	٢/ ٤٥٧
﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾	نزلت في حبيب بن ضمرةَ حين قال لبَنِيه: احملُوني فإنِّي لستُ منَ المُستضعَفين، فماتَ في الطَّريقِ	٢/ ٤٥٩
﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾	نزلَتْ بعُسْفانَ، حين همّ المشركون على قتل المسلمين عند أدائهم لصلاة العصر	٢/ ٤٦١
﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ ﴾	نزلت في النَّبيِّ عليه السلامُ يومَ بطنِ نخلةَ، إذ خرَجَ لقضاءِ حاجتِه واضعًا سلاحَه، فجاءه غُوَيرِثُ بنُ الحارثِ يريد قتله	٢/ ٤٦٦

الآية	سبب النزول	ج/ص
﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾	نزلت في رجل نزل بقوم فلم يُحسِنوا قِرَاه، فشكاهُم	٢/ ٥١٤
﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾	نزلت في اليهود قالوا للنَّبيِّ عليه السلاَمُ: إنْ كنتَ صادِقًا فأْتِنا بكتابٍ منَ السَّماءِ بدفعةٍ واحدةٍ	٢/ ٥١٨
﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾	نزلَتْ في قومٍ منَ اليهودِ قالوا للنَّبيِّ عليه السلاَمُ: ما أَوْحَى الله إلى أحدٍ بعدَ موسى	٢/ ٥٣٠
﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ﴾	نزلت في اليهود إذ قالوا: ذكرَ محمَّدٌ الأنبياءَ ولم يذكُرْ موسى	٢/ ٥٣٢
﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ﴾	نزلَتْ في النَّصارى حيثُ قالوا: ﴿ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾	٢/ ٥٣٥
﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ﴾	نزلَتْ في وفدِ نجرانَ، قالوا: يا محمَّدُ، لِمَ تَعيبُ صاحبَنا فتقولَ: إنَّه عبدُ الله؟	٢/ ٥٣٩
﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ﴾	نزلت في جابر بن عبد الله مرض فسأل النبي عليه السلام عما يوصي لأخواته من الميراث	٢/ ٥٤١

سورة المائدة

الآية	سبب النزول	ج/ص
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحِلُّوا۟ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾	نزلت لمَّا صُدَّ المُسلمون عن البيتِ عامَ الحديبيةِ، فأرادوا صد ناس منَ المُشركينَ يُريدونَ العمرةَ	٢/ ٥٤٩
﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ﴾	نزلَتْ في صحابيين سألا النبي عليه السلام عن الصيد بالكلاب والبزاة	٢/ ٥٦٠
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾	نزلَتْ في قصَّةِ عائشةَ وافتقادِها العِقدَ، وبقاء الصحابة في مكانٍ لا ماءَ فيه	٢/ ٥٦٨
﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾	نزلَتْ في بني النَّضيرِ	٢/ ٥٧٤
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾	نزلت حين جاء النبي عليه السلام بني النضير يستقرضهم لدفع ديتين، فأحسنوا استقباله وأضمروا قتله	٢/ ٥٧٤

الآية	سبب النزول	ج/ص
﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾	نزلت حين خوَّفَ النبي عليه السلام قومًا من اليهودِ العقابَ، فقالوا: لا نخافُ؛ فإنَّا أبناءُ الله وأحبَّاؤُه	٢/ ٥٨٤
﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾	نزلَتْ في رهطٍ من عُكْلٍ وعُرينةَ، أقامُوا بالمدينةِ، ثم أمرَ لهم بذَوْدٍ أن يخرُجوا فيها، فقتَلُوا الراعيَ واستاقوا الذَّوْدَ	٢/ ٦٠٣
﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا﴾	نزلَتْ في طُعمةَ بنِ أُبيرق سارقِ الدِّرعِ	٢/ ٦٠٨
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ﴾	نزلَتْ في قُرَظيٍّ قتلَه نَضْريٌّ فتحاكَمُوا إلى النَّبيِّ عليه السلامُ، فحكَمَ بالتَّسويةِ بينهما فساءَهم ذلك	٢/ ٦١٠
﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾	نزلت حين حكم النبي عليه السلام في دية القرظي مثل النضيري فقالت بنو النَّضيرِ: قد حطَطْتَ منا وعادَيْتَنا	٢/ ٦١٨
﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾	نزلت في قوم منَ الأحبارِ اجتمعوا فاتفقوا على فتنة النبي عليه السلام عن دينه	٢/ ٦٢٣
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ﴾	نزلَت في عبادةَ بنِ الصّامتِ حين برئ إلى الله ورسوله من ولايةِ اليهودِ، إلا أنَّ عبد الله ابن أُبيٍّ لم يبرأ من ولايتهم	٢/ ٧١٥
﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾	نزلت حين قال عبدُ الله بنُ سلام للنَّبيِّ عليه السلامُ: إنَّ قومَنا قد هجَرُونا وأقسَمُوا لا يُجالِسُونا	٢/ ٦٣١
﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا﴾	نزلت في اليهود، كانوا إذا أذَّنَ المُؤذِّنُ قالوا: قد قامُوا لا قامُوا، ويضحكونَ إذا ركعَ المسلمون وسجَدُوا	٢/ ٦٣٤
﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾	نزلت في نفر منَ اليهودِ سألوا النَّبيّ عليه السلام عمَّن يُؤمِنُ به منَ الرّسلِ، فلمَّا ذكرَ عيسى جحَدُوا نُبوَّتَه	٢/ ٦٣٥
﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ﴾	نزلت في اليهود حين قالوا: لو كانَ هؤلاءِ مُحقِّين لَمَا ابتَلاهُم الله بالفقرِ	٢/ ٦٣٦
﴿وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُوا۟ بِٱلْكُفْرِ﴾	نزلَتْ في قومٍ منَ اليهودِ نافَقُوا وأظهَرُوا الإيمانَ وأسرُّوا الكفرَ	٢/ ٦٣٨
﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾	نزلت في فِنْحاص بن عازُوراءَ وأصحابه، لمَّا كفرُوا بمحمَّدٍ قلَّ مالُهم فقالوا: إنَّ الله بخيلٌ	٢/ ٦٣٩

الآية	سبب النزول	ج/ص
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾	نزلت حين قال النَّبيُّ عليه السلامُ: لمَّا بعثَني الله برسالتِه ضِقتُ بها ذَرْعًا	٢/ ٦٤٣
﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ﴾	نزلَتْ في النَّجاشيِّ وأصحابِه لمَّا قدِمَ عليهم المُسلمونَ في الهجرةِ الأولى	٢/ ٦٥٦
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾	نزلَتْ في قوم منَ الصَّحابةِ عزَمُوا على رفضِ الدُّنيا حين وصفَ النَّبيُّ عليه السلامُ القيامةَ وخوَّفَهم	٢/ ٦٦٠
﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ﴾	نزلت في قوم حرموا طيِّباتِ المطاعمِ والملابسِ والمناكحِ على أنفسِهم وحلَفُوا على ذلك	٢/ ٦٦٢
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ﴾	نزلت في سعد بن أبي وقَّاصٍ شربَ مع قومٍ منَ الأنصارِ فجرَى بينَهم نزاعٌ	٢/ ٦٦٧
﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ﴾	نزلت لمَّا نزلَ تحريم الخمر فسأل أُناس من الصحابة عن حال من ماتوا من المسلمين قبلَ التحريمِ	٢/ ٦٧١
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ﴾	نزلَتْ عامَ الحُدَيبيةِ، وكانتِ الوحشُ والطَّيرُ تغشاهُم في رحالِهم وهم مُحرِمُون	٢/ ٦٧٢
﴿قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ﴾	نزلَتْ في شُرَيحِ بنِ ضُبَيعةَ وأصحابه، لمَّا أرادَ المسلمونَ الإغارةَ عليهم منعَهم الرَّسولُ عليه السلامُ؛ لأنَّهم كانوا قلَّدُوا الهدْيَ	٢/ ٦٨٠
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾	نزلَتْ في أهلِ هجَرَ، طلَبُوا أن يُؤَدُّوا الجِزيةَ، فلم تقبل منهم	٢/ ٦٩٢
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾	نزلت في بُدَيل بن أبي ماريةَ وصاحبيه، إذ مرِضَ في الطَّريقِ إلى الشام فكتبَ وصيَّته ودسَّها في متاعِه، فلمَّا ماتَ أخذا ما أرادا ثم أنكرا	٢/ ٦٩٥

سورة الأنعام

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾	نزلَتْ في قوم من المشركين قالوا: لن نُؤمِنَ لك حتَّى تأتينا بكتابٍ من عندِ الله ومعه أربعةٌ منَ الملائكةِ	٣/ ١٤
﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾	نزلَت لأنَّ الكفار قالوا: علِمْنا أنَّه ما يحمِلُك على ما تفعلُ إلَّا الحاجةُ، فنحنُ نجمعُ لك من أموالِنا	٣/ ١٨

الآية	سبب النزول	ج/ ص
﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً﴾	نزلَتْ لأنَّ المُشركينَ قالوا: ما نرى أحدًا يشهدُ لك في الرِّسالةِ	٣/ ٢٢
﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾	نزلت في جماعة من المشركين استمعوا إلى النَّبيِّ عليه السلام، فقال النَّضرُ بنُ الحارثِ: ما يقولُ إلّا أساطيرَ الأوَّلينَ	٣/ ٢٧
﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ﴾	نزلَتْ في أبي طالبٍ وقوم من بني هاشمٍ كانُوا يدفعُونَ الأعداءَ عن النَّبيِّ عليه السلام	٣/ ٢٨
﴿بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ﴾	نزلَتْ في قوم كانُوا يعلَمُونَ صدقَ محمَّدٍ عليه السلام، ولكنَّهم عانَدُوا	٣/ ٣١
﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ﴾	نزلَتْ في الأخنَسِ بنِ شريقٍ، قال لأبي جهلٍ: أخبِرْني عن محمَّدٍ، أكاذِبٌ هو؟	٣/ ٣٦
﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾	نزلت حين قال المُشرِكُونَ للنبي عليه السلام: لا نرضَى بمُجالسةِ الفقراء والعبيد فاطرُدْهم عنكَ	٣/ ٤٩
﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا﴾	نزلَتْ في الذينَ نهَى الله نبيَّه عليه السَّلامُ عن طردِهم	٣/ ٥٢
﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ﴾	نزلت لمَّا نهي المسلمون عن مجالسة المشركين فقالوا: لا يُمكِنُنا دخولُ المسجدِ والطَّوافُ	٣/ ٦٢
﴿قُلْ أَنَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾	نزلَتْ في عبدِ الرَّحمنِ بنِ أبي بكرٍ، كانَ يدعُو أباه إلى الكفرِ، وأبوه يدعوهُ إلى الإسلامِ	٣/ ٦٦
﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ﴾	نزلت حين قالتِ اليهودُ: والله ما أنزَلَ الله منَ السَّماءِ كتاباً	٣/ ٨٠
﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾	نزلت في عبد الله بن أبي سَرْحٍ كان يكتبُ للنَّبيِّ عليه السَّلامُ، ثمَّ ارتدَّ	٣/ ٨٣
﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ﴾	نزلَتْ في الزَّنادِقةِ، قالوا: إنَّ الله وإبليسَ أخوانِ	٣/ ٩٣
﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾	نزلت في قريش حين طلبوا من أبي طالب أن يكلم النبي عليه السلام فقالوا: نُحِبُّ أن تنهاهُ عن ذكرِ آلهتِنا	٣/ ١٠٠
﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾	نزلت في قريش حين قالوا للنبي عليه السلام: اجعَلْ لنا الصَّفا ذهَباً، فوالله إنْ فعلتَه لنتَّبِعَنَّكَ أجمعين	٣/ ١٠١

الآية	سبب النزول	ج/ ص
﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾	نزلَتْ في حمزةَ بنِ عبد المُطَّلِبِ حين أخبر أن أبا جهلٍ رمَى النبي عليه السلام بفَرْثٍ، فأقبلَ مُغضَباً، ثم أسلم	٣/ ١١٣
﴿وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾	نزلت حين جَذَّ ثابتُ بنُ قيسٍ خمسَ مئةِ نخلةٍ وقسَّمَها في يومٍ واحدٍ، ولم يدخُلْ منها شيءٌ إلى منزلِه	٣/ ١٣٤
﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ﴾	نزلت حين كذَّبَ المُشركونَ رسولَ الله فيما أخبرَ به من أمرِ اليهودِ	٣/ ١٤٠
﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾	نزلَتْ في الوليدِ بنِ المُغيرةِ، كان يقولُ: اتَّبِعُوا سبيلي أحمِلْ أوزارَكُم	٣/ ١٥٤

سورة الأعراف

الآية	سبب النزول	ج/ ص
﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ﴾	نزلت لمَّا لبِس المسلمونَ الثِّيابَ وطافُوا بالبيتِ فعيَّرَهم المُشركون	٣/ ١٨٦
﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟﴾	نزلَتْ في مدائنَ معروفةٍ هلَكَتْ بالجدبِ	٣/ ٢٣٢
﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾	نزلتِ في رجلٍ منَ المسلمينَ كان يقولُ: يا رحمنُ يا رحيمُ، فقال المُشركونَ: إنَّه يدعو إلهَينِ اثنَينِ	٣/ ٣١٣
﴿وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ﴾	نزلَتْ في المُستَهزئينَ من قُريشٍ، قتلَهم الله في ليلةٍ واحدةٍ بعد أن أمهلَهم مُدَّةً	٣/ ٣١٦
﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ ۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ﴾	نزلت في النبي عليه السلام قامَ ليلةً على الصَّفا يدعو قُريشًا فخِذًا فخِذًا، فقالوا: إنَّ صاحبَكم هذا لَمجنونٌ	٣/ ٣١٦
﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾	نزلت في أهلِ مكَّةَ قالوا: يا محمَّدُ، ألا يُخبِرُكَ ربُّك بالسِّعرِ الرَّخيصِ قبلَ أن يغلُوَ فنشتريَ، فنربحَ؟	٣/ ٣٢١
﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ﴾	نزلت بعد نزول قوله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾ إذ قال عليه السَّلامُ: كيفَ يا ربِّ، والغضَب؟	٣/ ٣٣٠
﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟﴾	نزلَتْ في رفعِ الأصواتِ وهم خلفَ رسولِ الله ﷺ في الصَّلاةِ	٣/ ٣٣٢

سورة الأنفال

الآية	سبب النزول	ج/ص
	سورة التوبة	
﴿ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمٗا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ ﴾	نزلت في كفَّارِ مكَّةَ حين نكثُوا أيمانَهم بعد عهدِ الحديبيَةِ	٣/ ٤٢٥
﴿ مَا كَانَ لِلۡمُشۡرِكِينَ أَن يَعۡمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ ﴾	نزلت لمَّا أُسِرَ العبَّاسُ وعُيِّرَ بالكفرِ وقطيعةِ الرَّحِمِ، فقال: إنَّا لنَعمرُ المسجدَ الحرامَ ونحجُبُ الكعبةَ	٣/ ٤٢٨
﴿أَجَعَلۡتُمۡ سِقَايَةَ ٱلۡحَآجِّ ﴾	نزلَتْ في العبّاسِ؛ إذ قال: كنَّا نعمرُ المسجدَ ونسقي الحجيجَ	٣/ ٤٣٠
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ ﴾	نزلت لمَّا أرادَ المسلمون الهجرةَ فكان فيهم مَن تعلَّقَ به أهله، فأمروا أن لا يقيموا بين أظهُرِ الكفَّارِ	٣/ ٤٣٣
﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةٗ فَسَوۡفَ يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦٓ ﴾	نزلت حين خافَ المسلمون أن يضيقَ العيشُ عليهم؛ لأنَّ المشركين كانوا ينقُلونَ الميرةَ من الحرم	٣/ ٤٣٩
﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ ﴾	نزلت حين قال قومٌ منَ اليهودِ للنبي عليه السلام: كيف نتَّبِعُك وقد تركتَ قِبلتَنا، وأنتَ لا تزعمُ أنَّ عُزَيرًا ابنُ الله؟	٣/ ٤٤٤
﴿ لَوۡ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمۡ إِلَّا خَبَالٗا ﴾	نزلت لمَّا سار رسولُ الله ﷺ إلى تبوكَ فتخلَّفَ ابنُ أُبيٍّ فيمَن تخلَّفَ منَ المُنافقين	٣/ ٤٧٢
﴿لَقَدِ ٱبۡتَغَوُاْ ٱلۡفِتۡنَةَ مِن قَبۡلُ ﴾	نزلَتْ في الذين انصرفُوا مع ابنِ أُبيٍّ عن غزوةِ تبوكَ لمَّا ضربَ عسكرَه على ثنيَّةِ الوداعِ	٣/ ٤٧٤
﴿وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ ٱئۡذَن لِّي وَلَا تَفۡتِنِّيٓ ﴾	نزلت في الجدِّ بنِ قيسٍ حين استأذن النبي عليه السلام في التخلف عن غزوة تبوكٍ؛ لأنه لا يصبر على فتنة النساء	٣/ ٤٧٤
﴿ قُلۡ أَنفِقُواْ طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمۡ ﴾	نزلَتْ في الجدِّ بنِ قيسٍ إذ قال: ائذَنْ لي في القُعودِ، وهذا مالي أُعينُكَ به	٣/ ٤٧٧
﴿ وَمِنۡهُم مَّن يَلۡمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾	نزلت في ابن ذي الخُوَيصِرةِ حين قال للنبي عليه السلام وهو يقسمُ مالًا: اعدِلْ يا رسولَ الله	٣/ ٤٨١
﴿ وَمِنۡهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٞۚ ﴾	نزلَتْ في نَبْتَلِ بنِ الحارثِ حين قال: إنَّما محمَّدٌ أُذُنٌ، مَن حدَّثَه شيئًا صدَّقَه	٣/ ٤٨٦
﴿ أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾	نزلَتْ في المُنافقينَ الذين تخلَّفُوا عن غزوةِ تبوكَ	٣/ ٤٨٩

الآية	سبب النزول	ج/ص
﴿ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ ﴾	نزلت حين قال بعضُ المُنافقينَ: والله لوَدِدْتُ أنّي قُدِّمْتُ فجُلِدْتُ مئةً، ولا ينزلُ فينا شيءٌ يفضَحُنا	٣/ ٤٩٠
﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾	نزلت في المُنافقين إذ قالوا: إنَّ هؤلاءِ يرجُونَ أن يفتَحُوا قصورَ الشَّام، فلما سألهم النبي عليه السلام عن ذلك قالوا: إنَّما كنّا نخوضُ ونلعبُ	٣/ ٤٩١
﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ ﴾	نزلت في المنافقينَ في غزوةِ تبوكَ كانوا إذا خلَوا سبُّوا النبي عليه السلام وأصحابَه، فلما سئلوا حلَفُوا أنّهم ما قالوا شيئًا	٣/ ٥٠١
﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ ﴾	نزلَتْ في ثعلبةَ بنِ حاطبٍ سأل النبي عليه السلام أن يدعو له بالرزق الكثير، فلما كثُر ماله ترك صلاة الجماعة وامتنع عن أداء الزكاة	٣/ ٥٠٣
﴿ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾	نزلَتْ في رجل تصدَّق بصاعٍ، فقالوا: إنَّ الله لَغنيٌّ عنِ صاعِ هذا	٣/ ٥٠٧
﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا ﴾	نزلت حين جاء ابن عبد الله بن أُبيٍّ النبي عليه السلام فطلب منه أن يكفن أباه بقميصه وأن يصلي عليه، فاستجاب له	٣/ ٥١٢
﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ ﴾	نزلت في رَهط عامرِ بن الطُّفَيل، قالوا: يا رسولَ الله، لو غزَوْنا معكَ أغارَتْ أعرابُ طَيّئٍ على حلائِلِنا، فعذرهم	٣/ ٥١٥
﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ ﴾	نزلتِ في أبي مُوسى وأصحابه، أتَوا النَّبيَّ عليه السَّلامُ يستحمِلُونَه، ووافَقَ ذلك منه غضَبًا، فتوَلَّوا يبكُونَ	٣/ ٥١٧
﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ ﴾	نزلت في رهط تخلفوا عن غزوةٍ فربطُوا أنفُسَهم على السَّواري، وحلَفُوا أنْ لا يَحلّوا أنفُسَهم، ثم أطلقهم النبي عليه السلام	٣/ ٥٢٨
﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ ﴾	نزلت في الذين لم يتوبُوا منَ المُتخلِّفينَ حين قالوا: هؤلاءِ كانُوا معَنا بالأمسِ لا يُكلِّمونَ ولا يُجالسونَ، فما لهم الآنَ؟	٣/ ٥٢٩
﴿ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ ﴾	نزلَتْ في الثَّلاثةِ الذين تيبَ عليهم وكانوا تخلَّفُوا عن تبوكَ	٣/ ٥٣٠
﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا ﴾	نزلت في منافقين بنوا مسجداً بجانب مسجد قباء، وأرسلوا إلى النبي عليه السلام ليصلي فيه	٣/ ٥٣١
﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم ﴾	نزلت لمَّا بايعتِ الأنصارُ ليلةَ العقبةِ، فاشترط عليهم النبي عليه السلام الإسلام والمنعة وأن لهم الجنة	٣/ ٥٣٩

الآية	سبب النزول	ج/ص
﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ﴾	نزلت حين سألَ النبي عليه السلام جبريلَ عن قبرِ أبيه وأمِّه، فأرشدَه، فذهبَ ليدعو لهما	٣/ ٥٤٣
﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ﴾	نزلت حين قال النبي عليه السلام: لأستغفِرَنَّ لأبي كما استغفرَ إبراهيمُ لأبيه	٣/ ٥٤٤

سورة يونس

الآية	سبب النزول	ج/ص
﴿إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾	نزلت في الذين سألُوا النبي عليه السلام آيةً فردَّهم إلى تأمُّلِ مصنوعاتِ الله	٣/ ٥٦٧
﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ﴾	نزلَت في مُشركي مكَّةَ حين قالوا: ائتِ بقُرآنٍ ليس فيه سبُّ آلهتِنا	٣/ ٥٧٤
﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾	نزلت في الذين قُتِلُوا يومَ بدرٍ	٣/ ٥٩٠

سورة هود

الآية	سبب النزول	ج/ص
﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ﴾	نزلت في الأخنسِ بنِ شَريقٍ كان يلقَى رسولَ الله بما يُحبُّ وينطَوي له بقلبِه على ما يسوءُ	٣/ ٦٤٣
﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً﴾	نزلَتْ في الوليدِ بنِ المُغيرةِ	٣/ ٦٤٧
﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ﴾	نزلت حين همّ النبي عليه السلام أن يَدَعَ سبَّ آلهتِهم	٣/ ٦٤٨
﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾	نزلَتْ في الكفَّارِ فمَن أتى منهم بصِلَةِ رحمٍ أو صدقةٍ يكافأ في الدُّنيا	٣/ ٦٥٠
﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾	نزلت في رجل أصاب من امرأةٍ لبعضِ الغزاةِ كلَّ شيءٍ إلّا الوقاعَ	٣/ ٧٢٦

سورة يوسف

الآية	سبب النزول	ج/ص
﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾	نزلت حين قال اليهود للمُشركينَ: سلُوا محمَّدًا لِمَ انتقَلَ ولدُ يعقوبَ منَ الشَّامِ إلى مصرَ، وعن خبرِ يوسُفَ	٤/ ٧

الآية	سبب النزول	ج/ص
﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾	نزلت بعد أن تلا النبي عليه السلام القرآن زمناً، فقالوا: لو قصصْتَ علينا	٨/٤
﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾	نزلت تسليةً للنَّبيِّ عليه السَّلامُ، إذ ظنَّ أنَّ العربَ لمَّا سألته عن هذه القِصَّةِ وأخبرَهم بها سيُؤمنون	١٠٠/٤
﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾	نزلَت في قوم آمنُوا بأنَّ الله خالقُ السَّماواتِ والأرضِ، ثمَّ يعبُدون الوثَنَ	١٠١/٤

سورة الرعد

الآية	سبب النزول	ج/ص
﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ﴾	نزلت حين أرسل النبي عليه السلام إلى رجلٍ من فراعنةِ العربِ ليحضر إليه فأبى، فرعدَتْ فوقَعَتْ عليه صاعقةٌ	١٢٤/٤
﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ﴾	نزلت في حمزةَ وأبي جهلٍ	١٣٧/٤
﴿لِّتَتْلُوَا عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ﴾	نزلَتْ في صُلحِ الحديبيةِ لمَّا قال عليه السَّلامُ لعليٍّ: اكتُبْ: بسمِ الله الرَّحمنِ الرَّحيمِ، فاعترض سُهَيلُ بنُ عَمرٍو	١٤٣/٤
﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ﴾	نزلت في المشركين حين سألُوا النبي عليه السلام أن يُسيِّرَ عنهم جبالَ مكَّةَ حتَّى يزدَرِعُوا	١٤٤/٤
﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾	نزلت في ابن سلام وصحبه ساءَهم قلَّةُ ذكرِ الرَّحمنِ في القرآنِ مع كثرةِ ذكرِه في التَّوراةِ	١٥٣/٤
﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾	نزلت في اليهود عيَّرتِ النَّبيَّ عليه السلام وقالوا: ولو كان نبيًّا لشغَلَه أمرُ النُّبوَّةِ عن النِّساءِ	١٥٤/٤

سورة الحجر

الآية	سبب النزول	ج/ص
﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ﴾	نزلت حين صلَّت امرأةٌ حسناءُ خلفَ النَّبيِّ عليه السَّلامُ، فكان بعضُ الصحابة يتقدَّمُ في الصَّفِّ خوفَ الافتتانِ، ويتأخَّرُ البعضُ	٢١٩/٤
﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا﴾	نزلَتْ في أبي بكرٍ وعمرَ وعليٍّ والصَّحابةِ	٢٢٨/٤

الآية	سبب النزول	ج/ص
	سورة النحل	
﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ﴾	نزلت في أُبيّ بن خلفٍ، جاء إلى النَّبيِّ عليه السَّلامُ بعظمٍ رَميمٍ فقال: أترَى يُحيي الله هذا بعدَما قد رمَّ؟	٤/ ٢٥٥
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ﴾	نزلَتْ في النَّضرِ بنِ الحارثِ، وكانَ خرجَ إلى الحيرةِ واشترَى كتبَ الأساطير	٤/ ٢٦٧
﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾	نزلَتْ في رجلٍ منَ المسلمينَ كان له دَينٌ على مُشركٍ، فأتاهُ يتقاضاه فقال المُشرِكُ: أُقسِمُ بالله لا يبعَثُ الله مَن يموتُ	٤/ ٢٧٦
﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟﴾	نزلَتْ في أصحابِ النَّبيِّ عليه السَّلامُ، هاجَرُوا في الله من مكَّةَ إلى المدينةِ	٤/ ٢٧٧
﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا﴾	نزلَتْ لمَّا قال الكفار: هلا أرسلَ إلينا ملَكًا	٤/ ٢٧٩
﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ﴾	نزلَتْ في خُزاعةَ وكِنانةَ فإنَّهم زعموا أنَّ الملائكةَ بناتُ الله	٤/ ٢٨٦
﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ ۚ﴾	نزلَتْ في نصارَى نجرانَ، قالوا: عيسى ابنُ الله	٤/ ٢٩٦
﴿وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ﴾	نزلَتْ في امرئِ القيسِ بنِ عابسٍ ورجلٍ، اختَصَما في أرضٍ فأرادَ امرُؤُ القيسِ أن يحلفَ ثم نكَلَ، وأقرَّ له بحقِّه	٤/ ٣١٤
﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ﴾	نزلت حين قال المشركون: إن النبي عليه السلام يتعلَّمُ القرآن من الغلامين النصرانيين	٤/ ٣١٧
﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ﴾	نزلَتْ في عمّارِ بنِ ياسرٍ؛ فإنَّ المُشركينَ أخذُوه وأباه وأمَّه فعذَّبوهم، فأعطاهم ما أرادوا بلسانِه مُكرَهًا	٤/ ٣٢١
﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟﴾	نزلَتْ في قومٍ آمَنُوا وهاجَرُوا، فرُدُّوا عن الطَّريقِ وفُتِنُوا مُكرَهين	٤/ ٣٢٤
﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم﴾	نزلَت في حمزةَ رضيَ الله عنه لمَّا مُثِّلَ به في أحد، فحلف النبي عليه السلام أن يمثل بسبعين منهم	٤/ ٣٣٥

الآية	سبب النزول	ج/ص
﴿ وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ ﴾	نزلَتْ في رُؤساءِ قُريشٍ حين قالوا للنبي عليه السلام: سَلْ ربَّكَ أن يُنَحِّيَ عنّا هذه الجبالَ، وأن يُجرِيَ لنا أنهارًا، وأن يبعَثَ آباءَنا	٤/ ٤٢٤
﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ ﴾	نزلت حين تهجَّدَ النبي عليه السلام ليلةً فجعلَ يقولُ في سجودِه: يا رحمنُ، فقال المُشرِكونَ: دعا إلهَينِ	٤/ ٤٣٦
﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ ﴾	نزلَتْ حين كان النَّبيُّ عليه السَّلامُ مُتَخَفٍّ بمكَّةَ، وكانوا إذا سمِعُوا القرآنَ سبُّوه	٤/ ٤٣٦

سورة الكهف

الآية	سبب النزول	ج/ص
﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ۝٢٣ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾	نزلت حين قال اليهود للمُشركينَ: سلُوه عنِ الرُّوحِ، فقال النبي عليه السلام: «أُجيبُ» ولم يقُلْ: إنْ شاءَ الله	٤/ ٤٦٧
﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا ﴾	نزلَتْ في أميَّةَ بنِ خلَفٍ؛ فإنَّه دعا النبي عليه السلام إلى تقريبِ صناديدِ أهلِ مكَّةَ وطردِ الفقراءِ عنه	٤/ ٤٧٥
﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴾	نزلت في النَّضر بن الحارثِ وجداله في القرآنِ	٤/ ٥٠٢
﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِي ٱلْقَرْنَيْنِ ﴾	نزلت في اليهود حين قالوا للنبي عليه السلام: أخبِرْنا عن نبيٍّ لم يذكُرْه الله في التَّوراةِ إلَّا في مكانٍ واحدٍ	٤/ ٥٢٨
﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي ﴾	نزلت في اليهود حين قالوا: أُوتينا التَّوراةَ، ومَن أوتيَ التَّوراةَ فقد أوتيَ خيرًا كثيرًا	٤/ ٥٥١
﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا ﴾	نزلت في رجل قال: يا رسولَ الله، إنِّي لأُصلِّي وأتصدَّقُ، وأُحِبُّ مع ذلك أن يطَّلِعَ عليه النَّاسُ	٤/ ٥٥٤

سورة مريم

الآية	سبب النزول	ج/ص
﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ﴾	نزلت حين سئل النبي عليه السلام عن الرُّوحِ، إذ لم يستَثْنِ فيما وعَدَ منَ الجوابِ، فتأخَّرَ الوحيُ	٤/ ٦٠٧
﴿ وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴾	نزلَتْ في أُبيِّ بنِ خلَفٍ، وجدَ عظامًا يابسةً ففتَّها بيدِه وقال: زعمَ محمَّدٌ أنّا نُبعَثُ بعد الموتِ	٤/ ٦١٠

الآية	سبب النزول	ج/ ص
﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾	نزلَتْ في العاصِ بنِ وائلٍ كان عليه دَينٌ لخبَّابِ بنِ الأرتِّ، فلما طلبه أجابه مستهزئاً: دَعْ مالَك قِبَلي، فإذا بُعِثْتُ أُعطيتُ مالًا وولدًا	٤/ ٦٢٠
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾	نزلَتْ في عبدِ الرَّحمنِ بنِ عَوفٍ، جعَلَ الله له في قلوبِ العبادِ المودّةَ	٤/ ٦٣١

سورة طه

الآية	سبب النزول	ج/ ص
﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾	نزلت للتخفيف عن النبي عليه السلام، إذ كان إذا قامَ منَ الليلِ ربطَ صدرَه بحبلٍ كي لا ينامَ	٤/ ٦٣٨
﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾	نزلَتْ في رجلٍ لطَمَ امرأتَه، فجاءَتْ إلى النَّبيِّ عليه السلام تطلُبُ القِصاصَ، فجعَلَه لها	٤/ ٧٠٨
﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ﴾	نزلت تعزية للنبي عليه السلام، إذ نزَلَ به ضيفٌ فأرسلَ إلى يهودي يستقرض منه طعاماً، فأبى إلّا برهنٍ	٤/ ٧١٧

سورة الأنبياء

الآية	سبب النزول	ج/ ص
﴿سَأُو۟رِيكُمْ ءَايَـٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾	نزلَتْ في النَّضرِ بنِ الحارثِ وقولِه: ﴿إِن كَانَ هَـٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ﴾	٥/ ٢٨
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾	نزلت في ابن الزبعرى حين سأل النبي عليه السلام: أكلُّ ما يعبد من دون الله في جهنم حتى الملائكة وعيسى؟	٥/ ٧٩

سورة الحج

الآية	سبب النزول	ج/ ص
﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَـٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾	نزلت في الوليدِ بنِ المُغيرةِ وعُتبةَ بنِ ربيعةَ وغيرهم ممن كانوا غالينَ في إنكارِ البعثِ	٥/ ١٠٠
﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَـٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾	نزلَتْ في أبي جهلٍ	٥/ ١٠٨
﴿هَـٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾	نزلَتْ في الرهط السِّتَّةِ الذين تبارَزُوا يومَ بدرٍ	٥/ ١٢١
﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾	نزلت حين قال ابنُ أمِّ مكتوم: أفأكونُ أعمَى أبداً، بعد أن نزل قوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ فِى هَـٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ﴾	٥/ ١٥٨

الآية	سبب النزول	ج/ص
﴿إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾	نزلت حين ألقى الشَّيطانُ على لسانِ النبي عليه السلام ما كان يحدِّثُ به نفسَه ويتمنَّاه مِنْ إيمان قومه	٥/ ١٦٤
﴿ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ﴾	نزلت في قوم من مشركي مكَّة لقوا المسلمين لليلَتَيْن بقيَتا من المحرَّم، فناشدَهم المسلمون أنْ يقاتلوهم في الشَّهر الحرام، فأبَوا	٥/ ١٧٢
﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ﴾	نزلتِ في بُدَيْلِ بنِ وَرقاءَ وجماعةٍ من كفَّار قريش، قالوا للمؤمنين: ما قَتَلَ اللهُ لكم أحقُّ أن تأكلوه ممَّا قتلْتُم أنتم بسكاكينِكم	٥/ ١٧٧
﴿مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾	نزَلَتْ في جماعةٍ مِنْ يهودِ المدينةِ قالوا: لَمَّا فرغَ اللهُ من خلقِ السَّماواتِ والأرضِ أعيى فاستلقى فاستراحَ	٥/ ١٨٢
﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾	نزلت حين قال الوليدُ بنُ المغيرةِ عن النبي عليه السلام: أأنزِلَ عليه الذِّكْرُ مِنْ بينِنا	٥/ ١٨٢

سورة النور

الآية	سبب النزول	ج/ص
﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟﴾	نزَلَتْ في حسَّانَ حينَ تابَ من قذفِ عائشةَ رضيَ الله عنهما	٥/ ٢٥٥
﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ﴾	نزلت في هلال بن أميَّةَ حين قذَفَ امرأتَه عند النبي عليه السلام، فطلب منه البينة	٥/ ٢٥٧
﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾	نزَلَتْ في شأنِ الذين لم يقذِفُوا ولكنَّهم خاضُوا فيه	٥/ ٢٦٣
﴿وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ﴾	نزلت في أبي بكر رضي الله عنه كان يُنفِقُ على مسطح قبلَ قذف عائشة، فلمّا نزلَتْ براءتُها حلَفَ لا يُنفِقُ عليه	٥/ ٢٦٦
﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْ﴾	نزلت في أبي بكرٍ حين سأل النبي عليه السلام عن الاستئذان فقال: فكيفَ بالبيوتِ في الخاناتِ؟	٥/ ٢٧٦
﴿وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ﴾	نزَلَتْ في غلامٍ لحُوَيطبِ بنِ عبدِ العُزَّى طلبَ من مولاه أن يُكاتبَه، فأبى	٥/ ٢٨٨
﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ﴾	نزلت في عبد الله بن أُبيٍّ إذ كان يقولُ لجاريةٍ له: اذهَبي فابغِيْنا شيئًا	٥/ ٢٩٠

الآية	سبب النزول	ج/ص
﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾	نزلَت في أهلِ الصُّفَّةِ فقد كانوا من أفقرِ النّاسِ	٥/ ٣٠١
﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم﴾	نزلَتِ في بشرٍ المُنافقِ كان يُخاصِمُ يهوديًّا في أرضٍ فقال اليهوديُّ: رضيتُ بحكمِ محمَّدٍ، فقال المُنافقُ: إنَّه يَحيفُ علينا	٥/ ٣١٣
﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾	نزلت في المنافقين حين أتَوا النبي عليه السلام فقالوا: والله لو أمَرْتَنا أن نخرُجَ من ديارِنا وأموالِنا ونسائِنا لخرَجْنا	٥/ ٣١٥
﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾	نزلت حين سئل النبي عليه السلام: أما يأتي علينا يومٌ نأمَنُ فيه ونضَعُ السِّلاحَ؟ فوعدهم بقرب هذا اليوم	٥/ ٣١٧
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾	نزلت حين بعث النبي عليه السلام غلامًا إلى عمرَ ظهرًا ليدعُوَه، فدخل عليه دون استئذانٍ فقال عمرُ: ودِدْتُ أنَّ الله نهى أبناءَنا ونساءَنا وخدَمَنا عن الدُّخولِ علينا إلا بإذنٍ	٥/ ٣٢٠
﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ﴾	نزلت حين تحرَّجُ المسلمون عن مُؤاكلةِ المرضَى والزَّمْنَى والعُمْيِ والعُرْجِ، وظنوه من أكلِ المالِ بالباطلِ	٥/ ٣٢٦
﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا﴾	نزلَتْ في بني ليثِ بنِ بكرٍ، كان الرَّجلُ منهم لا يأكلُ وحدَه، ويمكُثُ أيامًا حتَّى يجدَ مَن يُؤاكِلُه	٥/ ٣٢٩
﴿وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ﴾	نزلَتْ في عمرَ رضيَ الله عنه، استأذَنَ النَّبيَّ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ في غزوةِ تبوكَ في الرَّجعةِ إلى أهلِه، فأذِنَ له	٥/ ٣٣٢
﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا﴾	نزلت في المُنافقين إذ كانوا يخرُجونَ منَ المسجدِ يومَ الجمعةِ مُستَترينَ من غيرِ استئذانٍ	٥/ ٣٣٣

سورة الفرقان

الآية	سبب النزول	ج/ص
﴿وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا﴾	نزلَتْ في النَّضرِ بنِ الحارثِ، كان يقولُ للمشركينَ: هذا كما كنتُ أُحدِّثُكم عن رستُم وإسفنديار	٥/ ٣٤٠
﴿لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا﴾	نزلتِ الآياتُ في أبي جهلٍ وأصحابِه	٥/ ٣٥٠
﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾	نزلت في أُبيِّ بنُ خلَفٍ، كان يحضرُ النَّبيَّ عليه السلام ويستمعُ إلى كلامِه، فزَجرَه عقبةُ بنُ أبي مُعيطٍ عن ذلك	٥/ ٣٦٤

الآية	سبب النزول	ج/ص
﴿ٱلَّذِينَ يُحۡشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾	نزلت حين قال الكفَّار لأصحابِ محمدٍ ﷺ: هم شرُّ الخلقِ	٥/ ٣٧١
﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾	نزلت في قومٍ من المشركين قتَلوا فأكثَروا، ثم قالوا للنبيِّ عليه السلام: إنَّ ما تَدْعونا إليه لحَسَنٌ لو تخبرُنا أنَّ لِمَا عَمِلْنا كفَّارةً	٥/ ٣٩٤
﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾	نزلت في أصحابِ النبيِّ ﷺ لمَّا تابوا مِن ذنوبهم السابقةِ في الشركِ	٥/ ٣٩٩

سورة القصص

الآية	سبب النزول	ج/ص
﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ﴾	نزلت في أبي طالب لما حضرته الوفاة فدعاه النبي عليه السلام للإسلام، فأبى	٥/ ٥٦٧
﴿وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلۡهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفۡ مِنۡ أَرۡضِنَآ﴾	نزلت في الحارثِ بنِ عثمانَ، قال للنَّبيِّ عليه السَّلامُ: إنَّا لَنعلَمُ أنَّ الذي تقولُ حَقٌّ، ولكنْ يمنعُنا من ذلك أنَّ العربَ تتخطَّفُنا من أرضِنا	٥/ ٥٦٧
﴿إِنَّ ٱلَّذِي فَرَضَ عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾	نزلت حين سار النبي عليه السلام من مكَّةَ إلى المدينةِ عامَ الهجرة واشتاقَ إلى مكَّة وذكر مولدَه	٥/ ٥٨٨

سورة العنكبوت

الآية	سبب النزول	ج/ص
﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا﴾	نزلت في أناسٍ كانوا بمكَّة من المسلمين، فكتب إليهم من في المدينةِ أنَّه لا يُقبَلُ منكم إسلامٌ حتى تهاجروا، فخرجوا، فأتبعهم المشركون فآذوهم	٥/ ٥٩٣
﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حُسۡنًا﴾	نزلَتْ في سعدِ بنِ أبي وقَّاصٍ؛ فإنَّه لَمَّا أسلمَ قالت له أمُّه: واللهِ لا يُظِلُّني سقفُ بيتٍ، ولا آكلُ ولا أشربُ، حتَّى تكفُرَ بمحمَّدٍ	٥/ ٥٩٧
﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾	نزلَتْ في قومٍ من المنافقين كانوا إذا أُوذوا صَرخوا بالشِّرْكِ	٥/ ٥٩٩
﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ﴾	نزلَتْ في قوم من المسلمين كانوا يكرهون الهجرةَ خوفاً من ضيْقِ المعيشةِ عليهم	٥/ ٦٢٤

الآية	سبب النزول	ج/ص
	سورة الأحزاب	
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾	نزلت في زعماء قريش الذين قدموا على النبي عليه السلام وقد أعطاهم الأمانَ على أنْ يكلِّموه، فطلبوا منه ألا يذكر آلهتهم	٥/ ٧١٧
﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ﴾	نزلَتْ في عبدِ اللهِ بنِ خَطَلٍ، كانت قريشٌ تسمِّيه: «ذا القلبَيْنِ» لدهائِه	٥/ ٧١٩
﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ﴾	نزلَتْ في زيدِ بنِ حارثةَ، كانَ عبداً مملوكاً للنَّبيِّ عليه السلام، فأعتقه وتبنَّاهُ	٥/ ٧٢٠
﴿وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لكم	نزلَتْ في بني سالمٍ من المنافقين	٥/ ٧٣٣
﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾	نزلَتْ في القومِ الذين عاهدوا رسولَ اللهِ ﷺ ليلةَ العقبةِ	٥/ ٧٤٣
﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾	نزلت حين دخلَ نساءٌ من المسلماتِ على أزواجِ النبي عليه السلام فقُلْنَ: ذُكِرْتُنَّ ولم نُذْكَرْ، فلو كانَ فينا خيرٌ ذُكِرْنا	٥/ ٧٥٨
﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا﴾	نزلَت في عبدِ اللهِ بنِ جحشٍ وأختِه زينبَ، حين خطبَ النَّبيُّ عليه السلام زينبَ لزيدِ بنِ حارثةَ، فكرها ذلك	٥/ ٧٦٠
﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾	نزلت حين تزوَّجَ النبي عليه السلام زينبَ فقال النَّاسُ: تزوَّجَ امرأةَ ابنِه	٥/ ٧٦٨
﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ﴾	نزلت بعد نزول آية الصلاة على النبي عليه السلام، إذ قال المهاجرون والأنصارُ: هذا لَكَ يا رسول الله خاصَّة، ليس لنا فيه شيء	٥/ ٧٦٩
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ﴾	نزلت حين أَوْلَمَ النبي عليه السلام على زينبَ فدعا أصحابه إلى الطَّعامِ، فبقيَ ثلاثةُ نَفَرٍ يتحدَّثونَ فأطالوا المُكْثَ	٥/ ٧٨٢
﴿وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا﴾	نزلت في طلحة بن عُبيدِ اللهِ، قال لمَّا نزلَتْ آيةُ الحجابِ: أينهانا أن ندخلَ على بناتِ عمِّنا؟ والله لئن ماتَ محمَّدٌ لأتزوجَنَّ عائشةَ	٥/ ٧٨٤

الآية	سبب النزول	ج/ص
﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِيٓ ءَابَآئِهِنَّ﴾	نزلَتْ بعد نزول آية الحجاب إذ قال الآباءُ والأبناءُ والأقاربُ للنبي عليه السلام: ونحن أيضاً نكلِّمهُنَّ مِنْ وراءِ حجابٍ؟	٥/ ٧٨٦
﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟﴾	نزلت حين رأى عمرُ رضي الله عنه جاريةً من الأنصارِ متبرِّجةً فضربَها، فخرج أهلُها وآذَوا عمرَ باللِّسانِ	٥/ ٧٨٨

سورة سبأ

الآية	سبب النزول	ج/ص
﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾	نزلت في المشركين حين قالوا: نهانا أن نُؤذيَ قرابتَه ففعَلْنا، وهوَ يذكرُ آلهتَنا ويَعيبُها؟	٦/ ٥٠
﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ﴾	نزلَت في ثمانين ألفاً يَغزونَ في آخرِ الزَّمانِ الكعبةَ ليخربُوها	٦/ ٥٣

سورة فاطر

الآية	سبب النزول	ج/ص
﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا﴾	نزلت في اليهود والنصارى حين قالوا: عُزيرٌ ابنُ اللهِ والمسيحُ ابنُ الله، فكادَت السَّماواتُ والأرضُ أن تزولا	٦/ ٩١

سورة يس

الآية	سبب النزول	ج/ص
﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾	نزلت في كفَّارُ مكَّةَ حين قالوا للنبي عليه السلام: لستَ مرسلاً	٦/ ٩٨
﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِيٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا﴾	نزلَت في أبي جهلٍ؛ حمَلَ حجراً ليدمَغَ به النَّبيَّ عليه السلام وهوَ يصلِّي، فيبِسَتْ يدُه إلى عنقِه	٦/ ١٠١
﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا﴾	نزلت في رجل من المشركين أخذ حجراً وأراد قتل النبي عليه السلام، فلمَّا دنا منه طمسَ الله على بصرِه	٦/ ١٠٣
﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ﴾	نزلت في بني سلمةَ كانوا في ناحيةٍ من المدينةِ، فأرادوا أن ينتقلوا إلى قربِ المسجدِ	٦/ ١٠٥
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾	نزلَت في قومٍ مِن الزَّنادقةِ استهزؤوا بالمسلمينِ بهذا القولِ	٦/ ١٢٥

الآية	سبب النزول	ج/ص
﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ﴾	نزلت في الأسود بن عبدِ الأسدِ حين أخذ حجراً ليطرحَه على النَّبيِّ عليه السلام، فطمسَ اللهُ على بصرِهِ	٦/ ١٣٥
﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ﴾	نزلَت في أُبَيِّ بنِ خلفٍ لمَّا أتى النَّبيَّ عليه السلام بعظمٍ حائلٍ ففتَّه بين يديه، فقالَ: أَيُحيي الله هذا بعدما رَمَّ؟!	٦/ ١٣٩

سورة الصافات

الآية	سبب النزول	ج/ص
﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ﴾	نزلَتِ لما قالَت قريشٌ: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾	٦/ ١٤٦
﴿وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا﴾	نزلت لمَّا قال المشركون: الملائكةُ بناتُ اللهِ، فقالَ لهم أبو بكرٍ: فمَن أمَّهاتُهم؟ قالوا: سرواتُ الجنِّ	٦/ ١٩٦

سورة ص

الآية	سبب النزول	ج/ص
﴿صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ﴾	نزلت حين طلبت قريش من أبي طالب أن يكف النبي عليه السلام عنهم، فطلب منهم كلمة التوحيد ليسودوا بها، فأبوا	٦/ ٢٠٧

سورة الزمر

الآية	سبب النزول	ج/ص
﴿قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ﴾	نزلَت لمَّا دعا المشركون النبي عليه السلام إلى دينِ أسلافِهِ وقومِه	٦/ ٢٨٣
﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ (١٧) ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾	نزلت في نفر من الصحابة أسلموا على يد أبي بكر الصديق رضي الله عنه	٦/ ٢٨٦
﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ﴾	نزلت في أقوام كان يحرص النبي عليه السلام على إسلامهم، لكنهم يأبون	٦/ ٢٨٧
﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾	نزلَت في حمزةَ وعليٍّ وأبي لهبٍ وولدِه	٦/ ٢٩٠
﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾	نزلت حين مشى خالدُ بنُ الوليدِ إلى العزَّى ليكسرَها بالفأسِ، فقالَ له سادنُها: أُحذِّرُكَها يا خالدُ؛ فإنَّ لها شدَّةً	٦/ ٣٠٠

الآية	سبب النزول	ج/ص
﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾	نزلَت في قومٍ خافُوا إن أسلموا أن لا يُغفَرَ لهم ما جَنَوا من الشِّركِ والذُّنوبِ	٦/ ٣٠٩
﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾	نزلت حين قالَ رجلٌ من أهلِ الكتابِ: بلغَكَ يا أبا القاسمِ أنَّ اللهَ تعالى يحملُ الخلائقَ علىٰ إصبعٍ...؟	٦/ ٣١٩

سورة غافر

الآية	سبب النزول	ج/ص
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ﴾	نزلَت في اليهودِ تعظَّموا عن اتِّباع محمَّدٍ عليه السَّلام وقالوا: إنَّ الدَّجَّالَ منَّا، وسيخرجُ عن قريبٍ فيردُّ الملكَ إلينا	٦/ ٣٦٢

سورة فصلت

الآية	سبب النزول	ج/ص
﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ (٦) ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾	نزلت في المشركين إذ كانوا ينفقونَ النَّفقاتِ ويَسقُون الحجيجَ ويُطعمونهم، فحرَمُوا ذلكَ مَن آمنَ منهم	٦/ ٣٧٨
﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ﴾	نزلت في ثلاثة نفرٍ تكلَّموا بكلامٍ، ثمَّ قالَ بعضُهم: أترونَ اللهَ سمعَ كلامَنا هذا؟	٦/ ٣٩١
﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾	نزلَت لمَّا قالَ أبو جهل: إذا سمعتُم القرآنَ من محمَّدٍ فارفعُوا أصواتَكم بالأشعارِ والكلامِ في وجوهِهم حتَّى يلتبسَ عليهم	٦/ ٣٩٤
﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾	نزلت في أبي سفيان فإنَّه لانَ للمسلمين بعد مصاهرته للنبي عليه السلام، ثمَّ أسلمَ فصارَ وليّاً في الإسلامِ حميماً	٦/ ٣٩٩
﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾	نزلت في أصحاب الصُّفَّةِ حين نظروا إلى أموالِ بني قريظةَ والنَّضيرِ فتمنَّوها،	٦/ ٤٣٥

سورة الشورى

الآية	سبب النزول	ج/ص
﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟﴾	نزلَت حينَ حبسَ اللهُ المطرَ عن أهلِ مكَّةَ سبعَ سنين حتَّى قَنطوا	٦/ ٤٣٦
﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ﴾	نزلت حين شتَمَ رجلٌ من المشركين أبا بكرٍ فلم يردَّ عليه بشيءٍ	٦/ ٤٤٣

الآية	سبب النزول	ج/ص
﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴾	نزلَت في المؤمنين أخرجَهم الكفَّارُ مِن مكَّةَ وبغَوا عليهم، ثمَّ مكَّنَهم اللهُ في الأرضِ	٦/ ٤٤٤
﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ﴾	نزلت حين قالَت اليهودُ: ألا تكلِّمُ اللهَ وتنظرُ إليه إن كنتَ نبياً كما كلَّمَه موسى ونظرَ إليه؟	٦/ ٤٥٢

سورة الزخرف

الآية	سبب النزول	ج/ص
﴿سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴾	نزلت حين سئل الكفار: ما يدريكم أن الملائكة إناث؟ فقالوا: سمعنا ذلكَ مِن آبائِنا، ونحن نشهدُ أنَّهم لم يكذبوا	٦/ ٤٦٧
﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ﴾	نزلت بعد أن سئل النبي عليه السَّلامُ: لمَن هذا الأمرُ بعدَك؟ فلم يُخبرْ بشيءٍ	٦/ ٤٧٨
﴿ وَقَالُوا ءَأَالِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ﴾	نزلَت في ابن الزِّبعرى لمَّا قالَ: لقد خصمْتُ محمَّداً	٦/ ٤٨٧
﴿أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴾	نزلَت في تدبيرِ المشركين المكرَ بالنَّبيِّ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ في دارِ النَّدوة	٦/ ٤٩٧

سورة الدخان

الآية	سبب النزول	ج/ص
﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾	نزلت في أبي جهل إذ قال للنبي عليه السلام: ألا إنِّي لمِن أعزِّ هذا الوادي وأكرمِه على قومِه. فقتلَه الله يومَ بدر وأذلَّه	٦/ ٥٣٠

سورة الجاثية

الآية	سبب النزول	ج/ص
﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾	نزلَت في النَّضرِ بنِ الحارث	٦/ ٥٤٠
﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ ﴾	نزلَت في عمرَ مع عبدِ اللهِ بن أُبيٍّ في غزوةِ بني المصطَلِق حين قال للصحابة الكرام: سمِّنْ كلبَكَ يأكلْك	٦/ ٥٤٣
﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ ﴾	نزلَت في قوم من المشركين قالوا: إنَّهم يُعطَون في الآخرةِ خيراً ممَّا يُعطاه المؤمنون	٦/ ٥٤٨

الآية	سبب النزول	ج/ص
سورة الأحقاف		
﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثۡلِهِۦ﴾	نزلت في عبد الله بن سلام حين سئل عنه اليهود قالوا: سيِّدُنا وعالمنا، فلما علموا إسلامه أساؤوا القولَ فيه	٦/ ٥٦٧
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾	نزلَت في أبي بكر الصديق	٦/ ٥٧٠
﴿وَحَمۡلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهۡرًاۚ﴾	نزلَت في أبي بكرٍ، وكانَ حملُه وفصالُه في ثلاثين شهراً	٦/ ٥٧٢
﴿قَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ﴾	نزلَت في أبي بكرٍ رضي الله عنه؛ أسلمَ أبواه جميعاً، ولم يجتمِع لأحدٍ من المهاجرين أبواه غيره	٦/ ٥٧٣
﴿وَٱلَّذِي قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ أُفّٖ لَّكُمَآ﴾	نزلَتْ في عبدِ الرَّحمنِ بن أبي بكرٍ قبلَ إسلامِه	٦/ ٥٧٦
﴿وَإِذۡ صَرَفۡنَآ إِلَيۡكَ نَفَرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾	نزلت لمَّا كانَ النبي عليه السلام بنخلةَ يقرأُ القرآنَ، فمرَّ به نفرٌ من أشرافِ جنِّ نَصِيبينَ فاستمعوا القراءته	٦/ ٥٨٥
سورة محمد		
﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾	نزلَت في المطعِمين ببدرٍ من المشركين	٦/ ٥٩٥
﴿وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنۡ عِندِكَ قَالُواْ﴾	نزلَت في المنافقين؛ كانُوا يستمعون الخطبةَ يومَ الجمعةِ، وكانَ عليه السَّلامُ يُعرِّضُ بهم، فإذا خرجوا قالوا: ماذا قال آنفا؟	٦/ ٦٠٦
﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾	نزلت في النبي عليه السَّلامُ، حيث كانَ يَضيقُ صدرُه من طعنِ الكفَّارِ والمنافقين	٦/ ٦٠٩
﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوۡلَا نُزِّلَتۡ سُورَةٞۖ﴾	نزلت في المؤمنين إذ كانوا إذا أبطأ عليهم الوحيُ اشتاقوا إلى نزولِه	٦/ ٦١٠
سورة الفتح		
﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا﴾	نزلَت في صُلحِ الحُدَيبية إذ خرج النَّبيَّ عليه السَّلامُ وأصحابه يريدون العمرةَ وساقوا الهدي، إلا أن قريشاً منعتهم، فأجرى معهم صلحاً	٦/ ٦٢٥

الآية	سبب النزول	ج/ص
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾	نزلت في مبايعة الصحابة للنبي عليه السلام تحتَ الشَّجرةِ لمَّا أُرجِفَ بقتلِ عثمانَ رضي الله عنه، فسُمِّيت بيعةَ الرِّضوان	٦/ ٦٣٥
﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ﴾	نزلت في الذين تخلفوا عن النبي عليه السلام يوم الحديبية، إذ منعوا من الخروج إلى خيبر	٦/ ٦٤٢
﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا﴾	نزلت لمَّا خرجَ النبي عليه السلام إلى الحُدَيبيةِ فهمَّتِ اليهودُ وحلفاؤُها أن يُغيروا على عيالِ المسلمين، فألقى الله في قلوبِهم الرُّعبَ	٦/ ٦٤٩
﴿وَهُوَ ٱلَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ﴾	نزلت حين خرجُ المشركون إلى الحديبية وقصدُوا المسلمين، فوقع جماعة منهم بيد النبي عليه السلام فأعتقهم	٦/ ٦٥١

سورة الحجرات

الآية	سبب النزول	ج/ص
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾	نزلَت في قومٍ كانُوا يقولونَ: لو كانَ أنزلَ كذا وكذا لكانَ كذا	٦/ ٦٦٧
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾	نزلَت في ثابتِ بن قيسٍ وكانَ في أذنِه وَقْرٌ، وكان جَهْوَريَّ الصَّوت، وربَّما كانَ يكلِّمُ رسولَ اللهِ فينادي بصوتِه	٦/ ٦٦٩
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ﴾	نزلت في أناس جاؤوا إلى النَّبيِّ عليه السلام وجعلُوا ينادونه وهو في حجرتِه	٦/ ٦٧٢
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾	نزلَت في الوليدِ بن أبي مُعَيطٍ، بعثَه النبي عليه السلام إلى بني المصطلقِ، فرجعَ فأخبرَه أنَّ القومَ قد همُّوا بقتلِه ومنعُوا صدقاتِهم	٦/ ٦٧٤
﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ﴾	نزلَت في خلافٍ وقعَ بين نَفَرٍ من الأنصارِ، فتقاتلوا بالأيدي والنِّعالِ	٦/ ٦٧٧
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ﴾	نزلَت في خالدِ بنِ الوليدِ، فإنَّه ذكرَ عماراً مرَّةً فنالَ منه	٦/ ٦٨٠
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾	نزلت في ثابت بن قيسٍ عيَّرَ رجلاً ببعضِ أمَّهاتِه، فقالَ: ابنُ فلانة، فنكسَ الرَّجلُ رأسَه واستحيا	٦/ ٦٨٦

الآية	سبب النزول	ج/ ص
﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّا﴾	نزلَت في أعرابٍ من بني أسد قدموا المدينةَ في سنةٍ جَدْبةٍ، وأظهروا الشَّهادتين، فكانوا يَمنُّون على النبي عليه السلام إسلامهم	٦/ ٦٨٩

سورة ق

الآية	سبب النزول	ج/ ص
﴿أَفَعَيِينَا بِٱلۡخَلۡقِ ٱلۡأَوَّلِۚ﴾	نزلَت في قومٍ كانُوا شاكِّين في البعثِ من غيرِ قطعٍ بنفيِه	٦/ ٧٠٣
﴿أَلۡقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾	نزلَت هذه الآياتُ في الوليدِ بنِ المغيرة	٦/ ٧٠٨
﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾	نزلت حين قالَت اليهودُ: خلقَ اللهُ الأرضَ يومَ الأحدِ والإثنين...، ثمَّ استوى على العرشِ واستراحَ	٦/ ٧١٥

سورة النجم

الآية	سبب النزول	ج/ ص
﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ﴾	نزلَت في ناسٍ كانُوا يقولون: صلَّينا وصُمنا وفَعلنا وفَعلنا	٦/ ٧٩٤
﴿أَفَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي تَوَلَّىٰ﴾	نزلَت في الوليدِ بنِ المغيرةِ؛ مالَ إلى الإسلامِ بعضَ الميل، فعاتبَه بعضُ المشركين، فرجعَ إلى الشِّرك	٦/ ٧٩٥
﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضۡحَكَ وَأَبۡكَىٰ﴾	نزلت حين مرَّ النَّبيُّ ﷺ على قومٍ يَضحَكونَ، فلامهم على ذلك	٦/ ٧٩٨

سورة القمر

الآية	سبب النزول	ج/ ص
﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾	نزلت حين قال المشركون للنبي عليه السلام: لو كنتَ صادقاً فشُقَّ لنا القمرَ فرقتين	٦/ ٨١٠
﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾	نزلت حين جاءَ مشركو قريشٍ إلى النَّبيِّ عليه السَّلامُ يخاصمونَه في القَدرِ	٦/ ٨٣٤

سورة الواقعة

الآية	سبب النزول	ج/ ص
﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾	نزلت حين مُطِرَ النَّاسُ على عهد النبي عليه السلام، فقالَ بعضُهم: لقد صدقَ نوءُ كذا	٦/ ٩١٠

سورة الحديد

الآية	سبب النزول	ج/ص
﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ﴾	نزلَت في أبي بكرٍ فإنَّه كانَ أوَّلَ مَن أنفقَ المالَ على رسولِ الله ﷺ في سبيلِ الله	٦/ ٩٢٥
﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾	نزلَت في المنافقينَ لأنَّهم قالوا لسلمانَ: حدِّثنا عمَّا في التَّوراةِ؛ فإنَّ فيها عجائبَ	٦/ ٩٣١

سورة المجادلة

الآية	سبب النزول	ج/ص
﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾	نزلت في خولة بنتِ ثعلبةَ، إذ جاءت إلى النبي عليه السلام تجادل في ظهار زوجها لها	٧/ ٧
﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾	نزلت في ناس من اليهودِ جاؤوا إلى النَّبيِّ عليه السَّلام، فقالوا: السَّامُ عليك	٧/ ٢٠
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا﴾	نزلت حين كانَ النبي عليه السلام في الصُّفَّةِ، وفي المكانِ ضِيقٌ فأقام بعض الجالسين ليجلس مكانهم من أهل بدر	٧/ ٢٣
﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾	نزلَت في مجالسِ الحربِ ومقاعدِ القتالِ، وكانَ الرَّجلُ ربَّما قعدَ في موضعٍ ليس بأهلٍ له	٧/ ٢٦
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم﴾	نزلَت في عبدِ الله بنِ نَبْتَل المنافقِ، كان يجالسُ النَّبيَّ عليه السَّلام ثمَّ يرفعُ حديثَه إلى اليهودِ	٧/ ٢٩
﴿لَّن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم﴾	نزلت حين قالَ المنافقون: إنَّ محمَّداً يزعمُ أن يُنصَر يومَ القيامةِ، لقد شَقِينا إذاً	٧/ ٣٠
﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾	نزلت حين سمعَ ابن أبي المسلمين يقولون: إنَّا لنَرجو أن يُظهِرنا اللهُ على فارس والرُّوم، فقال: أتظنُّون أنَّهم كبعضِ القُرى	٧/ ٣٢
﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾	نزلَت في أبي عُبيدةَ بنِ الجرَّاحِ قتلَ أباه عبدَ الله يومَ أُحُدٍ	٧/ ٣٣

الآية	سبب النزول	ج/ ص

سورة الحشر

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾	نزلت في بني النَّضيرِ حين نقضوا العهدَ، وأظهروا العداوةَ للنبي عليه السلام فأجلاهم عن حصونِهم إلى الشَّامِ	٧/ ٣٧
﴿مَا قَطَعۡتُم مِّن لِّينَةٍ أَوۡ تَرَكۡتُمُوهَا﴾	نزلت لمَّا أمرَ عليه السَّلام بقطعِ نخيلِ اليهود وإحراقِها، فاختلفَ المسلمون في ذلك	٧/ ٤٣
﴿وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞ﴾	نزلت في الأنصار حين قالوا للنبي عليه السلام: اقسمِ الأراضيَ الَّتي بأيدينا بيننا وبينَ إخوانِنا المهاجرين	٧/ ٥٢
﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ﴾	نزلت في نفر من المنافقين تولوا اليهود وقالوا لهم: إن أردتم الخروج خرجنا معكم	٧/ ٥٥

سورة الممتحنة

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ﴾	نزلَت في حاطبِ بنِ أبي بلتعةَ حين أرسل كتاباً إلى أهل مكة يحذرهم فيه من خروج النبي عليه السلام إليهم	٧/ ٦٧
﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجۡعَلَ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ عَادَيۡتُم مِّنۡهُم مَّوَدَّةٗ﴾	نزلت حين عادَى المسلمونَ أقرباءَهم من المشركين، فعَلِم اللهُ شِدَّةَ وَجْدِ المسلمين في ذلك	٧/ ٧٤
﴿لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِى ٱلدِّينِ﴾	نزلت في أسماء بنت أبي بكرٍ حين قدِمتْ عليها أمها مشركةً وأهدت إليها هدايا، فكرِهَتْ أن تقبَلَ منها	٧/ ٦٤
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٖ فَٱمۡتَحِنُوهُنَّ﴾	نزلت في سُبيعة بنت الحارثِ حين جاءت النبي عليه السلام بعدَ صلح الحديبية، فأقبل زوجُهَا وكانَ كافرًا يريدها	٧/ ٧٨

سورة الممتحنة

﴿وَلَا تُمۡسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلۡكَوَافِرِ﴾	نزلَت في أمِّ الحكم بنتِ أبي سفيانَ ارتدَّت وتركَت زوجَها، ثمَّ عادَت إلى الإسلامِ	٧/ ٨٤

الآية	سبب النزول	ج/ص

سورة الصف

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾	نزلت حين قال الصَّحابةُ: ودِدْنا أن يخبرَنا الرَّبُّ بأحبِّ الأعمالِ إليه، فلما فرض عليهم القتال كرهوا الموتَ	٧/ ٩٣
﴿وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمٗا﴾	نزلت حين كانَ النبي عليه السلام يخطبُ يومَ الجمعةِ إذ أقبلَت عِيرٌ، فخرج الصحابة إليها	٧/ ١١٣

سورة المنافقون

﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾	نزلَت في عبد الله بن أُبيّ حينَ قالَ: لا تُنفِقوا على مَن عندَ رسول اللهِ حتَّى ينفضَّ مَن حولَه مِن الأعرابِ	٧/ ١١٧
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ يَسۡتَغۡفِرۡ لَكُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ﴾	نزلت في ابنِ أُبيٍّ لمَّا رجعَ بثلثِ النَّاسِ يومَ أُحُد	٧/ ١٢٤
﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ أَسۡتَغۡفَرۡتَ لَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ﴾	نزلت لما ماتَ عبد الله بن أُبيّ، فاستغفرَ له النبي عليه السَّلامُ وألبسَه قميصَه	٧/ ١٢٥

سورة التغابن

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ﴾	نزلَت في عوفِ بنِ مالكٍ، كانَ ذا أهلٍ وولدٍ، فإذا أرادَ الغزوَ بكَوا ورقَّقوه	٧/ ١٣٦

سورة الطلاق

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾	نزلت حين طلَّقَ النَّبيُّ ﷺ حفصةَ، فأتَت أهلَها	٧/ ١٤٧
﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾	نزلَت في عوفِ بنِ مالكٍ، أسرَ المشركون ابناً له، فأتى النبي عليه السلام وشكا إليه، فأمره بالتقوى والصبر	٧/ ١٤٧
﴿وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ﴾	نزلت حين سأل معاذ بن جبلٍ النبي عليه السلام عن عدَّةِ الكبيرةِ الَّتي يئسَت	٧/ ١٤٩

الآية	سبب النزول	ج/ ص

سورة التحريم

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾	نزلت حين دخلَ النبي عليه السلام بأمِّ ولدِه ماريةَ في بيتِ حفصةَ، فوجدته حفصةُ معها فحلفَ لها أن لا يقربَها	٧/ ١٥٧

سورة الملك

﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾	نزلت حين قالَ المشركون بعضُهم لبعضٍ: أسِرُّوا قولَكم في شتمِ محمَّدٍ كيلا يسمعَ إلهُهُ فيخبرَه	٧/ ١٨٧

سورة القلم

﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾	نزلَت في الوليدِ بنِ المغيرةِ حينَ عرضَ على النَّبيِّ عليه السَّلامُ المالَ ليرجعَ عن دينِه	٧/ ٢٠٤
﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾	نزلت في الوليد بن المغيرة، كانَ يقولُ لبنيه وقرابتِه: إن يتَّبِعْ أحدٌ منكم دِينَ محمَّدٍ لا أنعمُه بشيءٍ أبداً	٧/ ٢٠٥
﴿عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾	نزلَت في الأخنسِ بنِ شَريقٍ، سمي بذلك لاختلاطِه بقومٍ وهو مِن غيرِهم	٧/ ٢٠٧
﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ﴾	نزلت حين قالَ كفَّارُ مكَّةَ: إنَّا نُعطَى في الآخرةِ خيراً ممَّا يُعطَى المسلمون	٧/ ٢٢٠

سورة الحاقة

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾	نزلَت في عبدِ اللهِ بنِ عبدِ الأسدِ زوجِ أمِّ سلمةَ يُعطَى كتابَه بيمينِه	٧/ ٢٣٩
﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ﴾	نزلَت في الأسودِ بنِ عبدِ الأسدِ، يُؤتيهُ الملَكُ كتابَه، فيتمنَّى أنَّه لم يُؤتَ لِمَا فيه من مقابحِ أعمالِه	٧/ ٢٤٢

سورة المعارج

﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍۢ وَاقِعٍ﴾	نزلَت في النَّضرِ بنِ الحارثِ إذ قالَ: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَـٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ﴾	٧/ ٢٥١

الآية	سبب النزول	ج/ص
﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهۡطِعِينَ﴾	نزلَت في جمعٍ من المنافقينَ المستهزئينَ كانُوا يحضرونَه عليه السَّلامُ ولا يؤمنونَ	٧/ ٢٦٦
﴿أَيَطۡمَعُ كُلُّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ أَن يُدۡخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٖ﴾	نزلت في قولِ الكفار: إن كانَ اللهُ يُعطِي أصحابَ محمَّدٍ في الآخرةِ خيراً فنحنُ أولى بذلك	٧/ ٢٦٦

سورة الجن

﴿قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ﴾	نزلت حين حِيلَ بينَ الشَّياطينِ وبينَ خبرِ السَّماء، فبحثوا في الأرضِ فوجدوا النبي عليه السلام في سوقِ عكاظٍ يُصلِّي بأصحابِه صلاةَ الفجرِ	٧/ ٢٨٥
﴿وَمَن يُعۡرِضۡ عَن ذِكۡرِ رَبِّهِۦ﴾	نزلَت في الوليدِ بنِ المغيرةِ	٧/ ٣٠٣
﴿وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا﴾	نزلت حين قالَت الجنُّ للنَّبيِّ عليه السَّلام: كيفَ نأتي المساجدَ ونحن نأون منك؟	٧/ ٣٠٥

سورة المزمل

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ﴾	نزلت حين بلغ النبي عليه السلام من المشركين سوءُ قولٍ فيه، فاشتدَّ عليه، فتزمَّلَ في ثيابِه وتدثَّر	٧/ ٣١٣

سورة المدثر

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾	نزلت حين شاعَ بين النَّاسِ وصاحُوا يقولونَ: محمَّدٌ ساحرٌ. فرجعَ النبي عليه السلام إلى بيتِه مَحزوناً، فتدثَّرَ بقطيفةٍ	٧/ ٣٣٤
﴿ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا﴾	نزلت في الوليدِ بنِ المغيرةِ لمَّا قالَ: لا يشبهُ كلامُ محمَّدٍ الشِّعرَ، ثمَّ قالَ: إنَّه ساحرٌ	٧/ ٣٣٩

* * *

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
إنَّ الله كتبَ الجمعةَ	أبو هريرة	٤/ ٣٣٤
إنَّ الله كتبَ عليكم الحجَّ فحُجُّوا		٢/ ١٤١
إنَّ الله لا يظلمُ حسنةً	أنس بن مالك	٢/ ٣٥٦
إنَّ الله لا يقبلُ إلّا الطَّيِّبَ	جابر بن عبد الله	٢/ ٦٨١
إنَّ الله لا يمَلُّ حتَّى تمَلُّوا	عائشة	١/ ٦٩
إنَّ الله نَهَى عن قيلٍ وقالٍ	المغيرة بن شعبة	٣/ ٢٩٦
إنَّ اللهَ يَستبطِئُكم بالخشوعِ	مقاتل	٦/ ٩٣٢
إنَّ اللهَ يُشرفُ على أهلِ الجنَّةِ	جابر بن عبد الله	٦/ ١٣٢
إنَّ الله يغارُ للغازي		٢/ ١٨٥
إنَّ اللهَ يقولُ يومَ القيامةِ	أبو هريرة	٦/ ٦٨٨
أنَّ الله ينصِبُ ميزاناً	عبد الله بن عباس	٣/ ١٦١
إنَّ المرأةَ خُلِقَتْ من ضِلَعٍ	أبو هريرة	٢/ ٢٧٣
أنَّ النُّونَ هاهنا لوحٌ من نورٍ	معاوية بن قرة	٧/ ٢٩٨
أنَّ أهلَ القيامةِ يَفِرُّون		٧/ ٢٦٠
أنَّ أيُّوبَ خرَّ عليه جرادٌ	أبو هريرة	٦/ ٢٥٣
إنَّ بالمدينةِ رجالًا	أنس بن مالك	٢/ ٤٥٤
أن تجعَلَ لله ندًّا وهو خلَقَكَ	عبد الله بن مسعود	٢/ ٢٣٦، ٥/ ٣٩٥
أن تُعطِيَ مَن حرَمَكَ	قيس بن سعد بن عبادة	٣/ ٢٩٨، ٥٣
أن تعطيَه وأنت صحيحٌ شحيحٌ	أبو هريرة	٦/ ٩٢٦
أنَّ ثُلثي أهلِ الجنَّةِ من هذه الأُمَّةِ	عمران بن حصين	٦/ ٨٩٦

الحديث	الرّاوي	الجزء والصفحة
أنَّ جبريلَ أتى إبراهيمَ	أنس بن مالك	٤/ ٩٢
الآنَ حمِيَ الوطيسُ	عبد الله بن عباس	٣/ ٤٣٩
إن خرجتُم لن أمنعَكم		٩/ ٦٤٣
إنَّ رُوحَ القُدسِ نَفَثَ في رُوعي	عبد الله بن مسعود	٦/ ٤٥٥
إنَّ روحَ المؤمنِ يُعرَجُ بها	أبو هريرة	٣/ ١٩١
إنَّ عندي ما ترَون	سعيد بن المسيب	٣/ ٤٣٧
إن فعلتُ تُؤمنون؟	عبد الله بن عباس	٦/ ٨١٠
أنَّ فوقَ السَّماءِ السَّابعةِ	العباس بن عبد المطلب	٧/ ٢٣٧
إنَّ في الجنَّةِ مئةَ درجةٍ	أبو هريرة	٢/ ٤٥٦
إنْ كادَ ليُسلِمُ	أبو هريرة	٣/ ٣٠٨
إنَّ لله تسعةً وتسعينَ اسمًا	أبو هريرة	٣/ ٣١٤
إنَّ ممَّا يُنبِتُ الرَّبيعُ	أبو سعيد الخدري	٦/ ٣١٨
إنَّ من أمَّتي قومًا على الحقِّ	الربيع بن أنس	٣/ ٣١٥
أنَّ موسى كان في ملأٍ	أبي بن كعب	٤/ ٥٠٧
إنَّ موسى لم ينظرْ إلى اللهِ		٦/ ٤٥٧
إنَّ هذه الأقدامَ بعضُها من بعضٍ	عائشة	٢/ ٥٥
إنَّ هذه الآيةَ نزلَت في القدريَّةِ	أبو أمامة	[illegible]
إنَّ هذهِ الحشوشَ مُحتضَرةٌ	زيد بن أرقم	[illegible]/ ١٦٤
إنَّ هذه وقعةٌ تسامعَ بها العربُ		٢/ ٢٢١
أنا أولى بكلِّ مؤمنٍ من نفسِه		٥/ ٧٢٣

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
أنا بريءٌ من كلِّ مسلمٍ مع مُشركٍ	جرير بن عبد الله	٢/ ٤٦٠
أنا على ملَّةِ إبراهيمَ		٢/ ١٣١
أنا فَرَطُكم على الحوضِ	عبد الله بن مسعود	٣/ ٥٦٣
إنّا معاشرَ الأنبياءِ لا نُورَثُ	عبد الله بن عمر	٤/ ٥٦١
أَناسَ من حُليٍّ أُذُنيَّ	عائشة	١٠/ ٥٩
أنبأني اللهُ		٧/ ١٦٦
أنتَ الفاروقُ	عبد الله بن عباس	٢/ ٣٩٥
أنتَ ومالُك لأبيكَ	جابر بن عبد الله	٥/ ٣٢٧
انتزعَت الرِّيحُ النَّاسَ من قبورِهم	كعب	٦/ ٨٢٢
أنتم اليومَ عالةٌ	عبد الله بن مسعود	٣/ ٣٩٨
أنتم خُصماءُ الله	عطاء بن أبي رباح	٦/ ٨٣٤
أنتم خُصماءُ اللهِ يومَ القيامةِ	أبو ذر الغفاري	٦/ ٨٣٥
أنزلَت هذهِ الآيةُ في ناسٍ	زرارة	٦/ ٨٣٤
أنشُدُكَ بالله الذي أنزلَ التَّوراةَ	سعيد بن جبير	[illegible]
انصرِفا حتَّى أنظُرَ	عبد الله بن عباس	[illegible]
انضَحْ عنَّا الخيلَ بالنَّبلِ	البراء بن عازب	[illegible]
انطلِقْ فوالله ما أنتَ بمُنافقٍ		[illegible]
انطلِقُوا إلى هذا المسجدِ الظّالمِ	عبد الله بن عباس	[illegible]
انطلقُوا حتَّى تأتوا روضةَ خاخٍ	علي بن أبي طالب	[illegible]
أنكِحُوا أبا هندٍ	أبو هريرة	٥/ ٢٨٥

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
إنَّكم لتَقِلُّونَ عندَ الطَّمعِ		٦/ ٥٣
إنَّما أنا لكم مثلُ الوالدِ للولدِ	أبو هريرة	٥/ ١٨٥، ٧٢٤
إنَّما ذلك في الدُّعاءِ	عائشة	٤/ ٤٣٧
إنَّما كانَ ذلك رُؤيا منامٍ		٦/ ٦٤٨
إنَّما هو شيءٌ أُريتُه في منامي	عبد الله بن عباس	٦/ ٥٦٤
أنَّه رأى جبريلَ على صورتِه	جابر بن عبد الله	٦/ ٧٨١
إنَّه عمُّكِ فلْيَلِجْ عليك	عائشة	٥/ ٧٨٧
إنَّه ليس بعارٍ لعيسى		٢/ ٥٣٩
إنَّه ليس من أهلِ الأديانِ	عبد الله بن مسعود	٢/ ١٥٩
أنَّه ماتَ تلك اللَّيلةَ كلُّ بكرٍ	السدي	٦/ ٥١٩
إنَّه ملكٌ صالحٌ	عبد الله بن عباس	٢/ ٦٥٧
إنَّه يحضرُ المشركون	جابر بن عبد الله	٣/ ٤١٤
إنَّها لا تُرمَى لموتِ أحدٍ	عبد الله بن عباس	٧/ ٢٩٧
إنَّها لَتَسِمُهم فتكتُبُ	حذيفة بن اليمان	٥/ ٥١٩
أنَّها هَزْمَةُ جبريلَ	عبد الله بن عباس	٦/ ٢٢١
إنَّهم يخرُجونَ إذا جاءَ الأجَلُ	أبو هريرة	٤/ ٥٤١
أنهنَّ بناتُ ثلاثٍ وثلاثينَ سنة	الحسن البصري	[illegible]/ ٨٩٤
إنِّي أتوبُ إلى الله في اليومِ	الأغر بن يسار	٣/ ٢٨٥
إنِّي تاركٌ فيكمُ الثَّقلَينِ	أبو سعيد الخدري	٦/ ٨٥٧
إنِّي حرَّمتُ المدينةَ	عبد الله بن زيد	٢/ ١٣٥

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
التَّقوى هاهُنا	أبو هريرة	٥/ ١٤١
تكلَّمَ أربعةٌ وهم صغارٌ	عبد الله بن عباس	٤/ ٣٧
تلك العُزَّى، ولن تُعبَدَ أبداً	عبد الله بن عباس	٦/ ٧٨٨
تمامُ النِّعمةِ بدخولِ الجنّةِ	معاذ بن جبل	٢/ ٥٧٢
تنامُ عيناي ولا ينامُ قلبي	عائشة	٦/ ٥٦٥
تنهَونهم عمَّا نهاكم اللهُ عنه		٧/ ١٧٠
ثبَتَ الأجرُ وبقيَ الوِزْرُ	مقاتل	٢/ ٢٧٩
ثلاثٌ إذا خرَجْنَ	أبو هريرة	٣/ ١٥٠
ثم يُنفَخُ فيه أُخرى	أبو هريرة	٦/ ٣٢٢
جاءَ الحقُّ وزهَقَ الباطلُ	عبد الله بن عباس	٤/ ٤١٦
الجنَّةُ مئةُ درجةٍ	عبادة بن الصامت	٤/ ٥٥١
جنَّتانِ من ذَهَبٍ للسَّابقينِ	أبو موسى الأشعري	٦/ ٨٧٠
حتَّى يبلُغَ الماءُ الجدْرَ	عبد الله بن الزبير	٤/ ٥٢١
الحجُّ عرفةَ	عبد الرحمن بن يعمر	٣/ ٤١٣
الحربُ خَدْعةٌ	علي بن أبي طالب	١/ ٦٠
الحسنةُ عشرٌ أو أزيَدُ	أبو ذر الغفاري	٣/ ١٥٢
الحمدُ لله إذ لم يُمِتْني حتَّى أمرَني	سلمان الفارسي	٤/ ٤٧٤
الحمدُ للهِ الذي أَحْيانَا	حذيفة بن اليمان	٥/ ٣٧٩
الحمدُ لله الذي جعلَ في أمَّتي مثلَ أخوَي بني إسرائيلَ		٤/ ٤٩٠

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
الحمدُ لله الذي جعَلَ في أمَّتي مَن أمرَني أن أبدأَهُم بالسَّلامِ	عكرمة	٣/ ٥٢
الحُمَّى كِيرٌ من جهنَّمَ	أبو أمامة	٤/ ٦١٥
خُذهُم لا باركَ الله فيهم		٢/ ٦٢٨
خُذُوا عنِّي، قد جعلَ الله لهنَّ سبيلًا	عبادة بن الصامت	٢/ ٣٠٦
خُذوها يا بني طلحةَ		٢/ ٣٨٩
خضدَ اللهُ شوكَه	أبو أمامة	٦/ ٨٨٩
خلقُ أحدِكم يُجمَعُ في بطنِ أمِّه	عبد الله بن مسعود	٥/ ١٠٢
خَلَقَ اللهُ جنةَ عدنٍ	أنس بن مالك	٥/ ١٨٩
خلِّل بالخزرجِ		٢/ ٤٩٠
خيرُ الدُّعاءِ ما خَفِيَ		٣/ ٢٠٧
خيرُ المالِ سكةٌ مأبورةٌ	سويد بن هبيرة	٤/ ٣٦١
الخيرُ إليك والشرُّ ليسَ إليك	علي بن أبي طالب	٦/ ٢٨٠
خيراتُ الأخلاق حِسان الوجوهِ	أم سلمة	٦/ ٨٧٢
خيرُكم الخفيفُ الحاذِ	حذيفة بن اليمان	٥/ ٢٨٧
خيرُكم قَرني	عمران بن حصين	٦/ ٨٨٣
دَثِّروني دَثِّروني	جابر بن عبد الله	٧/ ٣٣٣
دعاءُ ذي النُّونِ في بطنِ الحوتِ	سعد بن أبي وقاص	٥/ ٦٦
دَعْه فإنْ يُرِدِ الله به خيراً	عبد الله بن عباس	٤/ ١٢٥
دعهُنَّ يا أبا بكرٍ حتَّى يعلمَ اليهودُ	أنس بن مالك	٥/ ٦٧٤

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
الدُّنيا عرَضٌ حاضرٌ	شداد بن أوس	٤٥٣/٢
ديارَكُم فإنَّما تُكتَبُ آثارُكم	الربيع بن أنس	٢٢٠/٤
ذاك عيسى ابنُ مريمَ	حفص بن أبي جبلة	٢١٥/٥
ذلك خطيبُ الأنبياءِ	يعقوب بن أبي سلمة	٧٠٨/٣
ذلك ضَربُ الملائكةِ	الحسن	٣٨٧/٣
ذهبٌ وفضّةٌ	أبو الدرداء	٥٢٦/٤
الذي أمشاهُم على أقدامِهم	أنس بن مالك	٤٢٨/٤، ١٩٢/٧
رأى ربَّه مرَّةً أخرى	عبد الله بن عباس	٧٨٢/٦
رأيتُ إدريسَ في السَّماءِ الرّابعةِ	أنس عن مالك	٦٠١/٤
رأيتُ ورقَها مثلَ آذانِ الفيلةِ	مالك بن صعصعة	٧٨٣/٦
ربِّ افعَلْ - معنى آمين -	عبد الله بن عباس	٣٢/١
رجلٌ، وله عشرةٌ مِن الأولادِ	فروة بن مسيك	[illegible]
رحمَ الله أخي يوسفَ	عبد الله بن عباس	[illegible]
رحِمَ الله زكريّا	الحسن البصري	[illegible]
رحِمَ الله مَن انتدبَ		[illegible]
رحِمَ الله يوسفَ لولا الكلمةُ	أبو هريرة	[illegible]
رحمَ الله يوسفَ، لقد كان ذا أناةٍ	عبد الله بن عباس	[illegible]
رهبانيّةُ أمَّتي الجهادُ	أنس بن مالك	[illegible]
رؤيا الأنبياءِ وحيٌ	عبد الله بن عباس	[illegible]
زمِّلوني دثِّروني	عائشة	[illegible]

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
شيَّعَها سبعونَ ألفَ ملَكٍ	أبي بن كعب	٣/٩
صدقَ الله إنما أموالكم وأولادكم	بريدة	٧/١٣٨
صدقةٌ تصدَّقَ الله عليكم	عمر بن الخطاب	٢/٤٦٢، ٤٦٣
الصِّراطُ المُستقيمُ كتابُ الله عزَّ وجلَّ	علي بن أبي طالب	١/٢٧
صلاةٌ في مسجدي هذا		٢/١٣٧
الصَّلواتُ الخمسُ كفَّاراتٌ	أبو هريرة	٢/٣٣٨
صيدُ البرِّ حلالٌ لكم	جابر بن عبد الله	٢/٦٧٨
ضعوها في سورةِ كذا	عبد الله بن عباس	٦/٥٦٧
طبعَه اللهُ يومَ طبعه كافراً	أبي بن كعب	٥/٦٥٠
طغى الماءُ على خُزَّانِه يومَ نوحٍ	عبد الله بن عباس	٧/٢٢٩
طوبَى شجرةٌ غرَسَها الله	قرة بن إياس	٤/١٤٣
العالِمُ مَن عَقَل عن الله	جابر بن عبد الله	٥/٦١٥
عَجِبَ ربُّكم من شابٍّ	عقبة بن عامر	٦/١٥٩
عجباً كلَّ العَجبِ للمُكذِّبِ	عبد الله بن مسور	[illegible]
عدَّ رسول الله بسمِ الله الرَّحمنِ الرَّحيمِ		[illegible]
عدلَتْ شهادةُ الزُّورِ	خريم بن فاتك	[illegible]
عُرِضَت عليَّ الأنبياءُ	عبد الله بن مسعود	[illegible]
عُرِضَتْ عليَّ أمَّتي في صُوَرِها	السدي	[illegible]
عزمْتُ عليكم ألَّا تصلُّوا العصرَ		[illegible]
علِمْتُ أنَّهم لا يقدمونَ عليكم	عبد الله بن عباس	[illegible]

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
على الصِّراطِ	عائشة	٤/١٩٩
على ملَّةِ إبراهيمَ	عبد الله بن عباس	٢/٤٠
عليكم بالنَّسَلِ	جابر بن عبد الله	٦/١٢٨
عمُّ الرَّجلِ صِنوُ أبيه	أبو هريرة	٤/١١٤
العَينُ حقٌّ	عبد الله بن عباس	٧/٢٢٦
غدًا أُخبِرُكم	عبد الله بن عباس	٤/٤١٩
غشيَها نورٌ من اللهِ	أنس بن مالك	٦/٧٨٤
غفرَ الله لك، ألستَ تنصَبُ؟		٢/٤٨٨
الغيُّ والأثامُ بئرانٌ	أبو أمامة	٥/٣٩٦
غيِّبْ شخصَكَ		٢/٢١٥
فإطعام ستين مسكينًا	علي بن أبي طالب	٢/٦٦٦
فَراشٌ من ذَهَبٍ	عبد الله بن مسعود	٦/٧٨٤
الفردوسُ ربوةُ الجنةِ	أنس بن مالك	[illegible]
فرفعَ الرَّفرفَ فرأينا وجهَه	أنس بن مالك	[illegible]/٨٧
فضلُ المسجدِ الحرامِ	عبد الله بن الزبير	[illegible]/١٢٧
فلا تكنْ في مريةٍ	عبد الله بن عباس	[illegible]/٧١٠
فلقد رأيتُه في النّارِ	أبو هريرة	[illegible]
فليُصَلِّها إذا ذكرَها	أنس بن مالك	[illegible]
فما يُدريكم أنَّهم إناثٌ؟		٦/٤٦٧
فهلّا سألُوا إذ جهِلُوا	جابر بن عبد الله	٢/٦٨٧

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
فهلّا شقَقْتَ عن قلبِه	الحسن البصري	٤٤٩/٢
قتَلَتْ بنو إسرائيلَ	أبو عُبيدة بن الجرَّاحِ	٣٨/١
قتلتَ رجلًا يقولُ: لا إلهَ إلا الله؟	عبد الله بن عباس	٤٥٠/٢
قتَلُوه، إنَّما كان يكفيه التَّيمُّمُ	جابر بن عبد الله	٣٦٥/٢
قد أذِنَّا لك	أبو رافع	٥٦١/٢
قد أُمِرتُ أن أتلوَ القرآنَ على الجنِّ	عبد الله بن مسعود	٢٨٦/٧
قد كنتُ أحبُّ أن أراكَ	عبد الله بن عباس	٣٩٥/٥
قسَمْتُ الصَّلاةَ بيني وبينَ عبدي نصفَينِ	أبو هريرة	[illegible]
قطَعَ الله يدَيكِ	عائشة	٢٥٥/٤
قُمْ بعُذرٍ	كعب بن مالك	٥٥٠/٣
قُمْ فابعَثْ بعثَ النّارِ	عبد الله بن عمرو	٣٢٥/٧
القِنطارُ اثنا عشرَ ألفَ أوقيَةٍ	أبو هريرة	[illegible]
القنطار اثنا عشرَ ألفَ درهمٍ	عبد الله بن عباس	[illegible]
القِنطارُ ألفُ دينارٍ	أنس بن مالك	[illegible]
القِنطارُ ألفٌ ومئتا أوقيَةٍ	أبي بن كعب	[illegible]
قولُوا: لا إلهَ إلَّا اللهُ تملكُوا بها العربَ	عبد الله بن عباس	[illegible]
قولوا: لا إلهَ إلا الله لتُطيعَكم العربُ	عبد الله بن عباس	[illegible]
كانَ الشَّرطُ في الرِّجالِ		[illegible]
كان النَّبيُّ عليه والسَّلامُ مُوزَعًا بالسِّواكِ	عائشة	[illegible]
كانَ أملَكَكُم لإِربِه	عائشة	٢٨٢/٥

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
كانَ أَوَّلُ شأنِ النَّبيِّ	عائشة	٦/ ٧٨١
كانَ خُلُقُه عليه السَّلامُ القرآنَ	عائشة	٧/ ٢٠١
كان ذَكَرُه مثلَ هذه القَذاةِ	أبو هريرة	٢/ ٦٦
كانَ رجلاً له عشرةٌ منَ البنينِ	فروة بن مسيك	٥/ ٤٨١
كانَ رسول الله إذا برزَ سمعَ مُناديًا يُناديه	أبو ميسرة	١/ ٨
كان عليه السلام إذا صلَّى نظَر	أبو هريرة	٥/ ١٩٠
كانَ يتحنَّثُ في حراء	عائشة	٦/ ٩٠
الكبائرُ: الشِّركُ بالله	أبو هريرة	٢/ ٣٣٦
كذبَ إبراهيمُ ثلاثةَ كذباتٍ	أبو هريرة	٤/ ٧٨
كذَبَ أعداءُ الله	سعيد بن جبير	٢/ ١١٢
كذَبتُما، إنْ شئتُ أخبرتُكما	جابر بن عبد الله	٢/ ٩٦
كرامةُ الكتابِ خَتمُه	عبد الله بن عباس	٥/ ٤٨٦
كفَّارةُ المجلسِ إذا قامَ أحدُكم	أبو هريرة	٦/ ٧٦٧
كُفُّوا أيديَكم عنهم		٤/ ٤١
كلُّ مُسكرٍ خمرٌ	عبد الله بن عمر	٨/ ٦٦
كلُّ مولودٍ يولد على الفطرةِ	أبو هريرة	٢/ ٨٥، ٥/ ٦٥٠
كِلا الفريقَينِ بريءٌ من دينِ إبراهيمَ	عبد الله بن عباس	٢/ ١٢٢
كلّا؛ إنَّ عمّارًا مُلِئَ إيمانًا	عبد الله بن عباس	٤/ ٣٢٢
كلامُ ابنِ آدمَ كلُّه عليه	أم حبيبة	٢/ ٤٨٠
كلتا يديه يمينٌ	عبد الله بن عمرو	٦/ ٣٢٠

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
كلمةٌ تذلُّ لهم بها العربُ	عبد الله بن عباس	٢٠٧/٦
كم تَرَى؟ ديناراً؟	علي بن أبي طالب	٢٧/٧
كُنْ خيرَ ابنَي آدمَ	أبو موسى الأشعري	٥٩٦/٢
كُنْ عبدَ الله المقتولَ	خباب بن الأرت	٥٩٦/٢
كنْتُ أوَّلَ النَّبيِّن في الخَلْقِ	أبو هريرة	٧٢٧/٥
الكيِّسُ مَن دانَ نفسَه	شداد بن أوس	٢٢/١
كيفَ تيكُم؟	عائشة	٢٥٩/٥
كيفَ يا ربِّ، والغضَبُ؟	عبد الرحمن بن زيد بن أسلم	٣٣٠/٣
كيف يُفلِحُ قومٌ خضَبُوا	أنس بن مالك	١٧٩/٢
لا أسألُ، قد اكتفَيتُ	عبد الله بن عباس	٤٨٠/٦
لا أُلفِيَنَّ أحدَكُم	أبو هريرة	٢٢٩/٢
لا إلهَ إلَّا اللهُ خفيفةٌ على اللِّسانِ	أبو هريرة	٣١٦/٧
لا تُجالِسُوهُم ولا تُكلِّمُوهم	عبد الله بن عباس	٥١٩/٣
لا تحلفُوا بآبائكِم	عمر بن الخطاب	٢٧٧/٢
لا تُخايِرُوا بينَ الأنبياءِ	أبو سعيد الخدري	٤٤٢/٤
لا تذكري هذا لعائشةَ	عمر بن الخطاب	١٥٧/٧
لا تسألِ الإمارةَ	عبد الرحمن بن سمرة	٦٣/٤
لا تَسبُّوا تُبَّعاً	سهل بن سعد	٧٠١/٦
لا تضربُوا إماءَ الله	إياس بن عبد الله	٣٤٧/٢
لا تَعُدْ لمثلِه		٣٣/٧

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
لا تُفضِّلوني على يونسَ	عبد الله بن مسعود	٤٠٢/٤
لا تُقتَلُ نفسٌ ظلمًا	عبد الله بن مسعود	٥٩٨/٢
لا تمسَحْ خدَّيكَ بين الصَّفا والمروةِ	أبان بن عثمان	١٩٦/٢
لا تمنَعوا إماءَ اللهِ مساجدَ اللهِ	عبد الله بن عمر	٧٩٠/٥
لا تَنُحْنَ	أم سلمة	٨٨/٧
لا تُنكَحُ المرأةُ على عمَّتِها	أبو هريرة	٣٢١/٢
لا حاجةَ لي فيه	عائشة	١٥٩/٧
لا صفَرَ	أبو هريرة	٤٥٧/٣
لا طِيَرةَ ولا هامَ	أبو هريرة	٢٥١/٣
لا نُصِرْتُ إنْ لم أنصُرْ بني كعبٍ		٤٢٦/٣
لا يتمنَّينَّ أحدُكم مالَ أخيه	عبد الله بن عباس	٣٢٥/٢
لا يحلُّ تعليمُ المغنِّياتِ	أبو أمامة	٦٧٢/٥
لا يحِلُّ مالُ امرئٍ مسلمٍ	عبد الله بن عباس	٣٢٩/٥
لا يدخُلُ الحرمَ إلا أهلُ الجزيةِ	جابر بن عبد الله	٤٤٤/٣
لا يُصلِّينَّ أحدُكم وهو زَنَاءٌ		٣٦٣/٢
لا يعلَمُها إلّا الله	أبو موسى الأشعري	٣١٨/٣
لا يُقطَعُ شيءٌ من ثمارِ الجنَّةِ		٨٩١/٦
لا يقولنَّ أحدُكم: زَرعتُ	أبو هريرة	٩٠٥/٦
لا يقولَنَّ أحدُكم: عبدي	أبو هريرة	٣٢٨/٢
لا يموتُ رجلٌ منهم حتَّى يُولَدَ	أبو سعيد الخدري	٥٣٩/٤

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
لا ينبَغي أن يُسجَدِ لأحدٍ	الحسن البصري	١١٧/٢
لا، بل أستَأْني بهم	عبد الله بن عباس	٣٩٠/٤
لا، بل لكلِّ ما عُبِدَ من دونِ الله	عبد الله بن عباس	٧٩/٥
لا، ولكن عاريةٌ مضمونةٌ	صفوان عن أمية	٤٣٦/٣
لا، ولكِنْ لا يُبلِّغُ عنِّي		٤١٥/٣
لا، ولكنَّكم تَكفُونهم المؤونةَ	يزيد بن الأصم	٥٢/٧
لا، ولكنَّه الرَّجلُ يصومُ ويُصلِّي	عائشة	٢١٩/٥
لأزيدَنَّ على السَّبعينَ	عبد الله بن عمر	٥٠٩/٣
لأستَغفِرَنَّ لأبي	قتادة	٥٤٤/٣
لأُمَثِّلَنَّ منهم بثلاثينَ		١٧٩/٢
لبَّيكَ لا شريكَ لك	عبد الله بن عباس	٤٢٩/٣
لتأخُذوا مصافَّكم		١٠٣/٣
لَتأمُرُنَّ بالمعروفِ	أبو بكر الصديق	[illegible]
لفظَه الحوتُ في أصلِ يقطينةٍ	أبو هريرة	[illegible]
لقد أُنزِلَتْ عليَّ آياتٌ ما أنزَلَ اللهُ في التَّوراةِ والإنجيلِ ولا الزَّبورِ مثلَهُنَّ	أبي بن كعب	[illegible]
لقد ذهَبتُم فيها عريضةً		[illegible]
لقد عَجِبَ من فِعالِكما	أبو هريرة	[illegible]
لقَّنَني جبريلُ عليه السَّلامُ آمين عندَ فَراغي من قراءةِ فاتحةِ الكتابِ		[illegible]

[illegible]	الراوي	الجزء والصفحة
ما بلغَني عنه شيءٌ	السدي	٤/ ٥٢٨
ما بهذا بُعِثْتُ	عبد الله بن عباس	٤/ ٤٢٤
ما ترَونَ فيهم؟	عبد الله بن عباس	٣/ ٢٩٧
ما حبَسَكَ؟	عبد الله بن عباس	٤/ ٦٠٧
ما حمَلَكَ على ما صنَعْتَ؟	عبد الله بن عباس	٢/ ٢٥٢
ما خدشُ عُودٍ، ولا عثرةُ قدمٍ	الحسن البصري	٦/ ٤٣٧
ما سالَمْناهُنَّ مذ حارَبْناهُنَّ	عبد الله بن عباس	٣/ ١٧٧
ما عندَنا اليومَ شيءٌ	عبد الله بن مسعود	٤/ ٣٧١
ما غيَّرَ لونَكَ؟	عبد الله بن عباس	٢/ ٤٠٥
ما في السَّماءِ الدُّنيا موضعُ قدَمٍ	عائشة	٦/ ١٩٩
ما كان من حلفٍ في الجاهليّةِ فتمَسَّكُوا به	جبير بن مطعم	٢/ ٣٤٢
ما لك ذُبتَ حتَّى صرتَ مثلَ الهُرْدةِ؟	عبد الله بن عباس	٥/ ٣٤٥
ما لي أراكَ مُهتمًّا؟	جابر بن عبد الله	٢/ ٢٣٧
ما لي ممَّا أفاءَ الله عليكم	عبد الله بن عمرو	٣/ ٣٧٦، ٧/ ٤٧، ٣٣٨
ما لي ولهم	عقبة بن عامر	٤/ ٥٢٨
ما من رجلٍ لا يُؤدِّي زكاةَ مالِه	عبد الله بن مسعود	٢/ ٢٥٠
ما مِن سَنَةٍ بأَمطَرَ مِن أُخرى	عبد الله بن مسعود	٥/ ٣٨١
ما مِن عبدٍ إلا وله في السَّماءِ	أنس بن مالك	٦/ ٥٢١

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
مَن استَقْسَمَ أو تكهَّنَ	أبو الدرداء	٢/ ٥٥٨
مَن أطاعَ مخلوقًا		٢/ ١٠٩
مَن أغلَقَ بابَه فهو آمنٌ	أبو هريرة	٥/ ١٢٧
مَن الذَّاكرُ فلانة؟	عبد الله بن عباس	٦/ ٦٨٦
مَن أَلْقَى جلبابَ الحياءِ	أنس بن مالك	٦/ ٦٨٥
مَن أهانَ لي وليّاً	أنس بن مالك	٧/ ١٧
مَن أهانَ لي وليًّا	أبو هريرة	٢/ ٦٠٥
مَن تركَ جمعةً اسودَّ ثلثُ قلبِه	أبو جعد الضمري	١/ ٥٦
مَن تَقَوَّلَ عليَّ ما لم أَقُلْ	أبو أمامة	٥/ ٣٤٧
مِن حقِّ المؤمِنِ على أخيه		٦/ ٦٨٢
مَن حلَفَ على يمينٍ كاذبةٍ	عبد الله بن مسعود	٣/ ٣٣
مَن دعا لأخيه المُسلمِ	أبو الدرداء	٢/ ٤٢٨
مَن سبقَتْ عينُه استِئذانَه	الحسن البصري	٥/ ٢٧٤
مَن سنَّ سنّةً حسنةً	جرير بن عبد الله	٢/ ٤٢٨، ٥/ ٣٨٧
مَن سيِّدُكم؟	جابر بن عبد الله	٢/ ٦٥
مَن شغَلَه ذِكري عن مسألَتي	عمر بن الخطاب	٣/ ٥٧٠
مَن صامَ رمضانَ وقامَه	أبو هريرة	٣/ ٥٣٤
مَن عمِلَ عملًا وأشرَكَ فيه	أبو هريرة	٤/ ٥٥٤
مَن غشَّنا فليسَ منَّا	أبو هريرة	٢/ ٢٦٦، ٣/ ١٥٢
مَن فاتَه العصرُ	عبد الله بن عمر	٦/ ٦٢٠

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
نحنُ أمَّةٌ أمِّيَّةٌ	عبد الله بن عمر	٣/ ٢٨٦
نَصَحَ لهم في حياتِهِ	عبد الله بن عباس	٦/ ١١١
نُصِرتُ بالصَّبا	عبد الله بن عباس	٦/ ٥٨٣، ٧٣٨، ٣/ ٣٨٢
نعم، المص	جابر بن عبد الله	١/ ٣٨
نعم، كلُّ مَن أحبَّ أن يُعبَدَ من دونِ الله		٥/ ٨٠
نعم، ليُكرَّرَنَّ حتَّى يُؤدَّى		٦/ ٢٩٧
نعم، وبئسَ ما صنعْتَ		٧/ ٣٨
نعم، يُحييه اللهُ		٦/ ١٤٠
نعوذُ بالله من الحَورِ	عبد اللَّه بن سَرْجِس	٦/ ٢٧٥
نهى عن قتلِ جِنّانِ البيوتِ	أبو لبابة	٥/ ٤٦٨
نهى عن قيلٍ وقالٍ	المغيرة بن شعبة	٦/ ٥٠٢
نورٌ يقذفُه اللهُ في القلبِ	عبد الله بن مسعود	٦/ ٢٩٠
هبيهِ لي		٥/ ٧٦٣
هذا ابنُ عمِّك أتاك	ابن أبزى	٦/ ٦٥٣
هذا أعظمُ الفتحِ	عروة بن الزبير	٦/ ٦٣١
هذا ممَّنْ قضى نحبَه	معاوية بن أبي سفيان	٥/ ٧١٤
هذا وقومُه	أبو هريرة	[illegible]
هذا يومُ الحجِّ الأكبرِ	محمد بن مخرمة	[illegible]
هذه بيعةُ عثمانَ	عبد الله بن عمر	٦/ ٦٤٨

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
ولا ينفعُ ذا الجدِّ منك الجدُّ	المغيرة بن شعبة	٧/ ٢٩١
وُلِدَ لنوحٍ سامٌ وحامٌ ويافثُ	أبو هريرة	٤/ ٥٣٩
ولكن ائتُوها وعليكم السَّكينةُ	أبو هريرة	٧/ ١١١
وما يُغني عنه قميصي	قتادة	٣/ ٥١٢
وهل ترَكَ لنا عقيلٌ من رَبْعٍ؟	أسامة بن زيد	٥/ ١٢٧
وهم يدٌ على مَن سِواهُم	علي بن أبي طالب	٣/ ٤٤٣
وهما جميعاً من أُمَّتي	عبد الله بن عباس	٦/ ٨٩٧
ويلَكَ أرسِلْني	محمد بن كعب	٢/ ٢٣
ويلَكَ، ومَن يعدِلُ	أبو سعيد الخدري	٣/ ٤٨١
يا أبا بكرٍ، ما ظنُّك باثنَينِ	أبو بكر الصديق	٣/ ٤٦٤
يا أبا حفصٍ، لا تنسَنا في صالحِ دُعائِكَ	عبد الله بن عمر	٥/ ٣٣٢
يا أصحابَ الشَّجرةِ	العباس بن عبد المطلب	٦/ ١٨٨
يا آلَ غالبٍ، يا آلَ لُؤيٍّ		٥/ ٤٥٦
يا أهلَ القرآنِ أوْتِرُوا	علي بن أبي طالب	٦/ ١٨٨
يا أهلَ النِّفاقِ		٣/ ٥٠١
يا أيُّها النّاسُ كُتِبَ عليكم الحجُّ	الحسن البصري	٥/ ١٣٢
يا بني فُلانٍ، يا بني فُلانٍ	قتادة	٣/ ٣١٦
يا جابرُ إنِّي لا أراك تموتُ	جابر بن عبد الله	٢/ ٥٤١
يا جبريلُ، لِمَ اتَّخذَ الله إبراهيمَ خليلًا؟	عبد الله بن عمرو	٢/ ٤٩٢
يا جَدُّ، هل لكَ في جِلَدِ بني الأصفرِ	جابر بن عبد الله	٣/ ٤٧٤

الحديث	الراوي	الجزء والصفحة
يا خالدُ، كُفَّ عن عمَّارٍ	عبد الله بن عباس	٢/ ٣٩٦
يا خيلَ الله اركَبي	أنس بن مالك	١/ ٦٣، ٤/ ٧٣
يا رحمنُ	عبد الله بن عباس	٤/ ١٤٤، ٤٣٦
يا عمَّاه إنَّ الله قد عصَمَني	عبد الله بن عباس	٢/ ٦٤٤
يا فلانُ قُمْ فاخرجْ فإنَّكَ منافقٌ	عبد الله بن عباس	٥/ ٧٩٢
يا معشرَ المُسلمينَ، مَن يَعذِرُني	عائشة	٥/ ٢٦٠
يا معشرَ قُريشٍ، اشتَرُوا أنفُسَكم	أبو هريرة	٥/ ٤٥٥، ٤٥٦
يا معشرَ قُريشٍ، لقد خالفتُم	عبد الله بن عباس	٢/ ٥٢
يا ويحَ قريشٍ لقد أكلَتْهم الحربُ		٦/ ٦٢٥
يُبدَّلُ الله الأرضَ		٤/ ١٩٩
يُبدَّلُ في ساعةٍ مئةَ مرّةٍ	عبد الله بن عمر	٢/ ٣٨٥
يُبعَثُ آكلُ مالِ اليتيمِ	أبو برزة	٢/ ٢٩٥
يتكلَّمُ الرَّجلُ بالتَّسبيحةِ	أبو أيوب الأنصاري	٥/ ٢٧٢
يُجزِئُكَ الثُّلثُ أن تتصدَّقَ به	الزهري	٣/ ٢٦٣
يحرُمُ منَ الرَّضاعِ	عائشة	٢/ ٢١٩
يُحشَرُ النّاسُ غدًا عُراةً	عائشة	٤/ ٢٨٥
يدخلُ عليكم الآنَ رجلٌ قلبُه	عبد الله بن عباس	٧/ ٢٩
يرحمُ الله لوطًا	أبو هريرة	٣/ ٢٩٩
يرِدُ النّاسُ جهنَّمَ	عبد الله بن مسعود	٤/ ٢٩٣
يرزُقُنا الله وإيّاكُم من فضلِه		٤/ ٣٧٠

* * *

فهرس الآثار

الأثر	القائل	الجزء والصفحة
بلى، أنا أُحبُّ أن يغفرَ الله لي	أبو بكر الصديق	٥/ ٢٦٧
التَّفسيرُ مايتعلَّقُ بالرِّوايةِ، والتَّأويلُ مايتعلَّقُ بالدِّرايةِ	الحسين بن الفضل البجلي	١/ ٤
الحرُماتُ خمسٌ	ابن زيد	٥/ ١٣٧
الرَّعـدُ ملَـكٌ، والبَـرقُ مخاريقُ بأيـدي الملائكةِ مـن حديد	علي بن أبي طالب	١/ ٧٨
زوَّجَكُنَّ أقارِبُكُنَّ، وزوَّجني اللهُ عزَّ وجل	زينب بنت جحش	٥/ ٧٦٥
سبَقَ رسولُ الله ﷺ، وصَلَّى أبو بكرٍ	علي بن أبي طالب	١/ ٤٦
السِّدرةُ شجرةٌ تخرجُ من أصلِها أنهارٌ	أبو هريرة	٦/ ٧٨٣
سُمِّيَت سدرةَ المنتهَى	عبد الله بن عباس	٦/ ٧٨٣
صلاةُ النَّهارِ عجماءُ	الحسن البصري	٦/ ٤٠٥
كادَ الجُعلُ أن يُعذَّبَ في جُحرِه	عبد الله بن مسعود	٦/ ٩٤
كلُّ ما في القرآنِ منَ السِّياحةِ	عبد الله بن عباس	٣/ ٥٤١
كلُّ مالٍ أُدِّيَ زكاتُه فليس بكنزٍ	عبد الله بن عمر	٣/ ٤٥٠
كنَّا نقرأُ هذه الآيةَ	رافع بن خديج	٦/ ٦٤٥
كنتُ أرى أن أصِلَ إليكَ	عبد الله بن سلام	[illegible]
كيفَ يُفلِحُ قومٌ فعلوا هذا	فاطمة	٦/ ١٩٨
لا أعلمُ وصيَّةً أُجيزَت	مالك بن أنس	[illegible]
لا تَعْجلُوا الأنفسَ أن تَزهَقَ	عمر بن الخطاب	[illegible]
لا يَسمعُ النَّبيُّ عليه السَّلامُ صوتي	عمر بن الخطاب	[illegible]
لكلِّ إنسانٍ نفسان	عبد الله بن عباس	[illegible]

الأثر	القائل	الجزء والصفحة
لكلِّ كتابٍ سرٌّ، وسرُّ الله تعالى في القرآنِ هذه الحروفُ المقطعة	الشعبي	٣٨/١
اللَّهمَّ إنِّي أبرأُ إليْكَ مِنْ صَنيعِ هؤلاءِ	أنس بن النضر	٧٤٣/٥
ليس من كتبِ الله كتابٌ	سعيد بن جبير	٨٢٠/٦
ليس منها حرفٌ إلا وهو مفتاحُ اسمٍ من أسماءِ الله ـ الحروفُ المقطعة ـ	أبو العالية	٤١/١
ما عفا عنه في الدُّنيا	عبد الله بن عباس	٤٣٨/٦
ما يزعُ السُّلطانُ أكثرُ	عائشة	٣٨٨/٦
ما يسرُّني أنِّي لم أجهر بصوتي	ثابت بن قيس	٦٧١/٦
مَصْعُ مَلَكٍ ـ الرعد ـ	مجاهد	٧٩/١
مَن أرادَ أن يُكتالُ بالميزان الأوفى	علي بن أبي طالب	٢٠٣/٢
مَن قالَ: إنَّ زرَّ رسول اللهِ	مالك بن أنس	٦٦٩/٦
مَن كانَ مُوسرًا صحيحًا	عبد الله بن عمر	١٤١/٢
نسيَ آدمُ عهدَ الله فسُمِّيَ إنسانًا	عبد الله بن عباس	٥٩/١
هذه الحروفُ أسماءٌ للسُّورِ، فـ «ألم» اسمٌ لسورةِ البقرةِ ـ الحروفُ المقطعة ـ	القفال	٣٩/١
هو ملَكٌ يزجُرُ السَّحابَ ـ الرعد ـ	عبد الله بن عباس	٧٧/١
هي إلى السَّبعِ مئةٍ أقرَبُ	عبد الله بن عباس	٣٣٨/[illegible]
وأيُّ أرضٍ وسماءٍ تسعُ الجنَّةَ؟	أنس بن مالك	١٨٣/[illegible]
وفَّقَكَ اللهُ يا ابنَ سَلَم	عمر بن الخطاب	٢٣/٣

* * *

فهرس الأشعار

الصدر	العجز	القائل	الجزء والصفحة
	أ		
إذا رضيَــتْ علـيَّ بنــو قُشَـيرٍ	لَعَمْــرُ اللهِ أعجَبَنــي رِضَاهَــا	قُحَيف العُقَيلي	٣/ ٦٤٤
	ب		
فـإن يـك صـدر هـذا اليـوم ولى	وإنَّ غـــداً لناظـــرِه قريـــبُ	قراد بن أجدع	٧/ ٦٠
لَـدْنٌ بِهـزِّ الْكَفِّ يَعْسِلُ مَتْنُهُ فيه	كمــا عسَــلَ الطَّريــقَ الثَّعلــبُ	ساعدة بن جؤية	٣/ ٤١٩
تعلَّــمْ أنَّ خيــرَ النّــاسِ طُرًّا	قتيل بــن أحجــار الكُلاب	سلمة بن عمرو	٣/ ٢٩٨
سَـالَت هُذَيلٌ رَسُـولَ اللهِ فَاحِشَةً	ضَلَّتْ هُذَيلٌ بما قالَتْ ولَم تُصِبِ	حسان بن ثابت	٧/ ٢٥٢
	ح		
تَغيَّـرَتِ البـلادُ ومَـن عليهـا	فَلَـوْنُ الأرْضِ مُغْبَـرٌّ قَبِيـحُ		٢/ ٥٩٩
	د		
معــاوي إننــا بَشَــرٌ فأَسْـجِحْ	فلَسْـنا بالجبــالِ ولا الحديــدا	عقيبة الأسدي	٢/ ٢٧٤، ٣/ ٦٠٧
إلا أواريَّ لأَيــاً مــا أُبيِّنهــا	والنُّؤي كالحوضِ بالمظلومةِ الجَلَدِ	النابغة الذبياني	٢/ ٤٧٨
	ر		
خليلـيّ عُوجـا سـاعَةً، وَتَهَجَّـرا	ولُوما على ما أحْدثَ الدهرُ، أوْ ذَرَا	النابغة الجعدي	٦/ ٨٤٨

الصدر	العجز	القائل	الجزء والصفحة
ألَا يا اسلَمي يا دارَ ميَّ على البِلَى	ولا زالَ مُنهلاً بجَرْعائكِ القَطْرُ	ذو الرمة	٥/ ٤٨٣
تمنَّى كتابَ اللهِ آخرَ ليلِهِ	وآخرَه لاقَى حِمَامَ المَقادِرِ		٥/ ١٦٣
فإن يبرأ فلم أنفث عليه	وإن يهلك فذلك كان قدري	يزيد بن سنان	٧/ ١٨٦
نحنُ بناتُ النَّجارِ	حبَّذا محمَّدُ مِنْ جارِ		٥/ ٦٧٤
	ص		
كلُوا في نصفِ بطنِكم تعيشُوا	فإنَّ زمانكم زَمَنٌ خَمِيصُ		٥/ ١٠٤
	ع		
أكُفرًا بعد ردِّ الموتِ عني	وبَعْدَ عَطائِكَ المِئةِ الرِّتَاعَا	القطامي	٧/ ٢٤٦
	ل		
فَاقْنَيْ حَيَاءَكِ لا أبَا لَكِ وَاعْلَمي	أنّي امْرُوءٌ سَأَمُوتُ إنْ لَمْ أُقْتَلِ	عنترة	٦/ ٨٠٠
قفا نَبكِ من ذِكرَى حَبيبٍ ومَنزِلِ	بسِقطِ اللّوَى بينَ الدَّخولِ فحَومَلِ	امرؤ القيس	٦/ ٨٤٨
	ن		
عَلفتُها تبناً وماءً بارداً	حَتَّى شَتَتْ هَمَّالَةً عَيْناها		٦/ ٩٣٩
	هـ		
وانعم صباحاً أيُّها الجبرُ	اِسلَمْ بِرَاوُوقٍ حُبِيتَ بِهِ	ابن الأحمر	٧/ ٦٤
هذا جَنَايَ وخِيارُه فِيهِ	إذ كُلُّ جَانٍ يدُه إلى فِيهِ	عمرو بن عدي اللخمي	٦/ ٨٦٧

***

فهرس الأرجاز

***

فهرس الأعلام

العلم	الجزء والصفحة

***

فهرس الموضوعات

***